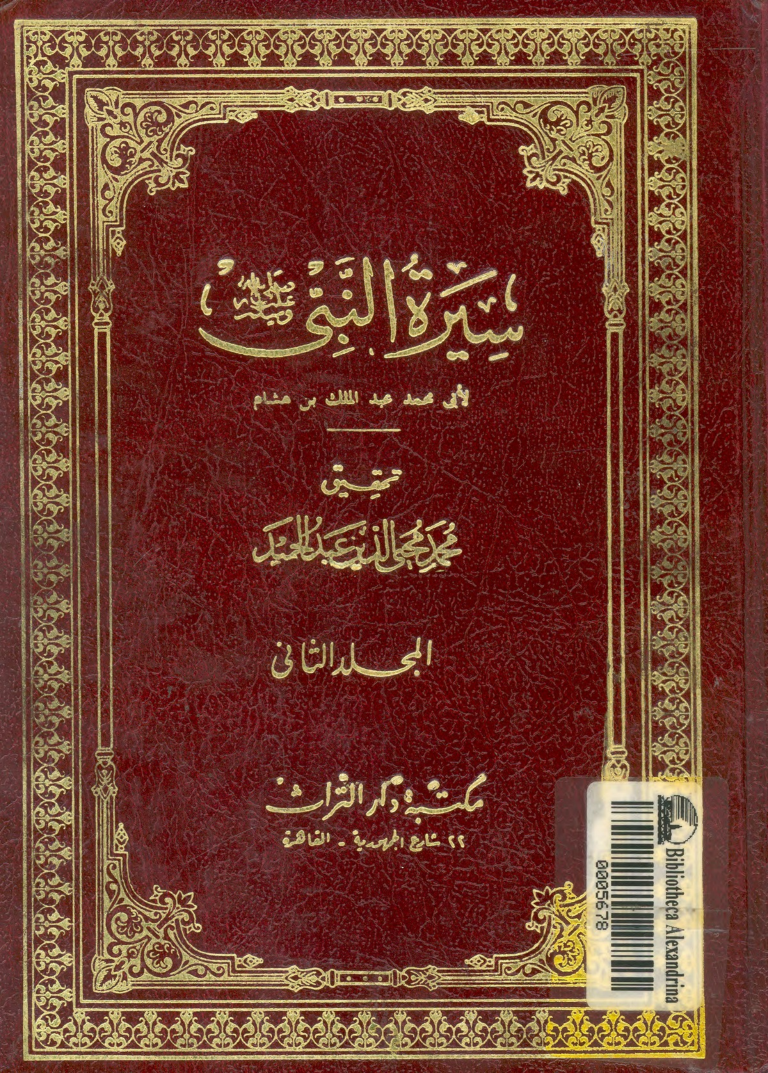

سيرة النبي ﷺ
لأبي محمد عبد الملك بن هشام
تحقيق
محمد محيي الدين عبد الحميد
المجلد الثاني
مكتبة دار التراث
٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة
Bibliotheca Alexandrina
0005678



لأبي محمد عبد الملك بن هشام

واجع أصولها ، وضبط غريبها ، وعلق حواشيها ، ووضع فهارسها



الجزء الثالث

مكتبة
دار التراث
٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

[الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله]

غزوة أحد[1]

وكان [من] حديث أُحد — كما حدثني محمد بن مُسْلم الزُّهْرِيّ ومحمد ابن يحيى بن حبَّان ، وعاصم بن عُمر بن قَتَادة ، وَالْحُصَيْن بن عبد الرحمن ابن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حَدَّث بعضَ الحديث عن يوم أُحُد ، وقد اجتمع حديثُهُم كله فيما سُقْتُ من هذا الحديث عن يوم أُحد — قالوا ، أو من قاله منهم :

لما أُصِيبَ يوم بدر من كفار قريش أصحابُ القليب ، وَرَجَع فَلُّهم[2] إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بِعِيرِهِ ؛ مشى عبدُالله بن أبي ربيعة ، وعكرمةُ بن أبي جهل ، وصَفْوَان بن أمية ، فى رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر ، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له فى تلك العِير من قريش تجارة ، فقالوا : يامعشر قريش ، إنَّ محمداً قد وَتَرَكُم[3] وقتل خيَارَكم فأعينونا بهذا المال على حربه ، فلعلنا نُدْرِكُ منه ثأرَنَا بمن أصاب مِنَّا ، ففعلوا .

قال ابن إسحق : ففيهم — كما ذكر لى بعضُ أهل العلم — أنزل الله تعالى (٨ : ٣٦) : (إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ

---

(١) فى نسخة «أمر أحد وحديثه» (٢) فلهم : المنهزمون منهم

(٣) وتركم : ظلمكم أو جعل لكم عنده ثأر

اللهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ)

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان [بن حرب] وأصحاب العير بأحابيشها ، ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة

أبو عزة الجمحى ينسى يد النبى عليه ويخرج مع المشركين

وكان أبو عَزَّة عَمرو بن عبد الله الجُمَحِيُّ قد مَنَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر (١) ، وكان فقيرًا ذا عيال وحاجة ، وكان فى الأسارى ، فقال : يارسول الله ، إنى فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها ، فامْنُنْ علىَّ صلَّى الله عليك وسلم ، فمنَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عَزَّة ، إنك امرؤ شاعر ، فأَعنَّا بلسانك ، فاخرج معنا ، فقال : إن محمداً قد مَنَّ علىَّ فلا أريد أن أظاهر عليه ، قال : فأَعِنَّا بنفسك ، فلَكَ اللهُ عَلَيَّ إن رجعتَ أَنْ أُغْنِيَكَ وإن أُصِبْتَ أن أجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر ، فخرج أبو عزة يسير فى تهامة ، ويدعو بنى كنانة ، ويقول :

إيهاً بَنِى عَبْدِ مَنَاةَ الرُّزَّامْ ... أَنْتُمْ حُمَاةٌ وَأَبُوكُمْ حَامْ (٢)
لَا تَعِدُونِى نَصْرَكُمْ بَعْدَ الْعَامْ
لَا تُسْلِمُونِى لَا يَحِلُّ إِسْلَامْ (٣)

---

(١) انظر (ج ٢ ص ٣٠٥) من هذا الكتاب

(٢) الرزام : جمع رازم ، وهو الذى يثبت فى مكانه لايبرحه ، يريد أنهم يثبتون عند لقاء العدو ولا ينهزمون ، تقول : رزم البعير ، إذا ثبت بمكانه ولم يستطع مبارحته

(٣) « تعدونى » مضارع وعد . وفى بعض النسخ « لايعدونى » مضارع عدا مؤكد بالنون الثقيلة ، والذى أثبتناه أولى من حيث المعنى

مسافع الجمحى يحرض بنى كنانة

وخرج مُسَافع بن عَبْد مَنَاف بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح إلى بنى مالك بن كنانة يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : —

يَامَالِ مَالَ الْحَسَبِ الْمُقَدَّمِ أَنْشُدُ ذَا الْقُرْبَى وَذَا التَّذَمُّمِ (١)

مَنْ كَانَ ذَا رُحْمٍ وَمَنْ لَمْ يَرْحُمِ

الْحِلْفَ وَسْطَ الْبَلَدِ الْمُحَرَّمِ (٢)

* عِنْدَ حَطِيمِ الْكَعْبَةِ الْمُعَظَّمِ * (٣)

وحشى غلام جبير بن المطعم

ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشيا يقال له وَحْشِيٌّ يقذف بحَرْبةٍ له قَذْف الحبشة قَلَّمَا يخطىء بها ، فقال له : أُخرج مع الناس ، فإن أنت قَتَلْتَ حمزة عَمَّ محمد بعَمّي طُعَيْمَةَ بن عَدِيٍّ فأنت عَتيقٌ

خروج قريش بظعائنها

فخرجت قريش بحَدِّهَا وَجَدِّهَا [وحديدها] وأحابيشها ومن تابعها من بنى كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالظُّعُن (٤) الْتِمَاسَ الحفيظة (٥) وأن لايَفِرُّوا ، فخرج أبو سفيان بن حرب وهو قائد الناس [معه] بهِنْدابنة عُتْبَةَ ، وخرج عكرمة بن أبى جهل بأمِّ حكيم بنت الحرث بن هشام بن المغيرة ،

(١) « يامال » أراد يا مالك فرخم ، ومال الثانية كالأولى ، إلا أن الترخيم فيها ضرورة لكونه مضافا إلى الحسب ، والحسب : الشرف ، وأنشد : أذكر ، والتذمم : الذمام ، يقصد بذى التذمم صاحب العهد

(٢) ذا رحم : ذا قرابة ، ومن لم يرحم - بضم الحاء - من كان من غير ذى القرابة ، والحلف : العهد

(٣) الحطيم : مابين الحجر إلى ميزاب الكعبة

(٤) الظعن : جمع ظعينة ، وهى المرأة فى الهودج ، وأصلها الهودج ، فلما كانوا لا يطلقون على الهودج ظعينة حتى تكون فيه النساء ، توسعوا فأطلقوها على المرأة

(٥) الحفيظة : الأنفة والغضب

وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صَفْوَان بن أمية ببَرْزَةَ بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية ، وهى أم عبد الله بن صفوان [بن أمية]

قال ابن هشام : ويقال رقية

قال ابن إسحق : وخرج عمرو بن العاص برَيْطَةَ بنت مُنَبِّه بن الحجاج ، وهى أم عبد الله بن عمرو ، وخرج طلحةُ بن أبى طلحة (وأبو طلحة عبد الله بن عبد الْعُزَّى بن عثمان بن عبد الدار) بسُلافَةَ بنت سعد بن شُهَيْدٍ الأنصارية ، وهى أم بنى طلحة : مُسَافع ، وَالْجُلَاس ، وكِلَاب ، قتلوا يومئذ هم وأبوهم ، وخرجت خُنَاسُ بنت مالك بن الْمُضَرِّب إحدى نساء بنى مالك بن حِسْل مع ابنها أبى عَزِيز بن عُمير ، وهى أم مصعب ابن عمير ، وخرجت عَمْرَةُ بنت عَلْقَمة إحدى نساء بنى الحرث بن عبد مناة ابن كنانة .

وكانت هندُ بنت عُتْبَة كلما مَرَّتْ بوَحْشى أو مَرَّ بها قالت : وَيْهًا [1] أبَا دَسَمَةَ اشْفِ وَاشْتَفِ ، وكان وَحْشِيٌّ يُكْنى بأبى دَسَمَة

فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنَيْنِ بجبَالٍ ببطْن السَّبْخَة من قَنَاة على شَفِير الوادى مقابل المدينة

رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين : « إنِّى قَدْ رَأَيْتُ والله خَيْرًا ، رَأَيْتُ بَقَرًا [تذبح] ، ورأيت فى ذُباب سيفى ثَلْمًا ، ورأيت أنى أدْخَلْتُ يدى فى دِرْعٍ حصينة فأوَّلْتها بالمدينة »

---

(١) ويها : كلمة معناها الاغراء والتحريض

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رَأَيْتُ بَقَراً لِى تُذْبَحُ ، قال : فأما البقر فهى ناس من أصحابى يُقتَلُونَ ، وأما الثَّلم الذى [رأيت] فى ذُبَاب سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل »

قال ابن إسحق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بالمدينة وتَدَعُوهُمْ حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بِشَرِّ مُقَامٍ ، وإِنْ هُمْ دَخَلُوهَا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا » وكان رأى عبد الله بن أُبَيِّ ابن سَلُولَ مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يرى رأيه فى ذلك ، وأن لا يخرج إليهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج ، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره ممن كان فاته بدر : يارسول الله ، أُخْرُجْ بنا إلى أعدائنا لاَ يَرَوْنَ أنا جَبُنَّا عَنهُمْ وضَعُفْنَا ، فقال عبدالله بن أُبَيِّ ابن سَلُولَ : يارسول الله أَقِمْ بالمدينة لاَتَخْرُجْ إليهم ، فوالله ماخرجنا منها إلى عدوٍّ لنا قَطُّ إلا أصاب منا ، ولا دَخَلها علينا إلا أَصَبْنَا منه ، فَدَعْهُمْ يارسول الله ، فان أقاموا أقاموا بشر مَحْبِسٍ ، وإن دَخَلوا قاتلهم الرجالُ فى وجههم ، ورماهم النساء والصبيانُ بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا .

فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاء القوم حتى دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم [بيته] فلبس لَأْمَتَهُ(١) ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات فى ذلك اليوم رجلٌ من الأنصار يقال له : مالك بن عمرو أحد بنى النَّجَّار ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج عليهم وقد نَدِمَ الناس وقالوا : استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لنا ذلك . — خروج رسول الله وأصحابه

---

(١) اللأمة : الدرع ، وقد يسمى السلاح كله لأمة

فلما خرج [عليهم] رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يارسول الله ، استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فان شئت فاقْعُدْ صلى الله عليك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ » فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف من أصحابه .

عامل رسول الله

قال ابن هشام : واستعمل [بالمدينة] ابنَ أمِّ مكْتُوم على الصلاة بالناس .

انعزال المنافقين

قال ابن إسحق : حتى إذا كانوا بالشَّوْطِ — بين المدينة وأُحُدٍ — انخزل عنه عبدُ الله بن أُبَيِّ [ابن سلول] بثُلُث الناس ، وقال : أطاعهم وعصانى ، ماندرى علامَ نَقْتُلُ أنفسنا ههنا أيها الناس ؟ فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والرَّيْب ، واتبعهم عبدُ الله بن عمرو بن حَرَام أخو بنى سَلِمة ، يقول : ياقوم أُذَكِّرُكم الله أن لاتخذلوا قومَكم ونبيَّكم عند ماحضر من عدوهم ، فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلونَ لما أسلمْناكم ؛ ولكنّا لا نرى أنه يكون قتال

قال : فلما استَعْصَوْا عليه ، وأبوا إلا الانصراف [عنهم] ، قال : أبْعَدَكُمُ الله أعداءَ الله فسَيُغْنِي الله عز وجل عنكم نَبِيَّهُ صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام : وذكر غير زيادٍ ، عن محمد بن إسحق ، عن الزهرى ، أن الأنصار يوم أحدٍ قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : [يارسول الله] ألا نستعين بحلفائنا من يهود ؟ فقال : « لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِمْ »

قال زياد . وحدثنى محمد بن إسحق ، قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك فى حَرَّة بنى حارثة فذَبَّ فَرَسٌ[1] بذنبه ، فأصاب كُلَّابَ سَيْفٍ[2] فاستلّه

---

(١) ذب فرس بذنبه : حرك ذنبه ليطير عنه الذباب

(٢) كلاب سيف : هو فى قول ابن إسحاق بضم الكاف وتشديد اللام

قال ابن هشام : ويقال : كَلاَّبَ سَيْفِ

قال ابن إسحق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ وكان يُحِبُّ الفأْلَ ولا يَعْتَافُ (١) ــ لصاحب السيف : « شِمْ سَيْفَكَ (٢) ؛ فإنِّى أُرَى السُّيُوفَ الْيَوْمَ سَتُسَلُّ » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى الْقَوْمِ مِنْ كَثَبٍ » ؟ أى : من قرب « مِنْ طَرِيقٍ لَا يَمُرُّ بِنَا عَلَيْهِمْ » فقال أبو خيثمة أخو بنى حارثة بن الحرث : أنا يارسول الله ، فنفذ به فى حَرَّة بنى حارثة وبين أموالهم ، حتى سلك فى مال لِمِرْبَع بن قَيْظِيّ ، وكان رجلا منافقا ضريرَ البصر ، فلما سمع حِسَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين قام يَحْثِي فى وجوههم التراب ، ويقول : إن كنت رسول الله فإنى لا أحل لك أن تَدْخُلَ حائطى ، وقد ذُكر لى أنه أخذ حَفْنَةً من تراب فى يده ، ثم قال : والله لو أنى أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك ، فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَاتَقْتُلُوهُ فَهٰذَا الأَعْمَى أَعْمَى الْقَلْبِ أَعْمَى الْبَصَرِ » وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بنى عبد الأشهل — قبل نَهْى رسول الله صلى الله عليه وسلم — عنه، فضربه بالقوس فى رأسه فَشَجَّهُ

مربع بن قيظى المنافق

وهو مسمار يكون فى قائم السيف ، وقيل : هى الحلقة التى تكون فى مسمار قائم السيف وتكون فيها علاقة السيف ، وضبطه ابن هشام ككتان كذا بهامش بعض أصول الكتاب

(١) لايعتاف : لايتطير ، تقول : عفت الطير ؛ إذا تطيرت بها

(٢) شم سيفك : أى اغمده ، وقد يكون معناه جرده ، فان هذه الكلمة من الأضداد

نزول رسول الله بالشعب وتعبئته للقتال

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشِّعْبَ من أُحُد فى عُدْوَة الوادى إلى الجبل ، فجعل ظَهْره وعسكره إلى أحد ، وقال : « لَا يُقَاتِلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ حَتَّى نَأْمُرَهُ بالقتال» وقد سَرَّحَتْ قريشٌ الظَّهْرَ وَالْكُرَاعَ (١) فى زروع كانت بالصَّمْغَة (٢) من قَنَاة للمسلمين ، فقال رجل من الأنصار — حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال — : أتُرْعَى زُرُوعُ بنى قَيْلَةَ (٣) ولما نُضَارِب ؟ !

وصاة رسول الله للرماة

وتعبَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للقتال ، وهو فى سبعمائة رجل ، وَأَمَّرَ على الرُّمَاة عبدَ الله بن جُبَيْر أخا بنى عَمْرو بن عَوْف ، وهو مُعْلِمٌ يومئذ بثياب بيض ، وَالرُّمَاةُ خمسون رجلا ، فقال : « انْضَحِ الْخَيْلَ (٤) عَنَّا بالنَّبْلِ لَا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا فَاثْبُتْ مَكَانَكَ لَا نُؤْتَيَنَّ مِنْ قِبَلِكَ » وَظَاهَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين دِرْعَيْن (٥) ، ودفع اللِّواء إلى مُصْعَب بن عمير أخى بنى عبد الدار

بعض من أجازه رسول الله و بعض من رده لصغر سنه

قال ابن هشام : وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سَمُرَةَ ابن جُنْدَب الْفَزَارِيَّ ، وَرَافِعَ بن خَدِيج أخا بنى حارثة ، وهما ابنا خَمْسَ عشرة سنة ، وكان قد رَدَّهُمَا ، فقيل له : يارسول الله ، إن رافعا رام ،

---

(١) الظهر : الأبل ، والكراع : الخيل

(٢) الصمغة : اسم موضع ، ويقال بالعين المهملة وبالغين المعجمة

(٣) بنوقيلة : هم الأوس . وقيلة : اسم أم من أمهات الأنصار نسبوا إليها

(٤) انضح الخيل : ادفعهم عنا ؛ تقول : نضحت عن عرض فلان : إذا دافعت عنه

(٥) ظاهر بين درعين : لبس درعا فوق درع

فأجازه ، فلما أجاز رافعاً قيل له : يارسول الله فإن سَمُرَةَ يَصْرَعُ رافعا ، فأجازه ، وَرَدَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أُسامةَ بن زيد ، وَعبدَ الله ابن عُمَرَ بن الخطاب ، وَزَيدَ بن ثابت أحد بنى مالك بن النجار ، وَالْبَرَاء بن عازب أحد بنى حارثة ، وَعمْرو بن حزم أحد بنىَ [مالك بن] النجار ، وَأُسَيْدَ بن ظُهَير أحد بنى حارثة ، ثم أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمس عشرة سنة

قال ابن إسحق : وتَعَبَّأتْ قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مائتا فرس قد جَنَبُوها [1] فجعلوا على مَيْمَنَةِ الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عِكْرِمَةَ بن أبى جهل

أبو دجانة وسيف رسول الله

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ يَأْخُذُ هٰذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ » فقام إليه رجالٌ فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دُجانة سِمَاكُ بن خَرَشَة أخو بنى ساعدة ، فقال : وماحقه يارسول الله ؟ قال: «أن تَضْرِبَ بِهِ الْعَدُوَّ حَتَّى يَنْحَنِي » قال : أنا آخذه يارسول الله بحقه ، فأعطاه إياه ، وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يَخْتَالُ عند الحرب [2] إذا كانت ، وكان إذا أعلم بعصابة له حمراء فاعْتَصَبَ بها علم الناسُ أنه سيقاتل

فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عِصَابته تلك فَعَصَبَ بها رأسه . ثم جعل يتبختر بين الصفين

قال ابن إسحق : فحدثنى جعفر بن عبد الله بن أَسْلَمَ مَوْلَى عمر بن الخطاب ، عن رجل من الأنصار من بَنِى سلمة :قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) جنبوها : قادوها

(٢) يختال عند الحرب : هو من الخيلاء ، وهو الزهو

عليه وسلم — حين رأى أبا دجانة يَتبختر — : « إنَّها لَمِشْيَةٌ يُبغضُها الله إلاّ فى مِثْلِ هذا الْمَوْطِنِ »

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أبا عامر عَبْدَ

أبو عامر الفاسق عمرو بن صَيْفِيٍّ بن مالك بن النعمان أحد بنى ضبيعة — وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم معه خمسون غلاما من الأوس ، و بعض الناس كان يقول : كانوا خمسة عشر رجلا ، وكان يعد قريشا أنْ لو قد لقى قومه لم يَخْتَلِفْ عليه منهم رجلان — فلما التقى الناسُ كان أولَ من لقيهم أبو عامر فى الأحابيش ، وعُبْدَانُ أهلِ مكة ، فنادى : يامعشر الأوس ، أنا أبو عامر ، قالوا : فَلاَ أَنْعَمَ الله بك عَيْناً يافاسق ، وكان أبو عامر يُسَمَّي فى الجاهلية الراهب ، فسَمَّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق ، فلما سمع رَدَّهُمْ عليه قال : لقد أصابَ قومى بَعْدِى شَرٌّ ، ثم قاتلهم قتالا شديدا ، ثم رَاضَخَهم (١) بالحجارة

قال ابن إسحق : وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بنى عبدالدار يحرضهم بذلك على القتال : يابنى عبد الدار ، إنكم قد وَلِيتُمْ لِوَاءنا يوم بدر فأصابنا ماقد رأيتم ، و إنما يؤتى الناس من قِبَلِ راياتهم إذا زالت زالوا فأمَّا أن تَكْفُونَا لواءنا ، وإما أن تُخَلُّوا بيننا و بينه فنكفيكموه ، فَهَمُّوا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نُسْلِم إليك لواءنا ؟ ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع ! ! وذلك أراد أبو سفيان ، فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عُتْبَةَ فى النسوة اللاتى معها ، وأَخَذْنَ الدُّفُوفَ يَضْرِبْنَ بها خَلْفَ الرجال و يُحَرِّضْنَهُمْ فقالت هند فيما تقول :

---

(١) راضخهم بالحجارة : رماهم . وأصل المراضخة الرمى بالسهام ، وهو بالخاء المعجمة . ويروى بالحاء المهملة ، ومعناهما واحد ، إلا أنه بالمعجمة أشهر وأعرف

وَيْهًا بَنِي عَبْـدِ الدَّارْ * وَيْهًا حُمَاةَ الأَدْبَارْ * ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارْ(١)

وتقول : —

إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ وَنَفْرِشُ النَّمَارِقْ (٢)

أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقْ (٣)

شعار أصحاب رسول الله يوم أحد

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد «أَمِتْ أَمِتْ» فيما قال ابن هشام

شأن أبي دجانة في القتال

قال ابن إسحق : فاقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دُجَانة حتى أَمْعَنَ في الناس

قال ابن هشام : حدثني غير واحد من أهل العلم أن الزُّبَيْرَ بن الْعَوَّامَ قال : وجدت في نفسي — حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة — وقلت : أَنَا ابْنُ صَفِيَّةَ عمته ، ومن قريش ، وقدقمت إليه فسألته إياه قبله ، فأعطاه إياه وتركني ، والله لأنظرن مَايَصْنَع ، فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء فَعَصَبَ بها رأسه ؛ فقالت الأنصار : أَخْرَجَ أبو دُجَانَةَ عصابَةَ الموت ، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب بها ، فخرج وهو يقول : —

أَنَا الَّذِي عَاهَـدَنِي خَلِيـلِي وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ (٤)

---

(١) «ويها» كلمة تحريض وإغراء ، وحماة الأدبار : الذين يحمون أعقاب الناس ، والبتار : السيف القاطع الماضي في ضريبته

(٢) النمارق : جمع نمرقة . وهي الوسادة الصغيرة

(٣) الوامق : المحب

(٤) السفح : جانب الجبل

أَنْ لَا أَقُومَ الدَّهْرَ فِي الْكَيُّولِ
أَضْرِبْ بِسَيْفِ اللهِ وَالرَّسُولِ (١)

قال ابن هشام : ويروى فى الْكُبول (٢) ، [يعنى آخر الصفوف]

قال ابن إسحق : فجعل لايلقى أحدا إلا قتله ، وكان فى المشركين رجل لايَدَعُ لنا جريحا إلاذَفَّفَ عليه (٣) فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه ، فدَعَوْتُ اللهأن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضربتين ، فضرب المشركُ أبا دُجَانة ، فاتَّقَاه بدَرَقَته فعضَّت بسيفه ، وضربه أبو دجانة فقتله ، ثم رأيته قدحمل السيف على مَفْرِق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها ، قال الزبير فقلت : الله ورسوله أعلم

قال ابن إسحق : وقال أبو دجانة (سِماكُ بن خَرَشة) : رأيت إنسانا يَحْمِشِ الناس (٤) حَمْشاً شديدا فصَمَدْتُ له (٥) ، فلما حملت عليه السيف وَلْوَلَ (٦) ؛ فاذا امرأة ، فأكرمتُ سيفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة

---

(١) الكيول : آخر الصفوف فى الحرب ، وهو بتشديد الياء ، وقد تخفف ، والكاف مفتوحة على الوجهين

(٢) قال الزرقانى فى شرح المواهب (ج ٢ ص ٣٤) : «قال البرهان : وفى بعض الروايات الكبول ـ بضم الكاف والموحدة ـ جمع كبل ، وهو القيد الضخم ، وهو إن صح رواية فله معنى ، وفى صحته نظر » اه

(٣) ذفف عليه : أجهز عليه وأسرع قتله

(٤) يحمس الناس : يشجعهم على القتال ، وهى بالسين المهملة ؛ ويروى يحمش ـ بالشين المعجمة ـ ومعناه يثير حميتهم وغضبهم

(٥) صمدت له : قصدت نحوه

(٦) الولولة : رفع الصوت ، وقيل : قول يا ويلاه

مقتل حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتي قتل أَرْطَاةَ بن عبد شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ، ثم مر به سِبَاعُ بن عبد الْعُزَّى الْغُبْشَانى وكان يكنى بأبى نِيَار ، فقال له حمزة : هَلُمَّ إِلَيَّ يا ابن مُقَطِّعَة الْبُظُور ، وكانت أمه أمَّ أنمار مولاة شريق ابن عمرو بن وهب الثقفى (قال ابن هشام : شَرِيقُ بن الأخنس بن شريق) وكانت خَتَّانَةً بمكة ؛ فلما التقيا ضربه حمزة فقتله

قال وحشى غلام جبير بن مطعم : والله إنى لأنظر إلى حمزة يَهُدُّ(١) الناس بسيفه ما يُليق (٢) [به] شيئا مثل الجمل الأورق (٣) إذ تقدمنى اليه سِبَاعُ [ابن عبد الْعُزَّى] فقال [له] حمزة : هلم إلَيَّ يا ابن مُقَطِّعَةَ الْبُظُور ، فضربه ضربة فكأنما أخطأ رأسه (٤) وهَزَزْتُ حَربتى ؛ حتى إذا رضيتُ منها دَفَعْتُهَا عليه ، فوقعت فى ثُنَّته ، حتى خرجت من بين رجليه ، فأقبل نحوى ، فَغُلِبَ فوقع ، وأمهلته حتى إذا مات جئتُ فأخذت حربتى ثم تَنَحَّيْتُ إلى العسكر ، ولم يكن لى بشىء حاجة غيره

قال ابن إسحق : وحدثنى عبدُ الله بن الفضل بن عَبَّاس (٥) بن ربيعة ابن الحرث ، عن سليمان بن يسار ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضَّمْرى ،

---

(١) يهد — بالدال المهملة — يهلكهم ، ويروى يهذ — بالذال معجمة — ومعناه يسرع فى قتلهم

(٢) مايليق : مايبق

(٣) الأورق : الذى لونه بين الغبرة والسواد

(٤) «فكأنما أخطأ رأسه» هذا يقال عند المبالغة فى الاصابة ، كذا فى الزرقانى على المواهب

(٥) فى نسخة «بن عياش» ونص أبو ذر على أن الصواب عباس بالباء الموحدة والسين المهملة

قال : خرجت أنا وعبيد الله بن عَدِيّ بن الْخِيَار أخو بنى نَوْفل بن عبد مناف ، فى زمان معاوية بن أبى سفيان ، فأدْرَبْنَا [١] مع الناس ، فلما قَفَلْنَا مَرَرْنا بحمص ، وكان وحْشِيّ مَوْلى جُبَيْر بن مُطْعِم قدسكنها وأقام بها ، فلما قدمناها قال لى عبيد الله بن عدى : هل لك فى أن نأتى وَحْشِيًّا فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال : قلت له : إن شئت ، فخرجنا نسأل عنه بحمص ، فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه : إنكما ستجدانه بفناءِ داره ، وهو رجل قد غلبت عليه الخمرة ، فان تجداه صاحيا تجدا رجلا عربيًّا وتجدا عنده بعضَ ماتريدان وتصيبا عنده ماشئتما من حديث تسألانه عنه ، وإن تجداه وبه بعضُ ما يكون به فانْصرِفا عنه ودَعَاه ، قال : فخرجنا نمشى حتى جئناه فاذا هو بفناء داره على طنفسة له ، فاذا هو شيخ كبير مثل الْبُغَاث

قال ابن هشام : الْبُغَاث ضرب من الطير [إلى السواد]

فاذا هو صاحٍ لا بأس به ، قال : فلما انتهينا إليه سلمنا عليه فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عَدِيّ ، فقال : ابنُ العدى بن الخيار أنت ؟ قال : نعم ، قال : أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أُمَّكَ السعديةَ التى أرضعتك بذى طوًى ، فانى نَاوَلْتُـكَهَا وهى على بعيرها ، فأَخَذَتْكَ بعُرْضَتِكَ [٢] ، فلَمَعَتْ لى قَدَمَاكَ حين رَفَعْتُكَ إليها ، فوالله ماهو إلا أن وقفت علىّ فعرفتهما ، قال : فجلسنا إليه ، فقلنا له : جئناك لتحدثنا عن قتلك حمزة كيف قتلته ، فقال : أما إنى سأحدثكما كما حدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألنى عن ذلك

---

(١) أدربنا : جزنا الدروب ، والدروب : جمـ ... ـه هو الموضع الحاجز بين بلاد الاسلام وبلاد العجم

(٢) العرضة : الجلد الذى يكون فيه الصبى إذا أرضع ، ويرى فه ،

كنت غلاما لجبير بن مطعم ، وكان عَمُّه طُعَيْمَة بن عَدِىّ قد أصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش إلى أُحُد قال لى جبير : إن قتلتَ حمزة عَمَّ محمد بعمى فأنت عتيقٌ ، قال : فخرجت مع الناس ، وكنت رجلا حَبَشِياً أقذف بالحربة قَذْفَ الحبشة ، قلّما أخطىء بها شيئا ، فلما التقى الناس خَرَجْت أنظر حمزة وأتبصّره ، حتى رأيته فى عُرْض الناس مثل الجَمَل الأورق يَهُدّ الناسَ بسيفه هدًّا (١) ما يقوم له شىء ، فوالله إنى لأتَهَيّأ له أريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو منى إذ تَقَدّمنى إليه سبَاع ابن عبدالعُزّى ، فلما رآه حمزة قال له [حمزة] : هلم إلى يا ابن مُقَطّعة البُظُور ، قال : فضربه ضربة كأنما أخطأ رأسه ، قال : وهززت حَرْبتى حتى إذا رضيتُ منها دفعتها عليه ، فوقعت فى ثُنّته حتى خرجت من بين رجليه ، وذهب لينوء نَحْوى ، فغُلِبَ ؛ وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيته فأخذت حَرْبتى ثم رجعت إلى العسكر فقعدت فيه ، ولم يكن لى بغيره حاجة ، وإنما قتلته لأعتق ، فلما قدمت مكة أُعْتِقْت ، ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هربت إلى الطائف ، فمكثت بها ، فلما خرج وَفْدُ الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لِيُسْلموا تَعَيَّتْ علىَّ المذاهبُ ، فقلت : ألحق بالشأم أو اليمن أو ببعض البلاد ، فوالله إنى لفى ذلك من هَمّى إذ قال لى رجل : ويحك ! ! إنه والله مايَقْتُلُ أحداً من الناس دخل فى دينه وتَشَهَّدَ شهادةَ الحق ، فلما قال لى ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يَرُعْهُ إلا بى قائما

ويروى « بعرصتك » بالصاد المهملة ، ومعناه بالثوب الذى كان تحته ، ويروى « بعرضيك » وهو مثنى عرض ، وعرض الشىء ـ بضم فسكون ـ جانبه

على رأسه أتشهد بشهادة الحق ، فلما رآنى قال : « أَوَحْشِىٌّ »؟ قلت : نعم يارسول الله ، قال : « اقْعُدْ نحَدِّثْنِى كَيْفَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ »قال :فحدثته كما حدثتكما ، فلما فرغت من حديثي قال : « وَيْحَكَ غَيِّبْ عَنِّى وَجْهَكَ فَلاَ أَرَيَنَّكَ » قال : فكنت أتَنَكَّبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم حَيْثُ كان ؛ لئلا يرانى ، حتى قبضه الله صلى الله عليه وسلم ، فلما خرج المسلمون إلى مُسَيْلِمة الكذاب صاحب اليمامة خرجتُ معهم وأخذت حَرْبَتِى التى قتلت بها حمزة ، فلما التقى الناسُ رأيتُ مُسَيْلِمة الكذابَ قائماً فى يده السيف ، وما أعرفه ، فتَهَيَّأْت له وتهيأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى ، كلانا يريده ، فَهَزَزْتُ حربتى ، حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعت فيه ، وشَدَّ عليه الأنصارى فضربه بالسَّيْف ، فربُّكَ أعلم أيُّنَا قتله ؛ فإذا كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قتلت شر الناس .

قال ابن إسحق : وحدثنى عبدُ الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسار ، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، وكان قد شهد اليمامة قال : سمعت يومئذ صارخاً يقول : قتله العبد الأسود

قال ابن هشام : فبلغنى أن وَحْشِياً لم يزل يُحَدُّ فى الخمر حتى خُلِعَ من الديوان ، فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : قد علمتُ أن الله تعالى لم يكن ليَدَعَ قاتل حمزة رضى الله عنه

مقتل مصعب بن عمير

قال ابن إسحق : وقاتل مُصْعَبُ بن عُمَير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتِل ، وكان الذى قتله ابنَ قَمِئَةَ اللَّيْثِيَّ ، وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى قريش فقال : قَتَلْتُ محمداً

فلما قُتِلَ مُصْعَبُ بن عُمَير أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللّواء

علىَّ بن أبى طالب ، وقاتل علىُّ بن أبى طالب ورجال من المسلمين

قال ابن هشام : وحدثنى مَسْلَمَةُ بن عَلْقَمة المازنى ، قال : لما اشتدَّ القتال يوم أحد جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الأنصار ، وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه أنْ قَدِّم الراية ، فتقدم علىّ ، فقال : أنا أبو القَصْم ، (١) (ويقال أبو الفصْم فيما قال ابن هشام) فناداه أبو سعد بن أبى طلحة وهو صاحب لواء المشركين أنْ هَلْ لك يا أبا القَصْم فى البِراز من حاجة ؟ قال : نعم ، فبَرَزَا بين الصَّفين ، فاختلفا ضربتين : فضربه علىٌّ فصرعه ، ثم انصرف عنه ولم يُجْهِز عليه ، فقال له أصحابه : أفلا أجْهَزْتَ عليه ؟ فقال : إنه استقبلنى بِعَوْرَتِه فعطفتْنى عنه الرحم ، وعرفت أن الله عز وجل قد قتله . ويقال : إن أبا سعد بن أبى طلحة خرج بين الصفين فنادى : أنا قاصِمٌ (٢) من يبارز ؟ مراراً ، فلم يخرج إليه أحد ، فقال : يا أصحاب محمد ، زعمتم أن قتلاكم فى الجنة وأن قتلانا فى النار ، كذبتم ، واللاتِ لو تعلمون ذلك حقا لخرج إلىَّ بعضكم فخرج إليه على بن أبى طالب ، فاختلفا ضربتين ، فضربه على رضى الله عنه فقتله .

أبو سعد بن أبى طلحة وعلى بن أبى طالب

---

(١) وقع فى بعض النسخ « القصيم » فى الموضعين على أن يضبط أحدهما مكبرا والآخر مصغرا ، ووقع فى بعض آخر « القصم » فى الموضعين جميعا ، وضبط أولهما بالفتح والثانى كصرد ، والذى فى شرح أبى ذر : « والقصم ـ بالقاف ـ الكسر الذى يبان به بعض الشىء من بعضه ، والفصم ـ بالفاء ـ الكسر الذى لا يبان به بعض الشىء من بعض » اهـ ، قلت : والذى فى نسخة أبى ذر هو الصواب ، وهو الموافق لما حكاه الزرقانى فى شرح المواهب عن ابن إسحاق (ج ٢ ص ٣٥)

(٢) هكذا فى بعض النسخ ، وفى بعضها « أيا قاصم » على النداء ، وفى شرح المواهب للزرقانى « أين قاصم » ؟ على الاستفهام

قال ابن إسحق : قتل أبا سعد بن أبى طلحة سَعْدُ بن أبى وَقّاص

شأن عاصم بن ثابت

وَقَاتَلَ عاصمُ بن ثابت بن أبى الأقلح ، فقتل مُسَافِع بنَ طلحة ، وأخاه الْجُلاسَ بن طلحة ، كلاهما يُشْعِره سَهْماً [١] ، فيأتى أمَّهُ سُلافَة ، فيضع رأسه فى حِجْرِها ، فتقول : يا بُنَىَّ مَنْ أصابك ؟ فيقول : سمعتُ رجلاً ــ حين رمانى ــ وهو يقول : خُذْهَا وأنا ابن أبى الأقلح ، فَنَذَرَتْ إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر ، وكان عاصمٌ قد عاهد الله أن لا يَمَسَّ مشركا أبدا ، ولا يمسه مشرك ، وقال عثمان بن أبى طلحة يومئذ وهو يحمل لواء المشركين : —

إنَّ عَلَى أَهْلِ اللِّوَاءِ حَقَّا أَنْ يَخْضِبُوا الصَّعْدَةَ أَوْ تَنْدَقَّا [٢]

فقتله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

حنظلة بن أبى عامر غسيل الملائكة

والتقى حنظلة بن أبى عامر الغسيل وأبو سفيان ، فلما استَعْلاه حنظلة ابن أبى عامر رآه شَدَّاد بن الأسود ــ وهو ابن شَعُوب ــ [و] قد علا أباسفيان ، فضربه شدادٌ فقتله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّ صَاحِبَكُم ــ يعنى حنظلة ــ لَتَغْسِلُهُ الْمَلائِكَةُ » فسألوا أهله : ما شأنه ؟ فَسُئِلَتْ صاحبتُهُ عنه ، فقالت : خرج وهو جُنُبٌ حين سمع [٣] الهاتفة

قال ابن هشام : ويقال : الهائعة ، وجاء فى الحديث « خَيْرُ النَّاسِ رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً طَارَ إلَيْهَا »

قال ابن هشام : قال الطِّرِمَّاحُ بن حكيم الطائى (والطرماح : الطويل من الرجال) : —

---

(١) « يشعره سهما » أى : يصيبه به فى جسده فيصير له مثل الشعار ، والشعار : ما ولى الجسد من الثياب

(٢) الصعدة : القناة

(٣) قال أبو ذر : « الهاتفة يعنى الصيحة . ويروى الهائعة ، مأخوذ من الهياع ، وهو الصياح ، وقد فسره ابن هشام » اه

أَنَا ابْنُ حُمَاةِ الْمَجْدِ مِنْ آلِ مَالِكٍ إِذَا جَعَلَتْ خُورُ الرِّجَالِ تَهِيعُ (١)

[والهيعة : الصيحة التى فيها الفزع]

قال ابن إسحق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك « غَسَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ » .

قال ابن إسحق : وقال شداد بن الأسود فى قتله حنظلة :ـ

لَأَحْمِيَنَّ صَاحِبِي وَنَفْسِي بِطَعْنَةٍ مِثْلِ شُعَاعِ الشَّمْسِ

وقال أبو سفيان بن حرب وهو يذكر صبره فى ذلك اليوم ومعاونة ابن شَعُوب إياه على حَنْظلة :ـ

قصيدة لأبى سفيان فى يوم أحد

وَلَوْ شِئْتُ نَجَّتْنِي كُمَيْتٌ طِمِرَّةٌ وَلَمْ أَحْمِلِ النَّعْمَاءَ لِابْنِ شَعُوبِ (٢)

وَمَا زَالَ مُهْرِي مَزْجَرَ الْكَلْبِ مِنْهُمُ
لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى دَنَتْ لِغُرُوبِ (٣)

أُقَاتِلُهُمْ وَأَدَّعِي يَالَ غَالِبٍ وَأَدْفَعُهُمْ عَنِّي بِرُكْنٍ صَلِيبِ (٤)

---

(١) الخور : جمع أخور ، وهو من صفته الخور ـ بفتح الخاء المعجمة والواو جميعا ـ وهو الجبن والضعف ، فالخور : الجبناء الضعفاء ، وتهيع : تصيح ، كما هو استشهاد ابن هشام .

(٢) الطمرة : الفرس السريعة الوثب ، يريد أنه لو أراد الهرب لركب فرسه الذى هذه صفته فنجا عليه

(٣) مزجر الكلب : يريد أنه فى المكان الذى يزجر الكلب فيه ، وإنما يعنى أنه قريب ، والضمير المستتر فى قوله « دنت لغروب » عائد إلى الشمس وإنما أضمرها مع أنه لم يتقدم لها ذكر لأن الغداة دلت عليها ، كما قال الله تعالى : (حتى توارت بالحجاب) فان الضمير المستتر فى (توارت) عائد إلى الشمس ولم يتقدم لها ذكر ، وصح ذلك لما كان ذكر العشى يدل عليها

(٤) صليب : شديد قوى

فَبَكِّي وَلاَ تَرْعَىْ مَقَالَةَ عَاذِلٍ ... وَلاَ تَسْأَمِي مِنْ عَبْرَةٍ وَنَحِيبِ (١)
أَبَاكِ وَإِخْوَانًا لَهُ قَدْ تَتَابَعُوا ... وَحُقَّ لَهُمْ مِنْ عَبْرَةٍ بِنَصِيبِ
وَسَلِّي الَّذِي قَدْ كَانَ فِي النَّفْسِ إِنَّنِي
قَتَلْتُ مِنَ النَّجَّارِ كُلَّ نَجِيبِ
وَمِنْ هَاشِمٍ قَرْمًا كَرِيمًا وَمُصْعَبًا
وَكَانَ لَدَى الْهَيْجَاءِ غَيْرَ هَيُوبِ (٢)
وَلَوْ أَنَّنِي لَمْ أَشْفِ نَفْسِيَ مِنْهُمُ
لَكَانَتْ شَجًا فِي الْقَلْبِ ذَاتَ نُدُوبِ (٣)
فَآبُوا وَقَدْ أَوْدَى الْجَلاَبِيبُ مِنْهُمُ
بِهِمْ خَدَبٌ مِنْ مُعْبَطٍ وَكَئِيبِ (٤)
أَصَابَهُمُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ ... كِفَاءً وَلاَ فِي خُطَّةٍ بِضَرِيبِ (٥)

---

(١) لا ترعى : لا تحفظى ، ويروى « ترعى » بضم التاء ، ومعناه لاتبقى ، يقال : ما أرعى فلان على فلان ، أى : ما أبقى عليه ، والعبرة ـ بفتح فسكون ـ الدمعة ، والنحيب : البكاء مع رفع الصوت

(٢) القرم ـ بفتح فسكون ـ الفحل الكريم من الابل ، وعنى به هنا حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، والمصعب : الفحل من الابل أيضا ، والهيجاء : الحرب ، وهيوب : خائف شديد الخوف

(٣) الشجا : الحزن ، والندوب : جمع ندب ، وهو أثر الجرح

(٤) الجلابيب : جمع جلباب ، وهو الازار الخشن ، وكان الكفار من أهل مكة يسمون من أسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم الجلابيب ، وأودى : هلك ، والخدب ـ بالخاء المعجمة والدال المهملة ـ الطعن النافذ إلى الجوف والمعبط : الذى يسيل دمعه ، وفى أكثر الأصول « معطب » وكئيب : حزين ، ويروى « كبيب » بالباء الموحدة مكان الهمزة ـ وهو المكبوب على وجهه ، فعيل بمعنى مفعول

(٥) الخطة : الخصلة الرفيعة ، والضريب : الشبيه

فأجابه حسان بن ثابت فيما ذكر ابن هشام ، فقال : —

حسان بن ثابت يجيب أبا سفيان

ذَكَرْتَ الْقُرُومَ الصِّيدَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
وَلَسْتَ لِزُورٍ قُلْتَهُ بِمُصِيبِ (١)

أَتَعْجَبُ أَنْ أَقْصَدْتَ حَمْزَةَ مِنْهُمُ
نَجِيباً وَقَدْ سَمَّيْتَهُ بِنَجِيبِ (٢)

أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْرًا وَعُتْبَةَ وَابْنَهُ
وَشَيْبَةَ وَالْحَجَّاجَ وَابْنَ حَبِيبِ

غَدَاةَ دَعَا الْعَاصِي عَلِيًّا فَرَاعَهُ
بِضَرْبَةِ عَضْبٍ بَلَّهُ بِخَضِيبِ (٣)

قال ابن إسحق : وقال ابن شَعُوب يذكر يَدَه عند أبي سفيان فيما دفع عنه :—

ابن شعوب يمن على أبي سفيان

وَلَوْلاَ دِفَاعِي يَاابْنَ حَرْبٍ وَمَشْهَدِي
لَأُلْفِيتَ يَوْمَ النَّعْفِ غَيْرَ مُجِيبِ (٤)

وَلَوْلاَ مَكَرِّي الْمُهْرَ بِالنَّعْفِ قَرْقَرَتْ
ضِبَاعٌ عَلَيْهِ أَوْ ضِرَاءٌ كَلِيبِ (٥)

قال ابن هشام : قوله « عليه أو ضِراء » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال الحرث بن هشام يجيب أبا سفيان : —

---

(١) القروم : جمع قرم — بفتح فسكون — وهو الفحل من الابل ، والمراد به ههنا الكريم من الناس ، والصيد : جمع أصيد ، وهو المتكبر

(٢) أقصدت : أصبت ، وتقول : رميته فأقصدته ، إذا كنت قد أصبته

(٣) العضب : السيف القاطع ، والخضيب : أراد به ههنا الدم الذى يخضب ما يصل إليه

(٤) النعف — بفتح فسكون — أسفل الجبل

(٥) قرقرت : أسرعت وخفت لأكله ، والضباع : جمع ضبع ، والضراء الضارية التى تعودت الصيد وأكل لحوم الناس ، وكليب : اسم جماعة الكلاب

الحرث بن هشام يرد على أبي سفيان تدبيه به

إِنَّكَ لَوْ عَايَنْتَ مَا كَانَ مِنْهُمُ ... لَأُبْتَ بِقَلْبٍ مَا بَقِيتَ نَخِيبِ (١)
لَدَى صَحْنِ بَدْرٍ أَوْ أَقَمْتُ نَوَائِحًا ... عَلَيْكَ وَلَمْ تَحْفِلْ مُصَابَ حَبِيبِ
جَزَيْتُهُمُ يَوْمًا بِبَدْرٍ كَمِثْلِهِ ... عَلَى سَابِحٍ ذِي مَيْعَةٍ وَشَبِيبِ (٢)

قال ابن هشام : وإنما أجاب الحرثُ بن هشام أبا سفيان [بن حرب] لأنه ظن أنه عَرَّضَ به فى قوله * وَمَا زَالَ مُهْرِي مَزْجَرَ الْكَلْبِ مِنْهُمُ * لفرار الحرث يوم بدر

الابتلاء بعد النصر

قال ابن إسحق : ثم أنزل الله نصره على المسلمين وَصَدَقَهُمْ وعده فَحَسُّوهم بالسيوف (٣) حتى كَشَفُوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لا شك فيها

قال ابن إسحق : وحدثنى يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير أنه قال : والله لقد رَأَيْتُنِي أنظر إلى خَدَمِ (٤) هند بنت عتبة وصواحبها مُشَمِّرَاتٍ هَوَارِبَ مادون أخذهن قليل ولا كثير إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه وَخَلَّوْا ظهورنا للخيل ، فأُتينا من خلفنا وصرخ صارخ : ألا إن محمدا قد قتل ،

---

(١) أبت : رجعت ، تقول : آب يؤوب ، إذا رجع ، ونخيب : خال فارغ ، وأراد أنه جبان

(٢) السابح : الفرس الذى كأنه يعوم فى الماء ، والميعة : الخفة والنشاط والشبيب : هو أن يرفع الفرس يديه جميعا ، ويروى « سبيب » بالسين المهملة ـ وهو شعر الناصية

(٣) حسوهم : قتلوهم ، ومنه قوله تعالى « إذ تحسونهم باذنه » أى تقتلونهم

(٤) خدم : جمع خدمة ، وهى الخلخال ، يعنى أنهن شمرن ثيابهن للهرب فبدت خلاخيلهن

فانكفأنا[1] وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم

عمرة الحارثية تحمل لواء قريش

قال ابن هشام : الصارخ : أزبُّ[2] العقبة ، يعنى الشيطان

قال ابن إسحق : وحدثنى بعض أهل العلم أن اللواء لم يزل صريعا حتى أخذته عَمْرَةُ بنت عَلْقَمَةَ الحارثية ، فرفعته لقريش ، فَلاَثُوابه[3] وكان اللواء مع صُؤَاب ، غلام لأبى طلحة حبشى ، وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتل به حتى قطعت يداه ثم برك عليه [يقاتل] فأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه وهو يقول : اللّهُمَّ هل أعْزَرْتُ ، (يقول : أعْذَرْتُ[4]) فقال حسان بن ثابت فى ذلك : —

كلمة لحسان يعير فيها قريشا بحملهم اللواء مع غلام أبى طلحة

فَخَرْتُمْ بِاللِّوَاءِ وَشَرُّ فَخْرٍ لِوَاءٌ حِينَ رُدَّ إِلَى صُؤَابِ
جَعَلْتُمْ فَخْرَكُمْ فِيهِ لِعَبْدٍ وَأَلْأَمِ مَنْ يَطَا عَفَرَ التُّرَابِ[5]
ظَنَنْتُمْ وَالسَّفِيهُ لَهُ ظُنُونٌ وَمَا إِنْ ذَاكَ مِنْ أَمْرِ الصوَابِ
بِأَنَّ جِلاَدَكُمْ يَوْمَ الْتَقَيْنَا بِمَكَّةَ بَيْعُكُمْ حُمْرَ الْعِيَابِ[6]

---

(١) انكفأنا : رجعنا

(٢) انظر (ج ٢ ص ٥٦ من هذا الكتاب)

(٣) لاثوابه : اجتمعوا حوله والتفوا

(٤) يريد أنه كان أعجميا ، فكان لذلك يبدل ذال « أعذرت » زايا فيقول « أعزرت »

(٥) يطا : أراد يطأ ، بخفف الهمزة ، والعفر : التراب الذى بين الحمرة والغبرة

(٦) العياب : جمع عيبة ، وهى ما يضع فيها الرجل متاعه ، وفى نسخة « بأن جلادنا — الخ »

أَقَرَّ الْعَيْنَ أَنْ عُصِبَتْ يَدَاهُ وَمَا إِنْ تُعْصَبَانِ عَلَى خِضَابِ

قال ابن هشام : آخرها بيتا يروى لأبى خراش الهذلى ، [و]أنشدنيه له خلف الأحمر :—

أَقَرَّ الْعَيْنَ أَنْ عُصِبَتْ يدَاهَا وَمَا إِنْ تُعْصَبَانِ عَلَى خِضَابِ

فى أبيات له ، يعنى امرأته فى غير حديث أحد ، وتروى الأبيات أيضا لِمَعْقِلِ بن خُوَيْلِد الهذلى

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت فى شأن عَمْرَةَ بنت علقمة [الحارثية] ورفعها اللّواء : —

حسان بن ثابت يندد بقريش

إِذَا عَضَلٌ سِيقَتْ إِلَيْنَا كَأَنَّهَا
جِدَايَةُ شِرْكٍ مُعْلَمَاتِ الْحَوَاجِبِ (١)
أَقَمْنَا لَهُمْ طَعْنًا مُبِيرًا مُنَكِّلاً
وَحُزْنَاهُمُ بِالضَّرْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ (٢)
فَلَوْلاَ لِوَاءُ الْحَارِثِيَّةِ أَصْبَحُوا
يُبَاعُونَ فِى الْأَسْوَاقِ بَيْعَ الْجَلاَئِبِ (٣)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى أبيات له

حالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد

قال ابن إسحق : وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو ، وكان يوم بَلاَءٍ وَتَمْحِيصٍ ، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة . حتى

(١) عضل : اسم قبيلة من العرب ، والجداية ـ بفتح الجيم وكسرها ـ الصغير من أولاد الظباء ، وشرك ـ بضم الشين وكسرها ـ اسم موضع ،

(٢) مبيرا : مهلكا ، ومنكلا : قامعا لهم ولغيرهم

(٣) الجلائب : جمع جليب ، وهوما يجلب إلى السوق ليباع فيها

خَلَصَ العدوُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فَدُثَّ بالحجارة (١) حتى وقع لِشقِّه ، فأصيبت رَبَاعيتُهُ ، وشُجَّ فى (٢) وجهه ، وكُلِمَتْ شفته (٣) ، وكان الذى أصابه عُتْبَةَ بن أبى وَقَّاص

قال ابن إسحق : فحدثنى حُمَيْدٌ الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : كُسِرَتْ رَبَاعِيَةُ النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشُجَّ فى وجهه فجعل الدم يَسيل على وجهه وجعَل يمسح الدم وهو يقول : « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وجْهَ نَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ » فأنزل الله عز وجل فى ذلك (٣ : ١٢٨) « لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ »

قال ابن هشام : وذكر رُبَيْحُ بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخُدرى ، عن أبيه ، عن أبى سعيد الخدرى ، أن عُتْبة بن أبى وَقَّاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فكسر رَبَاعِيَتَه اليُمْنَى السُّفْلى ، وجرح شَفَتَه السفلى . وأن عبد الله بن شِهَابٍ الزُّهْرِىَّ شَجَّهُ فى جَبْهَته ، وأن ابن قَمِئَةَ جرَح وَجْنَتَه (٤) فدخلت حَلْقَتَان من حَلَقِ الْمِغْفَرِ (٥) فى وجنته ، ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حُفْرَة من الحفر التى عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون : فأخذ على بن أبى طالب بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ، ومَصَّ

---

(١) « فدث بالحجارة » تروى هذه الكلمة بالدال المهملة ، وتروى بالراء المهملة ، فأما على الأول فمعناها رمي بالحجارة حتى التوى بعض جسده وأما على الثانية فمعناها أصيب بذلك حتى ضعف وهو مأخوذ من الثوب الرث الذى أصبح خلقا غير متماسك

(٢) شج : أصابته شجة أى شدخة

(٣) كلمت شفته : جرحت (٤) الوجنة : أعلى الخد

(٥) المغفر : شيء بالدرع ذو حلق يجعل على الرأس يتقى به فى الحرب

مالك بن سِنان أبو أبي سعيد الخدرى الدَّمَ عن وَجْــه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازْدَرَدَهُ (١) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ مَسَّ دَمَهُ دَمِي لَمْ تُصِبْهُ النَّارُ »

قال ابن هشام : وذكر عبــد العزيز بن محمد الدراوردى ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ » طلحة بن عبيد الله

وذكر ـ يعني عبد العزيز الدراوردى ـ عن إسحق بن يحيى بن طلحة ، عن عيسى بن طلحة ، عن عائشة ، عن أبي بكر الصديق ، أن أبا عُبَيْدَةَ ابن الْجَرَّاح نزع إحدى الْحَلْقَتَيْن من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثَنِيَّتُهُ ، ثم نزع الأخرى فسقطت ثَنِيَّتُهُ الأخرى ، فكان (٢) ساقط الثنيتين أبو عبيدة ابن الجراح

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت لعتبة بن أبي وَقَّاص :

إِذَا اللهُ جَازَى مَعْشَرًا بِفِعَالِهِمْ
وَنَصْرِهِمُ الرَّحْمنَ رَبَّ الْمَشَارِقِ
فَأَخْزَاكَ رَبِّي يَا عُتَيْبَ بْنَ مَالِكٍ
وَلَقَّاكَ قَبْلَ الْمَوْتِ إِحْدَى الصَّوَاعِقِ
بَسَطْتَ يَمِينًا لِلنَّبِيِّ تَعَمُّدًا
فَأَدْمَيْتَ فَاهُ قُطِّعَتْ بِالْبَوَارِقِ (٣)

---

(١) ازدرده : ابتلعه

(٢) الضمير فى « كان » راجع إلى أبى عبيدة ، وذلك لأنه خلع الحلقتين بأسنانه فانكسرت ثنيتاه

(٣) البوارق : جمع بارق ، وهو السيف ، لأنه يبرق ويلمع

فَمَهْلاً ذَكَرْتَ اللهَ وَالْمَنْزِلَ الَّذِى
تَصِيرُ إِلَيْهِ عِنْدَ إِحْدَى الْبَوَائِقِ (١)

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين أقذع فيهما

قال ابن إسحق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين غشيه القوم — : «مَنْ رَجُلٌ يَشْرِى لَنَا نَفْسَهُ» كما حدثنى الْحُصَيْنُ بن عبد الرحمن ابن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن عمرو ، قال : فقام زِيادُ بن السَّكَن فى نفر خمسة من الأنصار ، وبعض الناس يقول : إنما هو عُمَارة بن يزيد بن السَّكَنِ ، فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رَجُلاً ثم رجلا يُقْتَلُونَ دونه ، حتى كان آخِرَهُمْ زِيادٌ أو عُمارةُ ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، ثم فاءت (٢) فئة من المسلمين ، فأجهضوهم (٣) عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أَدْنُوهُ مِنِّي» فأَدْنَوْهُ منه ، فوسَّده قدمه ؛ فمات وخدُّه على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم

قصة ام عمارة

قال ابن هشام : وقاتلت أمُّ عُمَارة نُسَيْبَةُ بنت كعب المازنية يوم أحد ، فذكر سعيد بن أبى زيد الأنصارى أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول : دخلتُ على أمِّ عُمارة ، فقلت لها : ياخالة ، أخْبِرِينى خبرك ، فقالت : خرجت أول النهار وأنا أنظر مايصنع الناس ، ومعى سِقَاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه ،

---

(١) البوائق : جمع بائقة ، وهى الداهية من دواهى الدهر ، لأنها توبق وتهلك من تنزل به

(٢) فاءت : رجعت

(٣) أجهضوهم : أزالوهم وغلبوهم

والدَّوْلَةُ (١) والرِّيحُ للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انْحَزْتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقمت أباشر القتال وأذُبُّ عنه بالسيف ، وأرْمِى عن القوس ، حتى خَلَصَت الجراحُ إلىَّ ؛ فرأيت على عاتقها جرحاً أجْوَفَ له غَوْر ، فقلتُ : مَنْ أصابك بهذا ؟ قالت : ابنُ قَمِئة أقمأه الله (٢) لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : دُلُّونى على محمد فلا نجوت إن نجا ، فاعْتَرَضْتُ له أنا ومُصْعَبُ بن عمير وأناس ممن ثَبَتَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضربنى هذه الضربة ، فلقد ضربته على ذلك ضرباتٍ ، ولكن عدو الله كانت عليه دِرْعَان

النفر الذين قاموا دون رسول الله

قال ابن إسحق : وَتَرَّسَ دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه يقع النَّبْلُ فى ظَهْرِه وهو مُنْحَنٍ عليه حتى كَثُرَ فيه النَّبْل ، ورمى سعدُ بن أبى وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال سعد: فقد رأيته يناولنى النَّبْلَ وهو يقول « ارْمِ فِدَاكَ أبِى وَأُمِّى » حتى إنه ليناولنى السَّهْمَ ماله نَصْل فيقول « ارْمِ بِهِ »

عن قتادة بن النعمان

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه حتى انْدَقَّتْ سِيَتُهَا (٣) فأخذها قَتَادة ابن النُّعمان فكانت عنده ، وأصيبت يومئذ عَيْنُ قَتَادة بن النعمان حتى وقعت على وَجْنَته

---

(١) الدولة : بفتح الدال المهملة أو ضمها ، ومن الناس من يفرق بينهما والمراد بها هنا الغلبة ، والريح : النصر

(٢) أقمأه الله : أذله وحقره

(٣) السية ـ بكسر السين وفتح الياء مخففة ـ طرف القوس ، ومن الناس من يقوله بالهمزة ، وكان العجاج يهمزها .

قال ابن إسحق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رَدَّها بيده فكانت أحسن عينيه وأحَدَّهما

شأن أنس بن النضر عم أنس بن مالك

قال ابن إسحق : وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عديّ بن النجار ، قال : انتهى أَنَسُ بن النَّضر عمُّ أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم فقال : مايُجلسُكم ؟ قالوا : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟ فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتِلَ ، وبه سمى أنس بن مالك

قال ابن إسحق : فحدثني حُمَيْدٌ الطويلُ ، عن أنس بن مالك ، قال . لقد وَجَدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربةً فما عرفه إلا أخته عَرَفَتهُ ببنانه .

شأن عبد الرحمن بن عوف

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم ، أن عبد الرحمن بن عوف أصيب فُوهُ يومئذ فهتم (١) وجُرح عشرين جراحةً أو أكثر ، أصابه بعضها في رجله فعَرِج

أول من عرف رسول الله كعب بن مالك

قال ابن إسحق : وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الناس قُتِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما ذَكَر ابنُ شهاب الزُّهرى — كعبُ بن مالك ، قال : عَرَفْتُ عينيه الشريفتين تَزْهَرَانِ (٢) من تحت المِغفَرِ ، فناديت بأعلى صوتى : يامعشر المسلمين ، أبْشِرُوا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار إلىَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « أنْ أنْصِتْ »

---

(١) هتم — بالبناء للمجهول — كسرت ثنيته ، فهو أهتم
(٢) تزهران : تضيئان

قال ابن إسحق : فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشِّعْب : معه أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلى بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، رضوان الله عليهم ، والحرث بن الصمة ، ورَهْطٌ من المسلمين

مقتل أبى بن خلف وشأنه مع رسول الله

فلما أَسْنَدَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الشِّعْب أدركه أُبَيُّ بن خَلَف وهو يقول : أين مُحَمَّد ؟ لا نَجَوْتُ إن نَجَوْتَ ، فقال القوم : يارسول الله ، أيَعْطِفُ عليه رجلٌ منا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دَعُوهُ » فلما دَنَا منه تناول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحَرْبَةَ من الحرث بن الصِّمَّة ، يقول بعض القوم — فيما ذكر لى — : فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انْتَفَضَ بها انْتِفَاضَةً تَطَايَرْنَا عنه تَطَايُرَ الشَّعْرَاء عن ظهر البعير إذا انتفض بها

قال ابن هشام : الشَّعْرَاء : ذباب (١) له لَدْغٌ

ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنةً تَدَأْدَأَ منها (٢) عن فرسه مرارا

قال ابن هشام : تدأدأ : يقول تَقَلَّبَ عن فرسه ، فجعل يترجرج

قال ابن إسحق : وكان أُبَيُّ بن خلف — كما حدثنى صالح بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف — يَلْقَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول : يامحمدُ ، إنَّ عندى العَوْذَ (٣) فَرَسًا أَعْلِفُهُ كلَّ يوم فَرَقًا (٤)

---

(١) قال أبوذر : « الشعراء : ذباب أزرق يقع على ظهر البعير ، وحكى الهروى أنه ذباب أحمر ، فاذا انتفض طار عنه » اه

(٢) تدأدأ : مال

(٣) فى نسخة « العود » بالدال المهملة

(٤) الفرق : مكيال يسع ستة عشر مدا ، وقال بعضهم : يسع اثنى عشر

من ذرة أقتلك عليه ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ الله » فلما رجع إلى قريش وقد خَدَشَهُ فى عنقه خَدْشًا غيرَ كبير ، فاحْتَقَنَ الدمُ ، قال : قتلنى والله محمد ، قالوا له : ذهب والله فؤادك ، والله إنْ بك (١) [من] بأس ، قال : إنه قد كان قال لى بمكة « أنا أقتلك » فوالله لو بَصَقَ علىَّ لقتلنى ، فمات عدو الله بِسَرِف وهم قافلون به إلى مكة

كلمة لحسان بن ثابت فى مقتل أبى ابن خلف

قال ابن إسحق : فقال حسان بن ثابت فى ذلك : —

لَقَدْ وَرِثَ الضَّلاَلَةَ عَنْ أَبِيهِ أُبَىٌّ يَوْمَ بَارَزَهُ الرَّسُولُ
أَتَيْتَ إِلَيْهِ تَحْمِلُ رِمَّ عَظْمٍ وتُوعِدُهُ وأَنْتَ بِهِ جَهُولُ (٢)
وَقَدْ قَتَلَتْ بَنُو النَّجَّارِ مِنْكُمْ
أُمَيَّةَ إِذْ يُغَوِّثُ يَاعَقِيلُ
وَتَبَّ ابْنَا رَبِيعَةَ إِذْ أَطَاعَا أَبَا جَهْلٍ ، لِأُمِّهِمَا الْهَبُولُ (٣)
وَأَفْلَتَ حَارِثٌ لَمَّا شُغِلْنَا بِأَسْرِ الْقَوْمِ أُسْرَتُهُ قَلِيلُ (٤)

رطلا ، قال أحمد بن يحيى ثعلب : هو مفتوح الراء ، وقال غيره : بسكون الراء أو فتحها

(١) أى : مابك من بأس ، فان : نافية ، ومن : حرف زائد ، وقد سقط من بعض النسخ .

(٢) الرم — بكسر الراء — مثل الرميم ، وهو العظم البالى ، وتوعده : تهدده ، وجهول : شديد الجهل

(٣) الهبول : الفقد ، يقال : هبلته أمه ، أى فقدته

(٤) أسرته : رهطه وعشيرته وقومه ، وقليل : يروى بالفاء ، ومعناه منهزمون ، ويروى بالقاف من القلة ، ومعناه أنهم ليس لهم عدد

قال ابن هشام : أسرته : قبيلته

كلمة أخرى لحسان ابن ثابت فى مقتل أبى بن خلف

وقال حسان بن ثابت أيضا فى ذلك : —

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى أُبَيًّا
فَقَدْ أُلْقِيتَ فِى سُحُقِ السَّعِيرِ (١)

تَمَنَّى بالضَّلاَلَةِ مِنْ بَعِيدٍ   وَتُقْسِمُ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى النُّذُورِ

تَمَنِّيكَ الْأَمَانِى مِنْ بَعِيدٍ
وَقَوْلُ الْكُفْرِ يَرْجِعُ فِى غُرُورِ

فَقَدْ لاَقَتْكَ طَعْنَةُ ذِى حِفَاظٍ
كَرِيمِ الْبَيْتِ لَيْسَ بِذِى فُجُورِ (٢)

لَهُ فَضْلٌ عَلَى الاحْيَاءِ طُرًّا   إِذَا نَابَتْ مُلِمَّاتُ الْأُمُورِ

انتهاء النبى الى الشعب

فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فم الشِّعب خرج على ابن أبى طالب حتى ملأ دَرَقَتَهُ ماء من المِهْرَاسِ (٣) فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ، فوجد له ريحا فعافه (٤) فلم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم ، وصَبَّ على رأسه وهو يقول : واشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ دَمَّى وَجْهَ نَبِيِّهِ »

---

(١) سحق : جمع سحيق : وهو البعيد

(٢) الحفاظ — بزنة كتاب — الغضب

(٣) قال أبو ذر : « قال أبو العباس : المهراس ماء بأحد ، وقال غيره : المهراس : حجر ينقر ويجعل إلى جانب البئر ويصب فيه الماء لينتفع به الناس .

(٤) عافه : كرهه ، تقول : عفت الطعام وغيره ، إذا كرهته

قال ابن إسحق : فحدثنى صالح بن كَيْسَان ، عمن حدثه ، عن سعد ابن أبى وَقَّاص ، أنه كان يقول : والله مَاحَرَصْتُ على قتل رجل قط كَحِرصى عَلَى قَتْل عُتْبَةَ بن أبى وَقَّاص ، وإن كان ماعلمتُ لَسَيِّءَ الْخُلُقِ مُبَغَّضًا فى قومه ، ولقد كفانى منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى من دَمَّى وَجْهَ رَسُولِهِ »

قال ابن إسحق : فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشِّعب معه أولئك النفر من أصحابه إذ عَلَت عاليةٌ من قريش الجبلَ

قال ابن هشام : كان على تلك الخيل خالد بن الوليد

قال ابن إسحق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ إنَّهُ لاَ يَنْبَغِى لَهُمْ أنْ يَعْلُونَا » فقاتل عُمرُ بن الخطاب ورهطٌ معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل

قال ابن اسحق : ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل لِيَعْلُوَهَا ، وقد كان بَدَّنَ [1] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وظاهر بين دِرْعَيْن ، فلما ذهب لِيَنْهَضَ صلى الله عليه وسلم لم يستطع فجلس تحته طلحةُ بن عبيد الله فَنَهَضَ به حتى استوى عليها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير — قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يقول : « أَوْجَبَ [2] طَلْحَةُ » حين صَنَعَ برسول الله صلى الله عليه وسلم ماصنع طلحة بن عبيد الله

(١) بدن : معناه أسن ، تقول : بدن الرجل ـ بالتضعيف ـ إذا أسن ، وتقول : بدن الرجل ـ من باب ظرف ـ إذا عظم بدنه من كثرة اللحم

(٢) أوجب طلحة : معناه وجبت له الجنة بما صنعه من عمل الخير

قال ابن هشام : وبلغنى عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الدرجة المبنية فى الشّعب

رسول الله يصلى قاعدا والمسلمون خلفه قعودا

قال ابن هشام : وذكر عمر مولى غُفْرة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلّى الظهر يوم أُحد قاعداً ، من الجراح التى أصابته ، وصلّى المسلمون خلفه قُعُودًا

قال ابن إسحق : وقد كان النـاس انهزموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى انتهى بعضهم إلى المُنَقَّى[1] دون الأعوص [إلى أُحد]

مقتل اليمان والد حذيفة وثابت بن وقش

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أُحد رُفِعَ حُسَيْل ابن جابر (وهو اليَمَانُ أبو حُذَيْفَةَ بن اليَمَان) وثابتُ بن وَقَش فى الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه وهما شَيْخَان كبيران : لا أبالك ، ما تنتظر ؟ فوالله إن بقى لِوَاحِدٍ منّا مِنْ عُمُره إلا ظِمْءُ حِمَارٍ[2] إنما نحن هَامَةُ اليوم[3] أو غد ، أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم لَعَلّ الله يرزقنا شهادةً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا فى الناس ، ولم يُعْلَم بهما

فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حُسَيْل بن جابر فاختلفت

---

(١) المنقى : هو جبل ، وقيل : موضع ، والأعوص : قرية دون المدينة ببريد

(٢) الظمء : مقدار مايكون بين الشربتين ، وأقصر الأظماء ظمء الحمار فضرباه مثلا لقرب الأجل

(٣) هامة اليوم أو غد يريدان أنهما يموتان اليوم أو غدا ، وذلك كناية عن شدة قربهما من الموت لطول أعمارهما وضعف أجسامهما ، ويروى باضافة هامة إلى الظرف ، وبتنوين هامة ونصب الظرف

عليه أسياف المسلمين ، فقتلوه ولا يعرفونه . فقال حذيفة : أبى والله ، فقالوا : والله إن عرفناه ، وصدقوا ، قال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَدِيَهُ ، فتصدق حُذَيْفَة بديته على المسلمين ، فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خَيْرًا

حاطب بن امية المنافق

قال ابن إسحق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رجلا (١) منهم كَانَ يدعى حاطب بن أمية بن رافع ، وكان له ابن يقال له : يزيد ابن حاطب ، أصابته جراحة يومَ أُحد ، فأُتِى به إلى دار قومه وهو بالموت ، فاجتمع إليه أهل الدار ، فجعل المسلمون يقولون [له] من الرجال والنساء : أبشر يا ابن حاطب بالجنة ، قال : وكان حاطب شيخا قد عَسَا (٢) فى الجاهلية ، فَنَجَمَ (٣) يومئذ نِفَاقُه ، فقال : بأى شىء تُبَشِّرُونه ؟ [أ] بِجَنَّةٍ من حرمل ؟ ! ! غَرَرْتُم والله هذا الغلام من نفسه

أَمْرُ قُزْمَان

قزمان المنافق حليف بنى ظفر

قال ابن إسحق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجل أَتِىٌّ (٤) لا يُدْرَى مِمَّن هو ، يقال له : قُزْمان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذُكِرَ له : « إنه لمن أهل النار » ، قال : فلما كان يوم أُحد قاتل قتالا شديداً فَقَتَلَ وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأَثْبَتَتْه الجراحة ، فاحتمل إلى دار بنى ظفر ، قال : فجعل رجالٌ

(١) انظر (ص ١٢٦ ج ٢) من هذا الكتاب

(٢) عسا : كبر واشتد

(٣) نجم : ظهر وبدا

(٤) أتى : غريب ، وأصل الأتى السيل يأتى من بلد إلى بلد

من المسلمين يقولون له : والله لقد أبْلَيْتَ اليوم ياقُزْمَانُ فأبشر ، قال : بماذا أُبشَّر ؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومى ، ولولا ذلك ماقاتلت ، قال : فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سَهْمًا من كنانته فَقَتَلَ به نفسه (١)

قتل مُخَيْرِيق

قال ابن إسحق : وكان ممن قتل يوم أُحد مُخَيْرِيق ، وكان أحَدَ بنى ثعلبة بن الفِطْيَوْن ، قال : لما كان يوم أُحد قال : يامَعْشَرَ يهود ، والله لقد علمتم إنَّ نَصْرَ محمد عليكم لَحَق ، قالوا : إنَّ اليوم يوم السبت ، قال : لاسَبْتَ لكم ، فأخذ سيفه وعُدَّته ، وقال : إن أُصِبْتُ فمالى لمحمد يصنع فيه ماشاء ، ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قُتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنا — : « مُخَيْرِيقُ خَيْرُ يَهُود » (٢)

أمر الحرث بن سُوَيْد بن صَامت

قال ابن إسحق : وكان الحرث بن سُوَيد بن صامت منافقا ، فخرج يوم أُحد مع المسلمين ، فلما التقى الناس عَدَا على المُجَذَّر بن ذياد البَلَوِىّ وقيس بن زيد أحد بنى ضُبَيْعة ، فقتلهما ، ثم لحق بمكة بقريش ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما يذكرون — قد أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ، ففاته ، فكان بمكة ، ثم بعث إلى أخيه الجُلاَس بن سُوَيْد يطلب التوبة ليرجع إلى قومه ؛ فأنزل الله تعالى فيه فيما

---

(١) انظر (ص ١٢٧ ج ٢ من هذا الكتاب)
(٢) انظر (ص ١٤٠ ج ٢ من هذا الكتاب)

بلغنى عن ابن عباس (٣ : ٨٦) : (كَيْفَ يَهْدِى اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) إلى آخر القصة

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به من أهل العلم ، أن الحرث بن سُوَيْد قتل الْمُجَذَّر بن ذياد ، ولم يقتل قَيْسَ بن زيد ، والدليل على ذلك أن ابن إسحق لم يذكره فى قتلى أحد ، وإنما قتل الْمُجَذَّر لأن الْمُجَذَّر بن ذياد كان قتل أباه سُوَيْدًا فى بعض الحروب التى كانت بين الأوس والخزرج ، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب (١)

فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه إذ خرج الحرث بن سُوَيْد من بعض حَوَائط المدينة وعليه ثوبان مُضَرَّجَان (٢) فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عُثْمَان بن عَفَّان فَضَرَبَ عُنُقَهُ ، ويقال : بعض الأنصار .

قال ابن إسحق (٣) : قتل سُوَيْد بن الصامت معاذَ بن عَفْرَاء غيلةً فى غير حَرْب ، رماه بسهم فقتله [قبل] يوم بُعَاث

شأن أصيرم أحد بنى عبد الأشهل

قال ابن إسحق : وحدثنى الْحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد ابن معاذ ، عن أبى سفيان مَوْلى ابن أبى أحمد ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : كان يقول : حَدِّثونى عن رجل دخل الجنة لم يُصَلِّ قطّ ، فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو ، فيقول : أُصَيْرِم [من بنى عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن وَقْش] ، قال الحصين : فقلت لمحمود بن أسد : كيف

---

(١) انظر (ص ١٤١ - ١٤٢ ج ٢ من هذا الكتاب)

(٢) الثوب المضرج : هو المشبع حمرة ، كأنه ضرج بالدم : أى لطخ به

(٣) هكذا فى عامة الأصول ، والذى يظهر لى أن هذه إحدى تعليقات ابن هشام

كان شأن الأُصَيْرِمِ ؟ قال : كان يأبى الاسلام على قومه ، فلما كان يَوْمُ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد بَدَا له فى الاسلام ، فأسلم ، ثم أخذ سيفه ؛ فعدا حتى دخل فى عُرْض الناس ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، قال : فبينا رجالٌ من بنى عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة إذاهم به ، فقالوا : والله إنَّ هذا لَلأُصَيْرِم ، ماجاء به ؟ لقد تركناه وإنه لَمُنْكِر لهذا الحديث ، فسألوه ماجاء به ، فقالوا : ماجاء بك ياعمرو ، أَحَدَبٌ (١) على قومك أم رغبة فى الاسلام ؟ قال : بل رغبة فى الاسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ، ثم أخذت سيفى فغدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قاتلت حتى أصابنى ماأصابنى ، ثم لم يلبث أن مات فى أيديهم ، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : « إنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ »

مقتل عمرو بن الجموح [وخروجه]

قال ابن إسحق : وحدثنى أبى إسحقُ بن يَسَار ، عن أشياخ من بنى سلمة ، أن عمرو بن الجموح كان رجلا أعْرَجَ شَدِيدَ الْعَرَج ، وكان له بَنُونَ أربعة مثل الأسْدِ يَشْهَدُونَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حَبْسَهُ ، وقالوا له : إن الله عز وجل قد عَذَرَكَ ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن بَنِيَّ يريدون أن يَحْبِسُونِى عن هذا الوجه والخروج معك فيه ، فوالله إنى لأَرْجُو أن أطأ بِعَرْجَتِى هذه فى الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمَّا أَنْتَ

(١) الحدب ـ بفتحتين ـ العطف والحنان ، يقال : حدب على فلان ، إذا عطف عليه

فَقَدْ عَذَرَكَ اللهُ فَلاَ جِهَادَ عَلَيْكَ » وقال لبنيه : « مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تَمْنَعُوهُ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ » فخرج معه ، فقتل يوم أحد

أمر هند ، وَالْمُثْلَةُ بحمزة رضى الله عنه

قال ابن إسحق : ووقعت هند بنت عُتْبَةَ — كما حدثنى صالح بن كَيْسَان — والنسوةُ اللاتى معها يُمَثِّلْنَ بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : يَجْدَعْنَ[1] الآذان والآنُفَ ، حتى اتخذت هندُ من آذان الرجال وآنفهم خَدَمًا[2] وقلائد ، وأعطت [هندُ] خَدَمَها وقلائدها وَقِرَطَتَهَا وَحْشِيًّا غلامَ جُبَيْرِ بن مُطْعِم ، وبَقَرَتْ[3] عن كَبِدِ حمزة فَلاَكَتْهَا[4] فلم تستطع أن تُسِيغها[5] ؟ فلفظتها[6] ، ثم عَلَتْ على صخرة مُشْرِفة فصرخت بأعلى صوتها ، فقالت : —

نَحْنُ جَزَيْنَاكُمْ بِيَوْمِ بَدْرِ
وَالْحَرْبُ بَعْدَ الْحَرْبِ ذَاتُ سُعْرِ[7]

كلمة لهند بنت عتبة تشفى فيها بالمسلمين

مَا كَانَ عَنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرِ وَلاَ أَخِي وَعَمِّهِ وَبِكْرِي[8]

---

(١) يجدعن : يقطعن ، وأكثر ما يقال فى قطع الأنف

(٢) الخدم : جمع خدمة ، وهى : الخلخال

(٣) بقرت : شقت ، يقال : بقر بطنه ، إذا شقه

(٤) لاكتها : مضغتها

(٥) تسيغها : تبلعها

(٦) لفظتها : طرحتها

(٧) سعر : جمع سعير ، وأصله بضمتين فسكنت وسطه تخفيفا والمعنى أنها ذات التهاب كالتهاب النيران

(٨) عتبة : هو أبوها عتبة بن ربيعة ، وقولها « أخى » هو أخوها الوليد

شَفَيْتُ نَفْسِي وَقَضَيْتُ نَذْرِي

شَفَيْتَ وحْشِيُّ غَلِيلَ صَدْرِي (١)

فَشُكْرُ وَحْشِيٍّ عَلَيَّ عُمْرِي ... حَتَّى تَرِمَّ أَعْظُمِي فِي قَبْرِي (٢)

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عبّاد بن المطلب ، فقالت : —

هند بنت أثاثة تجيب هند بنت عتبة

خَزِيتِ فِي بَدْرٍ وبَعْدَ بَدْرِ

يَابِنْتَ وَقَّاعٍ عَظِيمِ الْكُفْرِ (٣)

صَبَّحَكِ اللهُ غَدَاةَ الْفَجْرِ ... مِلْهَاشِمِيِّينَ الطِّوَالِ الزُّهْرِ (٤)

بِكُلِّ قَطَّاعٍ حُسَامٍ يَفْرِي ... حَمْزَةُ لَيْثِي وَعَلِيٌّ صَقْرِي (٥)

إِذْ رَامَ شَيْبُ وَأَبُوكِ غَدْرِي ... فَخَضَّبَا مِنْهُ ضَوَاحِي النَّحْرِ (٦)

ابن عتبة ، وقولها « وعمه » هو عمها شيبة بن ربيعة ، وقولها « وبكرى » هو ابنها حنظلة بن أبى سفيان ، وأربعتهم قتلوا يوم بدر (انظر ص ٢٦٥ ج ٢ من هذا الكتاب) و (انظر (٢٩٤ ج ٢ من هذا الكتاب) أيضا

(١) الغليل : العطش وحرارة الجوف ، وقولها « وحشى » هو منادى اعترضت به بين الفعل ومفعوله

(٢) ترم : تبلى وتتفتت

(٣) الوقاع : الكثير الوقوع فى الدنايا

(٤) الزهر : جمع أزهر : وهو الأبيض : وهم يصفون الرجل الكريم الخلق بأنه أبيض

(٥) الحسام : السيف القاطع ، ويفرى : يقطع

(٦) شيب : أرادت شيبة ، فرخمت فى غير نداء ، وضواحى النحر : ماظهر منه ، والنحر : الصدر

* وَنَذْرُكِ السُّوءِ فَشَرُّ نَذْرِ * (١)

قال ابن هشام : تركنا منها ثلاثة أبيات أقذعت فيها

قال ابن إسحق : وقالت هند بنت عُتْبَة أيضا : —

شَفَيْتُ مِنْ حَمْزَةَ نَفْسِي بِأُحُدْ حِينَ بَقَرْتُ بَطْنَهُ عَنِ الْكَبِدْ

كلمة اخرى لهند بنت عتبة

أَذْهَبَ عَنِّي ذَاكَ مَا كُنْتُ أَجِدْ

مِنْ لَذْعَةِ الْحُزْنِ الشَّدِيدِ الْمُعْتَمِدْ (٢)

وَالْحَرْبُ تَعْلُوكُمْ بِشُؤْبُوبٍ بَرِدْ

تُقْدِمُ إِقْدَامًا عَلَيْكُمْ كَالْأُسُدْ (٣)

قال ابن إسحق : فحدثني صالح بن كَيْسَان ، أنه حدث ، أن عمر بن الخطاب قال لحسان بن ثابت : يا ابن الْفُرَيْعَة (قال ابن هشام : الْفُرَيْعَة : بنت خالد بن خنيس بن حارثة بن لَوْذَان بن عَبْد وُدّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج) : لَوْ سَمِعْتَ ماتقول هند ورأيت أَشَرَها (٤) قائمة على صَخْرَة تَرْتَجِزُ بنا

---

(١) هذا شاهد لأبى الحسن على دخول الفاء فى خبر المبتدأ الذى ليس عاما

(٢) اللذعة : ألم النار أو ما يشبهها ، وهو بالذال المعجمة والعين المهملة فأما اللدغة بالدال المهملة و الغين المعجمة فهى عض ماله أسنان كالحية وشبهها والمعتمد : القاصد المؤلم ؛ ويروى المتقد

(٣) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، وبرد ـ بفتح فكسر ـ أى ذو برد ، شبهت الحرب بالدفعة العظيمة من المطر الذى يصحبه برد ؛ تريد أنها شديدة

(٤) أشرها : بطرها

وَتَذْكر ماصنعت بحمزة ، قال له حسـان : والله إنى لأنظر إلى الحربة تَهْوِى وأنا على رأسِ فارعٍ — يعنى أُطُمَه — فقلت : والله إن هذه لسلاح ماهى من سلاح العرب ، وكأنها إنما تَهْوِى إلى حمزة ولا أدرى ، ولكن أَسْمِعْنِى بعضَ قولها أَكفيكُمُوهَا ، قال : فأنشده عمر [بن الخطاب] بعض ماقالت ، فقال حسان بن ثابت : —

أَشِرَتْ لَكَاعِ وَكَانَ عَادَتَهَا
لُؤْماً إِذَا أَشِرَتْ مَعَ الْكُفْرِ (١)

قال ابن هشام : وهذا البيت فى أبيات له تركناها وأبياتاً أيضاً له على الدال وأبياتا أخر على الذال ؛ لأنه أقذع فيها

لَوْم الْحُلَيْس بن زَبَّان الكنانى أبا سفيان على الْمُثْلَة بحمزة رضى الله عنه

صنع أبى سفيان بحمزة بن عبد المطلب

قال ابن إسحق : وقد كان الْحُلَيْس بن زَبَّان أخو بنى الحرث بن عبد مَنَاة ، وهو يومئذ سيد الأحابيش ، [قد] مَرَّ بأبى سفيان وهو يَضرب فى شِدْق حَمْزَةَ بن عبد المطلب بزُجّ الرُّمح ، ويقول : ذُقْ عُقَقُ (٢) ، فقال الحليس : يابنى كنانة ، هذا سيدُ قُرَيْش يصنع بابن عَمّه ماتَرَوْن لَحماً (٣) فقال : ويحَكَ ! اكْتُمْهَا عنى فانها كانت زَلّة

(١) لكاع : هى اللئيمة ، ويقال للذكر لكع ـ بضم اللام وفتح الكاف ـ وهذه الصيغة لايستعملها العرب فى غير النداء. واستعمالها هنا فاعلا من الشذوذ بمكان

(٢) عقق : أى ياعقق ، يريد ياعاق ، وعقق بضم ففتح

(٣) لحما : حال من ابن عمه ، أى : يصنع به ذلك حال كونه لحما لاروح فيـــه

صنيع أبي سفيان وصياحه بالشماتة

ثم إن أباسفيان [بن حرب] — حين أراد الانصراف — أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته ، فقال : أَنْعَمْتَ فَعَالِ (١) إن الحرب سِجَال (٢) ، يومٌ بيوم بدرٍ ، أُعْلِ هُبَلُ (٣) ؛ أي : أظهر دينك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قُمْ يَا عُمَرُ فَأَجِبْهُ فَقُلْ اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ ، لاَسَوَاء قَتْلاَنَا فِي الْجَنَّةِ وقتلاكم في النار » ، فلما أجاب عمر أبا سفيان قال له أبو سفيان : هَلُمَّ إليّ ياعمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : « ائْتِهِ فانْظُرْ مَاشَأْنُهُ » فجاءه ، فقال له أبو سفيان : أَنْشُدُكَ الله ياعمر ، أقتلنا محمداً ؟ قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ، قال : أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر ، لقول ابن قمئة لهم : إني قد قتلت محمداً

قال ابن هشام : واسم ابن قمئة عبد الله

قال ابن إسحق : ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان في قتلاكم مثلٌ ، والله مارَضِيتُ وما سَخِطْتُ وما نَهَيْتُ وما أَمَرْتُ

ولما انصرف أبوسفيان ومن معه نادى : إن موعدكم بدرٌ للعام القابل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : « قُلْ نَعَمْ هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ موعد »

علي بن أبي طالب يسير في أثر قريش

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ، فقال : « اخْرُجْ فِي آثَارِ الْقَوْمِ فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ وَمَاذَا يُرِيدُونَ ؛ فَإِنْ كَانُوا

(١) فعال : أي ارتفع ، فعل أمر من عالي ، مثل سامي ؛

(٢) الحرب سجال : مكافأة ، يوم لنا ، ويوم علينا

(٣) هبل : اسم صنم من أصنامهم

قَدْ جَنبُوا الْخَيْلَ وَامْتَطَوُا الْإِبِلَ فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ مَكَّةَ ، وَإِنْ ركبوا الْخَيْلَ وَسَاقُوا الْإِبِلَ فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ المدينةَ ، والذى نَفْسِى بيَدِهِ لَئِنْ أَرَادُوهَا لَأَسِيرَنَّ إِلَيْهِمْ فِيهَا ثم لَأُنَاجِزَنَّهُمْ » قال على : فخرجت فى آثارهم أنظر ماذا يصنعون ، فَجَنَبُوا الخيل ، وَامْتَطَوُا الإبل ، ووَجَّهُوا إلى مكة

سعد بن الربيع وسؤال النبي عنه

وفرغ الناس لقتلاهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة المازنى أخو بنى النَّجَّار — : « مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِى مَافَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ أَفِى الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِى الْأَمْوَاتِ » فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يارسول الله مافعل سعد . فنظر فوجده جريحا فى القتلى و به رمق ، قال : فقلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم [قد] أمرنى أن أنظر أفى الأحياء أنت أم فى الأموات ، قال : أنا فى الأموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السَّلَام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جَزَاكَ الله عنَّا خير مَا جَزَى نبيًّا عن أمته ، فأبلغ قومك عنى السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : [إنه] لاعُذْرَ لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم ومنكم عَيْنٌ تَطْرِفُ ، قال : ثم لم أبرح حتى مات ، قال : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره

قال ابن هشام : وحدثنى أبو بكر الزُّبَيْرِىُّ أن رجلا دخل على أبى بكر الصديق و بنت لسَعْد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يَرْشُفُها ويُقَبِّلها ، فقال له الرجل : من هذه ؟ قال : هذه بنتُ رجلٍ خيرٍ منى سعد ابن الربيع ، كان من النُّقَبَاء يوم العقبة ، وشهد بدراً ، واستشهد يوم أحد

عثور رسول الله على جثة حمزة وحزنه عليه

قال ابن إسحق : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — يلتمس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده ببطن الوادى قد بُقِرَ بطنه عن كبده ، ومُثّل به فجُدِع أنفُهُ وأُذُنَاهُ ؛ فحدثنى محمد بن جعفر ابن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال — حين رأى ما رأى — : « لَوْلاَ أَنْ تَحْزَنَ صَفِيَّةُ وَتَكُونَ سُنَّةً مِنْ بَعْدِى لَتَرَكْتُهُ حَتَّى يَكُونَ فى بُطُونِ السِّبَاعِ وَحَوَاصِلِ الطَّيْرِ وَلَئِنْ أَظْهَرَنِى اللهُ عَلَى قُرَيْشٍ فِى مَوْطِنٍ مِنَ الْمَوَاطِنِ لَأُمَثِّلَنَّ بِثَلاَثِينَ رَجُلاً مِنْهُمْ »

فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على من فعل بعمه ما فعل قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لَنُمَثِّلَنَّ بهم مُثْلَةً لم يُمَثِّلْها أحدٌ من العرب

قال ابن هشام : ولما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة قال : « لَنْ أُصَابَ بِمِثْلِكَ أَبَدًا ، مَاوَقَفْتُ مَوْقِفاً قَطُّ أَغْيَظَ إِلَيَّ مِنْ هٰذَا » ثم قال : « جَاءَنِى جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِى أَنَّ حَمْزَةَ [بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ] مَكْتُوبٌ فى أَهْلِ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسَدُ اللهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد إخوة من الرضاعة ، أرضعتهم مولاة لأبى لهب (١)

قال ابن إسحق : وحدثنى بُرَيْدَةُ بن سفيان بن فَرْوَةَ الأسلمى ، عن محمد بن كعب القُرَظى ، وحدثنى من لا أتهم عن ابن عباس ، أن الله عز وجل أنزل فى ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول أصحابه (١٦ : ١٢٦) : (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَاعُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ

---

(١) هذه المولاة اسمها ثوبية

صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إلاَّ بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصبر ، ونهى عن المثلة

قال ابن إسحق : وحدثنى حُمَيْدٌ الطويلُ ، عن الحسن ، عن سَمُرَةَ ابن جُنْدب ، قال : ماقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مَقَامٍ قَطُّ ففارقته حتى يأمرنا بالصدقة وينهانا عن المثلة

صلاة رسول الله على حمزة وعلى شهداء احد

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم ، عن مِقْسَمٍ مولى عبد الله ابن الحرث ، عن ابن عباس ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فَسُجِّىَ بِبُرْدَةٍ ثم صُلِّىَ عليه فكبر سبع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى يُوضَعُونَ إلى حمزة ، فصلى عليهم وعليه معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة

صبر صفية بنت عبد المطلب على أخيها حمزة

قال ابن إسحق : وقد أقبلت — فيما بلغنى — صفيةُ بنت عبد المطلب لتنظر إليه ، وكان أخاها لأبيها وأمها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام : « الْقَهَا فَارْجِعْهَا لاَ تَرَى مَا بِأَخِيهَا » فقال لها : يا أُمَّتِ ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعى ، قالت : ولم وقد بلغنى أنْ قد مُثِّل بأخى وذلك فى الله ؟ فما أرضانا بما كان من ذلك ، لَأَحْتَسِبَنَّ وَلَأَصْبِرَنَّ إن شاء الله ، فلما جاء الزبير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك قال : « خَلِّ سَبِيلَهَا » فأتته فنظرت إليه ، فصلَّتْ عليه ، واسترجعت ، واستغفرت له ، ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدُفن ؛ فزعم لى

---

(١) سجى : غطى ، والبردة : كساء يلتف به

آل عبدالله بن جَحْش — وكان لِأُمَيْمَةَ بنت عبدالمطلب ، حَمْزَة خالُه ، وقد [كان] مُثِّلَ به كما مُثِّلَ بحمزة ، إلا أنه لم يُبْقَرْ عن كبده — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفنه مع حمزة فى قبره ، ولم أسمع ذلك إلا عن أهله

أمر النبي بان يدفن الشهداء حيث صرعوا

قال ابن إسحق : و [كان] قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة ، فدفنوهم بها ، ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال : « ادْفِنُوهُمْ حَيْثُ صُرِعُوا »

منزلة الشهداء

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن مُسْلِم الزُّهْرى ، عن عبد الله ابن ثعلبة بن صُعَيْر العُذْرى حليف بنى زهرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لَمَّا أشْرَفَ على القتلى يوم أُحد قال : « أَنا شَهِيدٌ عَلَى هٰؤُلَاءِ أَنَّهُ مَامِنْ جَرِيحٍ يُجْرَحُ فِى [سبيل] اللهِ إلاَّ وَاللهُ يَبْعَثُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ يَدْمَى جُرْحُهُ : اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ ، والرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ ؛ انْظُرُوا أَكْثَرَ هٰؤُلاَءِ جَمْعًا لِلقُرْآنِ فاجْعَلُوهُ أَمَامَ أَصْحَابِهِ فى القَبْرِ » وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة فى القبر [الواحد]

وحدثنى عَمِّى موسى بنُ يسار ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « مَامِنْ جَرِيحٍ يُجْرَحُ فِى اللهِ إلاَّ وَاللهُ يَبْعَثُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَدْمَى : اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ » .

قال ابن إسحق : وحدثنى أبى إسحقُ بن يسار ، عن أشياخ من بنى سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ — حين أمَرَ بدفن القتلى — : « انظُرُوا إلَى عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ حَرَامٍ فَإِنَّهُمَا كَانَا مُتَصَافِيَيْنِ فِى الدُّنْيَا فَاجْعَلُوهُمَا فِى قَبْرٍ وَاحِدٍ »

رجوع رسول الله الى المدينة

قال ابن إسحق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة ، فلقيته حَمْنَةُ بنت جحش كما ذكر لى ، فلما لقيت الناس نُعِيَ لها أخوها عبد الله بن جَحْشٍ ، فَاسْتَرْجَعَتْ [1] واستغفرت له ، ثم نُعِيَ لها خَالُهَا حمزةُ بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نُعِيَ لها زَوْجُها مُصْعَبُ بن عُمَيْر فصاحت وَوَلْوَلَتْ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ زَوْجَ الْمَرْأَةِ مِنْهَا لَبِمَكَانٍ » لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها

صنيع حمنة بنت جحش

بكاء نساء الانصار على حمزة

قال ابن إسحق : ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بنى عبد الأشهل وظَفَرٍ ، فسمع البكاء والنوائح على قَتْلَاهم ، فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ، ثم قال : « لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِيَ لَهُ » فلما رجع سعد بن معاذ وأُسَيْدُ بن حضير إلى دار بنى عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يَتَحَزَّمْنَ ثم يَذْهَبْنَ فيبكين على عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : حدثنى حكيم بن حكيم بن عَبَّاد بن حُنَيْف ، عن بعض رجال بنى عبد الأشهل ، قال : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بُكَاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين عليه ، فقال : « ارْجِعْنَ يَرْحَمُكُنَّ اللهُ فَقَدْ آسَيْتُنَّ [2] بِأَنْفُسِكُنَّ »

قال ابن هشام : ونهى يومئذ عن النَّوْح

---

(١) استرجعت : قالت « إنا لله وإنا إليه راجعون » فهذه الصيغة دالة ههنا على اختصار حكاية المركب ؛ وهذا المركب هو من قوله تعالى : (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون)

(٢) آسيتن : عزيتن وعاونتن ، وأكثر ما يقال « واسيتن » بالواو

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بكاءهن قال : « رَحِمَ اللهُ الأنْصَارَ فإِنَّ الْمُوَاسَاةَ مِنْهُمْ مَاعَلِمْتُ لَقَدِيمَةٌ ؛ مُرُوهُنَّ فَلْيَنْصَرِفْنَ »

المرأة الدينارية وصبرها

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الواحد بن أبى عون ، عن إسماعيل ابن محمد بن [سعد بن] أبى وَقّاص ، قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نُعُوا لها قالت : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً ياأمّ فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أَرُونِيهِ حتى أنظر إليه ، قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بَعْدَكَ جَلَلٌ ، تريد صغيرة

قال ابن هشام : الجلل : [يكون] من القليل ، ومن الكثير ، وهو ههنا من القليل ، قال امرؤ القيس فى الجلل القليل : —

لِقَتْلِ بَنِي أَسَـدٍ رَبَّهُمْ أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلْ

[أى : صغير وقليل]

قال ابن هشام : والجلل أيضا : العظيم ، قال الشاعر وهو الحرث ابن وَعلة الجَرْمى : —

وَلَئِنْ عَفَوْتُ لَأَعْفُوَنْ جَلَلاً وَلَئِنْ سَطَوْتُ لَأُوهِنَنْ عَظْمِي

رسول الله يأمر بغسل سيفه وعلى ابن أبى طالب

قال ابن إسحق : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة ، فقال : « اغْسِلِي عَنْ هٰذَا دَمَهُ يَابُنَيَّةُ فَوَاللهِ لَقَدْ صَدَقَنِي الْيَوْمَ » وناولها على بن أبى طالب سيفه ، فقال : « وَهٰذَا [أَيْضًا] فَاغْسِلِي عَنْهُ دَمَهُ فَوَاللهِ لَقَدْ صَدَقَنِي الْيَوْمَ » فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : « لَئِنْ كُنْتَ صَدَقْتَ الْقِتَالَ لَقَدْ صَدَقَ مَعَكَ سَهْلُ ابْنُ حُنَيْفٍ وَأَبُو دُجَانَةَ »

قال ابن هشام : وكان يقال لسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو الفقار

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن ابن أبى نجيح قال : نادى منادٍ يوم أحد : لاَسَيْفَ إِلاَّ ذُوالْفَقَارِ وَلاَ فَتَى إِلاَّ عَلِي

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبى طالب : « لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا »

خروج رسول الله ثانى يوم أحد

قال ابن إسحق : وكان يوم أُحد يوم السبت للنصف من شوّال ؛ فلما كان الغد [من] يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوّال أذَّنَ مُؤَذِّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس بطلب العدوّ ، وأذَّن مؤذنه أن لا يخرجَنَّ معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس ، فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال : يا رسول الله ، إن أبى كان خَلَّفنى على أخوات لى سبع ، وقال : يابنىّ ، إنه لاينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لارَجُلَ فيهن ، ولست بالذى أُوثِرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى ، فَتَخَلَّفْ على أخواتك ، فَتَخَلَّفْتُ عليهن ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج معه ، وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مُرْهِبًا للعدوّ ، وليبلغهم أنه خرج فى طلبهم ليظنوا به قوة ، وأن الذى أصابهم لم يُوهِنْهُمْ عن عدوّهم

قال ابن إسحق : فحدثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ،

عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان ، أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عبد الأشهل كان شهد أُحدًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : شهدت أُحُدًا مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم أنا وأخٌ لي ، فرجعنا جريحين ، فلما أذَّن مؤذِّن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدوّ قلت لأخي أو قال لي : أَتَفُوتُنَا غَزْوَةٌ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله مالنا من دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنتُ أَيْسَرَ جرحا منه ، فكان إذا غُلِبَ حملته عُقْبَةً[1] ومشى عُقْبَةً ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

قال ابن إسحق : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حَمْرَاء الأَسَد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحق : فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

صنيع معبد الخزاعي وتخويفه المشركين

وقد مَرَّ به — كما حدثني عبد الله بن أبي بكر — مَعْبَدُ بن أبي معبد الْخُزَاعِيُّ ، وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عَيْبَةَ[2] نصحِ رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة ، صَفَقَهُمْ معه ، لا يُخْفُونَ عنه شيئا كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عَزَّ علينا ما أصابك في

(١) يريد تتعاقب ركوبة ، كل واحد منا يركبها برهة والآخر يمشي

(٢) عيبة نصح رسول الله : أي موضع سره

(٣) صفقهم معه : يريد اتفاقهم وهواهم له واجتماعهم عليه ، تقول : أصفقت مع فلان على الأمر ؛ إذا أجمعت معه عليه ، وفي نسخة «صفقتهم»

أصحابك ، ولَوَدِدْنَا أن الله عافاك فيهم ، ثم خرج ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحَمْرَاء الأَسد حتى لقى أبا سُفْيَان بن حرب ومن معه بالرَّوْحاء وقد أجمعوا الرَّجْعَةَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حَدَّ أصحابه وأشرافهم وقادتهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؛ لَنَكُرَّنَّ على بقيتهم فَلَنَفْرُغَنَّ منهم ، فلما رأى أبو سفيان مَعْبَداً قال : ماوراءك يامعبد ؟ قال : محمدٌ قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جَمْعٍ لم أر مثله قَطُّ يَتَحَرَّقُونَ عليكم (١) تَحَرُّقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم ، وندموا على ما ضَيَّعُوا ، فيهم من الحَنَق (٢) عليكم شئٌ لم أرَ مثله قط ؛ قال : ويحك ما تقول ! ؛ قال : والله ما أُرَى أن ترتحل حتى ترى نواصِىَ الخيل ، قال : فوالله لقد أَجْمَعْنَا الكَرَّةَ عليهم لِنَسْتَأْصِلَ بقيتهم ، قال : فانى أنهاك عن ذلك ، ووالله لقد حملنى ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتاً من شعر ، قال : وما قلت ؟ قال : قلت : —

كَادت تُهَدُّ مِنَ الأَصْوَاتِ رَاحِلَتِى
إذ سَالَتِ الأَرْضُ بِالجُرْدِ الأبَابِيل (٣)
تَرْدِى بِأُسْدٍ كِرَامٍ لاتَنَابِلَةٍ عِنْدَ اللِّقَاء وَلاَ مِيلٍ مَعَازِيل (٤)

---

(١) يتحرقون عليكم : يلتهبون من الغيظ

(٢) الحنق : شدة الغيظ ، يقال : حنق عليه يحنق حنقا ، مثل فرح يفرح فرحا ، إذا اشتد غيظه عليه

(٣) تهد ـ بالبناء للمجهول ـ معناه تسقط من الاعياء لهول ما رأت من أصوات الجيش وكثرته . والجرد : الخيل العتاق ، الواحد أجرد . والأبابيل : الجماعات ، يقال : واحدهم إبول مثل عجول ، ويقال : لاواحد له

(٤) تردى : تسرع . والتنابلة : القصار . والميل : جمع أميل ، وهو

فَظَلْتُ عَدْوًا أَظُنُّ الْأَرْضَ مَائِلَةً لَمَّا سَمَوْا بِرَئِيسٍ غَيْرِ مَخْذُولِ (١)

فَقُلْتُ : وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمُ
إِذَا تَغَطْمَطَتِ الْبَطْحَاءُ بِالْجِيلِ (٢)
إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبَسْلِ ضَاحِيَةً
لِكُلِّ ذِي إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولِ (٣)
مِنْ جَيْشِ أَحْمَدَ لَاوَخْشٍ قَنَابِلُهُ
وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أَنْذَرْتُ بِالْقِيلِ (٤)

فثنى (٥) ذلك أبا سفيان ومن معه ، وَمَرَّ به رَكْبٌ من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا : نريد المِيرَةَ قال : فهل أنتم مُبَلِّغُونَ عنى محمدا رسالة أرسلكم بها إليه وأُحَمِّلُ لكم هذه غدا زبيبا بعكاظ (٦) إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم ، قال : فاذا وافيتموه

الذى لارمح له ، وقيل : هو الذى لا ترس معه ، وقيل : هو الذى لايثبت على السرج ، والمعازيل : الذين لا سلاح معهم

(١) العدو : المشى السريع ، وسموا : علوا وارتفعوا

(٢) ابن حرب : هو أبو سفيان ، وتغطمطت : معناه اهتزت وارتجت ، ومنه قولهم : بحر غطامط ، إذا تعالت أمواجه واضطربت ، والبطحاء : السهل من الأرض ، والجيل : الصنف من الناس

(٣) البسل : الحرام ، وأراد بأهل البسل قريشا لأنهم أهل مكة ، ومكة حرام ، والضاحية : البارزة للشمس ، والاربة : العقل

(٤) الوخش : رذال الناس وأخساؤهم ، وقنابله : جمع قنبلة ، وهى القطعة من الخيل ، ويروى تنابلة ، وقد تقدم . والقيل : القول

(٥) ثناه : صرفه ورده

(٦) عكاظ : سوق كانت العرب تجتمع فيها

فأخبروه أنَّا قد أجْمَعْنَا السير إليه و إلى أصحابه لنستأصل بقيتهم ، فمر الرَّكْبُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحَمْرَاءِ الأسد ، فأخبروه بالذى قال أبو سفيان [وأصحابه] ، فقال : « حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ »

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة ، أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد أراد الرجوع إلى المدينة ليستأصلوا [— فيما زعموا —] بقية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم صفوان بن أمية بن خلف : لاَ تَفْعَلُوا فانَّ القوم قد حَرِبوا [(١)] ، وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذى كان ، فارجعوا ، فرجعوا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم هموا بالرجعة : « والَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَقَدْ سُوِّمَتْ لَهُمْ حِجَارَةٌ لَوْ صُبِّحُوا بِهَا لَكَانُوا كَأَمْسِ الذَّاهِبِ »

مقتل ابى عزة الجمحى

قال أبو عبيدة : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه ذلك قبل رجوعه إلى المدينة معاويةَ بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، وهو جد عبد الملك بن مروان أبو أمه عائشة بنت معاوية ، وأبا عَزَّةَ الْجُمَحِيَّ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم [قد] أسَرَهُ ببدر ثم مَنَّ عليه ، فقال : يارسول الله أَقِلْنِي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا وَاللهِ لاَ تَمْسَحُ عَارِضَيْكَ بِمَكَّةَ [بَعْدَهَا وَ] تَقُولُ خَدَعْتُ مُحَمَّداً مَرَّتَيْنِ ، اضْرِبْ عُنُقَهُ يَازُبَيْرُ » فضرب عنقه

قال ابن هشام : وبلغنى عن سعيد بن المسيب أنه قال : قال له رسول صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لاَ يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ اضْرِبْ عُنُقَهُ يَاعَاصِمُ بْنَ ثابت » فضرب عنقه

---

(١) حربوا : غضبوا وتغيظوا

مقتل معاوية بن المغيرة بن أبي العاص

قال ابن هشام : ويقال : إن زيد بن حارثة وعمار بن ياسر قتلا معاوية ابن المغيرة بعد حَمْرَاء الأسد ، كان لجأ إلى عثمان بن عفان ، فاستأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمَّنَهُ على أنه إن وُجِدَ بعد ثلاث قُتل ، فأقام بعد ثلاث وَتَوَارى ، فبعثهما النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « إنَّكُمَا سَتَجِدَانه بموضع كذا وكذا » فوجداه فقتلاه

شأن عبد الله بن أبي ابن سلول

قال ابن إسحق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان عبد الله بن أبي ابن سلول — كما حدثني ابن شهاب الزهري — له مقَامٌ يقومه كل جمعة لا يُنْكَرُ شرفا له في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفا ، إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال : أيها الناس ، هٰذَا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم أكْرَمَكُمُ الله به وأعزكم به ، فانصروه وعزِّروه واسمعوا له وأطيعوا ، ثم يجلس ، حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع بالناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا : اجلس أيْ عَدوَّ الله لست لذلك بأهل ، وقد صَنَعْتَ ما صنعت ، فخرج يتخطَّى رقابَ الناس وهو يقول : والله لَكَأنَّمَا قُلْتُ بُجْراً (١) أنْ قُمْتُ أُشَدِّد أمره ، فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد فقال : مالكَ وَيْلَكَ ؟ !! قال : قمتُ أُشَدِّدُ أمره ، فوثب عليَّ رجالٌ من أصحابه يَجْبِذُونَنِي ويُعَنِّفُونني لكأنما قلت بُجْراً (١) أنْ قُمْتُ أُشدِّد أمره ، قال : ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم !! قال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي

قال ابن إسحق : وكان يومُ أحدٍ يومَ بلاء ومُصيبة وتَمْحِيص ،

---

(١) في القاموس : « والبُجر — بالضم — الشر ، والأمر العظيم والعجب » اهـ

اخْتَبَرَ الله به المؤمنين ، ومَحَق [1] به المنافقين ممن كان يظهر الايمان بلسانه وهو مُستَخْفٍ بالكفر فى قلبه ، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته ، [والحمد لله كثيرا لا شريك له].

ذكر ما أنزل الله عز وجل فى أُحُدٍ من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زِيَادُ بن عبد الله الْبَكَّائِيُّ ، عن محمد بن إسحق المُطَّلِبِيُّ ، قال :

نزول ستين آية من آل عمران وتفسير غريبها

فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى فى يوم أحد من القرآن ستون آية من آل عمران : فيها صِفَةُ ما كان فى يومهم ذلك ، ومعاتبةُ من عاتب منهم يقول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (٣ : ١٢١ ـ ٠٠٠) : (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

قال ابن هشام : تُبَوِّىءُ المؤمنين : تَتَّخِذُ لهم مقاعد ومنازل ، قال الكُمَيْتُ بن زيد : —

لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَهُ قَدْ تَبَوَّأْتُ مَضْجِعَا

وهذا البيت فى أبيات له

أى : سميع بما تقولون ، عليم بما تخفون (إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا) أى : تتخاذلا ، والطائفتان بنو سلمة بن جشم بن الخزرج و بنو حارثة بن النَّبيت من الأوس ، وهما الجناحان ، يقول الله تعالى : (وَاللهُ وَلِيُّهُمَا) أى : المدافع عنهما ما هَمَّتَا به من فشلهما ، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضَعْفٍ ووَهَنٍ أصابهما ، عن غير شك فى دينهما ، فتولى دفع

(١) فى نسخة « ومحن » بالنون

ذلك عنهما برحمته وعائدته حتى سلمتا من وهونهما وضعفهما ولحقتا بنبيهما صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : حدثنى رجل من الأسد من أهل العلم ، قال : قالت الطائفتان : ماتُحِبُّ أنّا لم نَهُمّ بما هممنا به لِتَوَلّى الله إيانا فى ذلك

قال ابن إسحق : يقول الله تعالى : (وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) أى : من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكل على وليستعن بى أُعِنْهُ على أمره وأدافع عنه حتى أبلغ به وأدفع عنه وأقويه على نيته (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) أى : فاتقونى فانه شكر نعمتى ، ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أقل عددا وأضعف قوة (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) أى : إن تصبروا لعدوى وتطيعوا أمرى ويأتوكم من وجههم هذا أمددكم بخمسة آلاف من الملائكة مُسومين

قال ابن هشام : مُسَوِّمين : مُعَلِّمين ، بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن [البصرى] أنه قال : أعلموا على أذناب خيلهم ونواصيها بصُوفٍ أبيض ، فأما ابن إسحق فقال : كانت سيما يوم بدر عمائم بيضا ، وقد ذكرت ذلك فى حديث[1] بدر ، والسيما : العلامة ، وفى كتاب الله عز وجل : (٤٨: ٢٩:) : (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) أى : علامتهم ، و (١١ : ٨٢-٨٣): (حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً) يقول : معلمة ، بلغنا عن

(١) انظر (ج ٢ ص ٢٧٤) من هذا الكتاب

الحسن بن أبي الحسن [البصري] ، أنه قال : عليها علامة أنها ليست من حجارة الدنيا ، وأنها من حجارة العذاب ، قال رؤبة بن العجاج : —

فَالْآنَ تُبْلَى بِي الْجِيَادُ السُّهَّمُ ... وَلَا تُجَارِينِي إِذَا مَا سَوَّمُوا (١)

وَشَخَصَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَجْذَمُوا (٢)

[أجذموا — بالذال معجمة — أي أسرعوا ، وأجدموا — بالدال مهملة — أقطعوا]

وهذه الأبيات في أرجوزة له

والمسومة أيضا : المَرْعِيَّةُ ، وفي كتاب الله تعالى : (٣ : ١٤) : (وَالْخَيْلُ الْمُسَوَّمَةِ) ومنه (١٦ : ١٠) : (شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) تقول العرب : سَوَّمَ خَيْلَهُ وإبله ، وأسامها ، إذا رعاها ، قال الكميت بن زيد : —

رَاعِيًا كَانَ مُسْجِحًا فَفَقَدْنَا ... هُ وَفَقْدُ الْمُسِيمِ هُلْكُ السَّوَامِ (٣)

[قال ابن هشام : مسجحا : سلس السياسة محسنا إلى الغنم]

وهذا البيت في قصيدة له

(وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) أي : ماسميت لكم من سميت من جنود ملائكتي إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به ؛ لما أعرف من ضعفكم ، ومالنصر إلا من عندي لسلطاني وقدرتي ، وذلك أن العز والحكم إليّ لا إلى أحد من خلقي ، ثم قال : (لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ) أي : ليقطع طرفا من المشركين بقتل

---

(١) الجياد : الخيل العتاق ، والسهم : العابسة المتغيرة ، يعني في الحرب

(٢) أجذموا : أسرعوا

(٣) مسجحا : سلس القياد رفيقا بالنعم محسنا إليها ، ومنه قولهم : ملكت فأسجح ، وقد وقع تفسيره كذلك عن ابن هشام في بعض أصول الكتاب

ينتقم به منهم أو يردهم خائبين ، أى : ويرجع من بقى منهم فَلاًّ[١] خائبين لم ينالوا شيئا مما كانوا يأملون

قال ابن هشام : يكبتهم : يغمهم أشد الغم ويمنعهم ما أرادوا ، قال ذو الرمة : —

مَا أُنْسَ مِنْ شَجَنٍ لاَ أَنْسَ مَوْقِفَنَا
فِى حَيْرَةٍ بَيْنَ مَسْرُورٍ وَمَكْبُوتِ[٢]

ويكبتهم أيضا : يصرعهم لوجوههم

قال ابن إسحق : ثم قال لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ) أى : ليس لك من الحكم شىء فى عبادى إلا ما أمرتك به فيهم ، أو أتوب عليهم برحمتى ؛ فان شئت فعلت ، أو أعذبهم بذنوبهم فبحقى فانهم ظالمون ، أى : قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إياى (وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) أى : يغفر الذنب ويرحم العباد على ما فيهم ، ثم قال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً) أى : لا تأكلوا فى الاسلام إذ هداكم الله به ما كنتم تأكلون إذ أنتم على غيره مما لا يحل لكم فى دينكم (وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) أي : وأطيعوا الله لعلكم تنجون مما حذركم الله من عذابه وتدركون ما رغبكم الله فيه من ثوابه (وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) أى : التى جعلت داراً لمن كفر بى ، ثم قال : (وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) معاتبة للذين عصوا

---

(١) فلا — بفتح الفاء وتشديد اللام — أى : منهزمين
(٢) الشجن — بفتح الشين والجيم جميعا — الحزن

رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — حين أمرهم بما أمرهم به فى ذلك اليوم وفى غيره — ثم قال : (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) أى : داراً لمن أطاعنى وأطاع رسولى (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) أى : وذلك هو الاحسان ، وأنا أحب من عمل به (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أى: إن أتوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم بمعصية الله ذكروا نهى الله عنها وما حرم الله عليهم فاستغفروه لها وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلا هو ، ولم يصروا على ما فعلوه وهم يعلمون ، أى : لم يقيموا على معصيتى كفعل من أشرك بى فيما غلَوْا به فى كفرهم وهم يعلمون ما حرمت عليهم من عبادة غيرى (أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) أى : ثواب المطيعين

ثم استقبل ذكر المصيبة التى نزلت بهم ، والبلاء الذى أصابهم والتمحيص لما كان فيهم واتخاذه الشهداء منهم ، فقال تعزية لهم وتعريفا لهم فيما صنعوا وفيما هو صانع بهم : (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) أى : قد مضت منى وقائع نقمة فى أهل التكذيب لرسلى والشرك بى عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مَدْيَنَ فرأوا مَثُلَاتٍ قد مضت منى فيهم ولمن هو على مثل ما هم عليه من ذلك منى فانى أَمْلَيْتُ لهم ، أى : لئلا يظنوا أن نقمتى انقطعت عن عدوكم وعدوى للدولة التى أدلتهم بها عليكم ليبتليكم بذلك ليعلم ما عندكم ، ثم قال

تعالى : (هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) أى : هذا تفسير للناس إن قبلو ، وهُدًى وموعظة ، أى : نور وأدب للمتقين ، أى : لمن أطاعنى وعرف أمرى (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا) أى : لا تضعفوا ولا تبتئسوا (عَلَى مَا أَصَابَكُمْ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ) أى : لكم تكون العاقبة والظهور (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) أى : إن كنتم صدقتم نبيي بما جاءكم به عنى (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ) أى : جراح [1] (فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ) أى : جراح مثلها (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) أى : نصرّفها بين الناس للبلاء والتمحيص (وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) أى : لميز بين المؤمنين والمنافقين ، وليكرم من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة ، والله لا يحب الظالمين : أى المنافقين الذين يظهرون بألسنتهم الطاعة وقلوبهم مُصِرّة على المعصية (وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) أى : يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء الذى نزل بهم وكيف صبرهم ويقينهم (وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ) أى : يبطل من المنافقين قولهم بألسنتهم ماليس فى قلوبهم حتى يظهر منهم كفرهم الذي يستترون به ، ثم قال تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) أم حسبتم أن تدخلوا الجنة فتصيبوا من ثوابي الكرامة ولم أختبركم بالشدة وأبتليكم بالمكاره حتى أعلم صدق ذلك منكم بالإيمان بى والصبر على ما أصابكم فى (وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) ولقد كنتم تمنون الشهادة على الذى أنتم عليه من الحق قبل أن تلقوا عدوكم ، يعنى الذين استنهضوا

---

(١) قال أبو ذر : « قال الفراء : القرح ـ بفتح القاف ـ الجراح ، والقرح ـ بضم القاف ـ : ألم الجراح ، وغيره لا يفرق بينهما » اه

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خروجه بهم إلى عدوهم ، لما فاتهم من حضور اليوم الذى كان قبله ببدر ، ورغبةً فى الشهادة التى فاتتهم به فقال : (وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ) يقول : (فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) أى : الموت بالسيوف فى أيدى الرجال قد خلى بينكم و بينهم وأنتم تنظرون إليهم ثم صدهم عنكم (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ) أى : لقول الناس : قُتِلَ محمد صلى الله عليه وسلم ، وانهزامهم عند ذلك ، وانصرافهم عن عدوهم أفإن مات أو قتل رَجَعْتُم عن دينكم كفاراً كما كنتم وتركتم جهاد عدوكم وكتاب الله وما خلف نبيه صلى الله عليه وسلم من دينه معكم وعندكم وقد بَيَّنَ لكم فيما جاءكم به عنى أنه ميت ومفارقكم ، (وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ) أى : يرجع عن دينه (فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا) أى لن يَنْقُصَ ذلك عزَّ الله تعالى ولا مُلْكه ولا سلطانه ولا قدرته (وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ) : أى من أطاعه وعمل بأمره ، ثم قال (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً)أى : إن لمحمد صلى الله عليه وسلم أجلاً هو بالغه ، فاذا أذن الله عزوجل فى ذلك كان(وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ) أى : من كان منكم يريد الدنيا ليست له رغبة فى الآخرة نؤته منها ما قسم له من رزق ولا يَعْدُوه فيها وليس له فى الآخرة من حظ ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ما وُعِدَ به مع ما يجرى عليه من رزقه فى دنياه وذلك جزاء الشاكرين : أى المتقين ، ثم قال : (وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)

أى : وكأين من نبي أصابه القتل ومعه ربيون كثير ، أى : جماعة ، فما وهنوا لفقد نبيهم ، وماضعفوا عن عدوهم ، وما استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن الله تعالى وعن دينهم ، وذلك الصبر ، والله يحب الصابرين (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)

قال ابن هشام : واحد الرِّبِّيِّين رِبِّيٌّ ، وقولهم « الرِّباب » لولد عبد مَنَاة ابن أدّ بن طابخة بن الياس ولضبة لأنهم تجمّعوا وتحالفوا من هذا ، يريدون الجماعات ، وواحدة الرِّبَاب رِبَّة ورِبَابة ، وهى جماعات قِدَاح أو عِصِيّ ونحوها ، فشبهوها بها ، قال أبو ذُؤَيب الهذلى [1] : —

وَكَأَنَّهُنَّ رِبَابَةٌ وَكَأَنَّهُ يَسَرٌ يَفِيضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْدَعُ

وهذا البيت فى أبيات له ، وقال أمية بن أبى الصَّلْت : —

حَوْلَ شَيَاطِينِهِمْ أَبَابِيلُ رِبِّـ يُّونَ شَدُّوا سَنَوَّراً مَدْسُورَا

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن هشام : والرِّبابة أيضا : الخرقة التى تُلَفُّ فيها القداح

قال ابن هشام : والسَّنَوَّر : الدروع ، والدُّسُر : هى المسامير التى فى الحلق ، يقول الله عز وجل (٥٤ : ١٣) : (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) قال أبو الأخزر الحِمَّانى من تميم : —

* دُسْراً بِأَطْرَافِ الْقَنَا الْمُقَوَّمِ *

قال ابن إسحق : أى : فقولوا مثل ماقالوا ، واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم ، واستغفروه كما استغفروه ، وامضُوا على دينكم كما مَضَوْا على دينهم . ولا تَرتَدُّوا على أعقابكم راجعين ، واسألوه كما سألوه أن يثبت أقدامكم ،

(١) سقط هذا البيت من بعض نسخ الكتاب

واستنصروه كما استنصروه على القوم الكافرين ، فكل هذا من قولهم قد كان وقد قُتِلَ نبيهم فلم يفعلوا كما فعلتم (فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا) بالظهور على عدوهم (وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ) ماوعد الله فيها (وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ) أى : عن عدوكم فتذهب دنياكم وآخرتكم (بَلِ اللهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ) فان كان ماتقولون بألسنتكم صدقا فى قلوبكم فاعتصموا به ، ولا تستنصروا بغيره ، ولا ترجعوا على أعقابكم مُرْتَدِّينَ عن دينه (سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ) أى : الذى به كنت أنصركم عليهم ، بما أشركوا بى مالم أجعل لهم من حجة : أى فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم ما اعتصمتم بى واتبعتم أمرى للمصيبة التى أصابتكم منهم بذنوب قدمتموها لأنفسكم خالفتم بها أمرى وعصيتم فيها نبيى صلى الله عليه وسلم (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَاأَرَاكُمْ مَاتُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) أى : لقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم إذ تحسونهم بالسيوف ، أى : القتل ، باذنى وتسليطى أيديكم عليهم وكفى أيديهم عنكم

قال ابن هشام : الحَسُّ : الاستئصال ، يقال : حَسَسْتُ الشيء : أى استأصلته بالسيف وغيره ، قال جرير : —

تَحُسُّهُمُ السُّيُوفُ كَمَا تَسَامَى
حَرِيقُ النَّارِ فِي الأَجَمِ الحَصِيدِ (١)

---

(١) تحسهم : تستأصلهم ، وتسامى : علا وارتفع ، والأجم : جمع

وهذا البيت فى قصيدة له ، وقال رؤبة بن العجاج : —

إِذَا شَكَوْنَا سَنَةً حَسُوسَا تَأْكُلُ بَعْدَ الأَخْضَرِ الْيَبِيسَا (١)

وهذان البيتان فى أرجوزة له

قال ابن إسحق : (حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ) : أي تخاذلتم ،(وَتَنَازَعْتُمْ) فِي الْأَمْرِ : أى اختلفتم فى أمرى : أى تركتم أمر نبيكم وما عهد إليكم ، يعنى الرماة ،(مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ) : أى الفتح لاشك فيه وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم ،(مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا) : أى الذين أرادوا النَّهْبَ فى الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة ، (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ) : أى الذين جاهدوا فى الله ولم يخالفوا إلى ما نُهُوا عنه لعرض من الدنيا رغبةً فيه رجاء ما عند الله من حسن ثوابه فى الآخرة : أى الذين جاهدوا فى الدِّين ولَم يخالفوا إلى ما نُهُوا عنه لعرض من الدنيا ليختبركم وذلك ببعض ذنوبكم ، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك أن لا يهلككم بما أتيتم من معصية نبيكم ، ولكنى عُدْتُ بفضلى عليكم ، وكذلك مَنٌّ الله على المؤمنين : إن عاقب ببعض الذنوب فى عاجل الدنيا أدباً وموعظةً فانه غيرُ مُسْتَأْصِل لكل ما فيهم من الحق له عليهم بما أصابوا من معصيته رحمةً لهم وعائدةً عليهم لما فيهم من الايمان .

ثم أنبهم بالفرار عن نبيهم صلى الله عليه وسلم وهم يُدْعَوْنَ ولا يعطفون عليه لدعائه إياهم ، فقال :(إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَد

أجمة ، وهى الشجر الملتف ، والحصيد :المجذوذ المقطوع

(١) حسوسا : شديدة الاستئصال للأموال ، واليبيس : اليابس يريد أنها لاتبقى شيئا البتة

وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَافَاتَكُمْ وَلَا مَاأَصَابَكُمْ) أى : كَرْبًا بعد كَرْب بقتل من قُتِل من إخوانكم وعُلُوّ عدوكم عليكم ، وبما وقع فى أنفسكم من قول من قال : قتل نبيكم ، فكان ذلك مما يتابع عليكم غما بغم ، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من ظهوركم على عدوكم بعد أن رأيتموه بأعينكم ، ولا ما أصابكم ممن قتل إخوانكم حتى فَرَّجْتُ ذلك الكرب عنكم (واللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) أى : وكان الذى فرج الله به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغم الذى أصابهم أن الله عز وجل رَدَّ عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيهم صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حَيًّا بين أظهُرِهِمْ هَانَ عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور عليهم والمصيبة التى أصابتهم فى إخوانهم حين صرف الله القتل عن نبيهم صلى الله عليه وسلم (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلهِ يُخْفُونَ فِى أَنْفُسِهِمْ مَالَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَافِى قُلُوبِكُمْ واللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) فأنزل الله النعاسَ أمنةً منه على أهل اليقين به ، فهم نيام لا يخافون ، وأهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم [يظنون بالله غير الحق ظنَّ الجاهلية] تَخَوُّفَ القتل ، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة ، فذكر الله عزوجل تلاوُمَهُم وحَسْرتَهم على ما أصابهم ، ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم : (قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِى بُيُوتِكُم) لم تحضروا هذا الموطن

الذى أظهر الله فيه منكم ما أظهر من سرائركم لأخرج الذين كُتبَ عليهم القتل إلى [مضاجعهم : إلى] موطن غيره يُصرَعُون فيه ، حتى يبتلى به ما فى صدورهم وليمحِّص [به] مافى قلوبهم والله عليم بذات الصدور : أى لا يخفى عليه ما فى صدورهم مما استَخْفَوْا به منكم ، ثم قال : (يَأَيهاَ الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِى الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا ومَا قُتلُوا لِيَجعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ واللهُ يُحْيِي وُيمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) أى : لا تكونوا كالمنافقين الذين يَنهَوْنَ إخوانهم عن الجهاد فى سبيل الله والضَّرْب فى الأرض فى طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ويقولون إذا ماتوا أو قتلوا : لوأطاعونا ما ماتوا وما قتلوا ؛ ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم [أى :] لقلة اليقين بربهم ، والله يحيي ويميت : أى يُعَجِّلُ ما يشاء ويؤخر ما يشاء من ذلك من آجالهم بقدرته ، ثم قال تعالى : (وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) أى : إن الموت لكائن لابدَّ منه ، فموت فى سبيل الله أو قتل خير — لو علموا وأيقنوا — مما يجمعون من الدنيا التى لها يتأخرون عن الجهاد تخوُّفَ الموت والقتل بما جَمَعوا من زَهْرَة الدنيا زهادةً فى الآخرة (وَلَئِنْ مُتُّم أَوْ قُتِلْتُمْ) أىُّ ذلك كان (لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ) أى : إنَّ إلى الله المرجعَ فلا تغرنكم الدنيا ، ولا تغتروا بها ، ولْيَكُنْ الجهاد وما رغَّبكم الله فيه [من ثوابه] آثرَ عندكم منها ، ثم قال تبارك وتعالى : (فَبِماَ رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) أى : لتركوك (فَاعْفُ عَنْهَمْ) أى : فتجاوز عنهم (واسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)

فذكر لنبيه صلى الله عليه وسلم لينه لهم وصبره عليهم لضعفهم وقلة صبرهم على الغلظة لو كانت منه عليهم فى كل ما خالفوا عنه مما افترض عليهم من طاعة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ثم قال تبارك وتعالى :(فَاعْفُ عَنْهُمْ) أى : تجاوز عنهم(وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ)ذنوبهم من قارف[1] من أهل الايمان منهم ، (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) : أى لتريهم أنك تسمع منهم وتستعين بهم وإن كنت غنيا عنهم تألفا لهم بذلك على دينهم ، (فَإِذَا عَزَمْتَ) : أى على أمر جاءك منى وأمر من دينك فى جهاد عدوك لا يصلحك ولا يصلحهم إلا ذلك فامض على ما أمرت به على خلاف من خالفك وموافقة من وافقك ، (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) : أى أرض به من العبادات ، إن الله يحب المتوكلين (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ) من النَّاسِ (وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ) أى : لئلا تترك أمرى للناس وارفض أمر الناس إلى أمرى ،(وَعَلَى اللهِ): لا على الناس،(فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) ، ثم قال : (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) أى : ما كان لنبى أن يكتم الناس ما بعثه الله به إليهم عن رهبة من الناس ولا رغبة ، ومن يفعل ذلك يأت يوم القيامة به ، ثم يجزى بكسبه غير مظلوم ولا متعدى عليه (أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ) على ما أحب الناس أو سخطوا (كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ)لرضا الناس أو لسخطهم ، يقول : أفمن كان على طاعتى فثوابه الجنة ورضوان من الله كمن باء بسخط من الله واستوجب سخطه وكان مأواه جهنم وبئس المصير . ؟ أسواء المثلان فاعرفوا (هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) لكل درجات مما عملوا فى الجنة

---

(١) يقال : قارف الرجل الذنب ، إذا دخل فيه ولابسه

والنار ، أي : إن الله لايخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته ، ثم قال : (لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) أي : لقد مَنَّ الله عليكم ياأهل الايمان إذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أحدثتم وفيما عملتم ؛ فيعلمكم الخير والشر ؛ لتعرفوا الخير فتعملوا به ، والشر فتتقوه ، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه فتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته ، لتتخلصوا بذلك من نقمته وتدركوا بذلك ثوابه من جنته وإن كنتم من قبل لفي ضلال مبين : أى لفي عمياء من الجاهلية ، أي : لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة : صم عن الخير ، بكم عن الحق ، عمى عن الهدى

ثم ذكر المصيبة التى أصابتهم فقال : (أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أى : إن تك قد أصابتكم مصيبة فى إخوانكم بذنوبكم فقد أصبتم مثليها قبلُ من عدوكم فى اليوم الذى كان قبله ببدر قتلاً وأسرًا ، ونسيتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، أنتم أحللتم ذلك بأنفسكم ، إن الله على كل شيء قدير ، أي : إن الله على ماأراد بعباده من نقمة أو عفو قدير (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ) أى : ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوكم فباذنى ، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصرى وصدقتكم وعدى ليميز بين المؤمنين والمنافقين (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا مِنْكُمْ) أي : ليظهر مافيهم (وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا) يعنى عبد الله بن أبى

وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين سار إلى عدوه من المشركين بأحد — وقولهم : لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم ولدفعنا عنكم ، ولكنا لا نظن أنه يكون قتال ، فأظهر الله منهم ما كانوا يخفون فى أنفسهم ، يقول الله عز وجل : (هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) أى : يظهرون لك الايمان وليس فى قلوبهم (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) أى : ما يخفون (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ) الذين أصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم (وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أى : إنه لا بد من الموت فان استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا ، وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهاد فى سبيل الله حرصاً على البقاء فى الدنيا وفراراً من الموت

منزلة الشهداء عند الله

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم يرغّب المؤمنين فى الجهاد ويهوّن عليهم القتل : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) أى : لا تظنن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً ، أى : قد أحييتهم فهم عندى يرزقون فى رَوْح الجنة وفضلها ، مسرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم . أى ويُسَرُّون بلحوق من لحقهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم ، قد أذهب الله عنهم الخوف والحزن ، يقول الله تعالى : (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) لما عاينوا من وفاء الموعود وعظيم الثواب

قال ابن إسحق : وحدثني إسمعيل بن أمية ، عن أبي الزبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَشْرَبِهِمْ وَمَأْكَلِهِم وَحُسْنَ مَقِيلِهِم قَالُوا يَالَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ مَا صَنَعَ اللهُ بِنَا لِئَلاَّ يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلاَ يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى : فَأَنَا أُبَلِّغُهُم عَنْكُمْ» فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هٰؤُلاَءِ الآيات (وَلاَ تَحْسَبَنَّ)

قال ابن إسحق : وحدثني الحرث بن الفضيل ، عن محمود بن لبيد الأنصاري ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ نَهْرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ يَخْرُجُ عَلَيْهِم رِزْقُهُم مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا »

قال ابن إسحق : وحدثني من لا أتهم ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أنه سئل عن هؤلاء الآيات (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِم يُرْزَقُونَ) فقال : أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا : «إنه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجوافِ طيرٍ خُضْرٍ ترد أنهار الجنة . وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ؛ فيطلع الله عز وجل عليهم اطلاعة فيقول : ياعبادي مَاتَشْتَهُونَ فأزيدكم ؟ [قال] : فيقولون : رَبَّنَا لاَ فَوْقَ ما أَعْطَيْتَنَا الْجَنَّةَ[1] نأكل منها حيث شئنا ، قال : ثم يطلع الله عليهم

(١) قال أبو ذر : « يروى ههنا برفع الجنة وخفضه ، فرفعه على أنه

اطلاعة ، فيقول : ياعبادى مَاتَشْتَهُونَ فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لافوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا ، [قال : ثم يطلع عليهم اطلاعة ، فيقول : ياعبادى ماتشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لافوق ماأعطيتنا الجنة نأكل منهاحيث شئنا] ، إلا أنا نحب أن تُرَدَّ أرواحنا فى أجسادنا ثم نرد إلى الدنيا فنقاتل فيك حتى نقتل فيك مرة أخرى »

قال ابن إسحق : وحدثنى بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال : سمعت جابر بن عبدالله رضى الله عنهما يقول : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألاَ أُبَشِّرُكَ يَاجَابِرُ » ؟ قال : قلت : بلى يانبى الله ، قال : « إنَّ أَبَاكَ حَيْثُ أُصِيبَ بِأُحُدٍ أَحْيَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ قال له : ماتُحِبُّ ياعَبْدَ الله بن عَمْرٍو أَنْ أَفْعَلَ بكَ ؟ قال : أَيْ رَبِّ أُحِبُّ أَنْ تَرُدَّنِي إلَى الدُّنْيَا فأُقَاتِلَ فِيكَ فأُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى »

قال ابن إسحق : وحدثنى عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُفَارِقُ الدُّنْيَا يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا إلاَّ الشَّهِيدَ فَإِنَّهُ يُحِب أَنْ يُرَدَّ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى »

قال ابن إسحق : ثم قال تعالى : (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ) أى : الجراح ، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم أحد إلى حمراء الأسد على مابهم من ألم الجراح (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ

خبر مبتدأ محذوف ، وخفضه على البدل من ما فى قوله ما أعطيتنا » اه بتصرف

قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) الناس الذين قالوا لهم ماقالوا النفر من عبدالقيس الذين قال لهم أبو سفيان ماقال ، قالوا : إن أبا سفيان ومن معه راجعون إليكم ، يقول الله عز وجل : (فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) لما صرف الله عنهم من لقاء عدوهم (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ) أي : لأولئك الرهط وما ألقى الشيطان على أفواههم (يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ) أي : يرهبكم بأوليائه (فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) أي : المنافقون (إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) أي : المنافقين (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ) أي : فيما يريد أن يبتليكم به لتحذروا ما يدخل عليكم فيه (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ) أي : يعلمه ذلك (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا) أي : ترجعوا وتتوبوا (فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ)

ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين والأنصار

من استشهد من المهاجرين

قال ابن إسحق : واستشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : من المهاجرين : من قريش ثم من بني هاشم بن

عبدمناف : حَمْزَةُ بن عبد المطلب بن هاشم رضى الله عنه ، قتله وَحْشِىٌّ غلام جبَيْر بن مُطْعم

ومن بنى أمية بن عبدشمس : عَبْدُ اللهِ بن جَحْشٍ ، حليفٌ لهم من بنى أسد بن خزيمة

ومن بنى عبدالدار بن قصى : مُصْعَبُ بن عُمَيْر ، قتله ابن قَمِئَة الليثي

ومن بنى مخزوم بن يَقَظَة : شَمَّاسُ بن عُثْمَان ، أربعة نفر

من استشهد من الانصار

ومن الأنصار ، ثم من بنى عبد الأشهل : عمرو بن مُعَاذ بن النعمان ، والحرثُ بن أنس بن رافع ، وعُمَارة بن زياد بن السكن

قال ابن هشام : السَّكَنُ بن رافع بن امرىء القيس ، ويقال : السَّكْن (١)

قال ابن إسحق : وسلمة بن ثابت بن وَقْش ، وعمرو بن ثابت بن وقش

قال ابن إسحق : وقد زعم لى عاصم بن عمر بن قتادة أن أباهما ثابتا قُتِلَ يومئذ

ورفاعةُ بن وقش ، وحُسَيْلُ بن جابر أبو حُذَيْفَةَ ، وهو اليمان ، أصابه المسلمون فى المعركة ولا يدرون فتَصَدَّقَ حذيفة بديَتِهِ على من أصابه ، وَصَيْفِىٌّ بن قَيْظى ، وَحَبَاب (٢) بن قَيْظى ، وَعَبَّاد بن سَهْل ، والحرث بن أوس بن معاذ ، اثنا عشر رجلا

---

(١) « ويقال السكن » ضبط الأول فى بعض النسخ بفتح الكاف والثانى بسكونها ، والسين مفتوحة فيهما

(٢) قال أبو ذر : «وقع هنا بحاء مهملة مفتوحة وباء ، ووقع جناب-

ومن أهل راتج[1] : إياسُ بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم ابن زعوراء بن جُشَم بن عبد الأشهل ، وعبيد بن التَّيِّهان

قال ابن هشام : ويقال : عتيك بن التَّيِّهان

وحبيب بن يزيد بن تيم ، ثلاثة نفر

ومن بنى ظَفَر : يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع ، رجل

ومن بنى عمرو بن عَوْف ، ثم من بنى ضُبَيْعَة بن زيد : أبو سُفْيان ابن الحرث بن قيس بن زيد ، وحنظلة بن أبى عامر بن صَيْفى بن نعمان ابن مالك بن أَمَة ، وهو غسيل الملائكة ؛ قتله شَدَّاد بن الأسود بن شَعُوب الليثي ، رجلان

قال ابن هشام : قيس بن زيد بن ضبيعة ، ومالك بن أمة ابن ضبيعة

قال ابن إسحق : ومن بنى عبيد بن زيد : أُنَيْسُ بن قتادة ، رجل

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف أبو حَبَّة[2] وهو أخو سعد بن خيثمة لأمه

بالجيم المفتوحة والنون ـ حكاه الدارقطنى عن ابن إسحق ، قال : والمحفوظ بالحاء » اه

(١) « راتج » بكسر التاء المثناة فوق والجيم ـ أطم من أطم المدينة كذا بهامش بعض الأصول

(٢) وقع فى أصول الكتاب « أبو حية » بالياء المثناة بعد الحاء المهملة ـ لكن الذى فى شرح أبى ذر « أبو حبة » بالباء الموحدة ، قال : يروى هنا بالباء والنون معا والحاء المهملة ، وقال الدارقطنى : ابن إسحق وأبو معشر يقولون فيه أبو حبة بالباء ، والواقدى يقوله بالنون » اه كلامه

قال ابن هشام : أبوحبة : ابن عمرو بن ثابت

قال ابن إسحق : وعبد الله بن جبير بن النعمان ، وهو أمير الرماة ، رجلان .

ومن بنى السَّلْم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس : خَيْثَمَةُ أبوسعد بن خيثمة ، رجل

ومن حلفائهم من بنى الْعَجْلاَن : عَبْدُ الله بن سَلِمة (١) ، رجل

ومن بنى معاوية بن مالك : سُبَيْع بن حاطب بن الحرث بن قيس ابن هَيْشَةَ ، رجل

قال ابن هشام : ويقال : سُوَيْبِق بن الحرث بن حاطب بن هيشة

قال ابن إسحق: ومن بنى النجار ، ثم من بنى سَوَاد بن مالك بن غنم : عمرو بن قيس ، وابنه قيس بن عمرو

قال ابن هشام : عمرو بن قيس بن زيد بن سواد

قال ابن إسحق : وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن مَخْلَد ، أربعة نفر .

ومن بنى مبذول: أبو هبيرة بن الحرث بن علقمة بن عمرو بن ثَقْف ابن مالك بن مبذول ، وعمرو بن مُطَرِّف بن علقمة بن عمرو ، رجلان

ومن بنى عمرو بن مالك : أوسُ بن ثابت بن المنذر ، رجل

قال ابن هشام : أوس بن ثابت : أخو حسان بن ثابت

قال ابن إسحق : ومن بنى عدى بن النجار : أنسُ بن النَّضْر بن ضَمْضَم بن زَيْد بن حَرَام بن جُنْدب بن عامر بن غَنْم بن عدىّ بن النجار ، رجل

(١) قال أبو ذر : «عبد الله بن سلمة ، يروى هنا بكسر اللام وفتحها ، وسلمة بكسر اللام قيده الدارقطنى » اه كلامه .

قال ابن هشام : أنس بن النضر عَمُّ أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن بنى مازن بن النجار : قيس بن مُخَلَّدٍ ، وكَيسَان ، عبدلهم ، رجلان .

ومن بنى دينار بن النجار : سُلَيمُ بن الحرث ، ونعمان بن عبد عمرو ، رجلان

ومن بنى الحرث بن الخزرج : خارجةُ بن زَيْدبن أبى زُهَيرٍ ، وسعد ابن الربيع بن عمرو بن أبى زهير ، دُفِنَا فى قبر واحد ، وأوسُ بن الأرقم ابن زيد بن قيس بن نعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب ، ثلاثة نفر

ومن بنى الأبجر ، وهم بنو خُدْرة : مالكُ بن سنان بن عُبَيد بن ثعلبة ابن عبيد بن الأبجر ، وهو أبو أبى سعيد الخدرى

قال ابن هشام : اسم أبى سعيد الخدرى : سنان ، ويقال : سعد

قال ابن إسحق : وسعيد بن سُوَيْد بن قيس بن عامر بن [عباد بن] الأبجر ، وعتبة بن ربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر ، ثلاثة نفر

ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ، وثقف بن فَرْوَة بن البَدِيِّ ، رجلان

ومن بنى طريفٍ رَهطِ سعد بن عُبَادة : عبد الله بن عَمْرو بن وَهْب ابن ثعلبة بن وَقَش بن ثعلبة بن طريف ، وضمرة ، حليفٌ لهم من بنى جهينة ، رجلان

ومن بنى عوف بن الخزرج ، ثم من بنى سالم ، ثم من بنى مالك بن

العجلان بن زيد بن غنم بن سالم : نَوْفَلُ بن عبد الله ، وعباس بن عُبَادة ابن نَضْلة بن مالك بن العَجْلاَن ، ونعمان بن مالك بن ثعلبة بن فهر بن غنم بن سالم ، وَالْمُجَذَّر بن ذياد ، حليف لهم من بَلِيّ ، وعُبَادة بن الْخَشْخَاس ، دفن النعمان بن مالك والمجذّر وعبادة فى قبر واحد ، خمسة نفر

ومن بنى الْحُبْلَى : رفاعةُ بن عمرو ، رجل

ومن بنى سلمة ، ثم من بنى حرام : عبدُ الله بن عَمْرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام ، وعمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام ، دفنا فى قبر واحد ، وخَلاَّد بن عمرو بن الجَمُوح [بن زيد بن حرام] ، وأبو أيمن مولى عَمْرو بن الجموح ، أربعة نفر

ومن بنى سَوَاد بن غَنْم : سُلَيْمُ بن عمرو بن حَديدة ، ومولاه عَنْترة ، وَسَهْلُ بن قيس بن أبى كعب بن الْقَيْن ، ثلاثة نفر

ومن بنى زُرَيْق بن عامر : ذَكْوَان بن عبد قيس ، وَعُبَيْدُ بن الْمُعَلَّى بن لَوْذان ، رجلان

قال ابن هشام : عبيد بن المعلى من بنى حبيب

عدة من استشهد من المسلمين

قال ابن إسحق : فجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار خمسةٌ وستون رجلا

استدراك ابن هشام على إحصاء ابن إسحق

قال ابن هشام : وممن لم يذكر ابن إسحق من السبعين الشهداء الذين ذكرنا : من الأوس ثم من بنى معاوية بن مالك : مالك بن نُمَيْلَة حليفٌ لهم من مُزَيْنة

ومن بنى خَطْمة (واسم خَطْمَةَ عَبْدُ الله بن جُشَم بن مالك بن الأوس) الحرثُ بن عدىٍّ بن خَرَشة بن أمية بن عامر بن خَطمة

ومن الخزرج ، ثم من بني سواد بن مالك : مالك بن إياس

ومن بني عمرو بن مالك بن النجار : إياس بن عدى

ومن بني سالم بن عوف : عمرو بن إياس

ذكر من قتل من المشركين يوم أحد

قتلى قريش يوم أحد وتسمية قاتليهم

قال ابن إسحق : وقُتِلَ من المشركين يوم أحد : من قريش ، ثم من بني عبد الدار بن قصى من أصحاب اللواء : طلحةُ بن أبي طلحة ، واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، قتله على بن أبي طالب رضى الله عنه ، وأبو سعد بن أبي طلحة ، قتله سعد بن أبي وقاص

قال ابن هشام : ويقال قتله على بن أبي طالب

قال ابن إسحق : وعثمان بن أبي طلحة ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، ومسافع بن طلحة ، وَالْجُلَاسُ بن طلحة ، قتلهما عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، وكلاب بن طلحة ، والحرث بن طلحة ، قتلهما قُزْمَان حليف لبني ظَفَر

قال ابن هشام : ويقال : قتل كلابًا عَبْدُ الرحمن بن عوف

قال ابن إسحق : وأَرْطَاةُ بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، وأبو يزيد بن عمير بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قُزْمَان ، وصُؤاب ، غلامٌ [له] حبشى ، قتله قُزْمَان

قال ابن هشام : ويقال : قتله على بن أبى طالب ، ويقال : سعد بن أبى وقاص ، ويقال : أبو دُجانة

قال ابن إسحق : والقاسط بن شُرَيْح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قُزْمان ، أحَدَ عَشَرَ رجلا

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : عَبْدُ الله بن حميد بن زهير ابن الحرث بن أسد ، قتله على بن أبى طالب ، رجل

ومن بنى زُهْرَة بن كلاب : أبو الحَكَم بن الأخنس بن شَريق ابن عمرو بن وَهْب الثقفى ، حليف لهم ، قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وَسِبَاعُ بن عبد العُزَّى ، واسم عبد العزى عَمْرو بن نَضْلة من غُبْشَان بن سُلَيْم بن مَلْكان بن أفصَى ، حليفٌ لهم من خزاعة ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، رجلان

ومن بنى مَخْزُوم بن يَقَظة : هشامُ بن أبى أمية بن المغيرة ، قتله قُزمان ، والوليدُ بن العاص بن هشام بن المغيرة ، قتله قُزمان ، وأبو أمية ابن أبى حُذَيفة بن المغيرة ، قتله على بن أبى طالب ، وخالدُ بن الأعلم ، حليف لهم ، قتله قُزمانُ ، أربعة نفر

ومن بنى جُمَحَ بن عمرو : عمرو بن عبد الله بن عُمَيْر بن وَهْب بن حذافة بن جُمَح ، وهو أبو عَزَّة ، قتله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صَبْرًا ، وَأُبَىُّ بن خَلَف بن وَهب بن حُذَافة بن جُمَح ، قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، رجلان

ومن بنى عامر بن لُؤَى : عُبَيْدَةُ بن جابر ، وَشَيْبَةُ بن مالك بن المُضَرِّب ، قتلهما قُزمَان ، رجلان

قال ابن هشام : ويقال : قتل عبيدةَ بن جابر عبدُ الله بن مسعود

احصاء قتلى قريش يوم أحد

قال ابن إسحق : فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أُحد من المشركين اثنان وعشرون رجلا

ذكر ماقيل من الشعر يوم أحد

قال ابن إسحق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم أُحد قَوْلُ هُبَيْرَةَ ابن أبى وَهْب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم

قال ابن هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم :

قصيدة هبيرة بن أبى وهب المخزومى

مَابَالُ هَمٍّ عَمِيدٍ بَاتَ يَطْرُقُنِى
بِالْوُدِّ مِنْ هِنْدَ إِذْ تَعْدُو عَوَادِيهَا (١)

بَاتَتْ تُعَاتِبُنِى هِنْدٌ وَتَعْذِلُنِى وَالْحَرْبُ قَدْ شُغِلَتْ عَنِّى مَوَالِيهَا

مَهْلاً فَلاَ تَعْذِلِينِى إِنَّ مِنْ خُلُقِى
مَا قَدْ عَلِمْتِ وَمَا إِنْ لَسْتُ أُخْفِيهَا

مُسَاعِفٌ لِبَنِى كَعْبٍ بِمَا كَلِفُوا حَمَّالُ عِبْءٍ وأَثْقَالٍ أُعَانِيهَا (٢)

وَقَدْ حَمَلْتُ سِلاَحِى فَوْقَ مُشْتَرِفٍ
سَاطٍ سَبُوحٍ إِذَا تَجْرِى يُبَارِيهَا (٣)

---

(١) العميد : الموجع المؤلم ، وأصل العميد البعير الذى انشق سنامه لكثرة اللحم فيه ؛ والعوادى : الشواغل

(٢) مساعف : مطيع مواتٍ ، بما كلفوا : أولعوا به وأحبوه ؛ والعبء : الحمل الثقيل ، وأراد به هنا ما يكلفونه من مشاق الأمور وعظامها ؛ وأعانيها : أكابدها وأحتملها .

(٣) مشترف : يروى بفتح الراء وبكسرها ؛ فمن رواه بفتح الراء عنى

كَأَنَّهُ إِذْ جَرَى عَيْرٌ بِفَدْفَدَةٍ   مُكَدَّمٌ لَاحِقٌ بِالْعُونِ يَحْمِيهَا(١)

مِنْ آلِ أَعْوَجَ يَرْتَاحُ النَّدِيُّ لَهُ
كَجِذْعِ شَعْرَاءَ مُسْتَعْلٍ مَرَاقِيهَا(٢)

أَعْدَدْتُهُ وَرِقَاقَ الْحَدِّ مُنْتَخَلاً   وَمَارِنًا لِخُطُوبٍ قَدْ أُلَاقِيهَا(٣)

هٰذَا وَبَيْضَاءَ مِثْلَ النَّهْيِ مُحْكَمَةً
نِيطَتْ عَلَيَّ فَمَا تَبْدُو مَسَاوِيهَا(٤)

به فرسا يستشرفه الناس ، أى : ينظرون إليه ويتطلعون نحوه لحسنه ، ومن رواه بكسر الراء عنى به شرفا عاليا مشرفا على الأرض ، وساط : أى بعيد الخطو إذا مشى ، والسبوح : الذى يسبح فى جريه كأنه يعوم ، ويباريها : أى يعارضها ويجاريها ، و الضمير المستتر عائد إلى الفرس الذى وصفه ، والضمير البارز عائد إلى الخيل ، وقد أضمر الخيل وإن لم يجر لها ذكر لأن الكلام يدل عليها

(١) العير : حمار الوحش ، والفدفدة : الفلاة ، ومكدم : معضوض عضته آتنه ، ولاحق : معناه ضامر ، والعون : جماعات حمر الوحش

(٢) أعوج : اسم فرس مشهور فى الجاهلية ، ويرتاح له : يستبشر به ويهتز لمرآه ، والندى : المجلس فيه القوم ، والجذع : الفرع ، والشعراء هنا : نخلة كثيرة الأغصان ، ومراقيها : معاليها

(٣) رقاق الحد - بضم الراء - أراد به سيفا ، ويروى رقاق - بكسر الراء - فهو جمع رقيق ، والأول أحسن لأفراد الضمائر بعده ، ومنتخلا : متخيرا ، والمارن : الرمح اللين عند الاهتزاز ، والخطوب : حوادث الدهر ، واحدها خطب

(٤) بيضاء : عنى بها درعا ، والنهى : الغدير من الماء ، وهو بفتح النون وكسرها ، ونيطت : علقت ، ويروى «لطت» بالبناء للمجهول - ومعناه ألصقت ؛ ومساويها : عيوبها

سُقْنَا كِنَانَةَ مِنْ أطْرَافِ ذِى يَمَنٍ
عُرْضَ الْبِلَادِ عَلَى مَا كَانَ يُزْجِيهَا (١)

قَالَتْ كِنَانَةُ أنَّى تَذْهَبُونَ بِنَا
قُلْنَا النَّخِيلَ فَأَمُّوهَا وَمَنْ فِيهَا (٢)

نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْجَرِّ مِنْ أُحُدٍ
هَابَتْ مَعَدٌّ فَقُلْنَا نَحْنُ نَأْتِيهَا (٣)

هَابُوا ضِرَابًا وَطَعْنًا صَادِقًا خَذِمًا
مِمَّا يَرَوْنَ وَقَدْ ضُمَّتْ قَوَاصِيهَا (٤)

ثُمَّتَ رُحْنَا كَأنَّا عَارِضٌ بَرِدٌ وقَامَ هَامُ بَنِي النَّجَّارِ يَبْكِيهَا (٥)

كَأَنَّ هَامَهُمُ عِنْدَ الْوَغَى فِلَقٌ
مِنْ قَيْضِ رُبْدٍ نَفَتْهُ عَنْ أدَاحِيهَا (٦)

---

(١) العرض ـ بضم فسكون ـ السعة ، ويزجيها : يسوقها

(٢) النخيل : أراد مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأموها : قصدوها

(٣) الجر ـ بالجيم مفتوحة ـ أصل الجبل

(٤) الخذم ـ بفتح الخاء وكسر الذال المعجمتين ـ الذى يقطع اللحم سريعا ، والقواصى : جمع قاصية ، وهى ما تفرق وبعد

(٥) العارض : السحاب ؛ والبرد ـ بفتح الباء وكسر الراء ـ الذى فيه برد ، والهام : جمع هامة ، وأصله الطائر الذى تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل ، وربما أطلق على رءوس القوم ووجوههم

(٦) الهام : جمع هامة ، وهى الرأس ، والوغى : الحرب ، والفلق : جمع فلقة ، وهى القطعة من الشىء ، والقيض : بفتح القاف وسكون الياء

أَوْ حَنْظَلٌ زَعْزَعَتْهُ الرِّيحُ فِي غُصُنٍ
بَالٍ تَعَاوَرُهُ مِنْهَا سَوَافِيهَا (١)

قَدْ نَبْذُلُ الْمَالَ سَحًّا لاَ حِسَابَ لَهُ
وَنَطْعُنُ الْخَيْلَ شَزْراً فِي مَآقِيهَا (٢)

ولَيْلَـةٍ يَصْطَلِى بِالْفَرْثِ جَازِرُهَا
يَخْتَصُّ بِالنَّقَرَى الْمُـثْرِينَ دَاعِيهَا (٣)

وَلَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أَنْدِيَةٍ جَرْبَاَ جُمَادِيَّةٍ قَدْ بِتُّ أَسْرِيهَا (٤)

وآخره ضاد معجمة ـ وهو قشر البيض الأعلى ، والربد : جمع ربداء ، وهى التى لونها بين السواد والبياض ، وأراد ههنا النعام ، والأداحى : جمع أدحى ، وهو الموضع الذى تبيض فيه النعام

(١) زعزعته : حركته وأثارته ، وتعاوره : تتداوله ، وأصله تتعاوره فحذف إحدى التاءين ، والسوافى : جمع سافية ، وهى الريح التى تقلع التراب والرمل من الأرض

(٢) السح : الصب ، يريد أنه عطاء كثير ، والشزر : الطعن عن يمين وشمال ، والمآقى : مجارى الدموع فى العين ، أو المقدمات

(٣) الفرث : ما يخرج من كرش الحيوان ، ويصطلى : أى يتسخن ، والنقرى ـ بفتحات ـ أن يدعو قوما دون قوم فيخص بدعوته لا يعم بها الناس ، ويقابله الجفلى ، وهو أن يدعو دعوة عامة لا يخص بها أحدا ، والمثرين جمع مثر ، وهو اسم فاعل من أثرى ، إذا صار ماله كثيرا كالثرى ، وهو التراب

(٤) من جمادى : يريد أنها من ليالى الشتاء ، وجربا : أصله جرباء ، يريد شديدة البرد مؤلمة . وأسريها : أسير فيها

لاَ يَنْبَحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ
مِنَ الْقَرِيسِ وَلاَ تَسْرِى أَفَاعِيهَا (١)
أَوْقَدْتُ فِيهَا لِذِى الضَّرَّاءِ حَامِيَةً
كَالْبَرْقِ ذَاكِيَةَ الْأَرْكَانِ أَحْمِيهَا (٢)
أَوْرَثَنِى ذَلِكُمْ عَمْرٌو وَوَالِدُهُ
مِنْ قَبْلِهِ كَانَ بِالْمَثْنَى يُغَالِيهَا (٣)
كَانُوا يُبَارُونَ أَنْوَاءَ النُّجُومِ فَمَا
دَنَّتْ عَنِ السُّورَةِ الْعُلْيَا مَسَاعِيهَا (٤)

قال ابن إسحق : فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه ، فقال : —

حسان بن ثابت يجيب هبيرة بن أبى وهب

سُقْتُمْ كِنَانَةَ جَهْلاً مِنْ سَفَاهَتِكُمْ
إِلَى الرَّسُولِ فَجُنْدُ اللهِ مُخْزِيهَا
أَوْرَدْتُمُوهَا حِيَاضَ الْمَوْتِ ضَاحِيَةً فَالنَّارُ مَوْعِدُهَا وَالْقَتْلُ لاَقِيهَا (٥)

---

(١) القريس : البرد مع الصقيع ، والصقيع : الثلج الذى يلصق بالنبات وهو الجليد أيضا ، والأفاعى : جمع أفعى

(٢) لذى الضراء : أراد به صاحب الحاجة والفقر ، وحامية : أراد نارا ، ويروى فى مكانه «جاحمة» وهى النار الملتهبة ، وذاكية : أراد مضيئة

(٣) المثنى : أراد مرة بعد مرة ، ويروى «أورثنى ذاكم»

(٤) يبارون : يعارضون ويفعلون مثل ما تفعل ، ودنت — بالنون مشددة — أى قصرت ، يقال : رجل أدن العنق ، إذا كان قصير العنق ، والسورة : الرفعة والمنزلة ، والمساعى : جمع مسعاة ، وهى ما يسعى فيه من المكارم

(٥) الحياض : جمع حوض ، والضاحية : البارزة للشمس

جَمَعْتُمُوهُمْ أَحَابِيشًا بِلاَ حَسَبٍ
أَئِمَّةَ الْكُفْرِ غَرَّتْكُمْ طَوَاغِيهَا (١)

أَلاَّ اعْتَبَرْتُمْ بِخَيْلِ اللهِ إِذْ قَتَلَتْ أَهْلَ الْقَلِيبِ وَمَنْ أَلْقَيْنَهُ فِيهَا (٢)

كَمْ مِنْ أَسِيرٍ فَكَكْنَاهُ بِلاَ ثَمَنٍ
وَجَزِّ نَاصِيَةٍ كُنَّا مَوَالِيهَا (٣)

قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك

قال ابن هشام : و بيت هبيرة بن أبى وهب الذى يقول فيه : —

وَلَيْلَةٍ يَصْطَلِي بِالْفَرْثِ جَازِرُهَا يَخْتَصُّ بِالنَّقَرَى الْمُثْرِينَ دَاعِيهَا

يروى لجنوبَ أخت عمرٍو ذى الكلب الهذلى فى أبيات لها فى غير يوم أحد

قال ابن إسحق : وقال كَعْبُ بن مالك يجيب هُبَيْرَةَ بن أبى وهب أيضا : —

كعب بن مالك يجيب هبيرة ابن أبى وهب

أَلاَ هَلْ أَتَى غَسَّانَ عَنَّا وَدُونَهُمْ
مِنَ الْأَرْضِ خَرْقٌ سَيْرُهُ مُتَنَعْنِعُ (٤)

---

(١) الحسب : الشرف ، وطواغيها : جمع طاغية ، وهو المتكبر المتمرد

(٢) أهل القليب : أراد بهم من قتل فى بدر من المشركين فطرح فى القليب وهو البئر

(٣) مواليها : أهل النعمة , أصحاب المنة عليها ؛ يريد أنهم فكوا كثيرا من أسرى قريش يوم بدر بغير فداء فكانوا لذلك أصحاب النعمة و اليد البيضاء عليهم فلو كان عند هؤلاء شىء من حفظ الجميل لقبعوا فى بيوتهم فلم يخرجوا لقتالهم .

(٤) الخرق : الفلاة الواسعة التى تخرق فيها الريح ، وقوله « متنعنع »

صَحَارٍ وَأَعْلَامٌ كَأَنَّ قَتَامَهَا ... مِنَ الْبُعْدِ نَقْعٌ هَامِدٌ مُتَقَطِّعُ (١)

تَظَلُّ بِهِ الْبُزْلُ الْعَرَامِيسُ رُزَّحًا ... وَيَخْلُو بِهِ غَيْثُ السِّنِينَ فَيُمْرِعُ (٢)

بِهِ جِيَفُ الْحَسْرَى يَلُوحُ صَلِيبُهَا

كَمَا لَاحَ كَتَّانُ التِّجَارِ الْمُوَضَّعُ (٣)

بِهِ الْعِينُ وَالْآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً ... وَبِيضُ نَعَامٍ قَيْضُهُ يَتَقَلَّعُ (٤)

تُجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا كُلُّ فَخْمَةٍ ... مُذَرَّبَةٍ فِيهَا الْقَوَانِسُ تَلْمَعُ (٥)

يروى بالنون وبالتاء ، فمن رواه بالنون فمعناه المضطرب ، ومن رواه بالتاء فمعناه المتردد ، والمعنى قريب ، وتقول : تعتع فى الكلام ، إذا تردد فيه

(١) الأعلام : الجبال المرتفعة ، واحدها علم ، مثل سبب وأسباب وجبل وأجبال ، وقتام ـ كسحاب ـ ما مال لونه إلى السواد منها ، والنقع : الغبار ، والهامد : المتلبد الساكن

(٢) البزل : الابل القوية ، واحدها بازل ، وأصله الذى فطر نابه ، وهذا زمان القوة والشدة ، العراميس : الشديدة ، والرزح : جمع رازح ، وهو المعيي ، ويمرع : يخصب

(٣) الصليب : الودك ، وهو الشحم ، والموضع : المبسوط المنقوش

(٤) العين جمع عيناء ، وهى البقرة من بقر الوحش ، والآرام : البيض البطون السمر الظهور ، واحدها رئم ، وأصل آرام : أرآم ، بزنة أحمال ، فقدمت الهمزة على الراء ثم قلبت الهمزة ألفا لسكونها إثر همزة مفتوحة ، وقوله « خلفة » أى : يمشين قطعة خلف قطعة ، ، والقيض : قشر البيض الأعلى ، ويتقلع : معناه يتشقق

(٥) فخمة : يريد كتيبة عظيمة ، ومدربة : يروى بالدال مهملة وبالذال معجمة ؛ فمن رواه بالدال فهو من الدربة ، يريد أنهم معلمون معودون قد دربوا على القتال ، ومن رواه بالذال فمعناه محددة ، والذرب : الحاد ، والقوانس : رءوس بيض السلاح

وَكُلُّ صَمُوتٍ فِي الصِّوَانِ كَأَنَّهَا   إِذَا لُبِسَتْ نِهْيٌ مِنَ الْمَاءِ مُتْرَعُ (١)
وَلَكِنْ بِبَدْرٍ سَائِلُوا مَنْ لَقِيتُمُ   مِنَ النَّاسِ وَالأَنْبَاءُ بِالْغَيْبِ تَنْفَعُ
وَإِنَّا بِأَرْضِ الْخَوْفِ لَوْ كَانَ أَهْلُهَا
سِوَانَا لَقَدْ أَجْلَوْا بِلَيْلٍ فَأَقْشَعُوا (٢)
إِذَا جَاءَ مِنَّا رَاكِبٌ كَانَ قَوْلُهُ
أَعِدُّوا لِمَا يُزْجِي ابْنُ حَرْبٍ وَيَجْمَعُ
فَمَهْمَا يُهِمُّ النَّاسَ مِمَّا يَكِيدُنَا   فَنَحْنُ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَوْسَعُ
فَلَوْ غَيْرُنَا كَانَتْ جَمِيعاً تَكِيدُهُ الْـ
بَرِيَّةُ قَدْ أَعْطَوْا يَدًا وَتَوَرَّعُوا (٣)
نُجَالِدُ لاَ تَبْقَى عَلَيْنَا قَبِيلَةٌ
مِنَ النَّاسِ إِلاَّ أَنْ يُهَابُوا وَيُفْظَعُوا (٤)
وَلَمَّا ابْتَنَوْا بِالْعِرْضِ قَالَ سَرَاتُنَا
عَلاَمَ إِذَا لَمْ نَمْنَعِ الْعِرْضَ نَزْرَعُ (٥)

---

(١) الصموت: هي الدرع التي أحكم نسجها وتقارب حلقها فليس يسمع لها صوت ، والصوان: كل ما يصان فيه الشيء درعا كان أو ثوبا أو غيرهما ، والنهي بفتح النون أو كسرها : الغدير ، ومترع : أى مملوء ماء

(٢) أقشعوا : فروا وذلوا

(٣) تورعوا : يروى بالراء المهملة وبالزاى : فمن رواه بالراء المهملة فمعناه ذلوا وهانوا ، ومن رواه بالزاى فمعناه تقسموا وانشعبوا

(٤) يفظعوا ـ مبنى للمجهول : يهالوا ويفزعوا ، من الشيء الفظيع ، وهو الذى يهولك منظره

(٥) ابتنوا : ضربوا أبنيتهم ، وهى القباب والأخبية ، والعرض : موضع خارج المدينة ، وسراتنا : خيارنا

وفِينَا رَسُولُ اللهِ نَتْبَعُ أمْرَهُ ... إذَا قَالَ فِينَا القَوْلَ لاَ نَتَطَلَّعُ (١)

تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ... يُنَزَّلُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ وَيُرْفَعُ (٢)

نُشَاوِرُهُ فِيمَا نُرِيدُ وَقَصْرُنَا ... إذَا مَا اشْتَهَى أنَّا نُطِيعُ وَنَسْمَعُ (٣)

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ لَمَّا بَدَوْا لَنَا

ذَرُوا عَنْكُمُ هَوْلَ الْمَنِيَّاتِ وَاطْمَعُوا

وَكُونُوا كَمَنْ يَشْرِى الْحَيَاةَ تَقَرُّباً ... إلَى مَلِكٍ يُحْيَا لَدَيْهِ وَيُرْجَعُ

وَلَكِنْ خُذُوا أسْيَافَكُمْ وَتَوَكَّلُوا

عَلَى اللهِ إنَّ الأمْرَ لِلَّهِ أجْمَعُ

فَسِرْنَا إلَيْهِمْ جَهْرَةً فِى رِحَالِهِمْ

ضُحَيًّا عَلَيْنَا الْبِيضُ لاَ نَتَخَشَّعُ (٤)

بِمَلْمُومَةٍ فِيهَا السَّنَوَّرُ وَالْقَنَا ... إذَا ضَرَبُوا أقْدَامَهَا لاَ تَوَرَّعُ (٥)

---

(١) لا نتطلع : يروى بالطاء المهملة وبالظاء ، فمن رواه بالطاء المهملة فمعناه لا ننظر إليه إجلالا له وهيبة منه ، ومن رواه بالظاء المعجمة فمعناه لا نميل عنه ولا نعدل عما قاله

(٢) الروح : هو جبريل أمين الوحى عليه السلام ، وهو مأخوذ من قوله تعالى : (نزل به الروح الأمين)

(٣) قصرنا : غايتنا ونهاية أمرنا ، تقول : قصرك وقصاراك وقصارى أمرك ، ومعناه غاية أمرك

(٤) البيض ـ بكسر الباء ـ جمع أبيض ، والمراد بها السيوف ، والبيض ـ بفتح فسكون ـ جمع بيضة السلاح

(٥) الملمومة : الكتيبة التى اجتمع بعضها إلى بعض ، والسنور :

جِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسْطَهُ ... أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ (١)
ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةٌ ... ثَلَاثُ مِئِينَ إِنْ كَثُرْنَا فَأَرْبَعُ (٢)
نُغَاوِرُهُمْ تَجْرِي الْمَنِيَّةُ بَيْنَنَا
نُشَارِعُهُمْ حَوْضَ الْمَنَايَا وَنَشْرَعُ (٣)
تَهَادَى قِسِيُّ النَّبْعِ فِينَا وَفِيهِمُ ... وَمَا هُوَ إِلَّا الْيَثْرِبِيُّ الْمُقَطَّعُ (٤)
وَمَنْجُوفَةٌ حِرْمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةٌ
يُذَرُّ عَلَيْهَا السَّمُّ سَاعَةَ تُصْنَعُ (٥)
تَصُوبُ بِأَبْدَانِ الرِّجَالِ وَتَارَةً ... تَمُرُّ بِأَعْرَاضِ الْبِصَارِ تَقَعْقَعُ (٦)

السلاح ، وقوله ، « لا تورع » يروى بالراء المهملة وبالزاى ، فمن رواه بالراء المهملة فعناه لاتكف ، ومن رواه بالزاى فعناه لا يفرقها أحد

(١) الحاسر : الذى لا درع له ولا مغفر ، والمقنع : الذى لبس المغفر على رأسه

(٢) النصية : الخيار من القوم

(٣) نغاورهم : يروى بالغين المعجمة ويروى بالعين المهملة ، فمن رواه بالغين المعجمة فعناه نغير عليهم من الغارة ، ومن رواه بالعين المهملة فعناه نداولهم ، ونشارعهم : نشاربهم ، ونشرع : نشرب ، يريد أنه قد كانت بينهم مغاورات ينتصرون عليهم مرة ويظفرون بهم مرة

(٤) النبع : شجر تصنع منه القسى ، واليثربى : الأوتار المنسوبة إلى يثرب

(٥) المنجوفة : أراد بها سهاما ، وحرمية : منسوبة إلى أهل الحرم ، ويقال : هذا رجل حرمى — بكسر فسكون — إذا كان من أهل الحرم ، وصاعدية : منسوبة إلى صانع اسمه صاعد

(٦) تصوب : تقع ، والبصار — بكسر الباء وتخفيف الصاد — الحجارة اللينة ، يريد أنها تصيب مرة وتخطىء مرة

وَخَيْلٍ تَرَاهَا بِالْفَضَاءِ كَأَنَّهَا جَرَادُ صَبًا فِي قَرَّةٍ يَتَرَبَّعُ (١)
فَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَدَارَتْ بِنَا الرَّحَا
وَلَيْسَ لِأَمْرٍ حَمَّهُ اللهُ مَدْفَعُ (٢)
ضَرَبْنَاهُمُ حَتَّى تَرَكْنَا سَرَاتَهُمْ
كَأَنَّهُمُ بِالْقَاعِ خُشْبٌ مُصَرَّعُ (٣)
لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى اسْتَفَقْنَا عَشِيَّةً كَأَنَّ ذَكَانَا حَرُّ نَارٍ تَلَفَّعُ (٤)
وَرَاحُوا سِرَاعاً مُوجَعِينَ كَأَنَّهُمْ
جَهَامٌ هَرَاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مُقْلِعُ (٥)
وَرُحْنَا وَأُخْرَانَا بِطَاءٌ كَأَنَّنَا أُسُودٌ عَلَى لَحْمٍ بِبِيشَةَ ضُلَّعُ (٦)
فَنِلْنَا وَنَالَ الْقَوْمُ مِنَّا وَرُبَّمَا
فَعَلْنَا وَلَكِنْ مَا لَدَى اللهِ أَوْسَعُ

---

(١) الفضاء : المتسع من الأرض ، والصبا : الريح الشرقية ، والقرة : البرد ، ويتربع : يجيء ويذهب

(٢) رحى الحرب : معظم موضع القتال فيها ، وحمه الله : قدره

(٣) سراتهم : خيارهم ، والقاع : المنخفض من الأرض ، وخشب : أصله بضمتين فسكن الشين اضطراراً

(٤) ذكانا : أراد اشتعال نار حربنا والتهابها ، وتلفع : يشتمل حرها على من دنا منها

(٥) موجعين : يروى بالعين المهملة مبنيا للمجهول من الإيجاع ، وهو الإيلام ، ويروى موجفين ـ بالفاء مبنيا للمعلوم ـ ومعناه مسرعون ، والجهام ـ كسحاب ـ السحاب الرقيق الذى ليس معه مطر ،

(٦) بيشة : اسم موضع تنسب إليه الأسود ، وضلع : جمع ضالع ، وهو من صفة الأسود

وَدَارَتْ رَحَانَا وَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمُ
وقَدْ جَعَلُوا كُلٌّ مِنَ الشَّرِّ يَشْبَعُ
وَنَحْنُ أُنَاسٌ لا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً
عَلَى كُلِّ مَنْ يَحْمِي الذِّمَارَ وَيَمْنَعُ (١)
جِلَادٌ عَلَى رَيْبِ الْحَوَادِثِ لاَ نَرَى
عَلَى هَالِكٍ عَيْناً لَنَا الدَّهْرَ تَدْمَعُ (٢)
بَنُو الْحَرْبِ لاَ نَعْيَا بِشَيْءٍ نَقُولُهُ
وَلاَ نَحْنُ مِمَّا جَرَّتِ الْحَرْبُ نَجْزَعُ
بَنُو الْحَرْبِ إِنْ نَظْفَرْ فَلَسْنَا بِفُحَّشٍ
وَلاَ نَحْنُ مِنْ إِظْفَارِهَا نَتَوَجَّعُ (٣)
وكُنَّا شِهَاباً يَتَّقِي النَّاسُ حَرَّهُ
وَيَفْرُجُ عَنْهُ مَنْ يَلِيهِ وَيَسْفَعُ (٤)
فَخَرْتَ عَلَيَّ ابْنَ الزِّبَعْرَى وَقَدْ سَرَى
لَكُمْ طَلَبٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُتْبِعُ

(١) الذمار ـ ككتاب ـ ما يجب على الرجل أن يحميه

(٢) جلاد : جمع جليد ، وهو الصبور

(٣) فحش ـ بضم الفاء وتشديد الحاء المهملة ـ جمع فاحش ، يريد أنهم إن ظفروا لم يطغهم ظفرهم فيسبوا ويفحشوا أو يمثلوا بقتلاهم كما فعلت قريش في أحد ، وإن ظفر عليهم لم يجزعوا لذلك ؛ لعلمهم أن الدهر يومان يوم لهم ويوم عليهم ، وأن الظفر لا يدوم والهزيمة لا تدوم

(٤) الشهاب : القطعة من النار ، ويسفع : يحرق ويغير اللون ، تقول سفعته النار ، إذا غيرت لونه

فَسَلْ عَنْكَ فى عَلْيَا مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا
مِنَ النَّاسِ مَنْ أَخْزَى مَقَامًا وَأَشْنَعُ
ومَنْ هُوَ لَمْ تَتْرُكْ لَهُ الْحَرْبُ مَفْخَرًا
وَمَنْ خَدُّهُ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ أَضْرَعُ (١)
شَدَدْنَا بِحَوْلِ اللهِ وَالنَّصْرِ شَدَّةً
عَلَيْكُمْ وَأَطْرَافُ الْأَسِنَّةِ شُرَّعُ (٢)

تَكُرُّ الْقَنَا فِيكُمْ كَأَنَّ فُرُوعَهَا ... عَزَالَى مَزَادٍ مَاؤُهَا يَتَهَزَّعُ (٣)
عَمَدْنَا إِلَى أَهْلِ اللِّوَاءِ وَمَنْ يَطِرْ ... بِذِكْرِ اللِّوَاءِ فَهْوَ فى الْحَمْدِ أَسْرَعُ
فَخَانُوا وقَدْ أَعْطَوْا يَدًا وَتَخَاذَلُوا ... أَبَى اللهُ إلاَّ أَمْرَهُ وَهْوَ أَصْنَعُ (٤)

قال ابن هشام : و[قد كان كعب بن مالك قد قال :

* مُجَالِدُنَا عَنْ جِذْمِنَا كُلُّ فَخْمَةٍ (٥) *

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَيَصْلُحُ أَنْ تَقُولَ مُجَالِدُنَا

---

(١) أضرع : ذليل ، يقال : أضرعته الحاجة ، إذا أذلته

(٢) شرع : مائلة للطعن ، يقال : أشرعت الرمح قبله ، إذا أملته إليه لتطعنه به

(٣) الفروع : الطعن المتسع ، والعزالى : جمع عزلاء ، وهى فم المزادة أو السقاء ، ويتهزع : يروى بالراء المهملة وبالزاء الموحدة ، فمن رواه بالراء المهملة فمعناه يتفرغ ويسرع سيلانه ، ومن رواه بالزاى فمعناه يتقطع

(٤) لخانوا : يروى بالحاء المهملة من الحين وهو الهلاك ، ويروى بالخاء المعجمة من الخيانة

(٥) « عن جذمنا » الجذم ـ بكسر فسكون ـ هو الأصل

عَنْ دِينِنَا »؟ فقال كعب : نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فَهُوَ أَحْسَنُ » فقال كعب : مجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا

قال ابن إسحق : وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى فى يوم أحد :

قصيدة أخرى لعبد الله ابن الزبعرى

يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتَ فَقُلْ ... إِنَّمَا تَنْطِقُ شَيْئًا قَدْ فُعِلْ

إِنَّ لِلْخَيْرِ وَلِلشَّرِّ مَدًى ... وَكِلاَ ذَلِكَ وَجْهٌ وَقَبَلْ (١)

وَالْعَطِيَّاتُ خِسَاسٌ بَيْنَهُمْ ... وَسَوَاءٌ قَبْرُ مُثْرٍ ومُقِلْ (٢)

كلُّ عَيْشٍ وَنَعِيمٍ زَائِلٌ ... وَبَنَاتُ الدَّهْرِ يَلْعَبْنَ بِكُلْ (٣)

أَبْلِغَا حَسَّانَ عَنِّى آيَةً ... فَقَرِيضُ الشِّعْرِ يَشْفِى ذَا الْغُلَلْ (٤)

كَمْ تَرَى بِالْجَرِّ مِنْ جُمْجُمَةٍ ... وَأَكُفٍّ قَدْ أُتِرَّتْ وَرِجِلْ (٥)

وَسَرَابِيلَ حِسَانٍ سُرِيَتْ ... عَنْ كُمَاةٍ أُهْلِكُوا فِى الْمُنْتَزَلْ (٦)

---

(١) المدى : الغاية التى يصل إليها ، وقبل - بفتح القاف والباء الموحدة - المقابلة والمواجهة

(٢) خساس : حقيرة ، ومثر : غنى ، اسم فاعل من أثرى ، ومقل : فقير ، وهو اسم فاعل من أقل ، إذا صار ماله قليلا

(٣) بنات الدهر : حوادثه ومصائبه

(٤) الآية : العلامة ، والغلل - بضم ففتح - جمع غلة ، وهى الحرارة والعطش .

(٥) الجر : الجبل ، والجمجمة : أراد بها الرأس ، وأترت - بالبناء للمجهول - قطعت ، والرجل : أصله بكسر فسكون ، فكسر الجيم إتباعا لكسرة الراء

(٦) سريت : جردت ، والكماة : الشجعان ، وأحدهم كمى ، والمنتزل : موضع النزال والحرب

كَمْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ سَيِّدٍ ... مَاجِدِ الْجَدَّيْنِ مِقْدَامٍ بَطَلْ (١)

صَادِقِ النَّجْدَةِ قَرْمٍ بَارِعٍ ... غَيْرِ مُلْتَاثٍ لَدَى وَقْعِ الْأَسَلْ (٢)

فَسَلِ الْمِهْرَاسَ مَا سَاكِنُهُ ... بَيْنَ أَقْحَافٍ وَهَامٍ كَالْحَجَلْ (٣)

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا ... جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلْ

حِينَ حَكَّتْ بِقُبَاءٍ بَرْكَهَا ... وَاسْتَحَرَّ الْقَتْلُ فِي عَبْدِ الْأَشَلْ (٤)

ثُمَّ خَفُّوا عِنْدَ ذَاكُمْ رُقَّصًا ... رَقَصَ الْحَفَّانِ يَعْلُو فِي الْجَبَلْ (٥)

فَقَتَلْنَا الضِّعْفَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ ... وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَدْرٍ فَاعْتَدَلْ

لَا أَلُومُ النَّفْسَ إِلَّا أَنَّنَا ... لَوْ كَرَرْنَا لَفَعَلْنَا الْمُفْتَعَلْ

بِسُيُوفِ الْهِنْدِ تَعْلُو هَامَهُمْ ... عَلَلاً تَعْلُوهُمُ بَعْدَ نَهَلْ (٦)

---

(١) المقدام : الذى يقدم على المكروه لا يباليه ، والبطل : الشجاع

(٢) النجدة : القوة والشجاعة ، والقرم بالفتح الفحل من الابل فى الأصل ثم أطلقوه على الرجل الماجد الكريم ، والبارع : المبرز على غيره ، والملتاث : الضعيف ، والأسل : الرماح

(٣) المهراس – بكسر أوله – ماء بجبل أحد ، والأقحاف : جمع قحف ، وهو – بكسر أوله – العظم فوق الدماغ وما انفلق من الجمجمة ، والهام : جمع هامة ، وهى الرأس ، والحجل – بفتح الحاء والجيم – طائر فى حجم الحمام طيب اللحم

(٤) البرك – بفتح فسكون – الصدر ، واستحر القتل : اشتد ، وعبد الأشل : أراد عبد الأشهل فحذف الهاء

(٥) الرقص : ضرب من المشى السريع ، والحفان – بفتح الحاء وتشديد الفاء – صغار النعام

(٦) النهل – بفتح النون والهاء – الشرب الأول ، والعلل – بوزان

فأجابه حسان بن ثابت [الأنصارى رضى الله عنه] ، فقال :ـــ

حسان بن ثابت يجيب ابن الزبعرى

ذَهَبَتْ بِابْنِ الزِّبَعْرَى وَقْعَةٌ كَانَ مِنَّا الفَضْلُ فِيهَا لَوْ عَدَلْ

وَلَقَدْ نِلْتُمْ وَنِلْنَا مِنْكُمُ
وَكَذَاكَ الحَرْبُ أَحْيَانًا دُوَلْ

نَضَعُ الأَسْيَافَ فِي أَكْتَافِكُمْ
حَيْثُ نَهْوَى عَلَلاً بَعْدَ نَهَلْ (١)

نُخْرِجُ الأَصْبَحَ مِنْ أَسْتَاهِكُمْ
كَسُلَاحِ النِّيبِ يَأْكُلْنَ العَصَلْ (٢)

إِذْ تُوَلُّونَ عَلَى أَعْقَابِكُمْ هَرَبًا فِي الشِّعْبِ أَشْبَاهَ الرَّسَلْ (٣)

إِذْ شَدَدْنَا شَدَّةً صَادِقَةً فَأَجَأْنَاكُمْ إِلَى سَفْحِ الجَبَلْ (٤)

النهل ـــ الشرب الثانى ، وضرب ذلك مثلا لمعاودتهم القتال ورجوعهم إليه

(١) « نضع الأسياف » يروى فى مكانه « نضع الخطى » والأسياف جمع سيف ، والخطى : الرمح المنسوب إلى الخط ، وهو موضع

(٢) « نخرج الأصبح » الأصبح : الذى لونه الصبحة ، وهى سواد إلى الحمرة ، أو هى لون يضرب إلى الشهبة ، أو إلى الصهبة ؛ ويروى « نخرج الأضياح» وهى رواية أبى ذر ؛ والأضياح : جمع ضيح ، وهو اللبن المخلوط بالماء ، والسلاح : بضم السين ، تقول : سلح يسلح سلاحاً ، والنيب : النوق المسان ، والعصل : نبات تأكله الابل فيخرج منها أحمر

(٣) الرسل ـ بفتح الراء والسين ـ الابل المرسلة بعضها فى أثر بعض ؛ ويقال : الرسل : الجماعة من كل شىء

(٤) أجأناكم : ألجأناكم واضطررناكم ؛ ومنه قوله تعالى : « فأجاءها

بِخَنَاطِيلَ كَأَشْدَافِ الْمَلَا مَنْ يُلَاقُوهُ مِنَ النَّاسِ يُهَلْ[١]

ضَاقَ عَنَّا الشِّعْبُ إِذْ نَجْزَعُهُ وَمَلَأْنَا الْفَرْطَ مِنْهُ وَالرِّجَلْ[٢]

بِرِجَالٍ لَسْتُمُ أَمْثَالَهُمْ أُيِّدُوا جِبْرِيلَ نَصْراً فَنَزَلْ[٣]

وَعَلَوْنَا يَوْمَ بَدْرٍ بِالتُّقَى طَاعَةَ اللهِ وَتَصْدِيقَ الرُّسُلْ

وَقَتَلْنَا كُلَّ رَأْسٍ مِنْهُمُ وَقَتَلْنَا كُلَّ جَحْجَاحٍ رِفَلّْ[٤]

وَتَرَكْنَا فِي قُرَيْشٍ عَوْرَةً يَوْمَ بَدْرٍ وَأَحَادِيثَ الْمَثَلْ

وَرَسُولُ اللهِ حَقًّا شَاهِدٌ يَوْمَ بَدْرٍ وَالتَّنَابِيلُ الْهُبَلْ[٥]

المخاض إلى جذع النخلة » أى : ألجأها ، وسفح الجبل : جانبه المقارب لأصله .

(١) الخناطيل : الجماعات وأصلها جماعات الجراد ، وقوله « كأشداف الملا » يروى فى مكانه « كأمذاق الملا » ويروى « كجنان الملا » فأما الأشداف : فمعناه الأشخاص ، وأما الأمذاق : فالأخلاط من الناس ، وأما الجنان فمعناه الجن ، والملا : المتسع من الأرض ، ويهل : مضارع ، أهاله يهيله مبنيا للمجهول ، ومعناه يفزع

(٢) نجزعه : نقطعه ، والفرط : ماعلا وارتفع من الأرض ، والرجل : جمع رجلة ، وهو ما اطمأن من الأرض

(٣) « أيدوا جبريل » قال أبو ذر : « أراد أيدوا بجبريل ، فحذف حرف الجر وعدى الفعل » اه وعليه فهو مبنى للمجهول ، ولو جعلناه مبنيا للمعلوم ولا حذف لم يكن المعنى بعيداً

(٤) الجحجاح : السيد ، وجمعه جحاجيح وجحاجحة ، وجحاجح ، والرفل ـ بكسر الراء وفتح الفاء وتشديد اللام ـ الذى يجر ثوبه خيلاء مأخوذ من قولهم : رفل فى ثوبه ، إذا مشى فيه وهو يجره

(٥) التنابيل : القصار اللئام ، ويروى فى مكانه « والقبائل » وهو جمع

فى قُرَيْشٍ مِنْ جُمُوعٍ جَمَّعُوا
مِثْلَ مَا يُجْمَعُ فى الخِصْبِ الْهَمَلْ (١)
نَحْنُ لاَ أَمْثَالُكُمْ وُلْدَ اسْتِهَا
نَحْضُرُ الْبَأْسَ إِذَا الْبَأْسُ نَزَلْ (٢)

قال ابن هشام : وأنشدنى أبو زيد الأنصارى « وأحاديث المثل » والبيت الذى قبله ، وقوله « فى قريش من جموع جمعوا » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال كعب بن مالك يبكى حمزة بن عبد المطلب وقتلى أحد من المسلمين رضى الله عنهم : —

قصيدة لكعب ابن مالك يرثى حمزة وشهداء أحد

نَشَجْتَ وَهَلْ لَكَ مِنْ مَنْشَجِ
وَكُنْتَ مَتَى تَذَّكِرْ تَلْجَجِ (٣)

تَذَكُّرَ قَوْمٍ أَتَانِى لَهُمْ أَحَادِيثُ فى الزَّمَنِ الْأَعْوَجِ
فَقَلْبُكَ مِنْ ذِكْرِهِمْ خَافِقٌ مِنَ الشَّوْقِ وَالْحُزْنِ الْمُنْضَجِ
وَقَتْلاَهُمُ فِى جِنَانِ النَّعِيمِ كِرَامُ الْمَدَاخِلِ وَالْمَخْرَجِ

قبيلة ، والمراد بها هنا القطعة من الخيل ، والهبل : يروى بضمتين وبفتحتين وبضم ففتح كصرد ، فمن رواه بضم الهاء والباء فمعناه الذين ثقلوا لكثرة اللحم عليهم ، تقول : رجل مهبل ، إذا كثر لحمه ، ومن رواه بفتح الهاء والباء أو بضم ففتح فهو من الثكل . يقال : هبلته أمه ، إذا ثكلته

(١) الهمل : الابل المهملة ، وهى التى ترسل فى المرعى دون راع

(٢) ولد بضم فسكون — جمع ولد بفتحتين ، مثل أسد وأسد

(٣) نشجت : بكيت ، والنشيج : البكاء مع صوت متردد ، وتلجج ، هو من اللجج ، وهو التمادى فى الشىء والاقامة عليه

بِمَا صَبَرُوا تَحْتَ ظِلِّ اللِّوَاءِ

لِوَاءِ الرَّسُولِ بِذِي الْأَضْوُجِ (١)

غَدَاةَ أَجَابَتْ بِأَسْيَافِهَا جَمِيعاً بَنُو الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ

وَأَشْيَاعُ أَحْمَدَ إِذْ شَايَعُوا عَلَى الْحَقِّ ذِي النُّورِ وَالْمَنْهَجِ (٢)

فَمَا بَرِحُوا يَضْرِبُونَ الْكُمَاةَ

وَيَمْضُونَ فِي الْقَسْطَلِ الْمُرْهِجِ (٣)

كَذَلِكَ حَتَّى دَعَاهُمْ مَلِيكٌ إِلَى جَنَّةٍ دَوْحَةِ الْمَوْلِجِ (٤)

فَكُلُّهُمُ مَاتَ حُرَّ الْبَلَاءِ عَلَى مِلَّةِ اللهِ لَمْ يَحْرَجِ (٥)

---

(١) الأضوج ـ بضم الواو ـ جمع ضوج، وهو جانب الوادي، وقد جاء بالأضوج كما جاء بالأنور عمر بن أبي ربيعة المخزومي في قوله: —

* مَصَابِيحُ شُبَّتْ فِي الْعِشَاءِ وَأَنْوُرُ *

وكما قالوا: أثوب، وأسيف، وأعين، ونحو ذلك مما عينه حرف علة، وقياسه أضواج، وأنوار، وأثواب، وأسياف، وأعيان. ويروى «بذي الأضوج» بفتح الواو، فهو على ذلك اسم مكان

(٢) شايعوا: تابعوا وكانوا شيعة وتبعا، والمنهج: الطريق الواضح

(٣) الكماة: الشجعان وأحدهم كمي، والقسطل: الغبار، والمرهج: الذي ثار حتى علا وارتفع في الجو

(٤) الدوحة: الكثيرة الأغصان، والمولج: المدخل، تقول: ولج في البيت: إذا دخله، وأراد هنا أنها كثيرة الأبواب

(٥) «لم يحرج» معناه لم يأثم

كَحَمْزَةَ لَمَّا وَفَى صَادِقًا بِذِى هَبَّةٍ صَارِمٍ سَلْجَجِ (١)
فَلاَقَاهُ عَبْدُ بَنِى نَوْفَلٍ يُبَرْبِرُ كَالْجَمَلِ الْأَدْعَجِ (٢)
فَأَوْجَرَهُ حَرْبَةً كَالشِّهَابِ تَلَهَّبُ فِى اللَّهَبِ الْمُوهَجِ (٣)
وَنُعْمَانُ أَوْفَى بِمِيثَاقِهِ وَحَنْظَلَةُ الْخَيْرِ لَمْ يُحْنَجِ (٤)
عَنِ الْحَقِّ حَتَّى غَدَتْ رُوحُهُ إِلَى مَنْزِلٍ فَاخِرِ الزِّبْرِجِ (٥)
أُولَئِكَ لاَمَنْ ثَوَى مِنْكُمُ مِنَ النَّارِ فِى الدَّرَكِ الْمُرْتَجِ (٦)

فأجابه ضرار بن الخطاب الفهرى [فقال] :

ضرار بن الخطاب الفهرى رد على كعب ابن مالك

أَيَجْزَعُ كَعْبٌ لِأَشْيَاعِهِ وَيَبْكِى مِنَ الزَّمَنِ الْأَعْوَجِ (٧)
عَجِيجَ الْمُذَكِّى رَأَى إِلْفَهُ تَرَوَّحَ فِى صَادِرٍ مُحْنَجِ (٨)

---

(١) بذى هبة : أراد به سيفا ، وهبة السيف : وقوعه بالعظم ، والصارم القاطع ، وسلجج : مرهف حاد قاطع

(٢) أراد بعبد بنى نوفل وحشيا غلام جبير بن مطعم الذى قتل حمزة رضى الله عنه ، ويبربر : يتكلم بما لا يفهم ، والجمل الأدعج : الأسود

(٣) أوجره : طعنه فى صدره ، والشهاب : القطعة من النار ، والموهج : المتقد

(٤) لم يحنج : لم يصرف عن وجهه الذى أراد من الحق ، وتقول : حنجت الشىء ، إذا أملته عن وجهه

(٥) الزبرج : الوشى ، وهو أيضا الذهب

(٦) المرتج : المغلق ، تقول : أرتجت الباب ، إذا أغلقته

(٧) أشياعه : أتباعه

(٨) العجيج : الصوت ، والمذكى : المسن من الابل ، وأكثر ما يقال

فَرَاحَ الرَّوَايَا وغَادَرْنَهُ يُعَجْعِجُ قَسْرًا وَلَمْ يُحْدَجِ (١)
فَقُولاَ لِكَعْبٍ يُثَنِّي الْبُكَا وَلِلنِّيءِ مِنْ لَحْمِهِ يَنْضَجِ
لِمَصْرَعِ إخْــوَانِهِ فِى مَــكَرٍّ
مِنَ الْخَيْلِ ذِى قَسْطَلٍ مُرْهِجِ (٢)
فَيَالَيْتَ عَمْرًا وَأَشْيَاعَهُ وَعُتْبَةَ فِى جَمْعِنَا السَّوْرَجِ (٣)
فَيَشْــفُوا النُّفُوسَ بِأَوْتَارِهَا
بِقَتْلَى أُصِيبَتْ مِنَ الْخَزْرَجِ (٤)
وَقَتْلَى مِنَ الْأَوْسِ فِى مَعْرَكٍ
أُصِيبُوا جَمِيعًا بِذِى الْأَضْوُجِ (٥)
وَمَقْتَلِ حَمْزَةَ تَحْتَ اللِّوَاءِ بِمُطَّرِدٍ مَارِنٍ مُخْلَجِ (٦)

فى الخيل ، والصادر : اسم للجماعة الصادرة عن الماء : أى : الراجعة عنه ، والمحنج : المصروف عن وجهه

(١) الروايا : الابل التى تحمل الماء ، وغادرنه : تركنه ، ويعجعج : يصوت ، وقسرا : قهرا ، ولم يحدج : لم يجعل عليه الحدج ، والحدج ـ بكسر فسكون ـ مركب من مراكب النساء

(٢) القسطل : الغبار ، ومرهج : مرتفع ثائر

(٣) السورج : المتوقد

(٤) الأوتار : جمع وتر ، وهو طلب الثأر

(٥) المعرك : موضع الحرب ، وقوله « بذى الأضوج » تقدم القول فيه مستوفى فى قصيدة كعب التى ينقضها ضرار

(٦) المطرد : الذى يهتز ، وأراد به رمحا ، والمارن : اللين ، والمخلج : الذى يطعن بسرعة

وَحَيْثُ انْثَنَى مُصْعَبٌ ثَاوِيًا … بِضَرْبَةِ ذِي هَبَّةٍ سَلْجَجِ (١)

بِأُحْدٍ وَأَسْيَافُنَا فِيهِمُ … تَلَهَّبُ كَاللَّهَبِ الْمُوهَجِ

غَدَاةَ لَقِينَاكُمُ فِي الْحَدِيدِ … كَأُسْدِ الْبَرَاحِ فَلَمْ نُعْنَجِ (٢)

بِكُلِّ مُجَلَّحَةٍ كَالْعُقَابِ … وَأَجْرَدَ ذِي مَيْعَةٍ مُسْرَجِ (٣)

فَدُسْنَاهُمُ ثَمَّ حَتَّى انْثَنَوْا … سِوَى زَاهِقِ النَّفْسِ أَوْ مُحْرَجِ (٤)

قال ابن هشام : و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار ، وقول كعب « ذى النور والمنهج » عن أبى زيد الأنصارى

قال ابن إسحق : وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى فى يوم أحد [يبكى الْقَتْلَى] : —

قصيدة لعبدالله بن الزبعرى يرثى فيها قتلى أحد من المشركين

أَلَا ذَرَفَتْ مِنْ مُقْلَتَيْكَ دُمُوعُ … وَقَدْ بَانَ مِنْ حَبْلِ الشَّبَابِ قُطُوعُ (٥)

---

(١) ذى هبة : أراد به السيف ، وقد مضى بيان أصله فى كلمة كعب ابن مالك ، وسلجج : هو المرهف الحاد القاطع

(٢) البراح : المتسع من الأرض ، وقوله « لم نعنج » معناه لم يصرفنا أحد ، ولم يكفنا عما أردناه بكم ، تقول : عنجت البعير ، إذا كففته بخطامه

(٣) المجلحة : يروى بجيم فلام لحاء مهملة ، ويروى محجلة — بحاء مهملة لجيم فلام — فعلى الأول معناه المصممة ، وعلى الثانى هو من التحجيل ، وهو بياض فى قوائم الفرس ، والمراد على الروايتين فرس سريعة ، والأجرد : الفرس العتيق ، والميعة — بفتح الميم وسكون الياء — النشاط والحدة

(٤) دسناهم : وطئناهم ، والمحرج : الذى ضيقت عليه الأمور

(٥) ذرفت : سالت ، تقول : ذرفت عينه ؛ إذا سال دمعها ، وبان : ظهر

وَشَطَّ بِمَنْ تَهْوَى الْمَزَارُ وَفَرَّقَتْ
نَوَى الْحَيِّ دَارٌ بِالْحَبِيبِ فَجُوعُ (١)
ولَيْسَ لِمَا وَلَّى عَلَى ذِى حَرَارَةٍ
وَإِنْ طَالَ تَذْرَافُ الدُّمُوعِ رُجُوعُ (٢)
فَذَرْ ذَا ، ولَكِنْ هَلْ أَتَى أُمَّ مَالِكٍ
أَحَادِيثُ قَوْمِى والْحَدِيثُ يَشِيعُ (٣)
وَمَجْنَبُنَا جُرْداً إِلَى أَهْلِ يَثْرِبٍ عَنَاجِيجَ مِنْهَا مُتْلَدٌ وَنَزِيعُ (٤)
عَشِيَّةَ سِرْنَا فِى لُهَامٍ يَقُودُنَا
ضَرُورُ الْأَعَادِى لِلصَّدِيقِ نَفُوعُ (٥)
نَشُدُّ عَلَيْنَا كُلَّ زَغْفٍ كَأَنَّهَا
غَدِيرٌ بِضَوْجِ الْوَادِ يَيْنِ نَقِيعُ (٦)

---

(١) شط : بعد ؛ والمزار : الزيارة ، والنوى : الفراق والبعد ، وفجوع : صيغة مبالغة من الفجيعة

(٢) رجوع : هو اسم ليس فى أول البيت وخبرها الجار والمجرور ، والجملة الشرطية اعتراض بين ليس واسمها

(٣) ذر : دع واترك ، وفى بعض النسخ « فذرنا » ونظنه تحريفا ؛ والحديث يشيع : أى ينشوو ينتشر

(٤) مجنبنا : مصدر ميمى من قولهم : جنبت الفرس ، إذا قدتها ولم تركبها ، والجرد : جمع أجرد ، وهو العتيق من الخيل ، والعناجيج : الطوال الحسان : واحدها عنجوج ، والمتلد : الذى ولد عندك ، والنزيع : الغريب

(٥) اللهام : الجيش الكثير العدد ، وضرور : صيغة مبالغة من الضر ، ونفوع : صيغة مبالغة أيضا من النفع

(٦) الزغف : الدرع اللينة ، والضوج ـ بفتح فسكون ـ جانب الوادى ،

فَلَمَّا رَأَوْنَا خَالَطَتْهُمْ مَهَابَةٌ ... وَعَايَنَهُمْ أَمْرٌ هُنَاكَ فَظِيعُ
وَوَدُّوا لَوَ اَنَّ الْأَرْضَ يَنْشَقُّ ظَهْرُهَا
بِهِمْ وَصَبُورُ الْقَوْمِ ثَمَّ جَزُوعُ
وقَدْ عُرِّيَتْ بِيضٌ كَأَنَّ وَمِيضَهَا
حَرِيقٌ تَرَقَّى فِي الْأَبَاءِ سَرِيعُ (١)
بِأَيْمَانِنَا نَعْلُو بِهَا كُلَّ هَامَةٍ ... وَمِنْهَا سِمَامٌ لِلْعَدُوِّ ذَرِيعُ (٢)
فَغَادَرْنَ قَتْلَى الْأَوْسِ عَاصِبَةً بِهِمْ
ضِبَاعٌ وَطَيْرٌ يَعْتَفِينَ وُقُوعُ (٣)
وَجَمْعُ بَنِي النَّجَّارِ فِي كُلِّ تَلْعَةٍ ... بِأَبْدَانِهِمْ مِنْ وَقْعِهِنَّ نَجِيعُ (٤)
وَلَوْلَا عُلُوُّ الشِّعْبِ غَادَرْنَ أَحْمَداً ... وَلٰكِنْ عَلَا وَالسَّمْهَرِيُّ شَرُوعُ (٥)
كَمَا غَادَرَتْ فِي الْكَرِّ حَمْزَةَ ثَاوِياً
وَفِي صَدْرِهِ مَاضِي الشَّبَاةِ وَقِيعُ (٦)

---

(١) الوميض : الضوء ، والأباء : الآجمة الملتفة الأغصان

(٢) ذريع : سريع القتل لايبقى على شاربه

(٣) عاصبة بهم : لاصقة بهم مجتمعة عليهم ؛ وضباع : ضرب من السباع ، واحدها ضبع ، مثل سبع وسباع ، ويعتفين : يطلبن رزقهن ، تقول : اعتفى وعفى ؛ إذاطلب ، والعافى والمعتفى : طالب الرزق

(٤) التلعة ـ بفتح التاء المثناة وسكون اللام ـ الماء فى أعلى الوادى ، والنجيع : الدم

(٥) الشعب: الطريق فى الجبل ؛ والسمهرى : الرمح ، وشروع: مائل للطعن

(٦) شباة كل شيء ـ بفتح الشين وتخفيف الباء ـ حده ، ووقيع : محدد

وَنُعْمَانَ قَدْ غَادَرْنَ تَحْتَ لِوَائِهِ عَلَى لَحْمِهِ طَيْرٌ يَجِفْنَ وُقُوعُ (١)

بِأُحْدٍ وَأَرْمَاحُ الْكُمَاةِ يَرُدْنَهُمْ

كَمَا غَالَ أَشْطَانَ الدِّلَاءِ نُزُوعُ (٢)

فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه ، فقال : —

قصيدة لحسان ابن ثابت ، يرد بها على ابن الزبعرى

أَشَاقَكَ مِنْ أُمِّ الْوَلِيدِ رُبُوعُ بَلَاقِـعُ مَامِنْ أَهْلِهِنَّ جَمِيعُ (٣)

عَفَاهُنَّ صَيْفِيُّ الرِّيَاحِ وَوَاكِفٌ

مِنَ الدَّلْوِ رَجَّافُ السَّحَابِ هَمُوعُ (٤)

---

(١) يجفن : تروى هذه الكلمة بثلاث روايات . أولاها « يحفن » بحاء مهملة مكسورة وبعدها فاء — ومعناه أنهن وقعن على لحمه فلا يغادرنه ، تقول : وحف يحف — كوعد يعد — إذا قصده ودنا منه ، وهم يقولون : ناقة ميحاف ، إذا كانت لا تفارق مبركها . والرواية الثانية «يجفن» بجيم بعدها فاء — ومعناه يدخلن جوفه أو يطلبن مافى جوفه ، والثالثة « يحمن » بحاء مهملة مضمومة بعدها ميم . ومعناه يستدرن حوله

(٢) الكماة : الشجعان ، واحدهم كمى ، وغال : أهلك ، والأشطان الحبال . واحدها شطن ، مثل سبب وأسباب وبطل وأبطال ، والدلاء — بكسر الدال — جمع دلو ، ونزوع : يروى بضم النون وبفتحها ، فمن رواه بضم النون فهو مصدر نزع الدلو من البئر ، إذا جذبها ، ومن رواه بفتح النون فهو فعول بمعنى فاعل من ذلك

(٣) ربوع : جمع ربع ، وهو المنزل ، وبلاقع : جمع بلقع ، وهو القفر الخالى ، وجميع : مجتمع مؤتلف

(٤) عفاهن : غيرهن ودرس جدتهن ، والواكف : المطر السائل . وقوله « من الدلو » أراد به نجم الدلو . ورجاف : متحرك شديد الصوت ، وهموع : سائل كثير السيلان

فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَوْقِدُ النَّارِ حَوْلَهُ
رَوَاكِدُ أَمْثَالُ الْحَمَامِ كُنُوعُ (١)
فَدَعْ ذِكْرَ دَارٍ بَدَّدَتْ بَيْنَ أَهْلِهَا
نَوًى لِمَتِينَاتِ الْحِبَالِ قَطُوعُ (٢)
وَقُلْ إِنْ يَكُنْ يَوْمٌ بِأُحْدٍ يَعُدُّهُ
سَفِيهٌ فَإِنَّ الْحَقَّ سَوْفَ يَشِيعُ (٣)
فَقَدْ صَابَرَتْ فِيهِ بَنُو الْأَوْسِ كُلُّهُمْ
وَكَانَ لَهُمْ ذِكْرٌ هُنَاكَ رَفِيعُ
وَحَامَى بَنُو النَّجَّارِ فِيهِ وَصَابَرُوا وَمَا كَانَ مِنْهُمْ فِي اللِّقَاءِ جَزُوعُ
أَمَامَ رَسُولِ اللهِ لاَ يَخْذُلُونَهُ لَهُمْ نَاصِرٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَشَفِيعُ
وَفَوْا إِذْ كَفَرْتُمْ يَاسَخِينَ بِرَبِّكُمْ
وَلاَ يَسْتَوِي عَبْدٌ وَفِيٌّ وَمُضِيعُ (٤)

---

(١) رواكد : جمع راكد وهى الثابتة ، وأراد بالرواكد الأثافى ، وهى الحجارة التى كانوا ينصبونها لوضع القدور عليها ، وكنوع : أى لاصقة بالأرض

(٢) والنوى : البعد ، ومتينات الحبال : الغليظ الشديد منها ، وقطوع : شديدة القطع ، وأراد هنا بالحبال الوصال والاجتماع بين الأهل والمحبين

(٣) يشيع : يفشو أمره وينتشر ذكره وينبه شأنه

(٤) « ياسخين » أراد « ياسخينة » فرخم بحذف التاء ، وأصل السخينة حساء يتخذ من الدقيق ، وكانت قريش فى الجاهلية تنبز بذلك لمداومتهم على شرب السخينة ، وفى ذلك يقول حسان أيضا : —

زَعَمَتْ سَخِينَةُ أَنْ سَتَغْلِبُ رَبَّهَا وَلَيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الْغَلاَّبِ

بِأَيْدِيهِمْ بِيضٌ إِذَا حَمِشَ الْوَغَى
فَلاَ بُدَّ أَنْ يَرْدَى لَهُنَّ صَرِيعُ (١)
كَمَا غَادَرَتْ فِي النَّقْعِ عُتْبَةَ ثَاوِيًا
وَسَعْدًا صَرِيعًا وَالْوَشِيجُ شُرُوعُ (٢)
وَقَدْ غَادَرَتْ تَحْتَ الْعَجَاجَةِ مُسْنَدًا
أُبَيًّا وَقَدْ بَلَّ الْقَمِيصَ نَجِيعُ (٣)
بِكَفِّ رَسُولِ اللهِ حَيْثُ تَنَصَّبَتْ
عَلَى الْقَوْمِ مِمَّا قَدْ يُثِرْنَ نُقُوعُ (٤)
أُولَئِكَ قَوْمٌ سَادَةٌ مِنْ فُرُوعِكُمْ
وَفِي كُلِّ قَوْمٍ سَادَةٌ وَفُرُوعُ
بِهِنَّ نُعِزُّ اللهَ حَتَّى يُعِزَّنَا   وَإِنْ كَانَ أَمْرٌ يَاسَخِينَ فَظِيعُ (٥)
فَلاَ تَذْكُرُوا قَتْلَى وَحَمْزَةُ فِيهِمُ   قَتِيلٌ ثَوَى لِلهِ وَهْوَ مُطِيعُ
فَإِنَّ جِنَانَ الْخُلْدِ مَنْزِلَةٌ لَهُ   وَأَمْرُ الَّذِي يَقْضِي الْأُمُورَ سَرِيعُ

---

(١) حمش : اشتد وقوى ، والوغى : الحرب ، ويردى : يهلك، تقول : ردى يردى - كرضى يرضى - إذا هلك

(٢) غادرت : تركت ، والنقع : الغبار ، وثاويا : مقيما ، ويروى تاويا - بالتاء المثناة - أى هالكا ، والوشيج : الرماح ، وشروع : مائلة للطعن

(٣) العجاجة : الغبرة والتراب الثائر ، والنجيع : الدم

(٤) النقوع : جمع نقع ، وهو الغبار

(٥) « ياسخين » قد مضى تفسير هذه الكلمة قريبا جداً ، والفظيع : الثقيل الكريه

بِقَتْلَاكُمُ فى النَّارِ أَفْضَلُ رِزْقِهِمْ ... حَمِيمٌ مَعًا فى جَوْفِهَا وضَرِيعُ (١)

قال ابن هشام: و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان وابن الزبعرى، وقوله «ماضى الشباة» «وطير يحفن» عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق: وقال عَمْرو بن العاص [في] يوم أحد: —

قصيدة لعمرو بن العاص فى يوم أحد

خَرَجْنَا مِنَ الْفَيْفَا عَلَيْهِمْ كَأَنَّنَا
مَعَ الصُّبْحِ مِنْ رَضْوَى الْحَبِيكُ الْمُنَطَّقُ (٢)

تَمَنَّتْ بَنُو النَّجَّارِ جَهْلاً لِقَاءَنَا
لَدَى جَنْبِ سَلْعٍ وَالْأَمَانِيُّ تَصْدُقُ (٣)

فَمَا رَاعَهُمْ بِالشَّرِّ إِلاَّ فُجَاءَةً
كَرَادِيسُ خَيْلٍ فى الْأَزِقَّةِ تَمْرُقُ (٤)

أَرَادُوا لِكَيْمَا يَسْتَبِيحُوا قِبَابَنَا
وَدُونَ الْقِبَابِ الْيَوْمَ ضَرْبٌ مُحَرِّقُ

---

(١) الحميم: الحار، والضريع: نبات أخضر يرمى به البحر

(٢) الفيفا: الأرض القفر التى لا تنبت شيئا وأصله ممدود. وقد قصره هنا حين اضطر إلى ذلك. ورضوى: اسم جبل، والحبيك: الذى فيه طرائق، والمنطق: المحزم الشديد

(٣) سلع - بفتح فسكون - اسم جبل، وقال الأزهرى: سلع: موضع قريب من المدينة

(٤) الكراديس: جماعات الخيل، وتمرق: تخرج كما يمرق السهم من الرمية

وَكَانَتْ قِبَابًا أُومِنَت قَبْلَ مَا تَرَى
إِذَا رَامَهَا قَوْمٌ أُبِيحُوا وَأُحْنِقوا (١)

كَأَنَّ رُءوسُ الْخَزْرَجِيِّينَ غُـــدْوَةً
وَأَيمَانَهُمْ بِالْمَشْرَفِيَّـــةِ بَرْوَقُ (٢)

فأجابه كعب بن مالك — فيما ذكر ابن هشام — فقال : —

كلمة لكعب بن مالك يجيب بها عمرو بن العاص

أَلاَ أَبْلِغَا فِهْرًا عَلَى نَأْيِ دَارِهَا
وَعِنْدَهُمُ مِنْ عِلْمِنَا الْيَوْمَ مَصْدَقُ

بِأَنَّا غَدَاةَ السَّفْحِ مِنْ بَطْنِ يَثْرِبِ
صَبَرْنَا وَرَايَاتُ الْمَنِيَّةِ تَخْفِقُ (٣)

صَبَرْنَا لَهُمْ وَالصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةٌ
إِذَا طَارَتِ الْأَبْرَامُ نَسْمُو وَنَرْتَقُ (٤)

عَلَى عَادَةٍ تِلْكُمْ جَرَيْنَا بِصَبْرِنَا
وَقِدْمًا لَدَى الْغَايَاتِ نَجْرِى فَنَسْبِقُ

---

(١) أحنقوا — بالبناء للمجهول — فعل بهم مايغيظهم ويغضبهم ، يريد أنهم أعزة لايقدر أحد عليهم

(٢) البروق — بوزان جعفر — نبات له أصول يشبه البصل ، يريد أنهم ضعاف ، ويروى البيت هكذا : —

كَأَنَّ رُءوسَ الْخَزْرَجِيِّينَ غُدْوَةً لَدَى جَنْبِ سَلْعٍ حَنْظَلٌ مُتَفَلِّقُ

وفى بعض النسخ ذكر بيتين صدر كل منهما هو صدر هذا البيت ، وعجز أولهما هذا الذى ذكرناه وعجز الثانى هو الذى أثبتناه فى الأصل

(٣) السفح : جانب الجبل ، وتخفق : تضطرب من مكان إلى مكان

(٤) السجية : الطبيعة والخليقة والعادة ، والأبرام : جمع برم وهو فى

لَنَا حَوْمَةٌ لَا تُسْتَطَاعُ يَقُودُهَا
نَبِيٌّ أَتَى بِالْحَقِّ عَفٌّ مُصَدَّقُ (١)

أَلَا هَلْ أَتَى أَفْنَاءَ فِهْرِ بْنِ مَالِكٍ
مُقَطَّعُ أَطْرَافٍ وَهَامٌ مُفَلَّقُ (٢)

قال ابن إسحق : وقال ضرار بن الخطاب : —

كلمة أخرى لضرار ابن الخطاب الفهرى يوم أحد

إِنِّى وَجَدِّكَ لَوْلَا مُقْدَمِى فَرَسِى
إِذْ جَالَتِ الْخَيْلُ بَيْنَ الْجِزْعِ وَالْقَاعِ (٣)

مَازَالَ مِنْكُمْ بِجَنْبِ الْجِزْعِ مِنْ أُحُدٍ
أَصْوَاتُ هَامٍ تَزَاقَى أَمْرُهَا شَاعِى (٤)

الأصل الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر لبخله ولؤمه ودناءته ؛ ثم استعمل فى اللئيم الدنىء ، ونسمو : نرتفع ونعلو ، ونرتق : نسد ونصلح

(١) الحومة : الجماعة ، وقوله « لاتستطاع » أى : لايتمكن منها أحد لشجاعتها وتماسكها ، وعف : عفيف

(٢) الأفناء : القبائل المختلطة ، ومقطع : مصدر ميمى بمعنى التقطيع ، والهام : جمع هامة ، وهى الرأس

(٣) الجزع : منعطف الوادى ، والقاع : المنخفض من الأرض

(٤) الهام : جمع هامة ، وهى ههنا الطائر الذى تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل فلا يزال يصيح قائلا « اسقونى » حتى يأخذوا بثأره ، وقوله « تزاقى » أى تصيح ، والزقاء ـ بضم أوله ـ صوت الديكة وشبهها ، وقوله « شاع » أراد شائعا ، فقدمت العين على الهمزة ، ثم قلبت الهمزة ياء لتطرفها بعد كسرة ، ثم حذفت هذه الياء كما تحذفها فى نحو قاض . فوزنه فال ؛ ومثله كثير نحو نال وصات وقال من القول وهاع ولاع

وَفَارِسٌ قَدْ أَصَابَ السَّيْفُ مَفْرِقَهُ
أفْلَاقُ هَامَتِهِ كَفَرْوَةِ الرَّاعِي (١)
إِنِّي وَجَدِّكَ لاَ أَنْفَكُّ مُنْتَطِقًا
بِصَارِمٍ مِثْلِ لَوْنِ الْمِلْحِ قَطَّاعِ (٢)
عَلَى رِحَالَةِ مِلْوَاحٍ مُثَابِرَةٍ
نَحْوَ الصَّرِيخِ إِذَا مَاثَوَّبَ الدَّاعِي (٣)
وَمَا انْتَمَيْتُ إِلَى خُورٍ وَلاَ كُشُفٍ
وَلاَ لِئَامٍ غَدَاةَ الْبَأْسِ أَوْرَاعِ (٤)
بَلْ ضَارِبِينَ حَبِيكَ الْبِيضِ إِذْ لَحِقُوا
شُمِّ الْعَرَانِينَ عِنْدَ الْمَوْتِ لُذَّاعِ (٥)

---

(١) المفرق : حيث يتفرق الشعر فوق الجبهة . وقوله « كفروة الراعى » يروى بالفاء وبالقاف ؛ فمن رواه بالفاء فهو الفروة المعروفة ، ومن رواه بالقاف فانما عنى به إناء من خشب يحمله الراعى معه

(٢) منتطقا : أى محتزما ، والصارم : السيف القاطع النافذ ، وقوله « مثل لون الملح » يريد أبيض

(٣) الرحالة : السرج ، والملواح : الفرس الشديدة التى ضمر لحمها ، ومثابرة : متابعة ، والصريخ : الاستغاثة ، وثوب : رجع وأعاد وكرر

(٤) الخور : جمع أخور ، وهو الضعيف الجبان ، والكشف : جمع أكشف ، وهو الذى لا ترس له فى الحرب ، وكان أصله بضم فسكون ، ولكنه ضم الشين إتباعا لضمة الكاف ، الأوراع : جمع ورع ، وهو الجبان ، ويروى « أوزاع » بالزاى ومعناه المتفرقون

(٥) الحبيك : الأبيض الطرائق ، والشم : جمع أشم ، وهو المرتفع ، والعرانين : جمع عرنين — بكسر أوله وسكون ثانيه — وهو الأنف ، وهم يكنون بذلك عن العزة ، ولذاع : جمع لاذع

شُمٍّ بَهَالِيلَ مُسْتَرْخٍ حَمَائِلُهُمْ
يَسْعَوْنَ لِلْمَوْتِ سَعْياً غَيْرَ دَعْدَاعِ (١)

وقال ضرار بن الخطاب أيضا : —

كلمة أخرى لضرار ابن الخطاب الفهرى فى يوم أحد

لَمَّا أَتَتْ مِنْ بَنِي كَعْبٍ مُزَيَّنَةٌ
وَالْخَزْرَجِيَّةُ فِيهَا الْبِيضُ تَأْتَلِقُ (٢)

وَجَرَّدُوا مَشْرَفِيَّاتٍ مُهَنَّدَةً
وَرَايَةً كَجَنَاحِ النَّسْرِ تَخْتَفِقُ (٣)

فَقُلْتُ يَوْمٌ بِأَيَّامٍ وَمَعْرَكَةٌ
تُنْبِي لِمَا خَلْفَهَا مَاهُزْهِزَ الْوَرَقُ (٤)

---

(١) بهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد الماجد ، وقوله « مسترخ حمائلهم » كناية عن طول قامتهم ، وأراد بالحمائل حمائل السيوف ، واسترخاؤها طولها ، وهم يكنون عن طول القامة بطول حمالة السيف ، والدعداع ـ بالدال المهملة ـ الضعيف ، يريد أنهم شجعان يسيرون للموت بخطى واسعة لا يهابونه

(٢) مزينة : أراد بها كتيبة فيها ألوان من السلاح ، وكأنهم تزينوا بسلاحهم ، وتأتلق : تضىء وتلمع

(٣) المشرفيات : السيوف ، وذلك لأنها كانت تصنع فى مشارف الشام وهى قرى من قراه ، وتختفق : تضطرب وتتحرك من مكان إلى مكان

(٤) يوم بأيام : هذا اليوم بالذى كان قبله ، والمعركة : مكان القتال ، وقوله « تنبى » أراد « تنبىء » ولكنه خفف الهمزة بقلبها ياء ، ويروى « ثنيا » ومعناه ثانية على أولى ، وقوله « ماهزهز » يروى بالبناء للمعلوم ومعناه تحرك ، ويروى بالبناء للمجهول ومعناه حرك ، فهو متعد ولازم ، وفى الحديث « ماتهزهزت رؤسكما » أى ما تحركت

قَدْ عُوِّدُوا كُلَّ يَوْمٍ أنْ تَكُونَ لَهُمْ
رِيحُ القِتَالِ وَأَسْلاَبُ الَّذِينَ لَقُوا (١)

خَبَّرْتُ نَفْسِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ وجَلٍ
مِنْهَا وَأَيْقَنْتُ أَنَّ المَجْدَ مُسْتَبَقُ (٢)

أَكْرَهْتُ مُهْرِى حَتَّى خَاضَ غَمْرَتَهُمْ
وَبِهِ مِنْ نَجِيعٍ عَانِكٍ عَلَقُ (٣)

فَظَلَّ مُهْرِى وَسِرْبَالِى جَسِيدُهُمَا
نَفْخُ العُرُوقِ رَشَاشُ الطَّعْنِ وَالوَرَقُ (٤)

أَيْقَنْتُ أَنِّى مُقِيمٌ فِى دِيَارِهِمُ
حَتَّى يُفَارِقَ مَافِى جَوْفِهِ الحَدَقُ (٥)

---

(١) الأسلاب : جمع سلب ، وهو ما يأخذه القاتل من ثياب القتيل وسلاحه وسائر عدته

(٢) الوجل — محركا — الخوف والفزع ، ومستبق : مكان استباق يتنافس فيه الشجعان

(٣) غمرتهم : جماعتهم ، والنجيع : الدم ، والعانك : الأحمر ، ويروى « عاند » بالدال المهملة — ومعناه الدائم السيلان الذى لاينقطع ، والعلق : اسم من أسماء الدم

(٤) جسيدهما : المراد به هنا لونهما ، وقوله « نفح العروق » يروى بالحاء المهملة ، ومعناه ماترمى به العروق من الدم ، ويروى بالخاء المعجمة ، وهو معلوم ، والورق : الدم المنقطع . ويروى فى مكانه « العرق »

(٥) الحدق : جمع حدقة ، وهى سواد العين

لاَ تَجْزَعُوا يَا بَنِي مَخْزُومَ إِنَّ لَكُمْ
مِثْلَ الْمُغِيرَةِ فِيكُمْ مَابِهِ رَهَقُ (١)

صَبْراً فِدًى لَكُمُ أُمِّي وَمَا وَلَدَتْ
تَعَاوَرُوا الضَّرْبَ حَتَّى يُدْبِرَ الشَّفَقُ (٢)

وقال عمرو بن العاص :

قصيدة لعمرو بن العاص في يوم أحد

لَمَّا رَأَيْتُ الْحَرْبَ يَنْـ * ـزُو شَرُّهَا بِالرَّضْفِ نَزْوَا (٣)
وَتَنَاوَلَتْ شَهْبَاءُ تَلْـ * ـحُو النَّاسَ بِالضَّرَّاءِ لَحْوَا (٤)
أَيْقَنْتُ أَنَّ الْمَوْتَ حَـ * ـقٌّ وَالْحَيَاةُ تَكُونُ لَغْوَا
حَمَّلْتُ أَثْوَابِي عَلَى * عَتَدٍ يَبُذُّ الْخَيْلَ رَهْوَا (٥)
سَلِسٍ إِذَا نَكَّبْنَ فِي الْـ * ـبَيْدَاءِ يَعْلُو الطَّرْفَ عُلْوَا (٦)
وَإِذَا تَنَزَّلَ مَاؤُهُ * مِنْ عِطْفِهِ يَزْدَادُ زَهْوَا (٧)

---

(١) « مابه رهق » يريد ما به عيب ، وفى نسخة « ما به زهق » بالزاى بدل المهملة

(٢) تعاوروا : تداولوا

(٣) ينزو : يرتفع ويثب ، والرضف : الحجارة المحماة بالنار

(٤) شهباء : يعنى بها كتيبة كثيرة السلاح ، وتلحو الناس : تضعفهم وتقلل من شأنهم ، وأصله من قولهم : لحوت العدد ، إذا قشرته

(٥) العتد : الفرس الشديد ، ويبذ الخيل : يسبقها ، والرهو : الساكن اللين

(٦) سلس : سهل المقادة لايجمح ، والبيداء : القفر ، ويعلو الطرف : يسبقه ، يريد أنه سريع

(٧) « تنزل ماؤه » أراد بمائه هنا عرقه ، وعطفه : جانبه ، والزهو : الاعجاب والتكبر ، يريد أنه لايضعف ولا يفتر مهما جرى

رَبِذٍ كَيَعْفُورِ الصَّرِيـ ـمَةِ رَاعَهُ الرَّامُونَ دَحْوَا (١)
شَنِجٍ نَسَاهُ ضَابِطٍ لِلْخَيْلِ إرْخَاءً وَعَدْوَا (٢)
فَفِدًى لَهُمْ أُمِّي غَدَا ةَ الرَّوْعِ إذْ يَمْشُونَ قَطْوَا (٣)
سَيْرًا إلَى كَبْشِ الْكَتِيـ ـبَةِ إذْ جَلَتْهُ الشَّمْسُ جَلْوَا (٤)

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعمرو

قال ابن إسحق : فأجابهما كعب بن مالك [رضى الله عنه] ، فقال :—

قصيدة لكعب بن مالك يرد بها على ضرار بن الخطاب وعمرو بن العاص

أَبْلِغْ قُرَيْشًا وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ
وَالصِّدْقُ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَقْبُولُ (٥)
أَنْ قَدْ قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا سَرَاتَكُمُ
أَهْلَ اللِّوَاءِ فَفِيمَا يَكْثُرُ الْقِيلُ (٦)
وَيَوْمَ بَدْرٍ لَقِينَاكُمْ لَنَا مَدَدٌ فِيهِ مَعَ النَّصْرِ مِيكَالٌ وَجِبْرِيلُ

---

(١) ربذ : سريع خفيف القوائم فى مشيه وهو براء مهملة فباء موحدة فذال معجمة ، واليعفور : ولد الظبية ، والصريمة : الرملة المنقطعة ، وراعه : أخافه وأفزعه ، والدحو : الانبساط ، يصف فرسه بأنه شديد السرعة فكأنه حين يجرى ظبى فى منقطع الرمل قد أفزعه الرماة ورأى الصيادين فهو يجرى جريا متتابعا لا يلوى على شيء

(٢) شنج : منقبض ، والنسا : عرق مستبطن الفخذين ، وضابط : أى ممسك ، والارخاء والعدو : ضربان من السير

(٣) القطو : مشى فيه تبختر كمشى القطاة

(٤) كبش الكتيبة : رئيسها ، وجلته : أبرزته

(٥) الألباب : جمع لب ، وهو العقل

(٦) سراتكم : خياركم ، والقيل والقال والقول بمعنى واحد

إنْ تَقْتُلُونَا فَدِينُ الْحَقِّ فِطْرَتُنَا
وَالْقَتْلُ فِي الْحَقِّ عِنْدَ اللهِ تَفضِيلُ
وَإِنْ تَرَوْا أَمْرَنَا فِي رَأْيِكُمْ سَفَهاً
فَرَأْيُ مَنْ خَالَفَ الْإِسْلَامَ تَضْلِيلُ
فَلَا تَمَنَّوْا لِقَاحَ الْحَرْبِ وَاقْتَعِدُوا
إنَّ أَخَا الْحَرْبِ أَصْدَى اللَّوْنِ مَشْعُولُ (١)
إنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا ضَرْبًا تُرَاحُ لَهُ
عُرْجُ الضِّبَاعِ لَهُ خَذْمٌ رَعَابِيلُ (٢)
إنَّا بَنُو الْحَرْبِ نَمْرِيهَا وَنَنْتُجُهَا
وَعِنْدَنَا لِذَوِي الْأَضْغَانِ تَنْكِيلُ (٣)

---

(١) لقاح الحرب : زيادتها ونموها ، وأصدى اللون : أراد أصدأ اللون ، فقلب الهمزة ألفا ، والأصدأ : الذى لونه بين السواد والحمرة ، وقوله « مشعول » يروى بالعين المهملة ويروى بالغين المعجمة ، فمن رواه بالعين المهملة فهو من اشتعال النار ، ومعناه متقد ملتهب ، ومن رواه بالغين المعجمة فهو من اشتغال البال ، وهو معلوم

(٢) تراح له : تفرح وتهتز من السرور ، وقوله « خذم » يروى بضم الخاء وبفتحها ؛ فمن رواه بفتح الخاء فهو مصدر قولك : خذم اللحم — من باب ضرب — إذا قطعه ، ومن رواه بضم الخاء فانما هو جمع ، ومعناه القطع ، ورعابيل : متقطعة

(٣) نمريها : نستدرها ، وننتجها : من النتاج ، والأضغان : جمع ضغن — بكسر فسكون — وهو العداوة ، والتنكيل : أشد الزجر وآلمه

إِنْ يَنْجُ مِنْهَا ابْنُ حَرْبٍ بَعْدَ مَا بَلَغَتْ
مِنْهُ التَّرَاقِي وَأَمْرُ اللهِ مَفْعُولُ (١)

فَقَدْ أَفَادَتْ لَهُ حِلْمًا وَمَوْعِظَةً   لِمَنْ يَكُونُ لَهُ لُبٌّ وَمَعْقُولُ (٢)

وَلَوْ هَبَطْتُمْ بِبَطْنِ السَّيْلِ كَافَحَكُمْ
ضَرْبٌ بِشَاكِلَةِ الْبَطْحَاءِ تَرْعِيلُ (٣)

تَلْقَاكُمُ عُصَبٌ حَوْلَ النَّبِيِّ لَهُمْ   مِمَّا يُعِدُّونَ لِلْهَيْجَا سَرَابِيلُ (٤)

مِنْ جِذْمِ غَسَّانَ مُسْتَرْخٍ حَمَائِلُهُمْ   لَا جُبَنَاءُ وَلَا مِيلٌ مَعَازِيلُ (٥)

يَمْشُونَ تَحْتَ عَمَايَاتِ الْقِتَالِ كَمَا
تَمْشِي الْمَصَاعِبَةُ الْأُدْمُ الْمَرَاسِيلُ (٦)

---

(١) التراقى : عظام الصدر .

(٢) لب ـ بضم اللام ـ أى عقل ، ومعقول : هو العقل أيضا

(٣) كافحكم : واجهكم ، أو حاربكم ، والبطحاء : الأرض السهلة ، شاكلة البطحاء : جانبها ، والترعيل : الضرب السريع ، وفى بعض النسخ « ضرب بشاكلة البطحا وترعيل » وهو تحريف

(٤) الهيجا : الحرب ، وأصله ممدود فقصره اضطرارا

(٥) الجذم ـ بكسر فسكون ـ الأصل ، وقوله « مسترخ حمائلهم » أى : طويلة حمائل سيوفهم ، وهذه كناية عن طول قامتهم ، والعرب تستدل بالمناظر الخلقية والملامح على الأخلاق والسجايا ، والميل : جمع أميل ، وهو الذى لاترس له ، والمعازيل : الذين لارماح معهم

(٦) عمايات القتال : ظلماته : ويروى فى مكانه « غيايات القتال » ومعناه سحاباته ، والمصاعبة : الفحول من الأبل ، واحدها مصعب ، والأدم : جمع آدم ، وهو الأبيض إلى سمرة ، والمراسيل : التى يمشى بعضها فى إثر بعض

أَوْ مِثْلَ مَشْيِ أُسُودِ الطَّلِّ أَلْثَقَهَا
يَوْمُ رَذَاذٍ مِنَ الْجَوْزَاءِ مَشْمُولُ (١)
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ كَالنِّهْيِ مُحْكَمَةٍ
قِيَامُهَا فَلَجٌ كَالسَّيْفِ بُهْلُولُ (٢)
تَرُدُّ حَدَّ قِرَانِ النَّبْلِ خَاسِئَةً
وَيَرْجِعُ السَّيْفُ عَنْهَا وَهْوَ مَفْلُولُ (٣)
وَلَوْ قَذَفْتُمْ بِسَلْعٍ عَنْ ظُهُورِكُمْ
وَلِلْحَيَاةِ وَدَفْعِ الْمَوْتِ تَأْجِيلُ (٤)
مَازَالَ فِي الْقَوْمِ وِتْرٌ مِنْكُمُ أَبَدًا
تَعْفُو السِّلَامُ عَلَيْهِ وَهْوَ مَطْلُولُ (٥)
عَبْدٌ وَحُرٌّ كَرِيمٌ مُوثَقٌ قَنَصًا
شَطْرَ الْمَدِينَةِ مَأْسُورٌ وَمَقْتُولُ (٦)

---

(١) الطل : الضعيف من المطر ، وألثقها : بلها ، والرذاذ : المطر الضعيف أيضا ، والجوزاء : اسم نجم معروف ، ومشمول : هبت فيه ريح الشمال .

(٢) السابغة : الدرع الكاملة الشاملة ، والنهى ـ بكسر النون أو فتحها ـ الغدير من الماء ، يريد أنها لينة ، وقيامها : أراد به القائم بأمرها ، وفلج : نهر يريد أن القائم عليها رجل يشبه النهر ، والبهلول : الأبيض ، أراد أنه كريم ماجد

(٣) خاسئة : ذليلة ، يريد أن هذه الدرع لا تمكن النبل من صاحبها فهي ترده عنه

(٤) سلع : اسم جبل

(٥) تعفو : تدرس وتذهب آثارها ، والسلام ـ بزنة كتاب ـ الحجارة ومطلول : لم يؤخذ بثأره

(٦) قنصا : صيداً ، وشطر المدينة : نحوها وفي جهتها وقصدها

كُنَّا نُؤَمِّلُ أُخْرَاكُمْ فَأَعْجَلَكُمْ
مِنَّا فَوَارِسُ لا عُزْلٌ وَلا مِيلُ (١)

إذَا جَنَى فِيهِمُ الْجَانِي فَقَدْ عَلِمُوا
حَقًّا بِأَنَّ الَّذِي قَدْ جَرَّ مَحْمُولُ

مَا يَجْنِ لا يَجْنِ مِنْ إِثْمٍ مُجَاهَرَةً
وَلا مَلُومٌ وَلا فِي الْغُرْمِ مَخْذُولُ

وقال حسان بن ثابت يذكر عدة أصحاب اللواء يوم أحد :

[قال ابن هشام : هذه أحسن ماقيل] : —

قصيدة لحسان بن ثابت يذكر فيها اصحاب اللواء يوم أحد

مَنَعَ النَّوْمَ بِالْعِشَاءِ الْهُمُومُ وَخَيَالٌ إِذَا تَغُورُ النُّجُومُ (٢)
مِنْ حَبِيبٍ أَصَابَ قَلْبَكَ مِنْهُ سَقَمٌ فَهْوَ دَاخِلٌ مَكْتُومُ (٣)
يَا لَقَوْمِي هَلْ يَقْتُلُ الْمَرْءَ مِثْلِي وَاهِنُ الْبَطْشِ وَالْعِظَامِ سَؤُومُ (٤)
لَوْ يَدِبُّ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّرِّ عَلَيْهَا لَأَنْدَبَتْهَا الْكُلُومُ (٥)

---

(١) العزل ـ بضم فسكون ـ جمع أعزل ، وهو الذى لاسلاح معه والميل : جمع أميل ، وهو الذى لاترس له

(٢) تغور النجوم : تسقط للغروب

(٣) « أصاب قلبك » يروى فى مكانه « أضاف قلبك » ومعناه نزل به وزاره

(٤) الواهن : الضعيف ، والسؤوم ـ بفتح السين ـ : الملول الكثير الملال

(٥) الحولى : الصغير ، وأندبتها : جرحتها ، والكلوم : الجراحات ، واحدها كلم

شَأْنُهَا الْعِطْرُ وَالْفِرَاشُ وَيَعْلُو　　هَا لُجَيْنٌ وَلُؤْلُؤٌ مَنْظُومُ (١)
لَمْ تَفُتْهَا شَمْسُ النَّهَارِ بِشَيْءٍ　　غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ لَيْسَ يَدُومُ
إِنَّ خَالِي خَطِيبُ جَابِيَةِ الْجَوْ　　لَانِ عِنْدَ النُّعْمَانِ حِينَ يَقُومُ (٢)
وَأَنَا الصَّقْرُ عِنْدَ بَابِ ابْنِ سَلْمَى　　يَوْمَ نُعْمَانُ فِى الْكُبُولِ مُقِيمُ (٣)
وَأُبَيٌّ وَوَاقِدٌ أُطْلِقَا لِى　　يَوْمَ رَاحَا وَكَبْلُهُمْ مَخْطُومُ (٤)
وَرَهَنْتُ الْيَدَيْنِ عَنْهُمْ جَمِيعاً　　كُلُّ كَفٍّ جُزْءٌ لَهَا مَقْسُومُ (٥)
وَسَطَتْ نِسْبَتِى الذَّوَائِبَ مِنْهُمْ　　كُلُّ دَارٍ فِيهَا أَبٌ لِى عَظِيمُ (٦)

---

(١) اللجين : الفضة ، واللؤلؤ : الجوهر

(٢) الجابية : الحوض الصغير ، الجولان ـ بفتح الجيم وسكون الواو ـ موضع بالشأم ، وعنى بخاله مسلمة بن مخلد بن الصامت ، وعنى بالنعمان بنى جفنة الغساسنة لأن مساكنهم كانت فى بلاد الشام

(٣) الصقر : السيد الكريم ، وابن سلمى : هو النعمان بن المنذر اللخمى ونعمان : هو نعمان بن مالك بن قوقل بن عوف بن عمرو بن عوف ، وكان حبسه النعمان بن المنذر فوفد فيه وفى غيره حسان بن ثابت فأطلقهم له ، والكبول : القيود ، وفى بعض النسخ « فى الكبول سقيم »

(٤) أبى : هو أبى بن كعب بن قيس بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، وواقد : هو واقد بن عمرو بن الاطنابة بن عامر بن زيد مناة ، وقوله «وكبلهم مخطوم» وقع فى ديوانه «وقفلهم مخطوم» يريد أنهما أطلقا من الأسر لأجله

(٥) ورهنت اليدين عنهم : يريد ضمنتهم ، وذلك لأن الضامن يقول لصاحبه : لك يدى ، وقوله « جزء بها » وقع فى الديوان وفى نسخة أبى ذر بدل ذلك قوله « فيها جز » بضم الجيم والزاء وطرح الهمزة بعد نقل حركتها إلى الزاء

(٦) وسطت : توسطت ، والذوائب الأعالى ، وأراد بهم الأشراف

وَأَبِي فِي سُمَيْحَةَ الْقَائِلُ الْفَا ... صِلُ يَوْمَ الْتَقَتْ عَلَيْهِ الْخُصُومُ (١)
تِلْكَ أَفْعَالُنَا وَفِعْلُ الزِّبَعْرَى ... خَامِلٌ فِي صَدِيقِهِ مَذْمُومُ
رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا ... لِ وَجَهْلٍ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِيمُ (٢)
[إِنَّ دَهْرًا يَبُورُ فِيهِ ذَوُو الْعِلْـ ... مِ لَدَهْرٌ هُوَ الْعَتُوُّ الزَّنِيمُ] (٣)
لاَ تَسُبَّنَّنِي فَلَسْتَ بِسِبِّي ... إِنَّ سِبِّي مِنَ الرِّجَالِ الْكَرِيمُ (٤)
مَا أُبَالِي أَنَبَّ بِالْحَزْنِ تَيْسٌ ... أَمْ لَحَانِي بِظَهْرِ غَيْبٍ لَئِيمُ (٥)
وَلِيَ الْبَأْسُ مِنْكُمُ إِذْ رَحَلْتُمْ ... أُسْرَةٌ مِنْ بَنِي قُصَيٍّ صَمِيمُ (٦)
تِسْعَةٌ تَحْمِلُ اللِّوَاءَ وَطَارَتْ ... فِي رَعَاعٍ مِنَ الْقَنَا مَخْزُومُ (٧)

---

(١) سميحة : اسم بئر بالمدينة كان عندها احتكام الأوس والخزرج فى حروبهم ، وكان ثابت بن المنذر والد حسان حكمهم ، وقوله « الفاصل » بالصاد المهملة ـ أى الذى يفصل فى الأمور ويقطع برأيه فيها ، ووقع «الفاضل» بالضاد المعجمة فى بعض النسخ ، وأظنه تحريفا

(٢) غطى : يروى بتخفيف الطاء وبتشديدها ، فمن رواه بالتخفيف فمعناه علاه وارتفع عليه ، ومن رواه بالتشديد فمعناه ستره

(٣) سقط هذا البيت من بعض أصول الكتاب ، ولا ذكر له فى الديوان مع هذه القصيدة

(٤) السب ـ بكسر السين ـ الذى يقاوم الرجل فى السب ويكون له من الشرف ما يدانى شرفه

(٥) نب : صاح ، ونبيب التيس يكون عند وثوبه للسفاد ، والحزن : ماغلظ من الأرض ، ولحانى : شتمنى ، يقول : سواء عندى نبيب التيس بنجوة من الأرض وشتم اللئيم إياى فى غيبتى فلست آبه لشىء منهما ولا أكترث

(٦) الصميم : الخالص نسبهم ، يريد التنويه بشأن بنى عبد الدار بن قصى إذ صبروا يوم أحد ، والاشادة بما كان منهم

(٧) الرعاع : الضعفاء ، ويريد فى هـــذا البيت التنديد ببنى مخزوم

وَأَقَامُوا حَتَّي أُبِيحُوا جَمِيعًا ... فِى مَقَامٍ وَكُلُّهُمْ مَذْمُومُ (١)

بِدَمٍ عَانِكٍ وَكَانَ حِفَاظًا ... أَنْ يُقِيمُوا إِنَّ الْكَرِيمَ كَرِيمُ (٢)

وَأَقَامُوا حَتَّى أُزِيرُوا شَعُوبًا ... وَالْقَنَا فِى نُحُورِهِمْ مَحْطُومُ (٣)

وَقُرَيْشٌ تَفِرُّ مِنَّا لِوَاذًا ... أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَّ مِنْهَا الْحُلُومُ (٤)

والتشهير بهم ، إذ انخذلوا وفروا ، وكان قد حمل اللواء من بنى عبد الدار وحلفائهم ومواليهم يومئذ تسعة نفر كلما قتل منهم واحد حمله آخر منهم ، أولهم طلحة بن أبى طلحة بن عبد العزى ، ثم أخوه عثمان بن أبى طلحة ، ثم سعيد بن أبى طلحة ، ثم مسافع بن أبى طلحة ، ثم الجلاس بن طلحة ، ثم كلاب بن طلحة ، ثم الحارث بن طلحة ، ثم قاسط بن شريح بن عثمان بن عبد الدار ، ثم غلام لهم عبد أسود اسمه صؤاب

(١) قوله « وأقاموا » فى رواية الديوان « لم يولوا » والمعنى واحد وقوله « حتى أبيحوا » يروى فى مكانه « حتى أبيدوا » وقوله « وكلهم مذموم » تروى هذه الكلمة بالدال المهملة ، وتروى بالذال المعجمة ، فأما من رواه بالذال المعجمة فهو من الذم ، وهو معلوم ، وأما من رواه بالدال المهملة فالمعنى أن كلهم جريح مطلى بالدم

(٢) « بدم عاند » العاند — بالدال المهملة — الذى لاينقطع ، ويروى فى مكانه « بدم عانك » بالكاف ، ومعناه الأحمر

(٣) «شعوب» بفتح الشين — اسم من أسماء الموت ، و «أزيروا شعوبا» معناه قتلوا ، وهذا كقول الشاعر وهو عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب :

فَمَا بَرِحَتْ أَقْدَامُنَا فِى مَكَانِنَا ... ثَلَاثَتِنَا حَتَّى أُزِيرُوا الْمَنَائِيَا

يريد أنهم أوردوهم موارد الموت ، وقوله « محطوم » أى مكسور

(٤) « تفرمنا » فى رواية الديوان « تلوذ منا » ولواذا : أى استتارا وأراد مستترين ، وهذا كقوله تعالى : (يتسللون منكم لواذا) ، والحلوم : العقول ، يقول : إن قريشا كانوا يهربون مناو يولون الأدبارفارين مستترين فى

لَمْ تطِقْ حَمْلَهُ الْعَوَاتِقُ مِنْهُمْ إِنَّمَا يَحْمِلُ اللِّوَاءَ النُّجُومْ (١)

[قال ابن هشام : قال حسان هذه القصيدة : —

* مَنَعَ النَّوْمَ بِالْعِشَاءِ الْهُمُومُ *

ليلاً ، فدعا قومه ، فقال لهم : خشيتُ أن يُدْرِكَنِى أجَلِى قبل أن أُصْبِح فلا تَرْوُوها عنِّى]

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة للحَجَّاج بن عِلاَّطٍ السُّلَمى يَمْدحُ على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ويذكر قتله طلحة بن أبى طَلْحة بن عبد الْعزَّى بن عُثْمان بن عبد الدار صاحب لواء المشركين يوم أحد : —

كلمة الحجاج بن علاط

لِلهِ أيُّ مُذَبِّبٍ عَنْ حُرْمَةٍ
أَعْنِى ابْنَ فَاطِمَةَ الْمُعِمَّ الْمُخْوِلاَ (٢)

سَبَقَتْ يَدَاكَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ
تَرَكَتْ طُلَيْحَةَ لِلْجَبِينِ مُجَدَّلاَ (٣)

وَشَدَدْتَ شَدَّةَ بَاسِلٍ فَكَشَفْتَهُمْ
بِالْجَرِّ إِذْ يَهْوُونَ أَخْوَلَ أَخْوَلاَ (٤)

فرارهم وقد طارت عقولهم وذهبت عنهم ألبابهم لهول ما نزل بهم

(١) العواتق : جمع عاتق ، وهو ما بين الكتف والعنق ، والنجوم : أراد بها المشاهير من الناس

(٢) المذبب : المدافع عن الشىء ، يقال : ذبب عن حرمته ، إذا دافع عنها ، وقوله « أعنى ابن فاطمة » أراد به على بن أبى طالب رضى الله عنه فان أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وهى أول هاشمية ولدت لهاشمى ، والمعم : الكريم الأعمام ، والمخول : الكريم الأخوال

(٣) مجدلا : صريعا على الجدالة ، والجدالة : الأرض

(٤) باسل : شجاع جرىء ، والجر : أصل الجبل ، ويهوون : يسقطون

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه يُبَكّى حمزة ابن عبد المطلب ومن أصيب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد رضى الله عنهم : —

قصيدة أخرى لحسان ابن ثابت يبكى فيها شهداء أحد

يَامَيُّ قُومِي فَانْدُبِنَّ بِسُحْرَةٍ شَجْوَ النَّوَائِحْ (١)
كَالْحَامِلَاتِ الْوِقْرَ بِالْـ ثِّقْلِ الْمُلِحَّاتِ الدَّوَالِحْ (٢)
الْمُعْوِلَاتِ الْخَامِشَا تِ وُجُوهَ حُرَّاتٍ صَحَائِحْ (٣)
وَكَأَنَّ سَيْلَ دُمُوعِهَا الْأَ نْصَابُ تُخْضَبُ بِالذَّبَائِحْ (٤)
يَنْقُضْنَ أَشْعَارًا لَهُنَّ هُنَاكَ بَادِيَةَ الْمَسَائِحْ (٥)

وقوله « أخول أخولا » أى واحدا بعد واحد ، وهو مبنى على فتح الجزءين فى محل نصب على الحال ، أى : يهوون متفرقين ، ومثل ذلك قول ضابىء البرجمى يصف ثورا يطعن الكلاب بقرنه : —

يُسَاقِطُ عَنْهُ رَوْقُهُ ضَارِيَاتِهَا سِقَاطَ شَرَارِ الْقَيْنِ أَخْوَلَ أَخْوَلَا

(١) الشجو : الحزن ، والنوائح : جمع نائحة ، وهى الباكية

(٢) الوقر : الثقل ، والملحات : الثابتات التى لا تبرح مكانها ، يقال : ألح الجمل . كما يقال : حرن الفرس ، والدوالح : التى تحمل الأثقال

(٣) المعولات : جمع معولة ، وهى اسم فاعل من قولهم : أعولت المرأة : إذا بكت بصوت مرتفع ، والخامشات : الخادشات ، وحرات : جمع حرة ، وصحائح : جمع صحيحة

(٤) الأنصاب : حجارة كانوا يذبحون عندها ويطلونها بالدم ، والذبائح : جمع ذبيحة

(٥) المسائح : ذوائب الشعر ، واحدها مسيحة ، بفتح الميم وكسر السين

وَكَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْـ ... ـلٍ بالضُّحَى شُمْسٍ رَوَامِحْ (١)
مِنْ بَيْنِ مَشْزُورٍ ومَجْـ ... ـزُورٍ يُذَعْذَعُ بالبَوَارِحْ (٢)
يَبْكِينَ شَجْوَ مُسَلَّبَا ... تٍ كَدَّحَتْهُنَّ الكَوَادِحْ (٣)
ولَقَدْ أصَابَ قُلُوبَهَا ... مَجْلٌ لَهُ جُلَبٌ قَوَارِحْ (٤)
إذْ أقْصَدَ الحِدْثَانُ مَنْ ... كُنَّا نُرَجِّى إذْ نُشَايِحْ (٥)
أصحَابَ أحْـمَدَ غَالَهُمْ ... دَهْرٌ ألَمَّ لَهُ جَوَارِحْ (٦)

---

(١) شمس : نوافر ، ويقال للواحد شموس ، والرواع : التى ترمح بأرجلها أى تدفع عن أنفسها بها

(٢) مشزور ـ بالزاى وآخره راء مهملة ـ وفى أكثر أصول الكتاب « مشرور » براءين مهملتين ـ فشزور أى مفتول ، ومشرور : أى متفرق، يقال : شررت الملح ؛ أى فرقته ، ويذعذع : يفرق ، والبوارح: الرياح الشديدة

(٣) الشجو : الحزن ، والمسلبات : يروى بفتح اللام مشددة وبكسرها كذلك ، فمن رواه بالفتح أراد اللائى سلبن وانتزع منهن أعزاؤهن ، ومن رواه بالكسر أراد اللابسات ثياب الحزن ، وكدحتهن : أثرت فيهن ، والكوادح : حوادث الدهر وفواجعه

(٤) المجل : الجرح إذا كان فيه ماء ، وتقول : مجلت يدى من العمل ؛ إذا جرحت ، وجلب ـ بضم ففتح ـ جمع جلبة ، وهى قشرة الجرح التى تظهر حينما يأخذ فى البرء ، وقوارح : موجعة مؤلمة

(٥) أقصد : أصاب ، والحدثان : حادثات الدهر ، ونشايح : نحذر ونخاف ، والمراد أن الدهر قد أصاب منهم الذى كانوا يأملونه عند مجىء وقت الخوف وعند الشدائد

(٦) غالهم : أهلكهم ، وألم : نزل ، وقوله « جوارح » روى أبوذر فى مكانه « بوارح » والبوارح : الأحزان الشديدة المبرحة والآلام الموجعة

مَنْ كَانَ فَارِسَنَا وَحَا مِيَنَا إِذَا بُعِثَ الْمَسَالِحْ (١)
يَاحَمْـــزَ ، لَا وَاللهِ لَا أَنْسَاكَ مَاصُرَّ اللَّقَائِحْ (٢)
لِمُنَاخِ أَيْتَـامٍ وَأَضْـ ـيَافٍ وأَرْمَلَةٍ تُـلَامِحْ (٣)
وَلِمَـا يَنُوبُ الدَّهْرُ فِى
حَرْبٍ لِحَرْبٍ وهْىَ لَاقِحْ (٤)
يَافَارِسًا يَامِـــدْرَهًا يَاحَمْزَ قد كُنْتَ الْمُصَامِحْ (٥)
عَنَّا شَـدِيدَاتِ الْخُطُو بِ إِذَا يَنُوبُ لَهُنَّ فَادِحْ (٦)

---

(١) المسالح : القوم الذين يعدمون طليعة الجيش ، وأصل اشتقاقه من لفظ السلاح

(٢) صر اللقـائح : معناه ربطت أخلافها ليجتمع فيها اللبن خوفا من فصيلها أن يرضعها ، واللقائح : جمع لقحة ، وهى الناقة ذات اللبن

(٣) المناخ : المنزل ، والأرملة : التى لازوج لهـا ، وتلامح : تنظر بعينيها نظرا سريعا ثم ترده

(٤) اللاقح من الحروب : هى التى يتزايد شرها ويتطاير شرارها

(٥) المدره ـ بكسر الميم وسكون الدال وفتح الراء ـ المدافع عن القوم بلسانه ويده ، وقوله « المصامح » بالميم قبل الحاء ـ ومعناه المدافع الشديد الدفاع ، ويجوز أن يكون من قولهم : صمحت الشيء ، إذا أذبته ، فكأنه يذيب الخطوب بدفاعه ، ويروى فى مكانه « المصافح » بالفاء ـ ومعناه الذى يرد عنهم العوادى ، من قولهم : صفحت فلانا عن حاجته ، إذا رددته عنها ويجوز أن يكون من المصافحة ، ويكنى بذلك عن شجاعته وإقدامه وعدم تهيبه الخطوب ، فهو يقبل عليها إقبال من يصافحها غير مبال بها

(٦) فادح ، تقول : فدحنى الخطب ؛ إذا ثقل عليك حمله وأعياك القيام به

ذَكَّرْتَنِي أَسَدَ الرَّسُو لِ وذَاكَ مِدْرَهُنَا المُنَافِحْ (١)
عَنَّا وَكَانَ يُعَدُّ إِذْ عُدَّ الشَّرِيفُونَ الْجَحَاجِحْ (٢)
يَعْلُو الْقَمَاقِمَ جَهْرَةً
سَبْطَ الْيَدَيْنِ أَغَرُّ وَاضِحْ (٣)
لاَ طَائِشٌ رَعِشٌ وَلاَ ذُو عِلَّةٍ بِالْحِمْلِ آنِحْ (٤)
بَحْرٌ فَلَيْسَ يُغِبُّ جَا رًا مِنْهُ سَيْبٌ أَوْ مَنَادِحْ (٥)
أَوْدَى شَبَابُ أُولِي الْحَفَا ئِظِ وَالثَّقِيلُونَ الْمَرَاجِحْ (٦)
الْمُطْعِمُونَ إِذَا الْمُشَا تِي مَا يُصَفِّقُهُنَّ نَاضِحْ (٧)

---

(١) المنافح : المدافع عن القوم ، وكان حمزة رضى الله عنه ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) الجحاجح : السيد الكريم ، واحدهم جحجاح

(٣) القماقم : السادة ، واحدهم قمقام ، وسبط اليدين : أى كريم جواد ويقال للبخيل : جعداليدين ، وأغر : أى أبيض ، وواضح : أى مضىء مشرق

(٤) الطائش : الخفيف الذى لاوقارله ، والآنح : البعير الذى إذا حمل شيئا أخرج من صدره صوتا

(٥) السيب : العطاء ، والمنادح ـ بالدال ـ يجوز أن يكون بفتح الميم جمع مندوحة ، وهى السعة ، وكان حقه أن يقول مناديح ، ولكنه حذف الياء ضرورة ، ويجوز أن يكون واحده مندحة ، ويجوز أن يكون بضم الميم اسم فاعل : أى مكاثر ، ويروى فى مكانه « مانح » بالمهزة ـ وهو جمع منيحة ، وهى العطية

(٦) أودى : هلك ، والحفائظ : جمع حفيظة ، وهى الغضب والمراجح : الذين يزيدون على غيرهم فى الحلم

(٧) يصفقهن : يحلبهن مرة واحدة فى اليوم ، ويروى « يصفهن » ـ بالفاء ـ أى يحلبهن بجميع كفه ، والناضح : الذى يشرب دون الرى

لَحَمَ الْجِلَادِ وَفَوْقَهُ مِنْ شَحْمِهِ شُطَبٌ شَرَائِحْ (١)

لِيُدَافِعُوا عَنْ جَارِهِمْ

مَا رَامَ ذُو الضِّغْنِ الْمُكَاشِحْ (٢)

أَبْنِي أَشْبَانٍ رُزِئْتُهُمْ كَأَنَّهُمُ الْمَصَابِحْ (٣)

شُمٍّ بَطَارِقَةٍ غَطَا رِفَةٍ خَضَارِمَةٍ مَسَامِحْ (٤)

الْمُشْتَرُونَ الْحَمْدَ بِالْأَمْوَالِ إِنَّ الْحَمْدَ رَابِحْ

وَالْجَامِزُونَ بِلُجْمِهِمْ يَوْمًا إِذَا مَا صَاحَ صَائِحْ (٥)

مَنْ كَانَ يُرْمَى بِالنَّوَا قِرِ مِنْ زَمَانٍ غَيْرِ صَالِحْ (٦)

---

(١) الجلاد : الابل القوية ، والشطب — بضم الشين وفتح الطاء — جمع شطبة ، وهى القطعة من سنام البعير ، والشرائح : جمع شريحة ، وهى القطعة من اللحم ، ومن الظباء الذى يجاء به يابسا

(٢) رام : أراد وقصد ، والضغن — بكسر الضاد — الحقد والعداوه ، والمكاشح : المعادى

(٣) رزئتهم : فقدتهم ، والمصابح : جمع مصباح ، وكان حقه أن يقول مصابيح لحذف الياء

(٤) الشم : جمع أشم ، وأراد بهم الأعزاء . والبطارقة : الرؤساء ، واحدهم بطريق ، والخضارمة : الذين يكثرون العطاء ، واحدهم خضرم ، والمسامح : الأجواد ، واحدهم مسماح

(٥) الجامزون . الواثبون ، يقال : جمز : إذا وثب ؛ واللجم . جمع لجام

(٦) النواقر — بالنون — جمع ناقرة ، وهى الداهية من دواهى الدهر ، وكأنها تنقر عن الانسان ، أى : تبحث عنه . ويروى فى مكانه « البواقر » بالباء — وهى الداهية أيضاً

مَا إِنْ تَزَالُ رِكَابُهُ ... يَرْسُمْنَ فِي غُبْرٍ صَحَاصِحْ (١)
رَاحَتْ تَبَارَى وَهْوَ فِي ... رَكْبٍ صُدُورُهُمُ رَوَاشِحْ (٢)
حَتَّي تَؤُبَ لَهُ الْمَعَا ... لِي لَيْسَ مِنْ فَوْزِ السَّفَائِحْ (٣)
يَا حَمْزَ ، قَدْ أَوْحَدْتَنِي ... كَالْعُودِ شَذَّبَهُ الْكَوَافِح (٤)
أَشْكُو إِلَيْكَ وَفَوْقَكَ ا ... لتُّربُ الْمُكَوَّرُ وَالصَّفَائِحْ (٥)
مِنْ جَنْدَلٍ يُلْقِيهِ فَوْ
قَكَ إِذْ أَجَادَ الضَّرْحَ ضَارِحْ (٦)
فِي وَاسِعٍ يَحْثُونَهُ ... بِالتُّرْبِ سَوَّتْهُ الْمَمَاسِح (٧)
فَعَزَاؤُنَا أَنَّا نَقُو ... لُ وَقَوْلُنَا بَرْحٌ بَوَارِحْ (٨)

---

(١) يرسمن : من الرسيم ، وهو ضرب من السير ، والركاب : الابل ، والغبر : جمع غبراء ، والصحاصح : جمع صحصح ، وهى الأرض المستوية

(٢) تبارى : تعارض ، ورواشح : أى ترشح بالعرق

(٣) السفائح : جمع سفيح ، وهو أحد قداح الميسر ، ويقال : هى جمع سفيحة ، وهى الجوالق ونحوه

(٤) شذبه : أزال أغصانه وشوكه ، والكوافح : الذين يقابلونه بالقطع

(٥) المكور : الذى بعضه فوق بعض ، والصفائح : الحجارة العريضة

(٦) الجندل : الحجارة ، والضرح : مصدر ضرح ، أى : شق ، ويريد به شق القبر ، ومنه يسمى القبر ضريحا ، وهو فعيل بمعنى مفعول ، والضارح : اسم فاعل من ذلك

(٧) يحثونه : يصبونه ، تقول : حثوت التراب فى القبر ، إذا صببته ، والمماسح : مايمسح به التراب ويسوى كالفأس ونحوها

(٨) البرح : الأمر الشاق

مَنْ كَانَ أمْسَى وَهْوَ عَمَّـ ـا أوْقَع الِحدْثَانُ جَانِحْ(١)

فَلْيأتِنَا فَلْتَبْكِ عَيْـ ـنَاهُ لِهلْكَانَا النَّوافِحْ(٢)

الْقَائِلِينَ الْفَـاعِلِيـ ـنَ ذَوِى السَّمَاحَةِ وَالَمَادِحْ(٣)

مَنْ لاَيَزَالُ نَدَى يَدَيْـ ـهِ لَهُ طِوَالَ الدَّهْرِ مَائِحْ(٤)

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان . وبيته « المطعمون إذا المشاتى » وبيته « والجامزون بلُجْمِهِمْ » وبيته « مَنْ كان يُرْمَى بالنواقر » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكي حمزةَ بن عبد المطلب رضى الله عنه : —

قصيدة أخرى لحسان ابن ثابت يرثى فيها حمزه

أَتَعْرِفُ الدَّارَ عَفَا رَسْمَهَا بَعْدَكَ صَوْبُ الُمسْبِلِ الهاطِلِ(٥)

---

(١) جانح : مائل إلى جهة

(٢) النوافح : الذين كانوا ينافحون عنا ويدافعون ، أو الذين كانوا ينفحوننا بالعطايا والمنح

(٣) المادح : الأمور التى يتمدح بها

(٤) المائح - بالهمز - الذى ينزل فى البئر فيملأ الدلو . وذلك إذا كان ماء البئر قليلا : والماتح - بالتاء - الذى يجذب الدلو من أعلى البئر ، وقد ضرب ذلك مثلا ، يريد أن الناس مايزالون ينتجعونه ويطلبون نداه ويستجدون معروفه

(٥) عفا : غير ودرس ، ورسمها : أثرها . والصوب : المطر ، الهاطل: الكثير السيلان

بَيْنَ السَّرَادِيحِ فَأُدْمَانَةٍ فَمَدْفَعِ الرَّوْحَاءِ فِي حَائِلِ (١)
سَأَلْتُهَا عَنْ ذَاكَ فَاسْتَعْجَمَتْ
لَمْ تَدْرِ مَا مَرْجُوعَةُ السَّائِلِ (٢)
دَعْ عَنْكَ دَاراً قَدْ عَفَا رَسْمُهَا
وَابْكِ عَلَى حَمْزَةَ ذِي النَّائِلِ (٣)
الْمَالِئِ الشِّيزَى إِذَا أَعْصَفَتْ
غَبْرَاءُ فِي ذِي الشَّبِمِ الْمَاحِلِ (٤)
وَالتَّارِكِ الْقِرْنَ لَدَى لِبْدَةٍ
يَعْثُرُ فِي ذِي الْخُرُصِ الذَّابِلِ (٥)
وَاللَّابِسِ الْخَيْلَ إِذَا أَحْجَمَتْ كَاللَّيْثِ فِي غَابَتِهِ الْبَاسِلِ (٦)

---

(١) السراديح : جمع سرداح ، وهو الوادى ، ويقال : المكان المتسع ، وأدمانة : مكان بعينه ، والمدفع : حيث يندفع السيل ، والروحاء : اسم موضع ، وحائل : جبل

(٢) استعجمت : لم ترد جوابا ، ومرجوعة السائل : رجوع جوابه

(٣) النائل : العطاء

(٤) الشيزى : الجفان التى تصنع من خشب الشيز . وأعصفت : اشتدت ، يقال : عصفت الريح وأعصفت ، إذا اشتد هبوبها . والغبراء : التى تثير الغبار وتهيجه . والشبم - بالباء - الماء البارد ، والماحل : من المحل ، وهو القحط

(٥) القرن : الذى يقاومك فى القتال . واللبدة : الغبار الملبد ، وذو الخرص : الرمح ، والخرص : سنانه . وجمعه خرصان ، والذابل : الرقيق الشديد

(٦) أحجمت : تأخرت ونكصت هيبة لما تراه . ويروى «أجحمت»

أَبْيَضُ فِي الذِّرْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَمْ يَمْرِ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ (١)
مَالَ شَهِيداً بَيْنَ أَسْيَافِكُمْ
شَلَّتْ يَدَا وَحْشِيٍّ مِنْ قَاتِلِ (٢)
أَيَّ امْرِئٍ غَادَرَ فِي أَلَّةٍ مَطْرُورَةٍ مَارِنَةِ الْعَامِلِ (٣)
أَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِفِقْدَانِهِ وَاسْوَدَّ نُورُ الْقَمَرِ النَّاصِلِ (٤)
صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ مُكْرَمَةِ الدَّاخِلِ

بتقديم الجيم ـ وهو بمعناه ، والليث : الأسد ، والغابة : موضع الأسد وهو الشجر الملتف الأغصان ، والباسل : الكريه المنظر المخيف

(١) الذروة : الأعلى ، وقوله « لم يمر » يريد لم يمار ولم يجادل . قاله أبو ذر

(٢) « وحشى » هو قاتل حمزة . وقد حذف تنوينه ضرورة ، والعلم قد يترك صرفه كثيرا ، ومثل ذلك قول العباس بن مرداس :ـ

فَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي مَجْمَعِ

ومنع من جواز ذلك البصريون ، واحتج الكوفيون لاجازته بأن الشاعر قد يحذف من الكلمة الحرف والحرفين ، ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة :

* دَرَسَ الْمَنَا بِمُتَالِعٍ فَأَبَانِ *

يريد : درس المنازل . فلأن يجوز له حذف التنوين من الكلمة أولى

(٣) غادر : ترك . وألة : الحربة التى لها سنان طويل . والمطرورة : المحددة ، والمارنة : اللينة . والعامل : أعلى الرمح

(٤) الناصل : الخارج من السحاب . تقول : نصل القمر من السحاب : إذا خرج منه.

كُنَّا نَرَى حَمْزَةَ حِرْزاً لَنَا ... فِي كُلِّ أَمْرٍ نَابَنَا نَازِلِ (١)

وَكَانَ فِي الْإِسْلَامِ ذَا تُدْرَإٍ

يَكْفِيكَ فَقْدَ الْقَاعِدِ الْخَاذِلِ (٢)

لَا تَفْرَحِي يَاهِنْدُ وَاسْتَحْلِبِي

دَمْعاً وَأَذْرِي عَبْرَةَ الثَّاكِلِ (٣)

وَابْكِي عَلَى عُتْبَةَ إِذْ قَطَّهُ

بِالسَّيْفِ تَحْتَ الرَّهَجِ الْجَائِلِ (٤)

إِذْ خَرَّ فِي مَشْيَخَةٍ مِنْكُمُ ... مِنْ كُلِّ عَاتٍ قَلْبُهُ جَاهِلِ (٥)

أَرْدَاهُمُ حَمْزَةُ فِي أُسْرَةٍ ... يَمْشُونَ تَحْتَ الْحَلَقِ الْفَاضِلِ (٦)

غَدَاةَ جِبْرِيلُ وَزِيرٌ لَهُ ... نِعْمَ وَزِيرُ الْفَارِسِ الْحَامِلِ

---

(١) حرزا : مكانا تتحرز به وتمتنع فيه من نوازل الدهر وأحداثه

(٢) ذا تدرأ — بضم التاء وسكون الدال وفتح الراء — يريد أنه كان كثير الدفاع عنا

(٣) أذرى : اسكبي واسترخصي ، والعبرة — بفتح العين — الدمعة ، والثاكل : المرأة التي فقدت ولدها

(٤) عتبة : هو أبو هند امرأة أبي سفيان بن حرب ، وكان حمزة قد قتله في يوم بدر ، وقطه : قطعه نصفين ، والرهج : الغبار ، والجائل : المتحرك الثائر مما أثارته سنابك الخيل وأقدام المتحاربين

(٥) خر : سقط صريعا ، و « عات قلبه » أي : شديد القسوة لا يلين للحق ولا يخضع له

(٦) أرداهم : أوردهم الردى ، وهو الهلاك ، وأسرة : قرابة ، وذلك لأن حمزة قتل مع عتبة شيبة بن ربيعة أخاه ، وحنظلة بن أبي سفيان بن

قصيدة لكعب بن مالك يرثي فيها حمزة

وقال كعب بن مالك يبكى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه :

طَرَقَتْ هُمُومُكَ فَالرُّقَادُ مُسَهَّدُ
وجَزِعْتَ أَنْ سُلِخَ الشَّبَابُ الأَغْيَدُ (١)

وَدَعَتْ فُؤَادَكَ لِلْهَوَى ضَمْرِيَّةٌ
فَهَوَاكَ غَوْرِيٌّ وَصَحْبُكَ مُنْجِدُ (٢)

فَدَعِ التَّمادِي فِي الْغَوَايَةِ سَادِراً
قَدْ كُنْتَ فِي طَلَبِ الْغَوَايَةِ تُفْنَدُ (٣)

وَلَقَدْ أَنَى لَكَ أَنْ تَنَاهَى طَائِعاً
أَوْ تَسْتَفِيقَ إِذَا نَهَاكَ الْمُرْشِدُ (٤)

هند ، وآخرين ، والحلق : الدروع : والفاضل : الذى يفضل عن لابسه ويزيد عنه وينجر على الأرض

(١) المسهد : القليل النوم فى الأصل ، وأراد المسهد صاحبه ، لحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه : وهو الضمير المخفوض ، فصار الضمير نائب فاعل ، فاستتر فى المسهد ، ومثله قوله « سلخ الشباب الأغيد » أى : الأغيد صاحبه ، وسلخ : أزيل ، والأغيد : الناعم

(٢) ضمرية : منسوبة إلى ضمرة ، وهى قبيلة ، وغورى : منسوب إلى الغور ، وهو المنخفض من الأرض ، وقوله « وصحبك منجد » يروى فى مكانه « وصحوك منجد »

(٣) الغاوى : ضد الراشد ، وهو المتحير فى سبل الضلال ، وتفند : تلام وتعذل وتكذب ، والفند أيضا : الكلام الذى لا يعقل

(٤) أنى : حان

وَلَقَدْ هُدِدْتَ لِفَقْدِ حَمْزَةَ هَدَّةً
ظَلَّتْ بَنَاتُ الْجَوْفِ مِنْهَا تُرْعَدُ (١)

وَلَوَ أَنَّهُ فُجِعَتْ حِـرَاءُ بِمِثْلِهِ
لَرَأَيْتَ رَاسِيَ صَخْرِهَا يَتَبَدَّدُ (٢)

قِرْمٌ تَمَكَّنَ فِي ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ
حَيْثُ النُّبُوَّةُ وَالنَّدَى وَالسُّؤْدَدُ (٣)

وَالْعَاقِرُ الْكُومِ الْجِلَادِ إِذَا غَدَتْ
رِيحٌ يَكَادُ الْمَاءُ فِيهَا يَجْمُدُ (٤)

وَالتَّارِكُ الْقِرْنَ الْكَمِيَّ مُجَدَّلاً
يَوْمَ الْكَرِيهَةِ وَالْقَنَا يَتَقَصَّدُ (٥)

وَتَرَاهُ يَرْفُلُ فِي الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ
ذُو لِبْدَةٍ شَثْنُ الْبَرَاثِنِ أَرْبَدُ (٦)

---

(١) بنات الجوف : أراد قلبه وما اتصل به من كبده وأمعائه ، وسمى ذلك بنات الجوف لأن الجوف يضمها ويشتمل عليها

(٢) حراء : اسم جبل ، وأنثه باعتباره بقعة من الأرض ، والراسى : الثابت ، ويتبدد : يريد يتفتت

(٣) القرم : الفحل ، وذؤابة هاشم : أعاليها ، وأراد أسمى أنسابها وأرفعها

(٤) الكوم : جمع كوماء ، وهى من الابل العظيمة السنام ، والجلاد القوية ، وقوله « ريح - الخ » أراد أيام الشتاء ، وهى عندهم أيام القحط والجدب ، وهم يتمدحون بالانفاق فى هذه الأيام لأن الجواد يظهر فيها

(٥) الكمى : الشجاع ، ومجدلا : مطروحا على الجدالة وهى الأرض ويتقصد : يتكسر

(٦) يرفل : يمشى مشى المختال ، والحديد : أراد به الدروع ، وذو لبدة

عَمُّ النَّبِيِّ مُحَمَّـــدٍ وَصَفِيُّهُ
وَرَدَ الحِمَامَ فَطَابَ ذَاكَ الْمَوْرِدُ

وَأَتَى الْمَنِيَّـةَ مُعْلَمًا فِى أُسْرَةٍ
نَصَرُوا النَّبِيَّ وَمِنْهُمُ الْمُسْتَشْهِدُ (١)

وَلَقَدْ إِخَالُ بِذَاكَ هِنْدًا بُشِّرَتْ
لِتُمِيتَ دَاخِلَ غُصَّةٍ لاَ تَبْرُدُ (٢)

ثُمَّ صَـبَحْنَا بِالْعُقَنْقَلِ قَوْمَهَا
يَوْمًا تَغَيَّبَ فِيهِ عَنْهَا الْأَسْعَدُ (٣)

وَبِبِئْرِ بَدْرٍ إِذْ يَرُدُّ وُجُوهَهُـمْ
جِبْرِيلُ تَحْتَ لِوَائِنَا وَمُحَمَّـــدُ

حَتَّى رَأَيْتُ لَدَى النَّبِيِّ سَرَاتَهُمْ
قِسْمَيْنِ نَقْتُلُ مَنْ نَشَاءُ وَنَطْرُدُ (٤)

أراد به الأسد ، واللبدة : الشعر الذى على كتفى الأسد . وشثن : غليظ . والبراثن : هى للأسد بمنزلة الأصابع للانسان . وأربد : يخالط لونه سواد .

(١) معلما : مشهرا نفسه بعلامة تميزه عن سائر المحاربين . وأسرة : رهط .

(٢) إخال : أظن ، وهى بكسر الهمزة فى لغة بنى تميم . والغصة : ما يقف فى الحلق فيخنق . وأراد بها ما فى صدرها من الغليل والحرارة

(٣) العقنقل : الكثيب من الرمل وأراد به كثيب بدر الذى حدثت عنه الموقعة ، وصبحناهم : أتيناهم صباحا للغارة عليهم

(٤) سراتهم : أشرافهم وخيارهم ، ونطرد : نسوقه كما تساق الأنعام . يريد أنا قتلنا منهم قسما وأسرنا قسما آخر

فَأَقَامَ بِالْعَطَنِ الْمُعَطَّنِ مِنْهُــمْ
سَبْعُونَ عُتْبَةُ مِنْهُمُ وَالْأَسْوَدُ (١)

وَابْنَ الْمُغِيرَةِ قَدْ ضَرَبْنَا ضَرْبَةً
فَوْقَ الْوَرِيدِ لَهَا رَشَاشٌ مُزْبِدُ (٢)

وَأُمَيَّــةَ الْجُمَحِى قَوَّمَ مَيْـلَهُ
عَضْبٌ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ مُهَنَّدُ (٣)

فَأَتَاكَ فَلُّ الْمُشْرِكِينَ كَأَنَّهُمْ
ـ وَالْخَيْلُ تَثْفِنُهُمْ ـ نَعَامٌ شُرَّدُ (٤)

شَتَّانَ مَنْ هُوَ فِى جَهَنَّمَ ثَاوِيًا
أَبَدًا وَمَنْ هُوَ فِى الْجِنَانِ مُخَلَّدُ (٥)

كعب بن مالك يرثى حمزة أيضا

وقال كعب أيضا يبكى حمزة رضى الله عنهما : —

صَفِيَّةُ قُومِى وَلَا تَعْجَزِى وَبَكِّي النِّسَاءَ عَلَى حَمْزَةِ

---

(١) العطن : مبرك الأبل حول الماء . والمعطن : الذى قد عود أن يتخذ عطنا

(٢) الوريد : عرق فى صفحة العنق ، ورشاش مزبد : يريد دما تعلوه الرغوة

(٣) عضب : سيف قاطع

(٤) فل المشركين ـ بفتح الفاء وتشديد اللام ـ المهزومون منهم ، وتثفنهم : تطردهم وتتبع آثارهم ، وأصله الأول من ثفنات البعير . وهى ماحول الخف منه . ويروى « تنفيهم » ووقع فى بعض النسخ « تنفثهم » وشرد : جمع شاردة

(٥) ثاويا : مقيا لايبرحها ، ويروى « تاويا » بالتاء المثناة ، وهو الهالك

وَلاَ تَسْأَمِي أَنْ تُطِيلِي الْبُكَا عَلَى أَسَدِ اللهِ فِي الْهزَّةِ (١)
فَقَدْ كَانَ عِزًّا لِأَيْتَامِنَا وَلَيْثَ الْمَلاَحِمِ فِي الْبِزَّةِ (٢)
يُرِيدُ بِذَاكَ رِضَا أَحْمَدٍ وَرِضْوَانَ ذِي الْعَرْشِ وَالْعِزَّةِ

وقال كعب رضى الله عنه أيضا فى يوم أحد : —

قصيدة لكعب بن مالك فى يوم أحد

إِنَّكِ عَمْرَ أَبِيكِ الْكَرِيـ
ـمِ إِنْ تَسْأَلِي عَنْكِ مَنْ يَجْتَدِينَا (٣)
فَإِنْ تَسْأَلِي ثُمَّ لاَ تُكْذَبِي يُخَبِّرْكِ مَنْ قَدْ سَأَلْتِ الْيَقِينَا
بِأَنَّا لَيَالِيَ ذَاتِ الْعِظَا
ـمِ كُنَّا ثِمَالاً لِمَنْ يَعْتَرِينَا (٤)
تَلُوذُ النُّجُودُ بِأَذْرَائِنَا
مِنَ الضُّرِّ فِي أَزَمَاتِ السِّنِينَا (٥)

---

(١) الهزة : الاختلاط فى الحرب

(٢) الملاحم : جمع ملحمة ، وهى الحرب التى يكثر فيها القتل ، والبزة ـ بكسر الباء ـ الحرب أيضاً : ويروى بفتح الباء فمعناه حينئذ الاستلاب ، وتقول : بزه ، إذا سلبه

(٣) « عمر أبيك » يجوز فيه الرفع على أنه مبتدأ حذف خبره ، ويجوز فيه النصب ، فان أدخلت اللام فقلت « لعمر أبيك » وجب رفعه ، ويجتدينا : يطلب جدوانا وعطاءنا .

(٤) « ليالى ذات العظام » أى : الليالى التى كانت تجمع فيها العظام لتطبخ ويستخرج ودكها وهو ما فيها من الشحم ، يريد ليالى الشدة والقحط والثمال : الغياث ، والملجأ والمستعان ، ويعترينا : ينزل بنا ويزورنا

(٥) النجود ـ بفتح النون ـ المرأة المكروبة ، والنجود من الأبل

بجَدْوَى فضولِ أُولِى وُجْدِنَا
وَبالصَّبْرِ والْبَذْلِ فى الْمُعْدِمِينَا (١)
وَأَبْقَتْ لَنَا جَلَمَاتُ الْحُرُو
بِ مِمَّنْ نُوَازِى لَدُنْ أَنْ بُرِينَا (٢)
مَعَاطِنَ تَهْوِى إِلَيْهَا الْحُقُو قُ يَحْسَبُهَا مَنْ رَآهَا الْفَتِينَا (٣)
تُخَيَّسُ فِيهَا عِتَاقُ الْجِمَا
لِ صُحْمًا دَوَاجِنَ حُمْرًا وَجُونَا (٤)

القوية : ويروى « البجود » بضم البا. - وهو جمع بجد ، وهو جماعة الناس : ووقع فى نسخة «النجوم » وهو تصحيف وقوله « بأذراتنا » هو جمع ذرى ، من قولهم : كنت فى ذرى فلان ، أى : فى ستره ، وتقول العرب : ليس فى الشجر أذرى من السلم ، أى : أدفأ ذرى منه

(١) الجدوى : العطية ، والوجد - بضم الواو وسكون الجيم - السعة فى المال

(٢) جلمات الحروب : ما أبقت الحروب من المال ، ويروى « جلبات » بالباء ، «نوازى » نساوى ، و « برينا » بالبناء للمجهول - أى خلقنا ، وأصله « برئنا » بالهمز ، فسهل الهمزة ؛ وتقول : برأ الله الخلق ، أى : خلقهم ؛ يريد هذه حالنا من لدن أن خلقنا

(٣) المعاطن : مواضع بروك الآبل حول الماء ، وقد يكون إنما أراد هنا بالمعاطن الآبل نفسها من باب إطلاق اللفظ الدال على المحل والمكان وهو يريد الذى يحل فيه ، و « تهوى إليها الحقوق » يريد أن الناس يرون لهم فيها حقوقا لأننا عودناهم الجود عليهم بها ، يريد أنهم كرام أجواد ، والفتينا : الحرار ، وهى أراض ذوات حجارة سوداء ، يريد أنها عظيمة الجسم سوداء ، وهذه أفضل أنواع الآبل عندهم

(٤) تخيس - بالبناء للمجهول - تراض وتذلل ، والصحم : السود ،

وَدُفَّاعَ رَجْلٍ كَمَوْجِ الْفُرَا
تِ يَقْدُمُ جَأْوَاء جُولاً طَحُونَا (١)

تَرَى لَوْنَهَا مِثْلَ لَوْنِ النُّجُو
مِ رَجْرَاجَةً تُبْرِقُ النَّاظِرِينَا (٢)

فَإِنْ كُنْتَ عَنْ شَأْنِنَا جَاهِلاً فَسَلْ عَنْهُ ذَا الْعِلْمِ مِمَّنْ يَلِينَا

بِنَا كَيْفَ نَفْعَلُ إِنْ قَلَّصَتْ
عَوَاناً ضَرُوساً عَضُوضاً حَجُونَا (٣)

واحدها أصحم أو صحماء » ، ويروى فى مكانه « طحما » بالطاء ، ويروى « طخما » بالطاء وخاء معجمة ، والمراد بالكل واحد ، ودواجن : أى مقيمات تقول : دجن بالمكان ، إذا أقام فيه ، والجون : السود ؛ وربما أطلق الجون على البيض ؛ فهو ضد

(١) دفاع : هو فى الأصل ما يندفع مع السيل ، والرجل : أراد الرجالة ، شبه كثرتهم بما يندفع مع السيل : والفرات : نهر معروف ، والجأواء : الكتيبة إذا كان لونها بين السواد والحمرة من كثرة السلاح فيها ، والجول : الحركة والاضطراب ، قال الشارح : « الجول : جانب البئر ، والجول أيضا العقل ، وأحسبه إنما أراد معنى الجولان والحركة فى الأرض ، أو شبهها بجول البئر لأنها مهلكة كالبئر » اه ويروى فى مكانه « جونا » وهو السواد على ما تقدم ، والطحون : التى تهلك ما مرت به

(٢) رجراجة ، يموج بعضها فى بعض ، وتبرق : تحير وتبهت

(٣) قلصت : ارتفعت وانقبضت ، وقال الشارح : « قلصت : أى صارت قلوصا - يعنى الحرب - يريد إنا نذلل صعبها ونلين من ضراسها » اه والعوان : الحرب التى قوتل فيها مرة بعد مرة ، والضروس : الشديدة والعضوض : الكثيرة العض ، والحجون : المعوجة الأسنان ، مأخوذ من قولك « حجنت العود » إذا لويته

أَلِسْنَا نَشُدُّ عَلَيْهَا الْعِصَا ب حَتَّى تَدِرَّ وَحتى تلينا (١)

وَيَوْمٍ لَهُ رَهَجٌ دَائِمٌ

شَدِيدِ التَّهَاوُلِ حَامِي الإِرِينَا (٢)

طَوِيلٍ شَدِيدِ أُوَارِ الْقِتَا

لِ تَنْفِي قَوَاحِزُهُ الْمُقْرِفِينَا (٣)

تَخَالُ الْكُمَاةَ بِأَعْرَاضِهِ ثِمَالاً عَلَى لَذَّةٍ مُتْرَفِينَا (٤)

تَعَاوَرُ أَيْمَانُهُمْ بَيْنَهُمْ

كُؤُوسَ الْمَنَايَا بِحَدِّ الظُّبِينَا (٥)

---

(١) العصاب : ما يعصب الضرع ، وتدر : تعطى اللبن ، وتلين : تذل بعد شماس وتسلس بعد امتناع

(٢) « له رهج » يروى بالراء وبالواو ، فمن رواه بالراء أراد به الغبار ، ومن رواه بالواو أراد به الحر الشديد ، والتهاول : الهول والشدة والارين : جمع إرة ـ بكسر الهمزة وفتح الراء مخففة ـ وهى حفرة النار

(٣) الأوار ـ بضم الهمزة ـ الحر ، والقواحز : من القحز وهو القلق وعدم التثبت ، ويروى فى مكانه « قوازحه » وقال الشارح : « جمع قازح وهو الوثاب القلق » فهو كما قبله ، ووقع فى بعض النسخ « فواجره » وفى بعضها « فواخره » وما نراه إلا تصحيفا عما ذكرنا ، والمقرفين : اللئام

(٤) الكماة : الشجعان ، واحدهم كمى ، وأعراضه : نواحيه ، وثمالا : يروى بكسر الثاء ، وبفتحها وآخره ألف الجمع كسكارى ، وهم السكارى ، وقوله « مترفينا » هو جمع مترف وهو المسرف فى النعيم ، ويروى « منزفينا » بالنون والزاى ـ أى ذهبت الخمر بعقولهم

(٥) « الظبون » : جمع ظبة ـ بضم الظاء وفتح الباء مخففة ـ وهى حد السيف

شَهِدْنَا فَكُنَّا أُولِى بَأْسِهِ   وَتَحْتَ الْعَمَايَةِ وَالْمُعْلِمِينَا (١)

بِخُرْسِ الْحَسِيسِ حِسَانٍ رِوَاءٍ

وَبُصْرِيَّةٍ قَدْ أَجِمْنَ الْجُفُونَا (٢)

فَمَا يَنْفَلِلْنَ وَمَا يَنْحَنِينَ   وَمَا يَنْتَهِينَ إِذَا مَا نُهِينَا (٣)

كَبَرْقِ الْخَرِيفِ بِأَيْدِى الْكُمَاةِ

يُفَجِّعْنَ بِالظِّلِّ هَامًا سُكُونَا (٤)

وَعَلَّمَنَا الضَّرْبَ آبَاؤُنَا   وَسَوْفَ نُعَلِّمُ أَيْضًا بَنِينَا

---

(١) العماية : السحابة المرتفعة أو الكثيفة أو الممطرة أو الرقيقة أو السوداء أو البيضاء أو التى أراقت ماءها ، ويروى فى مكانه « الغمامة » وأراد العجاج الذى تثيره سنابك الخيل فيصعد فوق رءوس المحاربين وقوله « المعلمينا » هو معطوف على « أولى بأسه » وهم الذين يعلمون أنفسهم بعلامات يعرفون بها فى الحرب

(٢) خرس : جمع أخرس ، والحسيس : الصوت ، وأراد بخرس الحسيس السيوف ، وإنما وصفهم بالخرس لأنه يريد أنها إنما تقع على لحوم أعدائهم وفى مقاتلهم فتغرز فلا يسمع لها صوت ، ورواء : أى ممتلئة من الدم . وبصرية : منسوبة إلى بصرى ، وهو موضع بالشأم ، وأجمن : أى كرهن وعفن وسئمن . والجفون : جمع جفن ، وهو غمد السيف وقرابه

(٣) ما ينفللن : يريد أنهن حداد لا تفل أطرافها ولا يثلم حدها ، وما ينتهين أراد أنهن ماضيات

(٤) كبرق الخريف : شبه به لمعان سيوفهم ، ويفجعن بالظل : تروى بالظاء المعجمة ، وأراد بها ظلال السيوف ؛ ويروى بالطاء المهملة مفتوحة ، وأراد به ما سال من دماء قتلاهم المطلولة التى لا يؤخذ لها بثأر ، والهام : جمع هامة : وهى هنا الرأس ، والسكون : أراد بها المقيمات الثوابت

جِلَادَ الْـكُمَاةِ وَبَذْلَ التِّلَا

دِ عَنْ جُلِّ أَحْسَابِنَا مَا بَقِينَا (١)

إِذَا مَرَّ قِرْنٌ كَفَى نَسْلُهُ وَأَوْرَثَهُ بَعْدَهُ آخَرِينَا (٢)

نَشِبُّ وَتَهْلِكُ آبَاؤُنَا وَبَيْنَا نُرَبِّي بَنِينَا فَنِينَا

سَأَلْتُ بِكَ ابْنَ الزِّبَعْرَى فَلَمْ أُنَبَّأْكَ فِى الْقَوْمِ إِلَّا هَجِينَا (٣)

خَبِيثًا تُطِيفُ بِكَ الْمُنْدِيَاتُ

مُقِيمًا عَلَى اللُّؤْمِ حِينًا فَحِينَا (٤)

تَبَجَّسْتَ تَهْجُو رَسُولَ الْمَلِيـ ـكِ قَاتَلَكَ اللهُ جِلْفًا لَعِينَا (٥)

تَقُولُ الْخَنَا ثُمَّ تَرْمِى بِهِ نَقِيَّ الثِّيَابِ تَقِيًّا أَمِينَا (٦)

قال ابن هشام : أنشدنى بيته « بنا كيف نفعل » والبيت الذى يليه

---

(١) الجلاد : المضاربة ومجالدة الأعداء ، والجلاد : مفعول لقوله « نعلم » فى البيت السابق ؛ وهذا من عيوب الشعر ، والكماة : الشجعان ، والتلاد — بكسر التاء — المال القديم ؛ وجل الشىء — بضم الجيم — معظمه

(٢) القرن — بكسر القاف — الذى يقاومك فى شدة أو قتال أو نحوها ، فأما بفتح القاف فهو الأمة من الناس

(٣) الهجين : أراد به الدنىء ؛ يريد أنه سأل عنه فلم يخبر عنه بغير ذلك

(٤) المنديات : المخزيات ، وأصلها اسم فاعل من أنداه إذا بالّه ؛ والمخازى تبل وجه المرء بالخجل والحياء

(٥) تبجست : يروى بالباء الموحدة بعد التاء ، ويروى بالنون فى مكان الباء ، فمن رواه بالباء أراد أكثرت ، وذلك كما يتبجس الماء ويتفجر ويسيل ومن رواه بالنون فانما أراد دخلت فى أهل النجس والخبث ، والجلف — بكسر فسكون — الجافى الغليظ الطبع

(٦) الخنى : الكلام الذى فيه فحش

والبيت الثالث منه وصـــدر الرابع منه ، وقوله « نشب وتهلك آباؤنا » والبيت الذى يليه والبيت الثالث منه أبو زيدٍ الأنصارى

قصيده أخرى لكعب بن مالك فى يوم أحد

قال ابن إسحق : وقال كعب بن مالك رضى الله عنه فى يوم أُحد :

سَائِلْ قُرَيْشًا غَدَاةَ السَّفْحِ مِنْ أُحُدٍ
مَاذَا لَقِينَا وَمَا لاَقَوْا مِنَ الْهَرَبِ (١)
كُنَّا الأُسُودَ وَكَانُوا النُّمْرَ إِذْ زَحَفُوا
مَا إِنْ نُرَاقِبُ مِنْ إِلٍّ وَلاَ نَسَبِ (٢)
فَكَمْ تَرَكْنَا بِهَا مِنْ سَيِّدٍ بَطَلٍ
حَامِي الذِّمَارِ كَرِيمِ الْجَدِّ وَالْحَسَبِ (٣)
فِينَا الرَّسُولُ شِهَابٌ ثُمَّ نَتْبَعُهُ   نُورٌ مُضِيءٌ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الشُّهُبِ
الْحَقُّ مَنْطِقُهُ وَالْعَدْلُ سِيرَتُهُ
فَمَنْ يُجِبْهُ إِلَيْهِ يَنْجُ مِنْ تَبَبِ (٤)

---

(١) السفح : جانب الجبل مما يلى أصله

(٢) النمر - بضم فسكون هنا - جمع نمر - بوزان كتف - وهو ضرب من السباع ، وأصل جمعه نمور ، مثل أسود . ثم حذف الواو كما حذفها الراجز فى قوله :

* فِيهَا عَيَايِيلُ أُسُودٌ وَنُمُرْ *

فصار نمر بضمتين ، ثم سكن وسطه ، وقوله « زحفوا » معناه مشوا إلينا وساروا نحونا . و«إن» فى قوله « ما إن نراقب » زائدة ، والال - بكسر الهمزة وتشديد اللام - العهد ، وفى بعض النسخ « من آل » ومعناه أهل . ولعلها أحسن

(٣) الذمار - بزنة كتاب - مايجب على الرجل أن يدفع عنه ويقوم دونه

(٤) التبب - بفتح أوله وثانيه - ومثله التباب - بفتح أوله أيضا - هو

نَجْدُ الْمُقَدَّمِ مَاضِى الْهَمِّ مُعْتَزِمٌ
حِينَ الْقُلُوبُ عَلَى رَجْفٍ مِنَ الرُّعُبِ (١)

يَمْضِى وَيَذْمُرُنَا عَنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ
كَأَنَّهُ الْبَدْرُ لَمْ يُطْبَعْ عَلَى الْكَذِبِ (٢)

بَدَا لَنَا فَاتَّبَعْنَاهُ نُصَدِّقُهُ   وَكَذَّبُوهُ فَكُنَّا أَسْعَدَ الْعَرَبِ

جَالُوا وَجُلْنَا فَمَا فَاءُوا وَمَا رَجَعُوا
وَنَحْنُ نَثْفِنُهُمْ لَمْ نَأْلُ فِى الطَّلَبِ (٣)

لَيْسَا سَوَاءً وَشَتَّى بَيْنَ أَمْرِهِمَا
حِزْبُ الْإِلٰهِ وَأَهْلُ الشِّرْكِ وَالنُّصُبِ (٤)

قال ابن هشام : أنشدنى من قوله « نمضى ويذمرنا » إلى آخرها أبو زيد الأنصارى

الخسران والهلاك ، ومنه قوله تعالى (تبت يدا أبى لهب وتب) أى : خسرت يده وهلكت وخسر هو وهلك

(١) نجد المقدم : يريد أنه شجاع ، والنجد : ذو النجدة الذى يغيث ويدافع عمن يدعوه ، والمقدم : مصدر ميمى بمعنى الاقدام ، والرجف : التحرك ، والرعب : الفزع والخوف ، وأصله بضم فسكون فضم ثانيه إتباعا لضم أوله كما يقال عصر وعصر

(٢) يذمرنا : يحضنا ويدفعنا ، ولم يطبع : أى لم يخلق

(٣) جالوا : تحركوا ، وفاءوا : رجعوا ، ومنه قوله تعالى : (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله) وقوله « نثفنهم » معناه نطردهم ، ولم نأل : أى لم نقصر

(٤) النصب ـ بضمتين ـ حجارة كانوا يذبحون لها ويعظمونها

قال ابن إسحق : وقال عبد الله بن رَوَاحة يبكى حمزة بن عبدالمطلب

قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك .

قصيدة تنسب لعبد الله بن رواحة وتنسب لكعب بن مالك فى رثاء حمزة

بَكَتْ عَيْنِى وحُقَّ لَهَا بُكَاهَا ... وَمَا يُغْنِى الْبُكَاءُ وَلاَ الْعَوِيلُ (١)

عَلَى أَسَدِ الْإِلٰهِ غَدَاةَ قَالُوا ... أَحَمْزَةُ ذَاكُمُ الرَّجُلُ الْقَتِيلُ

أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعاً ... هُنَاكَ وَقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ

أَبَا يَعْلَى لَكَ الأَرْكَانُ هُدَّتْ ... وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرُّ الْوَصُولُ (٢)

عَلَيْكَ سَلاَمُ رَبِّكَ فِى جِنَانٍ ... مُخَالِطُهَا نَعِيمٌ لاَ يَزُولُ

أَلَا يَاهَاشِمُ الأَخْيَارُ صَبْراً ... فَكُلُّ فَعَالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيلُ

رَسُولُ اللهِ مُصْطَبِرٌ كَرِيمٌ ... بِأَمْرِ اللهِ يَنْطِقُ إِذْ يَقُولُ

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى لُؤَيًّا ... فَبَعْدَ الْيَوْمِ دَائِلَةٌ تَدُولُ (٣)

وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَا عَرَفُوا وذَاقُوا ... وقائِعَنَا بِهَا يُشْفَى الْغَلِيلُ (٤)

نَسِيتُمْ ضَرْبَنَا بِقَلِيبِ بَدْرٍ ... غَدَاةَ أَتَاكُمُ الْمَوْتُ الْعَجِيلُ (٥)

غَدَاةَ ثَوَى أَبُو جَهْلٍ صَرِيعاً ... عَلَيْهِ الطَّيْرُ حَائِمَةً تَجُولُ (٦)

---

(١) العويل : البكاء مع ارتفاع صوت

(٢) أبو يعلى : هى كنية حمزة رضى الله عنه ، وكان حمزة يكنى بابنه يعلى ، ولم يعش لحمزة ولد غيره ، وأعقب يعلى خمسة من البنين ثم انقرض عقبهم ، وكان كذلك يكنى أبا عمارة ، وعمارة بنت له ، وقد سبق تكنيته فى ذكر المبعث بهذه ، والماجد : الشريف

(٣) دائلة تدول : يريد دائرة الحرب

(٤) الغليل : حرارة الجوف من عطش أو حزن

(٥) العجيل : العاجل السريع

(٦) حائمة : تدور حوله ، تقول : حام الطائر حول الماء ، إذا دار حوله ، وتجول : تجىء وتذهب

وعُتْبَةُ وَابنُهُ خرَّا جَمِيعاً وَشَيْبَةُ عَضَّهُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ (١)
وَمَتْرَكْنَا أُمَيَّةَ مُجْلَعِبّاً وَفِى حَيْزُومِهِ لَدْنٌ نَبِيلٌ (٢)
وَهَامَ بَنِي رَبِيعَةَ سَائِلُوهَا فَفِي أَسْيَافِنَا مِنْهَا فُلُولُ
أَلَا يَاهِنْدُ فَابْكِي لاَ تَمَلِّى فأَنْتِ الْوَالِهُ الْعَبْرَى الْهَبُولُ (٣)
أَلَا يَاهِنْدُ لَا تُبْدِى شَمَاتاً بِحَمْزَةَ إِنَّ عِزَّكُمُ ذَلِيلُ

قال ابن إسحق : وقال كعب بن مالك رضى الله عنه أيضا :—

كلمة أخرى لكعب بن مالك فى يوم أحد

أَبْلِغْ قُرَيْشاً عَلَى نَأْيِها أَتَفْخَرُ مِنَّا بِمَا لَمْ تَلِي (٤)
فَخَرْتُمْ بِقَتْلَى أَصَابَتْهُمُ فَوَاضِلُ مِنْ نِعَمِ الْمُفْضِلِ
فَحَلُّوا جِنَاناً وَأَبْقَوْا لَكُمْ أُسُوداً تُحَامِى عَنِ الْأَشْبُلِ (٥)
تُقَاتِلُ عَنْ دِينِهَا وَسْطَهَا نَبِيٌّ عَنِ الْحَقِّ لَمْ يَنْكُلِ (٦)
رَمَتْهُ مَعَدٌّ بِعُورِ الْكَلَامِ وَنَبْلِ الْعَدَاوَةِ لاَ تَأْتَلِي (٧)

---

(١) خرا جميعا : سقطا على الأرض

(٢) مجلعبا : معناه أنه ممتد مع الأرض ، والحيزوم : أسفل الصدر ، واللدن : الرمح اللين ، والنبيل : العظيم

(٣) الواله : الشديدة الحزن ، أو هى الفاقد ، والعبرى : الكثيرة الدمع ، والهبول : التى فقدت عزيزها

(٤) النأى : البعد ، وقوله « بما لم تلى » يريد كيف تفخر بأنها قتلت منا وليس ذلك من فعلها

(٥) تحامى : تدافع ، والأشبل : جمع شبل ، وهو ولد الأسد

(٦) لم ينكل : لم يرجع ولم يتقهقر

(٧) عور الكلام : جمع عوراء ، وهى الكلمة القبيحة ، وقوله « لا تأتلى » يريد أنها جهدت لذلك ولم تقصر

قال ابن هشام : أنشدنى قوله «لمرتلى» وقوله« من نعم المفضل» أبوزيد الأنصارى

قال ابن إسحق : وقال ضرار بن الخطاب فى يوم أحد :—

قصيدة لضرار بن الخطاب فى يوم أحد

مَا بَالُ عَيْنَيْكَ قَدْأَزْرَى بِهَا السُّهُدُ ... كَأَنَّمَا جَالَ فِي أَجْفَانِهَا الرَّمَدُ (١)

أَمِنْ فِرَاقِ حَبِيبٍ كُنْتَ تَأْلَفُهُ ... قَدْ حَالَ مِنْ دُونِهِ الْأَعْدَاءُ وَالْبُعُدُ (٢)

أَمْ ذَاكَ مِنْ شَغْبِ قَوْمٍ لَا جَدَاءَ بِهِمْ ... إِذَا الْحُرُوبُ تَلَظَّتْ نَارُهَا تَقِدُ (٣)

مَا يَنْتَهُونَ عَنِ الْغَيِّ الَّذِي رَكِبُوا ... وَمَا لَهُمْ مِنْ لُؤَيٍّ وَيْحَهُمْ عَضُدُ (٤)

---

(١) فى نسخة « ما بال عينك » بالأفراد ، وهو الأنسب لما بعده ، وقوله أزرى بها : أى قصر بها عن إدراك ماتأمله ، تقول : أزريت بالرجل ، إذا قصرت به ، وتقول : زرى عليه ، إذا عابه وانتقص منه ، والسهد : عدم النوم ، والرمد : وجع العين ، وجال : تحرك

(٢) البعد — بضمتين هنا — وأصله بضم فسكون فأتبع العين للفاء فى حركتها.

(٣) شغب قوم : تهييجهم الشر ، ويقال بفتح فسكون وبفتحتين ، وقوله « لاجداء لهم » هو من أوصاف القوم ، ومعناه لامنفعة عندهم ولا غناء لهم ولا قوة بهم ، وتلظت : التهبت واستعرت نارها ، ومنه قوله تعالى : (فأنذرتكم نارا تلظى) يريد تلتهب ، وتقد : مثل تتقد فى المعنى

(٤) مالهم عضد : أى ليس لهم معين ، وقوله « ويحهم » هو جملة دعائية اعترض بها بين الخبر ومبتدئه

وَقَدْ نَشَدْنَاهُمُ بِاللهِ قَاطِبَـةً
فَمَا تَرُدُّهُمُ الْأَرْحَامُ وَالنِّشَدُ (١)
حَتَّى إذَا مَاأَبَوْا إلا مُحَارَبَةً
وَاسْتَحْصَدَتْ بَيْنَنَا الْأَضْغَانُ والحِقَدُ (٢)
سِرْنَا إِلَيْهِمْ بِجَيْشٍ فى جَوَانِبِهِ
قَوَانِسُ الْبِيضِ وَالْمَحْبُوكَةُ السُّرُدُ (٣)
وَالْجُرْدُ تَرْفُلُ بِالْأَبْطَالِ شَازِبَةً
كَأَنَّهَا حِـدَأٌ فى سَيْرِهَا تُؤَدُ (٤)
جَيْشٌ يَقُودُهُمُ صَخْرٌ وَيَرْأَسُهُمْ
كَأَنَّهُ لَيْثُ غَابٍ هَاصِرٌ حَرِدُ (٥)

---

(١) قاطبة : أى جميعا ، والنشـــد ـ بكسر النون وفتح الشين ـ جمع نشدة ، وهى اليمين ، تقول : نشدتك الله ، وناشدتك الله ، ونحو ذلك

(٢) استحصدت : قويت واستحكمت ، وأصله قولك : حبل محصد ، إذا كان شديد الفتل محكمه ، والأضغان : جمع ضغن ، وهو العداوة ، والحقد ـ بكسر ففتح ـ العداوات أيضا

(٣) القوانس : أعالى بيض السلاح ، والمحبوكة : الشديدة ، والسرد : المنسوجة ، يريد بها الدروع

(٤) الجرد : جمع أجرد ، وأراد بها الخيل العتاق ، وترفل بالأبطال : تمشى بهم مشى المتبختر ، وقوله « شازبة » يريد ضامرة شديدة اللحم ، والحدأ ـ بكسر الحاء وفتح الدال ـ جمع حدأة وهى طائر معروف ، وتؤد : أى تمهل وترفق وتأن

(٥) صخر : هو أبو سفيان ، وغاب : جمع غابة ، وهى موضع

فَأَبْرَزَ الْحَيْنُ قَوْمًا مِنْ مَنَازِلِهِمْ
فَكَانَ مِنَّا وَمِنْهُمْ مُلْتَقًى أُحُدُ
فَغُودِرَتْ مِنْهُمُ قَتْلَى مُجَدَّلَةً
كَالْمَعْزِ أَصْرَدَهُ بِالصَّرْدَحِ الْبَرَدُ (١)
قَتْلَى كِرَامٌ بَنُو النَّجَّارِ وَسْطَهُمُ
وَمُصْعَبٌ مِنْ قَنَانَا حَوْلَهُ قِصَدُ (٢)
وَحَمْزَةُ الْقَرْمُ مَصْرُوعٌ تُطِيفُ بِهِ
ثَكْلَى وَقَدْ حُزَّ مِنْهُ الْأَنْفُ وَالْكَبِدُ (٣)
كَأَنَّهُ حِينَ يَكْبُو فِي جَدِيَّتِهِ
تَحْتَ الْعَجَاجِ وَفِيهِ ثَعْلَبٌ جَسِدُ (٤)

الأسد ، وهاصر : كاسر ، يعدو على فريسته فيكسرها إذا أخذها ، وحرد ـ بفتح الحاء وكسر الراء ـ أى غاضب

(١) مجدلة : لاصقة بالجدالة ، وهى الأرض ، وأصرده : أى بالغ فى إبراده ، والصرد : البرد ، والصردح : المكان الصلب الغليظ

(٢) قصد ـ بكسر القاف وفتح الصاد ـ أى قطع متكسرة ، واحدتها قصدة .

(٣) القرم ـ بفتح القاف ـ أصله الفحل من الابل ، وهو هنا الرجل السيد ، والثكلى : الحزينة الفاقد ، وحز : قطع ، وكانت هند بنت عتبة زوج أبى سفيان حين مثلت بقتلى أحد قد قطعت أنف حمزة وأذنه وكبده

(٤) يكبو : يسقط ، والجدية ـ بفتح الجيم وكسر الدال وتشديد الياء ـ طريقة الدم ، والعجاج ـ كسحاب ـ الغبار ، والثعلب هنا : ما دخل من الرمح فى السنان ، وجسد : أى قد يبس عليه الدم

حُوَارُ نَابٍ وَقَدْ وَلَّى صَحَابَتُهُ
كَمَا تَوَلَّى النَّعَامُ الْهَارِبُ الشُّرُدُ (١)

مُجَلِّحِينَ وَلَا يَلْوُونَ قَدْ مُلِئُوا
رُعْبًا فَنَجَّتْهُمُ الْعَوْصَاءُ وَالْكُوُدُ (٢)

تَبْكِي عَلَيْهِمْ نِسَاءٌ لَا بُعُولَ لَهَا
مِنْ كُلِّ سَالِبَةٍ أَثْوَابُهَا قِدَدُ (٣)

وَقَدْ تَرَكْنَاهُمُ لِلطَّيْرِ مَلْحَمَةً
وَلِلضِّبَاعِ إِلَى أَجْسَادِهِمْ تَفِدُ (٤)

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار

قال ابن إسحق : وقال أبو زَعْنَةَ (٥) بن عبد الله بن عمرو بن عُتْبَةَ أخو بني جُشَم بن الخزرج يوم أُحد :

---

(١) الحوار – كغراب – ولد الناقة ، والناب : المسنة من الابل والشرد : النافرة

(٢) مجلحين : مصممين لا يردهم شيء ، والرعب : الفزع والخوف ، والعوصاء : عقبة صعبة تعتاص على سالكها ، والكؤد : جمع كؤود – بفتح الكاف – وهي الصعبة المرتقى

(٣) سالبة : هي التي لبست ثياب الحزن ، وقدد : أي قطع ، يريد أنها مزقت ثيابها ، وهي من عادة النساء في الأحزان

(٤) الملحمة : الموضع الذي يلتحم فيه المتحاربون وتخر فيه القتلى ، والضباع : جمع ضبع ، وهو ضرب من السباع ، وتفد : أي تقدم عليهم وتزور أجسادهم ، يريد أنها تأكل أجسامهم

(٥) «أبو زعنة» قال أبو ذر : «وقع هنا بالنون ، وزعبة بالزاي والعين المهملة والباء المنقوطة بواحدة ، وهكذا قيده الدارقطني » اه

كلمة أبى زعنة فى يوم أحد

أَنَا أَبُو زَعْنَــةَ يَعْدُو بِي الْهُزَمْ

لَمْ تُمْنَعِ الْمَخْزَاةُ إِلاَّ بِالأَلَمْ (١)

يَحْمِي الذِّمَارَ خَزْرَجِيٌّ مِنْ جُشَمْ

قال ابن إسحق : وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه

كلمة تنسب لعلى ابن أبى طالب فى يوم أحد

قال ابن هشام : قالها رجل من المسلمين يوم أحد غير على ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر ولم أر أحدًا منهم يعرفها لعلى رضي الله عنه : —

لاَهُمَّ إِنَّ الْحٰرِثَ بْنَ الصِّمَّهْ   كَانَ وَفِيًّا وَبِنَا ذَا ذِمَّهْ (٢)

أَقْبَلَ فِي مَهَامِهٍ مُهِمَّــهْ   كَلَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ مُدْلَهِمَّهْ (٣)

بَيْنَ سُيُوفٍ وَرِمَاحٍ جَمَّهْ   يَبْغِي رَسُولَ اللهِ فِيمَا ثَمَّهْ (٤)

قال ابن هشام : قوله « كليلة » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال عكرمة بن أبى جهل فى يوم أحد : —

كلمة لعكرمة بن أبى جهل

كُلُّهُمُ يَزْجُرُهُ أَرْحِبْ هَلاَ   وَلَنْ يَرَوْهُ الْيَوْمَ إِلاَّ مُقْبِلاَ (٥)

---

(١) يعدو بى : يسرع بى ، والهزم ـ بضم الهاء وفتح الزاى وآخره ميم ـ اسم فرس له ، ومن الناس من يرويه بفتح الهاء وكسر الزاى على أنه صفة ومعناه السريع الجرى

(٢) الذمار : مايجب على الرجل أن يحميه

(٣) الذمة : العهد هنا

(٤) المهامه : جمع مهمه ، وهو القفر . والمدلهمة : الشديدة السواد

(٥) جمة : كثيرة

(٦) « أرحب هلا » هاتان كلمتان يزجر بكل واحدة منهما الخيل ،

يَحْمِلُ رُمْحًا وَرَئِيسًا جَحْفَلاَ (١)

وقال الأعشى بن زُرَارة بن النَّبَّاش التميمى

قال ابن هشام : ثم أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم يبكى قتلى بنى عبد الدار يوم أحد : —

كلمة للأعشى بن زرارة بن النباش

حُيِّىَ مِنْ حَيٍّ عَلَى نَأْيِهِمْ بَنُو أَبِى طَلْحَةَ لاَ تُصْرَفُ (٢)
يَمُرُّ سَاقِيهِمْ عَلَيْهِمْ بِهَا وَكُلُّ سَاقٍ لَهُمُ يَعْرِفُ
[لاَ جَارُهُمْ يَشْكُو وَلاَ ضَيْفُهُمْ
مِنْ دُونِهِ بَابٌ لَهُمْ يَصْرِفُ] (٣)

يقال : أرحب ، ويقال : هلا ، وفى بعض نسخ الكتاب رواية أول هذه الكلمة هكذا :ـ

كُلُّهُمُ ابْنُ حُرَّةٍ أَرْحِبْ هَلاَ

(١) الجحفل : الكثير العظيم

(٢) « حي » فعل ماض مبنى للمجهول ، وهو خبر يراد به إنشاء الدعاء ، والنأى : البعد ، وقوله « لاتصرف » معناه لاترد ، يريد أن هذه التحية لايردها أحد ، فأعاد الضمير إلى التحية التى تفهم من قوله حي ، وذلك كناية عن اشتهار فضلهم حتى لا يستطيع أحد أن ينكر عليه تحيتهم

(٣) سقط هذا البيت من بعض نسخ الأصل ، وهو مشروح فى نسخة أبى ذر ، وقوله «يصرف» فى آخر البيت معناه يصوت ، والصريف : الصوت قال النابغة الذبيانى : ـ

لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفُ الْقَعْوِ بِالْمَسَدِ

(القعو : البكرة ، والمسد : الحبل) ومعنى قوله « ولاضيفهم من دونه باب لهم يصرف » أنهم لا يقفلون بابهم عن الضيف فيسمع له صوت

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى في يوم أُحد : —

كلمة لعبد الله بن الزبعرى

قَتَلْنَا ابْنَ جَحْشٍ فَاغْتَبَطْنَا بِقَتْلِهِ
وَحَمْزَةَ فى فُرْسَانِهِ وَابْنَ قَوْقَلٍ (١)

وَأَفْلَتَنَا مِنْهُمْ رِجَالٌ فَأَسْرَعُوا
فَلَيْتَهُمُ عَاجُوا وَلَمْ نَتَعَجَّلِ (٢)

أَقَامُوا لَنَا حَتَّى تَعَضَّ سُيُوفُنَا سَرَاتَهُمُ وَكُلُّنَا غَيْرُ عُزَّلِ (٣)

وَحَتَّى يَكُونَ الْقَتْلُ فِينَا وَفِيهِمُ
وَيَلْقَوْا صَبَاحًا شَرُّهُ غَيْرُ مُنْجَلِي (٤)

قال ابن هشام : وقوله « وكلنا » وقوله « ويلقوا صباحاً » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكى أخاها حمزة ابن عبد المطلب رضي الله عنه وعنها : —

صفية بنت عبد المطلب ترثى أخاها حمزة

أَسَائِلَةٌ أَصْحَابَ أُحْدٍ مَخَافَةً بَنَاتُ أَبِي مِنْ أَعْجَمٍ وَخَبِيرِ (٥)

فَقَالَ الْخَبِيرُ إِنَّ حَمْزَةَ قَدْ ثَوَى وَزِيرُ رَسُولِ اللهِ خَيْرُ وَزِيرِ

---

(١) اغتبطنا : سررنا وفرحنا

(٢) عاجوا : عطفوا وأقاموا

(٣) سراتهم : خيارهم ، وعزل : لا سلاح معهم

(٤) « صباحا » وقع فى بعض أصول الكتاب « صبوحا » والصبوح بفتح الصاد — شرب الغداة . وإنما أراد ههنا أنهم يسقونهم كأس المنية ، وغير منجل : غير منكشف

(٥) الأعجم : هو الذى لا يفصح عما فى نفسه ، وأرادت ههنا الذى لا علم عنده ، ولهذا قابلته بالخبير

دَعَاهُ إِلٰهُ الْحَقِّ ذُو الْعَرْشِ دَعْوَةً إِلَى جَنَّةٍ يَحْيَا بِهَا وَسُرُورِ
فَذَلِكَ مَا كُنَّا نُرَجِّى وَنَرْتَجِى لِحَمْزَةَ يَوْمَ الْحَشْرِ خَيْرَ مَصِيرِ
فَوَاللهِ لاَ أَنْسَاكَ مَاهَبَّتِ الصَّبَا
بُــكَاءً وَحُزْناً مَحْضَرِى وَمَسِيرِى (١)
عَلَى أَسَدِ اللهِ الَّذِى كَانَ مِدْرَهًا
يَذُودُ عَنِ الْإِسْلاَمِ كُلَّ كَفُورِ (٢)
فَيَالَيْتَ شِلْوِى عِنْدَ ذَاكَ وَأَعْظُمِى
لَدَى أَضْبُعٍ تَعْتَادُنِى وَنُسُورِ (٣)
أَقُولُ وَقَدْ أَعْلَى النَّعِىَّ عَشِيرَتِى :
جَزَى اللهُ خَيْراً مِنْ أَخٍ وَنَصِيرِ (٤)

---

(١) الصبا : الريح الشرقية ، ومحضرى : هو فى الأصل مصدر بمعنى الحضور ، وأرادت منه ههنا معنى الظرفية ، ومسيرى : فى الأصل مصدر بمعنى السير ، وأرادت منه الظرف ، ولم تردوقت السير ، ولكن أرادت وقت المغيب ، بقرينة مقابلته بالمحضر

(٢) المدره ـ بكسر الميم وسكون الدال وفتح الراء ، بزنة منبر ـ الذى يدافع عن القوم بلسانه وسيفه ، وقولها « يذود كل كفور » معناه يدفعه عن قومه ويمنعه من الوصول إليهم

(٣) الشلو ـ بكسر الشين وسكون اللام ـ البقية ، وأضبع : جمع ضبع ، وهو ضرب من السباع ، ونسور : جمع نسر ، وهو ضرب من كواسر الطير ، وتعتادنى : تعود إلى مرة بعد مرة وتتعاهدنى

(٤) « النعى » هو بفتح النون وكسر العين وتشديد الياء ـ ويروى منصوبا ومرفوعا ، فأما من رواه منصوبا ، فقد جعله مفعولا لأعلى وجعل الفاعل هو قولها عشيرتى ، والنعى ـ على ذلك ـ بمعنى النوح ، والبكا والمعنى

قال ابن هشام : أنشدني بعض أهل العلم بالشعر قولها : —

* بُكاءً وَحُزْناً مَحْضَرِى وَمَسِيرِى *

قال ابن إسحق : وقالت نعمُ امرأة شَمَّاس بن عُثْمَان تبكى شَمَّاساً وأُصيب يوم أحد : —

نعم بنت سعيد تبكى زوجها شماس بن عثمان

يَا عَيْنُ جُودِى بِفَيْضٍ غَيْرِ إِبْسَاسِ
عَلَى كَرِيمٍ مِنَ الْفِتْيَانِ لَبَّاسِ (١)
صَعْبِ الْبَدِيهَةِ مَيْمُونٍ نَقِيبَتُهُ
حَمَّالِ أَلْوِيَةٍ رَكَّابِ أَفْرَاسِ (٢)
أَقُولُ لَمَّا أَتَى النَّاعِى لَهُ جَزَعاً :
أَوْدَى الْجَوَادُ وَأَوْدَى الْمُطْعِمُ الْكَاسِى (٣)
وَقُلْتُ لَمَّا خَلَتْ مِنْهُ مَجَالِسُهُ :
لَا يُبْعِدُ اللهُ عَنَّا قُرْبَ شَمَّاسِ (٤)

رفعت عشيرتى أصواتها بالنوح والبكاء ، وأما من رواه مرفوعا فقد جعله فاعل أعلى ، ومعناه حينئذ الذى يأتى بخبر الميت

(١) إبساس : أى قليل ، وقولها « لباس » هو صيغة مبالغة من اللبس تريد أنه يلبس أداة الحرب ، ويروى فى مكانه « أباس » بفتح الهمزة وتشديد الباء ـ وهو الشديد الذى يغلب غيره ويقهره

(٢) البديهة : أول الأمر والرأى ، وميمون نقيبته : أى مسعود الفعال ، والألوية : جمع لواء ، وهو العلم

(٣) الناعى : الذى يأتى بخبر الميت ، أودى : هلك ، والمطعم : اسم فاعل من أطعم ، والكاسى : اسم فاعل من كسا ؛ تريد أنه كريم يطعم الضيفان ويكسو الفقراء

(٤) خلت منه مجالسه : كناية عن أنه مات

أبو الحكم بن سعيد يعزى أخته نعماف زوجها شماس

فأجابها أخوها — وهو أبو الحَكَمِ بن سعيد بن يَرْبُوع — يُعَزِّيها فقال :—

إِقْنَىْ حَيَاءكِ فِى سِتْرٍ وَفِى كَرَمٍ
فَإِنَّمَا كَانَ شَمَّاسٌ مِنَ النَّاسِ (١)
لاَ تَقْتُلِى النَّفسَ إِذْ حَانَتْ مَنِيَّتُهُ
فِى طَاعَةِ اللهِ يَوْمَ الرَّوْعِ وَالْبَاسِ (٢)
قَدْ كَانَ حَمْزَةُ لَيْثَ اللهِ فَاصْطَبِرِى
فَذَاقَ يَوْمَئِذٍ مِنْ كَأْسِ شَمَّاسِ

كلمة لهند بنت عتبة

وقالت هندُ بنت عُتْبَة حين انصرف المشركون عن أُحد :—

رَجَعْتُ وَفِى نَفْسِى بَلَابِلُ جَمَّةٌ
وَقَدْ فَاتَنِى بَعْضُ الَّذِى كَانَ مَطْلَبِى (٣)
مِنَ أَصْحَابِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ
بَنِى هَاشِمٍ مِنْهُمْ وَمِنْ أَهْلِ يَثْرِبِ
وَلٰكِنَّنِى قَدْ نِلْتُ شَيْئاً وَلَمْ يَكُنْ
كَمَا كُنْتُ أَرْجُو فِى مَسِيرِى وَمَرْكَبِى

قال ابن هشام : وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قولها :—

* وَقَدْ فَاتَنِى بَعْضُ الَّذِى كَانَ مَطْلَبِى *

وبعضهم ينكرها لهند ، والله أعلم

---

(١) اقنى حياءك : يريد حافظى عليه ولا تخرجى عنه ، وليكن مدخراً عندك بمنزلة القنية

(٢) حانت : دنت وجاء وقتها ، والمنية : الموت ، والروع : الفزع والخوف ، والباس : الشجاعة

(٣) البلابل : الأحزان ، وجمة : أى كثيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر يوم الرَّجيع فى سنة ثلاث

قال : حدثنا أبو محمد عبدُ الملك بن هشام ، قال : حدثنا زِيَادُ بن عبد الله الْبَكَّائِىُّ ، عن محمد بن إسحق المطلبي ، قال :

قدوم رهط من عضل والقارة على رسول الله

حدثنى عاصم بن عُمَرَ بن قَتَادَةَ ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أُحُدٍ رَهْطٌ من عَضَل والْقَارَة

قال ابن هشام : عَضَلٌ وَالْقَارة : من الْهَوْن بن خُزَيمة بن مُدْرِكة

[قال ابن هشام] : ويقال : الهُـون [بضم الهاء]

مطلبهم أن يرسل معهم من يعلمهم

قال ابن إسحق : فقالوا : يارسولَ الله ، إنَّ فينا إسلاما ، فابْعَثْ معنا نَفَرًا من أصحابك يُفَقِّهُونَنَا فى الدين ، ويُقْرِئُوننا القرآن ، ويُعَلِّمُونَنَا شرائع الاسلام ؛ فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نَفَرًا ستةً (١)

أسماء النفر الذين أرسلهم رسول الله مع الرهط

من أصحابه ، وهم مَرْثَدبن أبى مَرْثَد الْغَنَوِىُّ حليفُ حمزة بن عبد المطلب، وخالد بن الْبُكَير اللَّيْثِىُّ حليف بنى عدى بن كعب ، وعاصِمُ بن ثابت ابن أبى الأقلح أخو بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وخُبَيْب ابن عَدِىّ أخو بنى جَحْجَبَى بن كُلْفَةَ بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدَّثِنَّة بن معاوية أخو بنى بَيَاضة بن عمرو (٢) بن زُرَيْق [بن عبد حارثة بن

---

(١) جزم ابن سعد بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل معهم عشرة رجال ، وزاد على من ذكرهم ابن إسحق معتب بن عبيد ، ولم يسم باقيهم ، وفى سيرة موسى بن عقبة ذكر الستة الذين ذكرهم بن إسحق وزاد عليهم مغيث بن عوف ، قال الحافظ ابن حجر : ولعل الثلاثة الآخرين كانوا أتباعا فلم يحصل الاعتناء بتسميتهم . اهـ من الزرقانى على المواهب

(٢) فى نسخة «عامر»

مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج] وعَبْدُ الله بن طارق حليف بنى ظَفَر [بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس] وأمَّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم مَرْثَد بن أبى مرثد الْغَنَوى ، فخرج مع القوم حتى إذا كانوا على الرَّجيع — ماء لِهُذَيل بناحية الحجاز — على صدرِ الهَدْأة (١) غدَرُوا بهم،فاستصرخوا (٢) عليهم هُذَيْلا ،فَلَمْ يَرُع القومَ —وهم فى رحالهم — إلا الرجالُ بأيديهم السيوف قد غَشُوهُم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم ، فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم ، فأما مرثد ابن أبى مرثد وخالد بن الْبُكَيْر وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عَهْدًا ولا عَقْدًا أبدا ، فقال عاصم بن ثابت : —

---

(١) الهدأة ـ بفتح الهاء وسكون الدال وبعدها همزة ـ اسم موضع بين عسفان ومكة على سبعة أميال من عسفان ، وقد ذكر ذلك الموضع فى مقتل عاصم أحد هؤلاء النفر ، وهكذا وقع مضبوطا فى نسخ الأصل ، ولكن وقع فى شرح أبى ذر : « الهدة يروى هنا بتخفيف الدال وتشديدها ، وهو اسم موضع ، قال ابن السراج : أراد الهدأة فنقل الحركة ، فهو مخفف على هذا » اه والذى يؤخذ من مراجعة ياقوت أن الهدة ـ بدون همز ـ موضع آخر غير الهدأة ـ بهمزة بعد الدال ـ فانه ذكر الهدة بتخفيف الدال والهدة بتشديدها والهدأة بالهمز،وأفرد لكل واحد من هذه الثلاثة ترجمة ، وقال فى أحد المواضع « وقال أبو حاتم : يقال لموضع بين مكة والطائف الهدة بغير ألف ، وهو غير الهدأة ، وذكر معه لنفى الوهم » اه ، وقال الزرقانى : « الهدأة : بفتح الهاء ، قال الحافظ ، وسكون الدال بعدها همزة مفتوحة ، لأكثر الرواة ، وللكشميهنى بفتح الدال وتسهيل الهمزة وعند ابن إسحاق بالهدة بتشديد الدال بغير ألف » اه

(٢) استصرخوا عليهم هذيلا : استغاثوا بهذيل ليعينوهم عليهم .

مَا عِلَّتِي وَأَنَا جَلْدٌ نَابِلُ ... وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌ عُنَابِلُ (١)

تَزِلُّ عَنْ صَفْحَتِهَا الْمَعَابِلُ ... الْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلُ (٢)

وَكُلُّ مَا حَمَّ الْإِلٰهُ نَازِلُ ... بِالْمَرْءِ وَالْمَرْءُ إِلَيْهِ آئِلُ (٣)

إِنْ لَمْ أُقَاتِلْكُمْ فَأُمِّي هَابِلُ (٤)

قال ابن هشام : هابل : ثاكل

وقال عاصم [بن ثابت] أيضا : —

أَبُو سُلَيْمَانَ وَرِيشُ الْمُقْعَدِ ... وَضَالَةٌ مِثْلُ الْجَحِيمِ الْمُوقَدِ (٥)

إِذَا النَّوَاحِي افْتُرِشَتْ لَمْ أُرْعَدِ ... وَمُجْنَأٌ مِنْ جِلْدِ ثَوْرٍ أَجْرَدِ (٦)

وَمُؤْمِنٌ بِمَا عَلَى مُحَمَّدِ

---

(١) النابل : صاحب النبل ، ويروى فى مكانه « بازل » ومعناه قوى شديد ، وعنابل : غليظ شديد

(٢) المعابل : جمع معبلة ، وهو نصل عريض طويل

(٣) حم الإله : قدره ، وهو ههنا مبنى للمعلوم كما هو فى قول الشاعر :—

* وَلَيْسَ لِأَمْرٍ حَمَّهُ اللهُ رَاجِعٌ *

وآئل : اسم فاعل من آل الشىء يؤول ، بمعنى رجع يرجع

(٤) هابل : فاقد وثاكل ، تقول : هبلته أمه ، أى ثكلته وفقدته ، يدعو على نفسه بالموت إن لم يقاتلهم

(٥) ريش : يروى بكسر الراء وبفتحها ، فأما من رواه بكسر الراء فهو جمع ريشة ، وأما من رواه بفتح الراء فهو مصدر قولهم : راش سهمه يريشه والمقعد : لقب رجل كان يريش النبال ، والضالة : شجرة تصنع منها القسى والسهام ، وأراد ههنا القوس

(٦) النواحى : يروى بالحاء مهملة وبالجيم ؛ فأما من رواه بالحاء فهو

وقال عاصم [بن ثابت] أيضا : —

أَبُو سُلَيْمانَ وَمِثْلِي رَامَا   وَكَانَ قَوْمِي مَعْشَرًا كِرَامَا

وكان عاصم [بن ثابت] يكنى أبا سليمان ، ثم قاتل القوم [عاصم] حتى قُتِل وقُتِل صاحباه ، فلما قتل عاصم أرادت هُذَيْلٌ أخذ رأسه ليبيعوه من سُلاَفَةَ بنت سعد بن شهيد ، وكانت قد نَذَرَتْ — حين أصاب ابنها يوم أحد — لئن قَدَرَتْ على رأس عاصم لَتَشْرَبَنَّ فى قِحْفِهِ الخمر ، فمنعته الدَّبْرُ[1] ، فلما حالت بينهم وبينه [الدَّبْرُ] قالوا : دَعُوهُ حتى يُمْسِي فيذهب عنه فنأخذه ، فبعث الله الوادىَ فاحتمل عاصما فذهب به ، وقد كان عاصم قد أعْطَي الله عهداً أن لا يَمَسَّهُ مشرك ولا يمس مشركا أبداً تنجسا ، فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول حين بلغه أن الدَّبْرَ منعته : يحفظ الله العبدَ المؤمن ، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدًا فى حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه فى حياته

عاصم بن ثابت حمى الدبر

وأما زيد بن الدَّثِنَّة وخُبَيْب بن عَدِىّ وعبد الله بن طارق فَلاَنُوا ورَقّوا ورغبوا فى الحياة ، فأعْطَوْا بأيديهم ، فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظَّهْرَان انتزع عبدُ الله بن طارق يده

جمع ناحية ؛ وأراد من افتراش النواحى عمرانها وكثرة من فيها ، وأما من رواه بالجيم فهو جمع ناجية ، وهى الناقة السريعة ، وأراد من افتراشها ركوبها وقوله « لم أرعد » هو بالبناء للمجهول ، ومعناه لم أخف ولم أفزع ، ومجنأ يروى بالحاء المهملة وبالجيم ؛ فأما من رواه بالحاء فقد أراد به قوسافيه انحناء وأما من رواه بالجيم فهو الترس الذى لا حديد به ، وهو على كل من الروايتين بضم الميم وسكون ما بعدها وفتح النون وآخره همزة ؛ والأجرد : الأملس

(١) الدبر — بفتح الدال وسكون الباء الموحدة — اسم لجماعة النحل

من الْقِرَان (١) ثم أخذ سَيْفَه واستأخر عنه القوم فَرَمَوْهُ بالحجارة حتى قتلوه فَقَبْرُهُ [رحمه الله] بالظَّهْرَان (٢) وأما خُبَيْب بن عدى وزيد بن الدَّثِنَةِ فقدموا بهما مكة

قال ابن هشام : فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة

قال ابن إسحق : فابتاع خُبَيْبًا حُجَيْرُ بن أبى إهاب التميمى حليف بنى نوفل لعُتْبَةَ بن الحرث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو إهاب أخا الحرث ابن عامر لأمه ، ليقتله بأبيه

قال ابن هشام : الحرث بن عامر : خال أبى إهاب ، وأبو إهاب : أحد بنى أُسَيْد بن عمرو بن تميم ، ويقال : أحد بنى عُدَس بن زيد بن عبد الله ابن دارم من بنى تميم

مقتل زيد بن الدثنة

قال ابن إسحق : وأما زيد بن الدَّثِنَّة فابتاعه صَفْوَان بن أمية ليقتله بأبيه أُمَيَّةَ بن خلف ، وبعث به صَفْوان بن أميـة مع مولى يقال له : نَسْطَاس ، إلى التنعيم ، وأخرجوه من الحرم ليقتله ، واجتمع رَهْطٌ من قريش منهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أَنْشُدُكَ الله يازيد أَتُحِبُّ أن محمدا عندنا الآن فى مكانك نضرب عنقه وأنك فى أهلك ؟ قال : والله ماأحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شَوْكة تؤذيه وأنى جالس فى أهلى ، قال: يقول أبو سفيان : مارأيت من

(١) القران ـ بزنة كتاب ـ الحبل الذى يربط به الأسير ، وأصل تسميته بذلك لأن الأسرى كانوا يقرنون بعضهم إلى بعض فى حبل واحد .

(٢) الظهران ـ بفتح الظاء وسكون الهاء وبعد الراء المهملة ألف وآخره نون ـ اسم موضع

الناس أحداً يحبّ أحداً كحُبّ أصحاب محمد محمداً ، ثم قتله نسطاس يرحمه الله

شأن خبيب بن عدى

وأما خُبَيْبُ بن عدى فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح أنه حُدِّث عن ماوِيَّة(١) مولاة حُجَيْر بن أبى إهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان خُبَيْب عندى ، حُبِسَ فى بيتى ، فلقد اطَّلَعْتُ عليه يوما و إن فى يده لقِطفًا (٢) من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم فى أرض الله عنباً يؤكل

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى نجيح جميعا أنها قالت : قال لى حين حضره القتل : ابعثي إلىّ بحديدة أتطهر بها للقتل ، قالت : فأعطيت غلاما من الحى الموسى ، فقلت له : أدخل بها على هذا الرجل البيت ، قالت : فوالله ماهو إلا أن وَلَّى الغلام بها إليه فقلت : ماذا صَنَعْتُ ؟ أصاب والله الرجل ثأره ، يقتل هذا الغلام فيكون رجلا برجل ، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال : لعَمرك ماخافت أمُّكَ غَدْرى حين بعثتك بهذه الحديدة إلى ، ثم خلى سبيله

قال ابن هشام : ويقال : إن الغلام ابنها

قال ابن إسحق : قال عاصم : ثم خرجوا بخُبَيْب حتى إذا جاءوا به إلى التَّنْعيم ليصلبوه قال لهم : إنْ رأيتم أنْ تَدَعُونى حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فارْكَع ، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على

---

(١) « ماوية » بالواو والياء مشددة ، وفى بعض الروايات فى غير سيرة ابن إسحاق « مارية » براء مهملة وبعدها ياء مثناة مخففة

(٢) قطفا ـ بكسر القاف وسكون الطاء ـ العنقود ، وهو بمعنى مفعول ؛ لأنه قد قطف من غصنه : أى قطع

القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طوَّلتُ جَزَعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة، قال: فكان خُبَيْبُ بن عَدِيٍّ أولَ من سنَّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين ، قال : ثم رفعوه على خشبة، فلما أَوْثقوه قال: اللَّهُمَّ إنا قد بَلَّغْنَا رسالة رسولك فبلِّغْهُ الغداةَ ما يصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحْصِهِمْ عَدَدًا ، وَاقْتُلْهُمْ بِدَدًا (١)، ولا تغادِرْ منهم أحدا ، ثم قتلوه رحمه الله ، فكان معاوية ابن أبى سفيان يقول : حَضَرْتُهُ يومئذ فيمن حضره مع أبى سفيان ، فلقد رأيته يلقينى إلى الأرض فَرَقًا من دعوة خُبَيْب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذ دُعِيَ عليه فاضطجع لجنبه زلَّتْ عنه

قال ابن إسحق: وحدثنى يحيى بن عَبَّاد بن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عقبة بن الحرث ، قال : سمعته يقول : ما أنا والله قتلت خُبَيْبًا لأَنَا كُنْتُ أصغر من ذلك ، ولكنَّ أبا مَيْسَرَةَ أخا بنى عبد الدار أخذ الحربة فجعلها فى يدى ثم أخذ بيدى و بالحربة ثم طعنه بها حتى قتله

قال ابن إسحق : وحدثنى بعض أصحابنا ، قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل سعيد بن عامر بن حِذْيَم الجُمَحى علَى بعض الشام فكانت تصيبه غَشْيَةٌ وهو بين ظَهْرَى القوم ، فذُكر ذلك لعمر بن الخطاب ، وقيل : إن الرجل مصاب ، فسأله عمر رضى الله عنه فى قَدْمَةٍ قَدِمها عليه ، فقال : يا سعيد ، ما هذا الذى يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بى من بأس ، ولكنِّى كنت فيمن حضر خُبَيْبَ بن عَدِيٍّ حين قتل وسمعتُ دَعْوَتَه ، فو الله ما خطرت على قلبى وأنا فى مجلس قط إلا غُشِيَ علَيَّ ، فزادته عند عمر رضى الله عنه خيرا

---

(١) بددا ـ بكسر الباء وفتح الدال ـ جمع بدة ـ بكسر الباء ـ وهى الفرقة ويصح فى قوله « بددا » أن يكون بفتح الباء مصدرا، ومعناه التبدد أى التفرق

قال ابن هشام : أقام خُبَيْبٌ رضى الله عنه فى أيديهم حتى انقضت الأشهر الحرم ، ثم قتلوه

قال ابن إسحق : وكان مما نزل من القرآن فى تلك السرية ، كما حدثنى مولًى لآل زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : قال ابن عباس : لما أُصيبت السَّرِيَّة التى كان فيها مَرْثَد وعاصم بالرَّجيع قال رجال من المنافقين : ياوَيْحَ هؤلاء الْمَفْتُونين الذين هلكوا هكذا ، لا هُمْ قعَدُوا فى أهليهم ، ولاهُمْ أدَّوْا رسالة صاحبهم ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول المنافقين وما أصاب أولئك النفر من الخير الذى أصابهم فقال سبحانه : (٢ : ٢٠٤ — ٢٠٧) (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أى : لما يظهر من الاسلام بلسانه (وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَافِى قَلْبِهِ) وهو مخالف لما يقوله بلسانه (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) أى : ذو جدال إذا كلمك وراجعك

قال ابن هشام : الألد : الذى يَشْغَبُ فتشتد خصومته ، وجمعه لُدٌّ ، [وفى كتاب الله عز وجل (١٩ : ٩٧) : (وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا)] ، وقال المهلهل بن ربيعة التغلبى ، واسمه امرؤ القيس ، ويقال عدى بن ربيعة :ــ

إنَّ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَدًّا وَلِينًا وَخَصِيمًا أَلَدَّ ذَا مِعْلَاقِ (١)

ويروى « ذَا مِغْلَاقِ » فيما قال ابن هشام ، وهذا البيت فى قصيدة له ، وهو الألندد ، قال الطِّرِمَّاح بن حكيم الطائى يصف الْحِرْبَاء : —

---

(١) حدا : معناه حدة ، وهى الشدة ، يريد أنه شديد قاس حديد القلب على أعدائه ، ولين هادىء وادع الخلق على أوليائه ؛ ويروى فى مكان ذلك قوله « إن تحت التراب حزما وجودا » والألد : الشديد الخصومة ، وقوله « ذامعلاق » يروى بالغين المعجمة وبالعين المهملة كما ذكر ابن هشام ،

يُوفِى عَلَى جِذْمِ الْجُذُولِ كَأَنَّهُ ... خَصْمٌ أَبَرَّ عَلَى الْخُصُومِ أَلَنْدَدُ (١)

وهذا البيت فى قصيدة له

(وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِى الْأَرْضِ) [قال ابن إسحٰق : حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال :] أى خرج من عندك سَعَى فِى الْأَرْضِ (لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ) أى : لا يحب عمله ولا يرضاه (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) أى : قد شَرَوْا أنفسهم من الله بالجهاد فى سبيله والقيام بحقه حتى هلكوا على ذلك ، يعنى تلك السَّرِيَّة

قال ابن هشام : يشرى نفسه : يبيع نفسه ، وشَرَوْا : باعوا ، قال يزيد [ابن ربيعة] بن مُفَرِّغٍ الْحِمْيَرِىُّ : —

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِى ... مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَهْ (٢)

فأما من رواه بالغين المعجمة فانما عنى به أنه يغلق على خصمه أبواب الحجة فلا يمكنه أن يتكلم

(١) يوفى : يشرف ، والجذم : الأصل أو القطعة من الشىء ، والجذول : جمع جذل ، وهو الأصل ، وأبر : زاد وظهر عليهم ، ويروى فى مكانه «أبن» بالنون ، ومعناه أقام أو لم يفهم الخصومة ، تقول : أبن الرجل بالمكان إذا أقام به ولم يرتحل عنه ، والحرباء : دويبة تصعد على أعلى الشجر وتدور مع الشمس حيثما دارت

(٢) قوله « من بعد برد » يروى فى مكانه « من قبل برد » ، برد بضم فسكون ، والهامة : الطائر الذى تزعم العرب أنه يخرج من رأس

برد : غلام له باعه ، وهذا البيت فى قصيدة له

وشرى أيضا : اشترى ، قال الشاعر : —

فَقُلْتُ لَهَا لاَ تَجْزَعِي أُمَّ مَالِكٍ عَلَى ابْنَيْكِ إِنْ عَبْدٌ لَئِيمٌ شَرَاهُمَا

قال ابن إسحق : وكان مما قيل فى ذلك من الشعر قول خُبَيْبِ بن عَدِيٍّ يرحمه الله حين بلغه أن القوم قد أجمعوا لصلبه

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له : —

قصيدة لخبيب بن عدى حين قدم للقتل

لَقَدْ جَمَّعَ الْأَحْزَابُ حَوْلِي وَأَلَّبُوا
قَبَائِلَهُمْ وَاسْتَجْمَعُوا كُلَّ مَجْمَعِ (١)
وَكُلُّهُمُ مُبْدِي الْعَدَاوَةِ جَاهِدٌ
عَلَيَّ لِأَنِّي فِي وِثَاقٍ مُضَيَّعِ (٢)
وَقَدْ جَمَعُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ
وَقُرِّبْتُ مِنْ جِذْعٍ طَوِيلٍ مُمَنَّعِ
إِلَى اللهِ أَشْكُو غُرْبَتِي ثُمَّ كُرْبَتِي
وَمَا أَرْصَدَ الْأَحْزَابُ لِي عِنْدَ مَصْرَعِي (٣)

القتيل فلا يزال يصيح بقوله : اسقونى حتى يؤخذله بثأره ، و أراد ليته كان قدمات قبل أن يبيع بردا ، وهذا كناية عن شدة تعلقه به وجزعه على فراقه وحزنه لمغادرته

(١) ألبوا — بتشديد اللام — معناه جمعوا ؛ تقول : ألبت القوم على فلان إذا جمعتهم عليه وحضضتهم وحرشتهم به ؛ فتألبوا : أى اجتمعوا ، ومجمع — فى آخر البيت — مكان الاجتماع ؛ وانتصب كل على الظرفية

(٢) مبدى العداوة : مظهرها ، وجاهد : مجتهد فى إيذائه ، والوثاق ما يربط به الأسير

(٣) أرصد : أعد وهيأ ، والأحزاب : الجماعات ، واحدهم حزب ، ومصرعى : المكان أصرع فيه : أى أقتل

فَذَا ٱلْعَرْشِ صَبِّرْنِي عَلَى مَا يُرَادُ بِي
فَقَدْ بَضَعُوا لَحْمِي وَقَدْ يَاسَ مَطْمَعِي (١)

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلٰهِ وَإِنْ يَشَأْ
يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ (٢)

وَقَدْ خَيَّرُونِي ٱلْكُفْرَ وَالْمَوْتُ دُونَهُ
وَقَدْ هَمَلَتْ عَيْنَايَ مِنْ غَيْرِ مَجْزَعِ (٣)

ومَابِي حِذَارُ الْمَوْتِ إِنِّي لَمَيِّتٌ
وَلٰكِنْ حِذَارِي جَحْمُ نَارٍ مُلَفَّعِ (٤)

فَوَاللهِ مَا أَرْجُو إِذَا مُتُّ مُسْلِماً
عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي (٥)

(١) بضعوا : قطعوا ، والبضعة من اللحم : القطعة منه ، وقوله «ياس» معناه يئس

(٢) الأوصال : المفاصل أو مجتمع العظام ، والشلو — بكسر الشين وسكون اللام — البقية ، والممزع : المقطع

(٣) هملت عيناى : سال دمعهما ، والمجزع : مصدر ميمى بمعنى الجزع ، وهو الخوف

(٤) الجحم : الملتهب المتقد ، ومنه سميت النار جحيما ، والملفع : المشتمل ومنه قولهم : تلفع بثوبه ، إذا اشتمل به

(٥) يروى فى مكان صدر هذا البيت قوله « ولست أبالى حين أقتل مسلما » وأرجو فى هذا الموضع بمعنى أخاف ، وقد حمل كثير من المفسرين على ذلك قول الله تعالى : (ما لكم لا ترجون لله وقارا) أى : لا تخافون

فَلَسْتُ بِمُبْدٍ لِلْعَـــدُوِّ تَخَشُّعًا
وَلاَ جَزَعًا إِنِّى إِلَى اللهِ مَرْجِعِى (١)

وقال حسان بن ثابت يبكى خُبَيْبًا : —

قصيدة لحسان بن ثابت يرثى فيها خبيبا

مَابَالُ عَيْنَيْـكَ لاَ تَرْقَا مَـدَامِعُهَا
سحًّا عَلَى الصَّدْرِ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ الْقَلِقِ (٢)
عَلَى خُبَيْبٍ فَتَى الْفِتْيَانِ قَدْ عَلِمُوا
لاَفَشِلٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَلاَ نَزِقِ (٣)
فَاذْهَبْ خُبَيْبُ جَزَاكَ اللهُ طَيِّبَةً
وجَنَّةَ الْخُلْدِ عِنْدَ الْحُورِ فِى الرُّفَقِ (٤)
مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِىُّ لَـكُمْ
حِينَ الْمَلاَئِكَةُ الْأَبْرَارُ فِى الْأُفُقِ

---

(١) تخشعا : تذللا ، ومنه قول شاعر الحماسة : —

فَلاَ تَحْسَبِي أَنى تَخَشَّعْتُ بَعْدَكُمْ لشىء ، وَلاَ أَنِّى منَ القَيْدِ أَفْرَق

ومرجعى : مصدر ميمى بمعنى الرجوع

(٢) « عينيك » يروى فى مكانه « عينك » بالافراد ، وهو أنسب بقوله « مدامعها » ؛ وقوله « لا ترقى » أصله لا ترقأ — بالهمز — فسهل الهمزة وتقول : رقأ الدمع يرقأ ، إذا انقطع ، وسحا : مصدر بمعنى الصب ، واللؤلؤ : كبار الجوهر ، والقلق — بفتح القاف وكسر اللام — المضطرب المتحرك المتساقط

(٣) الفشل — بفتح الفاء وكسر الشين — الضعيف القوة الجبان ، والنزق — بفتح النون وكسر الزاى — السيء الخلق

(٤) الحور فى الأصل : جمع حوراء ، وهى التى اشتد سواد سواد عينها واشتد بياض بياضها ، والرفق : يروى بضم الراء والفاء جميعا ، فهو جمع رفيق ، قاله أبو ذر ، ويروى بضم الراء وفتح الفاء ، فهو جمع رفقة ، والرفقة — بسكون الفاء وراؤه مثلثة — اسم للجماعة الذين ترافقهم ويرافقونك

فِيمَ قَتَلْتُمْ شَهِيدَ اللهِ فِى رَجُلٍ
طَاغٍ قَدْ أَوْعَثَ فِى الْبُلْدَانِ وَالرُّفَقِ (١)

قال ابن هشام : ويروى « الطُّرُقِ » وتركنا ما بقى منها لأنه أقذع فيها .

قال ابن إسحق : وقال حسان [بن ثابت] أيضا يبكى خُبَيْبًا : —

قصيدة أخرى لحسان يرثى فيها خبيبا

يَاعَيْنُ جُودِى بِدَمْعٍ مِنْكِ مُنْسَكِبِ
وَابْكِى خُبَيْبًا مَعَ الْفِتْيَانِ لَمْ يَؤُبِ (٢)
صَقْراً تَوَسَّطَ فِى الْأَنْصَارِ مَنْصِبُهُ
سَمْحَ السَّجِيَّةِ مَحْضًا غَيْرَ مُؤْتَشِبِ (٣)
قَدْ هَاجَ عَيْنِى عَلَى عِلَّاتِ عَبْرَتِهَا
إِذْ قِيلَ نُصَّ إِلَى جِذْعٍ مِنَ الْخَشَبِ (٤)

---

(١) أوعث : اشتد فساده ، والرفق : قد مضى فى تفسير البيت السابق ؛ وتكراره ههنا يعتبر من عيوب الشعر ، ولهذا بادر ابن هشام بقوله « ويروى فى الطرق »

(٢) منسكب : سائل ، ولم يؤب : لم يعد ولم يرجع

(٣) سمح : سهل لين ؛ والسجية : الطبيعة والخلق ، والمحض : الخالص وأراد خلوص نسبه من الشوائب ، وذلك بدليل قوله « غير مؤتشب » أى غير مختلط

(٤) علات : مشقات ، والعبرة : الدمعة ، ونص : رفع ؛ ومنه النص فى السير ، وهو أرفع أنواع السير

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْغَـادِي لِطِيَّتِهِ
أَبْلِـغْ لَدَيْكَ وَعِيدًا لَيْسَ بِالْكَذِبِ (١)

بَنِي كُهَيْنَةَ إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ لَقِحَتْ
مَحْلُوبُهَا الصَّابُ إِذْ تُمْرَى لِمُحْتَلِبِ (٢)

فِيهَا أُسُودُ بَنِي النَّجَّـــارِ تَقْدُمُهُمْ
شُهْبُ الْأَسِنَّةِ فِي مُعْصَوْصِبٍ لَجِبِ (٣)

قال ابن هشام : وهذه القصيدة مثل التى قبلها ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكرهما لحسان ؛ وقد تركنا أشياء قالها حسان فى أمر خُبَيْب لما ذكرت .

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

قصيدة ثالثة لحسان يرثى فيها خبيبا

لَوْ كَانَ فِي الدَّارِ قَرْمٌ مَاجِدٌ بَطَلٌ
أَلْوَى مِنَ الْقَوْمِ صَقْرٌ خَالُهُ أَنَسُ (٤)

---

(١) الطية : ما انطوت عليه نيتك من الجهة التى تريد أن تتوجه إليها ، والوعيد : التهديد

(٢) بنو كهينة وفى بعض النسخ كهية - بالباء فى مكان النون - وهذا كما يقال : بنو ضوطرى ، وبنو درزة ، وكل ذلك يقصد به النسب ويعبر به عن السفلة من الناس ، وأصل كهية من الكهبة ، وهى الغبرة ؛ وقد قالوا : بنو الغبراء لقبيلة ، ولقحت الحرب : ازداد شرها وعظم أمرها ، ومحلوبها : أى اللبن الذى يحلب منها ، والصاب : العلقم ، وتمرى : تمسح أضراعها لتحلب ، شبه الحرب بناقة قد صارت لاقحاً مضى فى البيت كله على هذا التشبيه

(٣) المعصوصب : الجيش الكثير ، واللجب : الكثير الأصوات

(٤) أصل القرم ، الفحل من الابل ، وأراد منه ههنا الرجل السيد ، والماجد : الشريف ، والبطل : الشجاع ، وألوى : شديد الخصومة

إِذَنْ وَجَدْتَ خُبَيْبًا مَجْلِساً فَسِحًا
وَلَمْ يُشَدَّ عَلَيْكَ السِّجْنُ وَالْحَرَسُ (١)

وَلَمْ تَسُقْكَ إِلَى التَّنْعِيمِ زِعْنِفَةٌ
مِنَ الْقَبَائِلِ مِنْهُمْ مَنْ نَفَتْ عُدَسُ (٢)

دَلَّوْكَ غَدْراً وَهُمْ فِيهَا أُولُو خُلُفٍ
وَأَنْتَ ضَيْمٌ لَهَا فِي الدَّارِ مُحْتَبَسُ (٣)

قال ابن هشام : أنس : الأصمُّ السُّلَمِيُّ خالُ مُطْعِمِ بن عَدِيٍّ بن نَوْفل بن عبد مناف ، وقوله « من نَفَتْ عُدَس » يعنى حُجَيْر بن أبى إهاب ، ويقال : الأعشى بن زُرارة بن النَّبَّاش الأسدى ، وكان حليفا لبنى نوفل بن عبد مناف

قال ابن إسحق : وكان الذين أجْلَبُوا (٤) على خُبَيْب فى قتله — حين

---

(١) خبيبا : هو منادى اعترض به بين الفعل ومفعوله ، وكان من حقه أن يبنيه على الضم لأنه علم ولكنه عامله معاملة النكرة ، ومثل ذلك قول المهلهل ابن ربيعة :—

* يا عَدِيّاً لَقَدْ وَقَتْكَ الأَوَاقِي *

(٢) الزعنفة : الأتباع الذين لا شرف لهم ، وهم الذين ينتمون إلى القبائل من غير أن يكونوا من صليبتها ، وأصل الزعنفة — بكسر الزاى والنون بينهما عين مهملة ساكنة — أطراف الحيوان ، وعدس : قبيلة من تميم

(٣) دلوك : معناه غروك ، ومنه قوله تعالى : (فدلاهما بغرور) ، وقوله « أولو خلف » أصله بضم الخاء وسكون اللام فلما اضطر أتبع اللام للخاء فضمها ، وقوله « وأنت ضيم » الضيم : الذل والقهر والغلبة ، وقد أخبر به عنه على غرار قولك : محمد عدل ، وزيد ضيف ، وعلى رضا ، ونحو ذلك

(٤) أجلبوا : اجتمعوا وصاحوا

قُتِل - منْ قريشٍ عِكْرِمَةَ بن أبي جهل ، وسعيد بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد وُدّ ، والأخنس بن شَرِيق الثَّقَفِيّ حليف بنى زُهْرَة ، وعبيدة بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوْقَص السُّلَمِيُّ حليف بنى أمية بن عبد شمس ، وأمية بن أبي عُتْبة ، وبنو الحَضْرَمِيّ

وقال حَسَّان أيضا يهجو هُذَيْلاً فيما صنعوا بِخُبَيْب بن عَدِيّ : —

كلمة لحسان بن ثابت يهجو فيها هذيلا

أَبْلِغْ بَنِي عَمْرٍو بِأَنَّ أَخَاهُمُ
شَرَاهُ امْرُؤٌ قَدْ كَانَ لِلْغَدْرِ لَازِمَا (١)
شَرَاهُ زُهَيْرُ بْنُ الْأَغَرِّ وَجَامِعٌ
وَكَانَا جَمِيعًا يَرْكَبَانِ الْمَحَارِمَا (٢)
أَجَرْتُمْ فَلَمَّا أَنْ أَجَرْتُمْ غَدَرْتُمُ
وَكُنْتُمْ بِأَكْنَافِ الرَّجِيعِ لَهَاذِمَا (٣)
فَلَيْتَ خُبَيْبًا لَمْ تَخُنْهُ أَمَانَةٌ   وَلَيْتَ خُبَيْبًا كَانَ بِالْقَوْمِ عَالِمَا

---

(١) بنى عمرو : يريد بهم بنى عمرو بن عوف قوم خبيب ، وأخاهم : أراد به خبيبا ، وشراه : باعه ، وهو من الأضداد ، وقد مضى قريبا استشهاد ابن هشام على استعماله فى هذا المعنى

(٢) المحارم : جمع محرم وهو الأمر المحظور إتيانه

(٣) لهاذما : تروى هذه الكلمة بالذال المعجمة ، وبالزاى ، فمن رواه بالذال المعجمة فانما أراد به الشجعان ، ومنه يقال : سيف لهذم ، إذا كان قاطعا ، يعيرهم بأنهم خرجوا بقضهم وقضيضهم على جماعة قليلة العدد قد أجاروهم فأمنوا لهم ، فتشاجعوا عليهم ، ومن رواه بالزاى فانما أراد به أنهم جبناء ضعفاء ، وأصل اللهزمة بضيعة فى أصل الحنك ، ومنه قول الشاعر وأنشده سيبويه : -

قال ابن هشام : زهير [بن الأغر] وجامع الهذليان اللذان باعا خبيبا

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت أيضا :—

كلمة أخرى لحسان يهجو فيها بني لحيان بطن من هذيل

إِنْ سَرَّكَ الْغَدْرُ صِرْفًا لَامِزَاجَ لَهُ
فَأْتِ الرَّجِيعَ فَسَلْ عَنْ دَارِ لَحْيَانِ (١)

قَوْمٌ تَوَاصَوْا بِأَكْلِ الْجَارِ بَيْنَهُمُ
فَالْكَلْبُ وَالْقِرْدُ وَالْإِنْسَانُ مِثْلَانِ

لَوْ يَنْطِقُ التَّيْسُ يَوْمًا قَامَ يَخْطُبُهُمْ وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِيهِمْ وَذَا شَانِ

قال ابن هشام : وأنشدني أبو زيد الأنصاري قوله :

لَوْ يَنْطِقُ التَّيْسُ يَوْمًا قَامَ يَخْطُبُهُمْ
وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِيهِمْ وَذَا شَانِ

قال ابن إسحق : وقال حسان [بن ثابت] أيضا يهجو هذيلا : —

حسان أيضا يهجو هذيلا

سَالَتْ هُذَيْلٌ رَسُولَ اللهِ فَاحِشَةً
ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِمَا سَالَتْ وَلَمْ تُصِبِ (٢)

وَكُنْتُ أُرَى زَيْدًا كَمَا قِيلَ سَيِّدًا إِذَا أَنَّهُ عَبْدُ الْقَفَا وَاللَّهَازِمِ

و إنما وصفهم بالجبن على حقيقة حالهم ، فان الذى يعدو على هذه الصورة لا يكون شجاعا وإن غلب

(١) صرفا : خالصا من كل شيء ، وقد أكده بقوله « لامزاج له » والرجيع : اسم مكان ، ولحيان : هو بكسر اللام أو بفتحها ، وهو ابن هذيل بن مدركة ابن الياس بن مضر ، وزعم الهمداني النسابة أن أصل بني لحيان من بقايا جرهم وأنهم دخلوا في هذيل فنسبوا إليهم

(٢) « سالت » أراد سألت ، فخفف الهمزة بقلبها ألفا ، وقد تقول العرب : سال يسال — وهم يعنون سأل يسأل — وأراد بقوله « سالت

سَالُوا رَسُولَهُمُ مَالَيْسَ مُعْطِيَهُمْ   حَتَّى الْمَمَاتِ وَكَانُوا سُبَّةَ الْعَرَبِ

وَلَنْ تَرَى لِهُذَيْلٍ دَاعِيًا أَبَدًا
يَدْعُو لِمَكْرُمَةٍ عَنْ مَنْزِلِ الْحَرَبِ (١)

لَقَدْ أَرَادُوا خِلَالَ الْفُحْشِ وَيْحَهُمُ
وَأَنْ يُحِلُّوا حَرَامًا كَانَ فِي الْكُتُبِ (٢)

وقال حسان بن ثابت [أيضا] يهجو هُذَيْلاً : —

قصيدة اخرى لحسان ابن ثابت يهجو فيها هذيلا

لَعَمْرِي لَقَدْ شَانَتْ هُذَيْلَ بْنُ مُدْرِكٍ
أَحَادِيثُ كَانَتْ فِي خُبَيْبٍ وَعَاصِمِ (٣)

أَحَادِيثُ لِحْيَانٍ صَلُوا بِقَبِيحِهَا   وَلِحْيَانُ جَرَّامُونَ شَرَّ الْجَرَائِمِ (٤)

أُنَاسٌ هُمُ مِنْ قَوْمِهِمْ فِي صَمِيمِهِمْ
بِمَنْزِلَةِ الزِّمْعَانِ دُبْرَ الْقَوَادِمِ (٥)

رسول الله فاحشة » التنديد بهذيل ، لأنها حين أرادت الاسلام طلبت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحل لها الزنى ، فهو يعيرهم بذلك ؛ ويروى « ذلت هذيل »

(١) الحرب – بفتح الحاء والراء – السلب ، تقول : حرب فلان ؛ إذا سلب .

(٢) الخلال – بكسر الخاء – الخصال

(٣) شانت : قبحت وعابت ؛ وكانت شينا لهم وعاراً عليهم

(٤) صلوا بقبيحها : أى أصابهم شرها ، وتقول : صلى النار يصلاها – مثل رضى يرضى – إذا أصابه حرها ، وجرامون : كاسبون ، ويروى فى مكانه «ركابون» والجرائم : جمع جريمة ، وهى الذنب والاثم

(٥) صميم القوم : خالصهم فى نسبه ، والزمعان : جمع زمع ، وهو

هُمُ غَدَرُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ وَأَسْلَمَتْ
أَمَانَتُهُمْ ذَاعِفَةٍ وَمَكَارِمِ
رَسُولَ رَسُولِ اللهِ غَدْرًا وَلَمْ تَكُنْ
هُذَيْلٌ تَوَقَّى مُنْكَرَاتِ الْمَحَارِمِ
فَسَوْفَ يَرَوْنَ النَّصْرَ يَوْمًا عَلَيْهِمُ
بِقَتْلِ الَّذِى تَحْمِيهِ دُونَ الْحَرَائِمِ (١)
أَبَابِيلُ دَبْرٍ شُمَّسٍ دُونَ لَحْمِهِ
حَمَتْ لَحْمَ شَهَّادٍ عِظَامَ الْمَلَاحِمِ (٢)
لَعَلَّ هُذَيْلاً أَنْ يَرَوْا بِمُصَابِهِ
مَصَارِعَ قَتْلَى أَوْمَقَامًا لِمَأتَمِ (٣)

الشعر الذى يكون فوق الرسغ من الدابة وغيرها ، ودبر : أى خلف ، والقوادم : يعنى بها اليدين لأنها تقدم الرجلين ، يقول : إن بنى لحيان وإن كانوا من صميم هذيل ولبابها وخالص نسبها إذا قيسوا بغيرهم كانوا بمنزلة هذا الشعر حقارة ، وكانوا متخلفين لا يتقدمون

(١) « بقتل الذى تحميه ـ الخ البيتين » أراد به عاصم بن أبى الأقلح الذى حمته الدبر ، ودون الحرائم : أى دون أن يمسه أحد

(٢) أبابيل : الجماعات ، يقال : واحدها إبول كعجول ، ويقال : لا واحد لها ، والدبر ـ بفتح الدال وسكون الباء ـ اسم لجماعة النحل ، والشمس : المدافعة ؛ والملاحم : جمع ملحمة ، وهى المكان الذى يلتحم فيه الفريقان المتحاربان ، وحمت : له مفعولان أحدهما لحم شهاد ، والآخر عظام الملاحم .

(٣) المأتم : جماعة النساء يجتمعن فى الخير أو فى الشر ، ولكن المراد هنا اجتماعهن فى مناحة ، وأصله مأتم ـ بالهمز ـ إلا أنه خفف الهمزة

وَنُوقِـعَ فِيهِمْ وَقْعَةً ذَاتَ صَوْلَةٍ
يُوَافِي بِهَا الرُّكْبَانُ أَهْلَ الْمَوَاسِمِ (١)
بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ إِنَّ رَسُولَهُ
رَأَى رَأْىَ ذِى حَزْمٍ بِلَحْيَانَ عَالِمِ
قُبَيِّلَةٌ لَيْسَ الْوَفَاءُ يَهُمُّهُمْ
وَإِنْ ظُلِمُوا لَمْ يَدْفَعُوا كَفَّ ظَالِمِ (٢)
إِذَا النَّاسُ حَلُّوا بِالْفَضَاءِ رَأَيْتَهُمْ
بِمَجْرَى مَسِيلِ الْمَاءِ بَيْنَ الْمَخَارِمِ (٣)
مَحَلُّهُمُ دَارُ الْبَوَارِ وَرَأْيُهُمْ إِذَا نَابَهُمْ أَمْرٌ كَرَأْىِ الْبَهَائِمِ (٤)

وقال حسان [بن ثابت] يهجو هُذَيْلاً :—

قصيدة أخرى لحسان بن ثابت يهجو هذيلا

لَحَا اللهُ لَحْيَانًا فَلَيْسَتْ دِمَاؤُهُمْ لَنَا مِنْ قَتِيلِي غَدْرَةٍ بِوَفَاءِ (٥)

فقلبها ألفاً ليستقيم له النظم ، لأن القصيدة إذا بنيت على التأسيس كان تركه من أكبر عيوب الشعر

(١) صولة : شدة ، ويوافى : يجىء ، والركبان : جماعة ركاب الابل والمواسم : جمع موسم الحج وغيره

(٢) قبيـلة : هو بالتصغير فالقاف مضمومة والباء مفتوحة والياء مشددة ، يريد أنهم لا أخلاق لهم فلاهم أوفياء ولا هم شجعان ، فان وعدوا لم يفوا ، وإن يظلمهم أحد لايدفعوا عن أنفسهم

(٣) المخارم — بالخاء المعجمة — مسايل الماء التى يخرمها السيل ، أى : يقطعها

(٤) البوار — بفتح الباء والواو — الهلاك ، ونابهم أمر : نزل بهم

(٥) لحاالله : أضعفهم وبالغ فى ضرهم ، والأصل فى ذلك قول العرب :

هُمُ قتلُوا يَوْمَ الرَّجيعِ ابْنَ حُرَّةٍ
أخا ثِقَةٍ فِى وُدِّهِ وَصَفَاء
فَلَوْ قُتِلُوا يَوْمَ الرَّجِيـعِ بِأَسْرِهِمْ
بِذِى الدَّبْرِ مَا كَانُوا لَهُ بِكِفَاءِ (١)

قَتِيلٌ حَمَتْهُ الدَّبْرُ بَيْنَ بُيُوتِهِمْ لَدَى أَهْلِ كُفْرٍ ظَاهِرٍ وَجَفَاءِ (٢)
فَقَدْ قَتَلَتْ لَحِيَانُ أَكْرَمَ مِنْهُمُ وَبَاعُوا خُبَيْبًا وَيْلَهُمْ بِلَفَاءِ (٣)

فَأُفٍّ لِلَحْيَانٍ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
عَلَى ذِكْرِهِمْ فِى الذِّكْرِ كُلُّ عَفَاءِ (٤)

لحوت العود ، إذا قشرته ، «قتيلى غدرة» يريد من قتلوهم غدراً وهم عاصم ومرثد وخالد بن البكير ، وقد مضى ذكر ذلك ، ووفاء : يريد مكافأة ، يريد أنهم لو قتلوا بهؤلاء الثلاثة لم يف قتلهم جميعا بثأر هؤلاء.

(١) بذى الدبر : هو عاصم بن ثابت الذى جمع الله حوله النحل فلم يمكنهم من حز رأسه ليأخذوه ليبيعوه من امرأة (وهى سلافة بنت سعد) كانت نذرت أن تشرب فى قحف رأسه الخمر ، وهذا البيت فى معناه تأكيد للبيت الأول ، بل هو ها هنا يقول : إنهم جميعا لايفى قتلهم بثأر أحد الثلاثة

(٢) الدبر : جماعة النحل ، وقد ذكرنا فى شرح البيت السابق كيف حمته.

(٣) اللفاء ـ كسحاب ـ الشىء القليل الحقير اليسير ، وهو التراب أيضا ، وفى أقوال العرب : اقنع من الوفاء باللفاء.

(٤) أف : كلمة تقال عند التألم من الشىء ، وعند تعذره ، والعفاء بزنة سحاب ـ التغير والدروس ، وكل عفاء : مبتدأ خبره فى قوله «على ذكرهم» يعنى أنه إذا ذكر الناس لم يذكروا لأنهم خاملون

قُبَيِّلَةٌ بِاللُّؤْمِ وَالْغَدْرِ تَعْتَزِى فَلَمْ تُمْسِ يَخْفَى لُؤْمُهَا بِخَفَاءِ (١)

فَلَوْ قُتِلُوا لَمْ تُوفِ مِنْهُ دِمَاؤُهُمْ

بَلَى إِنَّ قَتْلَ الْقَاتِلِيهِ شِفَائِي

فَإِلاَّ أَمُتْ أَذْعَرْ هُذَيْلاً بِغَارَةٍ

كَغَادِي الْجَهَامِ الْمُغْتَدِى بِإِفَاءِ (٢)

بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ يَبِيتُ لِلَحْيَانِ الْخَنَا بِفَنَاءِ

يُصَبِّحُ قَوْمًا بِالرَّجِيعِ كَأَنَّهُمْ جِدَاءُ وَشَتَّاءِينَ غَيْرَ دِفَاءِ (٣)

وقال حسان [بن ثابت] أيضا يهجو هذيلا : —

قصيدة أخرى لحسان ابن ثابت يهجو هذيلا

فَلَا وَاللهِ مَاتَدْرِى هُذَيْلٌ أَصَافٍ مَاءُ زَمْزَمَ أَمْ مَشُوبُ (٤)

وَلَا لَهُمُ إِذَا اعْتَمَرُوا وَحَجُّوا مِنَ الْحِجْرَيْنِ وَالْمَسْعَى نَصِيبُ (٥)

---

(١) تعتزى — بالعين المهمله ، وبعد التاء زاى — أى تنتسب ، ورواه بعضهم « تغترى » بالغين المعجمة ، وبعد التاء راء مهملة — ومعناه يغرى بعضهم بعضا

(٢) أذعر هذيلا : يريد أخيفهم وأفزعهم ، وتقول : ذعرته ذعرا — مثل فتح فتحا — والذعر — بزنة قفل — الاسم ، ومعناه أخفته وأفزعته ، والغادى : المبكر الذى يأتى غدوة — والجهام — بزنة سحاب — السحاب الرقيق ؛ والافاء — بزنة كتاب — الغنيمة ، ومنه تقول : أفاء الله عليك ، أى : أغنمك ، وقال تعالى : (ما أفاء الله على رسوله)

(٣) جداء : جمع جدى ، وهو ولد المعز ، وشتاءين دخلوا فى الشتاء ، ودفاء : من الدفء

(٤) مشوب : مخلوط ، تقول : شبت الشىء بالشىء ، إذا خلطته به

(٥) الحجرين يريد حجر الكعبة ، وهو واحد ، وإنما ثناه لأنه قصده

وَلَـكِنَّ الرَّجِيعَ لَهُمْ مَحَلٌّ ... بِهِ اللُّؤْمُ الْمُبَيَّنُ وَالْعُيُوبُ
كَأَنَّهُمُ لَدَى الْـكَنَّاتِ أُصْلاً ... تُيُوسٌ بِالْحِجَازِ لَهَا نَبِيبُ(١)
هُمُ غَرُّوا بِذِمَّتِهِمْ خُبَيْبًا ... فَبِئْسَ الْعَهْدُ عَهْدُهُمُ الْـكَذُوبُ

قال ابن هشام: آخرها بيتًا عن أبي زيد [الأنصارى]

قال ابن إسحق: وقال حسان [بن ثابت] يبكى خُبَيْباً وأصحابه: —

كلمة لحسان بن ثابت يبكى فيها خبيبا وأصحابه

صَلَّى الْإِلٰهُ عَلَى الَّذِينَ تَتَابَعُوا
يَوْمَ الرَّجِيعِ فَأُكْرِمُوا وَأُثِيبُوا(٢)
رَأْسُ السَّرِيَّةِ مَرْثَدٌ وَأَمِيرُهُمْ ... وَابْنُ الْبُكَيْرِ أَمَامَهُمْ وَخَبِيبُ(٣)

مع ما حوله، ويروى «الحجرين» بفتح الحاء والجيم - وهو مثنى حجر، والمراد به الحجر الأسود مع ما حوله أيضا، أو مع الحجر الذى فيه مقام إبراهيم فغلب أحد الوزنين على الآخر، وإن لم يكن هو الأخف، والمسعى: مكان السعى، وهو ما بين الصفا والمروة

(١) الكنات جمع كنة - بفتح الكاف وتشديد النون - وهو شىء يلصق بالبيت يكن به: أى يستتر، وأصلا: جمع أصيل، وهو وقت العشى وأصله أصل بضمتين فسكن الصاد تخفيفا، والنبيب: صوت التيس، وتقول منه: نب نبيبا، وقال حسان بن ثابت:

مَا أُبَالِي أَنَبَّ بِالْحَزْنِ تَيْسٌ ... أَمْ لَحَانِي بِظَهْرِ غَيْبٍ لَئِيمُ

(٢) أثيبوا - بالبناء للمجهول - أثابهم الله

(٣) خبيب: هذا الاسم فى حقيقته مصغر بضم الخاء وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة، وقد جاء به ههنا مكبرا بفتح الخاء وكسر الموحدة حين اضطر إلى ذلك، ومن الناس من يرويه على أصله وذلك عيب من عيوب الشعر أن تجمع فى قافية واحدة بين ياء ساكنة مفتوح ماقبلها وياء مكسور ماقبلها كأن تجمع بين عير بفتح فسكون وأمير، وبين عين وأمين، وبين قيد وشديد، ونحو ذلك، ويسمى هذا العيب بالتوجيه، وأراد مرثد بن أبي

وَابْنٌ لِطَارِقَ وَابْنُ دَثْنَةَ مِنْهُمُ
وَافَاهُ ثَمَّ حِمَامُهُ الْمَكْتُوبُ (١)

وَالْعَاصِمُ الْمَقْتُولُ عِنْدَ رَجِيعِهِمْ كَسَبَ الْمَعَالِيَ إِنَّهُ لَكَسُوبُ (٢)
مَنَعَ الْمَقَادَةَ أَنْ يَنَالُوا ظَهْرَهُ حَتَّى يُجَالِدَ إِنَّهُ لَنَجِيبُ (٣)

قال ابن هشام : ويروى « حتى يُجدَّل إنه لنجيب »

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان

وقت بئر معونة

قال ابن إسحق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيةَ شوال وذا القعدة وذا الحجة [والمحرم] ، وولى تلك الحجة المشركون

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب بئر مَعُونة فى صفر ، على رأس أربعة أشهر من أحد

مرثد ، وخالد بن البكير الليثى ، وخبيب بن عدى أحد بنى جحجبى ، وقد تقدم أمرهم وسرد نسبهم

(١) ابن لطارق : هو عبد الله بن طارق حليف بنى ظفر ، وابن دثنة : أراد زيد بن الدثنة ، وأصل ضبطه بفتح الدال وكسر الثاء المثلثة وتشديد النون ، ولكن ذلك لايقوم به وزن البيت ، فعدل عنه إلى تسكين الثاء وتخفيف النون ، ووافاه : جاءه ، وثم بفتح الثاء ـ بمعنى هناك ، والحمام ـ بكسر الحاء ـ الموت ، وقد منع صرف طارق حين اضطر إلى ذلك أيضا

(٢) العاصم : أراد به حمى الدبر عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح وكسوب ـ بفتح الكاف ـ صيغة مبالغة

(٣) المقادة : المذلة والانقياد إلى أعدائه ، ويجالد : يضارب ويقاتل بالسيف ، ومن رواه « حتى يجدل » كما ذكر ابن هشام فمعناه حتى يقع على الجدالة وهى الأرض

حديث بئر معونة

قدوم أبي براء ملاعب الأسنة على رسول الله

وكان من حديثهم — كما حدثني أبي إسحٰقُ بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وعبدُ الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم وغيره من أهل العلم ، قالوا : قدم أبو بَرَاء عامرُ بن مالك بن جعفر ، مُلاَعِبُ (١) الأسِنَّة ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فعرض عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ، ودعاه إليه ، فلم يسلم ، ولم يَبْعُدْ من الاسلام ، وقال : يامحمد ، لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدَعَوْهُمْ إلى أمرك رَجَوْتُ أن يستجيبوا لك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنيّ أخْشَى عَلَيْهِمْ أهْلَ نَجْدٍ » قال أبو بَرَاء : أنالهم جَارٌ ؛ فابعثهم فَلْيَدْعُوا الناس إلى أمرك

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الْمُنْذِرَ بن عمرو أخا بني

---

(١) هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وإنما سمى ملاعب الأسنة في يوم سوبان ، ويوم سوبان هذا كان يوما من أيام جبلة وهي أيام كانت بين قيس وتميم ، وجبلة : اسم لهضبة عالية ، وكان سبب تسمية عامر ملاعب الأسنة في يوم سوبان أن أخاه طفيل بن مالك (وهو الذي يلقب فارس قرزل) كان قد أسلمه في هذا اليوم وفر ، فقال في ذلك بعض الشعراء :-

فَرَرْتَ وَأَسْلَمْتَ ابْنَ أُمِّكَ عَامِراً

يُلاَعِبُ أَطْرَافَ الْوَشِيجِ الْمُزَعْزَعِ

فسمى ملاعب الرماح وملاعب الأسنة ، وكان له إخوة أربعة : أحدهم طفيل فارس قرزل ، والآخر ربيعة والد لبيد بن ربيعة وكان يلقب ربيعة المعترين ، والثالث عبيدة الوضاح ، والرابع معاوية معود الحكماء

رسول الله يرسل جماعة يدعون أهل نجد للاسلام فى جوار أبى براء

ساعدة المُعْنِقَ ليموت [1] فى أربعين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين : منهم الحرثُ بن الصِّمَّة ، وحَرَام بن مِلْحَانَ أخو بنى عدى بن النجار ، وعُرْوَة بن أسماء بن الصَّلْت السُّلَمِى ، ونافع بن بُدَيْل بن وَرْقاء الخزاعى وعامر بن فُهَيْرة مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فى رجال مُسَمَّيْن من خيار المسلمين

عامر بن الطفيل يقتل أحد صحاب رسول الله

فساروا حتى نزلوا بئر معونة — وهى بين أرض بنى عامر وَحَرَّة بنى سُلَيم ، كِلاَ البلدين منها قريب ، وهى إلى حرة بنى سليم أقرب — فلما نزلوها بعثوا حَرَام بن مِلْحَان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عَدُوِّ الله عامر بن الطُّفَيْل ؛ فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عَـدَا على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبَوْا أن يجيبوه إلى مادعاهم إليه ، وقالوا : لن نُخْفِرَ [2] أبا براء ، وقد عَقَدَ لهم عَقْدًا وجوارا ، فاستصرخ عليهم قبائل من [بنى] سليم [من] عُصَيَّة وَرِعْل وذَكْوان ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غَشُوا القوم ، فأحاطوا بهم فى رحالهم ، فلما رَأَوْهم أخذوا سُيُوفَهم ثم قاتلوهم حتى قُتِلُوا من عند آخرهم يَرْحَمُهُم الله ، إلا كعب بن زيد أخا بنى دينار بن النجار ، فإنهم تركوه وبه رَمَقٌ ، فارتُثَّ [3] من بين القتلى ، فعاش حتى قتل يوم الخندق شَهِيداً [يرحمه الله] ، وكان فى سَرْح القوم عمرو بن أمية الضَّمْرِىّ ورجل من الأنصار أحد بنى عمرو بن عوف

---

(١) المعنق : اسم فاعل من أعنق ، إذا سار العنق ، والعنق ـ بفتح العين والنون ـ السير السريع ، وإنما لقب المنذر بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة

(٢) لن نخفر : لن ننقض عهده

(٣) ارتث ـ بالبناء للمجهول ـ رفع وبه جراح ، وتقول : ارتث الرجل من معركة الحرب ، إذا أخذ منها ولا تزال فيه بقية حياة

قال ابن هشام : وهو المنذر بن محمد بن عقبة بن أُحَيْحَةَ بن الجُلاَح

قال ابن إسحق : فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تَحُومُ على العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأناً ، فأقبلا لينظرا ؛فاذا القوم فى دمائهم ، و إذا الخيل التى أصابتهم واقفة ، فقال الأنصارى لعمرو بن أمية : ماترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر ، فقال الأنصارى : لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنتُ لتُخْبِرَنى عنه الرجال ، ثم قاتل القوم حتى قُتِل ، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مُضَر أطلقه عامر ابن الطفيل ،وجَزَّ ناصيته ، وأعتقه عن رقبةٍ زَعَمَ أنها كانت على أمه ، فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقَرْقَرَة من صدر قناة أقبل رجلان من بنى عامر

قال ابن هشام : [ثم] من بنى كلاب،وذكر أبو عمرو المدنى أنهما من بنى سُلَيم

قال ابن إسحاق : حتى نزلا معه فى ظل هو فيه ، وكان مع العامرِيَّيْن عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجِوَار لم يعلم به عَمْرو ابن أمية — وقد سألهما حين نزلا : ممن أنتما ؟ فقالا : من بنى عامر — فأمهلهما حتى إذا ناما عَدَا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثُؤْرَةً (١) من بنى عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبرقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ قَتَلْتَ قَتِيلَيْنِ لأَدِيَنَّهُمَا » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هٰذَا عَمَلُ أَبِى بَرَاء ، قَدْ كُنْتُ لِهٰذَا كَارِهًا مُتَخَوِّفًا » فبلغ ذلك أبا براء ، فشقَّ عليه إخفار عامر إياه وما

(١) قوله ثؤرة اسم من الثأر

أصاب أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره ، وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة

قال ابن إسحق[١] : فحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن عامر ابن الطفيل كان يقول : مَنْ رَجُلٌ منهم لما قُتِلَ رأيته رفع بين السماء والأرض ، حتى رأيت السماء من دونه ؟ قالوا : هو عامر بن فهيرة

قال ابن إسحق : وقد حدثني بعض بني جَبَّار بن سَلْمى[٢] بن مالك بن جعفر ، قال : وكان جَبَّار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم ، فكان يقول : إن مما دعاني إلى الاسلام أني طَعَنْتُ رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره فسمعته يقول : فُزْتُ والله ، فقلت في نفسي : مافاز ، ألست قد قتلت الرجل ؟ ! قال : حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : الشهادة ، فقلت : فاز لعمر الله

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت يحرض بني أبي بَرَاء على عامر بن الطفيل :

---

(١) هذه رواية البكائي عن ابن إسحاق ، وروى يونس بن بكير عنه بهذا الاسناد ، أن عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك وقال للنبي صلى الله عليه وسلم : من رجل لما طعنته رفع إلى السماء ؟ فقال : «هو عامر بن فهيرة» وروى عبد الرزاق أن عامر بن فهيرة التمس في القتلى يومئذ ففقد ، فيرون أن الملائكة رفعته أو دفنته

(٢) قال أبوذر : «يروى هنا بفتح السين وضمها ، والصواب سلمى بفتح السين» اهـ

بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَلَمْ يَرُعْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنْ ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدِ (١)
تَهَكُّمُ عَامِرٍ بِأَبِي بَرَاءٍ لِيُخْفِرَهُ وَمَا خَطَأٌ كَعَمْدِ (٢)
أَلَا أَبْلِغْ رَبِيعَةَ ذَا الْمَسَاعِي
فَمَا أَحْدَثْتَ فِي الْحَدْثَانِ بَعْدِي (٣)
أَبُوكَ أَبُو الْحُرُوبِ أَبُو بَرَاءٍ وَخَالُكَ مَاجِدٌ حَكَمُ بْنُ سَعْدِ

قال ابن هشام : حكم بن سعد : من القَيْن بن جَسْر ، وأُم البنين : بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وهى أم أبى براء

قال ابن إسحق : فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل ، فطعنه بالرمح ، فوقع فى فخذه فأشواه (٤) ووقع عن فرسه ، فقال : هذا عمل أبى بَرَاء ، إن أمُتْ فدمى لعمِّى فلا يُتْبَعَنَّ به ، وإن أعِشْ فسأرى رأيى فيما أُتِىَ إلىّ

أنس بن عباس السلمى يفخر بقتل نافع بن بديل

وقال أنس بن عباس السُّلَمِىُّ ، وكان خال طُعَيْمَة بن عدىّ بن نوفل ، وقتل يومئذ نافِعَ بن بُدَيْل بن وَرْقَاء الْخُزَاعِىَّ : —

(١) « بنو أم البنين » هم أبو براء وإخوته ، وقد ذكرناهم قريبا (ص ١٨٤ هـ ١) وفيهم يقول لبيد بن ربيعة :—

* نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَهْ *

وإنما جعلهم أربعة وهم خمسة حين لم يستقم له الوزن إلا بذلك ، ويقال : كانوا أربعة . والذوائب فى قول حسان : جمع ذؤابة ، وهى أعلى الشىء

(٢) التهكم : الاستهزاء ؛ ليخفره : لينقض عهده

(٣) المساعى : جمع مسعاة ، وهى السعى فى طلب المجد والمكارم

(٤) أشواه : أخطأ مقتله ، وفى بعض الروايات : فلما أتى ربيعة شعر حسان أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، هل يغسل عن

تَرَكْتُ ابْنَ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيَّ ثَاوِيًا

بِمُعْتَرَكٍ تَسْفِي عَلَيْهِ الْأَعَاصِرُ (١)

ذَكَرْتُ أَبَا الرَّيَّانِ لَمَّا رَأَيْتُهُ وَأَيْقَنْتُ أَنِّي عِنْدَ ذَلِكَ ثَائِرُ (٢)

وأبو الرَّيَّان: طعيمة بن عَدِيّ

عبدالله بن رواحة يرثي نافع بن بديل

وقال عبد الله بن رَوَاحة يبكي نافع بن بُدَيل بن وَرْقَاء: —

رَحِمَ اللهُ نافِعَ بْنَ بُدَيْلٍ رَحْمَةَ الْمُبْتَغِي ثَوَابَ الْجِهَادِ

صَابِرٌ صَادِقٌ وَفِيٌّ إِذَا مَا أَكْثَرَ الْقَوْمُ قَالَ قَوْلَ السَّدَادِ

وقال حسان بن ثابت يبكي قتلى بئر معونة، ويخص الْمُنْذِر [بن عمرو رحمه الله تعالى]: —

أبي هـذه الغدرة ضربة أضربها عامرا أو أطعنه ؟ فقال له «نعم» فذهب فضرب عامرا ضربة فأشواه، فوثب عليه قومه فأخذوه وقالوا لعامر: اقتص فأخرجه من الحي، ثم حفر بئرا وقال: اشهدوا أني قد جعلت ديته في هذا البئر، ثم رد فيها ترابها، وعامر بن الطفيل العامري هو ابن أخي أبي براء ملاعب الأسنة، كما نقله الزرقاني (ج ٢ ص ٨٧) وقال ابن حجر في الاصابة: «لم أجد من ذكر ربيعة بن أبي براء في الصحابة إلا ما تفيده هـذه القصة، ورأيت له روايه عن أبي الدرداء، فكأنه عمر في الاسلام» اهـ

(١) المعترك: اسم مكان من اعترك القوم في الحرب، وقد يخص بالمكان الضيق في الحرب، وتسفي: تثير عليه التراب؛ والأعاصر: الرياح التي يكون معها غبار

(٢) «أبا الريان» يروى بالراء المهملة وبالزاي، قال أبو ذر: «وقع هنا بالزاي والباء، ويروى أيضاً بالراء والياء باثنين من أسفل، وهو الصواب وكذا قيده الدار قطني» اهـ. وقوله «ثائر» معناه آخذ بثأره

حسان بن ثابت يرثى شهداء بئر معونة

عَلَى قَتْلَى مَعُونَةَ فَاسْتَهِلِّى ... بِدَمْعِ الْعَيْنِ سَحًّا غَيْرَ نَزْرِ (١)

عَلَى خَيْلِ الرَّسُولِ غَدَاةَ لاَقَوْا ... وَلاَقَتْهُمْ مَنَايَاهُمْ بِقَدْرِ

أَصَابَهُمُ الْفَنَاءُ بِعَقْدِ قَوْمٍ ... تُخُوِّنَ عَقْدُ حَبْلِهِمُ بِغَدْرِ (٢)

فَيَا لَهْفِى لِمُنْذِرِ إِذْ تَوَلَّى ... وَأَعْنَقَ فِى مَنِيَّتِهِ بِصَبْرِ (٣)

وَكَائِنْ قَدْ أُصِيبَ غَدَاةَ ذَاكُمْ

مِنَ أَبْيَضَ مَاجِدٍ مِنْ سِرِّ عَمْرِو (٤)

قال ابن هشام: أنشدنى آخرها بيتا أبو زيد الأنصارى؛ وأنشدنى لكعب بن مالك فى يوم بئر معونة يعير بنى جعفر بن كلاب

كعب بن مالك يعير بنى جعفر بن كلاب

تَرَكْتُمْ جَارَكُمْ لِبَنِى سُلَيْمٍ ... مَخَافَةَ حَرْبِهِمْ عَجْزاً وَهُونَا (٥)

فَلَوْ حَبْلاً تَنَاوَلَ مِنْ عُقَيْلٍ ... لَمَدَّ بِحَبْلِهَا حَبْلاً مَتِينَا (٦)

أَوِ الْقُرَطَاءَ مَا إِنْ أَسْلَمُوهُ ... وَقِدْمًا مَا وَفَوْا إِذْ لاَ تَفُونَا (٧)

---

(١) استهلى: أسيلى دموعك، والسح: الصب الكثير، والنزر: القليل

(٢) تخون: انتقص، وهو مبنى للمجهول؛ فهو بضم التاء والخاء وتشديد الواو مكسورة

(٣) أعنق: أسرع، والعنق — بفتح العين والنون جميعا — السير السريع، وهذا الفعل مأخوذ منه، وقوله «لمنذر» إما أن يكون قد حذف التنوين من العلم المذكر لاضطراره إلى ذلك لاقامة الوزن، وقد سبق القول فى اختلاف العلماء فى جواز مثل ذلك قريباً، وإما أن يكون وصل همزة إذ، وهذا أولى عندنا، وهو الذى ضبطنا البيت عليه

(٤) «من سر عمرو» سر القوم: خالصهم ولبابهم

(٥) الهون: الهوان والذلة

(٦) الحبل: العهد والذمة، والمتين: القوى الشديد الفتل

(٧) القرطاء: بطون من العرب من بنى كلاب، وهم قرط وقريط (بضم ففتح مصغرا) وقريط (بفتح القاف وكسر الراء) ويقال لهم:

قال ابن هشام : الْقُرَطَاء : قبيلة من هوازن ، ويروى « مِنْ نُفَيْلٍ » مكان « مِنْ عُقَيل » وهو الصحيح ، لأن القرطاء من نفيل قريب .

أمر إجلاء بنى النَّضِير فى سنة أربع

ذهاب رسول الله إلى بنى النضير يستعينهم فى دية القتيلين

قال ابن إسحق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النضير يستعينهم فى دية ذَيْنِكَ القتيلين من بنى عامر اللَّذَيْن قَتَلَ عمرو ابن أمية الضَّمْرِىُّ ، للجوار الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما — كما حدثنى يزيد بن رُومَان — وكان بين بنى النَّضِير وبين بنى عامر عَقْدٌ وحِلْف ، فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم فى دية ذينك القتيلين ، قالوا : نعم ، ياأبا القاسم، نُعِينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ، ثم خلا بعضهم ببعض ، فقالوا : إنكم لَنْ تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جَنْب جِدَارٍ من بيوتهم قاعد ، فَمَنْ رَجُلٌ يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صَخْرَةً فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جَحَّاش(١) بن كعب أحَدُهم ، فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلىّ ، رضوان الله عليهم ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة

بنو النضير يتآمرون على قتل رسول الله والله تعالى يحفظه

القروط ، أيضاً . قال ذلك كله أبو ذر ، وفى بعض كتب السيرة أنهم بطون من بنى عامر

(١) ضبطه الزرقانى (ج ٢ ص ٩٣) بفتح الجيم وتشديد الحاء وآخره شين ، ووجد فى بعض الأصول مضبوطا بكسر الجيم وتخفيف المهملة ، ولعل ما فى الزرقانى أثبت

فلما اسْتَلْبَثَ (١) النبيَّ صلى الله عليه وسلم أَصْحَابُهُ قاموا فى طلبه، فلَقُوا رجلا مقبلا من المدينة ، فسألوه عنه ، فقال : رأيته داخلا المدينة ، فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انْتَهَوْا إليه [صلى الله عليه وسلم] ، فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتَّهَيُّؤ لحربهم والسير إليهم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم

قال ابن إسحق : ثم سار بالناس حتى نزل بهم

قال ابن هشام : وذلك فى شهر ربيع الأول ؛ فحاصرهم فيها ست ليال ، ونزل تحريم الخمر

قال ابن إسحق : فتحصَّنُوا منه فى الحصون ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقَطْع النخيل والتَّحْرِيق فيها ، فنَادَوْه : أن يامحمد قد كُنْتَ تَنْهَى عن الفساد وتَعيبه على من صَنَعَهُ ، فما بال قطع النخيل وتحريقها ؟ وقد كان رَهْطٌ من بنى عوف بن الخزرج — : منهم عَدُوُّ الله عَبْدُ الله بن أُبَيّ ابن سلول ، ووديعة ، ومالك بن أبى قَوْقَل ، وسُوَيْد ودَاعِس — قد بعثوا إلى بنى النَّضير : أن اثبتوا وتَمَنَّعوا فإنا لَنْ نُسْلِمكم : إن قُوتِلْتُمْ قاتلنا معكم ، وإن أُخْرِجْتُمْ خرجنا معكم ، فتربَّصُوا ذلك من نَصْرهم ، فلم يفعلوا ، وقَذَفَ الله فى قلوبهم الرُّعْبَ ، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُجْلِيَهُم ويَكُفَّ عن دِمائهم ؛ على أنَّ لهم ما حَمَلَت

---

(١) أى : لما وجدوا أنه أطال اللبث وهم فى انتظاره عند بنى النضير ، واللبث : الاقامة ، وعبارة المواهب : « فقام عليه الصلاة والسلام موهما أنه يقضى حاجته ، وترك أصحابه فى مجلسهم ، ورجع إلى المدينة ، واستبطأ النبي أصحابه فقاموا فى طلبه »

الإبل من أموالهم إلا الحَلْقة (١) ففعل : فاحتملوا من أموالهم ما استَقَلَّتْ به الإبل ؛ فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نِجَافِ (٢) بابه ، فيضعه على ظهر بعيره ، فينطلق به ، فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، فكان أشرافهم من سار [منهم] إلى خيبر سَلَّام بن أبي الحُقَيق ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وحُيَيُّ بن أخطب ، فلما نزلوها دَانَ لهم أهلها (٣)

خروج بنى النضير بالخيلاء والزهو

قال ابن إسحق : فحدثنى عبد الله بن أبي بكر أنه حُدِّثَ أنهم اسْتَقَلُّوا بالنساء والأبناء والأموال معهم الدُّفُوف والمزامير والقِيَانُ (٤) يَعْزِفْنَ (٥) خلفهم ، وإن فيهم لَأُمَّ عَمْرٍو صاحبةَ عُرْوَةَ بن الْوَرْدِ العبسى التى ابتاعوا منه ، وكانت إحدى نساء بنى غِفَار (٦) بزُهَاء وفَخْرٍ مارُئِيَ مثله من حَيٍّ من الناس فى زمانهم ، وخَلَّوُا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصةً يضعها حيث يشاء ؛ فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأولين

---

(١) « إلا الحلقة » بفتح الحاء وسكون اللام — أى : السلاح كله ، وقيل : خاص بالدروع .

(٢) نجاف بابه — بكسر النون، بزنة كتاب — هى العتبة التى بأعلى الباب ويقابله الأسكفة — بضم الهمزة والكاف بينهما سين مهملة ساكنة ، وبعد الكاف فاء مشددة مفتوحة — وهى العتبة التى بأسفل الباب .

(٣) « دان لهم أهلها » أى : أطاعوهم وخضعوا لهم ، تقول : دان الناس للملك ، إذا أطاعوه

(٤) القيان : جمع قينة ، وهى الجارية إذا كانت مغنية

(٥) يعزفن : أى يضربن بالدفوف

(٦) الزهاء : الزهو والتكبر والاعجاب

دون الأنصار (١) ، إلا أن سَهْلَ بن حُنَيف وأبا دُجانة سِماكَ بن خَرَشَة (٢) ذكرا فقرًا فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

أسلم من بنى النضير رجلان

ولم يُسْلم من بنى النَّضير إلا رجلان : يَامِينُ بن عُمَيْر (٣) بن كعب ابن عمرو بن جحاش ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحْرَزَاها

قال ابن إسحق : وقد حدثنى بعض آل يامين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين : « أَلَمْ تَرَ مَالَقِيتُ مِنَ ابْنِ عَمِّكَ وَمَاهَمَّ بِهِ مِنْ شَأْنِى » فجعل يامين [بن عمير] لرجل جُعْلاً على أن يقتل [له] عمرو بن جحاش ، فقتله فيما يزعمون

نزول سورة الحشر فى بنى النضير

ونزل فى بنى النَّضير سورة الحشر بأسرها ، يذكر فيها ما أصابهم الله

(١) قال الزرقانى (ج ٢ ص ٩٩) : « ذكر البلاذرى أنه صلى الله عليه وسلم قال للأنصار : ليست لاخوانكم من المهاجرين أموال ؛ فان شئتم قسمت هذه وأموالكم بينهم وبينكم جميعا ، وإن شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه خاصة ، فقالوا : اقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ماشئت فنزلت (ويؤثرون على أنفسهم) وقال أبو بكر رضى الله عنه : جزاكم الله خيرا يامعشر الأنصار ، ما مثلنا ومثلكم إلا كما قال الغنوى : —

جَزَى اللهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَزْلَقَتْ
بِنَا نَعْلُنَا فى الْوَاطِئِينَ فَزَلَّتِ

(٢) قال السهيلى : « وقال غير ابن إسحاق : أعطى ثلاثة ، فذكر الحرث بن الصمة » اه قال الزرقانى : « النظر فى الحرث بن الصمة بأنه قتل فى بئر معونة إنما يأتى على ما ذكر ابن إسحاق من أن إجلاء بنى النضير وقع بعد بئر معونة أما من ذكر أنه بعدها فلا نظر » اه

٣ قال أبو ذر : « قوله يامين بن عمير بن كعب ، صوابه أبو كعب » اه

به من نقمته . وما سَلَّط عليهم به رسولَهُ صلى الله عليه وسلم ، وما عمل به فيهم ، فقال تعالى : (٥٩ : — ٢ ....) (هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ) وذلك لهدمهم بيوتهم عن نُجُف أبوابهم إذا احتملوها (فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِى الْأَبْصَارِ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ) وكان لهم من الله نقمة (لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيَا) أى بالسيف (وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ) مع ذلك (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا) واللينة : ماخالف العجوة من النخل (فَبِإِذْنِ اللهِ) أى : فبأمر الله قطعت ، لم يكن فساداً ولكن كان نقمة من الله (وَلِيُخْزِىَ الْفَاسِقِينَ)

قال ابن هشام : [قال أبو عبيدة] اللينة من الألوان : وهى مالم تكن بَرْنيةً ولا عَجْوَةً من النخل فيما حدثنا أبو عبيدة ، قال ذو الرمة : —

كَأَنَّ قُتُودِى فَوْقَهَا عُشُّ طَائِرٍ
عَلَى لِينَةٍ سَوْقَاءَ تَهْفُو جُنُوبُهَا (١)

وهذا البيت فى قصيدة له

(مَاأَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ) قال ابن إسحق : يعنى من بنى النضير (فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) أى : له خاصة .

---

(١) القتود : جمع قتد ـ بفتحتين ـ وهو الرحل مع أداته ، وسوقاء : غليظة الساق ، وتهفو : تهتز وتضطرب ، وجنوبها : نواحيها

قال ابن هشام : أوجفتم : حركتم وأتعبتم فى السير ، قال تميم بن أبى ابن مقبل أحد بنى عامر بن صَعْصَعَة : —

مَذَاوِيدُ بِالْبِيضِ الْحَدِيثِ صِقَالُهَا
عَنِ الرَّكْبِ أَحْيَانًا إِذَا الرَّكْبُ أَوْجَفُوا (١)

وهذا البيت فى قصيدة له ، وهو الوجيف ، قال أبو زبيد الطائى واسمه حَرْمَلَة بن المنذر : —

مُسْنَفَاتٌ كَأَنَّهُنَّ قَنَا الْهِنْـ
ـدِ لِطُولِ الْوَجِيفِ جَدْبَ الْمَرُودِ (٢)

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن هشام : [السناف : البطان (٣)] والوجيف أيضاً : وجيف القلب والكبد ، وهو الضَّرَبَان ، قال قيس بن الخطيم الظَّفَرِىُّ : —

إِنَّا وَإِنْ قَدَّمُوا الَّتِى عَلِمُوا أَكْبَادُنَا مِنْ وَرَائِهِمْ تَجِفُ

وهذا البيت فى قصيدة له

---

(١) مذاويد : جمع مذواد ، وهو الكثير الدفاع عن قومه ، والبيض: السيوف ، والحديث صقالها : القريب عهدها بالصقل

(٢) مسنفات : مشدودات بالسناف ، وهو الحزام وهو بزنة كتاب ، والجدب : المكان الذى لا نبات به ، والمرود : اسم مفعول من قولهم : راد المكان يروده ، إذا طلب فيه المرعى ، ومنه الرائد ، وهو الذى يسبق قومه ليعرف لهم أمكنة الرعى ، والوجيف هنا : ضرب من السير ، وانتصاب « جدب المرود » على الظرفية ، والاضافة فيه من إضافة الصفة للموصوف ، أى : لطول السير فى المكان الجدب . هذا ماظهر لنا

(٣) سقطت هذه العبارة من بعض النسخ ، وهى مذكورة فى شرح أبى ذر ، والبطان — بزنة كتاب — حزام منسوج

(مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ)
قال ابن إسحق: ما يوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب وفتح بالحرب عنوة فلله وللرسول (وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْلَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) يقول : هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين على ما وضعه الله عليه ، ثم قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا) يعنى عبد الله بن أُبىّ وأصحابه ومن كان على مثل أمرهم (يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) يعنى بنى النضير إلى قوله : (كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يعنى بنى قينقاع ، ثم القصة إلى قوله (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ)

قصيدة للقيم العبسى وتنسب لقيس بحر فى إجلاء بنى النضير

وكان مما قيل فى بنى النضير من الشعر قول ابن لُقَيْم الْعَبْسى ، ويقال : قالها قيس بن بحر بن طريف (قال ابن هشام : قيس ابن بحر الأشجعى) ، فقال : —

أَهْلِي فِدَاءٌ لِامْرِئٍ غَيْرِ هَالِكٍ ... أَحَلَّ الْيَهُودَ بِالْحَشِيِّ الْمُزَنَّمِ (١)

---

(١) قوله « بالحشى المزنم » رويت هذه الكلمة بالحاء المهملة والشين المعجمة ، على زنة غنى كما أثبتناه ، ورويت بحاء مهملة وسين مهملة أيضا ، فان صحت هذه الرواية وجب أن تكون « بالحساء المزنم » والحساء — بزنة رجال — جمع حسى ، وهو بزنة ظبى وبزنة قرد وبزنة إلى ، وهو ماء يغور فى الرمل فتمسكه الأرض فاذا حفرت وجدته ، والمزنم — على ذلك — اليسير

يَقِيلُونَ فِى جَمْرِ ٱلْغَضَاةِ وَبُدِّلُوا
أُهَيْضِبَ عُودَى بِالْوَدِىِّ ٱلْمُكَمَّمِ (١)

فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا بِمُحَمَّدٍ
تَرَوْا خَيْلَهُ بَيْنَ الصَّلاَ وَيَرَمْرَمِ (٢)

يَؤُمُّ بِهَا عَمْرَو بْنَ بُهْثَةَ إِنَّهُمْ
عَدُوٌّ وَمَا حَىٌّ صَدِيقٌ كَمُجْرِمِ (٣)

عَلَيْهِنَّ أَبْطَالٌ مَسَاعِيرُ فِى الْوَغَى
يَهُزُّونَ أَطْرَافَ الْوَشِيجِ ٱلْمُقَوَّمِ (٤)

القليل ، والذى أبتناه خير من ذلك ، والحشى : صغار الابل ، ويقال لابن المخاض وابن اللبون حشيان ، والمزنم الصغير وقد يكون أصله على معنى التشبيه أراد تشبيه صغار الابل بالمعز ، وإنما قيل للمعز مزنم للزنمتين اللتين فى أعناقها ، وهما الهنتان اللتان تتعلقان فى أعناقها

(١) الغضاة : شجر من الأشجار جمعه الغضا ، وهى أشد الأشجار لهبا وأقواها نارا ، انظر إلى قول ابن دريد : —

إِمَّا تَرَىْ رَأْسِىَ حَاكَى لَوْنُهُ
طُرَّةَ صُبْحٍ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى

وَاشْتَعَلَ ٱلْمُبْيَضُّ فِى مُسْوَدِّهِ مِثْلَ اُشْتِعَالِ النَّارِ فِى جَمْرِ ٱلْغَضَا

والأهيضب : تصغير أهضب ، هو المكان المرتفع ، وعودى ـ بضم العين المهملة وآخره ألف تأنيث ـ اسم مكان ، والودى ـ بفتح الواو وكسر الدال وتشديد الياء ـ صغار النخل ، والمكمم : الذى خرج طلعه

(٢) الصلا ويرمرم : موضعان

(٣) يؤم : يقصد ، وعمرو بن بهثة : بطن من غطفان ، وسيذكره ابن هشام قريباً

(٤) مساعير : جمع مسعر ، وهو اسم فاعل من قولهم سعر الحرب ـ بتضعيف

وَكُلَّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدٍ
تُوُورِثْنَ مِنْ أَزْمَانِ عَادٍ وَجُرْهُمِ (١)
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى قُرَيْشًا رِسَالَةً
فَهَلْ بَعْدَهُمْ فِى الْمَجْدِ مِنْ مُتَكَرِّمِ
بِأَنَّ أَخَاكُمْ فَأَعْلَمُنَّ مُحَمَّداً
تَلِيدُ النَّدَى بَيْنَ الْحَجُونِ وَزَمْزَمِ (٢)
فَدِينُوا لَهُ بِالْحَقِّ تَجْسُمْ أُمُورُكُمْ
وَتَسْمُوا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ مُعْظَمِ (٣)
نَبِيٌّ تَلَافَتْهُ مِنَ اللهِ رَحْمَةٌ وَلاَ تَسْأَلُوهُ أَمْرَ غَيْبٍ مُرَجَّمِ (٤)
فَقَدْ كَانَ فِى بَدْرٍ لَعَمْرِىَ عِبْرَةٌ
لَكُمْ يَا قُرَيْشًا وَالْقَلِيبِ الْمُلَمَّمِ (٥)

الحشو ـ وكذا يقال : أسعرها ، وذلك إذاهيجها وأذكاها ، والوشيج : الرماح

(١) عاد وجرهم : من القبائل القديمة ، يريد أن سيوفهم وأداة حربهم مما توارثوه كابرا عن كابر ، فهى مما تعودت جز الرقاب ، وذلك كقول النابغة الذبيانى فى مدح الغساسنة : ـ

تُوُرِّثْنَ مِنْ أَزْمَانِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ
إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ

(٢) تليد الندى : قديمه ، والندى : التكرم ، والحجون : موضع بمكة ، وزمزم : بئر البيتِ الحرام

(٣) دينوا له : أطيعوه واخضعوا لما يدعوكم إليه ، وتجسم أموركم : تعظم ، وأصله الأمر الجسيم : أى العظيم

(٤) المرجم : المظنون الذى لاتستيقنه النفس ولا يطمئن إليه العقل

(٥) الملم : المجموع ، وأراد الذى جمع فيه القتلى ـ

غَدَاةَ أَتَى فِى الْخَزْرَجِيَّةِ عَامِداً
إِلَيْكُمْ مُطِيعاً لِلْعَظِيمِ الْمُكَرَّمِ
مُعَانًا بِرُوحِ الْقُدْسِ يَنْكِى عَدُوَّهُ
رَسُولاً مِنَ الرَّحْمٰنِ حَقًّا بِمَعْلَمِ (١)
رَسُولاً مِنَ الرَّحْمٰنِ يَتْلُو كِتَابَهُ
فَلَمَّا أَنَارَ الْحَقُّ لَمْ يَتَلَعْثَمِ (٢)
أَرَى أَمْرَهُ يَزْدَادُ فِى كُلِّ مَوْطِنٍ
عُلُوًّا لِأَمْرٍ حَمَّهُ اللهُ مُحْكَمِ (٣)

قال ابن هشـام : عمرو بن بهثة من غطفـان ، وقوله « بالحسى لمزنم » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه يذكر جلاء بنى النضير وقتل كعب بن الأشرف

قال ابن هشـام : قالها رجل من المسلمين غير علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فيما ذكر [لى] بعض أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعلىّ رضوان الله عليه : —

---

(١) روح القدس : جبريل عليه السلام ، وينكى عدوه : يبالغ فى ضرره والمعلم : الموضع المرتفع المشرف

(٢) لم يتلعثم : لم يتوقف ولم يتردد ولم يتأخر

(٣) حمه الله : قدره وهيأ أسبابه (انظر ص ١٦٢ من هذا الجزء)

قصيدة تنسب لعلى ابن أبي طالب في إجلاء بني النضير

عَرَفْتُ وَمَنْ يَعْتَدِلْ يَعْرِفِ
وأَيْقَنْتُ حَقًّا وَلَمْ أَصْدِفِ (١)
عَنِ الْكَلِمِ الْمُحْكَمِ اللاء مِنْ
لدَى اللهِ ذِى الرَّأْفَةِ الْأَرْأَفِ
رَسَائِلَ تُدْرَسُ فِى الْمُؤْمِنِينَ
بِهِنَّ اصْطَفَى أَحْمَدَ الْمُصْطَفِي
فَأَصْبَحَ أَحْمَدُ فِينَا عَزِيزًا عَزِيزَ الْمُقَامَةِ وَالْمَوْقِفِ (٢)
فَيَاأَيُّهَا الموعِدُوهُ سَفَاهًا
وَلَمْ يَأْتِ جَوْرًا وَلَمْ يَعْنُفِ (٣)
أَلَسْتُمْ تَخَافُونَ أَدْنَى الْعَذَابِ
وَمَا آمِنُ اللهِ كَالْأَخْوَفِ
وَأَنْ تُصْرَعُوا تَحْتَ أَسْيَافِهِ
كَمَصْرَعِ كَعْبٍ أَبِي الْأَشْرَفِ
غَدَاةَ رَأَى اللهُ طُغْيَانَهُ
وَأَعْرَضَ كَالْجَمَلِ الْأَجْنَفِ (٤)

(١) لم أصدف : لم أعرض ، تقول : صدف فلان عن الحق، إذا أعرض عنه وتركه ، ويتعلق بقوله لم أصدف قوله فى البيت التالى «عن الكلم المحكم» وهذا أحد عيوب الشعر

(٢) المقامة : موضع الاقامة ، والموقف : مكان الوقوف

(٣) الموعدوه : الذين يتوعدونه ، يتهددونه ، والسفاه ـ بفتح السين ـ الضلال ، ولم يعنف : لم يأت بالعنف ، وهو بضم العين وسكون النون ـ ضد الرفق واللين (٤) الأجنف : المائل إلى جهة

فَأَنْزَلَ جِبْرِيلَ فِي قَتْلِهِ بِوَحْيٍ إِلَى عَبْدِهِ مُلْطَفِ

فَدَسَّ الرَّسُولُ رَسُولاً لَهُ بِأَبْيَضَ ذِي هَبَّةٍ مُرْهَفِ (١)

فَبَاتَتْ عُيُونٌ لَهُ مُعْوِلَاتٌ مَتَى يُنْعَ كَعْبٌ لَهَا تَذْرِفِ (٢)

وَقُلْنَ لِأَحْمَدَ ذَرْنَا قَلِيلاً فَإِنَّا مِنَ النَّوْحِ لَمْ نَشْتَفِ

فَخَلَّاهُمُ ثُمَّ قَالَ : اظْعَنُوا دُحُورًا عَلَى رَغْمِ الْآنُفِ (٣)

وَأَجْلَى النَّضِيرَ إِلَى غُرْبَةٍ

وَكَانُوا بِدَارِ ذَوِي زُخْرُفِ (٤)

إِلَى أَذْرِعَاتٍ رُدَافَى وَهُمْ عَلَى كُلِّ ذِي دَبَرٍ أَعْجَفِ (٥)

---

(١) بأبيض : أراد به سيفاً ، والهبة - بفتح الهاء وتشديد الباء - الاهتزاز ، والمرهف - بفتح الهاء - المحدد القاطع

(٢) معولات : باكيات مع ارتفاع صوت ، وينع - بالبناء للمجهول - يذكر خبر موته ، وتذرف : تسيل بالدموع

(٣) اظعنوا : ارتحلوا ، والدحور : الذل والهوان ، ونصبه على أنه مفعول مطلق بتقدير ظعن دحور ، أو على الحال بتقدير داحرين ، ومنه قوله تعالى : « ويقذفون من كل جانب دحورا » وقوله « على رغم الآنف » يريد على المذلة والاستهانة بهم ، والآنف : جمع أنف ، وتقول : أرغم الله أنف فلان ، أي : أذله ، وأصل معناه ألصقه بالرغام وهو التراب

(٤) غربة : تروى بضم الغين ، وبفتحها ، فأما من رواه بالضم فانما عنى الاغتراب ، وأما من رواه بالفتح فقد عنى البعد ، والزخرف : الزينة وحسن التنعم

(٥) أذرعات : موضع بالشام ، وفيه يقول امرؤ القيس : —

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ ، وَأَهْلُهَا

بِيَثْرِبَ ، أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِ

فأجابه سَمَّاك اليهودى ، فقال : —

سماك اليهودى يرد على قصيدة على

إنْ تَفْخَرُوا فَهُوَ فَخْرٌ لَـكُمْ ... بِمَقْتَلِ كَعْبٍ أَبِى الْأَشْرَفِ
غَدَاةَ غَدَوْتُمْ عَلَى حَتْفِهِ ... وَلَمْ يَأْتِ غَدْرًا ولَمْ يُخْلِفِ
فَعَلَّ اللَّيَالِى وَصَرْفَ الدُّهُورِ ... يُدِلْنَ مِنَ الْعَادِلِ الْمُنْصِفِ (١)
بِقَتْلِ النَّضِيرِ وأَحْلاَفِهَا ... وَعَقْرِ النَّخِيلِ وَلَمْ تُقْطَفِ (٢)
فَإِنْ لاَ أَمُتْ نَأْتِكُمْ بِالْقَنَا ... وَكُلِّ حُسَامٍ مَعًا مُرْهَفِ (٣)

وقوله « ردافى » هو مثل سكارى وزنا وهو جمـع رد فى بوزن سكرى ، ومعناه مرتد فين بعضهم رديف لبعض ، أى راكب خلفه على ركوبته ، ويروى « ردافا » بالتنوين ، وهو من معناه ، وقوله « على كل ذى دبر » يريد الجمل والدبر : جرح يكون فى البعير ، والأعجف : الهزيل الضعيف

(١) يدلن : من الادالة ، وهى أن تصيب من عدوك مثل ما أصاب منك ، والأصل فيه الدولة ، وهى التداول فى الامور بحيث تكون لهذا يوما ولذاك يوما آخر ، وعلى هذا المعنى قوله تعالى : (لكيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) وأراد بالعادل المنصف النبى صلى الله عليه وسلم ، وإنما وصفه بذلك وهو لا يعتقد تهكما

(٢) أحلافها : جمع حلف ـ بكسر فسكون ـ وأراد به الحليف ، ويروى فى مكانه « إجلائها » وهو مصدر أجلاهم : أى أخرجهم من بلادهم وقوله « لم تقطف » يروى بالبناء للمجهول وبالبناء للمعلوم مع ضم حرف المضارعة فيهما ، فمن رواه بالبناء للمجهول أراد لم تقطف ثمرتها ، ومن رواه بالبناء للمعلوم أراد لم تبلغ النخل زمان القطاف ، وتقول : أحصد الزرع وأجد التمر وأقطف ، أى حان حصاده وقطعه وقطفه

(٣) الحسام ـ بزنة غراب ـ السيف القاطع ، مأخوذ من الحسم ، وهو القطع ، والمرهف : المحدد

بِكَفٍّ كَمِيٍّ بِهِ يَحْتَمِي ... مَتَى يَلْقَ قِرْنًا لَهُ يَتْلَفِ (١)

مَعَ الْقَوْمِ صَخْرٌ وَأَشْيَاعُهُ

إِذَا غَاوَرَ الْقَوْمَ لَمْ يَضْعُفِ (٢)

كَلَيْثٍ بِتَرْجٍ حَمَى غِيلَهُ ... أَخِي غَابَةٍ هَاصِرٍ أَجْوَفِ (٣)

قصيدة لكعب بن مالك في إجلاء النضير ومقتل ابن الأشرف

قال ابن إسحق : وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النضير وقتل كَعْب بن الأشرف : —

لَقَدْ خَزِيَتْ بِغَدْرَتِهَا الْحُبُورُ

كَذَاكَ الدَّهْرُ ذُو صَرْفٍ يَدُورُ (٤)

---

(١) الكمي — بفتح الكاف وكسر الميم وتشديد الياء — الشجاع ، وسمي بذلك لأنه يتكمى في سلاحه : أي يستتر ، والقرن — بكسر القاف وسكون الراء — الذي يقاوم الرجل في القتال ؛ ويتلف : يفسد ، يريد أنه يقتل كل من يلقاه

(٢) صخر : هو أبو سفيان بن حرب ؛ وقوله « غاور القوم » يريد حاربهم واشترك معهم كل يغير على صاحبه ، وأراد أنه شجاع لا يجبن عند القتال

(٣) ترج — بفتح التاء المثناة وسكون الراء المهملة آخره جيم — قيل : هو جبل بالحجاز كثير الأسد ، ومما يدل على أنه جبل قول أبي أسامة الهذلي : —

أَلاَ يَابُؤْسَ لِلدَّهْرِ الشَّعُوبِ ... لَقَدْ أَعْيَا عَلَى الصَّنَعِ الطَّبِيبِ

يَحُطُّ الصَّخْرَ مِنْ أَرْكَانِ تَرْجٍ ... وَيَنْشَعِبُ الْمُحِبُّ مِنَ الْحَبِيبِ

وقيل : ترج قرية تقابل بيشة ، وهما بين مكة واليمن ؛ وهما جميعاً من مواطن الأسود ، يقال : أسد ترج . ويقال : أسد بيشة ، والغيل — بكسر الغين المعجمة — أجمة الأسد ، وكذا الغابة ؛ والهاصر : الذي يكسر فريسته إذا أخذها ؛ والأجوف : العظيم الجوف (٤) الحبور : جمع حبر ، وهو العالم ،

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِرَبٍّ عَزِيزٍ ، أَمْرُهُ أَمْرٌ كَبِيرُ
وَقَدْ أُوتُوا مَعًا فَهْمًا وَعِلْمًا وَجَاءَهُمُ مِنَ اللهِ النَّذِيرُ
نَذِيرٌ صَادِقٌ أَدَّى كِتَابًا وَآيَاتٍ مُبَيَّنَةً تُنِيرُ
فَقَالُوا : مَا أَتَيْتَ بِأَمْرِ صِدْقٍ وَأَنْتَ بِمُنْكَرٍ مِنَّا جَدِيرُ(١)
فَقَالَ : بَلَى لَقَدْ أَدَّيْتُ حَقًّا يُصَدِّقُنِي بِهِ الْفَهِمُ الْخَبِيرُ
فَمَنْ يَتْبَعْهُ يُهْدَ لِكُلِّ رُشْدٍ
وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ يُجْزَ الْكَفُورُ(٢)
فَلَمَّا أُشْرِبُوا غَدْرًا وَكُفْرًا وَجَدَّ بِهِمْ عَنِ الْحَقِّ النُّفُورُ(٣)
أَرَى اللهُ النَّبِيَّ بِرَأْيِ صِدْقٍ وَكَانَ اللهُ يَحْكُمُ لاَ يَجُورُ
فَأَيَّدَهُ وَسَلَّطَهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ نَصِيرَهُ ، نِعْمَ النَّصِيرُ
فَغُودِرَ مِنْهُمُ كَعْبٌ صَرِيعًا فَذَلَّتْ بَعْدَ مَصْرَعِهِ النَّضِيرُ
عَلَى الْكَفَّيْنِ ثَمَّ وَقَدْ عَلَتْهُ بِأَيْدِينَا مُشَهَّرَةٌ ذُكُورُ(٤)

ويقال فى جمعه الأحبار أيضا وقدخص فى الاستعمال الاسلامى بعلماء اليهود

(١) جدير : أى حقيق وخليق ، تقول : هو جدير بكذا ، إذا كان خليقا به مستحقا له

(٢) « يجز الكفور » فى هذه العبارة استعمال الظاهر فى موضع المضمر ، وهو واضح

(٣) « جدبهم » يروى فى مكانه « وحاد بهم » أى مال بهم وجعلهم يعدلون عن الحق

(٤) « مشهرة ذكور » أراد بها السيوف المشهورة التى شهرها أصحابها

بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلاً إِلَى كَعْبٍ أَخَا كَعْبٍ يَسِيرُ
فَمَا كَرَهُ فَأَنْزَلَهُ بِمَكْرٍ وَمَحْمُودٌ أَخُو ثِقَةٍ جَسُورُ
فَتِلْكَ بَنُو النَّضِيرِ بِدَارِ سَوْءٍ أَبَارَهُمُ بِمَا اجْتَرَمُوا الْمُبِيرُ[1]
غَدَاةَ أَتَاهُمُ فِى الزَّحْفِ رَهْوًا
رَسُولُ اللهِ وَهْوَ بِهِمْ بَصِيرُ[2]
وَغَسَّانُ الْحُمَاةُ مُوَازِرُوهُ
عَلَى الْأَعْدَاءِ وَهْوَ لَهُمْ وَزِيرُ[3]
فَقَالَ: السِّلْمَ وَيْحَكُمُ، فَصَدُّوا
وَحَالَفَ أَمْرَهُمْ كَذِبٌ وَزُورُ[4]
فَذَاقُوا غِبَّ أَمْرِهِمُ وَبَالاً
لِكُلِّ ثَلَاثَةٍ مِنْهُمْ بَعِيرُ[5]

---

(١) أبارهم: أهلكهم، والبوار ـ بفتح الباء الواو ـ الهلاك، واجترموا: اكتسبوا، والمبير: المهلك

(٢) الزحف: أراد به الجيش الزاحف عليهم، ورهوا ـ بفتح الراء المهملة وسكون الهاء ـ المشى فى سكون ومهل. وانتصابه إما على أنه مفعول مطلق بتقدير إتيان رهو أو بتقدير مشى نحوكم رهوا، وإما على أنه حال بتقدير متمهلا. وبصير: أى عليم خبير

(٣) الحماة: جمع حام، ووزير ههنا بمعنى الملجأ والمعين

(٤) السلم ـ بفتح السين أو كسرها ـ الصلح، وويحكم: دعاء عليهم؛ والويح: الهلاك كالويب والويس، وحالف: صاحب، يريد أن الكذب والزور كانا مصاحبين لهم فلم يعرفوا الرشد فى أمرهم

(٥) غب أمرهم ـ بكسر الغين المعجمة وتشديد الباء عاقبته؛ والوبال: النكال

وَأَجْلَوْا عَامِدِينَ لِقَيْنُقَاعٍ
وَغُودِرَ مِنْهُمُ نَخْلٌ وَدُورُ (١)

فأجابه سَمَّاكٌ اليهودى ، فقال : —

قصيدة لسماك اليهودى يرد على كعب بن مالك

أَرِقْتُ وَضَافَنِي هَمٌّ كَبِيرٌ بِلَيْلٍ غَيْرُهُ لَيْلٌ قَصِيرُ (٢)
أَرَى الأَحْبَارَ تُنْكِرُهُ جَمِيعًا
وَكُلُّهُمُ لَهُ عِلْمٌ خَبِيرُ
وَكَانُوا الدَّارِسِينَ لِكُلِّ عِلْمٍ
بِهِ التَّوْرَاةُ تَنْطِقُ وَالزَّبُورُ
قَتَلْتُمْ سَيِّدَ الأَحْبَارِ كَعْبًا
وَقِدْمًا كَانَ يَأْمَنُ مَنْ يُجِيرُ
تَدَلَّى نَحْوَ مَحْمُودٍ أَخِيهِ وَمَحْمُودٌ سَرِيرَتُهُ الْفُجُورُ (٣)
فَغَادَرَهُ كَأَنَّ دَمًا نَجِيعًا يَسِيلُ عَلَى مَدَارِعِهِ عَبِيرُ (٤)
فَقَدْ وَأَبِيكُمُ وَأَبِي جَمِيعًا أُصِيبَتْ إِذْ أُصِيبَ بِهِ النَّضِيرُ

---

(١) عامدين : قاصدين ، تقول : عمد إلى هذا الأمر ، إذا قصده ، وقينقاع - بفتح فسكون فضم - قبيلة من اليهود ، وغودر : ترك

(٢) أرقت : سهرت وامتنعت من النوم ، وضافنى : نزل بى وزارنى

(٣) انظر حديث مقتل كعب بن الأشرف فى الجزء الثانى (٤٣٦ وما بعدها)

(٤) النجيع : الدم الطرى ، وقوله « مدارعه » يروى بالدال المهملة وبالذال المعجمة ، فأما من رواه بالدال المهملة فهو جمع مدرعة - بكسر الميم وسكون الدال - وهو الثوب ، وخصه بعض أهل اللغة بما كان من صوف

فَإِنْ نَسْلَمْ لَكُمْ نَتْرُكْ رِجَالاً
بِكَعْبٍ حَوْلَهُمْ طَيْرٌ تَدُورُ (١)
كَأَنَّهُمُ عَتَائِرُ يَوْمَ عِيدٍ تُذَبَّحُ وَهْيَ لَيْسَ لَهَا نَكِيرُ (٢)
بِبِيضٍ لاَ تُلِيقُ لَهُنَّ عَظْمًا
صَوَافِي الْحَدِّ أَكْثَرُهَا ذُكُورُ (٣)
كَمَا لاَقَيْتُمُ مِنْ بَأْسِ صَخْرٍ
بِأُحْدٍ حَيْثُ لَيْسَ لَكُمْ نَصِيرُ (٤)

وقال عبّاس بن مِرْدَاس أخو بنى سُلَيم يمتدح رجال بنى النضير : —

كلمة لعباس بن حرداس يمدح بنى النضير

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الدَّارِ لَمْ يَتَصَدَّعُوا
رَأَيْتَ خِلاَلَ الدَّارِ مَلْهًى وَمَلْعَبَا (٥)
فَإِنَّكَ عَمْرِى هَلْ أُرِيكَ ظَعَائِنَاً
سَلَكْنَ عَلَى رُكْنِ الشَّطَاةِ فَتَيْأَبَا (٦)

وأما من رواه بالذال المعجمة فانه أراد يديه ورجليه ، ومذارع البعير : قوائمه ، فاستعارها ههنا لذلك ، والعبير : الزعفران

(١) « حولهم طير تدور » هذه كناية عن قتلهم ، وذلك لأن الطير تحوم حول القتلى

(٢) عتائر : جمع عتيرة ، وهى الذبيحة

(٣) لا تليق : لا تبقى

(٤) صخر : هو أبو سفيان بن حرب

(٥) لم يتصدعوا : لم يتفرقوا ، وخلال الدار : بين أجزائها وفى وسطها وملهى وملعبا : أراد مكان لهو ولعب

(٦) الظعائن : جمع ظعينة ، وهى المرأة مادامت فى الهودج ، والشطاة بفتح الشين والطاء ـ اسم موضع ، ولم يذكر ياقوت بهذا الاسم إلا موضعا

عَلَيْنَ عِينٌ مِنْ ظِبَاءِ تَبَالَةٍ
أَوَانِسُ يُصْبِينَ الْحَلِيمَ الْمُجَرَّبَا(١)

إِذَا جَاءَ بَاغِي الْخَيْرِ قُلْنَ فُجَاءَةً
لَهُ بِوُجُوهٍ كَالدَّنَانِيرِ : مَرْحَباً

وَأَهْلاً فَلاَ مَمْنُوعَ خَيْرٍ طَلَبْتَهُ
وَلاَ أَنْتَ تَخْشَى عِنْدَنَا أَنْ تُؤَنَّبَا(٢)

فَلاَ تَحْسَبَنِّي كُنْتُ مَوْلَى ابْنِ مِشْكَمٍ
سَلاَمٍ وَلاَ مَوْلَى حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَا(٣)

فأجابه خَوَّات بن جُبَيْر أخو بنى عمرو بن عوف ، فقال : —

خوات بن جبير يرد على العباس بن مرداس

تُبَكِّي عَلَى قَتْلَى يَهُودَ وَقَدْ تَرَى
مِنَ الشَّجْوِ لَوْ تَبْكِي أَحَبَّ وَأَقْرَبَا(٤)

فى الديار المصرية بينه وبين دمياط ثلاثة أميال ، وذكر أنها بلدة تصنع بها الثياب الرفيعة الغالية الثمن ، وتيأب : اسم موضع أيضا ، ولم يذكره ياقوت

(١) العين : جمع عيناء ، وهى الواسعة العين ، وتبالة ـ بفتح التاء المثناة وبعدها باء موحدة ـ اسم موضع ، ويصبين : يدعون إلى الصبوة وترك التعقل ، والمجرب : الذى قد جرب الأمور وعرك الدهر

(٢) تؤنب ـ بالبناء للمجهول ـ تلام ؛ تقول : أنبت الرجل ـ بتشديد النون ـ إذا لمته ووبخته

(٣) المولى هنا : الحليف والصاحب ، وسلام : أصله بتشديد اللام خففها حين اضطر لذلك كما خففها أبو سفيان فى قوله : ـ

سَقَانِي فَرَوَّانِي كُمَيْتاً مُدَامَةً عَلَى عَجَلٍ مِنِّي سَلاَمُ بْنُ مِشْكَمِ

(٤) الشجو : الحزن والأسى

فَهَلاَّ عَلَى قَتْــلَى بِبَطْنِ أُرَيْنِقٍ
بَكَيْتَ وَلَمْ تُعْوِلْ مِنَ الشَّجْوِ مُسْهِبَا[١]

إِذَا السِّلْمُ دَارَتْ فِي صَدِيقٍ رَدَدْتَهَا
وَفِي الدِّينِ صَدَّاداً وَفِي الْحَرْبِ ثَعْلَبَا[٢]

عَمَدْتَ إِلَى قَدْرٍ لِقَوْمِكَ تَبْتَغِي لَهُمْ شَيْنَهاً كَيْمَا تَعِزَّ وَتَغْلِبَا
فَإِنَّكَ لَمَّا أَنْ كَفَفْتَ تَمَدُّحاً لِمَنْ كَانَ عَيْباً مَدْحُهُ وَتَكَذُّبَا

رَحَلْتَ بِأَمْرٍ كُنْتَ أَهْلاً لِمِثْلِهِ
وَلَمْ تُلْفِ فِيهِمْ قَائِلاً لَكَ مَرْحَبَا

فَهَلاَّ إِلَى قَوْمٍ مُلُوكٍ مَدَحْتَهُمْ
تَبَنَّوْا مِنَ الْعِزِّ الْمُؤَثَّلِ مَنْصِبَا[٣]

إِلَى مَعْشَرٍ سَادُوا مُلُوكاً وَكُرِّمُوا
وَلَمْ يُلْفَ فِيهِمْ طَالِبُ الْعُرْفِ مُجْدِبَا[٤]

---

(١) أرينق ـ بالهمز بعدها راء مهملة أو زاى ثم ياء مثناة فنون ـ اسم موضع ، ولم يذكره ياقوت ؛ ولم تعول : أى لم ترفع صوتك بالبكاء : والمسهب : هنا : المتغير الوجه

(٢) السلم ـ بفتح السين وكسرها ـ الصلح ، والصداد : صيغة مبالغة من الصد . وهو الذى يمنع الناس عن الدين والحق ، وأراد من قوله « وفى الحرب ثعلبا » أنه كثير الروغان لا ثبات له فيها

(٣) المؤثل : القديم ، والمنصب : المنزلة من الشرف والحسب

(٤) المجدب هنا : اسم فاعل من أجدب ، إذا صار ذا جدب وقحط وقلة خير ؛ وفى نسخة (إلى معشر صاروا ملوكا) وفى أخرى (إلى معشر ساروا)

أُولئِـكَ أحْرَى مِنْ يَهُودَ بِمِدْحَةٍ
تَرَاهُمْ وَفِيهِمْ عِزَّةُ الْمَجْدِ تُرْتَبَا (١)

العباس بن مرداس يرد ثانيا على خوات ابن جبير

فأجابه عباس بن مرداس السلمى ، فقال : —

هَجَوْتَ صَرِيحَ الْكَاهِنَيْنِ وَفِيكُمُ
لَهُمْ نِعَمٌ كَانَتْ مِنَ الدَّهْرِ تُرْتَبَا (٢)
أُولئِكَ أحْرَى لَوْ بَكَيْتَ عَلَيْهِمُ
وَقَوْمُكَ لَوْ أَدَّوْا مِنَ الْحَقِّ مُوجَبَا
مِنَ الشُّكْرِ إِنَّ الشُّكْرَ خَيْرُ مَغَبَّةٍ
وَأَوْفَقُ فِعْلاً لِلَّذِي كَانَ أَصْوَبَا (٣)
فَكُنْتَ كَمَنْ أَمْسَى يُقَطِّعُ رَأْسَهُ
لِيَبْلُغَ عِزًّا كَانَ فِيهِ مُرَكَّبَا
فَبَكِّ بَنِي هْرُونَ وَاذْكُرْ فِعَالَهُمْ
وَقَتْلَهُمُ لِلْجُوعِ إِذْ كُنْتَ مُجْدِبَا (٤)

---

(١) ترتب : ثابت ، والتاء الأولى زائدة ، وأصله من رتب الأمر ، والتاء الثانية مضمومة أو مفتوحة

(٢) الصريح : الخالص النسب ، والكاهنين : قبيلان من يهود المدينة وهما يزعمان أنهما من ولد هارون عليه السلام ، ويروى هذا اللفظ على الجمع

(٣) مغبة الشيء - بفتح الميم والغين - عاقبته ، ومثله غب الشيء - بكسر الغين وتشديد الباء - وقوله « إن الشكر خير مغبة » أى إنه خير فيما يستقبل بعد ، يريد أن عواقبه خير العواقب

(٤) بك - بتشديد الكاف مثل ابك ، و « بنى هرون » هما الكاهنان

أَخَوَّاتُ أَذْرِ الدَّمْعَ بِالدَّمْعِ وَابْكِهِمْ
وَأَعْرِضْ عَنِ الْمَكْرُوهِ مِنْهُمْ وَنَكِّبَا(١)

فَإِنَّكَ لَوْ لَاقَيْتَهُمْ فِى دِيَارِهِمْ لَأُلْفِيتَ عَمَّا قَدْ تَقُولُ مُنَكِّبَا

سِرَاعٌ إِلَى الْعَلْيَا كِرَامٌ لَدَى الْوَغَى
يُقَالُ لِبَاغِي الْخَيْرِ أَهْلاً وَمَرْحَبَا

قصيدة لكعب بن مالك أو لعبد الله بن رواحة فى جواب العباس بن مرداس

فأجابه كعب بن مالك، أو عبد الله بن رَوَاحة فيما قال ابن هشام فقال : —

لَعَمْرِى لَقَدْ حَكَّتْ رَحَي الْحَرْبِ بعدَ مَا
أَطَارَتْ لُؤَيًّا قَبْلُ شَرْقًا وَمَغْرِبَا

بَقِيَّةَ آلِ الْكَاهِنَيْنِ وَعِزَّهَا فَعَادَ ذَلِيلاً بَعْدَمَا كَانَ أَغْلَبَا(٢)

فَطَاحَ سَلَامٌ وَابْنُ سَعْيَةَ عَنْوَةً
وَقِيدَ ذَلِيلاً لِلْمَنَايَا ابْنُ أَخْطَبَا(٣)

اللذان ذكرهما فى أول كلمته، والمجدب : الذى أصابه الجدب والقحط، يريد أنهم كانوا كرماء.

(١) أذر الدمع : اسكبه واسترخصه على هؤلاء، ونكبا : فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة فانقلبت ألفا، كما فى قول الأعشى : —

وَإِيَّاكَ وَالْمَيْتَاتِ لاَ تَقْرَبَنَّهَا وَلاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللهَ فَاعْبُدَا

ومعنى نكب : عرج عنهم ولا تقدم عليهم ولا تقرب منهم، ومثله قول الحماسى : —

إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ هَمَّهُ وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبَا

(٢) آل الكاهنين : قد مضى تفسير ذلك فى قصيدة العباس بن مرداس، وعاد : صار، والأغلب : الشديد

(٣) طاح : هلك وذهب، وعنوة ـ بفتح العين وسكون النون ـ معناه القهر والذلة، وقيد : مبنى للمجهول من قاد

وَأَجْلَبَ يَبْغِي الْعِزَّ وَالذُّلَّ يَبْتَغِي
خِلَافَ يَدَيْهِ مَا جَنَى حِينَ أَجْلَبَا (١)

كَتَارِكِ سَهْلِ الْأَرْضِ وَالْحَزْنُ هَمُّهُ
وَقَدْ كَانَ ذَا فِي النَّاسِ أَكْدَى وَأَصْعَبَا (٢)

وَشَأْسٌ وَعَزَّالٌ وَقَدْ صَلِيَا بِهَا
وَمَا غُيِّبَا عَنْ ذَاكَ فِيمَنْ تَغَيَّبَا

وَعَوْفُ بْنُ سَلْمَى وَابْنُ عَوْفٍ كِلَاهُمَا
وَكَعْبٌ رَئِيسُ الْقَوْمِ حَانَ وَخُيِّبَا (٣)

فَبُعْدًا وَسُحْقًا لِلنَّضِيرِ وَمِثْلِهَا
إِنَ أَعْقَبَ فَتْحٌ أَوْ إِنِ اللهُ أَعْقَبَا (٤)

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : ثم غزا رسول الله صلى الله

(١) أجلب : تروى هذه الكلمة بالجيم وبالحاء المهملة ، فأما من رواه بالجيم فمعناه جمع وصاح ، وأما من رواه بالحاء المهملة فمعناه جمع أيضا ، والفرق بينهما أن الذى بالجيم لابد معه من الجلبة والصياح

(٢) سهل الأرض : ماانبسط وتطامن منها ، وحزن الأرض : ماعلا وغلظ وارتفع منها . وأكدى : تقول : أكدى الرجل فى حاجته ، إذا لم يظفر بها ، والأصل فيه أن الرجل يحفر البئر ليبلغ الماء ، فاذا بلغ فى حفره صخرة ولم يجد ماء قيل : قد أكدى ، ثم توسع فى ذلك فصار يقال لكل من خاب فى سعيه ولم يظفر برغبته : أكدى

(٣) حان : هلك ، وخيبا ـ بالبناء للمجهول ـ أى خيب الله سعيه ، والألف فيه للاطلاق وليست للتثنية

(٤) « إن الله أعقبا » يريد إن جاء الله تعالى بالفتح

غزو بنى المصطلق كان بعد غزو بنى النضير

عليه وسلم بعد بنى النضير بنى المصطلق ، وسأذكر حديثهم إن شاء الله فى الموضع الذى ذكره ابن إسحق فيه

غزوة ذات الرِّقَاع فى سنة أربع

قال ابن إسحق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بنى النَّضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى ، ثم غزا نَجْدًا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غَطَفَان ، واستعمل على المدينة أباذَرٍّ الْغِفَارِىَّ ، ويقال : عُثْمَانَ بن عفان ، فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحق : حتى نزل نَخْلاً [1] ، وهى غزوة ذات الرِّقاع

قال ابن هشام : وإنما قيل لها غزوة ذات الرِّقَاع لأنهم رَقَعُوا فيها راياتهم ، ويقال : ذاتُ الرِّقَاعِ شجرةٌ بذلك الموضع يقال لها : ذات الرقاع [2]

قال ابن إسحق : فلقى بها جَمْعاً عظيما من غَطَفان ، فتقَارَبَ الناسُ ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناسُ بعضهم بعضا ، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صَلَاةَ الْخَوْف ، ثم انصرف بالناس

صلاة الخوف والروايات عن النبى صلى الله عليه وسلم فى كيفيتها

قال ابن هشام : حدثنا عَبْدُ الوارث بن سعيد التَّنُّورِىُّ — [وكان يكنى أبا عبيدة] — قال : حدثنا يونس بن عبيد ، عن الحسن بن

---

(١) « نخلا » قال ياقوت : منزل من منازل بنى ثعلبة من المدينة على مرحلتين ، وقيل : موضع بنجد ، من أرض غطفان ، مذكور فى غزوة ذات الرقاع ، اه كلامه ، وذكر قريبا من ذلك الزرقانى عن أبى عبيد البكرى (ج ٢ ص ١٠٣)

(٢) قال الزرقانى : « وأما تسميتها بذات الرقاع فلأنهم رقعوا فيها

أبى الحسن ، عن جابر بن عبد الله فى صلاة الخوف قال : صَلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صَلاَةَ الخوفِ بطائفة ركعتين ثم سَلَّمَ وطائفةٌ مُقْبِلُون على العَدُوّ ، قال : فجاءوا فصلّى بهم ركعتين أُخْرَيَيْن ثم سَلَّمَ

قال ابن هشام : وحدثنا عبدُ الوارث ، قال : حدثنا أيوبُ ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، قال : صَفَّنَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صَفَّيْن ، فركع بنا جميعاً ، ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسَجَدَ الصفُّ الأوّلُ ، فلما رفعوا سَجَدَ الذين يَلُونَهُمْ بأنفسهم ، ثم تأخر الصَّفُّ الأوّل وتقدم الصف الآخرُ حتى قاموا مَقَامهم ، ثم ركع النبى صلى الله عليه وسلم بهم جميعاً ، ثم سجد النبى صلى الله عليه وسلم وسَجَدَ الذين يَلُونه معه ، فلمّا رفعوا رءوسهم سجد الآخرون بأنفسهم ؛ فركع النبى صلى الله عليه وسلم ، بهم جميعاً ، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدتين

قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد [التَّنُّورِىُّ] قال : حدثنا

راياتهم ، قاله ابن هشام ، وقيل : لشجرة فى ذلك المواضع يقال لها ذات الرقاع ، قيل : لأن هذه الشجرة كانت العرب تعبدها ، وكل من كان له حاجة منهم يربط فيها خرقة ، وهو غريب ، وقال الواقدى : سميت بجبل هناك فيه بقع ، وأغرب الداودى فقال : سميت ذات الرقاع لوقوع صلاة الخوف فيها ، فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها ، قال السهيلى : وأصح من هذه الأقوال كلها ما رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه ؛ فنقبت أقدامنا ونقب قدماى وسقطت أظفارى فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا » اه كلامه باختصار .

أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : يقوم الإمام وتقوم معه طائفة ، وطائفة مِمَّا يَلِي عَدُوَّهم ؛ فيركع بهم الإمام ، ويسجد بهم ، ثم يتأخرون فيكونون مما يلى العدو ، ويتقدم الآخرون ، فيركع بهم الإمام ركعةً ويسجد بهم ، ثم تصلى كل طائفة بأنفسهم ركعة ، فكانت لهم مع الامام ركعة ركعة ، وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة ،

رجل من غطفان يحاول أن يفتك برسول الله

قال ابن إسحق : وحدّثنى عَمْرو بن عُبَيْد ، عن الحسن ، عن جابر(١) ابن عبد الله ، أن رجلا من بنى مُحارِب يقال له غَوْرَث قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أَقْتُلُ لكم محمدا ، قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفْتِكُ به ، قال : فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وَسَيْفُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حِجْره ، فقال : يا محمد أنظُرُ إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم ، وكان مُحَلًّى بفضة فيما قال ابن هشام ، قال : فأخذه فاستَلّه ثم جعَل يَهزّه ويَهُمُّ فيَكْبِتهُ(٢) الله ، ثم قال : يا محمد ، أَمَا تخَافُنِي ؟ قال : « لاَ ؛ وَمَا أَخَافُ مِنْكَ » قال : أما تخافنى وفى يدى السيف ؟ قال : «لاَ ، يَمْنَعُنِي اللهُ مِنْكَ » ثم عمد إلى سيف رسول الله

(١) الذى ذكره البخارى عن جابر أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل قفل معه ، فأدركتهم القائلة فى واد كثير العضاه ؛ فنزل النبي صلى الله عليه وسلم ، وتفرق الناس يستظلون بالشجر ، ونزل صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق بها سيفه ؛ قال جابر : فنمنا نومة ؛ فجاء رجل من المشركين وسيف النبى صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة وهو نائم فاخترطه ، فقال : تخافنى ؟ قال : لا ، قال : فمن يمنعك منى ؟ قال : الله يمنعنى منك ، فتهدده أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وأقيمت الصلاة ...... ثم ذكر صلاة الخوف . وقد وقعت مثل هذه القصة مرة أخرى من رجل اسمه دعثور (بضم الدال وسكون العين المهملة وبعدها ثاء مثلثة وآخره راء مهملة)

صلى الله عليه وسلم فَرَدَّهُ عليه ، قال : فأنزل الله فيه (٥ : ١١) (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)

قال ابن إسحق : وحدثنى يزيد بن رُومَان أنها إنما أنزلت فى عَمْرو ابن جَحَّاش أخى بنى النَّضِير وما هَمَّ به [1] فالله أعلم أىُّ ذلك كان

حديث جابر مع رسول الله فى الطريق إلى المدينة

قال ابن إسحق : وحدثنى وَهْبُ بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غَزْوَةِ ذات الرِّقَاع من نَخْل على جَمَل لى ضعيف ، فلما قَفَلَ [2] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : جعلت الرفاق تمضى وجعلت أتَخَلَّفَ ، حتى أدركنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «مَالَكَ يَاجَابِر» قال : قلت: يارسولَ الله ، أبْطَأَبِى جَمَلِى هذا ، قال : « أَنِخْهُ » قال : فأنخته وأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « أَعْطِنِى هٰذِهِ الْعَصَا مِنْ يَدِكَ » أو« اقْطَعْ لِى عَصًا مِنْ شَجَرَةٍ » قال : ففعلت ، قال : فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنَخَسه بها نَخَسَاتٍ ثم قال : « ارْكَبْ » فركبتُ ، فخرج والذى بعثه بالحق يُوَاهق ناقته مُوَاهَقَةً [3] ، قال : وتحدَّثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى : « أَتَبِيعُنِى جَمَلَكَ هٰذا يَاجَابِر » قال : قلت : يارسول الله ، بل أَهَبُهُ لك ، قال : « لاَ وَلَكِنْ بِعْنِيهِ » قال :

---

(١) انظر سبب إجلاء بنى النضير (ص١٩١) من هذا الجزء

(٢) قفل : رجع

(٣) المواهقة : المسابقة والمجاراة والمعارضة فى المشى والسرعة

قلت : فَسُمْنيه يا رسول الله ، قال : « قَدْ أَخَذْتُهُ بِدِرْهَمٍ » قال : قلت : لا إذن تَغْبِنُنِى يارسول الله ، قال : « فَبِدِرْهَمَيْنِ » قال : قلت : لا ، قال : فلم يزل يَرْفَع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثمنه حتى بلغ الأُوقيَّةَ قال : فقلت : أفَقَدْ رَضِيتَ يارسول الله ؟ قال : « نعم » قلت : فهولك ، قال : « قَدْ أَخَذْتُهُ » قال : ثم قال : « يَاجَابِرُ ، هَلْ تَزَوَّجْتَ بَعْدُ » ؟ قال : قلت : نَعَمْ يارسول الله ، قال : « أَثَيِّبًا أَمْ بِكْرًا » قال : قلت : بل ثَيِّبًا ، قال : « أَفَلَا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ » قال : قلت : يارسول الله إنَّ أبى أُصيب يَوْمَ أُحُدٍ وترك بناتٍ له سَبْعًا فنكحتُ امرأة جامعة تجمع رُءوسهن وتَقُوم عليهن ، قال : « أَصَبْتَ إِنْ شَاءَ الله ، أَمَا إِنَّا لَوْ قَدْ جِئْنَا صِرَارًا [1] أَمَرْنَا بِجَزُورٍ فَنُحِرَتْ وَأَقَمْنَا عَلَيْهَا يَوْمَنَا ذَاكَ وَسَمِعَتْ بِنَا فَنَفَضَتْ نَمَارِقَهَا » [2] قال : قلت : والله يا رسول الله مالنا من نَمَارق

---

(١) قال ياقوت : صرار موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق ، قاله الخطابى ، وقال نصر : صرار : ماء قرب المدينة محتفر جاهلى على سمت العراق ، وقيل : أطم لبنى عبد الأشهل له ذكر كثير فى أيام العرب وأشعارها ...... وقال العمرانى : صرار : اسم جبل أنشدنى جار الله العلامة للأفطس العلوى ، وفى الأغانى أنهما لابن خريم الأسدى : —

كَأَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ يَوْمَ رَاحُوا ... وَعُرِّىَ مِنْ مَنَازِلِهِمْ صِرَارُ
شَمَارِيخُ السَّحَابِ إِذَا تَرَدَّتْ ... بِزِينَتِهَا وَجَاءَتْهَا الْقِطَارُ

وقال : هو من الجبال القبلية ، قال : وصرار أيضا بئر قديمة على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق ، وقيل : موضع بالمدينة . اهـ كلامه

(٢) النمارق : جمع نمرقة ـ بضم النون والراء وبينهما ميم ساكنة ـ وهى الوسادة الصغيرة .

قال : «إِنَّهَا سَتَكُونُ ، فَإِذَا أَنتَ قَدِمْتَ فَاعْمَلْ عَمَلاً كَيِّسًا » قال : فلما جئنا صِرَاراً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجَزُور فنُحِرَتْ وأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ودخلنا قال : فحدَّثتُ المرأة الحديث وما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فَدُونَكَ ، سمع وطاعة ، قال : فلما أصْبَحْتُ أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب [مسجد] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ثم جلست فى المسجد قريبا منه ، قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى الجمل ، فقال : « مَاهٰذَا » ؟ قالوا : يارسول الله هذا جمل جاء به جابر ، قال : « فَأَيْنَ جَابِر» ؟ قال : فَدُعِيتُ له ، قال : فقال: « يَاابْنَ أَخِي خُذْ بِرَأْسِ جَمَلِكَ فَهُوَ لَكَ » ودعا بلالا فقال له : اذهب بجابر فأعطه أوقية قال : فذهبتُ معه فأعطانى أوقية وزادنى شيئا يسيرا ، قال : فوالله مازال يَنْمِي عندى ويُرَى مكانُهُ من بيتنا ، حتى أُصيب أمس فيما أصيب لنا ، يعنى يوم الحَرَّة

قال ابن إسحق : وحدثنى عمى[1] صَدَقَةُ بْنُ يَسَار ، عن عقيل بن جابر ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، قال : خَرَجْنَا مع رسول الله

---

(١) قال أبو ذر « كذا وقع هنا ، وذكر عمى فى هذا الحديث خطأ ، وصدقة هذا جزرى ، سكن بمكة ، وليس بعم محمد بن إسحاق ، وقد خرجه أبو داود عن محمد بن إسحق ولم يذكر فيه عمى » اه كلامه . وقال الحافظ صفى الدين الخزرجي : « صدقة بن يسار الجزرى ، نزيل مكة ، عن طاوس وسعيد بن جبير ، وعنه أبو إسحق (كذا وصوابه ابن إسحق كما فى التهذيب) وشعبة ومالك والسفيانان . وثقه أحمد وابن معين ، قال أبو داود : كان جمعة بمكة وجمعة بالمدينة . قال ابن سعد : توفى فى أول خلافة بنى العباس » اه .

صلى الله عليه وسلم فى غَزْوَة ذات الرِّقَاع من نَخْل ، فأصاب رجلٌ امرأةَ رجلٍ من المشرِكين ، فلما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قافلا أتى زوجها — وكان غائباً — فلما أُخْبِرَ الخبر حَلَفَ لاينتهى حتى يُهَرِيق فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم دَماً ؛ فخرج يَتْبَعُ أَثَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْزِلاً فقال : « مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا [1] لَيْلَتَنَا [هٰذِهِ] » قال : فانتدب رجل من المهاجرين ورجل [آخر] من الأنصار ، فقالا : نحن يارسول الله ، قال : « فَكُونَا بِفَمِ الشِّعْبِ » قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا إلى شِعْبٍ من الوادى ، وهما عَمَّارُ بن ياسر ، وعَبَّاد بن بِشْر ، فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحق : فلما خرج الرجلان إلى فم الشِّعْب قال الأنصارى للمهاجرى : أى الليل تحب أن أكفيكه : أوّله أم آخره ؟ قال : بل اكفنى أوّله ، قال : فاضطجع المهاجرى ، فنام ، وقام الأنصارى يُصَلِّى ، قال : وأتى الرجلُ فلمَّا رأى شَخْص الرجل عرف أنه رَبِيئَة القوم [2] قال : فرمى بسهم فوضعه فيه ، قال : فنزعه فوضعه ، فثبت قائما ، قال : ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه ، قال : فنزعه فوضعه ، وثبت قائما ، ثم عاد [له] بالثالث فوضعه فيه ، قال : فنزعه فوضعه ، ثم ركع وسجد ، ثم أَهَبَّ [3] صاحبه ،

---

(١) يكلؤنا : يحرسنا ويحفظنا

(٢) الربيئة : الطليعة الذى يحرس للقوم ، تقول : ربأ القوم ؛ إذا حرسهم .

(٣) أهب صاحبه : أى أيقظه من نومه ، تقول : هب الرجل من نومه إذا استيقظ ، وتقول : أهببته من نومه ، إذا أيقظته منه

فقال : اجلس ، فقد أُثْبِتُّ (١) قال : فوثب فلما رآها الرجل عرف أنه قد نذرا (٢) به ، فهرب ، قال : ولما رأى المهاجرى مابالأنصارى من الدماء قال : سبحان الله ! ! أفلا أَهْبَبْتَنِى أوّلَ مارماك ؟ قال : كُنْتُ فى سورة أقرؤها فلم أحبَّ أن أقطعها حتى أنفذها ، فلما تابع علىَّ الرَّمْىَ ركعت فآذنتك ، وايْمُ الله لولا أن أُضَيِّعَ ثَغْرًا أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها ، أو أنفذها

قال ابن هشام : ويقال أُنْفِذَهَا

قال ابن إسحق : ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غَزْوَة ذات الرِّقَاع أقام بها بقيةَ جُمَادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً

غَزْوَة بدْرِ الآخرة ، فى شعبان سنة أربع

قال ابن إسحق : ثم خرج فى شعبان إلى بَدْرٍ لميعاد أبى سفيان ، حتى نزله . خروج رسول الله للاقاة أبى سفيان

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبد الله بن عبدالله بن أُبَىّ ابن سَلُولَ الأنصارى

قال ابن إسحق : فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان ، وخرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل مَجَنَّةَ من ناحية الظَّهْرَان ، و بعض الناس يقول : قد بلغ عُسْفَان ، ثم بَدَا له فى الرجوع فقال : يامعشر قريش ، إنه

---

(١) رويت هذه الكلمة « فقد أثبت » بثاء مثلثه بعدها باء موحدة ، ومعناها قد جرحت جرحاً بلغا لا أستطيع معه الحركة ، ورويت « فقد أوتيت » بتاء مثناة فوقية فياء مثناة تحتية . وكلتا الروايتين بالبناء للمجهول

(٢) نذرا به : أى علما بوجوده وبمكانه . وهو بكسر الذال ، فأما نذر بفتح الذال فهو من النذر، وفى بعض النسخ «أن قدنذرا به» بدون ضمير الشأن

لا يُصْلِحكم إلا عام خَصِيبٌ تَرْعَوْنَ فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، وإن عامكم هذا عام جَدْبٌ ، وإنى راجع فارجعوا ، فرجع الناس ، فسمَّاهم أهلُ مكة جَيْشَ السَّوِيق ، يقولون : إنما خرجتم تشربون السويق

إقامة رسول الله على بدر

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أباسفيان لميعاده ، فأتاه مَخْشِىُّ بن عمرو الضَّمْرِىُّ — وهو الذى كان وادعه على بنى ضَمْرَة فى غزوة وَدَّان — فقال : يامحمد ، أجئتَ للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : « نَعَمْ يَا أَخَا بَنِي ضَمْرَةَ وَإِنْ شِئْتَ مَعَ ذَلِكَ رَدَدْنَا إِلَيْكَ مَا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ثُمَّ جَالَدْنَاكَ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وبَيْنَكَ » قال : لا ، والله يامحمد مالنا بذلك منك من حاجة

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أبا سفيان ، فمرّ به مَعْبَدُ ابن أبى مَعْبَدٍ الْخُزَاعى ، فقال — وقد رأى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وناقته تَهْوِى به [1] — :

قَدْ نَفَرَتْ مِنْ رُفْقَتَيْ مُحَمَّدِ وَعَجْوَةٍ مِنْ يَثْرِبٍ كَالْعَنْجَدِ [2]
تَهْوِى عَلَى دِينِ أَبِيهَا الْأَتْلَدِ قَدْ جَعَلَتْ مَاءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدِى [3]
وَمَاءَ ضَجْنَانَ لَهَا ضُحَى الْغَدِ

وقال عبد الله بن رواحة فى ذلك : —

(١) تهوى به : أى تسرع السير به

(٢) العجوة : ضرب من التمر ، ويثرب : مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهى شهيرة بنخلها وتمرها ، والعنجد : حب الزبيب ، ويقال : هو الزبيب الأسود ، والمراد تشبيه العجوة بالزبيب فى اللون

(٣) تهوى : تسرع ، ودين أبيها : عادته ودأبه وديدنه ، والأتلد : القديم ، وقديد - بضم ففتح - اسم موضع

قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد [الأنصاري] لكعب بن مالك : —

كلمة لعبدالله بن رواحة فى بدر الآخرة وتنسب لكعب ابن مالك

وَعَدْنَا أَبَا سُفْيَانَ بَدْراً فَلَمْ نَجِدْ لِمِيعَادِهِ صِدْقًا وَمَا كَانَ وَافِيَا

فَأُقْسِمُ لَوْ وَافَيْتَنَا فَلَقِيتَنَا لَأُبْتَ ذَمِيماً وَافْتَقَدْتَ الْمَوَالِيَا (١)

تَرَكْنَا بِهِ أَوْصَالَ عُتْبَةَ وَابْنِهِ وَعَمْراً أَبَا جَهْلٍ تَرَكْنَاهُ ثَاوِيَا (٢)

عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللهِ أُفٍّ لِدِينِكُمْ

وَأَمْرِكُمُ السَّيْءِ الَّذِي كَانَ غَاوِيَا (٣)

فَإِنِّي وَإِنْ عَنَّفْتُمُونِي لَقَائِلٌ فِدًى لِرَسُولِ اللهِ أَهْلِي وَمَالِيَا (٤)

أَطَعْنَاهُ لَمْ نَعْدِلْهُ فِينَا بِغَيْرِهِ شِهَابًا لَنَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيَا (٥)

وقال حسان بن ثابت فى ذلك : —

قصيدة لحسان بن ثابت فى غزوة بدر الآخرة

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا

جِلَادٌ كَأَفْوَاهِ الْمَخَاضِ الْأَوَارِكِ (٦)

---

(١) افتقدت : فقدت ، والموالى : جمع مولى ، وله معان كثيرة ، منها ابن العم ، ومنها الناصر والمعين ، وكلا هذين يصلح ههنا

(٢) الثاوى : المقيم ، تقول : ثوى بالمكان يثوى ، إذا أقام به

(٣) أف : كلمة تقال عند استقباح الشىء أو عند تعذره ، وقوله « وأمركم السى‌ء » هو بفتح السين وسكون الياء وأصله بتشديد الياء فخففه ، كما قالوا : هين ، ولين ، وميت ، وقيل ، والأصل فى جميعها تشديد الياء ، وقال الشاعر :

* هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو كَرَمٍ *

(٤) عنفتمونى : لمتمونى

(٥) قوله « لم نعدله » يريد لم نعدل به : أى لم نجعله مع غيره سواء

(٦) الفلجات : الأودية ، واحدها فلج ، والمخاض : النوق الحوامل ،

بِأَيْدِى رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِـمْ
وَأَنْصَارِهِ حَقًّا وَأَيْدِى الْمَلَائِكِ

إِذَ سَلَكْتَ لِلْغَوْرِ مِنْ بَطْنِ عَالِجٍ
فَقُولاَ لَهَا لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَالِكِ (١)

أَقَمْنَا عَلَى الرَّسِّ النَّزُوعِ ثَمَانِيًا
بِأَرْعَنَ جَرَّارٍ عَرِيضِ الْمَبَارِكِ (٢)

بِـكُلِّ كُمَيْتٍ جَوْزُهُ نِصْفُ خَلْقِهِ
وَقُبٍّ طِوَالٍ مُشْرِفَاتِ الْحَوَارِكِ (٣)

والأوارك : جمع آركة وهى التى رعت الأراك

(١) الغور - بفتح فسكون - المنخفض من الأرض ، وعالج : اسم مكان فيه رمل كثير

(٢) الرس : البئر ، وقوله «النزوع» يروى فى مكانه « النزيع » وهما بمعنى ، ومعناه التى ينزع ماؤها بالأيدى ، وذلك لأنها قريبة القعر ، والأرعن : هو المضطرب ، وأراد به جيشاً ، وسماه أرعن لكثرته ، وقيل : إنما قيل للجيش أرعن على تشبيه برعن الجبل ، ورعن الجبل : الأنف العظيم منه الذى تراه متقدماً ، والجرار : الذى له أتباع كثيرة وفضول ، وقوله « عريض المبارك » أراد به أيضا وصفه بالكثرة ، يريد أنه يأخذ لمبركه مساحة عظيمة ، وهذا البيت أول هذه الكلمة فى رواية الديوان ، وترتيب القصيدة فيه يخالف ترتيبها هنا كثيراً

(٣) الكميت - بضم الكاف وفتح الميم - الذى لونه الكمتة - بضم الكاف وسكون الميم - والكمتة : لون بين السواد والحمرة ، وأراد بذلك البعران ، وإنما حملناه على البعران ولم نحمله على الخيل لأنه سيعطف عليه الخيل بعد ذلك ، فناسب أن يكون هذا غير ما يأتى ، والابل السود والحمر

تَرَى الْعَرْفَجَ الْعَامِيَّ تُذْرِى أُصُولَهُ
مَنَاسِمُ أَخْفَافِ الْمَطِيِّ الرَّوَاتِكِ (١)

فَانْ نَلْقَ فِى تَطْوَافِنَا وَالْتِمَاسِنَا
فُرَاتَ بْنَ حَيَّانٍ يَكُنْ وَهْنَ هَالِكِ (٢)

وَإِنْ نَلْقَ قَيْسَ بْنَ امْرِىءِ الْقَيْسِ بَعْدَهُ
يُزَدْ فِى سَوَادِ لَوْنِهِ لَوْنُ حَالِكِ (٣)

أفضل أنواع الابل عندهم ، وجوزه : هو ـ بفتح الجيم وسكون الواو بعدها زاى ـ وسطه ، وأراد بطنه ، وخلقه ـ بفتح الخاء وسكون اللام ـ أراد به جسمه ، يريد أن بطن الجمل نصف جسمه كله . والقب ـ بضم القاف وتشديد الباء ـ جمع أقب ، وهو الضامر ، ومشرفات : مرتفعات ، والحوارك : جمع حارك ، وهو أعلى الكتفين من الفرس ، ويقال : الحارك عظم مشرف من جانبى الكاهل اكتنفه فرعا الكتفين

(١) العرفج : نبات ، والعامى الذى مضى عليه عام ، وقوله « تذرى أصوله » أى تقلعها وتطرحها ، والمناسم : جمع منسم ، وهو طرف خف البعير ، والخف للبعير بمنزلة الحافر للدابة ، والرواتك : جمع راتكة ، وهى المسرعة ، والرتك والرتكان ـ بفتح فسكون أو بفتحتين فى الأول ، وبفتحات فى الثانى ـ ضرب من السير فيه سرعة .

(٢) « يكن وهن هالك » الوهن : الضعف ، وأراد أنه يهلك ضعفا وجبنا ولا يقدر على التعرض لهم .

(٣) قيس بن امرىء القيس : هو العجلى الذى كان يجير عير قريش ، وقوله « يزد فى سواد لونه » هو فى بعض الروايات ببناء « يزد » للمجهول وارتفاع « لون حالك » وفى أخرى « نزد فى سواد وجهه لون حالك » بنون المضارعة وانتصاب « لون حالك » والحالك : الشديد السواد

فَأَبْلِـغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّى رِسَالَةً
فَإِنَّكَ مِنْ شَرِّ الرِّجَالِ الصَّعَالِكِ (١)

فأجابه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ، فقال : —

أبو سفيان بن الحرث يجيب حسان بن ثابت

أَحَسَّانُ إِنَّا يَا ابْنَ آكِلَةِ الْفَغَا
وَجَدِّكَ نَغْتَالُ الْخُرُوقَ كَذَلِكَ (٢)

خَرَجْنَا وَمَا تَنْجُو الْيَعَافِيرُ بَيْنَنَا وَلَوْ وَأَلَتْ مِنَّا بِشَدٍّ مُدَارِكِ (٣)

إِذَا مَا انْبَعَثْنَا مِنْ مُنَاخٍ حَسِبْتَهُ مُدَمَّنَ أَهْلِ الْمَوْسِمِ الْمُتَعَارِكِ (٤)

---

(١) « فانك من شر الرجال » هذه رواية الديوان ، وهى ظاهرة المعنى ، وفى نسخ السيرة وشرحها لأبى ذر « فانك من غر الرجال » والغر : جمع أغر ، وهو الأبيض ، وهذا ظاهره المدح ، فان صحت هذه الرواية فالمقصود بها التهكم ، والصعالك : جمع صعلوك ، وهو الفقير الذى لامال له ، وكان من حقه أن يجمعه على صعاليك ، ولكنه حذف الياء حين اضطر إلى إقامة الوزن .

(٢) الفغا : ضرب من التمر ، أو هو قشر التمر إذا يبس ، أو هو قشرة تعلو التمر قبل أن يطيب ، وأراد أنهم أهل نخيل وتمر ، ونغتال : يريد نقطع ونجوب ، والخروق : جمع خرق ، وهو الفلاة الواسعة

(٣) اليعافير : جمع يعفور ، وهو ولد الظبية ؛ ووألت : اعتصمت ولجأت ، تقول : وألت إلى الجبل ، اذا اعتصمت به ، ومنه قيل للملجأ والملاذ موئل ؛ والشد : الجرى ، والمدارك : المتابع الذى يتلو بعضه بعضا

(٤) المدمن — بضم الميم وفتح الدال وتشديد الميم الثانية مفتوحة — الموضع الذى ينزلون فيه فيتركون به الدمن ؛ والدمن — بكسر الدال أو فتحها مع سكون الميم — آثار الدواب والابل وأرواثها وبعارها ، وأهل الموسم : يعنى به جماعة الحاج ، وكل موضع كانت العرب تجتمع فيه فهو

أَقمتَ عَلَى الرَّسِّ النَّزُوعِ تُرِيدُنَا
وَتَتْرُكُنَا فِي النَّخْلِ عِنْدَ الْمَدَارِكِ (١)

عَلَى الزَّرْعِ تَمْشِي خَيلُنَا وَرِكَابُنَا
فَمَا وَطِئَتْ أَلْصَقْنَهُ بِالدَّكَادِكِ (٢)

أَقَمْنَا ثَلَاثاً بَيْنَ سَلْعٍ وَفَارِعٍ بِجُرْدِ الْجِيَادِ وَالْمَطِيِّ الرَّوَاتِكِ (٣)

حَسِبْتُمْ جِلَادَ الْقَوْمِ عِنْدَ قِبَابِهِمْ
كَمَأْخَذِكُمْ بِالْعَيْنِ أَرْطَالَ آنُكِ (٤)

موسم ، إذا كان هذا الاجتماع عادة منهم فى ذلك المكان كسوق عكاظ والمجنة وذى المجاز وأشباهها ، والمتمارك : الذى يزدحم فيه الناس

(١) الرس : البئر ، والنزوع : القريبة القعر ، والمدارك : المواضع القريبة ، ويروى فى مكانه « المبارك » - بالباء الموحدة - وهى مواضع إناخة الابل .

(٢) الدكادك : جمع دكداك ، وهو الرمل اللين .

(٣) سلع : اسم جبل ، قال ياقوت : سلع جبل بسوق المدينة ، وقال الأزهرى : سلع موضع بقرب المدينة ، وفارع : اسم أطم من آطام المدينة ، والجرد : جمع أجرد ، وهو القصير الشعر ، والمطى : جمع مطية ، وهى الدابة سميت بذلك لأنها تمطو فى سيرها ، أى : تسرع ، والرواتك : جمع راتكة ، وهو اسم فاعل من الرتكان الذى هو سريع السير

(٤) جلاد القوم : مجالدتهم إياكم ، وقوله « كمأخذكم بالعين » يروى هكذا بالنون ، والعين : المال الحاضر ، وهو أيضا التبر ، وكلاهما يصلح هنا ، ويروى « كمأخذكم بالعير » والعير : الرفقة من الابل ، والأرطال : جمع رطل ، والآنك - بضم النون - الأسرب ، وهو القزدير

فَلاَ تَبْعَثِ الْخَيْلَ الْجِيَادَ وَقُلْ لَهَا
عَلَى نَحْوِ قَوْلِ الْمُعْصِمِ الْمُتَمَاسِكِ (١)
سَعِدْتُمْ بِهَا وَغَيْرُكُمْ كَانَ أَهْلَهَا
فَوَارِسُ مِنْ أَبْنَاءِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ
فَإِنَّكَ لاَ فِي هِجْرَةٍ إِنْ ذَكَرْتَهَا
وَلاَ حُرُمَاتِ الدِّينِ أَنْتَ بِنَاسِكِ (٢)

قال ابن هشام : بقيت منها أبيات تركناها لقبح اختلاف قوافيها ، وأنشدنى أبو زيد الأنصارى هذا البيت :

* خَرَجْنَا وَمَا تَنْجُو الْيَعَافِيرُ بَيْنَنَا *

والبيت الذى بعده ، لحسان بن ثابت ، فى قوله :

* دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّأْمِ قَدْ حَالَ دُونَهَا *

وأنشدنى له فيها بيته « فَأَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ »

غزوة دُومَةِ الْجَنْدَلِ

في شهر ربيع الأول سنة خمس

قال ابن إسحق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فأقام بها [أشهرا] حتى مضى ذو الحجة ، وولى تلك الحجةَ المشركون ، وهى سنة أربع من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة

---

(١) « فلا تبعث » يروى فى مكانه « فلا تنعت » والمعصم : المستمسك بالشىء

(٢) الناسك : المتبع لمعالم الدين وشرائعه . ويروى « ناسكى » وأصله بتشديد الياء لأنها ياء النسبة ثم خففها حين اضطر إلى ذلك

[قال ابن إسحق] : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دُومَة الجندل

قال ابن هشام : فى شهر ربيع الأول ، واستعمل على المدينة سِبَاعَ ابن عُرْفُطَةَ الْغِفَارِىَّ

قال ابن إسحق : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إليها ، ولم يَلْقَ كَيْدًا ، فأقام بالمدينة بقية سنته

[غزوة] الْخَنْدَقِ [فى سنة خمس ، وقُرَيْظَةَ وَالنَّضِير]

بسم الله الرحمن الرحيم

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زِيادُ بن عبد الله الْبَكَّائِىُّ ، عن محمد بن إسحق الْمُطَّلِبِىِّ ، قال :

ثم كانت غَزْوَةُ الْخَنْدَق ، فى شوال سنة خمس ، فحدثنى يزيد بن رُومَان مولى آل الزبير ، عن عروة بن الزبير ، ومن لا أتهم عن عبد الله ابن كعب بن مالك ، ومحمدِ بْن كَعْبٍ الْقُرَظِى ، والزُّهْرِىُّ وعاصِمُ بن عمر بن قَتَادة وعبدُ الله بن أبى بكر وغيرهم من علمائنا ، كلٌّ قد اجتمع حديثه فى الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدث مالا يحدث به بعضٌ ، قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود — منهم سَلَّام بن أبى الْحُقَيْق النَّضْرِىّ ، وَحُيَىُّ بن أَخْطَبَ النَّضْرِى ، وكنانة [بن الربيع] بن أبى الْحُقَيْق النَّضْرِىُّ ، وَهَوْذَةُ بن قَيْس الْوَائِلى ، وأبو عَمَّار الوائلى ، فى نفر من بنى النَّضِير ، ونفر من بنى وائل ، وهم الذين حَزَّبُوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم — خرجوا حتى قدموا على قريشٍ مكةَ ، فدعَوْهُم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، فقالت لهم قريش : يامَعْشَرَ

اليهود تحرض قريشا وتعدها المعونة

يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمدٌ أَفَدِينُنَا خَيْرٌ أَمْ دِينُهُ ؟ قالوا : بل دينكم خيرمن دينه ، وأنتم أولى بالحق [منه] ، فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم (٤: ٥١—٥٥) (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هٰؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً) إلى قوله تعالى : (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ) [أى : النبوة] (فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً) قال : فلما قالوا ذلك لقريش

اليهود تحرض غطفان أيضاً وتذكر لها اتفاقهم مع قريش

سَرَّهم ونَشِطوا لما دَعَوْهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك واتَّعَدُوا له ، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غَطَفَان من قيس عَيْلان ، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه

خروج المشركين وأسماء قوادهم

قال ابن إسحق : فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عُيَيْنَةُ بن حِصْن بن حُذَيفة بن بَدْر فى بنى فزارة ، والحرثُ بن عوف بن أبى حارثة المُرِّيُّ فى بنى مُرَّة ، ومِسْعَر بن رُخَيْلة [1] بن نُوَيرة بن طريف بن سُحْمة بن عبد الله بن هِلَال بن خُلَاوَة [2] بن أشجع بن رَيْث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع .

(١) قال أبو ذر : « رخيلة : روى هنا بالجيم والخاء المعجمة : ورخيلة بالخاء المعجمة والراء المضمومة قيده الدار قطنى » اه

(٢) قال أبو ذر « ابن خلاوة : كذا وقع هنا بالخاء المعجمة مضمومة

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أجمعوا له من الأمر حفر الخندق
ضَرَبَ الْخندق على المدينة ؛ فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيباً للمسلمين فى الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه ؛ فدأب فيه ودأبوا ، وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين فى عملهم ذلك رجال من المنافقين ، وجعلوا يُوَرُّون[1] بالضعيف من العمل ، ويَتَسَلَّلُون إلى أهليهم بغير علمٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا إذن ، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التى لابد له منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويستأذن فى اللحُوق لحاجته فيأذن له ، فاذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبةً فى الخير واحتساباله ، فأنزل الله تعالى فى أولئك من المؤمنين (٢٤ : ٦٢) : (إنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحِسْبَة والرَّغْبة فى الخير والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال تعالى يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ويذهبون بغير إذن من النبى صلى الله عليه وسلم (٢٤ : ٦٣) : (لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

ومفتوحة ، وبالحاء المهملة كذلك ، وبالخاء المعجمة الجيدة » اه كلامه

(١) يورون : يستترون

تفسير اللواذ

قال ابن هشام : اللِّواذ : الاستتار بالشيء عند الهرب ، قال حسان بن ثابت : —

وَقُرَيْشٌ تَفِرُّ مِنَّا لِوَاذًا * أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَّ مِنْهَا الْحُلُومُ

وهذا البيت فى قصيدة له قد ذكرتها فى أشعار يوم أحد (١)

(٢٤ : ٦٤) : (أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) قال ابن إسحق : مِنْ صدق أو كذب (وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

المسلمون يرتجزون والرسول يجيبهم ببعض مايقولون

قال ابن إسحق : وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له جُعَيْل سَمَّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عَمْراً ، فقالوا : —

سَمَّاهُ مِن بَعْدِ جُعَيْلٍ عَمْرَا * وَكَانَ لِلْبَائِسِ يَوْمًا ظَهْرَا (٢)

فاذا مَرُّوا بعمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عَمْرًا » وإذا مروا بظهر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ظهرا » (٣)

ماظهر لرسول الله من الآيات فى حفر الخندق

قال ابن إسحق : وكان فى حفر الخندق أحاديث بَلَغَتْنِى من الله تعالى فيها عِبْرَة فى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقيق نبوته ، عَايَنَ ذلك المسلمون ، فكان فيما بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يحدث أنه

---

(١) أنظر (ص ١٢٤) من هذا الجزء

(٢) البائس : الفقير ، والظهر : القوة والمعونة ، والضمير المستتر فى «سماه» وفى « كان » راجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم وكان النبى صلى الله عليه وسلم للبائس الفقير أكبر عون وأشد نصير . وهذا أحسن الوجوه فى البيت

(٣) يريد أنهم كانوا إذا قالوا : سماه من بعد جعيل عمرا ، قال النبى صلى الله عليه وسلم « عمرا » التى هى آخر كلمة فيما قالوه ، وإذا قالوا : وكان للبائس يوما ظهرا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ظهرا » كذلك ، فكانوا يرتجزون بهذا البيت والنبى يقول أواخر كلمات طرفيه

اشتدّت عليهم فى بعض الخندق كُدْيَة(١) فشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بإناء من ماء فتفَل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نَضَح ذلك الماء على تلك الكُدْيَة ، فيقول من حضرها : فوالذى بعثه بالحق نبيا لانْهالَتْ(٢) حتى عادت كالكَثِيب ، لاترد فأساً ولا مِسْحاة .

قال ابن إسحق : وحدثنى سعيد بن مِينَاء أنه حُدِّثَ أن ابنة لبشير ابن سَعْد أختَ النعمان بن بشير قالت : دعتنى أمى عَمْرَةُ بنت رَوَاحة ، فأعطتنى حَفْنة(٣) من تمر فى ثوبى ، ثم قالت : أى بُنَيَّة ، اذهبى إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بِغَدائهما ، قالت : فأخذتها ، فانطلقت بها ، فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبى وخالى ، فقال : « تَعَالَىْ يابُنَيَّةُ ، مَاهٰذَا مَعَكِ ؟ » قالت : فقلت : يارسول الله ، هذا تمر بَعَثَتْنى به أمى إلى أبى بشير بن سعد وخالى عبد الله بن رواحة يتغديانه ، قال : « هَاتِيهِ » قالت : فصَبَبْتُهُ فى كَفَّىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبُسِطَ له ، ثم دَحَا بالتمر عليه فتَبَدَّدَ فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : « اصْرُخْ فى أَهْلِ الْخَنْدَقِ أَنْ هَلُمَّ إلَى الْغَدَاءِ » فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد ، حتى صَدَرَ أهلُ الخندق عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب

قال ابن إسحق : وحدثنى سعيد بن مِينَاء ، عن جابر بن عبد الله : قال : عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخندق ، فكانت عندى

(١) الكدية — بضم الكاف وسكون الدال — الصخرة العظيمة
(٢) انهالت : تفتتت وسقطت . والكثيب : ما تكرس من الرمل
(٣) الحفنة — بفتح الحاء وسكون الفاء — مقدار ملء الكف

شُوَيْهَةَ غَيْرُ جِدّ (١) سمينة ، قال : فقلت : والله لوصنعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأمرت امرأتى ، فطحنت لنا شيئاً من شعير فصنعت لنا منه خبزاً وذبحت تلك الشاة فَشَوَيْنَاهَا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فلما أَمْسَيْنَا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق ، قال : وكنا نعمل فيه نَهَارَنَا ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا ، قال : قلت : يارسول الله إنى قد صنعت لك شُوَيْهَةً كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير ، فأحبُّ أن تنصرف معى إلى منزلى ، وإنما أريد أن ينصرف معى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ، قال : فلما أن قلت له ذلك قال « نَعَمْ » ثم أمر صارخا فصرخ أن انْصَرِفُوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبد الله ، قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، قال : فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل الناس معه ، قال : فجلس وأخرجناها إليه ، قال : فَبَرَّكَ وسَمَّى [الله]، ثم أكل ، وتَوَارَدَها الناسُ كُلَّمَا فَرَغ قوم قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها

قال ابن إسحق : وحُدِّثتُ عن سَلْمَان الفارسىّ أنه قال : ضَرَبْتُ فى ناحية من الخندق ، فَغَلُظَتْ علىّ [صخرةٌ] ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قريبٌ منى ، فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان علىّ نزل فأخذ المِعْوَلَ من يدى ، فضرب به ضربةً لمعت تحت المعول برقة ، قال : ثم ضرب به ضربةً أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، قال : ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى ، قال : قلت : بأبى أنتَ وأمّى يارسول الله ما هذا الذى رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : « أوَ قَدْ

(١) يريد ليست كاملة السمن

رأيتَ ذَلكَ يَاسَلْمَانُ » ؟ قال : قلت : نعم ، قال : «أمَّا الأولَى فإنَّ الله فَتحَ عَلَيَّ بهَا الْيَمَنَ ، وأمَّا الثانيةُ فإنَّ الله فتحَ عَلَيَّ بِهَا الشَّأمَ والمغربَ ، وأما الثالثةُ فانَّ الله فَتحَ عَلَيَّ بِهَا الْمَشْرِقَ »

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتَّهِمُ عن أبى هريرة أنه كان يقول ـ حين فُتِحَتْ هذه الأمصار فى زمان عمر وزمان عثمان وما بعده ـ : افْتَتِحُوا ما بدالكم ، فوالذى نفس أبى هريرة بيده ما افْتَتَحْتُمْ من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمداً صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك

منازل المشركين حول المدينة

قال ابن إسحق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمُجْتَمَع الأسْيال من دُومَةَ بين الْجُرُفِ وزَغَابة[(١)] فى عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غَطَفَانُ ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذَنَبِ نَقَمَى إلى جانب أُحُد ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظُهُورَهُمْ إلى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أُمّ مكتوم

حيى بن أخطب يحرض كعب بن أسد القرظى على رسول الله

قال ابن إسحق : وأمر بالذَّرَارِى والنساء ، فجُعِلوا فى الآطام ، (٢) وَخرج عَدُوُّ الله حُيَيُّ بن أخْطَب النَّضَرِيُّ حتى أتى كعب بن أسد

---

(١) « بين الجرف وزغابة » قال أبو ذر : « وقع هنا بالزاى مفتوحة ورغابة بالراء المفتوحة هو الجيد ، وكذا رواه الوقشى » اه

(٢) الآطام : هى الحصون ، ويقال : هى القصور ، واحدها أطم بضمتين

الْقُرَظِيُّ صاحب عقد بني قريظة وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاقده على ذلك [وعاهده] ، فلما سمع كعبٌ بُحَيَّ بن أَخْطَبَ أغلق دونه باب حِصْنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه حُيَيٌّ : ويحك يا كَعْبُ افتح لي ، قال : ويحك ياحُيَيُّ إنك امْرُؤٌ مَشْئُومٌ ، وإني قد عاهدت محمداً ، فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أرَ منه إلا وفاء وصِدْقًا ؛ قال : وَيْحَكَ افتح لي أُكَلِّمْكَ ، قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغلقت الحِصْنَ دوني إلا تَخَوَّفْتَ على جشيشتك [١] أن آكل منها معك ؛ فأَحْفَظَ[٢] الرَّجُلَ ؛ ففتح له ، فقال : ويحك يا كعب جئتك بعِزِّ الدهر وببَحْرٍ طامٍ[٣] جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من دومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذَنَب نَقَمَى إلى جانب أحد ، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه ، قال : فقال له كعب : جئتني والله بذُلِّ الدهر ، وبجَهَامٍ[٤] قد هَرَاقَ ماءه ، [فهو] يُرْعِدُ ويُبْرِقُ ليس فيه شيء ، ويْحَكَ يا حُيَيُّ فدَعْني وما أنا عليه ، فإني لم أرَ مِنْ محمد إلا صدقا ووفاء ، فلم يزل

---

(١) الجشيشة : طعام يصنع من الجشيش ، وهو البر يطحن غليظا ، وهو الذي تقول له العامة دشيشة ، والصواب فيه الجيم

(٢) أحفظ الرجل : أغضبه وأثار حفيظته ، والحفيظة : الغضب

(٣) البحر الطامي : المرتفع الكثير الماء ، وأراد تشبيه عدد القوم في كثرته بالبحر لأنه يغطي جوانبه كلها

(٤) الجهام ـ بفتح الجيم والهاء ـ السحاب الرقيق الذي لا ماء فيه ، وهراق : صب ، يريد أنه خال من المطر

حُيَيٌّ بكعب يَفْتِلُه فى الذِّرْوَة والغَارِب (١) حتى سمح له على أن أعطاه عهداً وميثاقا لئن رَجَعَتْ قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك فى حِصْنِك حتى يصيبنى ما أصابك ، فنقض كعب بن أسد عهده ، وبرئ مما كان بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم

رسول الله يعلم بانتقاض كعب بن أسد فيرسل من يتأكد له من ذلك

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ ، و إلى المسلمين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سَعْدَ بن مُعَاذ بن النعمان — وهو يومئذ سيد الأوس — وسَعْدَ بن عُبَادة بن دُلَيْم أحَدَ بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج — وهو يومئذ سَيِّدُ الخزرج — ومعهما عَبْدُ الله بن رَوَاحة أخو بنى الحرث بن الخزرج ، وخَوَّاتُ بن جُبَيْر أخو بنى عمرو بن عوف ، فقال : « انْطَلِقُوا حَتَّى تَنْظُرُوا أَحَقٌّ مَا بَلَغَنَا عَنْ هؤُلاَءِ الْقَوْمِ أم لا ، فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَالْحَنُوا لى لَحْنًا أَعْرِفُهُ (٢) وَلاَ تَفُتُّوا فى أَعْضَادِ (٣) النَّاسِ وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْوَفَاءِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْهَرُوا بِهِ لِلنَّاسِ » قال : فخرجوا حتى أتَوْهُمْ ، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : مَنْ رَسُولُ الله ؟ ! لا عَهْدَ بيننا و بين محمد ولا عقد ، فشَاتَمَهُمْ سَعْدُ بن مُعَاذ وشاتموه ، وكان رجلا فيه حِدَّةٌ ،

---

(١) الذروة والغارب : أعلى ظهر البعير ، وإذا نفر البعير وشرد من صاحبه واستعصى عليه أخذ يمسح بيده على أعلى ظهره حتى يسكن ويطمئن إليه ويستأنس به فيجعل الخطامَ على رأسه ، أراد أنه لم يزل يخادعه كما يخادع البعير إذا كان نافرا

(٢) « فالحنوا لى لحنا » اللحن : أن يخالف ظاهر الكلام معناه ، وقال الشاعر :ـ

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَيْما تَفْهَمُوا ... وَاللَّحْنُ يَفْهَمُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ

(٣) يقال : فت فى عضده ، إذا ضعفه وأوهنه

فقال له سعد بن عبادة : دَعْ عَنْكَ مُشَاتمتهم ، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة [١] ، ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلّموا عليه ثم قالوا : عَضَلٌ والقَارَة ، أى : كغَدْرِ عَضَلٍ والقَارة بأصحاب الرجيع خُبَيْبٍ وأصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله أكبَرُ ، أبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ »

اشتداد الخوف وظهور نفاق المنافقين

وعَظُمَ عند ذلك الْبَلاَء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عَدُوُّهم من فوقهم ومن أسْفَلَ منهم ، حتى ظَنَّ المؤمنُون كُلَّ ظن ، و نَجَمَ النفاق من بعض المنافقين ، حتى قال مُعَتِّبُ بن قُشَير أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمد يَعِدُنا أنْ نأكُلَ كُنوزَ كسرى وقيصر ، وأحَدُنَا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط

قال ابن هشام : وأخبرنى من أثق به من أهل العلم أن مُعَتِّب بن قُشَيْر لم يكن من المنافقين ، واحتَجَّ بأنه كان من أهل بدر

قال ابن إسحق : وحتى قال أوْسُ بن قَيْظِيّ أحد بنى حارثة بن الحرث : يارسولَ الله ، إنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ من العدوّ ، وذلك عن مَلأٍ من رجال قومه ، فأْذَنْ لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا فإنها خارج من المدينة

فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأقام [عليه] المشركون بضعاً وعشرين ليلةً قريبا من شهر ، لم يكن بينهم حرب إلا الرِّمِّيَّا [٢] بالنَّبل والحصار .

---

(١) أربى من المشاتمة : أعظم وأكثر

(٢) « الرميا » بكسر الراء وتشديد الميم مكسورة وبعدها ياء مشددة مفتوحة وآخره ألف مقصورة ـ هو مصدر بمعنى الرمى ، مثل الهجيرى والخليفى فى قول عمر : « لولا الخليفى لأذنت » يريد لولا الخلافة ومشاغلها

قال ابن هشام : ويقال : الرَّمْيَا

رسول الله يشرع في الصلح مع غطفان

فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — كما حدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة ومن لاَ أَتَّهِمُ ، عن محمد بن مُسْلم بن عبيد الله بن شهاب الزُّهرى ، إلى عيينة بن حِصن بن حذيفة بن بدر ، و إلى الحرث بن عوف بن أبي حارثة المُرِّىِّ — وهما قائدا غطفان — فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهما الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح ، إلا المُرَاوَضة فى ذلك ،

رسول الله يستشير سعد بن معاذ في قبول الصلح

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بعث إلى سعد بن مُعاذ وسعد بن عُبَادة ، فذكر ذلك لهما واستشارهما فيه ، فقالا له : يارسولَ الله أمراً تحبُّه فنصنعه ، أم شيئاً أمرَكَ الله به لا بُدَّ لنا من العمل به ، أم شيئا تصنعه لنا ؟ قال : « بَلْ شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ ، وَاللهِ مَا أَصْنَعُ ذٰلِكَ إِلاَّ لِأَنَّنِى رَأَيتُ الْعَرَبَ قَدْرَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ وَكَالَبُوكُمْ[1] مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَأَرَدتُ أَنْ أَكْسِرَ عَنكُم مِنْ شَوْكَتِهِم إِلَى أَمْرٍ مَّا » فقال له سعد بن معاذ : يارسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لانعبد الله ولا نعرفه وهم لايطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قِرًى[2] أو بيعا ، أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزَّنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ ! ! [والله] مالنا بهذا من حاجة ، والله لانعطيهم إلا السيف حتى

---

(١) كالبوكم : اشتدوا عليكم ، والأصل فيه الكاب ـ بفتح الكاف واللام ـ وهو السعار

(٢) قوله « إلا قرى أو بيعا » القرى ـ بكسر القاف ـ الطعام الذى يقدم للضيف ، وقيل : هو المصدر ، يريد أن هؤلاء لم يكونوا ليطمعوا أن يذوقوا

يحكم الله بيننا و بينهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فأَنْتَ وَذَاكَ » فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا مافيها من الكتاب ثم قال : لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا .

جماعة من المشركين يقتحمون الخندق بخيولهم

قال ابن إسحق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوُّهم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قتال ، إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد وُدّ بن أبي قيس أخو بني عامر بن لؤي

قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن عَبْد بن أبي قيس

قال ابن إسحق : وعِكْرِمَةُ بن أبي جَهْـل وهُبَيْرَة بن أبي وَهْب ، المخزوميان ، وضِرَار بن الخَطَّاب [الشاعر] بن مِرْدَاس أخو بني محارب ابن فِهر ، تَلَبَّسُوا للقتـال ، ثم خرجوا على خيلهم حتى مَرُّوا بمنازل بني كنانة ، فقالوا : تَهَيَّؤا يا بني كنانة للحرب ، فَسَتَعْلَمُونَ مَنِ الفُرْسَانُ اليوم ، ثم أقبلوا تُعْنِقُ بهم (١) خيلهم ، حتى وقفوا على الخندق ، فلما رَأَوْه قالوا : والله إنَّ هذه لَمَكِيدَةٌ ما كانت العرب تكيدها

قال ابن هشام : ويقال : إن سَلْمَان [الفَارِسِيَّ] أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم

تمر المدينة إلا بأحد سببين : إكرامهم إذا نزلوا بنا ضيوفا ، أو شرائهم منا ؛ فأما أن يأكلوه عن إتاوة يجب علينا أداؤها إليهم فذلك ما لم يكن وما لا نرضى به أبدا ؛ ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأقل حماسة منه ، ولكنه أراد أن يرى رأي أهل المدينة حتى يطمئن إلى رضاهم عن المجالدة والاستبسال في الدفاع حتى آخر رمق ؛ صلى الله عليه وسلم ، ما كان أحكمه !! وما كان أسد رأيه !!

(١) تعنق بهم : تسرع ، وأصله العنق - بفتح العين والنون - وهو ضرب من السير السريع

قال ابن هشام : وحدثنى بعضُ أهل العلم أن المهاجرين يوم الخندق قالوا : سَلْمَانُ منا ، وقالت الأنصار : سَلْمَانُ مِنَّا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ »

قال ابن إسحق : ثم تيمَّمُوا مكاناً ضَيِّقاً من الخنـدق ، فضربوا خيُولَهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم فى السَّبْخَة بين الخَنْدق وسَلْع ، وخرج على بن أبى طالب عليه السلام فى نَفَرٍ معه من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثُّغْرَةَ (١) التى أقحَمُوا منها خيلهم ، وأقبلت الفُرْسَان تُعْنِقُ نحوَهم وكان عَمْرُو بن عبد وُدٍّ قد قاتل يوم بَدْرٍ حتى أثبَتَتْه الجراحة ، فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلِماً (٢) لِيُرَى مكانه ، فلما وقف هو وخَيْلهُ قال : من يبارز ؟ فَبرَزَ له على بن أبى طالب ، فقال له : يا عَمْرُو ، إنك [قد] كنت عاهدت الله ألاَّ يَدْعُوكَ رجل من قريش إلى إحدى خَلَّتَيْن إلا أخذتها منه ، قال له : أجل ، قال له على : فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الاسلام ، قال : لا حاجة لى بذلك ، قال : فإنى أدعوك إلى النزال ، فقال له : لِمَ يا ابن أخى ؟ فوالله ما أحب أن أقتلك ، قال له على : ولكنى والله أحبُّ أن أقتلك ، فحَمِيَ عَمْرو (٣) عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه فعَقَرَه وضرب وجهه ثم أقبل على علىٍّ ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله على رضى الله عنه ، وخرجت خَيْلُهم منهزمةً حتى اقتحمت من الخندق هاربةً

على بن أبى طالب وعمرو بن عبد ود

(١) الثغرة ـ بضم الثاء وسكون الغين المعجمة ـ الثلمة التى كانت فى الخندق ، وكانوا قد اقتحموه منها

(٢) معلما ـ بضم الميم وسكون العين المهملة وكسر اللام . وقد يقال بفتحها ـ هو الذى جعل لنفسه علامة وشعارا يعرف بها

(٣) حمى عمرو : غضب واشتد غضبه

قال ابن إسحق : وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى ذلك : —

كلمة لعلى بن أبى طالب فى قتله عمرو ابن عبد ود

نَصَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ ... وَنَصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِي (١)

فَصَدَرْتُ حِينَ تَرَكْتُهُ مُتَجَدِّلاً ... كَالْجِذْعِ بَيْنَ دَكَادِكٍ وَرَوَابِي (٢)

وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوَ اَنَّنِي ... كُنْتُ الْمُقَطَّرَ بَزَّنِي أَثْوَابِي (٣)

لاَ تَحْسَبُنَّ اللهَ خَاذِلَ دِينِهِ ... وَنَبِيِّهِ يَا مَعْشَرَ الْأَحْزَابِ

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلى [بن أبى طالب]

عكرمة بن أبى جهل يفر ويلقى رمحه

قال ابن إسحاق : وألقى عكرمة بن أبى جهل رُمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ، فقال حسان بن ثابت فى ذلك : —

---

(١) الحجارة : أراد بها الأصنام والأنصاب التى كان أهل الشرك ينصبونها ويعبدونها ويذبحون لها ، يقول : إنه جاء يحاربنا انتصارا لما هو عليه من السفاهة وفساد الرأى ، ونحن خرجنا له دفاعا عن الحق والصواب

(٢) متجدلا : لاصقا واقعا على الجدالة ، وهى بزنة سحابة الأرض ، وتقول : جدلته فتجدل . والجذع : أراد به جذع النخلة . والدكادك : جمع دكداك ، وهو الرمل اللين ، والروابى : جمع رابية . وهى ما ارتفع وعلا وأشرف من الأرض

(٣) المقطر : اسم مفعول من قولهم : قطرت الفارس ، إذا ألقيته على أحد قطريه (أى : جنبيه) وقال الشاعر :-

قَدْ عَلِمَتْ سَلْمَى وَجَارَاتُهَا ... مَا قَطَّرَ الْفَارِسَ إِلاَّ أَنَا

وبزنى : سلبنى وغلبنى عليها ، يقول : إنى قتلته ولم أفكر فى سلبه ، ولو أن الأمر كان بالعكس فكان هو الذى قتلنى لأخذ أثوابى ، ومثله فى المعنى قول عنترة العبسى : -

هَلاَّ سَأَلْتِ الْخَيْلَ يَا ٱبْنَةَ مَالِكٍ ... إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي

يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِي ... أَغْشَى الْوَغَى وَأَعِفُّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

حسان يهجو عكرمة

فَرَّ وَأَلْقَى لَنَا رُمْحَهُ   لَعَلَّكَ عِكْرِمَ لَمْ تَفْعَلِ
وَوَلَّيْتَ تَعْدُو كَعَدْوِ الظَّلِيـ   ـمِ مَا إِنْ تَحُورُ عَنِ الْمَعْدِلِ [1]
وَلَمْ تُلْقِ ظَهْرَكَ مُسْتَأْنِساً   كَأَنَّ قَفَاكَ قَفَا فُرْعُلِ

قال ابن هشام: الْفُرْعُل: صغير الضِّباع، وهذه الأبيات فى أبيات له

شعار رسول الله وأصحابه يوم الخندق

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق و بنى قريظة «حٰمٓ لاَ يُنْصَرُونَ».

سعد بن معاذ

قال ابن إسحق: وحدثنى أبو ليلى عَبْدُ الله بن سهل بن عبد الرحمن [ابن سهل] الأنصارى أخو بنى حارثة، أن عائشة أم المؤمنين كانت فى حِصْنِ بنى حارثة يوم الْخَنْدَق، وكان من أَحْرَزِ حُصُون المدينة، قال: وكانت أمُّ سَعْد بن مُعَاذ معها فى الْحِصْن، فقالت عائشة، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب: فمر سَعْدٌ وعليه دِرْعٌ له مُقَلَّصَة [2] قد خرجت منها ذراعه كلُّها، وفى يده حَرْبته يَرْفُل [3] بها و يقول: —

---

(١) الظليم: ذكر النعام، والنعام مضرب المثل فى العدو، وتحور: ترجع، والمعدل: العدول، وأراد أنه لا يفكر فى الرجوع عما اعتزمه من الفرار عن الحرب، يريد أنه فر على عزيمة ألا يعود وإنما يكون ذلك لأنه شهد من أعدائه صلابة واستبسالا. وهذا ما يريده

(٢) مقلصة: أى قصيرة قد ارتفعت عن مكانها الذى ينبغى أن تصله؛ تقول: تقلص الشىء، إذا ارتفع وانقبض

(٣) يرفل بها: يريد يمشى بها متبخترا؛ وهذا بعض الروايات فى هذه الكلمة، ويروى «يرقد بها» بتشديد الدال المهملة، ويروى «يرمد بها» بالميم وآخره دال مشددة، والمعنى فيهما واحد، تريد أنه يسرع بها، وقال بعض أهل اللغة: الارقداد: سعى النافر

لَبِّثْ قَلِيلاً يَشْهَدِ الْهَيْجَا حَمَلْ

لاَ بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلْ[(١)]

فقالت له أمه : الْحَقْ أيْ بُنَيَّ فقد والله أخَّرْتَ ، قالت عائشة : فقلت لها : ياأمَّ سعد ، والله لَوَدِدْتُ أن دِرْعَ سعد كانت أَسْبَغَ[(٢)] مما هي ، قالت : وخِفْتُ عليه حَيْثُ أصاب السهْمُ منه ، فرُمِيَ سعد بن مُعَاذ بسَهْم فقطع منه الأَكْحَلَ[(٣)] ، رماه — كما حدثنى عاصم [بن عمر ابن قتادة] — حبَّانُ بن قيس بن الْعَرِقَة ، أحد بنى عامر بن لؤى ، فلما أصابه قال : خُذْها منى وأنا ابْنُ الْعَرِقَة ، فقال له سعد : عَرَّقَ اللهُ وَجْهَكَ فى النار ، اللهمَّ إنْ كنت أبقيتَ من حرب قريش شيئاً فأَبْقِنِى لها ؛ فإنه لا قَوْمَ أحبَّ إلى أن أجاهد[هم] من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنتَ قد وَضَعْتَ الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ، ولا تُمِتْنِى حتى تُقِرَّ عينى من بنى قريظة

سعد بن معاذ يصاب بسهم

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذٍ إلا أبو أسامة الْجُشَمِىُّ حليف بنى مخزوم ، وقد قال أبو أسامة فى ذلك شعراً لعكرمة بن أبى جهل : —

---

(١) لبث : فعل أمر من التلبيث ، وهو المكث والانتظار والاستمهال ، وحمل ـ بالحاء المهملة ـ اسم رجل ، والرجز قديم تمثل به سعد بن معاذ رضى الله عنه هنا ، وقد وقع فى كثير من أصول الكتاب وفى تاريخ ابن كثير جمل بالجيم وهو تصحيف ، والهيجا : الحرب ، وأصله ممدود فقصره حين اضطر ، وحان : جاء حينه ووقته

(٢) أسبغ : أكمل وأضفى ، والدرع السابغة : الكاملة الضافية التى تملأ مكانها وتستر صاحبها

(٣) الأكحل : عرق فى الذراع

كلمة لأبي أسامة الجشمي يذكر فيها أنه الذي أصاب سعدا

أعِكْرِمَ هَلاَّ لُمْتَنِي إذْ تَقُولُ لِي : فِدَاكَ بِآطَامِ الْمَدِينَةِ خَالِدُ (١)

أَلَسْتُ الَّذِي أَلْزَمْتُ سَعْداً مُرِشَّةً
لَمَا بَيْنَ أَثْنَاءِ الْمَرَافِقِ عَانِدُ (٢)

قَضَى نَحْبَهُ مِنْهَا سُعَيْدٌ فَأَعْوَلَتْ
عَلَيْهِ مَعَ الشُّمْطِ الْعَذَارَى النَّوَاهِدُ (٣)

وَأَنتَ الَّذِي دَافَعْتَ عَنْهُ وَقَدْ دَعَا
عُبَيْدَةُ جَمْعًا مِنْهُمُ إذْ يُكَابِدُ

عَلَى حِينِ مَا هُمْ جَائِرٌ عَنْ طَرِيقِهِ
وَآخَرُ مَرْعُوبٌ عَنِ الْقَصْدِ عَامِدُ (٤)

---

(١) الآطام : جمع أطم ، بزنة عنق وأعناق ، والأطم : القصر أو الحصن

(٢) مرشة : اسم فاعل من أرش ـ بزنة أمد ـ أي أصابته فأطارت رشاش الدم منه ، وفي بعض النسخ « مريشة » على أنها اسم مفعول من راش السهم ، وهي بعيدة ، والمرافق : جمع مرفق ، وهو ما يعتمد عليه من الذراع ، والعاند ـ بالنون ـ العرق الذي لا ينقطع منه الدم

(٣) قضى نحبه : أي أجله ، يريد مات ، وسعيد : هو سعد بن معاذ وقد صغره ليستقيم له الوزن ، وكأنه أراد تحقيره ، وأعولت : بكت بأصوات مرتفعة ، والشمط : جمع شمطاء ، وهي المرأة التي خالط الشيب شعرها ، والعذارى : جمع عذراء ، وهي البكر من النساء ، والنواهد : جمع ناهد ، وهي التي نهد ثديها ، أي : ارتفع وظهر

(٤) المرعوب : الذي أصابه الرعب وهو الفزع والخوف ، ويروى « مرغوب » بالغين المعجمة ـ وهو على معنى النسب : أي ذو رغبة عن القصد ، والرواية الأولى التي أثبتناها أولى لأنها لا تحتاج إلى شيء من التكلف

والله أعلم أىُّ ذلك كان

قال ابن هشام : ويقال : إن الذى رمى سعداً خَفَاجة بن عاصم بن حِبَّان

شأن صفية بنت عبد المطلب واليهودى الذى يطيف بالحصن

قال ابن إسحق : وحدثنى يَحْيَى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبَّاد ، قال : كانت صَفِيَّةُ بنت عبد المطلب فى فارعٍ حِصْنِ حَسَّان بن ثابت ، قالت : وكان حَسَّانُ بن ثابت معنا فيه مع النساء والصبيان ، قالت صفية رضي الله عنها : فَمَرَّ بنا رجل من يَهُود ، فجعل يُطِيف بالحصن ، وقد حَارَبَتْ بنو قريظة ، وَقَطَعَتْ ما بيننا و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا و بينهم أحد يَدْفَعُ عنا ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى نُحُور عَدُوِّهم لا يستطيعون أن يَنْصَرِفوا عنهم إلينا إنْ أتانا آتٍ ، قالت : فقلت : ياحسان ، إنَّ هذا اليهوديَّ كما ترى يُطيفُ بالحصن ، وإنى والله ما آمنه أن يَدُلَّ على عَوْرَتنا مَنْ وراءنا من يهود ، وقد شُغِلَ عَنَّا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله ، قال : يغفر الله لك ياابنة عبد المطلب ، والله لقد عَرَفْتِ ما أنا بصاحب هذا ، قالت : فلما قال لى ذلك ولم أر عنده شيئاً احْتَجَزْتُ [(١)] ثم أخذت عَمُودًا [(٢)] ، ثم نزلت من الحصن إليه ، فضربته بالعمود حتى قَتَلْته ، قالت : فلما فَرَغْتُ منه رجعت إلى الحصن ، فقلت : ياحَسَّان ، انزل إليه فاسْلُبْه

والعناء وارتكاب غير الجادة مما تحتاجه هذه الرواية

(١) احتجزت : معناه شددت وسطى ، تقول : احتجز فلان بازاره ، إذا شد وسطه وربطه فيه ، وتروى هذه الكلمة « اعتجرت » ومعناه شددت معجرى ، والمعجر — بزنة منبر — الثوب تلتف به

(٢) العمود هنا : أحد أعمدة البيت التى يقام عليها ، وقد يكون العمود المقرعة من الحديد

فإنه لم يمنعني من سَلَبه إلا أنه رجل ، قال : مالي بِسَلَبِهِ من حاجة ياابنة عبد المطلب (١)

قال ابن إسحق : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة ؛ لتظاهر عدوّهم عليهم ، وإتيانهم إياهم من فَوْقِهِم ومن أَسْفَلَ منهم

نعيم بن مسعود الغطفاني بين يدي رسول الله يعلن اسلامه ويعرض معونته

ثم إن نُعَيْمَ بن مَسْعُود بن عامر بن أُنَيف بن ثَعْلبة بن قُنْفُذ بن هلال بن خَلَاوة بن أشجع بن رَيْث بن غَطَفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، إني قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فَمُرْني بما شئت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ فَخَذِّلْ عَنَّا (٢) إِنِ اسْتَطَعْتَ ؛ فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ »

نعيم بن مسعود عند بني قريظة يخذلهم

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قُرَيْظة — وكان لهم نديما في الجاهلية — فقال : يابني قريظة ، قد عرفتم وُدّي إياكم ، وخاصَّةَ مابيني وبينكم ، قالوا : صَدَقْتَ ، لستَ عندنا بمُتَّهَم ، فقال لهم :

---

(١) أنكر قوم منهم أبو ذر شارح السيرة هذا الحديث ، واستبعد أن يكون حسان بن ثابت رضي الله عنه من الجبن بهذه المنزلة ، بل أنكر أن يكون جبانا ، وذهب إلى أنه يبعد أن تكون هذه الخليقة من أخلاقه ، وقد كان يهاجي كثيرا من الشعراء ويرميهم بالدناءة وكثير من الصفات فما نسبه أحد منهم إلى الجبن ، ولو كان جباناً لما كانوا تركوا ذلك في مناقضاتهم له ، والقصة مذكورة في كثير من الكتب الصحيحة بأسانيد صحاح ، وللاحظة أبي ذر وغيره وجه

(٢) خذل عنا : يريد ادخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضا فلا يقومون لنا ولايستمرون على حربنا

إن قريشا وَغَطَفان ليسوا كأنتم : البلد بلدكم ؛ فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون على أن تَحَوَّلوا منه إلى غيره ، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وَبَلَدُهُم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأَوْا نُهْزَةً [1] أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخَلَّوْا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُنًا من أشرافهم ، يكونون بأيديكم ثقةً لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه ، فقالوا له : لقد أشرت بالرأى

نعيم بن مسعود عند قريش يخذلهم

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم وُدِّى لكم ، وفِرَاقى محمداً ، وإنه قد بلغنى أمرٌ قد رأيت عَلَيَّ حَقًّا أن أبلغكموه نُصْحًا لكم ، فاكتموا عنى ، قالوا : نفعل ، قال : تَعَلَّمُوا أن معشر يهود قد نَدِمُوا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنُعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم ، فأرسل إليهم : [أنْ] نَعَم ، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رُهُنًا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحداً

نعيم بن مسعود عند غطفان يخذلهم

ثم خرج حتى أتى غَطَفَان ، فقال : يامعشر غَطَفان ، إنكم أَصْلِى وعَشِيرتى وأَحَبُّ الناس إلى ، ولا أُرَاكم تَتَّهِمونى ، قالوا : صَدَقْتَ ما أنت عندنا بمُتَّهَمٍ ،قال : فاكتموا عَنِّي ، قالوا : نفعل ، [فما أمرك]

(١) نهزة — بضم النون وسكون الهاء — الفرصة ، وانتهاز الشيء واختلاسه

ثم قال لهم مثل ما قال لقريش ، وحَذَّرَهُم ماحَذَّرَهم

رسل قريش وغطفان عند يهود تطلب إليهم الخروج للحرب فيطلبون منهم رهنا

فلما كانت ليلة السبت من شوّال سَنَةَ خمسٍ ، وكان من صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أنْ أرسل أبو سفيان بن حَرْب ورءوس غطَفان إلى بنى قريظة عِكْرِمَةَ بن أبى جهل فى نَفَر من قريش وغطَفان فقالوا لهم : إنا لَسْنَا بدارِ مُقَامٍ وقَدْ هَلَكَ الْخُفُّ[١] والحافر فاغْدُوا للقتال حتى نُنَاجز محمداً ونَفْرُغَ مما بيننا وبينه ، فأرسلوا إليهم إنّ اليوم يَوْمُ السّبت وهو يوم لانعمل فيه شيئا ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حَدَثًا فأصابه مالم يَخْفَ عليكم ، ولسنا مع ذلك بالّذين نقَاتل معكم محمداً حتى تُعْطُونا رُهُناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقةً لنا حتى نُنَاجز محمدا ، فانا نخشى إن ضَرَّسَتْكُمْ[٢] الحرب واشْتَدَّ عليكم القتال أن تَنْشَمِروا[٣] إلى بلادكم وتتركونا والرجُل فى بلدنا ولا طاقة لنا بذلك منه

قريش تأبى أن تعطى اليهود رهنا

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان : والله إنّ الذى حَدّثكم نُعَيْمُ بن مَسْعود لَحَقٌّ ، فأرسلوا إلى بنى قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رَجُلاً واحدا من رجالنا ، فان كُنْتُمْ تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إنّ الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لَحَقٌّ ، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا ، فان رأوا فُرْصَةً انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انْشَمَروا إلى بلادهم وخَلَّوْا بينكم وبين الرجل فى بلدكم

---

(١) يعنى بالخف الابل ، وبالحافر الخيل

(٢) ضرستكم : نالت منكم ، كما ينال ذو الأضراس بأضراسه

(٣) تنشمروا : تنقبضوا وتسرعوا فى العودة إلى بلادكم ، وفى نسخة « فتنصمروا »

اليهود تأبى الاشتراك في الحرب الآن يأخذوا رهنا

فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنا والله لا نقاتل معكم [محمداً] حتى تُعْطُونَا رُهُنًا فأبَوْا عليهم ، وخَذَّل الله بينهم ، و بعث الله عليهم الريح في ليالٍ شاتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تَكْفَأُ قُدُورَهُم [1] وتطرح أَبْنِيَتَهُم .

رسول الله يرسل حذيفة بن اليمان يتعرف له حال القوم

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جماعتهم ، دعا حُذَيْفَةَ بن الْيَمَانِ فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلا .

قال ابن إسحق : فحدثني يَزِيدُ بن زياد ، عن محمد بن كعب الْقُرَظى ، قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذَيْفَةَ بن اليمان : ياأبا عبدالله أرأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصَحِبْتُمُوهُ ؟ قال : نعم يا ابن أخي ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نَجْهَد ، قال : فقال : والله لو أدركناه ماتركناه يمشي على الأرض ولَحَمَلْنَاه على أعناقنا ، قال : فقال حذيفة : ياابن أخي ، والله لقد رَأَيْتُنَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالْخَنْدَق ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَوِيًّا [2] من الليل ثم التفت إلينا فقال : « مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ » يَشْرِطُ له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرَّجْعَة « أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ » فما قام رجل من القوم

---

(١) تكفأ قدورهم : تقلبها وتميلها ، تقول : كفأت الاناء ، إذا قلبته ، وقوله « وتطرح أبنيتهم » هكذا وقع في أكثر النسخ ، وهي جمع بناء ، وأراد أخبيتهم وبيوتهم ، وفي نسخة « آنيتهم » جمع إناء

(٢) « هويا من الليل » : بفتح الهاء أو ضمها وكسر الواو وتشديد الياء أي : جزءاً منه وقطعة منه

من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لى بُدٌّ من القيام حين دعانى ، فقال : « ياحُذَيْفَةُ اذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ فَانظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ وَلاَ تُحْدِثَنَّ شَيْئاً حَتَّى تَأْتِينَا » قال : فذهبت ، فدخلت فى القوم والريحُ وجُنُودُ الله تفعل بهم ما تفعل لا تُقِرُّ لهم قِدْراً ولا ناراً ولا بناء ، فقام أبوسفيان فقال : يامعشر قريش ، لِيَنْظُرِ امرؤٌ مَنْ جليسه ، قال حذيفة : فأَخَذْتُ بيد الرجل الذى كان إلى جنبي ، فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان ، ثم قال أبو سفيان : يامعشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدارِ مُقَام ، لقد هلك الْكُرَاع والْخُفُّ [1] وأَخْلَفَتْنَا بنو قُرَيظة ، و بَلَغَنَا عنهم الذى نكره ، ولقينا من شِدَّة الريح ما تَرَوْنَ ؛ ماتطمئن لنا قِدْرٌ ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يَسْتَمْسِكُ لنا بناء ، فَارْتَحِلُوا فإنى مُرْتَحِلٌ ، ثم قام إلى جمله وهو مَعْقُول فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلق عِقَاله إلا وهو قائم ، ولولا عَهْدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن لا تحدث شيئاً حتي تأتينى ثم شِئْتُ لقتلته بِسَهْم .

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهوقائم يُصَلِّى فى مِرْطٍ [2] لبعض نسائه مرَاحِل

قال ابن هشام : المراجل : ضَرْبٌ من وَشْي اليمن

فلما رآنى أدخلنى إلى رِجْلَيْه ، وطَرَح عَلَيَّ طَرْفَ الْمِرْطِ [2] ، ثم

---

(١) الكراع : الخيل ، والخف : الابل

(٢) المرط ــ بكسر الميم وسكون الراء المهملة ــ الكساء ، وقد فسر ابن هشام المراجل بأنه ضرب من وشى اليمن

رجع وسجد وإنى لَفيهِ ، فلما سَلَّمَ أخبرته الخبر

وسمعت غَطَفَان بما فعلت قريش فا نْشَمَرُوا راجعين إلى بلادهم

غزوة بنى قريظة ، فى سنة خمس

قال ابن إسحق : ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة ، والمسلمون ، ووضعوا السلاح فلما كانت الظهر أتى جبريلُ عليه السلام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — كما حدثنى الزُّهْرِىُّ — مُعْتَجِرا[1] بعمامة مِنْ إسْتَبْرَقٍ[2] على بغلة عليها رِحَالَةٌ[3] عليها قَطِيفةٌ من ديباج ، فقال : أَوَقَدْ وَضَعْتَ السِّلاح يارسول الله ؟ قال : «نعم» ، فقال جبريل : فما وضعت الملائكةُ السلاحَ بعد وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله عز وجل يأمرك يامحمد بالمسير إلى بنى قريظة ، فانى عامد إليهم فَمُزَلْزِلٌ بهم . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مُؤَذنا فأَذَّنَ فى الناس : « مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطِيعًا فَلاَ يُصَلِّيَنَّ اَلْعَصْرَ إلاَّ بِبَنِى قُرَيْظَةَ » واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام

أمر الله رسوله بالمسير الى بنى قريظة

قال ابن إسحق : وقَدَّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضوان الله عليه برايته إلى بنى قريظة ، وابْتَدَرَهَا الناسُ ، فسار على بن أبى طالب حتى إذا دنا من الحُصُون سمع منها مَقَالَةً قبيحةً لرسول الله

على بن ابى طالب يتقدم براية رسول الله

---

(١) الاعتجار : أن يتعمم الرجل دون أن يلتحى ، أى : من غير أن يضع من عمامته شيئا تحت لحيته

(٢) الاستبرق : ضرب من الديباج غليظ

(٣) الرحالة : من بعض مراكب الابل، وهى السرج أيضا

صلى الله عليه وسلم ، فرجع حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، فقال : يارسول الله ، لا عليك أن لا تَدْنُوَ من هؤلاء الأخابث ، قال : « لم ؟ أظُنُّكَ سَمِعْتَ مِنْهُمْ لِي أذًى » قال : نعم يارسول الله ، قال : « لَوْ رَأوْنِي لَمْ يَقُولُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا » فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال : « يَا إخْوَانَ القِرَدَة ، هَلْ أخزَاكُمُ اللهُ وأنْزَلَ بِكُمْ نِقْمَتَه » ؟ قالوا : يا أبا القاسم ، ما كنت جهولا ، ومَرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفَرٍ من أصحابه بالصَّوْرَيْنِ (١) قبل أن يَصِلَ إلى بنى قريظة ، فقال : « هَلْ مَرَّ بِكُمْ أحَدٌ » ؟ قالوا : يارسول الله قد مَرَّ بنا دِحْيَةُ [بن خليفة] الكَلْبِيُّ على بغلة بيضاء عليها رِحَالة عليها قَطيفةُ ديباج ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذَلِكَ جِبْرِيلُ بُعِثَ إلَى بَنِي قُرَيْظَةَ يُزَلْزِلُ بِهِمْ حُصُونَهُمْ وَيَقْذِفُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ »

ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم يقال لها : بئر أنَّا

قال ابن هشام : بئر أُنَّى (٢)

قال ابن إسحق : وتَلاحَقَ به الناس . فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة ولم يُصَلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاَ يُصَلِّيَنَّ أحدٌ العَصْرَ إلاّ بِبَنِي قُرَيْظَةَ » فشغلهم مالم يكن لهم منه بُدٌّ فى حربهم ، وأبَوْا أن يُصَلُّوا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأتوا

---

(١) الصورين : اسم موضع

(٢) قال فى القاموس « وأنا كهنا أوكحتى أو بكسر النون المشددة : بئر بالمدينة لبنى قريظة ، وواد بطريق حاج مصر » اه

بنى قريظة ، فَصَلَّوْا العصر بها بعد العشاء الآخرة ؛ فما عابهم الله بذلك فى كتابه ، ولا عَنَّفَهُم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدثنى بهذا الحديث أبى إسْحٰق بن يَسَار ، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصارى

حصار رسول الله بنى قريظة

وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خَمْساً وعشرين ليلة ، حتى جَهَدَهُمُ الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرُّعبَ ؛ وقد كان حُيَيُّ بن أخطب دَخَلَ مع بنى قُرَيْظَةَ فى حصنهم — حين رجعت عنهم قريش وغَطَفَان — وَفَاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه ، فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غَيْرُ مُنْصَرِفٍ عنهم حتى يُنَاجزهم قال كعب بن أسد لهم : يامعشر

نصيحة كعب بن أسد لقومه بنى قريظة

يهود ، قد نزل بكم من الأمر ماترون ، وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم ، قالوا : وما هى ؟ قال : نُتَابع هذا الرجل ونُصَدِّقه ، فوالله لقد تَبَيَّنَ لكم إنه لَنَبِيٌّ مُرْسَل وإنه لَلَّذِى تجدُونه فى كتابكم ، فتَأْمَنُون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم [ونسائكم] ، قالوا : لانفارق حُكْمَ التوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره ، قال : فإذا أبيتم علىَّ هذه فهلم فَلْنَقْتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مُصْلِتِين السيوف (١) لم نترك وراءنا ثَقَلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نَسْلاً نخشى عليه ، وإن نَظْهَرْ فلعمرى لَنَجِدَنَّ النساء والأبناء (٢) ، قالوا : نقتل هؤلاء المساكين !! ؟ فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإن أبيتم علىَّ هذه فإن الليلةَ ليلةُ السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمِنُونَا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غِرَّةً ، قالوا : نُفسِدُ

---

(١) مصلتين السيوف : مجردين لها ، وقد أخرجناها من أغمادها ، تقول : أصلت الرجل سيفه ، إذا جرده وأخرجه من غمده

(٢) فى نسخة « لنتخذن النساء والابناء »

سَبْتَنَا علينا ، ونُحْـدِثُ فيه مالم يُحْـدِثُ من كان قبلنا إلاَّ مَنْ قد عَلِمْتَ فأصابه مالم يَخْفَ عليك من المَسْخ ، قال : مابات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلةً واحدة من الدهر حازِمًا

شأن أبى لبابة واستشارة يهود إياه ، وتوبته بعد ذلك

ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابْعَثْ إلينا أبا لُبَابة بن عبد المنذر أخا بنى عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس لِنَسْتَشِيره فى أمرنا ، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، فلما رَأَوْهُ قام إليه الرجال وجَهَشَ (١) إليه النساء والصبيان يَبْكُونَ فى وجهه ، فَرَقَّ لهم ، وقالوا له : ياأبا لُبَابة ، أترى أن نَنْزِل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه ، إنه الذبح ، قال أبو لبابة : فوالله مازَالَتْ قدَمَاى من مكانهما حتى عَرَفْتُ أنى قد خُنْتُ اللهَ ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى ارتبط فى المسجد إلى عَمُودٍ من عُمُدِهِ ، وقال : لاأبرح [من] مكانى هٰذا حتى يَتُوبَ اللهُ عَلَىَّ مما صنعت ، وأُعاهد الله أن لا أطأ بنى قُرَيْظَةَ أبداً ، ولا أُرَى فى بلد خُنْتُ اللهَ ورسوله فيه أبداً

قال ابن هشام : فأنزل الله تعالى فى أبى لبابة فيما قال سفيان بن عيينة عن إسمعيل بن أبى خالد عن عبد الله بن أبى قتادة (٨ : ٢٧) : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

قال ابن إسحق : فلما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خَبَرُه — وكان قد استبطأه — قال : « أَمَا إِنَّهُ لَوْ جَاءَنِى لَاسْتَغْفَرْتُ لَهُ فَأَمَّا إِذْ قَدْ فَعَلَ مَافَعَلَ فَمَا أَنَا بِالَّذِى أُطْلِقُهُ مِنْ مَكَانِهِ حَتَّى يَتُوبَ اللهُ عَلَيْهِ »

(١) تقول : جهش الرجل بالبكاء وأجهش : إذا تهيأ له وبدأ فيه

قال ابن إسحق : فحدثنى يَزِيدُ بن عبد الله بن قُسَيْطٍ أن توبة أبى لُبَابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم [من السَّحَر] ، وهو فى بيت أم سلمة ، [قالت أم سلمة :] رضى الله عنها ، فَسَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَرِ وهو يضحك ، قالت : فقلتُ مِمَّ تضحك يارسول الله أضحَكَ الله سِنَّك ؟ قال : « تِيبَ عَلَى أبى لُبَابَةَ » قالت : قلت : أفلا أبشره يارسول الله ؟ قال : « بَلَى إنْ شِئْتِ » قال : فقامت على باب حُجْرتها — وذلك قبل أن يُضْرَبَ عليهنّ الحجابُ — فقالت : ياأبا لُبَابة ، أَبْشِرْ فقد تاب الله عليك ، قال : فثار الناس إليه لِيُطْلِقُوهُ ، فقال : لا والله ، حتى يكون رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنى بيده ، فلما مَرَّ عليه [رسولُ الله صلى الله عليه وسلم] خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه

قال ابن هشام : أقام أبو لُبَابَةَ مُرْتَبِطاً بالجِذْع ستَّ ليال ؛ تأتيه امرأتُهُ فى كلِّ وقتِ صلاةٍ فتحُلُّه للصلاة ثم يعود فيرتبط بالجذع ، فيما حدثنى بعض أهل العلم ؛ والآية التى نزلت فى توبته قول الله عز وجل (٩ : ١٠٢) : (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

إسلام جماعة من بنى هدل

قال ابن إسحق : ثم إن ثَعْلَبَةَ بن سَعْيَةَ وأُسَيْدَ بن سَعْيَة وأسَدَ ابن عُبَيْدٍ — وهم نَفَرٌ من [بنى] هَدَل ، ليسوا من بنى قُرَيْظة ولا النَّضير ، نَسَبُهُمْ فَوْقَ ذلك ، هم بنو عَمِّ القوم — أسْلَمُوا تلك اللَّيْلَةَ التى نزلت فيها [بنو] قُرَيْظَةَ على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

أمر عمرو بن سعدى القرظى

وخرج فى تلك الليلة عَمْرو بن سُعْدَى القُرَظى فَمَرَّ بحَرَس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه محمد بن مَسْلَمَةَ تلك الليلة ، فلما رآه قال :

مَنْ هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سُعْدَى ، وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قُرَيظة فى غَدْرِهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لاأغدر بمحمد أبداً ، فقال محمد بن مَسْلَمَة حين عرفه : اللّهُمَّ لا تحرمنى [إقَالَةَ] عَثَرَاتِ الكرام ، ثم خَلَّى سبيله ، فخرج على وجهه ، حتى بات فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يُدْرَ أين توجه من الأرض إلى يومه هذا ، فذُكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ، فقال : « ذَاكَ رَجُلٌ نَجَّاهُ اللهُ بِوَفَائِهِ » وبعض الناس يزعم أنه كان أُوثِقَ بِرُمَّةٍ [١] فيمن أُوثِقَ من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت رُمَّتُهُ مُلْقَاةً ولا يُدْرَى أين ذهب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة ، والله أعلم أى ذلك كان

بنو قريظة تنزل على حكم رسول الله فيحكم فيهم سعد بن معاذ

فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَتَوَاثَبَت الأوس فقالوا : يارسول الله صلى الله عليك وسلم ، إنهم [كانوا] مَوَالِينَا دون الخزرج ، وقد فَعَلْتَ فى موالى إخواننا بالأمس ماقد [٢] علمتَ ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بنى قُرَيْظَةَ [قد] حاصر بنى قَيْنُقَاع ، وكانوا حُلَفَاءَ الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عَبْدُ الله بن أُبَيّ ابن سَلُولَ ، فوهبهم له ، فلما كَلَّمَتْهُ الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَلاَ تَرْضَوْنَ يَامَعْشَرَ الأَوْسِ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ » ؟ قالوا : بلى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَذَاكَ

---

(١) الرمة - بضم الراء وتشديد الميم - الحبل البالى ، وتلقيبهم غيلان ابن عقبة بذى الرمة مأخوذ من ذلك

(٢) انظر (ص ٤٢٦ - ٤٢٨ ج ٢ من هذا الكتاب)

إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سَعْد ابن مُعَاذ فى خَيْمَـة لامرأة من أسلم يقال لها رُفَيْدَة فى مسجده ، كانت تداوى الجَرْحَى وتَحْتَسِب بنفسها على خِدْمَة من كانت به ضَيْعَة من المسلمين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : « اجْعَلُوهُ فِى خَيْمَةِ رُفَيْدَةَ حَتَّى أَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ » فلما حَكَّمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بنى قُرَيْظة أتاه قومُه فحملوه على حمارٍ قد وَطَّئُوا له بوِسادَةٍ من أدَمٍ ، وكان رجُلاً جسيما جَميلاً ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون : ياأبا عَمْرٍو ، أحْسِنْ فى مواليك ، فَإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما وَلاَّك ذلك لتُحْسِنَ فيهم ، فلما أكثروا عليه قال : لَقَدْ أَنَى لِسَعْدٍ أن لا تأخذه فى الله لَوْمَةُ لائم ، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل فنَعَى لهم رجالَ بنى قُرَيْظَةَ قبل أن يصل إليهم سعد ؛ عَنْ كلمته التى سمع منه ، فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ » فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ، وأما الأنصار فيقولون : قد عَمَّ بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم [المسلمين] ، فقاموا إليه ، فقالوا : ياأبا عَمْرٍو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وَلاَّك أمر مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد بن مُعَاذ : عليكم بذلك عَهْدُ الله وميثَاقُهُ إنَّ الحكمَ فيهم لَمَا حَكَمْتُ ؟ قالوا : نعم ، قال : وعَلَى من هٰهُنَا ؟ فى الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَعَمْ » قال سعد : فانى أحكم فيهم أن تُقْتَلَ الرجالُ ،

حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه

وتُقْسَمَ الأَمْوَال ، وتُسْبَى الذَّرَارى والنساء .

قال ابن إسحق : فحدثنى عاصم بن عُمَرَ بن قتادة ، عن عبد الرحمن ابن عمرو بن سعد بن مُعَاذ ، عن علقمة بن وَقَّاص اللَّيْثى ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : « لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ (١) »

قال ابن هشام : حدثنى بعض من أثق به من أهل العلم ، أن على ابن أبى طالب صاح وهم مُحَاصِرُو بنى قُرَيْظَةَ : يا كَتِيبة الايمان ، وتقدم هو والزبير بن العوام ، وقال : والله لأَذُوقَنَّ مَاذَاقَ حَمْزَةُ أَوْ لأَفْتَحَنَّ حِصْنَهُمْ ، فقالوا : يامحمد ننزل على حكم سَعْد بن مُعَاذ

تنفيذ حكم سعد بن معاذ فى بنى قريظة

قال ابن إسحق : ثم اسْتُنْزِلُوا فَحَبَسَهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينــة فى دار بنت الحرث امرأة من بنى النجار ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة التى هى سُوقُها اليوم ، فَخَنْدَقَ بها خَنَادِقَ ، ثم بعث إليهم فضرب أَعْنَاقَهُمْ فى تلك الخنادق : يُخْرَجُ بهم إليه أَرْسَالاً (٢) وفيهم عَدُوُّ الله حُيَىُّ بن أَخْطَب ، وَكَعْبُ ابن أَسَد رأسُ القومِ ، وهم سِتُّمِائة أو سَبْعُمِائة ، والْمُكْثِرُ لهم يقول: كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة ، وقد قالوا لكعب بن أسد وهُمْ يُذْهَبُ بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أَرْسَالاً : يا كعب ، ماتراه يَصْنع

(١) قال أبو ذر : « الأرقعة هنا السموات ، واحدها رقيع ، وسميت بذلك لأن بعضها كان يرقع بعضاً ، وبعضهم يجعل الرقيع السماء الدنيا لاغير ، وكأنها رقعت بالنجوم ، وهذا الحديث يدل على عموم التسمية بها » اه كلامه

(٢) أرسالا : أى طائفة بعد طائفة ، جمع رسل بفتح الراء والسين جميعا ، وهو الجماعة من كل شىء

شأن حيي بن أخطب بنا؟ قال: أفى كل موطن لا تَعْقِلُون؟ ألا تَرَوْنَ الدّاعِىَ لا ينزع، وأنه مَنْ ذُهِبَ به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل؛ فلم يَزَلْ ذلك الدَّأْبَ حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأُتِىَ بحُيَيِّ بن أخْطَب عَدُوِّ الله وعليه حُلَّةٌ [له] فُقَّاحِيَّةٌ(١) (قال ابن هشام: فُقَّاحِيَّةٌ: ضرب من الوَشْيِ) قد شَقَّهَا عليه من كل ناحية قَدْرَ أُنْمُلَةٍ(٢) لئلا يُسْلَبَهَا، مجموعةً يَدَاه إلى عُنُقه بحَبْلٍ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أما والله ما لُمْتُ نفسى فى عَدَاوَتِكَ، ولَكِنَّهُ من يَخْذُلِ اللهَ يُخْذَلْ، ثم أقبل على الناس فقال: أيُّهَا الناس، إنه لا بأس بأمر الله كِتَابٌ وَقَدَرٌ وَمَلْحَمَةٌ كتبها الله على بنى إسرائيل، ثم جَلَسَ فَضُرِبَتْ عنقه، فقال جبل بن جوال [الثَّعْلَبِىُّ](٣)

لَعَمْرُكَ مَا لَامَ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ
وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ اللهَ يُخْذَلِ
لَجَاهَدَ حَتَّى أَبْلَغَ النَّفْسَ عُذْرَهَا
وَقَلْقَلَ يَبْغِى الْعِزَّ كُلَّ مُقَلْقَلِ(٤)

---

(١) فقاحية ـ بضم الفاء وتشديد القاف ـ أى تضرب إلى الحمرة، نسبة إلى الفقاح، وهو الزهر إذا انشقت أكمته وتفتقت براعيمه

(٢) الأنملة: طرف الاصبع، وقد يسمى الاصبع كله أنملة، كما قد تسمى الأنملة أصبعا

(٣) قال أبو ذر: «الثعلبى: هو هنا بالثاء المثلثة والعين المهملة، هو من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، قال الدارقطنى: له صحبة، وقال أبو عبيد: كان يهوديا فأسلم» اهـ كلامه

(٤) قلقل: تحرك، وقوله «كل مقلقل» هو مصدر ميمى لقلقل، فانتصابه على أنه مفعول مطلق

قال ابن إسحق : وقد حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، أنها قالت : لم يُقتَل من نسائهم إلا امرأة (١) واحدة ، قالت : والله إنها لَعِندى تَحَدَّثُ معى تَضحَك ظَهرًا وَبَطنًا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالَها فى السوق إذ هَتَفَ هاتِفٌ باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله ، قالت : قلت لها : ويلك مالك ؟ ! قالت : أُقتل ، قلت : ولم ؟ قالت : لحدَثٍ أحدثته ، قالت : فانطُلِقَ بها فضُرِبَتْ عنقها ، فكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسَى عَجَبًا منها طيبَ نفسها وكَثْرَةَ ضَحِكها وقد عرفت أنها تُقتَل

لم يقتل من نساء بنى قريظة إلا امرأة واحدة

قال ابن هشام : وهى التى طَرَحَتِ الرَّحا على خَلَّاد بن سُوَيْدٍ فقتلتــــه .

قال ابن إسحق : وقد كان ثابت بن قَيْس بن الشَّمَّاس — فيما ذكر لى ابن شهاب الزُّهرى — أَتَى الزَّبِيرَ بن بَاطَا القُرَظِيَّ — وكان يُكنَى أبا عبد الرحمن ، وكان الزَّبِيرُ قد مَنَّ على ثابت بن قيس بن شَمَّاس فى الجاهلية — ذكر لى بعضُ ولد الزَّبير أنه كان قد مَنَّ عليه يوم بُعَاث ، أَخَذَه فَجزَّ ناصيته ثم خَلَّى سبيله ، فجاءه ثابت وهو شَيْخٌ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هل تَعرِفنى ؟ قال : وهل يَجهَلُ مثلى مثلَكَ ؟ قال : إنى قد أَرَدْتُ أن أَجزِيَكَ بيدك عندى ؛ قال : إن الكريم يَجزِى الكريم ، ثم أتى ثابتُ بن قيس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، إنه قد كانت للزَّبِيرِ عَلَيَّ مِنَّةٌ وقد أحببت أن

شأن الزبير بن باطا القرظى

---

(١) قال أبو ذر : « هذه المرأة التى ضربت عنقها هى امرأة الحسن القرظى ، كانت قد ألقت رحى على رجل من المسلمين من أطم من الآطام فقتلته » اهـ كلامه . وسيأتى لابن هشام تعيين الذى ألقت عليه الرحى

أجزيه بها ، فهَبْ لى دَمَه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هُوَ لَكَ » فأتاه ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وَهَبَ لى دمك فهولك ، قال : شَيْخٌ كبير لاأَهْلَ له ولاوَلَدَ فما يَصْنَع بالحياة ؟ قال : فأتى ثابتٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبى أنْتَ وأمّى يارسول الله ، [هَبْ لى] امرأته وولده ، قال : « همْ لَكَ » قال : فأتاه ، فقال : قد وَهَبَ لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهْلَكَ وولدك ، فَهمْ لَكَ ، قال : أهْلُ بَيْتٍ بالحجاز لامَالَ لهم ، فما بَقَاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابتٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، مالَهُ ، قال : «هوَ لَكَ » فأتاه ثابت فقال : قد أعطانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مالَكَ فهو لك ، قال : أىْ ثابتُ مافَعَلَ الّذى كأنّ وَجْهَهُ مِرْآةٌ صينيةٌ يتراءى فيها عَذَارَى الحى كَعْبُ بن أسَدٍ ؟ قال : قُتِلَ ، قال : فما فعل سَيِّدُ الحاضرِ والبادى حُيَيُّ بن أخْطَب ؟ قال : قُتِلَ ، قال :فما فعل مُقَدّمَتُنَا إذا شَدَدْنَا وحامِيَتُنا إذَا فَرَرْنا عَزَّال بن سَمْوَال ؟ قال : قُتِلَ ، قال : فما فَعَلَ المجلسان ؟ يعنى بنى كَعْب بن قُرَيْظَة و بنى عَمْرو بن قُرَيْظة ، قال : ذَهَبُوا قُتِلُوا ، قال : فانى أسألك ياثابتُ بيدى عندك إلا ألحقتنى بالقوم ، فوالله مافى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فَتْلَةَ دَلْوٍ نَاضِحٍ (١) حتى ألْقَى الأحِبَّةَ ، فَقَدَّمَهُ ثابت فضرب عنقه ، فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله ألقى الأحبة ، قال : يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا [فيها] مخلدا

---

(١) الناضح : الجمل الذى يستخرج عليه الماء من البئر بالسانية ، وأراد بقوله « فتلة دلو ناضح » مقدار ما يأخذ الرجل الدلو إذا أخرجت فيصبها فى الحوض يفتلها ويردها إلى موضعها ، ومن رواه « قبلة » بالقاف والباء فانما أراد مقدار مايقبل الرجل الدلو ليصبها فى الحوض ثم يصرفها ، وهذا

قال ابن هشام : قَبَلَةَ دلوٍ ناضح ، وقال زُهَير بن أبى سُلْمَى فى قَبْلة : —

وقَابِلٌ يَتَغَنَّى كُلَّمَا قَدَرَتْ عَلَى الْعَرَاقِى يَدَاهُ قَائِمًا دَفَقَا (١)

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن هشام : ويروى « وَقَابِلٍ يَتَلَقَّى » يعنى قابل الدلو يتناول (٢)

شأن عطية القرظى ورفاعة بن سموال

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل كل من أنبَتَ منهم

قال ابن إسحق : وحدثنى شُعْبَةُ بن الحَجَّاج ، عن عبد الملك بن عُمَيْر ، عن عطية القُرَظِى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمَرَ أن يُقْتَلَ من بنى قريظة كُلُّ من أنبَتَ [منهم] ، وكنت غلاما ، فوجدونى لم أُنبِتْ ، فَخَلَّوْا سبيلى ، قال : وحدثنى أيوب بن عبدالرحمن ابن عبد الله بن أبى صعصعة أخو بنى عدى بن النجار ، أن سَلْمَى بنتَ قيس أمَّ المنذر أختَ سَلِيطِ بن قَيْس ، وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلت معه القبلتين وبايعته بَيْعَةَ النِّسَاء ؛ سألته رِفَاعَة بن سَمْوَال القُرَظِىَّ ، وكان رجلا قد بَلَغَ فَلَاذَ بها ، وكان يَعْرِفهم

كله إنما يقال عند التسرع والاستعجال ، وقابل الدلو : هو الذى يأخذها من المستق ، وذكر أبو عبيدة فى الأموال الحديث على غير ماقاله ابن إسحق وابن هشام جميعا ، قال : قال الزبير : ياثابت ألحقنى بهم ، فلست صابرا عنهم إفراغة دلو .

(١) القابل : الذى يتقبل الدلو من المستق ، والعراقى : جمع عرقوة — بفتح العين وسكون الراء وضم القاف بعدها واو — وهو العود الذى يكون فى الدلو ، ودفقا : صب ، والألف للاطلاق .

(٢) وقعت كلمة ابن هشام فى بعض الأصول هكذا : « قال ابن هشام :

قبل ذلك ، فقالت: يا نَبِيَّ الله، بأبي أنت وأمي ، هَبْ لى رِفَاعَةَ ؛ فانه قد زعم أنه سَيُصَلِّى ويأكل لَحْمَ الجمل ، قال : فوهبه لها ، فاستَحْيَتْه

رسول الله يقسم فىء بنى قريظة

قال ابن إسحق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَسَمَ أموالَ بنى قُرَيْظَةَ وَنساءهم وأبناءهم على المسلمين ، وأعلم فى ذلك اليوم سُهْمَان الخيل وسُهْمَان الرجال ، وأخرج منها الْخُمُسَ ؛ فكان للفارس ثلاثة أسهم : للفرس سهمان، ولفارسه سهم ، وللراجل — مَنْ لَيْسَ له فرس — سَهْمٌ ، وكانت الخيلُ يَوْمَ بنى قريظة ستةً وثلاثينَ فرسا ، وَكان أولَ فَىْءٍ وقعت فيه السُّهْمَانُ وأُخْرِجَ منه الخمس ؛ فعلى سُنَّتِها وما مضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وَقَعَتْ المقاسم ومضت السُّنَّةُ فى المغازى

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سَعْدَ بن زيد الأنصارى أخا بنى عبد الأشهل بسَبَايَا من سبايا بنى قُرَيْظَةَ إلى نجدٍ ، فابتاع لهم بها خَيْلاً وَسِلاَحًا .

شأن ريحانة بنت عمرو القرظية رسول الله

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصْطَفَى لنفسه من نسائهم رَيْحَانَةَ بِنْتَ عمرو بن جُنَافَة إحدى نساء بنى عمرو بن قُرَيْظَةَ ، فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تُوُفِّى عنها وهى فى ملكه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عَرَضَ عليها أن يتزوجها ويَضْرِبَ عليها الحجابَ ، فقالت : يارسول الله بل تتركنى فى ملكك فهو أَخَفُّ علىَّ وعليك ، فتركها ، وقد كانت حين سباها قد تَعَصَّتْ بالاسلام وأَبَتْ إلا اليهودية ، فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَوَجَدَ فى نفسه لذلك من أمرها ، فبينا هو مع أصحابه إذ سمع وقعَ نَعْلَين خلفه ، فقال : « إنَّ

تفسير بيت زهير يعنى القابل الذى يتلقى الدلو إذا خرج من البئر ، والناضح : البعير الذى يستقى عليه لسقى النخل ، وهذا البيت فى قصيدة له » اه

هٰذَا لَثَعْلَبَةُ بْنُ سَعْيَةَ يُبَشِّرُنِى بِإِسْلاَمِ رَيْحَانَةَ » فجاءه ، فقال : يا رسول الله ، قد أسلمت رَيْحَانَةُ ، فسَرّهُ ذلك من أمرها

نزول قصة الخندق وبنى قريظة فى القرآن

قال ابن إسحق : وأنزل الله تعالى فى أمر الْخَنْدَق وأمر بنى قريظة من القرآن القصةَ فى سورة الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ، ونعمته عليهم ، وكفايته إياهم حين فرَّجَ [الله] ذلك عنهم بعد مقالة من قال من أهل النفاق (٣٣:٩ ....) : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً) والجنود : قريش وغطفان و بنو قريظة ، وكانت الجنود التى أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة ، يقول الله تعالى : (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا) فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة ، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش وغطفان ، يقول الله تعالى : (هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً) لقول مُعَتِّب بن قُشَيْر إذ يقول ما قال (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً) لقول أَوْس بن قَيْظِيّ ومن كان على مثل رأيه من قومه (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا) أى : المدينة .

قال ابن هشام : الأقطار : الجوانب ، وواحدها قطر ، وهى الأقتار ، وواحدها قتر ، قال الفرزدق : —

كَمْ مِنْ غِنًى فَتحَ الْإِلٰهُ لَهُمْ بِهِ وَالْخَيْلُ مُقْعِيَةٌ عَلَى الْأَقْطَارِ (١)

ويروى « على الأقتار » وهذا البيت فى قصيدة له

(ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ) أى : الرجوع إلى الشرك (لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيراً وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولاً) فهم بنو حارثة ، وهم الذين همُّوا أن يفشلوا يوم أحد مع بنى سلمة حين همَّتا بالفشل يوم أحد ، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها [أبدا] ، فذكر لهم الله الذى أعطوا من أنفسهم ، ثم قال تعالى : (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً قُلْ مَنْ ذَا الَّذِى يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيراً قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ) أى : أهل النفاق (وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً) أى : إلا دفعاً وتعذيرا (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ) أى : للضغن الذى فى أنفسهم (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) أى : إعظاما له وَفَرَقاً منه (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ) أى : فى القول بما لا تحبون ؛ لأنهم لا يرجون آخرة ولا تحملهم حِسْبَةٌ (٢) فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده

قال ابن هشام : سلقوكم : بالغوا فيكم بالكلام فأحرقوكم وآذَوْكم ،

---

(١) يعنى أن الخيل ساقطه على أجنابها تروم القيام ، كما تقعى الكلاب على أذنابها وأفخاذها

(٢) فى نسخة « ولا يعملون حسنة » وفى أخرى « ولا تحملهم حسنة »

تقول العرب : خطيب سَلاَق وخطيب مِسْلَق [ومِسْلاَق] قال أعشى بنى قَيْس بن ثعلبة : —

فِيهِمُ الْمَجْدُ وَالسَّمَاحَةُ وَالنَّجْـ دَةُ فِيهِمْ وَالْخَاطِبُ السَّلاَّقُ

وهذا البيت فى قصيدة له

(يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا) قريش وغطفان (وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِى الأَعْرَابِ يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً) ثم أقبل على المؤمنين فقال : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ) أى : لئلا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ولا عن مكان هو به ، ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء ليختبرهم به فقال : (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هٰذَا مَاوَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَازَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيماً)

أى : صبرا على البلاء ، وتسليما للقضاء ، وتصديقا للحق لما كان وعدهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَاعَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) أى : فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد

قال ابن هشام : قضى نحبه : مات ، والنَّحْبُ : النفس ، فيما أخبرنى أبو عبيدة ، وجمعه نحوب ، قال ذو الرمة : —

تفسير النحب

عَشِيَّةَ فَرَّ الْحَارِثِيُّونَ بَعْدَ مَا
قَضَى نَحْبَهُ فِى مُلْتَقَى الْخَيْلِ هَوْبَرُ

وهذا البيت فى قصيدة له ، وهوبر : من بنى الحرث بن كعب ، أراد يزيد بن هوبر ، والنحب أيضاً : النذر ، قال جرير بن الخطفى : —

بِطِخْفَةَ جَالَدْنَا الْمُلُوكَ وَخَيْلُنَا
عَشِيَّةَ بِسْطَامٌ جَرَيْنَ عَلَى نَحْبِ (١)

يقول : على نذر كانت نذرت أن تقتله فقتلتـه ، وهذا البيت فى قصيدة له ، و بِسْطَام : بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانى : وهو ابن ذى الجَدَّيْن ، حدثنى أبو عبيدة أنه كان فارس ربيعة بن نزار ، وطِخْفَةُ : موضع [بطريق البصرة] ، والنحب أيضا : الخِطْار ، وهو الرهان ، قال الفرزدق : —

وَإِذْ نَحَبَتْ كَلْبٌ عَلَى النَّاسِ أَيُّنَا
عَلَى النَّحْبِ أَعْطَى لِلْجَزِيلِ وَأَفْضَلُ

والنحب أيضا : البكاء ، ومنه قولهم : ينتحب : والنحب أيضا : الحاجة والهمة ، تقول : مالى عندهم نَحْبٌ ، قال مالك بن نُوَيْرَةَ الْيَرْبُوعِىُّ : —

وَمَالِيَ نَحْبٌ عِنْدَهُمْ غَــــيْرَ أَنَّنِى
تَلَمَّسْتُ مَا تَبْغِى مِنَ الشُّدُنِ الشُّجْرِ (٢)

---

(١) طخفة : اسم جبل أحمر طويل حذاءه بثار ومنهل ، وفيه يوم طخفة ، وكان يوم البنى يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء ، وفيه يقول جرير أيضا : —

وَقَدجَعَلَتْ يَوْماً بِطِخْفَةَ خَيْلُنَا لآلِ أَبِي قَابُوسَ يَوْماً مُكَدَّرَا

وطخفة : بكسر الطاء أو فتحها ، قاله ياقوت عن الأصمعى . وقوله « عشية بسطام » أى العشية التى قتل فيها بسطام بن قيس ، وبسطام : بالرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف ، وقوله « جرين » الضمير يعود إلى خيلنا

(٢) الشدن : إبل منسوبة إلى شدن ، وهو موضع باليمن ، قال ياقوت

وقال نَهّار بن تَوْسِعَةَ أحد بنى تَيْم اللاّت بن ثعلبة بن عُكَابة ابن صَعْب بن على بن بكر بن وائل

قال ابن هشام: هو مولى أبى حنيفة الفقيه: —

وَنَجّى يُوسُفَ الثَّقَفِيَّ رَكْضٌ دِرَاكٌ بَعْدَ مَاوَقَعَ اللِّوَاءُ (١)

وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَقَضَيْتُ نَحْباً بِهِ وَلِكُلِّ مُخْطَأَةٍ وَقَاءُ

والنحب أيضا: السير الخفيف المر

قال ابن إسحق: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) أى ماوعد الله به من نصره والشهادة على مامضى عليه أصحابه، يقول الله تعالى: (وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) أى: ما شكوا وما ترددوا فى دينهم وما استبدلوا به غيره (لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ) أى: قريشا وغطفان (لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) أى: بنى قريظة (مِنْ صَيَاصِيهِمْ) والصياصى: الحصون والآطام التى كانوا فيها

تفسير الصياصى

قال ابن هشام: قال سُحَيْمٌ عَبْدُ بنى الْحَسْحَاس، وبنو الحسحاس من بنى أسد بن خزيمة:

وَأَصْبَحَتِ الثِّيرَانُ صَرْعَى وَأَصْبَحَتْ

نِسَاءُ تَمِيمٍ يَبْتَدِرْنَ الصَّيَاصِيَا

شدن بالتحريك وآخره نون وهو موضع تنسب إليه الابل باليمن، وقيل: هو اسم فحل. وقوله «الشجر» هى التى فى أعينها حمرة

(١) الركض: الجرى، ودراك: أى متتابع

وهذا البيت فى قصيدة له ، والصياصى أيضاً : القرون ، قال النابغة الجعدى :

وَسَادَةَ رَهْطِيَ حَتَّى بَقِيـــ
تُ فَرْداً كَصِيصِيَةِ الْأَعْضَبِ (١)

[يقول : أصاب الموت سادَةَ رهطى] ، وهذا البيت فى قصيدة له ، وقال أبو دُوَاد الايادى : —

فَذَعَرْنَا سُحْمَ الصَّيَاصِى بِأَيْدِيـ
ـهِنَّ نَضْحٌ مِنَ الْكُحَيْلِ وَقَارُ (٢)

[وهذا البيت فى قصيدة له] ، والصياصى أيضاً : الشوك الذى للنساجين فيما أخبرنى أبو عبيــدة ، وأنشدنى لدُرَيْد بن الصِّمَّه الْجُشَمى ، جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن :

نَظَرْتُ إِلَيْهِ والرِّمَاحُ تَنُوشُهُ
كَوَقْعِ الصَّيَاصِى فِى النَّسِيجِ الْمُمَدَّدِ (٣)

وهذا البيت فى قصيدة له ، والصياصى أيضاً : التى [تكون] فى أرجل الديكة ناتئة كأنها القرون الصغار ، والصياصى أيضاً : الأصول ، أخبرنى أبو عبيدة أن العرب تقول : جَذَّ الله صِيصِيته ، أى أصله

(١) الأعضب : المكسور القرن

(٢) ذعرنا : افزعنا وأخفنا ، والسحم : السود ، والصياصى : القرون وعنى بسحم الصياصى الوعول التى فى الجبال ، والنضح : اللطخ ، والكحيل : القطران ، والقار : الزفت

(٣) تنوشه : تتناوله وتقع فيه

قال ابن إسحق : (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا) أي : قتل الرجال وسبي الذراري والنساء (وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَؤُهَا) يعنى خيبر (وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً)

قال ابن إسحق : فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسَعْد بن مُعَاذ جرحه ، فمات منه شهيداً وفاة سعد بن معاذ

قال ابن إسحق : حدثنى مُعَاذ بن رِفاعة الزُّرَقى ، قال : حدثنى من شئت من رجال قومى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين قبض سعد بن معاذ — من جوف الليل مُعْتَجِرًا بعمامة من إسْتَبْرَق ، فقال : يامحمد ، مَنْ هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واهْتَزَّ له العرش ؟ قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجرُّ ثَوْبَه إلى سعد ، فوجده قد مات

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت : أقبلت عائشةُ قافلةً من مكّةَ ومعها أُسَيْدُ بن حُضَيْر ، فلقيه موت امرأة له ، فحزن عليها بعضَ الحزن ، فقالت له عائشة : يغفر الله لك يا أبا يَحْيَى ، أتَحْزَنُ على امرأة وقد أُصِبْتَ بابن عمك وقد اهتز له العرش

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم ، عن الحسن البصرى ، قال: كان سعد رجلاً بادنًا ، فلما حمله الناس وجدوا له خفة ، فقال رجال من المنافقين : والله إن كان لبادنا ، وما حملنا من جنَازَةٍ أخَفَّ منه ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « إنَّ لَهُ حَمَلَةً غَيْرَكُمْ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدِ اسْتَبْشَرَتِ الْمَلائِكَةُ بِرُوحِ سَعْدٍ

وَاهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ »

قال ابن إسحق : وحدثنى معاذ بن رفاعة ، عن محمود بن عبد الرحمن ابن عمرو بن الجموح ، عن جابر بن عبد الله، قال : لما دُفِنَ سَعْدٌ ونحن مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم سَبَّحَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فَسَبَّحَ الناسُ معه ، ثم كبر فكبر الناس معه ، فقالوا : يارسول الله مِمَّ سَبَّحْتَ ؟ قال « لَقَدْ تَضَايَقَ على هٰذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ قَبْرُهُ حَتَّى فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ »

إن القبر ضمة لاينجو منها أحد

قال ابن هشام : ومجاز هذا الحديث قول عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ لِلْقَبْرِ لَضَمَّةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْهَا نَاجِياً لَكَانَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ »

رثاء سعد بن معاذ

قال ابن إسحق : ولسعد يقول رجل من الأنصار : —

وَمَا اهْتَزَّ عَرْشُ اللهِ مِنْ مَوْتِ هَالِكٍ
سَمِعْنَا بِهِ إِلاَّ لِسَعْدِ أَبِي عَمْرِو

وقالت أم سعد حين احْتُمِلَ نعشه ، وهى تبكيه

قال ابن هشام : وهى كُبَيْشَةُ بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبد بن الأبجر (١) ، وهو جُدْرَةَ (٢) بن عوف بن الحرث بن الخزرج : —

وَيْلُ أُمِّ سَعْدٍ سَعْدَا ... صَرَامَــــةً وَحَدَّا
وَسُؤْدَداً وَمَجْدَا ... وَفَارِساً مُعَــدَّا

---

(١) « الأبجر » بالنون فى بعض نسخ الأصل . وفى بعضها « الأبجر » بالباء.

(٢) « جدرة » بالجيم فى بعض الأصول ، وفى بعضها « خدرة » بالخاء المعجمة

سَدٌّ بِهِ مَسَدًّا [يَقُدُّ هَامًا قَدًّا] (١)

قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ نَائِحَةٍ تَكْذِبُ إلاَّ نَائِحَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ »

الشهداء فى يوم الخندق

قال ابن إسحق : ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر من بنى عبد الأشهل : سَعْدُ بن مُعَاذ ، وأَنَسُ بن أوس بن عَتِيك ابن عمرو ، وعبد الله بن سَهْل ، ثلاثة نفر

ومن بنى جُشَم بن الخزرج ، ثم من بنى سلمة : الطُّفَيْلُ بن النعمان ، وثعلبة بن غَنَمة ، رجلان

ومن بنى النجّار ، ثم من بنى دينار : كَعْبُ بن زيد ، أصابه سَهْمٌ غَرْبٌ فقتله

قال ابن هشام : سَهْمٌ غَرْبٌ ، وَسَهْمُ غَرْبٍ : بإضافة ، وغير إضافة وهو الذى لا يعرف من أين جاء ولا مَنْ رَمَى به

القتلى من المشركين فى يوم الخندق

وقتل من المشركين ثلاثة نفر : من بنى عبد الدار بن قُصَىّ : مُنَبِّهُ ابن عثمان بن عبيد بن السَّبَّاق بن عبد الدار ، أصابه سَهْمٌ فمات منه بمكة

قال ابن هشام : هو عُثْمَانُ بن أمية بن مُنَبِّه بن عُبَيْد بن السَّبَّاق

قال ابن إسحق : ومن بنى مخزوم بن يَقَظَة : نَوْفَلُ بن عبد الله بن المغيرة ، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جَسَدَه ، وكان اقتحم الخندق فتَوَرَّط فيه ، فقتل ، فغَلَبَ المسلمون على جَسَدِهِ ، فقال رسول الله

---

(١) سقط ما بين القوسين من بعض نسخ الأصل ، وهو موجود فى بعضها وفى شرح أبى ذر ، وفى تاريخ ابن كثير (ج ٤ ص ١٣٠) والهام : جمع هامة ، وهى ههنا الرأس.

صلى الله عليه وسلم : « لاَحَاجَةَ لنَا فِي جَسَدِهِ وَلاَ بِثَمَنِهِ » فخلّى بينهم و بينه

قال ابن هشام : أعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بجسده عشرة آلاف درهم ، فيما بلغنى عن الزهرى

قال ابن إسحق : ومن بنى عامر بن لُؤَىّ ، ثم من بنى مالك بن حِسْلٍ : عَمْرُو بن عبد وُدّ ، قتله على بن أبى طالب رضوان الله عليه

قال ابن هشام : وحدثنى الثِّقَةُ أنه حُدِّث عن ابن شهاب الزُّهْرِىّ أنه قال : قَتَلَ علىٌّ بنَ أبى طالب يومئذ عمرو بن عبد وُدّ وابنه حِسْلَ ابن عمرو

قال ابن هشام : يقال : عمرو بن بن عبد ود ، ويقال : عمرو بن عبد

من استشهد من المسلمين فى يوم بنى قريظة

قال ابن إسحق : واستشهد يَوْمَ بنى قُرَيْظَة من المسلمين ، ثم من بنى الحرث بن الخزرج : خَلاَّدُ بن سُوَيْد بن ثعلبة بن عمرو ، طُرِحَتْ عليه رحى فَشَدَخَتْه شَدْخًا شديدا؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إِنَّ لَهُ لَأَجْرَ شَهِيدَيْنِ » ومات أبو سِنَان بن مِحْصَن بن حُرْثَان أخو بنى أسد بن خُزَيْمَةَ ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُحَاصِرٌ بنى قريظة ، فدفن فى مقبرة بنى قُرَيْظَةَ التى يدفنون فيها اليوم ، وإليه دفنوا أمواتهم فى الإسلام

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — : « لَنْ تَغْزُوَكُمْ قُرَيْشٌ بَعْدَ عَامِكُمْ هٰذَا وَلٰكِنَّكُمْ تَغْزُونَهُمْ » فلم تغزهم قريش بعد ذلك ، وكان هو الذى يغزوها حتى فتح الله تعالى عليه مكة

ماقيل من الشعر فى أمر الخندق وبنى قريظة

وقال ضِرَار بن الخَطَّاب بن مِرْدَاس أخو بنى مُحارب بن فِهْرٍ فى يوم الخندق : —

قصيدة لضرار بن الخطاب الفهرى فى يوم الخندق

وَمُشْفِقَةٍ تَظُنُّ بِنَا الظُّنُونَا ... وَقَدْ قُدْنَا عَرَنْدَسَةً طَحُونَا (١)

كَأَنَّ زُهَاءَهَا أُحُدٌ إذَا مَا ... بَدَتْ أَرْكَانُهُ لِلنَّاظِرِينَا (٢)

تَرَى الْأَبْدَانَ فِيهَا مُسْبَغَاتٍ ... عَلَى الْأَبْطَالِ وَالْيَلَبَ الْحَصِينَا (٣)

وَجُرْدًا كَالْقِدَاحِ مُسَوَّمَاتٍ ... نَؤُمُّ بِهَا الْغُوَاةَ الْخَاطِئِينَا (٤)

كَأَنَّهُمُ إِذَا صَالُوا وَصُلْنَا ... بِبَابِ الْخَنْدَقَيْنِ مُصَافِحُونَا (٥)

أُنَاسٌ لَا نَرَى فِيهِمْ رَشِيدًا ... وَقَدْ قَالُوا أَلَسْنَا رَاشِدِينَا

فَأَحْجَرْنَاهُمُ شَهْرًا كَرِيتَا ... وَكُنَّا فَوْقَهُمْ كَالْقَاهِرِينَا (٦)

---

(١) العرندسة : الشديدة القوة ، وأراد بها كتيبة وفصيلة من الجيش ، والطحون : التى تطحن كل مامرت به ، فعول بمعنى فاعل أوصيغة مبالغة

(٢) زهاءها : تقدير عددها ، وأحد ـ بضم الهمزة والحاء ـ اسم جبل وبدت : ظهرت

(٣) الأبدان : الدروع ، ومسبغات : ضافيات كاملات ، واليلب ـ بفتح الياء المثناة واللام ـ الترسة ، ويقال : هى الدرق ، والحصين : الذى يتحصن به لابسه

(٤) الجرد : جمع أجرد ، وهو الفرس القصير الشعر ، والقداح : جمع قدح ، وهو السهم ، والمسومات : المرسلة على العدو للاغارة ، ونؤم : نقصد

(٥) المصافحة : أخذ الرجل بيد الرجل عند السلام عليه

(٦) أحجرناهم ـ بالراء المهملة ، ويروى بالزاى ـ حصرناهم ، وقوله « شهرا كريتا » يعنى كاملا تاما

نُرَاوِحُهُمْ وَنَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ عَلَيْهِمْ فِي السِّلَاحِ مُدَجَّجِينَا (١)
بِأَيْدِينَا صَوَارِمُ مُرْهَفَاتٌ نَقُدُّ بِهَا الْمَفَارِقَ وَالشُّؤُونَا (٢)
كَأَنَّ وَمِيضَهُنَّ مُعَرَّيَاتٍ إِذَا لَاحَتْ بِأَيْدِي مُصْلِتِينَا (٣)
وَمِيضُ عَقِيقَةٍ لَمَعَتْ بِلَيْلٍ تَرَى فِيهَا الْعَقَائِقَ مُسْتَبِينَا (٤)
فَلَوْلَا خَنْدَقٌ كَانُوا لَدَيْهِ لَدَمَّرْنَا عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَا (٥)
وَلَكِنْ حَالَ دُونَهُمُ وَكَانُوا بِهِ مِنْ خَوْفِنَا مُتَعَوِّذِينَا (٦)
فَإِنْ نَرْحَلْ فَإِنَّا قَدْ تَرَكْنَا لَدَى أَبْيَاتِكُمْ سَعْدًا رَهِينًا (٧)

---

(١) المدجج - بفتح الجيم وكسرها - الكامل السلاح

(٢) الصوارم: السيوف القاطعة، والمرهفات: المحددات، ونقد: نقطع والمفارق: جمع مفرق، وهو حيث يتفرق الشعر فى أعلى الرأس، والشؤون: مجمع العظام فى أعلى الرأس أيضا

(٣) الوميض: اللمعان، والمصلت - بكسر اللام - الذى جرد سيفه من غمده

(٤) العقيقة: السحابة التى تشق عن البرق، وقال المجد: «والعقيقة من البرق ما يبقى فى السحاب من شعاعه كالعقق كصرد، وبه تشبه السيوف فتسمى عقائق» اه، والعقائق فى آخر البيت جمع عقيقة، وهى فى الأصل الشاة، ويمكن أنه أرادها هنا أو أراد بها خصومه على أنه شبههم فى ضعفهم عنده بالشياه، ومستبينا: جمع مستبي - بزنة مصطفى - اسم مفعول من قولهم: استبى عدوه، إذا سباه. وهى بفتح الباء قبل الياء الساكنة، وفى ذلك عيب من عيوب الشعر قد قدمنا ذكره (ص ١٨٢ من هذا الجزء)

(٥) لدمرنا عليهم: يريد أهلكناهم

(٦) متعوذينا: لاجئين ومتحصنين

(٧) يريد سعد بن معاذ رضى الله عنه؛ فقد كان رهن البيت لأنه قد كان أصيب بسهم على ما مضى ذكره

إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ سَمِعْتَ نَوْحَى عَلَى سَعْدٍ يُرَجِّعْنَ الْحَنِينَا (١)
وَسَوْفَ نَزُورُكُمْ عَمَّا قَرِيبٍ كَمَا زُرْنَاكُمُ مُتَوَازِرِينَا (٢)
بِجَمْعٍ مِنْ كِنَانَةَ غَيْرِ عُزْلٍ
كَأُسْدِ الْغَابِ قَدْ حَمَتِ الْعَرِينَا (٣)

فأجابه كعب بن مالك أخو بنى سلمة رضى الله عنه، فقال: —

كعب بن مالك يجيب ضرار بن الخطاب الفهرى

وَسَائِلَةٍ تُسَائِلُ مَا لَقِينَا وَلَوْ شَهِدَتْ رَأَتْنَا صَابِرِينَا
صَبَرْنَا لَا نَرَى لِلّٰهِ عِدْلًا عَلَى مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِينَا
وَكَانَ لَنَا النَّبِيُّ وَزِيرَ صِدْقٍ بِهِ نَعْلُو الْبَرِيَّةَ أَجْمَعِينَا
نُقَاتِلُ مَعْشَرًا ظَلَمُوا وعَقُّوا وَكَانُوا بِالْعَدَاوَةِ مُرْصِدِينَا (٤)
نُعَاجِلُهُمْ إِذَا نَهَضُوا إِلَيْنَا بِضَرْبٍ يُعْجِلُ الْمُتَسَرِّعِينَا

---

(١) جن الظلام: ستر كل شىء، ونوحا: تروى هذه الكلمة بالألف والتنوين على أنه مصدر ناحت المرأة تنوح إذا بكت، وتروى «نوحى» بألف التأنيث، والنوحى: جماعة النساء النائحات، وهذه الأخيرة أشبه لقوله فى آخر البيت «يرجعن الحنينا» ويرجعن: يرددن ويكررن، والحنين: أراد به البكاء والنوح

(٢) متوازرينا: متعاونين متساندين متساعدين

(٣) العزل: جمع أعزل، وهو الذى لا سلاح له، والغاب: جمع غابة، وهى موضع الأسد، والعرين: موضع الأسد أيضا وواحدته عرينة

(٤) المرصدين: جمع مرصد، وهو اسم فاعل من قولهم: أرصد للأمر، إذا أعد له عدته، وأخذ له أسبابه، قال الأعشى: —

نَدِمْتَ عَلَى أَلَّا تَكُونَ كَمِثْلِهِ
فَتُرْصِدَ لِلْمَوْتِ الَّذِى كَانَ أَرْصَدَا

تَرَانَا فى فَضَافِضَ سَابِغَاتٍ كَغُدْرَانِ الْمَلاَ مُتَسَرْبِلِينَا (١)
وَفى أَيْمَانِنَا بِيضٌ خِفَافٌ بِهَا نَشْفِى مِرَاحَ الشَّاغِبِينَا (٢)
بِبَابِ الْخَنْدَقَيْنِ كَأَنَّ أُسْدًا شَوَابِكُهُنَّ يَحْمِينَ الْعَرِينَا (٣)
فَوَارِسُنَا إِذَا بَكَرُوا وَرَاحُوا عَلَى الْأَعْدَاءِ شُوسًا مُعْلِمِينَا (٤)
لِنَنْصُرَ أَحْمَدًا وَاللهَ حَتَّى نَكُونَ عِبَادَ صِدْقٍ مُخْلَصِينَا (٥)
وَيَعْلَمَ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَ سَارُوا
وَأَحْزَابٌ أَتَوْا مُتَحَزِّبِينَا

---

(١) فضافض : أراد بها الدروع ، وهى جمع فضفاض ، وتقول : ثوب فضفاض ، إذا كان واسعا سابغا ، شبه الدروع بالثياب ، وكان حقه أن يقول. فضافيض لكنه حذف الياء حين اضطر ، وسابغات : كاملة تامة ، ومنه قوله تعالى : (أن اعمل سابغات) والغدران ـ بضم فسكون ـ جمع غدير ، والملا ـ مقصورا ـ المتسع من الأرض ، ومتسربلين : لابسين للدروع

(٢) المراح : النشاط ، والشاغبينا : الذين ديدنهم الشغب وتهييج الشر وتأريث العداوات

(٣) الشوابك : التى يتشبث بها فلا يفلت ، والعرين : مكان الأسد ، واحدها عرينة

(٤) فوارس : جمع فارس ، وهو مما شذ من الجموع ، فان فواعل إنما يكون جمعا لفاعلة أو لفاعل إذا كان اسما أو وصفا لغير عاقل ، فأما إذا كان وصفا للعاقل فلا يجمع على فواعل ، ومثله هوالك فى جمع هالك ، وحواج بيت الله ودواجه ، والشوس ـ بضم الشين ـ جمع أشوس ، وهو الذى ينظر نظر المتكبر بمؤخر عينه ، والمعلم ـ بضم الميم وسكون العين ، وبفتح اللام أو كسرها ـ الذى جعل لنفسه علامة يعرفه الناس بها ليشتهر فى الحرب وينبه ذكره

(٥) مخلصين ـ بكسر اللام ـ جمع اسم فاعل من الاخلاص لله فى العمل وبفتح اللام بمعنى أن الله أخلصهم له وصفى سرائرهم

بأَنَّ اللهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ ... وَأَنَّ اللهَ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَا

فَإِمَّا تَقْتُلُوا سَعْدًا سَفَاهًا ... فَإِنَّ اللهَ خَيْرُ الْقَادِرِينَا (١)

سَيُدْخِلُهُ جِنَانًا طَيِّبَاتٍ ... تَكُونُ مُقَامَةً لِلصَّالِحِينَا (٢)

كَمَا قَدْ رَدَّكُمْ فَلًّا شَرِيدًا ... بِغَيْظِكُمْ خَزَايَا خَائِبِينَا (٣)

خَزَايَا لَمْ تَنَالُوا ثَمَّ خَيْرًا ... وَكِدْتُمْ أَنْ تَكُونُوا دَامِرِينَا (٤)

بِرِيحٍ عَاصِفٍ هَبَّتْ عَلَيْكُمْ ... فَكُنْتُمْ تَحْتَهَا مُتَكَمِّهِينَا (٥)

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمِيُّ في يوم الخندق : —

---

(١) « فاما تقتلوا » إن : شرطية أدغمت في ما الزائدة ، أراد إن تقتلوه والسفاه — بفتح السين — الضلال

(٢) مقامة — بضم الميم — اسم مكان من الاقامة ، يريد أنها مكان الاقامة ، وقد قال تعالى : (الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب)

(٣) الفل — بفتح الفاء وتشديد اللام — القوم المنهزمون ، وتقول : فل عدوه يفلهم فلا ، إذا هزمهم ، فهو إما من باب الوصف بالمصدر كقولهم : محمد عدل ، وعلى رضا ، وإبراهيم ضيف ، وإما أنه فعل — بفتح الفاء وسكون العين — بمعنى مفعول ، وذلك كما قالوا في قوله تعالى : (هذا خلق الله) والشريد : الطريد النافر من الخوف والفزع ، والخزايا : جمع خزيان ، وهو وصف من الخزى

(٤) دامرين : هالكين ، من الدمار ، وهو الهلاك ؛ قال في المصباح : « دمر الشيء يدمر — من باب قتل — والاسم الدمار ، مثل الهلاك وزنا ومعنى ، ويعدى بالتضعيف فيقال : دمره الله ، ودمر عليه » اه

(٥) عاصف : شديد ، والمتكمه : الأعمى الذى لا يبصر ، قال السهيلي : « متفعلين من الكمه ، وهو العمى ، والأظهر في الأكمه أنه الذى يولد أعمى

قصيدة لابن الزبعرى في يوم الخندق

حَيِّ الدِّيَارَ مَحَا مَعَارِفَ رَسْمِهَا ۔ طُولُ الْبِلاَ وَتَرَاوُحُ الْأَحْقَابِ (١)
فَكَأَنَّمَا كَتَبَ الْيَهُودُ رُسُومَهَا
إِلاَّ الْكَنِيفَ وَمَعْقِدَ الْأَطْنَابِ (٢)
قَفْرًا كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ تَلْهُو بِهَا فِي نِعْمَةٍ بِأَوَانِسٍ أَتْرَابِ (٣)
فَاتْرُكْ تَذَكُّرَ مَا مَضَى مِنْ عِيشَةٍ
وَمَحَلَّةٍ خَلَقِ الْمُقَامِ يَبَابِ (٤)
وَاذْكُرْ بَلاَءَ مَعَاشِرٍ وَاشْكُرْهُمُ
سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ مِنَ الْأَنْصَابِ (٥)

وقد قيل فيه : إنه الذى لايبصر بالليل شيئا ، ذكر هذا القول البخارى فى التفسير » اه كلامه

(١) الأحقاب : جمع حقب ، وهو الدهر ، والحقب ـ بكسر الحاء ـ التى هى السنون واحدها حقبة

(٢) الكنيف : أراد به الحظيرة التى تصنع للابل ، وإنما سميت الحظيرة كنيفا لأنها تكنف الدواب : أى تسترها ، والأطناب : جمع طنب ، مثل عنق وأعناق ، والطنب : الحبل الذى تشد به الأخبية وبيوت العرب ، وأراد بمعقدها الأوتاد التى تربط فيها

(٣) قفرا : موحشة خالية ليس بها أحد ، والأتراب : جمع ترب ، وهو بكسر التاء وسكون الراء ـ الذى يماثلك فى السن ، تقول : فلان ترب فلان إذا كان لدته وفى سنه ، ويريد أن هذه الأوانس متفقات فى الأسنان

(٤) خلق المقام : أراد أن محل الاقامة منها خال من كل من يقيم به ، واليباب : القفر

(٥) الأنصاب : الحجارة التى يعلم بها الحرم ، والأنصاب أيضا : حجارة كانوا يذبحون لها ويعظمونها

أنصابِ مَكّةَ عامِدِينَ لِيَثْرِبِ
فى ذى غَياطِلَ جَحْفَلٍ جَبْجابِ (١)

يَدَعُ الْحُزُونَ مَناهِجاً مَعْلُومَةً — فى كُلِّ نَشْرٍ ظاهِرٍ وَشِعابِ (٢)
فِيهَا الْجِيادُ شَوَازِبٌ مَجْنُوبَةٌ — قُبُّ الْبُطُونِ لَوَاحِقُ الأَقْرابِ (٣)
مِنْ كُلِّ سَلْهَبَةٍ وَأَجْرَدَ سَلْهَبٍ — كَالسِّيدِ بادَرَ غَفْلَةَ الرُّقَّابِ (٤)
جَيْشُ عُيَيْنَةَ قاصِدٌ بِلِوَائِهِ — فِيهِ وَصَخْرٌ قائِدُ الأَحْزابِ
قَرْمانِ كَالْبَدْرَيْنِ أَصْبَحَ فِيهِمَا — غَيْثُ الْفَقِيرِ وَمَعْقِلُ الْهُرَّابِ (٥)
حَتَّى إِذَا وَرَدَا الْمَدِينَةَ وَارْتَدَوْا — لِلْمَوْتِ كُلَّ مُجَرَّبٍ قَضَّابِ (٦)

---

(١) ذى غياطل : أراد به جيشا كبير العدد ، والغياطل : جمع غيطلة وهى الصوت ، والجحفل : الجيش الكثير ، والجبجاب : الكثير أيضا

(٢) يدع : يترك ، والحزون : جمع حزن ، وهو ماارتفع وعلا وغلظ من الأرض ، والمناهج : جمع منهج ، وهو الطريق الواضح البين ، والنشر : المرتفع من الأرض أيضا ، ويروى نشز - بالزاى - وهو بمعناه ، والشعاب : جمع شعب ، وهو المنخفض بين جبلين ، وهـذا تأكيد لوصف الجيش بالكثرة لأنه لكثرة عدده يترك أثرا فى الحزون باقيا يستدل به على الطريق

(٣) الشوازب : هى الضامرة ، ومجنوبة : مقودة ، وقب : جمع أقب ، وهو الضامر البطن ، ولواحق الأقراب يريد ضامرة أيضا ، والأقراب : جمع قرب ، وهو الخاصرة وما يليها

(٤) السلهبة : الطويلة ، والسيد : الذئب

(٥) قرمان : فحلان سيدان ، والمعقل : الملجأ والمعاذ ، والهراب : جمع هارب

(٦) ارتدوا : أراد تقلدوا ، كل مجرب - بفتح الراء - أراد قد جرب وذلك كقول حسان فى الغساسنة

شَهْرًا وَعَشْرًا قَاهِرِينَ مُحَمَّدًا وَصِحَابُهُ فِى الْحَرْبِ خَيْرُ صِحَابِ
نَادَوْا بِرِحْلَتِهِمْ صَبِيحَةَ قُلْتُمُ: كِدْنَا نَكُونُ بِهَا مَعَ الْخُيَّابِ
لَوْلَا الْخَنَادِقُ غَادَرُوا مِنْ جَمْعِهِمْ
قَتْلَى لِطَيْرٍ سُغَّبٍ وَذِئَابِ [1]

فأجابه حسان بن ثابت الأنصارى، فقال: —

قصيدة لحسان يجيب بها ابن الزبعرى

هَلْ رَسْمُ دَارِسَةِ الْمُقَامِ يَبَابِ مُتَكَلِّمٌ لِمُحَاوِرٍ بِجَوَابِ [2]
قَفْرٌ عَفَا رِهَمُ السَّحَابِ رُسُومَهُ وَهُبُوبُ كُلِّ مُطِلَّةٍ مِرْبَابِ [3]

تُوُرِّثْنَ مِنْ أَزْمَانِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ
إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ

وقضاب: قطاع

(١) سغب — بضم السين وتشديد الغين — جمع ساغب، وهو الجائع ويوم المسغبة: يوم المجاعة، وقال الله تعالى: (أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة)

(٢) دارسة المقام: قدعفامحل الاقامةمنها، واليباب: القفر، والمحاور: الذى يراجعك الكلام ويتحدث معك

(٣) عفا: غير؛ والرهم — بكسر الراء وفتح الهاء — جمع رهمة — بكسر فسكون — وهو المطر الدائم، وتقول: أرهمت السماء، إذا أتت بالرهم، والرسوم: جمع رسم، وهوالأثر، ومطلة: اسم فاعل من أطلت السماء، إذا جاءت بالطل، وهو الضعيف من المطر، ومنه قوله تعالى: (فان لم يصبها وابل فطل) وفسره أبو ذر بقوله: «ومطلة: أى مشرفة، وهوههنا بالطاء المهملة فقط» اهوهو عندنا بعيد، ومجازه على ما قدمنا ذكره، ومرباب: دائمة ثابتة

وَلَقَدْ رَأَيْتُ بِهَا الْحُلُولَ يَزِينُهُمُ

بِيضُ الْوُجُوهِ ثَوَاقِبُ الْأَحْسَابِ (١)

فَدَعِ الدِّيَارَ وَذِكْرَ كُلِّ خَرِيدَةٍ

بَيْضَاءَ آنِسَةِ الْحَدِيثِ كَعَابِ (٢)

وَاشْكُ الْهُمُومَ إِلَى الْإِلَهِ وَمَا تَرَى

مِنْ مَعْشَرٍ ظَلَمُوا الرَّسُولَ غِضَابِ (٣)

سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَيْهِ وَأَلَّبُوا

أَهْلَ الْقُرَى وَبَوَادِيَ الْأَعْرَابِ (٤)

جَيْشُ عُيَيْنَةَ وَابْنُ حَرْبٍ فِيهِمُ مُتَخَمِّطُونَ بِحَلْبَةِ الْأَحْزَابِ (٥)

---

(١) الحلول : البيوت المجتمعة ، والثواقب : المشرقة ، ومنه قوله تعالى : (النجم الثاقب)

(٢) الخريدة : المرأة الناعمة ، وقيل : هي البكر التي لم تمسس قط ، وقيل : هي الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت ، والكعاب : التي نهد ثديها في أول ما نهد ، وكعبت الجارية فهي كاعب وكعاب

(٣) متألبين : مجتمعين ، وتقول : ألبت القوم فتألبوا ، أي جمعتهم فاجتمعوا

(٤) « ساروا بأجمعهم إليه وألبوا » روى في مكان هذا الشطر « أموا بغزوهم الرسول وألبسوا » ، ألبوا : أي جمعوا ، وأموا : أي قصدوا وألبسوا : خلطوا وشبهوا ، تقول : لبست على القوم الأمر ، إذا خلطت شأنه عليهم وشبهته ، ومنه قوله تعالى : (وللبسنا عليهم ما يلبسون) وأهل القرى وبوادي الأعراب : أراد بهم ضعاف الناس الذين تضعف عقولهم عن إدراك الحقائق ويقعون تحت تأثير المشككين

(٥) عيينه : أراد به عيينة بن حصن الفزاري ، وابن حرب : أراد به أبا سفيان ، وهما من قواد المشركين في حرب الخندق على ما علمت ، وقوله :

حَتَّى إِذَا وَرَدُوا الْمَدِينَةَ وَارْتَجَوْا

قَتْلَ الرَّسُولِ وَمَغْنَمَ الْأَسْلَابِ (١)

وَغَدَوْا عَلَيْنَا قَادِرِينَ بِأَيْدِهِمْ رُدُّوا بِغَيْظِهِمُ على الْأَعْقَابِ (٢)

بِهُبُوبِ مُعْصِفَةٍ تُفَرِّقُ جَمْعَهُمْ وَجُنُودِ رَبِّكَ سَيِّدِ الْأَرْبَابِ (٣)

فَكَفَى الْإِلَهُ الْمُؤْمِنِينَ قِتَالَهُمْ

وَأَثَابَهُمْ فِي الْأَجْرِ خَيْرَ ثَوَابِ (٤)

مِنْ بَعْدِ مَا قَنِطُوا فَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ

تَنْزِيلُ نَصْرِ مَلِيكِنَا الْوَهَّابِ (٥)

وَأَقَرَّ عَيْنَ مُحَمَّدٍ وَصِحَابِهِ وَأَذَلَّ كُلَّ مُكَذِّبٍ مُرْتَابِ

« متخمطون » أى : مختلطون ، ويقال : المتخمط : هو المتكبر الشديد الغضب ، والحلبة ـ بفتح الحاء وسكون اللام ـ جماعة الخيل التى تعد للسباق.

(١) مغنم : مصدر بمعنى الغنم ، والأسلاب : جمع سلب ، وهو ما يأخذه المحارب من قرنه إذا قتله

(٢) الأيد ـ بفتح الهمزة وسكون الياء ـ القوة

(٣) المعصفة : الريح الشديدة التى تعصف بكل شيء : أى تذهب به ، وتقول : عصفت الريح وأعصفت ، إذا اشتد هبوبها ، فهى عاصف من الأول ومعصف من الثانى

(٤) هذا البيت والأبيات قبله مأخوذة من قول الله تعالى : (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا)

(٥) قنطوا : يئسوا ، وقوله « نصر مليكنا » هو هكذا فى أصول الكتاب وفى تاريخ ابن كثير (ج ٤ ص ١٣٣) ووقع فى الديوان (تنزيل نص مليكنا الوهاب) ونظنه محرفا

عَاتِي الْفُؤَادِ مُوَقَّعٍ ذِي رِيبَةٍ
فِي الْكُفْرِ لَيْسَ بِطَاهِرِ الْأَثْوَابِ (١)
عَلِقَ الشَّقَاءُ بِقَلْبِهِ فَفُؤَادُهُ
فِي الْكُفْرِ آخِرَ هَذِهِ الْأَحْقَابِ (٢)

وأجابه كعب بن مالك أيضا ، فقال : —

قصيدة لكعب بن مالك الانصارى يجيب بها ابن الزبعرى أيضا

أَبْقَى لَنَا حَدَثُ الْحُرُوبِ بَقِيَّةً ... مِنْ خَيْرِ نِحْلَةِ رَبِّنَا الْوَهَّابِ (٣)
بَيْضَاءَ مُشْرِقَةَ الذُّرَا وَمَعَاطِنًا ... حُمَّ الْجُذُوعِ غَزِيرَةَ الْأَحْلَابِ (٤)

---

(١) عاتى الفؤاد : قاس شديد القسوة ، وموقع - بضم الميم وفتح الواو وتشديد القاف مفتوحة - هو الذى أصابته البلايا ، وهو أيضا البعير الذى كثرت فيه آثار الدبر ، ووقع هذا البيت فى الديوان هكذا :-

مُسْتَشْعِرٌ لِلْكُفْرِ دُونَ ثِيَابِهِ ... وَالْكُفْرُ لَيْسَ بِطَاهِرِ الْأَثْوَابِ

(٢) وقع صدر هذا البيت فى الديوان « علق الشقاء بقلبه فأرانه » وأرانه : غطى عليه ، أو غلب على عقله فأماله عن الحق وعدل به عن الطريق السوى

(٣) النحلة - بكسر النون وسكون الحاء المهملة - العطاء .

(٤) بيضاء : هى مفعول أبقى فى البيت السابق ، وأراد ببيضاء مشرقة الذرى : الحصون والآطام ، والمشرقة : النيرة المضيئة ، والذرى : الأعالى وأراد بقوله « ومعاطناحم الجذوع - الخ » منابت النخل عند الماء ، شبهها بمعاطن الابل ، وهى مباركها عند الماء ، وحم - بضم الحاء وتشديد الميم - جمع أحم ؛ والأحم : الذى لونه السواد ، ووصف النخل بالسواد لأنها تضرب إلى السواد من الخضرة والنعيم ، وشبه ما يجتنى منها بالحلب فقال : غزيرة الأحلاب ، وقد يكون أراد الابل حقيقة ؛ فالمعاطن : مباركها عند الماء ، والجذوع هنا على ذلك : أعناقها ، والأحلاب : ما يحلب منها ، ولكن الأول أولى لأن أهل المدينة معروفون بالنخل

كَالُّوبِ يُبْذَلُ جَمُّهَا وَحَفِيلُهَا ... لِلْجَارِ وَابْنِ الْعَمِّ وَالْمُنْتَابِ (١)

وَنَزَائِعًا مِثْلَ السِّرَاحِ نَمَى بِهَا ... عَلَفُ الشَّعِيرِ وَجَزَّةُ الْمِقْضَابِ (٢)

عَرِيَ الشَّوَى مِنْهَا وَأَرْدَفَ نَحْضَهَا

جُرْدُ الْمُتُونِ وَسَائِرِ الْآرَابِ (٣)

---

(١) اللوب : جمع لوبة ، وهى الحرة ، ويقال فيها أيضا : لابة ، وجمعها لاب ، والحرة : أرض ذات حجارة سود ، واعلم أنك تقول : مابين لابتيها أعلم منى ، ولا يقال ذلك فى كل بلد ، وإنما يقال فى المدينة وفى الكوفة ؛ روى السهيلى أن رجلا نسب شبيب بن شبة إلى التصحيف ، فقال له شبيب :أتلحننى وما بين لا بتيها أفصح منى ، فقال له الرجل : وهذه لحنة أخرى ، أو للبصرة لابتان ؟ إنما اللابتان للمدينة والكوفة . والجم ـ بفتح الجيم ـ الكثير ، والحفيل : ما اجتمع من لبنها على أنها الابل أو من تمرها ، والمنتاب : الزائر القاصد ، وهو اسم فاعل من انتاب إذا ألم ونزل

(٢) نزائعا : أراد بها الخيل العربية التى حملت من أرضها إلى غيرها ، جمع نزيع ، بمعنى منزوع ، وقوله « مثل السراح » تروى هذه الكلمة بالجيم وبالحاء المهملة ، فأما من رواها بالجيم فانما أراد أن كل واحد من هذه الخيل يشبه السراج فى إشراقه ، وأما من رواها بالحاء فانما أراد بالسراح جمع السرحان ، وهو الذئب ، يريد أنها شديدة العدو ، وجمع السرحان على سراح إنما يكون بعد نزع الزوائد منه ؛ ولو جمعه على لفظه لقال السراحين ، والسرحان أيضا الأسد فى لغة هذيل ، وقوله « وجزة المقضاب » يعنى ما يجز لها من النبات فتطعمه ، والمقضاب : اسم آلة من القضب وهو القطع ، وزعم السهيلى أن المقضاب اسم مزرعة

(٣) الشوى : القوائم ، والنحض ـ بفتح فسكون ـ اللحم ، والجرد : جمع أجرد ، وهو الأملس ، والمتون : جمع متن ، وهو الظهر ، والآراب : المفاصل ، وفى الحديث : « أمرت أن أسجد على سبعة آراب » قاله السهيلى ، وقال أبوذر : « الآراب هنا جمع أربة ، وهى القطعة من اللحم » اه

قُودًا تَرَاحُ إلى الصِّيَاحِ إذَا غَدَتْ
فِعْلَ الضِّرَاءِ تَرَاحُ لِلْكَلَّابِ (١)
وَتَحُوطُ سَائِمَةَ الدِّيَارِ وتَارَةً تُرْدِي الْعِدَى وَتَئُوبُ بِالأَسْلَابِ (٢)
حُوشُ الْوُحُوشِ مُطَارَةٌ عِنْدَ الْوَغَى
عُبْسُ اللِّقَاءِ مُبِينَةُ الإِنْجَابِ (٣)
عُلِفَتْ عَلَى دَعَةٍ فَصَارَتْ بُدَّنًا
دُخْسَ الْبَضِيعِ خَفِيفَةَ الأَقْصَابِ (٤)
يَغْدُونَ بِالزَّغْفِ الْمُضَاعِفِ شَكُّهُ
وَبِمُتْرَصَاتٍ فِي الثِّقَافِ صِيَابِ (٥)

---

(١) القود : جمع أقود أو قوداء ، وهو الطويل . وتراح : تنشط ، والضراء : الكلاب الضارية ، وفي الحديث : « إن قيسا ضراء الله في الأرض » يريد أنها أسده الضارية ، والكلاب : جمع كالب ، وهو صاحب الكلاب الذي يصيد بها ، وقد يكون الكلاب بفتح الكاف على أنه بمعنى ذو الكلاب

(٢) السائمة : الماشية المرسلة في المرعى إبلا كانت أو غيرها ، وتردى : تهلك ، وتؤوب : ترجع

(٣) حوش الوحوش : أي أنها تنفرها ، ومطارة : مستخفة ، والوغى : الحرب ، والعبس : جمع عبوس ، والانجاب : الكرم والعتق

(٤) البدن : جمع بادن ، وهو السمين ، والدخس : الكثيرة اللحم ، والبضيع : اللحم المستطيل ، والأقصاب : جمع قصب - بضم القاف وسكون الصاد المهملة - وهو المعى ، ومنه سمى الجزار قصابا

(٥) الزغف : الدروع اللينة ، وقوله « المضاعف شكه » أى نسجه وحلقه ، وفي نسخة « المضاعف نسجه » وقوله « وبمترصات » أراد بها الرماح المحكمة المثقفة ، وقوله « صياب » أى الصائبة

وَصَوَارِمٍ نَزَعَ الصَّيَاقِلُ غُلْبَهَا   وَبِكُلِّ أَرْوَعَ مَاجِدِ الأَنْسَابِ (١)

يَصِلُ الْيَمِينَ بِمَارِنٍ مُتَقَارِبٍ   وُكِلَتْ وَقِيعَتُهُ إِلَى خَبَّابِ (٢)

وَأَغَرَّ أَزْرَقَ فِي الْقَنَاةِ كَأَنَّهُ   فِي طُخْيَةِ الظَّلْمَاءِ ضَوْءُ شِهَابِ (٣)

وَكَتِيبَةٍ يَنْفِي الْقِرَانَ قَتِيرُهَا   وَتَرُدُّ حَدَّ قَوَاحِزِ النُّشَّابِ (٤)

جَأْوَى مُلَمْلِمَةٍ كَأَنَّ رِمَاحَهَا   فِي كُلِّ مَلْحَمَةٍ صَرِيمَةُ غَابِ (٥)

تَأْوِي إِلَى ظِلِّ اللِّوَاءِ كَأَنَّهُ   فِي صَعْدَةِ الْخَطِّيِّ فَيْءُ عُقَابِ (٦)

أَعْيَيْتَ أَبَا كَرِبٍ وَأَعْيَيْتَ تُبَّعًا   وَأَبَتْ بَسَالَتُهَا عَلَى الأَعْرَابِ (٧)

---

(١) الصوارم : السيوف القاطعة ، وغلبها : خشونتها وما علاها من الصدأ والأروع : الذى يروعك بكماله وجماله ، والماجد : الشريف

(٢) المارن : الرمح اللين ، ووقيعته : صنعته وتطريقه وتحديده وصقله والميقعة ـ بكسر الميم وفتح القاف ـ المطرقة التى يطرق بها الحديد ، وخباب هنا : اسم قين

(٣) قوله « وأغر أزرق » يريد به سنانا ، والطخية : شدة السواد ، وطخاء القلب : ظلمته

(٤) القران ـ بكسر القاف ـ تقارن النبل ، والقتير هنا : مسامير حلق الدرع

(٥) جأوى : أراد جأواء فقصر حين اضطر إلى ذلك ، والجأواء : التى يخالط سوادها حمرة ، والململة : المجتمعة ، والصريمة : اللهب المتوقد ، والغاب : الشجر الملتف

(٦) الصعدة : القناة المستوية ، والخطى : الرماح ، والفىء : الظل

(٧) أبو كرب وتبع : من ملوك اليمن ، وسبق ذكرهما فى أول الكتاب ، وبسالتها : شدتها وكراهيتها

وَمَوَاعِظٌ مِنْ رَبِّنَا نُهْدَى بِهَا بِلِسَانِ أَزْهَرَ طَيِّبِ الْأَثْوَابِ (١)

عُرِضَتْ عَلَيْنَا فَاشْتَهَيْنَا ذِكْرَهَا

مِنْ بَعْدِ مَا عُرِضَتْ عَلَى الْأَحْزَابِ

حِكَمًا يَرَاهَا الْمُجْرِمُونَ بِزَعْمِهِمْ حَرَجًا وَيَفْهَمُهَا ذَوُو الْأَلْبَابِ (٢)

جَاءَتْ سَخِينَةُ كَيْ تُغَالِبَ رَبَّهَا فَلَيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الْغَلَّابِ (٣)

قال ابن هشام : حدثني من أثق به ، قال : حدثني عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال : لما قال كعب بن مالك : —

(١) الأزهر : الأبيض ، وطيب الأثواب : كناية عن العفاف والطهر ، وأراد به النبي صلى الله عليه وسلم

(٢) الحرج هنا : الحرام ، والألباب : جمع لب ، وهو العقل

(٣) « سخينة » هذا لقب نبزت به قريش في الجاهلية ، قال السهيلي : « ذكروا أن قصيا كان إذا ذبحت ذبيحة أو نحرت نحيرة بمكة أتى بعجزها فصنع منه خزيرة ، وهو لحم يطبخ ببر ؛ فيطعمه الناس ، فسميت قريش بها سخينة ، وقيل : إن العرب كانوا إذا أسنتوا أكلوا العلهز ، وهو الوبر والدم وتأكل قريش الخزيرة والفتيتة ، فنفست عليهم ذلك ، فلقبوهم سخينة ، ولم تكن قريش تكره هذا اللقب ، ولو كرهته ما استجاز كعب أن يذكره ورسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ، ولتركه أدبا مع النبي عليه السلام ، إذ كان قرشيا ، ولقد استنشد عبد الملك بن مروان ماقاله الهوازني في قريش :ـ

يَا شَدَّةً مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ عَلَى سَخِينَةَ لَوْلَا اللهُ وَالْحَرَمُ

فقال : ما زاد هذا على أن استثنى ، ولم يكره سماع التلقيب بسخينة ، فدل هذا على أن هذا اللقب لم يكن مكروها عندهم ولا كان فيه تعيير لهم بشيء يكره » اهقال ابو رجاء : وفي قصة معاوية رحمه الله مع التيمي ما يؤخذ منه أنهم كانوا يعيرون بذلك ويستحون من ذكره

جاءتْ سَخِينَةُ كَيْ تُغَالِبَ رَبَّهَا   فَلَيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الغَــــلَّابِ

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ شَكَرَكَ اللهُ يا كَعْبُ عَلَى قَوْلِكَ هٰذَا »

قال ابن إسحق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق : —

قصيدة لكعب بن مالك فى يوم الخندق

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يُمَعْمِعُ بَعْضُهُ   بَعْضًا كَمَعْمَعَةِ الْأَبَاءِ الْمُحْرَقِ (١)

فَلْيَأْتِ مَأْسَدَةً تُسَنُّ سُيُوفُهَا   بَيْنَ الْمَذَادِ وَبَيْنَ جِذْعِ الْخَنْدَقِ (٢)

دَرِبُوا بِضَرْبِ الْمُعْلِمِينَ وَأَسْلَمُوا   مُهَجَاتِ أَنْفُسِهِمْ لِرَبِّ الْمَشْرِقِ (٣)

فى عُصْبَةٍ نَصَرَ الْإِلَٰهُ نَبِيَّهُ   بِهِمُ وَكَانَ بِعَبْدِهِ ذَا مَرْفَقِ

---

(١) المعمعة : صوت التهاب النار وحريقها فيما عظم وكثف من القصباء ونحوها ، والأباء بفتح الهمزة وتخفيف الباء ـ القصب ، ويقال : هو الأغصان الملتفة

(٢) المأسدة : موضع الأسود ، وأراد هنا موضع الحرب ، والمذاد : اسم موضع القتال ، والجزع : جانب الوادى ، قال السهيلى : « وقوله تسن سيوفها بنصب الفاء ، وهو الأصح عند القاضى أبى الوليد ، ووقع فى الأصل عند أبى بحر بالرفع ، ومعنى الرواية الأولى تسن أى تصقل ، ومعنى الرواية الثانية أى تسن للأبطال من الرجال سنة الجراءة والاقدام » اه كلامه ، وهذ الذى ذكره فى تفسير الروايتين على أن قوله « تسن » بالبناء للمعلوم ، فأما النصب فعلى استتار الفاعل عائدا إلى المأسدة ، وأما الرفع فعلى أن سيوفها هو الفاعل والمفعول محذوف ، ويروى ببناء تسن للمجهول ، فسيوفها مرفوع البتة على أنه نائب فاعل وهو بمعنى رواية النصب التى ذكرها (وانظر : ص٢٩٩ هـ ١ من هذا الجزء)

(٣) المعلمون : الذين يعلمون أنفسهم فى الحرب بعلامة يعرفون بها ، والمهجات : جمع مهجة ، وهى النفس ، ويقال : هى خيال النفس وذكاؤها وقوله « لرب المشرق » فى هذه العبارة الاكتفاء ، والمراد لرب المشرق والمغرب :

فى كُلِّ سَابِغَةٍ تَحُطُّ فُضُولُهَا ... كالنِّهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ الْمُتَرَقْرِقِ (١)

بَيْضَاءَ مُحْكَمَةٍ كأَنَّ قَتِيرَهَا

حَدَقُ الْجَنَادِبِ ذَاتَ شَكٍّ مُوثَقِ (٢)

جَدْلاَءَ يَحْفِزُهَا نِجَادُ مُهَنَّدٍ

صَافِي الْحَدِيدَةِ صَارِمٍ ذِي رَوْنَقِ (٣)

تِلْكُمْ مَعَ التَّقْوَى تَكُونُ لِبَاسَنَا

يَوْمَ الْهِيَاجِ وكُلَّ سَاعَةِ مَصْدَقِ

نَصِلُ السُّيُوفَ إذَا قَصُرْنَ بِخَطْوِنَا

قُدُمًا وَنُلْحِقُهَا إذَا لَمْ تَلْحَقِ

فَتَرَى الْجَمَاجِمَ ضَاحِيًا هَامَاتُهَا

بَلْهَ الأَكُفَّ كأَنَّهَا لَمْ تُخْلَقِ (٤)

---

(١) تحط فضولها : أى ينجر على الأرض ما فضل منها ، والنهى : الغدير من الماء ، والمترقرق : الذى تصفقه الريح فيجىء ويذهب ، ويروى « المترقق » وهو من الرقة

(٢) القتير : مسامر حلق الدروع ، والجنادب : ذ ور الجراد ، والشك : النسج وإحكام السرد

(٣) الجدلاء : الدرع المحكمة النسج ، ويحفزها : يرفعها ويشمرها ، والنجاد : حائل السيف ، والمهند : السيف ، والصارم : القاطع ، والرونق : اللمعان

(٤) الجماجم : جمع جمجمة ، وهى عظام الرأس ، وضاحيا : بارزا للشمس ، ومنه قوله تعالى : « إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى » ، وبله : اسم فعل أمر معناه اترك ودع ، والأكف : منصوب به ، ويروى بله الأكف بالخفض فهذا على أن بله مصدر أضافه إلى مفعوله كما فى قوله تعالى : (فضرب الرقاب)

نَلْقَى الْعَـدُوَّ بِفَخْمَـةٍ مَلْمُومَةٍ
تَنْفِي الْجُمُوعَ كَقَصْدِ رَأْسِ الْمُشْرِقِ (١)
وَنُعِدُّ لِلْأَعْدَاءِ كُلَّ مُقَلَّصٍ وَرْدٍ وَمَحْجُولِ الْقَوَائِمِ أَبْلَقِ (٢)
تَرْدِي بِفُرْسَانٍ كَأَنَّ كُمَاتَهُمْ عِنْدَ الْهِيَاجِ أُسُودُ طَلٍّ مُلْثِقِ (٣)
صُدُقٌ يُعَاطُونَ الْكُمَاةَ حُتُوفَهُمْ
تَحْتَ الْعَمَايَةِ بِالْوَشِيجِ الْمُزْهِقِ (٤)
أَمَرَ الْإِلَهُ بِرَبْطِهَا لِعَدُوِّهِ فِي الْحَرْبِ إِنَّ اللهَ خَيْرُ مُوَفِّقِ
لِتَكُونَ غَيْظًا لِلْعَدُوِّ وَحُيَّطًا لِلدَّارِ إِنْ دَلَفَتْ خُيُولُ النُّزَّقِ (٥)

---

(١) الفخمة : الكتيبة ، والملمومة : المجتمعة ، والمشرق هنا : اسم جبل ويروى « كرأس قدس المشرق » فعلى هذا قدس جبل وهو غير مصروف والمشرق نعت له

(٢) كل مقلص . أراد فرسا خفيفا مشمرا ، والورد من الخيل : ما كان بين الكميت والأشقر ، وهو بفتح الواو وسكون الراء ، والمحجول : الذى فى قوائمه بياض يخالف سائر لونه

(٣) تردى : تسرع ، والضمير المستتر يعود إلى الخيل ، والكماة : جمع كمى ، وهو الشجاع ، والهياج الحرب ، والطل - بفتح الطاء - الضعيف من المطر ، والملثق : الذى يبل ، من اللثق ، وهو البلل

(٤) صدق : هو من أوصاف الكماة ، ومعناه أنهم يصدقون عند القتال والحتوف : جمع حتف ، وهو الموت ، والعماية — بفتح العين المهملة — السحابة التى تنعقد من الغبار الذى تثيره سنابك الخيل ، والوشيج : الرماح ، والمزهق : الذى يذهب النفوس ويهلكها

(٥) حيطا : هو جمع حائط الذى هو اسم فاعل من حاط يحوط ، ودلفت : سارت ومشت ، وأراد إن قربت من ديارهم ، والنزق : جمع نازق ، وهو الغاضب السيء الخلق

وَيُعِينُنَا اللهُ الْعَزِيزُ بِقُوَّةٍ مِنْهُ وَصِدْقِ الصَّبْرِ سَاعَةَ نَلْتَقِي
وَنُطِيعُ أَمْرَ نَبِيِّنَا وَنُجِيبُهُ وَإِذَا دَعَا لِكَرِيهَةٍ لَمْ نُسْبَقِ
وَمَتَى يُنَادِ إِلَى الشَّدَائِدِ نَأْتِهَا وَمَتَى نَرَ الْحَوْمَاتِ فِيهَا نُعْنِقِ (١)
مَنْ يَتَّبِعْ قَوْلَ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ فِينَا مُطَاعُ الْأَمْرِ حَقُّ مُصَدَّقِ (٢)
فَبِذَاكَ يَنْصُرُنَا وَيُظْهِرُ عِزَّنَا وَيُصِيبُنَا مِنْ نَيْلِ ذَاكَ بِمِرْفَقِ (٣)
إِنَّ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ مُحَمَّدًا كَفَرُوا وَضَلُّوا عَنْ سَبِيلِ الْمُتَّقِي

قال ابن هشام : أنشدني بيته « تلكم مع التقوى تكون لباسنا » وبيته « مَنْ يتبع قول النبي » أبو زيد ، وأنشدني « تنفى الجموع كرأس قدس المشرق »

قال ابن إسحق : وقال كعب بن مالك في يوم الخندق : —

قصيدة لكعب بن مالك في يوم الخندق

لَقَدْ عَلِمَ الْأَحْزَابُ حِينَ تَأَلَّبُوا عَلَيْنَا وَرَامُوا دِينَنَا مَا نُوَادِعُ (٤)
أَضَامِيمُ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ أَصْفَقَتْ وَخِنْدِفَ لَمْ يَدْرُوا بِمَا هُوَ وَاقِعُ (٥)

---

(١) الحومات : جمع حومة ، وهي موضع القتال ، ونعنق : نسير العنق ، وهو من أنواع السير السريع

(٢) حق مصدق - باضافة الأول إلى الثاني - أي مصدق حقا

(٣) المرفق - بزنة مجلس أو مقعد أو منبر - هو الرفق ، وهو اللطف وما يستعان به ، تقول منه : رفق به ، ورفق عليه — بفتح الفاء أو كسرها -

(٤) تألبوا : تجمعوا ، وما نوادع : هو من الموادعة ، وهي الصلح والمهادنة

(٥) أضاميم : جماعات انضم بعضها إلى بعض ، وروى أصاميم - بالصاد

يَذُودُونَنَا عَنْ دِينِنَا وَنَذُودُهُمْ
عَنِ الْكُفْرِ وَالرَّحْمٰنُ رَاءٍ وَسَامِعُ (١)
إِذَا غَايَظُونَا فِي مَقَامٍ أَعَانَنَا ... عَلَى غَيْظِهِمْ نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَاسِعُ
وَذَلِكَ حِفْظُ اللهِ فِينَا وَفَضْلُهُ ... عَلَيْنَا وَمَنْ لَمْ يَحْفَظِ اللهُ ضَائِعُ
هَدَانَا لِدِينِ الْحَقِّ وَاخْتَارَهُ لَنَا ... وَلِلّٰهِ فَوْقَ الصَّانِعِينَ صَنَائِعُ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له

قصيدة أخرى لكعب بن مالك فى يوم الخندق

قال ابن إسحق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق : —

أَلاَ أَبْلِغْ قُرَيْشًا أَنَّ سَلْعًا ... وَمَا بَيْنَ الْعُرَيْضِ إِلَى الصِّمَادِ (٢)

المهملة ـ ومعناه خالصون فى أنسابهم ، وأصفقت : اجتمعت وتوافقت على الأمر

(١) يذودوننا : يدفعوننا ، ويمنعوننا ، يريد أنهم إنما يدفعوننا عن الحق الذى هو ديننا ونحن إنما ندفعهم عن الباطل الذى هو الكفر ، والله تعالى يرى أعمالنا وأعمالهم ويسمع منا ومنهم وهو يجازى كل فريق منا بما يستحقه

(٢) سلع ـ بفتح السين وسكون اللام ـ اسم جبل فى سوق المدينة ، وقال الأزهرى : هو اسم موضع بقرب المدينة ، والعريض ـ بضم العين وفتح الراء المهملة بعدها ياء مثناة ـ قال ياقوت « هو واد بالمدينة له ذكر فى المغازى ، خرج أبو سفيان من مكة حتى بلغ العريض وادى المدينة فأحرق صورا من صيران وادى العريض ثم انطلق هو وأصحابه هاربين إلى مكة » اه كلامه . وقال أبو ذر : « العريض : موضع ، ويحتمل أن يكون تصغير عرض ، واحد الأعراض ، وهى أودية خارج المدينة فيها النخل والشجر » اه كلامه ، والصماد بكسر الصاد المهملة ـ قال ياقوت : جبل ، وقال أبو ذر : « هو موضع ، ويمكن أن يكون جمع صمد ، وهو المرتفع من الأرض » اه كلامه . وهو فى رواية أبى ذر بالصاد المهملة أيضا وإن وقع فى نسخته محرفا بالضاد المعجمة ، وصمد فى كلامه كفلس

نَوَاضِحُ فِي الْحُرُوبِ مُدَرَّبَاتٌ   وَخُوصٌ ثُقِّبَتْ مِنْ عَهْدِ عَادِ (١)
رَوَاكِدُ يَزْخَرُ الْمُرَّارُ فِيهَا   فَلَيْسَتْ بِالْجِمَامِ وَلاَ الثِّمَادِ (٢)
كَأَنَّ الْغَابَ وَالْبَرْدِيَّ فِيهَا   أَجَشُّ إِذَا تَبَقَّعَ لِلْحَصَادِ (٣)
وَلَمْ نَجْعَلْ تِجَارَتَنَا اشْتِرَاءَ الـ   حَمِيرِ لِأَرْضِ دَوْسٍ أَوْ مُرَادِ (٤)
بِلاَدٌ لَمْ تُثَرْ إِلاَّ لِكَيْمَا   نُجَالِدُ إِنْ نَشِطْتُمْ لِلْجِلاَدِ (٥)
أَثَرْنَا سِكَّةَ الْأَنْبَاطِ فِيهَا   فَلَمْ تَرَ مِثْلَهَا جَلْهَاتِ وَادِ (٦)
قَصَرْنَا كُلَّ ذِي حُضْرٍ وَطَوْلٍ   عَلَى الْغَايَاتِ مُقْتَدِرٍ جَوَادِ (٧)

---

(١) النواضح : الابل التى يستقى عليها الماء ، والخوص : الآبار الضيقة. وثقبت : حفرت ، وأراد بعهد عاد قدمها

(٢) الرواكد: الثابتة الدائمة ، ويزخر : يعلو ويرتفع ، تقول :زخر البحر والنهر - مثل منع يمنع - إذا ارتفع ماؤه وعلا ، وتقول : زخر الوادى ، إذا امتد جدا ، والمرار : الذى يمر فيها ، ويروى المداد ، وهو الذى يمدها من الماء ، وأراد بهذه العبارة أنها تفيض بالماء ، والجمام : جمع جمة ، وهى التى تراجع ماؤها ، وتقول : جم البئر يجم - بكسر عين المضارع أو ضمها - إذا تراجع ماؤها ، والثماد : جمع ثمد ، وهو الماء القليل

(٣) البردى : شىء ينبت فى البرك تصنع منه الحصر الغلاظ ، وأجش : هو المرتفع الصوت . وتبقع : أى صارت فيه بقع صفر

(٤) دوس ومراد : قبيلتان

(٥) تثر : تحرث ، ونجالد : نحارب ، والجلاد : مجالدة العدو وحربهم

(٦) السكة : الصف من النخيل ، والأنباط : قوم من العجم ، والجلهات : جمع جلهة ، وهى ما استقبلك من الوادى إذا نظرت إليه من الجانب الآخر .

(٧) الحضر : الجرى ، وأراد بكل ذى حضر الخيل ، ويروى فى مكانه «وأثرنا كل ذى خطر» والخطر : القدر ، تقول : لفلان فى الناس خطر :

أَجِيبُـونَا إِلَى مَا نَجْتَدِيكُمْ مِنَ الْقَوْلِ الْمُبَيَّنِ وَالسَّدَادِ (١)
وَإِلاَّ فَاصْبِرُوا لِجِلاَدِ يَوْمٍ لَـكُمْ مِنَّا إِلَى شَطْرِ الْمَذَادِ (٢)
نُصَبِّحُكُمْ بِكُلِّ أَخِي حُرُوبٍ وَكُلِّ مُطَهَّمٍ سَلِسِ الْقِيَادِ (٣)
وَكُلِّ طِمِرَّةٍ خَفِقٍ حَشَاهَا تَدِفُّ دَفِيفَ صَفْرَاءِ الْجَرَادِ (٤)
وَكُلِّ مُقَلَّصِ الآرَابِ نَهْدٍ تَمِيمِ الْخَلْقِ مِنْ أُخُرٍ وَهَادِي (٥)
خُيُولٌ لاَ تُضَاعُ إِذَا أُضِيعَتْ خُيُولُ النَّاسِ فِي السَّنَةِ الْجَمَادِ (٦)
يُنَازِعْنَ الأَعِنَّةَ مُصْغِيَاتٍ إِذَا نَادَى إِلَى الْفَزَعِ الْمُنَادِي (٧)

أي قدر ، والطول : الفضل والقدرة ، وهو بفتح الطاء وسكون الواو ، والغايات : جمع غاية ، وهي حيث ينتهي طلق الفرس

(١) نجتديكم : نطلب منكم ، والقول المبين : الواضح ، والسداد : الصواب

(٢) الشطر هنا : معناه الناحية والجهة ، والمذاد : اسم موضع (انظر : ص ٢٩٩ هـ ١)

(٣) المطهم : الفرس التام الخلق ، وسلس القياد : لا يتأبى على راكبه ولا يصعب عليه

(٤) الطمرة - بكسر الطاء والميم وتشديد الراء - الفرس الخفيفة ، وخفق حشاها : مضطرب ، والدفيف - بالدال المهملة مفتوحة - المشي الخفيف ويروى « ترف رفيف » ومعناه أنها تطير في جريها ، تقول : رف الطائر ، إذا حرك جناحيه ليطير

(٥) المقلص : المنشمر الشديد ، والآراب : جمع أربة - بضم الهمزة - وهي القطعة من اللحم ، والنهد : الغليظ ، والهادي : العنق ، وأراد أنه تام الخلق من مقدم ومؤخر

(٦) السنة الجماد : سنة القحط والجدب ، يريد انهم لا يضيعون هذه الخيل بترك علفها مع تكالب الزمن واشتداد القحط فهم بها جد معنيين ، فهي لذلك جد قوية تامة الخلق

(٧) الأعنة : جمع عنان ، وهو لجام الدابة ، ومنازعة الجياد لجمها من

إِذَا قَالَتْ لَنَا النُّذُرُ اسْتَعِدُّوا تَوَكَّلْنَا عَلَى رَبِّ الْعِبَادِ (١)

وَقُلْنَا لَنْ يُفَرِّجَ مَالَقِينَا

سِوَى ضَرْبِ الْقَوَانِسِ وَالْجِهَادِ (٢)

فَلَمْ نَرَ عُصْبَةً فِيمَنْ لَقِينَا مِنَ الأَقْوَامِ مِنْ قَارٍ وَبَادِ (٣)

أَشَدَّ بَسَالَةً مِنَّا إِذَا مَا أَرَدْنَاهُ وَأَلْيَنَ فِي الْوِدَادِ (٤)

إِذَا مَا نَحْنُ أَشْرَجْنَا عَلَيْهَا

جِيَادَ الْجُدْلِ فِي الأُرُبِ الشِّدَادِ (٥)

قَذَفْنَا فِي السَّوَابِغِ كُلَّ صَقْرٍ كَرِيمٍ غَيْرِ مُعْتَلِثِ الزِّنَادِ (٦)

أمارة نشاطها ، ومصغيات : مستمعات ، والفزع : أراد به الصريخ إلى الحرب ، يريد أن هذه الجياد قد تعودت سماع صوت الداعى إلى الحرب ، فهى تجيب كلما نادى عليها لذلك

(١) النذر : جمع نذير ، وهو الذى يخبرك بما فيه خوف وشر

(٢) القوانس : أعالى بيض الحديد ، والجهاد : معطوف على ضرب القوانس .

(٣) قار : أراد به من كان من أهل القرى ، والبادى : من كان من أهل البادية

(٤) البسالة : الشجاعة ، يريد أنهم فى الحروب أبسل الناس ، وفى السلم ألين الناس خلقا

(٥) أشرجنا : ربطنا ، والجدل : جمع جدلاء ، وهى الدرع المحكمة النسج و « الأرب » تروى هذه الكلمة بالراء المهملة وتروى بالزاى ، فأما من رواه بالراء المهملة فهو جمع أربة ، وهى العقدة ، وأما من رواه بالزاى فقد عنى بها الضيق والشدائد

(٦) السوابغ : جمع سابغة ، وهى الدرع الكاملة التامة التى تعم

أَشَمّ كَأَنَّهُ أَسَدٌ عَبُوسٌ غَدَاةَ بَدَا بِبَطْنِ الْجِزْعِ غَادِ (١)
يُغَشِّى هَامَةَ الْبَطَلِ الْمُذَكِّي صَبِيَّ السَّيْفِ مُسْتَرْخِي النِّجَادِ (٢)
لِنُظْهِرَ دِينَكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا بِكَفِّكَ فَاهْدِنَا سُبُلَ الرَّشَادِ (٣)

قال ابن هشام : بيته « قصرنا كل ذى حُضْرٍ وطول » والبيت الذى يتلوه والبيت الثالث منه والبيت الرابع منه و بيته « أشم كأنه أسد عبوس » والبيت الذى يتلوه ، عن أبى زيد الأنصارى

قصيدة لمسافع بن عبد مناف يرثى عمرو بن عبد ود

قال ابن إسحق : وقال مُسَافع بن عبد مناف بن وَهْب بن حُذَافة ابن جُمَح ، يبكى عمرو بن عبد وُدٍّ ، ويذكر قتل على بن أبى طالب رضوان الله عليه إياه : —

صاحبها ، والزناد المعتلث : هو الذى إذا قدح لم يور ناراً ، ويقال : هو الذى يقطع من شجرة لا يدرى أيورى ناراً أم لا يورى

(١) أشم : هو الذى به شمم ، وأصله ارتفاع قصبة الأنف ، وعند العرب أن ذلك من دلائل العزة ، وقوله « بدا » تروى هذه الكلمة على ثلاثة أوجه : الأول « بدا » بالباء الموحدة ، ومعناه ظهر ، تقول : بدا الشىء يبدو ؛ إذا ظهر ، والوجه الثانى « يرى » بياء المضارعة والراء ، وهو فعل مضارع من الرؤية ، وهو مبنى للمجهول ، والوجه الثالث « ندا » بالنون والدال المهملة ، وهو من الندى الذى هو المجلس قال ذلك أبو ذر ، وعندنا أن اشتقاق الأخير من قولهم : فلان أندى صوتا من فلان ؛ اذا كان صوته ارفع من صوته وأجهر ، والجزع : جانب الوادى أو ما انعطف منه

(٢) المذكى : الذى بلغ الغاية فى القوة ، وصبى السيف : وسطه ، وذبابه : طرفه ، والنجاد : حمائل السيف ، ومعنى أنه مسترخى الحمائل أنه طويلها ، وذلك كناية عن طول قامته ، والعرب تتمدح بذلك

(٣) بكفك : يريد أنهم تحت قدرة الله تعالى وفى تصرفه ، ويدعوه جل شأنه لأنفسهم بالهداية

عَمْرُو بْنُ عَبْدٍ كَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ
جَزَعَ الْمَذَادَ وَكَانَ فَارِسَ يَلْيَلِ (١)

سَمْحُ الْخَلَائِقِ مَاجِدٌ ذُو مِرَّةٍ
يَبْغِي الْقِتَالَ بِشِكَّةٍ لَمْ يَنْكُلِ (٢)

وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ حِينَ وَلَّوْا عَنْكُمُ أَنَّ ابْنَ عَبْدٍ فِيهِمُ لَمْ يَعْجَلِ
حَتَّى تَكَنَّفَهُ الْكُمَاةُ وَكُلُّهُمْ يَبْغِي مَقَاتِلَهُ وَلَيْسَ بِمُؤْتَلِ (٣)

وَلَقَدْ تَكَنَّفَتِ الْأَسِنَّةُ فَارِسًا
بِجُنُوبِ سَلْعٍ غَيْرَ نِكْسٍ أَمْيَلِ (٤)

---

(١) جزع : قطع ، والمذاد : اسم مكان من ذاد يذود ، ومعناه مكان الدفاع ، وهو معترك الحرب ، ويليل : وادى بدر ، وكان عمرو بن ود حضر موقعة بدر ولم يشهد أحداً على ما سبق بيانه للمؤلف

(٢) المرة - بكسر الميم وتشديد الراء - الشدة والقوة ، والشكة : السلاح ، ولم ينكل : لم يرجع ولم يتأخر من هيبة أو خوف أو نحوهما

(٣) تكنفه : أحاط به والتفوا حوله ، والكنف : الناحية ، وأصل معنى تكنفه : جاءه من أكنافه كلها : أي من نواحيه ، والكماة : جمع كمي ، وهو الشجاع ، والمقاتل - بفتح الميم - جمع مقتل ، وهو مكان القتل ، وليس بمؤتل : غير مقصر فى بلوغ مراده ، يريد أنهم التفوا حوله يريدون قتله وليس فيهم إلا حريص على ذلك

(٤) الأسنة : جمع سنان الرمح ، وأراد حامليها ، وسلع : جبل بالمدينة أو مكان على ما سبق ، والنكس - بكسر النون وسكون الكاف - الدنىء من الرجال ، والأميل : الذى لا رمح معه ، وقيل : هو الذى لا ترس معه .

تَسَلُ النَّزَالَ عَلِيُّ فَارِسَ غَالِبٍ بِجَنُوبِ سَلْعٍ لَيْتَهُ لَمْ يَنْزِلِ [1]
فَاذْهَبْ عَلِيُّ فَمَا ظَفِرْتَ بِمِثْلِهِ
فَخْرًا وَلاَ لاَقَيْتَ مِثْلَ الْمُعْضِلِ [2]
نَفْسِى الْفِدَاءُ لِفَارِسٍ مِنْ غَالِبٍ
لاَقَى حِمَامَ الْمَوْتِ لَمْ يَتَحَلْحَلِ [3]
أَعْنِى الَّذِى جَزَعَ الْمَذَادَ بِمُهْرِهِ طَلَبًا لِثَأْرِ مَعَاشِرٍ لَمْ يَخْذُلِ [4]

كلمة أخرى لمسافع بن عبد مناف فى مقتل عمرو

وقال مسافع أيضاً يُؤَنِّبُ فرسان عمرو الذين كانوا معه فأجْلَوْا عنه وتركوه : —

عَمْرُو بْنُ عَبْدٍ وَالْجِيَادُ يَقُودُهَا خَيْلٌ تُقَادُ لَهُ وَخَيْلٌ تُنْعَلُ [5]

---

(١) تسل : أراد تسأل ، فألقى حركة الهمزة على السين ثم حذف الهمزة ، وفاعله ضمير مستتر للمخاطب ، والنزال : مفعوله ، وعلى : منادى ، وفارس غالب : مفعول آخر لتسل ؛ يريد أتسأل يا على فارس غالب النزال بجنوب سلع ؟ وحذف همزة الاستفهام لانسياق معناها مع الكلام ، ثم تمنى أن لم يكن نزل

(٢) أصل المعضل : الأمر الشديد الذى يصعب حله ويتعذر الخلاص منه ؛ واستعاره ههنـــا للفارس الذى يتحدث عنه ؛ يريد أنه لم يكن أحد ليستطيع أن ينال منه شيئاً

(٣) لم يتحلحل : لم يبرح مكانه ولم يفارقه

(٤) جزع : قطع ، والمذاد : معترك الحرب ، وتقدم قريباً (١٥ ص ٢٩٩) ولم يخذل : أراد لم يخذل قومه ؛ فحذف المفعول به

(٥) وخيل تنعل : يريد تقوى له وتعد وتهيأ بالباسها الحديد فى قوائمها وقال المجد : « ونعل الدابة : ألبسها النعل كأنعلها ونعلها (بالتضعيف) . . . وفرس منعل ـ كمكرم ـ شديد الحافر » اه كلامه

أَجْلَتْ فَوَارِسُهُ وَغَادَرَ رَهْطَهُ رُكْنًا عَظِيمًا كَانَ فِيهَا أَوَّلُ (١)
عَجَبًا وَإِنْ أَعْجَبْ فَقَدْ أَبْصَرْتُهُ مَهْمَا تَسُومُ عَلِيُّ عَمْرًا يَنْزِلُ (٢)
لاَتَبْعَدَنَّ فَقَدْ أُصِبْتُ بِقَتْلِهِ وَلَقِيتُ قَبْلَ الْمَوْتِ أَمْرًا يَثْقُلُ
وَهُبَيْرَةُ الْمَسْلُوبُ وَلَّى مُدْبِرًا عِنْدَ الْقِتَالِ مَخَافَةً أَنْ يُقْتَلُوا
وَضِرَارُ كَانَ الْبَأْسُ مِنْهُ مُحْضَرًا وَلَّى كَمَا وَلَّى اللَّئِيمُ الْأَعْزَلُ (٣)

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له ، وقوله : « عمراً ينزل » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال هبيرة بن أبي وهب يعتذر عن فراره ، ويبكى عمراً ، ويذكر قتل علىّ إياه :—

كلمة لهبيرة بن أبى وهب يعتذر عن فراره ويرثى عمرو ابن عبدود

لَعَمْرِيَ مَاوَلَّيْتُ ظَهْرِى مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ جُبْنًا وَلاَ خِيفَةَ الْقَتْلِ
وَلَكِنَّنِى قَلَّبْتُ أَمْرِى فَلَمْ أَجِدْ لِسَيْفِى غَنَاءً إِنْ ضَرَبْتُ وَلاَ نَبْلِى (٤)

---

(١) أجلت فوارسه : أراد تفرقت ، وغادر : ترك ، ورهطه : معشره وقومه ، وبنى « أول » على الضم لحذف الاسم الذى كان مضافاً إليه مع نية معناه دون لفظه ، وأصل الكلام : كان فيها أول الناس ، مثلا

(٢) تسوم : مضارع سامه يسومه ، إذا كلفه وطلب منه ، وعلى : منادى وعمراً : مفعول تسوم ، وكان من حقه أن يحذف الواو من تسوم ويجزم آخره بمهما

(٣) الأعزل : الذى لا سلاح معه

(٤) يعتذر عن الفرار بأنه إنما فر لأنه وجد أن البقاء لا يفيد : لأنه إن أعمل سيفه ونبله لم ينل من عدوه المنال الذى يبغيه ، وهى حجة فى مقدور كل أحد أن يقولها

وَقَفْتُ فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِي مُقَدَّمًا
صَدَرْتُ كَضِرْغَامٍ هِزَبْرٍ أَبِي شِبْلِ (١)
ثَنَى عِطْفَهُ عَنْ قِرْنِهِ حِينَ لَمْ يَجِدْ
مَكَرًّا وَقِدْمًا كَانَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي (٢)
فَلاَ تَبْعَدَنْ يَا عَمْرُو حَيًّا وَهَالِكًا
وَحُقَّ لِحُسْنِ الْمَدْحِ مِثْلُكَ مِنْ مِثْلِي
وَلاَ تَبْعَدَنْ يَا عَمْرُو حَيًّا وَهَالِكًا
فَقَدْ بِنْتَ مَحْمُودَ الثَّنَا مَاجِدَ الْأَصْلِ (٣)
فَمَنْ لِطِرَادِ الْخَيْلِ تُقْدَعُ بِالْقَنَا وَلِلْفَخْرِ يَوْمًا عِنْدَ قَرْقَرَةِ الْبُزْلِ (٤)
هُنَالِكَ لَوْ كَانَ ابْنُ عَبْدٍ لَزَارَهَا وَفَرَّجَهَا حَقًّا فَتًى غَيْرُ مَا وَغْلِ (٥)

---

(١) مقدما : مكان تقدم ، وصدرت : رجعت ، وفى نسخة « صددت » بالدال ، والضرغام - بكسر الضاد - الأسد ، والهزبر : الشديد ، والشبل - بكسر فسكون - ابن الأسد

(٢) ثنى : لوى ، وعطفه : جانبه ، والقرن - بكسر فسكون - الذى يقاوم فى شدة أو قتال ، ومكراً - بفتح الميم والكاف - مكان الكر ، وهو الجولان

(٣) بنت : بعدت ، والثناء : الذكر الطيب ، والماجد : الشريف

(٤) تقدع : تكف ، وتمنع ، والقرقرة : من أصوات فحول الابل ، والبزل - بضم فسكون - جمع بازل ، وهو فى الأصل البعير الذى فطر نابه وذلك زمان قوته واستكمال شدته ، فضرب به مثلا ، وضرب قرقرة البزل مثلا للتفاخرين إذا رفعوا أصواتهم بالفخر وتعداد المآثر والمحامد

(٥) « ما » فى قوله « غيرما وغل » زائدة ، وما قبلها مضاف إلى ما بعدها ، والوغل : الفاسد من الرجال

فَعَنْكَ عَلِيُّ لاَأَرَى مِثْلَ مَوْقِفٍ وَقَفْتَ عَلَى نَجْدِ الْمُقَدَّمِ كَالْفَحْلِ (١)
فَمَا ظَفِرَتْ كَفَّاكَ فَخْرًا بِمِثْلِهِ
أَمِنْتَ بِهِ مَاعِشْتَ مِنْ زَلَّةِ النَّعْلِ

وقال هبيرة بن أبي وهب يبكي عمرو بن عبد ود، ويذكر قتل علي رضوان الله عليه إياه : —

كلمة أخرى لهبيرة بن أبي وهب

لَقَدْ عَلِمَتْ عُلْيَا لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ
لَفَارِسُهَا عَمْرٌو ، إِذَا نَابَ نَائِبُ (٢)
لَفَارِسُهَا عَمْرٌو إِذَا مَا يَسُومُهُ عَلِيٌّ وَإِنَّ اللَّيْثَ لاَبُدَّ طَالِبُ (٣)
عَشِيَّةَ يَدْعُوهُ عَلِيٌّ وَإِنَّهُ
لَفَارِسُهَا إِذْ خَامَ عَنْهُ الْكَتَائِبُ (٤)
فَيَالَهْفَ نَفْسِي؛ إِنَّ عَمْرًا تَرَكْتُهُ
بِيَثْرِبَ ؛ لاَ زَالَتْ هُنَاكَ الْمَصَائِبُ

---

(١) عنك : اسم فعل أمر ، وأراد به تباعد ، والنجد : الشجاع الذي يغيث من استغاث به ، والمقدم : مصدر ميمي بمعنى الاقدام ، وأراد بتشبيهه بالفحل أن يصفه بالقوة واستكمال الفتوة على ما تقدم ذكره

(٢) إذا ناب نائب ، يريد إذا عرض أمر من الأمور التي تحتاج إلى الرجل الشجاع الذي يكشف الخطوب بحد حسامه ويفرج الكروب بشبا سنانه ؛ فان قومه حينئذ يفتقدونه ويبحثون عنه ؛ علما أنه هو الذي يدعى لمثل ذلك

(٣) يسومه : يطلب إليه ويكلفه ، وكان علي بن أبي طالب قد طلب من عمرو أن ينازله كما علمت من سياق الحديث

(٤) خام : جبن ورجع هيبة وخوفا ، والكتائب : جمع كتيبة

وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عبد وُدّ : —

حسان بن ثابت يفخر بقتل عمرو

بَقِيَّتُكُمْ عَمْرٌو أَبَحْنَاهُ بِالْقَنَا ... بِيَثْرِبَ نَحْمِى وَالْحُمَاةُ قَلِيلُ (١)

وَنَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ بِكُلِّ مُهَنَّدٍ ... وَنَحْنُ وُلَاةُ الْحَرْبِ حِينَ نَصُولُ (٢)

وَنَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ بِبَدْرٍ فَأَصْبَحَتْ ... مَعَاشِرُكُمْ فِى الْهَالِكِينَ تَجُولُ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت أيضاً فى شأن عمرو [بن عبد ود] : —

كلمة أخرى لحسان بن ثابت فى مقتل عمرو

أَمْسَى الْفَتَى عَمْرُو بْنُ عَبْدٍ يَبْتَغِى ... بِجَنُوبِ يَثْرِبَ ثَأْرَهُ لَمْ يُنْظَرِ (٣)

فَلَقَدْ وَجَدْتَ سُيُوفَنَا مَشْهُورَةً ... وَلَقَدْ وَجَدْتَ جِيَادَنَا لَمْ تُقْصَرِ (٤)

---

(١) بقيتكم : يريد أن هذا ما بقى من فرسانكم بعد يوم بدر الذى جدلنا فيه منكم كل كمى ، وأبحناه بالقنا : يريد قتلناه ، والحماة : جمع حام

(٢) المهند : السيف ، وولاة الحرب : أراد نحن أهلها ، ونصول : مضارع صال على خصمه

(٣) لم ينظر — بالبناء للمجهول — أى لم يؤخر ، ومنه قوله تعالى على لسان إبليس : (رب أنظرنى إلى يوم يبعثون) وهذه الجملة فى محل نصب حال من الفتى أو خبر ثان لأمسى ، يريد أنه أمسى قتيلا غير مؤخر

(٤) مشهورة : قد شهرها أصحابها فى أيديهم ، يريد أنه وجد فرسانهم على استعداد للقتال ، ولم تقصر — بالبناء للمجهول — لم تكف ولم تحبس عن التجوال

وَلَقَدْ لَقِيتَ غَدَاةَ بَدْرٍ عُصْبَةً

ضَرَبُوكَ ضَرْبًا غَيْرَ ضَرْبِ الْحُسَّرِ (١)

أَصْبَحْتَ لاَ تُدْعَى لِيَوْمِ عَظِيمَةٍ يَا عَمْرُو أَوْ لِجَسِيمِ أَمْرٍ مُنْكَرِ

قال ابن هشام : و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان

قال ابن إسحق : وقال حسان [بن ثابت] أيضا : —

كلمة أخرى لحسان ابن ثابت

أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا هِدْمٍ رَسُولاً مُغَلْغَلَةً تَخُبُّ بِهَا الْمَطِيُّ (٢)

أَكُنْتُ وَلِيَّكُمْ فِي كُلِّ كُرْهٍ

وَغَيْرِي فِي الرَّخَاءِ هُوَ الْوَلِيُّ

وَمِنْكُمْ شَاهِدٌ وَلَقَدْ رَآنِي رُفِعْتُ لَهُ كَمَا احْتُمِلَ الصَّبِيُّ

قال ابن هشام : وتروى هـذه الأبيات لربيعة بن أمية الديلى ،

ويروى فيها آخرها : —

كَبَبْتَ الْخَزْرَجِيَّ عَلَى يَدَيْهِ وَكَانَ شِفَاءَ نَفْسِي الْخَزْرَجِيُّ (٣)

وتروى أيضا لأبى أسامة الجشمى

---

(١) الحسر - بضم الحاء المهملة وتشديد السين مفتوحة - جمع حاسر ، وهو الذى لا درع له ، وتروى بالخاء المعجمة والسين المهملة ، وهو جمع خاسر ، وهو اسم فاعل من الخسران ، وهو الهلاك ، وتروى بالخاء المعجمة والشين المعجمة أيضا ، وهم الضعفاء من الناس .

(٢) الرسول : أراد به ههنا الرسالة ، والمغلغلة : التى تحمل من بلد إلى بلد ، وتخب : تسير الخبب ، وهو ضرب من السير السريع ، والمطى : جمع مطية ، وهى فعيلة من المطو .

(٣) كببت : أسقطت ، وأراد بكبه على يديه قتله ، وتقول : كبه الله فأكب هو ، وهو من نوادر الأبنية

كلمة أخرى لحسان بن ثابت يرثى سعدا

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت فى [يوم] بنى قُرَيْظة ، يبكى سَعْدَ ابن مُعَاذ ، ويذكر حكمه فيهم : —

لَقَدْ سَجَمَتْ مِنْ دَمْعِ عَيْنِيَ عَبْرَةٌ
وَحُقَّ لِعَيْنِي أَنْ تَفِيضَ عَلَى سَعْدِ (١)

قَتِيلٌ ثَوَى فِى مَعْرَكٍ فُجِعَتْ بِهِ
عُيُونٌ ذَوَارِى الدَّمْعِ دَائِمَةُ الْوَجْدِ (٢)

عَلَى مِلَّةِ الرَّحْمٰنِ وَارِثَ جَنَّةٍ مَعَ الشُّهَدَاءِ وَفْدُهَا أَكْرَمُ الْوَفْدِ

فَإِنْ تَكُ قَدْ وَدَّعْتَنَا وَتَرَكْتَنَا وَأَمْسَيْتَ فِي غَبْرَاءَ مُظْلِمَةِ اللَّحْدِ (٣)

فَأَنْتَ الَّذِى يَاسَعْدُ أُبْتَ بِمَشْهَدٍ
كَرِيمٍ وَأَثْوَابِ الْمَكَارِمِ وَالْحَمْدِ

بِحُكْمِكَ فِي حَيَّىْ قُرَيْظَةَ بِالَّذِى
قَضَى اللهُ فِيهِمْ مَا قَضَيْتَ عَلَى عَمْدِ

فَوَافَقَ حُكْمَ اللهِ حُكْمُكَ فِيهِمُ
وَلَمْ تَعْفُ إِذْ ذُكِّرْتَ مَا كَانَ مِنْ عَهْدِ

---

(١) سجمت : سالت ، تقول : سجم الدمع ؛ إذا سال ، والعبرة ـ بفتح العين وسكون الباء ـ الدمعة

(٢) ثوى : أقام ، والمعرك : موضع القتال فى الحرب ، وذوارى : جمع ذارية ، وهى السائلة ، والوجد : الحزن الشديد

(٣) الغبراء : أراد بها القبر ، واللحد : الشق الذى يلحد للميت فى جانب القبر : أى يشق

فَإِنْ كَانَ رَيْبُ الدَّهْرِ أَمْضَاكَ فِي الْأُولَى
شَرَوْا هٰذِهِ الدُّنْيَا بِجَنَّاتِهَا الْخُلْدِ (١)
فَنِعْمَ مَصِيرُ الصَّادِقِينَ إِذَا دُعُوا
إِلَى اللهِ يَوْمًا لِلْوَجَاهَةِ وَالْقَصْدِ

وقال حسان بن ثابت أيضا يبكى سعد بن معاذ ورجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهداء، ويذكرهم بما كان فيهم من الخير: —

قصيدة أخرى لحسان بن ثابت يرثى سعدا والشهداء

أَلَا يَا لَقَوْمِي هَلْ لِمَا حُمَّ دَافِعُ
وَهَلْ مَا مَضَى مِنْ صَالِحِ الْعَيْشِ رَاجِعُ (٢)
تَذَكَّرْتُ عَصْراً قَدْ مَضَى فَتَهَافَتَتْ
بَنَاتُ الْحَشَا وَانْهَلَّ مِنْهَا الْمَدَامِعُ (٣)
صَبَابَةُ وَجْدٍ ذَكَّرَتْنِي إِخْوَةً وَقَتْلَى مَضَى فِيهَا طُفَيْلٌ وَرَافِعُ (٤)
وَسَعْدٌ فَأَضْحَوْا فِي الْجِنَانِ وَأَوْحَشَتْ
مَنَازِلُهُمْ فَالْأَرْضُ مِنْهُمْ بَلَاقِعُ (٥)

---

(١) الأولى: الذين، وشروا هذه الدنيا، يريد أنهم استحبوا الدنيا، وفضلوها على الآخرة الدائمة الباقية

(٢) حم: قدر وهيئت أسبابه

(٣) تهافتت: تساقطت، وبنات الحشا: أراد بها قلبه وماقرب منه وذلك لأنها مستكنة فيه، وانهل: سال، والمدامع: أراد الدموع

(٤) الصبابة: رقة الشوق، والوجد: الحزن

(٥) بلاقع: جمع بلقع، وهو القفر الخالى

وَفَوْا يَوْمَ بَدْرٍ لِلرَّسُولِ وَفَوْقَهُمْ ظِلاَلُ الْمَنَايَا والسُّيُوفُ اللَّوَامِعُ
دَعَا فَأَجَابُوهُ بِحَقٍّ وَكُلُّهُمْ مُطِيعٌ لَهُ فى كُلِّ أَمْرٍ وَسَامِعُ
فَمَا نَكَلُوا حَتَّى تَوَالَوْا جَمَاعَةً
وَلاَ يَقْطَعُ الْآجَالَ إِلاَّ الْمَصَارِعُ (١)
لِأَنَّهُمُ يَرْجُونَ مِنْهُ شَفَاعَةً
إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلاَّ النَّبِيُّونَ شَافِعُ (٢)
فَذَلِكَ يَا خَيْرَ الْعِبَادِ بَلاَؤُنَا إِجَابَتُنَا لِلَّهِ وَالْمَوْتُ نَاقِعُ (٣)
لَنَا الْقَدَمُ الْأُولَى إِلَيْكَ وَخَلْفُنَا لِأَوَّلِنَا فى مِلَّةِ اللهِ تَابِعُ (٤)
وَنَعْلَمُ أَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَأَنَّ قَضَاءَ اللهِ لاَ بُدَّ وَاقِعُ

وقال حسان بن ثابت أيضا [فى يوم بنى قُرَيْظَةَ] : —

---

(١) نكلوا : جبنوا ورجعوا فى خوف وهيبة لعدوهم . وتوالوا : تبع بعضهم بعضا ، والمصارع : جمع مصرع ، وهو مصدر ميمى معناه القتل

(٢) هذا البيت من شواهد النحاة : يقولون : إن المستثنى قد تقدم على المستثنى منه ، وقد كان يجب أن ينتصب المستثنى كما انتصب فى قول الكميت : —

وَمَالِيَ إِلاَّ آلَ أَحْمَدَ شِيعَةٌ وَمَالِيَ إِلاَّ مَذْهَبَ الْحَقِّ مَذْهَبُ

ولهم فى بيت حسان تأويلات لانرى أن نطيل عليك بذكرها

(٣) بلاؤنا : اختبارنا ، أو عملنا ، والموت ناقع : ثابت

(٤) لنا القدم الأولى : يريد أنهم السابقون إلى الاسلام ، وخلفنا : أى آخرنا ، وهو مبتدأ خبره قوله تابع فى آخر البيت ، والجار والمجرور المتوسط بينهما متعلق بالخبر

قصيدة اخرى لحسان بن ثابت فى بنى قريظة

لَقَدْ لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ مَا سَآهَا
وَمَا وَجَدَتْ لِذُلٍّ مِنْ نَصِيرِ (١)

أَصَابَهُمُ بَلَاءٌ كَانَ فِيهِ سِوَى مَاقَدْ أَصَابَ بَنِي النَّضِيرِ
غَدَاةَ أَتَاهُمُ يَهْوِى إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ كَالْقَمَرِ الْمُنِيرِ
لَهُ خَيْلٌ مُجَنَّبَةٌ تَعَادَى بِفُرْسَانٍ عَلَيْهَا كَالصُّقُورِ (٢)
تَرَكْنَاهُمْ وَمَا ظَفِرُوا بِشَيْءٍ دِمَاؤُهُمُ عَلَيْهِمْ كَالْعَبِيرِ (٣)

فَهُمْ صَرْعَى تَحُومُ الطَّيْرُ فِيهِمْ
كَذَاكَ يُدَانُ ذُو الْعَنَدِ الْفَخُورِ (٤)

فَأَنْذِرْ مِثْلَهَا نُصْحًا قُرَيْشًا
مِنَ الرَّحْمٰنِ إِنْ قَبِلَتْ نَذِيرِى (٥)

وقال حسان بن ثابت فى بنى قُرَيْظة : —

---

(١) سآها : أصله ساءها ، فقدم الهمزة على الألف ، والعرب تفعل ذلك فى كثير من الأفعال ، يقولون : راء فى رأى وآن فى أنى ، وهم لايلتزمون لهذا القلب أن يكون فى حروف العلة ، بل يفعلونه فى الحروف الصحيحة أيضا فيقولون : جبذ وجذب ، ونحو ذلك

(٢) خيل مجنبة : هى الخيل التى تقاد بجانب الركوبة ، وتعادى : أى تجرى وتسرع

(٣) العبير هنا : الزعفران

(٤) تحوم الطير : تدور حولهم وتقع عليهم ، ويدان : يجازى ، والعند : الخروج عن الحق ، والفخور : هو فى بعض النسخ بالخاء المعجمة ، وفى بعضها بالجيم

(٥) النذير هنا : الانذار ، ومنه قوله تعالى : (فكيف كان نذير)

كلمة أخرى لحسان ابن ثابت فى بنى قريظة

لَقَدْ لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ مَاسَآهَا وَحَلَّ بِحِصْنِهَا ذُلٌّ ذَلِيلُ
وَسَعْدٌ كَانَ أَنْذَرَهُمْ بِنُصْحٍ بِأَنَّ إِلَهَكُمْ رَبٌّ جَلِيلُ
فَمَا بَرِحُوا بِنَقْضِ الْعَهْدِ حَتَّى
فَلاَهُمْ فى بِلاَدِهِمُ الرَّسُولُ (١)
أَحَاطَ بِحِصْنِهِمْ مِنَّا صُفُوفٌ لَهُ مِنْ حَرِّ وَقْعَتِهِمْ صَلِيلُ (٢)

وقال حسان بن ثابت أيضا فى يوم بنى قُرَيْظة :

كلمة أخرى لحسان ابن ثابت فى بنى قريظة

تَفَاقَدَ مَعْشَرٌ نَصَرُوا قُرَيْشاً
وَلَيْسَ لَهُمْ بِبَلْدَتِهِمْ نَصِيرُ (٣)
هُمُ أُوتُوا الْكِتَابَ فَضَيَّعُوهُ
وَهُمْ عُمْىٌ مِنَ التَّوْرَاةِ بُورُ (٤)
كَفَرْتُمْ بِالْقُرَانِ وَقَدْ أُتِيتُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِى قَالَ النَّذِيرُ (٥)
فَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِى لُؤَىٍّ حَرِيقٌ بِالْبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ (٦)

---

(١) فلاهم : قتلهم بالسيوف ، تقول : فليت رأسه ، إذا ضربته بالسيف

(٢) الصليل : الصوت

(٣) تفاقد : فقد بعضهم بعضا ، والمراد بهذه الجملة الدعاء عليهم ، ويروى تماهد

(٤) بور : ضلال ، ويقال : البور الهكى ، من البوار ، وهو الهلاك ومنه قوله تعالى : (وكنتم قوماً بورا)

(٥) النذير : أراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمعنى أن الله تعالى أخذ عليهم العهد فى التوراة أن يؤمنوا بالرسول إذا بعثه الله تعالى ، فكفروا بالقرآن ولم يتبعوا حكم التوراة ، وهو مأخوذ من قوله تعالى : (فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به)

(٦) السراة ـ بفتح السين ـ خيار الناس ، والبويرة قال ياقوت : البويرة

فأجابه أبو سفْيَان بن الحرث [بن عبد المطلب] ، فقال :

أبو سفيان بن الحرث يجيب حسان بن ثابت

أَدَامَ اللهُ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعٍ وَحَرَّقَ فِى طَوَائِفِهَا السَّعِيرُ (١)

سَتَعْلَمُ أَيُّنَا مِنْهَا بِنُزْهٍ وَتَعْلَمُ أَىَّ أَرْضَيْنَا تَضِيرُ (٢)

تصغير البئر التى يستق منها ، وهى موضع منازل بنى النضير اليهود الذين غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة أحد بستة أشهر فأحرق نخلهم وقطع زرعهم وشجرهم ، فقال حسان بن ثابت فى ذلك * لهان على سراة ... البيت * وفيه نزل قول الله تعالى : (ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين) ، قال أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب : —

يَعِزُّ عَلَى سَرَاةِ بَنِى لُؤَىٍّ حَرِيقٌ بِالْبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ

فأجابه حسان بن ثابت : —

أَدَامَ اللهُ ذَلِكُمْ حَرِيقًا وَضَرَّمَ فِى طَوَائِفِهَا السَّعِيرُ

هُمُ أُوتُوا الْكِتَابَ فَضَيَّعُوهُ وهُمْ عُمْىٌ عَنِ التَّوْرَاةِ بُورُ

اه كلام ياقوت بحروفه . ومنه تعلم أن البيت الأول مما نسبه ابن إسحق إلى الحارث قد نسبه إلى حسان بن ثابت فى قصيدته التى شرحناها هذه ، وهو الوجيه

(١) الطرائق بالراء المهملة وآخره قاف — جمع طريقة ، وهى الناحية ، ووقع فى بعض النسخ وفى معجم ياقوت « فى طوائفها » بالواو وآخره فاء — وهو جمع طائفة ، والسعير : النار الملتهبة

(٢) النزه — بضم فسكون — البعد ، تقول : فلان يتنزه عن الأقذار ، إذا كان يتباعد عنها ولا يقربها ، وتقول : فلان بنجوة عن هذا الأمر ، وهو بنزه عنه ، وتضير : يروى بالضاد المعجمة وبالصاد المهملة ، فأما من رواه بالضاد فانما أراد مضارع ضاره بمعنى ضره ، وأما من رواه بالصاد المهملة فانما أراد معنى تشق وتقطع

فلَئِنْ كانَ الفَّخِهلُ بِهَا رِكَابًا
لَقَالُوا لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَسِيرُوا

وأجابه جَبَلُ بن جَوَّال الثَّعْلَبي أيضا ، وبكى [بنى] النضير وقريظة ، فقال : —

جبل بن جوال يجيب حسان أيضا

أَلاَ يَا سَعْدُ سَعْدَ بَنِي مُعَاذٍ
لِمَا لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ

لَعَمْرُكَ إِنَّ سَعْدَ بَنِي مُعَاذٍ غَدَاةَ تَحَمَّلُوا لَهُوَ الصَّبُورُ
فَأَمَّا الخَزْرَجِيُّ أَبُو حُبَابٍ فَقَالَ لِقَيْنُقَاعٍ : لاَ تَسِيرُوا
وَبُدِّلَتِ المَوَالِي مِنْ حُضَيْرٍ
أُسَيْدًا وَالدَّوَائِرُ قَدْ تَدُورُ (١)
وَأَقْفَرَتِ البُوَيْرَةُ مِنْ سَلاَمٍ
وَسَعْيَةَ وَابْنِ أَخْطَبَ فَهْيَ بُورُ (٢)
وَقَدْ كَانُوا بِبَلْدَتِهِمْ ثِقَالاً كَمَا ثَقُلَتْ بِمَيْطَانَ الصُّخُورُ (٣)

---

(١) الموالى : جمع مولى ، وهو الحليف هنا ، وحضير - بضم الحاء وفتح الضاد - اسم قبيلة ، وأسيد : اسم قبيلة أيضا ، والدوائر : جمع دائرة ، والمراد بها النازلة من نوازل الدهر

(٢) البويرة : اسم موضع قد تقدم ذكره ، وبور : معناه هالكة

(٣) ميطان - بفتح الميم أو كسرها - اسم جبل من جبال المدينة به بئر ماء يقال له ضفة وليس به شيء من النبات ، وهو لمزينة وسليم ، وله فى صحيح مسلم ذكر ، قاله ياقوت

فَإِنْ يَهْلِكْ أَبُو حَكَمٍ سَلَامٌ فَلَا رَثُّ السِّلَاحِ وَلَا دَثُورُ (١)
وَكُلُّ الْكَاهِنَيْنِ وَكَانَ فِيهِمْ
مَعَ اللِّينِ الْخَضَارِمَةُ الصُّقُورُ (٢)
وَجَدْنَا الْمَجْدَ قَدْ ثَبَتُوا عَلَيْهِ بِمَجْدٍ لَا تُغَيِّبُهُ الْبُدُورُ (٣)
أَقِيمُوا يَا سَرَاةَ الْأَوْسِ فِيهَا كَأَنَّكُمُ مِنَ الْمَخْزَاةِ عُورُ (٤)
تَرَكْتُمْ قِدْرَكُمْ لَا شَيْءَ فِيهَا وَقِدْرُ الْقَوْمِ حَامِيَةٌ تَفُورُ (٥)

مَقْتَلُ سَلَّامِ بنِ أَبِي الْحُقَيْقِ

الخزرج تستأذن رسول الله في قتله

قال ابن إسحق: ولما انقضى شأن الخندق وأمْرُ بنى قُرَيْظَةَ، وكان سَلَّام بن أبى الْحُقَيْق — وهو أبو رافع — فيمن حَزَّبَ الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت الأوس قبل أُحُدٍ قد قتلت كَعْبَ ابن الأشرف فى عَدَاوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتَحْرِيضِهِ عليه؛ استأذنت الْخَزْرَجُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى قَتْل سَلَّام بن أبى الْحُقَيْق، وهو بخيبر، فأذن لهم

(١) الرث: الخلق، والدثور: الدارس المتغير، يريد أن سلاحه لا يزال ماضيا نفاذا فى ضريبته

(٢) الخضارمة: جمع خضرم، وهو الكريم الجواد، والصقور: جمع صقر، وأراد منه الشديد القوى

(٣) «لا تغيبه البدور» يريد أن مرور الأيام وتعاقب الشهور يتلو بعضها بعضا لا تغير هذا المجد

(٤) عور: جمع أعور، وهو من فقد إحدى عينيه

(٥) حامية تفور: يريد أنها ملأى بالطعام فهى فوق النار، أراد وصفهم بالبخل فى حين أن الناس يطعمون ويجودون

تنافس الأوس والخزرج فى مرضاة رسول الله

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهْرِىُّ ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، قال : وكان مما صنع الله به لرسوله صلى الله عليه وسلم أنَّ هذين الحَيَّيْنِ من الأنصار الأوس والخزرج كانا يتَصَاوَلان (١) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تَصَاوُلَ الفَحْلَيْنِ ؛ لا تَصْنَع الأوسُ شيئا فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غَنَاء (٢) إلا قالت الخزرج : والله لا تذهبون بهذه فَضْلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاسلام ، قال : فلا يَنْتَهُونَ حتى يُوقعوا مثلها ، وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك

ولما أصابت الأوس كَعْبَ بن الأشرف فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج : والله لا تذهبون بها فضلا علينا أبدا ، قال : فتذاكروا مَنْ رَجُلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى العـداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابْنَ أبى الحُقَيْق ، وهو بخيبر ، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتله ، فأذن لهم ؛ فخرج إليه من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر : عَبْدُ الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أُنَيْس ، وأبو قَتَادة الحرثُ بن رِبْعِىّ ، وخُزَاعِىُّ بن أَسْوَد حليفٌ لهم من أسلم ، فخرجوا : وأمَّرَ عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَبْدَ الله بن عتيك ؛ ونهاهم [عن] أن يقتلوا وَليداً أو امرأة ، فخرجوا حتى إذا قدموا

---

(١) « يتصاولان مع رسول الله » يقال : تصاول الفحلان ، إذا حمل هذا على هذا وهذا على هذا ، وأراد أن كل واحد من الحيين كان يدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتفاخران بذلك ؛ فاذا فعل أحدهما شيئا فعل الآخر مثله .

(٢) غناء ـ بفتح الغين المعجمة ـ منفعة ودفع مكروه عنه ، وجلب فائدة .

خيبر أتَوْا دارابن أبى الحُقَيْق ليلاً ، فلم يَدَعُوا بيتا فى الدار إلا أغلقوه على أهله ، قال : وكان فى عِلِّيَّةٍ له إليها عَجَلة [١] ، قال : فأسندوا [٢] فيها حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا [عليه] ، فخرجت إليهم امرأته ، فقالت : مَنْ أنتم ؟ قالوا : ناسٌ من العرب نلتمس المِيرَةَ ، قالت : ذاكم صاحبكم فادخُلُوا عليه ، قال : فلما دخلنا [عليه] أغلقنا علينا وعليها الحجرة تَخَوُّفا أن تكون دونه مُجَاوَلَة [٣] تحول بيننا و بينه ، قالت : فصاحت امرأته فقَوَّهَت بنا [٤] ، وابْتَدَرْنَاه وهو على فراشه بأسيافنا ، فوالله مايَدُلُّنا عليه فى سَوَاد الليل إلا بياضه كأنه قُبْطِيَّةٌ [٥] مُلْقَاة ، قال : ولما صاحت بنا امرأته جعل الرَّجُلُ منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نَهْىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيَــكُفُّ يده ، ولولا ذلك لفَرَغْنَا منها بليل ، قال : فلما ضربناه بأسيافنا تَحَامَلَ عليه عَبْدُ الله بن أُنَيْس بسيفه فى بطنه حتى أنفذه ، وهو يقول : قَطْنِى قَطْنِى : أى حَسْبِى حَسْبِى ، قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيء البصر ، قال : فوقع من الدرجة فوَثِئَتْ [٦] يده وَثْئًا شديدا

---

(١) « له إليها عجلة » المراد بالعجلة ههنا جذع النخلة ، كانوا ينقرون فى مواضع منه نقرا بعضها فوق بعض ، ثم يجعلونه كالسلم يصعدون عليه إلى الغرف والأماكن العالية

(٢) أسندوا فيها : علوا وارتفعوا ، وتقول : أسند فلان فى الجبل ، إذا علا فيه وارتفع .

(٣) المجاولة : الحركة تكون بينه وبينهم

(٤) فقوهت بنا : رفعت صوتها تشهرهم به ، وفى نسخة « فنوهت » بالنون .

(٥) القبطية : ثوب يصنع بمصر أبيض ، وهو بضم القاف أو كسرها . وجمعه قباطى . وفى بعض النسخ « مايدلنا عليه فى سواد البيت ـ الخ »

(٦) وثئت يده : أصاب عظمها شيء ليس بالكسر ، وقال بعض أهل اللغة : الوثء : تصدع فى اللحم لافى العظم .

(و يقال : رِجْلُه فيما قال ابن هشام) وحملناه حتى نأتى [به] مَنْهَرًا[1] من عيونهم فندخل فيه ، قال : فأوقدوا النيران ، واشْتَدُّوا فى كل وجه يطلبوننا ، قال : حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكْتَنَفُوه وهو يقضى بينهم ، قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال : فقال [لنا] رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم ، قال : فانطلق حتى دخل فى الناس ، قال : فوجدتُ امرأته ورجال يهود حوله وفى يدها المصباح تنظر فى وجهه ، وتحدثهم وتقول : أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت [نفسى] ، وقلت : أنَّى ابن عتيك بهذه البلاد ؟ ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه ، ثم قالت : فَاظَ[2] وإلٰهِ يَهُود ، فما سمعت من كلمة كانت ألَذَّ إلى نفسى منها ، قال : ثم جاءنا فأخْبَرَنَا الخبر ، فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عنده فى قتله : كُلُّنَا يدَّعيه ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هَاتُوا أَسْيَافَكُمْ » قال : فجئناه بها ، فنظر إليها . فقال لسيف عبد الله بن أنيس : « هٰذَا قَتَلَهُ ، أَرَى فِيهِ أَثَرَ الطَّعَامِ »

قال ابن إسحق :فقال حسان[3] بن ثابت وهو يذكر قتل كعب ابن الأشرف وقتل سَلَّام بن أبى الْحُقَيْق : —

أبيات حسان فى مقتل كعب بن الاشرف وسلام ابن أبى الحقيق

لِلّٰهِ دَرُّ عِصَابَةٍ[4] لاَقَيْتَهُمْ ... يَاابْنَ الحُقَيْقِ وَأَنْتَ يَاابْنَ الأَشْرَفِ

---

(١) المنهر : مدخل الماء من خارج الحصن إلى داخله

(٢) فاظ : مات ، قال الراجز : —

* لاَ يَدْفِنُونَ عَنْهُمُ مَنْ فَاظَا *

(٣) انظر (ص ٤٤٠ ج ٢ من هذا الكتاب)

(٤) العصابة : الجماعة من الناس

يَسْرُونَ بِالْبِيضِ الْخِفَافِ إِلَيْكُمُ
مَرَحًا كَأُسْدٍ فِي عَرِينٍ مُغْرِفِ (١)
حَتَّى أَتَوْكُمْ فِي مَحَلِّ بِلَادِكُمْ فَسَقَوْكُمُ حَتْفًا بِبِيضٍ ذُفَّفِ (٢)
مُسْتَنْصِرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ
مُسْتَصْغِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْحِفِ (٣)

قال ابن هشام : قوله « ذُفَّف » عن غير ابن إسحق

إسلام عَمْرو بن الْعَاص [وخالد بن الْوَلِيد] (٤)

قال ابن إسحق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى

(١) يسرون : يسيرون ليلا ، والبيض الرقاق : أراد بها السيوف ، ومرحا : يروى بفتح الميم والراء جميعا ، وهو مصدر قولك مرح فلان فهو مرح ، أى نشط ، فالمرح : النشاط ، ويروى بضم الميم وسكون الراء ، فهو جمع مرح - بزنة كتف - وهو النشيط ، والأسد - بضم فسكون - جمع أسد بفتحتين - والعرين : الغابة وهى موضع الأسد ، والمغرف - بضم الميم وسكون الغين وكسر الراء - الذى التفت أغصانه

(٢) ذفف - بضم الذال وتشديد الفاء مفتوحة - السريعة القتل ، تقول : ذففت على الجريح ؛ إذا أسرعت فى قتله ولم تمهله

(٣) الأمر المجحف : الذى يذهب بالنفوس والأموال

(٤) قال ابن كثير فى تاريخه (ج ٤ ص ١٤٢) : « قلت : كان إسلامهم (يريد عمرا وخالدا وعثمان بن طلحة) بعد الحديبية ؛ وذلك أن خالد بن الوليد كان يومئذ فى خيل المشركين ، كما سيأتى بيانه ، فكان ذكر هذا الفصل فى إسلامهم بعد ذلك أنسب ، ولكنا ذكرنا ذلك تبعا للامام محمد بن إسحق رحمه الله ؛ لأن أول ذهاب عمرو بن العاص إلى النجاشى كان بعد وقعة الخندق ، والظاهر أنه ذهب بقية سنة خمس » اه

حبيب بن أبي أوْسٍ الثَّقَفِي ، عن حبيب بن أبي أوس الثقفى ، قال : حدثنى عمرو بن العاص مِنْ فِيهِ قال :

اجتماع عمرو بن العاص بقوم من خاصائه وتشاورهم فى أمر النبى

لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جَمَعْتُ رجالا من قريش كانوا يَرَوْنَ رأيي، ويَسْمَعُونَ منى ، فقلت لهم : تَعَلَّمُوا والله إنى أرى أمر محمد يَعْلُو الأمور عُلُوًّا مُنْكَرًا ، و إنى لقد رأيت أمرًا فما تَرَوْنَ فيه ؟ قالوا : وماذا رأَيت ؟ قال : رأيت أَنْ نَلْحَقَ بالنجاشيِّ فنكون عنده ، فان ظهر محمد على قومنا كُنَّا عند النجاشي فانا أَنْ نكون تحت يَدَيْه أَحَبُّ إلينا من أن نكون تحت يَدَيْ محمد ، و إن ظهر قَوْمُنَا فنحن مَنْ قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هٰذَا لرأىٌ ، قلت : فاجمعوا لنا ما نُهْدِيه [له] وكان أَحَبَّ ما يُهدَى إليه من أرضنا الأَدَمُ (١) ، فجمعنا له أَدَمًا كثيراً ثم خَرَجْنَا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا لعنده إذ جاءه عَمْرُو بن أميـة الضَّمْرِيُّ ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه فى شأن جَعْفَرٍ وأصحابه ، قال : فدخل عليه ، ثم خرج من عنده ، قال : فقلت لأصحابى : هذا عَمْرُو بن أُمَيَّةَ [الضَّمْرِيُّ] لوقد دخلت على النجاشي لسألته إياه فأعطانيـه فضربت عنقـه ، فاذا فعلت ذلك رأت قريشٌ أنِّى قد أجزأت (٢) عنها حين قتلت رسول محمد ، قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مَرْحَبًا بصديقى ؛ أَهْدَيْتَ إِلَيَّ من بلادك شيئًا ؟ قال : قلت : نعم أيها الملك ، قد أهديت إليك أدَمًا كثيرا ، قال : ثم قربته إليه ، فأعجبه واشتهاه ، ثم قلت له : أيها الملك ، إنى قد رأيت رَجُلاً خرج من عندك وهو رسولُ رجلٍ عَدُوٍّ لنا ، فأعطنيه لأقتله فانه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال : فغضب ، ثم مَدَّ يده فضرب

عمرو بن العاص وأصحابه يذهبون الى الحبشة

نصيحة النجاشى لعمرو بن العاص

(١) الأدم : الجلود ، الأدَم : الجلد

(٢) أجزأت عنها : قمت مقامها فيه ، وكفيتها شأنه

بها أنفه ضربةً ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لى الأرض لدخلت فيها فَرَقًا منه ، ثم قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ماسألْتُكَهُ ، قال : أتسألنى أن أعطيك رسولَ رجل يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى لتقتله ؟ قال : قلت : أيها الملك ، أكَذَاكَ هو ؟ قال : ويحك ياعمرو ! ! ! أطعنى واتبعه ؛ فانه والله لَعَلَى الحق ولَيَظْهَرَنَّ على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قال : قلت : أفتبايعنى له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعته على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابى وقد حَالَ (١) رأيى عما كان عليه ، وكتمت أصحابى إسلامى

عمرو يسلم على يد النجاشى

ثم خرجت عامدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قُبَيْلَ الفتح ، وهو مُقْبِلٌ من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام المَنْسِمُ (٢) و إن الرجل لنبى ، أذهَبُ والله فأُسْلِم ، فحتَّى متى ؟ قال : قلت : والله ماجئت إلا لأسلم ، قال : فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدَّم خالدُ بن الوليد فأسلم ، وبايع ، ثم دنوت فقلت : يارسول الله ، إنى أبايعك على أن يُغْفَرَ لى ما تقدم من ذنبى ، ولا أذكر ما تأخر ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يَا عَمْرُو بَايِـعْ فَإِنَّ الإِسْلَامَ يَجُبُّ (٣) مَا كَانَ قَبْلَهُ وَإِنَّ

لقى خالد بن الوليد عمرو بن العاص فأخبره انه اعتزم الاسلام

(١) حال رأيى : تحول وتغير

(٢) « لقد استقام المنسم » هذا مثل معناه لقد تبين الأمر ووضح ولم يعد فيه لبس ولا شك ، وأصل المنسم ـ بفتح الميم وسكون النون وكسر السين ـ خف البعير ، وفى بعض الروايات « لقد استقام الميسم » بالياء المثناة ، والميسم : الحديدة التى توسم بها الابل وغيرها : أى تعلم ، والذى أثبتناه خير من ذلك .

(٣) يجب ـ بالجيم والباء الموحدتين ـ يقطع

الْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا » قال : فبايعته ثم انصرفت

قال ابن هشام : وَيقال « فان الاسلام يَحُتُّ (١) ما كان قبله ، وإن الهجرة تَحُتُّ ما كان قبلها »

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم ، أن عثمان بن طلحة بن أبى طلحة كان معهما ، أسلم حين أسلما

قال ابن إسحق : فقال ابن الزِّبَعْرَى السَّهْمِىُّ : —

أبيات لابن الزبعرى فى خالد وعثمان بن طلحة

أَنْشُدُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ حِلْفَنَا ... وَمُلْقَى نِعَالِ الْقَوْمِ عِنْدَ الْمُقَبَّلِ (١)
وَمَا عَقَدَ الْآبَاءُ مِنْ كُلِّ حِلْفَةٍ ... وما خَالِدٌ مِنْ مِثْلِهَا بِمُحَلَّلِ
أَمِفْتَاحَ بَيْتٍ غَيْرِ بَيْتِكَ تَبْتَغِى ... وما تَبْتَغِى مِنْ مَجْدِ بَيْتٍ مُؤَثَّلِ (٢)
فَلَا تَأْمَنَنَّ خَالِدًا بَعْدَ هٰذِهِ ... وَعُثْمَانَ جاءا بِالدُّهَيْمِ الْمُعْضِلِ (٣)

وكان فتح قُرَيْظَة فى ذى القعـدة وصدر ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون

غَزْوَة بنى لِحْيَان

بسم الله الرحمن الرحيم

[قال : حدثنا أبو محمد عَبْدُ الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله الْبَكَّائِىُّ ، عن محمد بن إسحق المطلبى ، قال] :

---

(١) تحت - بالحاء المهملة والتاء المثناة - تسقط

(٢) المقبل : مكان التقبيل ، وأراد به الحجر الأسود

(٣) المجد المؤثل - بالثاء المثلثة - القديم

(٤) الدهيم : أراد به الداهية ، والمعضل : الأمر الشديد الذى يعز الخلاص منه .

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة ، والمحرم ، وصفرا ، وشهري ربيع ، وخرج في جُمَادى الأولى على رأس ستّة أشهر من فتح [بني] قُرَيْظَة إلى بني لَحيَان يَطْلُبُ بأصحاب الرجيع (١) خُبَيْبِ بن عَدِيّ وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ؛ ليُصِيبَ من القوم غِرّةً (٢) فخرج من المدينة صلى الله عليه وسلم ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ؛ فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحق : فسلك على غُرَابٍ جَبَلٍ بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ، ثم على مَخِيضٍ ، ثم على البتراء ، ثم صَفَّقَ ذَاتَ (٣) الْيَسَار فخرج على بَيْنٍ (٤) ، ثم على صُخَيْرَات الْيَمَام ، ثم استقام به الطريق على المَحجَّة من طريق مكة فأَغَذَّ السير (٥) سريعا ، حتى نزل على غُرَان ، وهي منازل بني لَحيَان ، وغُرَان : واد بين أَمَجَ وعُسْفَان ، إلى بلد يقال له : سَايَة ، فوجدهم قد حذروا وتَمَنَّعُوا في رؤس الجبال

فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخطأه من غِرّتهم ما أراد قال : « لَوْ أَنَّا هَبَطْنَا عُسْفَانَ لَرَأَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنَّا قَدْ جِئْنَا مَكَّةَ » فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسْفَان ، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كُرَاعَ الْغَمِيمِ ثم كَرَّا ، وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) انظر (ص ١٦٠ ومابعدها ج ٣ من هذا الكتاب)
(٢) الغرة ـ بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء المهملة ـ الغفلة
(٣) « صفق ذات اليسار » عدل نحوها ومال إليها
(٤) « بين » تروى بباء موحدة فياء مثناة ، وبياءين مثناتين ، والذى حكاه كراع هو الثانى
(٥) أغذ السير يغذه إغذاذا : أسرع فيه

قافلا ، فكان جابر بن عبدالله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وَجَّهَ راجعا : « آيِبُونَ تَائِبُونَ إنْ شَاءَ اللهُ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ أعُوذُ بِاللهِ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ » والحديثُ عن غَزْوة بنى لِحْيَان عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، فقال كعب بن مالك فى غزوة بنى لِحْيَان : —

كلمة لكعب بن مالك فى غزوة بنى لحيان

لَوَ انَّ بَنِى لِحْيَانَ كَانُوا تَنَاظَرُوا ... لَقُوا عُصَبًا فِي دَارِهِمْ ذَاتَ مَصْدَقِ (١)

لَقُوا سَرَعَانًا يَمْلَأُ السَّرْبَ رَوْعُهُ ... أَمَامَ طَحُونٍ كَالْمَجَرَّةِ فَيْلَقِ (٢)

وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا وِبَارًا تَتَبَّعَتْ ... شِعَابَ حِجَازٍ غَيْرِ ذِى مُتَنَفَّقِ (٣)

---

(١) تناظروا : انتظر بعضهم بعضا ، والعصب : جمع عصبة ، وهى الجماعة

(٢) السرعان ـ بفتحات ـ أول القوم ، والسرب ـ بفتح السين ـ الطريق وهو بكسر السين النفس ، والروع : الفزع ، والطحون : أراد كتيبة تطحن كل مامرت به ، والمجرة : البياض المستطيل أمام النجوم فى السماء ، والفيلق : الكتيبة الشديدة

(٣) الوبار ـ بكسر الواو ـ جمع وبر ، وهى دويبة على قدر الهرة ، وهو عندهم مثال الضعف والجبن ، والشعاب : جمع شعب ، وهو المنخفض بين جبلين ، وحجاز : تروى هذه الكلمة بزاى فى آخرها ، وتروى بنون فى مكان الزاى ؛ فأما من رواه بالزاى فقد عنى مكة وما يليها ، وأما من رواه بالنون فقد أراد معنى المعوجة ، والأحجن : المعوج ، والمتنفق : أراد به الباب الذى يخرج منه ، وأصله من النافقاء ، وهو أحد أبواب جحرة اليربوع

غزوة ذى قَرَد

ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يقم بها إلا ليالى قلائل ، حتى أغار عُيَيْنَةُ بن حِصْن بن حُذَيْفَة بن بَدْرٍ الفَزَارِىُّ فى خيلٍ من غَطَفان على لِقَاحٍ (١) لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة ، وفيها رجل من بنى غِفَار وامرأة له ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة فى اللّقاح — غزوة ذى قرد

قال ابن إسحق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، كُلٌّ قد حدث عن غزوة ذى قَرَد بعضَ الحديث ، أنه كان أول مَنْ نَذِرَ (٢) بهم سَلَمَةُ بن عمرو ابن الأَكْوَع الأسلمى ، غَدَا يريد الغابة مُتَوَشِّحًا قوسَهُ وَنَبْلَه ، ومعه غلام لطَلْحَةَ بن عبيد الله ، معه فَرَسٌ له يقوده ، حتى إذا علا ثَنِيَّةَ الْوَدَاع نظر إلى بعض خيولهم ، فأشْرَفَ فى ناحية سَلْعٍ ، ثم صَرَخ « واصَبَاحاه » ثم خرج يَشْتَدُّ فى آثار القوم ، وكان مثل السَّبُع ، حتى لحق بالقوم ، فجعل يَرُدُّهُمْ بالنَّبْل ويقول إذا رمى :

خُذْهَا وَأنا ابنُ الأَكْوَعْ والْيومُ يَوْمُ الرُّضَّعْ (٣)

فاذا وَجَّهَتِ الخيلُ نحوه انطلق هاربا ، ثم عارضهم ، فاذا أمكنه الرمى رمى ثم قال :

خُذْهَا وَأنَا ابْنُ الأَكْوَعْ والْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعْ (٣)

قال : فيقول قائلهم : أُوَيْكِعُنا (٤) هو أولَ النهار ،

---

(١) اللقاح : الابل الحوامل ذوات اللبن

(٢) نذربهم : علم ، تقول : نذرت بالقوم ، إذا علمت بهم وأخذت أهبتك لهم

(٣) الرضع ـ بضم الراء المهملة وتشديد الضاد ـ جمع راضع ، وهو اللئيم ، وأراد أن هذا اليوم هو اليوم الذى يهلك فيه هؤلاء.

(٤) كذا فى الاصول وفى تاريخ ابن الأثير عن ابن اسحاق ، والذى فى تاريخ الطبرى (ج ٣ ص ٦٢) هكذا « أكيعنا هو أول النهار » وأكيع : تصغير أكوع

رسول الله يناوى بالفزع فيقبل عليه فرسان أصحابه

قال : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياحُ ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة الْفَزَعَ الْفَزَعَ ، فترامت الخيول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أولَ من انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفرسان الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو ، وهو الذى يقال له : المقداد بن الأسود ، حليفُ بنى زُهْرَةَ ، ثم كان أوّلَ فارس وَقَفَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المقداد من الأنصار عَبَّادُ بن بِشْرِ بن وَقَش بن زُغْبَةَ بن زَعُورَاء أحدُ بنى عبد الأشهل ، وسَعْدُ بن زيد أحَدُ بنى كعب بن عبد الأشهل ، وأُسَيْدُ بن ظُهَيْرٍ أخو بنى حارثة بن الحرث ، يُشَكُّ فيه ، وعُـكَّاشة بن مِحْصَنٍ [أخو بنى أسد بن خزيمة [1]] ، ومُحْرِزُ بن نَضْلَةَ أخو بنى أسد ابن خزيمة ، وأبو قَتَادَةَ الحرثُ بن رِبْعِيّ أخو بنى سَلَمَة ، وأبو عَيَّاش وهو عُبَيْد بن زيد بن الصامت أخو بنى زُرَيْقٍ .

رسول الله يرسل الفرسان فى طلب القوم

فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمَّرَ عليهم سَعْدَ بن زيد — فيما بلغنى — ثم قال : « اخْرُجْ فِي طَلَبِ الْقَوْمِ حَتَّى أَلْحَقَكَ فِي النَّاسِ » وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى عن رجال من بنى زُرَيْق — لأبى عياش : « يَاأَبَا عَيَّاشٍ لَوْ أَعْطَيْتَ هٰذَا الْفَرَسَ رَجُلاً هُوَ أَفْرَسُ مِنْكَ فَلَحِقَ بِالْقَوْمِ » قال أبو عياش : فقلت : يارسول الله ؛ أنا أفرسُ الناسِ ، ثم ضَرَبْتُ الفرس ، فوالله ما جَرَى بى خمسين ذراعا حتى طرحنى ، فعجبت أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لَوْ أَعْطَيْتَهُ أَفْرَسَ مِنْكَ » وأنا أقول : أنا أفرس الناس ، فزعم رجال من بنى زُرَيْقٍ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فَرَسَ أبى عَيَّاشٍ مُعَاذَ ابن ماعص ، أو عائذَ بن ماعص بن قيس بن خَلَدَةَ ، وكان ثامنا ، وبعضُ الناس يَعُدُّ سَلَمَةَ بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية ، ويطرح أُسَيْدَ بن

---

(1) سقطت هذه العبارة من تاريخ ابن كثير فيما يرويه عن ابن اسحاق

ظُهَيْرٍ أخا بنى حارثة ، والله أعلم أى ذلك كان ؛ ولم يكن سَلَمَةُ يومئذ فارسًا ، قد كان أوَّلَ من لحق بالقوم على رجليه ، فخرج الفرسان فى طلب القوم حتى تلاحقوا

قال ابن إسحق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن أوَّلَ فارس لحق بالقوم مُحْرِزُ بن نَضْلَةَ أخو بنى أسد بن خزيمة ، وكان يقال لمحرز : الأخرم ويقال له : قُمَيْرٌ ، وأن الفزع لما كان جَالَ فرسٌ لمحمود بن مَسْلَمَة فى الحائط — حين سمع صاهلة الخيل — وكان فَرَسًا صَنيعًا [1] جامًّا ، فقال نساء من نساء بنى عبد الأشهل — حين رأين الفرس يَجُول فى الحائط بجِذْعِ نخلٍ هو مربوط فيه — : يا قُمَيْر ، هَلْ لك فى أن تركب هذا الفرس فانه كما ترى ثم تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين ؟ قال : نعم فَأَعْطَيْنَهُ إياه ، فخرج عليه ، فلم يَلْبَثْ أن بَذَّ الخيل [2] بجَمَامِهِ [3] حتى أدرك القوم فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال : قِفُوا يامَعْشَرَ بنى اللكيعة [4] حتى يلحق بكم مَنْ وَرَاءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار ، قال : وحَمَلَ عليه رجلٌ منهم فقتله ، وجالَ الفرسُ فلم يُقْدَرْ عليه حتى وقف على أَرِيَّةٍ [5] فى بنى عبد الأشهل ، فلم يُقْتَلْ من المسلمين غيره

محرز بن نضلة يلحق بالقوم فيقتلونه

قال ابن هشام: وقُتِلَ يومئذ من المسلمين مع مُحْرِزٍ وقَّاصُ بْنُ مُجَزِّزٍ الْمُدْلِجِيّ [6] ، فيما ذكر غير واحد من أهل العلم

(١) الفرس الصنيع : الذى يخدمه أهله ويقومون عليه

(٢) بذّ الخيل : سبقها وفاتها (٣) جمامه : نشاطه

(٤) اللكيعة : اللئيمة

(٥) الأرية : الحبل الذى تشد به الدابة ، وقد يسمى الموضع الذى تقف فيه الدابة أريا أيضا

(٦) فى نسخة « بن محرز » بحاء وراء مهملتين

قال ابن إسحق : وكان اسم فرس محمود ذا اللِّمَّة :

قال ابن هشام : وكان اسم فرس [سعد] بن زيد لاحقا ، واسم فرس المقداد بعْزَجَةُ ، ويقال : سَبْحَةُ ، واسم فرس عُكَّاشة بن مِحْصَن ذو اللِّمَّة ، واسم فرس أبي قتادة حَزْوَةَ ، وفرس عَبَّاد بن بشر لماع ، وفرس أُسَيْد بن ظُهَير مَسْنُون ، وفرس أبي عَيَّاش جُلْوة

قال ابن إسحق : وحدثنى بعض من لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب ابن مالك ، أن محرزا إنما كان على فرس لعُكَّاشة بن مِحْصَن يقال له الجناح ، فَقُتِلَ محرز واستُلِبَ الجناح ، ولما تلاحقت الخيل قَتَلَ أبو قتادة الحرثُ بن ربعى أخو بنى سلمة حَبِيبَ بن عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ ، وغَشَّاه بُرْدَهُ ثم لحق بالناس ، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم

قال ابن إسحق : فاذا حبيبٌ مُسَجًّى بِبُرْدِ أبى قتادة ، فاسترجع الناس ، وقالوا : قُتِلَ أبو قتادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ بأَبِى قَتَادَةَ وَلَكِنَّهُ قَتِيل لأَبِى قَتَادَةَ وَضَعَ عَلَيْهِ بُرْدَهُ لِتَعْرِفُوا أَنَّهُ صَاحِبُهُ »

وأدرك عُكَّاشَةُ بن مِحْصنٍ أَوْبَاراً وابنه عمرو بن أوبار ، وهما على بعير واحد ، فانتظمهما بالرمح ، فقتلهما جميعا ، واستنقذوا بعض اللِّقَاحَ

وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذى قَرَد ، وتلاحق به الناس ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، وأقام عليه يوما وليلة ، وقال له سلمة بن الأكوع : يارسول الله ، لو سَرَّحْتَنِى فى مائة رجل لاستنقذت بقية السَّرْحِ وأخذت بأعناق القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — : « إِنَّهُمُ الآنَ لَيُغْبَقُونَ فِى غَطَفَانَ » فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فى كل مائة رجل جَزُوراً ،

وأقاموا عليها ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا حتى قدم المدينة

انفلات المرأة الغفارية

وأقبلت امرأة الغفارى على ناقة من إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدمت عليه ، فأخبرته الخبر ، فلما فرغت قالت : يارسول الله ، إنى قد نَذَرْتُ لله أن أنحرها إن نجَّانى الله عليها ، قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « بِئْسَ مَا جَزَيْتِهَا أَنْ حَمَلَكِ اللهُ عَلَيْهَا وَنَجَّاكِ بِهَا ثُمَّ تَنْحَرِينَهَا إِنَّهُ لاَ نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ وَلاَ فِيمَا لاَ تَمْلِكِينَ إِنَّمَا هِيَ نَاقَةٌ مِنْ إِبِلِي فَارْجِعِي إِلَى أَهْلِكِ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ » والحديث فى امرأة الغفارى وما قالت وما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبى الزبير المكى ، عن الحسن بن أبى الحسن البصرى

وكان مما قيل من الشعر فى يوم ذى قَرَدٍ قولُ حسان بن ثابت :

قصيدة لحسان بن ثابت فى يوم ذى قرد

لَوْلاَ الَّذِى لاَقَتْ وَمَسَّ نُسُورَهَا ... بِجَنُوبِ سَايَةَ أَمْسِ فِي التَّقْوَادِ (١)

لَلَقِينَكُمْ يَحْمِلْنَ كُلَّ مُدَجَّجٍ ... حَامِي الْحَقِيقَةِ مَاجِدِ الْأَجْدَادِ (٢)

وَلَسَرَّ أَوْلاَدَ اللَّقِيطَةِ أَنَّنَا ... سِلْمٌ غَدَاةَ فَوَارِسِ الْمِقْدَادِ (٣)

---

(١) «لولا الذى لاقت» الضمير المستتر فى هذا الفعل يعود إلى الخيل ؛ وقد أضمرها وإن لم يجر لها ذكر لأن الكلام يدل عليها والسامع لا يضل فى الوصول إلى معرفة المراد منها ، والنسور : جمع نسر ، وهو قطعة صلبة تكون فى بطن الحافر كأنها حصاة أونواة ، وساية : واد بين المدينة ومكة ، والتقواد : هو مصدر على زنة التفعال من قاد فرسه يقوده

(٢) المدجج ـ بفتح الجيم مشددة ، ويقال بكسرها أيضا ـ الكامل السلاح والماجد : الشريف ، وحقيقة الرجل : مايلزمه حفظه ويجب عليه منعه ويحق حمايته والدفاع عنه ، والحقيقة أيضا : الراية ، وقوله «للقينكم» هو جواب لولا فى البيت السابق

(٣) اللقيطة : هى أم حصن بن حذيفة ، كان حذيفة قد التقطها فى جوار

كُنَّا ثَمَانِيَةً وَكَانُوا جَحْفَلاً لَجِبًا فَشُكُّوا بِالرِّمَاحِ بَدَادِ (١)
كُنَّا مِنَ القَوْمِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ وَيُقَدِّمُونَ عِنَانَ كُلِّ جَوَادِ (٢)
كَلاَّ وَرَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مِنًى يَقْطَعْنَ عُرْضَ مَخَارِمِ الأَطْوَادِ (٣)
حَتَّى نُبِيلَ الخَيْلَ فِي عَرَصَاتِكُمْ
وَنَؤُوبَ بِالْمَلَكَاتِ وَالأَوْلاَدِ (٤)

قد أضربهن الجدب فضمها إليه ثم أعجبته فخطبها إلى أبيها فتزوجها ، واللقيطة فى الأصل : المنبوذة المتروكة ، والمقداد : هو المقداد بن الأسود ، يقال : إن سعد بن زيد الأنصارى لما سمع بيت حسان هذا عاتبه على أن جعل الفوارس فوارس المقداد ، وقد كان سعد رئيس هذه السرية ، فاعتل له حسان رضى الله عنهما بالقافية ، وسيذكر ذلك ابن هشام ، وهذا البيت فى رواية الديوان أول القصيدة

(١) قد مضى ذكر أسماء الفرسان الثمانية ، والجحفل : الجيش الكثير واللجب - بفتح اللام وكسر الجيم - الكثير الأصوات ، وشكوا بالسلاح : طعنوا بالرماح ، وبداد : هو فعال - بفتح الفاء وبناء آخره على الكسر - من التبدد ، وهو التفرق

(٢) قوله « كنا من القوم » روى فى مكانه « كنا من الرسل » وتقول رجل رسل ، إذا كان فيه لين واسترسال ، ويلونهم : من الولاء ، أى يصادقونهم

(٣) الراقصات هنا : الابل ، والرقص : ضرب من مشيها ، ويروى الشطر الثانى هكذا : -

* وَالْجَائِبِينَ مَخَارِمَ الأَطْوَادِ *

والجائب : اسم فاعل من جاب البلاد ، وجاب المفاوز ، ومعناه قطعها سيرا والمخارم : الطرق فى الجبال وأفواه الفجاج ، والأطواد : جمع طود - بفتح فسكون - وهو الجبل المرتفع

(٤) نبيل : نجعلها تبول ؛ والعرصات : جمع عرصة ، وهى وسط الدار ،

رَهْوًا بِكُلِّ مُقَلَّصٍ وَطِمِرَّةٍ ... فِى كُلِّ مُعْتَرَكٍ عَطَفْنَ وَوَادِ (١)

أَفْنَى دَوَابِرَهَا وَلَاحَ مُتُونَهَا ... يَوْمٌ تُقَادُ بِهِ وَيَوْمُ طِرَادِ (٢)

فَكَذَاكَ إِنَّ جِيَادَنَا مَلْبُونَةٌ ... وَالْحَرْبُ مُشْعَلَةٌ بِرِيحٍ غَوَادِ (٣)

وَسُيُوفُنَا بِيضُ الْحَدَائِدِ تَجْتَلِى ... جُنَنَ الْحَدِيدِ وَهَامَةَ الْمُرْتَادِ (٤)

أَخَذَ الْإِلٰهُ عَلَيْهِمُ لِحَرَامِهِ ... وَلِعِزَّةِ الرَّحْمٰنِ بِالْأَسْدَادِ (٥)

وأراد لانواليكم حتى نقتحم عليكم دوركم وندخلها بالخيل ؛ ونؤب : نرجع تقول : آب يؤب ، إذا رجع ، والملكات : النساء ، يريد حتى نرجع بالسبايا والغنائم

(١) رهوا : هو المشى فى سكون ، وهو بالراء المهملة ، وهو مفعول مطلق أو حال من الضمير المستتر فى نؤب ؛ وتروى بالزاى ؛ والزهو : الاعجاب والكبر والتيه ، وهو حال على تقدير الوصف ، ومقلص : هو الفرس المشمر ، وطمرة ـ بكسر الطاء والميم وتشديد الراء مفتوحة ـ الفرس الوثابة السريعة ، والمعترك : موضع العراك والقتال

(٢) دوابرها : جمع دابر ، وهو من الدبر ؛ والدبر ـ بفتح الدال والباء وآخره راء مهملة ـ الجرح يكون فى ظهر الدابة ، وقيل : هو أن يقرح خف البعير ، تقول : دبر البعير ـ بزنة فرح ـ وأدبره القتب ، وقوله « ولاح متونها » المتون : جمع متن ، وهو الظهر ، وتقول : لاحه العطش ولاحته الشمس ، إذا غيرته ، والطراد : مطاردة الأقران والفرسان ، وهو أن يحمل بعضهم على بعض فى الحروب

(٣) ملبونة : تسقى اللبن ، ومشعلة : موقدة

(٤) تجتلى : تقطع ، والجنن ـ بضم الجيم وفتح النون ـ جمع جنة : وهى السلاح ، والهامة : الرأس هنا ، والمرتاد : الطالب للحرب

(٥) الأسداد : جمع سد ، وهو مايسد به على الانسان فيمنعه عن وجهه ، قاله أبو ذر

كَانُوا بِدَارٍ نَاعِمِينَ فَبُدِّلُوا أَيَّامَ ذِي قَرَدٍ وُجُوهَ عِبَادِ (١)

سعد بن زيد وحسان بن ثابت

قال ابن هشام : فلما قالها حسَّان غضب عليه سعد بن زيد ، وحلف أن لا يكلمه أبدا ، قال : انطَلَقَ إلى خيلي وفوارسي فجعلها للمقداد ، فاعتذر إليه حسان ، وقال : والله ماذاك أردت ، ولـكن الرَّوِيّ وافق اسم المقداد ، وقال أبياتا يُرْضي بها سعدا : —

إِذَا أَرَدْتُمُ الْأَشَدَّ الْجَلْدَا أَوْ ذَا غَنَاءٍ فَعَلَيْكُمْ سَعْدَا

سَعْدَ بْنَ زَيْدٍ لا يُهَدُّ هَدًّا

كلمة أخرى لحسان ابن ثابت فى يوم ذى قرد

فلم يقبل منه سعد ، ولم يغن شيئا

وقال حسان بن ثابت فى يوم ذى قَرَد —:

أَظَنَّ عُيَيْنَةُ إِذْ زَارَهَا بِأَنْ سَوْفَ يَهْدِمُ فِيهَا قُصُورَا (٢)

فَأُكْذِبْتَ مَا كُنْتَ صَدَّقْتَهُ وَقُلْتُمْ سَنَغْنَمُ أَمْرًا كَبِيرًا (٣)

فَعِفْتَ الْمَدِينَةَ إِذْ زُرْتَهَا وَآنَسْتَ لِلْأُسْدِ فِيهَا زَئِيرَا (٤)

فَوَلَّوْا سِرَاعًا كَشَدِّ النَّعَامِ وَلَمْ يَكْشِفُوا عَنْ مُلِطٍّ حَصِيرا (٥)

---

(١) وجوه عباد : أراد وجوه عبيد ، وذو قرد : اسم موضع فيه ماء

(٢) « زارها » الضمير المتصل المنصوب راجع إلى المدينة ، وأضمرها وإن لم يجر لها ذكر

(٣) روى هذا البيت فى الديوان هكذا :-

وَمَنَّيْتَ جَمْعَكَ مَا لَمْ يَكُنْ فَقُلْتَ سَنَغْنَمُ شَيْئًا كَثِيرا

(٤) عفت : كرهت ، وزئير الأسد : صوتها ، وآنست : أحسست ووجدت

(٥) « كشد النعام » يروى فى مكانه « كوخد النعام » الشد والوخد

أَمِيرٌ عَلَيْنَا رَسُولُ الْمَلِيـ ـكِ أَحْبِبْ بِذَاكَ إِلَيْنَا أَمِيرَا
رَسُولٌ نُصَدِّقُ مَا جَاءَهُ وَيَتْلُو كِتَابًا مُضِيئًا مُنِيرَا

وقال كعب بن مالك فى يوم ذى قَرَد للفوارس : —

قصيدة لكعب بن مالك فى يوم ذى قرد

أَيَحْسِبُ أَوْلَادُ اللَّقِيطَةِ أَنَّنَا عَلَى الْخَيْلِ لَسْنَا مِثْلَهُمْ فِى الْفَوَارِسِ
وَإِنَّا أُنَاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً
وَلَا نَنْثَنِى عِنْدَ الرِّمَاحِ الْمَدَاعِسِ (١)
وَإِنَّا لَنَقْرِى الضَّيْفَ مِنْ قَمَعِ الذُّرَى
وَنَضْرِبُ رَأْسَ الْأَبْلَخِ الْمُتَشَاوِسِ (٢)
نَرُدُّ كُمَاةَ الْمُعْلَمِينَ إِذَا انْتَخَوْا بِضَرْبٍ يُسَلِّى نَخْوَةَ الْمُتَقَاعِسِ (٣)
بِكُلِّ فَتًى حَامِى الْحَقِيقَةِ مَاجِدٍ
كَرِيمٍ كَسِرْحَانِ الْغَضَاةِ مُخَالِسِ (٤)

الجرى وسعة الخطو ، والنعام مضرب المثل بالجرى ، والملط - بضم الميم وكسر اللام - وهو الذى لصق بالأرض ، والحصير : وجه الأرض

(١) وقع صدر هذا البيت فى قصيدة السموءل بن عادياء اليهودى المعروفة وعجزه فيها قوله :-

* إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ *

والمداعس : جمع مدعس ، وهو الطاعن ، تقول : دعسه بالرمح ، إذا طعنه به

(٢) القمع : جمع قمعة ، وهى أعلى سنام البعير ، والأبلخ - بالخاء المعجمة - المتكبر ، والمتشاوس : الذى ينظر بمؤخر عينه نظر المتكبرين

(٣) النخوة : الكبر ، وانتخوا : تكبروا ، والمتقاعس : الذى لا يلين ولا ينقاد

(٤) السرحان - بكسر السين - الذئب ، والغضاة : شجرة ، وجمعها غضى

يَذُودُونَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ وَتِلَادِهِمْ
بِبِيضٍ تَقُدُّ الْهَامَ تَحْتَ الْقَوَانِسِ (١)
فَسَائِلْ بَنِى بَدْرٍ إِذَا مَالَقِيتَهُمْ
بِمَا فَعَلَ الْإِخْوَانُ يَوْمَ التَّمَارُسِ (٢)
إِذَا مَا خَرَجْتُمْ فَاصْدُقُوا مَنْ لَقِيتُمُ
وَلاَ تَكْتُمُوا أَخْبَارَكُمْ فِى الْمَجَالِسِ
وَقُولُوا زَلَلْنَا عَنْ مَخَالِبِ خَادِرٍ
بِهِ وَحَرٌ فِى الصَّدْرِ مَا لَمْ يُمَارِسِ (٣)

قال ابن هشام: أنشدنى بيته «وإنَّا لَنَقْرِى الضيف» أبو زيد

قال ابن إسحق: وقال شَدَّاد بن عارض الْجُشَمِىُّ فى يوم ذى قَرَد لِعُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ، وكان عيينة بن حصن يكنى بأبى مالك: —

كلمة لشداد بن عارض الجشمى فى يوم ذى قرد

فَهَلاَّ كَرَرْتَ أَبَا مَالِكٍ وَخَيْلُكَ مُدْبِرَةٌ تُقْتَلُ
ذَكَرْتَ الْإِيَابَ إِلَى عَسْجَرٍ وَهَيْهَاتَ قَدْ بَعُدَ الْمَقْفَلُ (٤)

ويقال: إن أخبث الذئاب وأفتكها ذئاب الغضى، والمخالس: الذى يختلس الفرصة

(١) يذودون: يمنعون ويدفعون، والتلاد ـ بكسر التاء المثناة ـ المال القديم، ويروى «وبلادهم» بالباء الموحدة، وتقد: تقطع، والهام: الرءوس، والقوانس: جمع قونس، وهو أعلى بيض الحديد

(٢) التمارس: المضاربة فى الحرب والمقاربة

(٣) خادر: أسد يسكن الخدر، والخدر: الأجمة، والوحر ـ بفتح الواو والحاء المهملة ـ الحقد

(٤) الاياب: الرجوع، وعسجر: اسم موضع، والمقفل: مصدر ميمى بمعنى الرجوع، تقول: قفل المسافر، إذا رجع

وضَمَّنْتَ نَفْسَكَ ذَا مَيْعَةٍ مِسَحَّ الْفَضَاءِ إِذَا يُرْسَلُ(١)

إِذَا قَبَّضَتْهُ إِلَيْكَ الشِّمَا

لُ جَاشَ كَمَا اضْطَرَمَ الْمِرْجَلُ(٢)

فَلَمَّا عَرَفْتُمْ عِبَادَ الْإِلٰـهِ لَمْ يَنْظُرِ الْآخِرَ الْأَوَّلُ(٣)

عَرَفْتُمْ فَوَارِسَ قَدْ عُوِّدُوا طِرَادَ الْكُمَاةِ إِذَا أَسْهَلُوا(٤)

إِذَا طَرَدُوا الْخَيْلَ تَشْقَى بِهِمْ فِضَاحًا وَإِنْ يُطْرَدُوا يَنْزِلُوا(٥)

فَيَعْتَصِمُوا فِي سَوَاءِ الْمُقَا مِ بِالْبِيضِ أَخْلَصَهَا الصَّيْقَلُ(٦)

غزوة بنى الْمُصْطَلَقِ [بالْمُرَيْسِيع ، فى شعبان سنة ست]

قال ابن إسحق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعض جُمَادى الآخرة ورجبًا ، ثم غزا بنى الْمُصْطَلَقِ من خزاعة ، فى شعبان سنة ست

عامل رسول الله على المدينة

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا ذَر الْغِفَارِىّ ، ويقال : نُمَيْلة بن عبد الله الليثى

---

(١) ذا ميعة : أراد فرسا ذا نشاط ، والمسح : الكثير الجرى ، والفضاء : المتسع من الأرض

(٢) جاش : تحرك وعلا ، واضطرم : اتقد والتهب ، ويروى فى مكانه « اضطرب » بالباء الموحدة ، ومعناه تحرك ، والمرجل : القدر

(٣) لم ننظر : لم ينتظر

(٤) طراد ـ بكسر الطاء ـ مطاردة ، وهى أن يطرد بعضهم بعضا ، والكماة : جمع كمى ؛ وهو الشجاع ، وأسهلوا : نزلوا سهل الأرض

(٥) فضاح ـ بكسر الفاء ـ المفاضحة

(٦) أخلصها الصيقل : أزال ما عليها من الصدأ

قال ابن إسحق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومحمد بن يحيى بن حبان ، كُلٌّ قد حدثني بعض حديث بني المصطلق، قالوا : بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن بني الْمُصْطَلَق يَجْمَعُونَ له، وقائدهم الحرث ابن أبي ضِرَار أبو جُوَيْرِيَةَ بنت الحرث زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له الْمُرَيْسِيعُ من ناحية قُدَيْد إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا ، فهزم الله بني المصطلق ، وقتل من قتل منهم ، ونَفَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه ، وقد أصيب رجل من المسلمين من بني كَلْب بن عَوْف بن عامر بن ليث بن بكر يقال له هشام بن صُبَابة ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عُبَادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ، فبينا رسول الله على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جَهْجَاهُ بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جَهْجَاهُ وسِنَانُ بن وَبَر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهني : يامعشر الأنصار ، وصرخ جَهْجَاه : يامعشر المهاجرين ، فغضب عبدُ الله ابن أبي ابن سَلُولَ وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلامٌ حَدَث ، فقال : أَوَقَدْ فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أَعُدُّنَا وجلابيبَ [1] قريش [هذه] إلا كما قال الأول [2] « سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ » أما والله لئن رجعنا إلى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ

مقالة عبد الله بن أبي ابن سلول

(١) « جلابيب قريش » هذا لقب كان المشركون يلقبون به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة

(٢) « سمن كلبك يأكلك » هذا مثل من أمثال العرب ، وفي ضده تقول العرب : « جوع كلبك يتبعك »

ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم : أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم ، فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب فقال : مُرْ بِهِ عَبَّاد بن بشر فليقتله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « فَكَيْفَ يَاعُمَرُ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ . لاَ ، وَلَكِنْ أَذِّنْ بِالرَّحِيل » وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها ، فارتحل الناس وقد مشى عبد الله بن أبىّ ابن سَلولَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه — فحلف بالله ما قلت ما قال ، ولا تكلمت به ، وكان فى قومه شريفاً عظيما ، فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه : يارسول الله ، عسى أن يكون الغلام [قد] أوهم فى حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل ، حَدَبًا(١) على ابن أبى [ابن سلول] ودفعاً عنه

أسيد بن حضير ورسول الله

قال ابن إسحق : فلما استقلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه أُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ فحيّاه بتحية النبوة وسلَّم عليه ، ثم قال : يانبى الله ، والله لقد رُحْتَ فى ساعة منكرة ما كُنْتَ تَرُوحُ فى مثلها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَوَمَا بَلَغَكَ مَا قَالَ صَاحِبُكُمْ » قال : وأىّ صاحب يارسول الله ؟ قال : « عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَىّ » قال : وما قال ؟ قال : « زَعَمَ أَنَّهُ إِنْ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَخْرَجَ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ » قال : فأنت يارسول الله والله تخرجه [منها] إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ، ثم قال :

(١) « حدبا على ابن أبى » الحدب — بفتح الحاء والدال المهملتين — العطف والحنان ، وهو مفعول لأجله ، أى : قالوا ذلك للشفقة عليه

يارسول الله، أَرْفُقْ به ، فوالله لقد جاءنا الله بك و إن قومه لَيَنْظِمُونَ له الْخَرَزَ لِيُتَوِّجُوهُ ، فانه ليرى أنك قد استَلَبْتَهُ ملكا

ثم مشى[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم [بالناس] يَوْمَهُمْ ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مَسَّ الأرض فوقعوا نياماً ، و إنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبى

ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فُوَيْقَ النقيع يقال له بَقْعَاء ، فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم هَبَّتْ على الناس ريحٌ شديدة آذتهم وتخوفُوها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَخَافُوها فَإِنَّمَا هَبَّتْ لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنْ عُظَمَاءِ الْـكُفَّارِ » فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بنى قَيْنُقَاع — وكان عظيما من عظماء يهود ، وكَهْفًا للمنافقين — مات فى ذلك اليوم

ونزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى ابن أبى ومن كان على مثل أمره ، فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم ثم قال : « هَذَا الَّذِى أَوْفَى لِلَّهِ بِأُذُنِهِ » و بلغ عَبْدَ الله بن عَبْدِ الله بن أبى الذى كان من أمر أبيه

قال ابن إسحق : فحدثنى عاصم [بن عمر بن قتادة] أن عبد الله أتى رسول

(١) فى رواية أبى ذر « ثم متن رسول الله » ومعنى ذلك أنه سار بهم حتى أضعف إبلهم ، تقول : متن بالإبل ، إذا ركب متونها ولم يزل بها حتى تضعف .

عبد الله بن عبد الله بن أبي يستأذن رسول الله في قتل أبيه

الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله ابن أبي فيما بلغك عنه ، فان كنت لابد [فاعلا] فمُرْنى به فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقدعلمت الخزرجُ ما كان لها من رجل أبرَّ بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعُنِي نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله ابن أبي يمشى فى الناس ؛ فأقتله ، فأقتل [رجلا] مؤمنا بكافر ؛ فأدخل النار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بَلْ نَتَرَفَّقُ بِهِ وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَابَقِيَ مَعَنَا » وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب — حين بلغه ذلك من شأنهم — : « كَيْفَ تَرَى يَاعُمَرُ ؟ أَمَا وَاللهِ لَوْ قَتَلْتُهُ يَوْمَ قُلْتَ لِي اقْتُلْهُ لَأُرْعِدَتْ لَهُ آنُفٌ لَوْ أَمَرْتُهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلَتْهُ » قال : قال عمر : قد والله علمتُ لَأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظمُ بركةً من أمرى

أمر مقيس بن صبابة

قال ابن إسحق : وقدم مِقْيَسُ بن صُبَابة من مكة مسلما فيما يظهر ، فقال : يارسول الله ، جئتك مسلما ، وجئتك أطلب دِيَةَ أخى ، قُتِلَ خطأ ، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه هشام بن صُبَابة ، فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مُرْتَدًّا ، فقال فى شعر يقوله : —

كلمة لمقيس بن صبابة فى مقتل قاتل أخيه

شَفَى النَّفْسَ أَنْ قَدْ بَاتَ بِالْقَاعِ مُسْنَدًا
تُضَرِّجُ ثَوْبَيْهِ دِمَاءُ الْأَخَادِعِ (١)

(١) « بات » يروى فى مكانه « مات » والقاع : المنخفض من الأرض وتضرج : معناه تلطخ ، والأخادع : عروق فى القفا ، وإنما هما أخدعان لجمعهما لأنه أرادهما وما حولهما

وَكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ
تُلِمُّ فَتَحْمِينِي وِطَاءَ الْمَضَاجِعِ (١)
حَلَلْتُ بِهِ وِتْرِي وَأَدْرَكْتُ ثُؤْرَتِي
وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْثَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ (٢)
ثَأَرْتُ بِهِ فِهْراً وَحَمَّلْتُ عَقْلَهُ سَرَاةَ بَنِي النَّجَّارِ أَرْبَابَ فَارِعِ (٣)

وقال مِقْيَسُ بن صُبَابة أيضا : —

جَلَّلْتُهُ ضَرْبَةً بَاءَتْ لَهَا وَشَلٌ
مِنْ نَاقِعِ الْجَوْفِ يَعْلُوهُ وَيَنْصَرِمُ (٤)
فَقُلْتُ وَالْمَوْتُ تَغْشَاهُ أَسِرَّتُهُ لاَ تَأْمَنَنَّ بَنِي بَكْرٍ إِذَا ظَلَمُوا (٥)

شعار المسلمين يوم بنى المصطلق

قال ابن هشام : وكان شعار المسلمين يوم بنى المصطلق « يامَنْصُورُ أَمِتْ أَمِتْ »

---

(١) تلم : تنزل وتزور ، وتحميني : تمنعنى ، ووطاء المضاجع : ليناتها

(٢) الوتر : طلب الثأر ، والثؤرة ـ بضم الثاء وبعدها همزة ـ الثأر ، والثورة ـ بفتح الثاء وبعدها واو ـ الوثوب والارتفاع ، وبهما يروى ، ولكن الأول هو الصواب

(٣) العقل ـ بفتح العين المهملة ـ الدية ، وسراة بنى النجار : خيارهم وأشرافهم ، وفارع : اسم حصن من حصونهم

(٤) جللته : أراد علوته بها ، وباءت : أخذت لى بالثأر ، تقول : بؤت بفلان ، إذا أخذت بثأره ، ويروى فى مكانه « بانت » والوشل ـ بفتح الواو والشين ـ القطر ، وناقع الجوف : أراد به الدم ، وينصرم : ينقطع

(٥) الأسرة : التكسر الذى يكون فى جلد الوجه والجبهة

قتلى بنى المصطلق

قال ابن إسحق : وأصيب من بنى المصطلق يومئذ ناس ، و قَتَلَ علىٌّ ابن أبى طالب رضوان الله عليه منهم رجلين : مالـكا ، وابنه [وقَتَل عَبْدُ الرحمن بن عوف رجلاً من فُرْسانهم يقال له أحمر أو أحيمر]

سبايا بنى المصطلق وأمر جويرية بنت الحارث

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب منهم سَبْيًا كثيرا فَشَاقَسَمُه فى المسلمين ، وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جُوَيْرِيَةُ بنت الحرث بن أبى ضِرَار زَوْج رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق: وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة [بن الزبير] ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : لما قَسَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المصطلق وقعت جُوَيْرِيَةُ بنت الحرث فى السَّهْم لثابت بن قَيْس بن الشَّمَّاس ، أو لابن عم له ، فـكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حُلْوَةً مُلاَّحَةً [1] لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها قالت عائشة : فو الله ما هو إلا أن رأيتها على باب حُجْرَتى فـكرهتها ، وعرفت أنه سيرى منها صلى الله عليه وسلم ما رأيت ، فدخَلَتْ عليه ، فقالت : يارسول الله ، أنا جويرية بنت الحرث بن أبى ضرار سيد قومه ، وقد أصابنى من البلاء مالم يَخْفَ عليك ، فوقعتُ فى السَّهْم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فـكاتبتهُ على نفسى ، فجئتك أستعينك على كتابتى ، قال : «فهَلْ لَكِ فى خَيرٍ من ذَلك » ؟ قالت : وماهو يارسول الله ؟ قال : «أَقْضِى عَنْكِ كِتَابَتَكِ وَأَتزَوَّجُكِ» قالت : نعم يارسول الله ، قال : «قَدْ فعَلْتُ » قالت : وخرج الخبر إلى الناس أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوَّج جويرية ابنة الحرث [بن أبى ضرار] ، فقال الناس : أصهار رسول الله

---

(١) الملاحة ـ بضم الميم وتشديد اللام ـ الشديدة الملاحة

صلى الله عليه وسلم ، وأرسلوا ما بأيديهم ، قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظَمَ على قومها بركةً منها

[قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق ومعه جُوَيرية بنت الحارث ، وكان بذات الجيش ، دفع جُوَيرية إلى رجل من الأنصار وَديعةً ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضرار بفداء ابنته فلما كان بالعقيق نظر إلى الابل التى جاء بها للفداء فرغب فى بعيرين منها فغيَّبَهُمَا فى شِعْبٍ من شعاب العقيق ، ثم أتى النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، وقال : يا محمد ، أصبتم ابنتى وهذا فداؤها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فأَيْنَ الْبَعِيرَانِ اللَّذَانِ غيَّبْتَهُمَا بِالْعَقِيقِ فِى شِعْبِ كَذَا وكَذا» ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إلهَ إلا الله وأنك محمد رسول الله ، فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله ، فأسلم الحارث وأسلم معه ابنان له وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الابل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ودُفِعَتْ إليه ابنَتُهُ جُوَيرية ، فأسلمت وحَسُنَ إسلامها ، فخطبها النبى صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ؛ فزوَّجَهُ إياها ، وأصدقها أربعمائة درهم] (١)

قال ابن إسحق : وحدثنى يزيد بن رُومَان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد إسلامهم الوليدَ بن عُقْبَةَ بن أبى مُعَيْط ، فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم هابهم ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن القوم قد هَمُّوا بقتله ، ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم ، فأكثر المسلمون فى ذكر غَزْوهم ، حتى هَمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم ، فبيناهم على ذلك قدم وَفْدُهُمْ على رسول الله صلى الله عليه

بنو المصطلق يسلمون فيرسل إليهم رسول الله رسولا يهابهم ويجيبهم

---

(١) سقطت هذه القطعة كلها من أكثر أصول الكتاب

وسلم ، فقالوا : يارسول الله ، سمعنا برسولك — حين بعثته إلينا — فخرجنا إليه لنكرمه ونؤدى إليه ماقبلنا من الصدقة ، فانشمر راجعا[1] ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خرجنا إليه لنقتله ، ووالله ماجئنا لذلك ، فأنزل الله تعالى فيه وفيهم (٤٩:٥—٧) : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) إلى آخر الآية

وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك — كما حدثنى من لا أتهم ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة رضى الله عنها — حتى إذا كان قريبا من المدينة وكانت معه عائشة فى سفره ذلك قال فيها أهل الافك ما قالوا

خبر الافك فى غَزْوَة بنى المصطلق [سنة ست]

قال ابن إسحق : حدثنا الزهرى ، عن عَلْقَمَةَ بن وَقَّاص ، وعن سعيد بن جُبَيْر ، وعن عروة بن الزبير ، وعن عبيدالله بن عبد الله بن عُتْبَةَ ، قال : كلٌّ قد حدثنى بعضَ هذا الحديث ، و بعضُ القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعتُ لك الذى حدثنى القوم

قال محمد بن إسحق : وحدثنى يحيي بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة ؛ وعَبْدُ الله بن أبى بكر ، عن عَمْرَةَ بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، عن نفسها حين قال فيها أهل الافك ما قالوا ، وكلٌّ قد دخل

---

(١) انشمر راجعا : جد و أسرع فى العودة

فى حديثها عن هؤلاء جميعا ، يُحَدِّثُ بعضهم ما لم يحدث صاحبه ، وكل كان عنها ثقة ، فكلهم حَدَّث عنها بما سمع

عادة رسول الله فى الخروج باحدى نسائه

قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أقْرَعَ بين نسائه فأيَّتُهُنَّ خرج سَهْمُهَا خرج بها معه ، فلما كانت غَزْوَةُ بنى المصْطَلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع ، فخرج سَهْمِى عليهن معه ، فخرج بى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكُلْنَ العُلَقَ [1] لم يُهَيِّجْهُنَّ اللَّحْمُ [2] فَيَثْقُلْنَ ، وكنت إذا رُحِّل لى بعيرى جلست فى هَوْدَجِى ، ثم يأتى القوم الذين يُرَحِّلُونَ لى ويحملوننى ، فيأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيَضَعُونه على ظهر البعير فيَشُدُّونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به ، قالت: فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وَجَّه قافلاً ، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل مَنْزِلاً فبات به بَعْضَ الليل ، ثم أذَّنَ فى الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجْتُ لبعض حاجتى ، وفى عنقى عِقْدٌ

سبب تأخر عائشة عن القوم

لى فيه جَزْعُ [3] ظَفَارِ فلما فرغتُ انْسَلَّ من عنقى ولا أدرى، فلما رجعت إلى الرَّحْل ذهبت ألتمسه فى عنقى فلم أجده ، وقد أخذ الناسُ فى الرحيل ، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت [إليه] فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافى الذين كانوا يُرَحِّلُونَ لى البعير وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج وهم يظنون أنى فيه كما كنت أصنع ،فاحتملوه فشدوه على البعير ، ولم يَشُكُّوا أنى فيه ، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داعٍ ولا مجيب ؛ قد انطلق الناس، قالت :فتَلَفَّفْتُ بجلبابِى ثم اضطجعت

---

(١) العلق - بضم العين وفتح اللام - جمع علقة ، وهى ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء ؛ تريد أن طعامهن كان قليلا فهن نحيفات غير بدينات

(٢) التهيج : انتفاخ الجسم حتى يشبه الورم

(٣) الجزع : الخرز ، وظفار : اسم مدينة

فى مكانى ، وعرفت أن لو قد افْتُقِدْتُ لَرُجِع إلى ، قالت : فوالله إنى لَمُضْطجعة إذ مر بى صَفْوانُ بن المُعَطَّل السُّلَمِىُّ ، وقد كان تخلَّفَ عن العسكر لبعض حاجاته ، فلم يَبِت مع الناس ، فرأى سوادى (١) ، فأقبل حتى وقف على ، وقد كان يرانى قبل أن يُضْرَبَ علينا الحجاب ، فلما رآنى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ظعينةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا متلففة فى ثيابى ، قال : ما خَلَّفَك يرحمك الله ؟ قالت : فما كلمته ، ثم قرَّب البعير فقال : اركبى ، واستأخَرَ عنّى ، قالت : فركبتُ وأخذ برأس البعير ، فانطلق سريعا يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس وما افْتُقِدْتُ حتى أصبَحْتُ ونزل الناسُ ، فلما اطمأنوا طلع الرجلُ يقودنى ، فقال أهل الافك ما قالوا ، فارْتَعَجَ العسكر (٢) ، ووالله ما أعلم بشىء من ذلك

مرض عائشة بعد وصولها المدينة

ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شَكْوى شديدة ، ولا يبلغنى من ذلك شىء ، وقد انتهى الحديثُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبَوَىَّ لا يذكرون لى منه قليلا ولا كثيراً ، إلا أنى قد أنكَرْتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم بَعْضَ لطفه بى ؛ كنت إذا اشتكيت رَحِمَنِى ولطف بى ، فلم يفعل ذلك بى فى شَكْوَاىَ تلك ، فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل علىّ وعندى أمى تمرضنى (قال ابن هشام : وهى أمُّ رُومَان ، واسمها زينب بنت عبد دُهْمَان أحد بنى فراس بن غنم بن مالك ابن كنانة) قال : « كَيْفَ تِيكُمْ » ؟ لا يزيد على ذلك

قال ابن إسحق : قالت : حتى وجدتُ فى نفسى ، فقلت : يارسولَ

---

(١) السواد هنا : الشخص ، تقول : رأيت سواداً من بعيد ، إذا رأيت شخصاً

(٢) ارتعج العسكر : تحرك واضطرب

الله — حين رأيت مارأيت من جفائه لى — لو أذنْتَ لى فانتقلت إلى أمى فمرضتنى ، قال : « لاَ عَلَيْكِ » قالت : فانتقلت إلى أمى ولاعلم لى بشىء مما كان ، حتى نَقِهْتُ من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوما عَرَبًا ، ولانتخذ فى بيوتنا هذه الْكُنُفَ التى تتخذها الأعاجم نعافُهَا ونكرهها إنما كنا نذهب فى فُسَح المدينة ، وإنما كانت النساء يَخْرُجْن كل ليلة فى حوائجهن، فخرجت ليلة لبعض حاجتى ومعى أمُّ مِسْطَح بنتُ أبى رُهْمِ بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمُّهَا بنتَ صَخْر بن عامر بن كعب بن سعد ابن تَيْم خالة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، قالت : فوالله إنها لتمشى معى إذ عَثَرتْ فى مِرْطِهَا[1] فقالت: تعِسَ[2] مِسْطَح (ومِسْطَح لَقَبٌ ، واسمه عوف) قالت : قلت : بئْسَ لَعَمْرُ الله ماقلتِ لرجل من المهاجرين قد شهد بدرا ، قالت : أوَمَا بلغك الخبر يابنت أبى بكر ؟ قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتنى بالذى كان من قول أهل الافك ، قالت : قلت : أوقد كان هذا ؟ قالت : نعم ، والله لقد كان ، قالت : فوالله ما قَدَرْتُ على أن أقضى حاجتى ورجعت ، فوالله مازلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سَيَصْدَعُ كبدى[3] ، قالت: وقلت لأمى: يغفر الله لك ، تحدَّثَ الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لى من ذلك شيئا ، قالت : أىْ بُنَيَّةُ خَفِّضى عليك الشأن[4] ، فوالله لَقَلَّمَا كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كَثَّرْنَ وكَثَّرَ الناس عليها ، قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس يخطبهم

---

(١) المرط - بكسر الميم وسكون الراء - الكساء

(٢) تعس : معناه شقى ، أو أهلكه الله

(٣) يصدع كبدى : يشقها

(٤) خفضى عليك الشأن : هونى الأمر على نفسك ولاتريه شاقاصعب المحتمل

ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس، مابال رجال يؤذوننى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق ، والله ماعلمت منهم إلا خيرا ، ويقولون ذلك لرجل والله ماعلمت منه إلا خيرا ، ومايدخل بيتا من بيوتى إلا وهو معى » قالت : وكان كِبْرُ ذلك عند عبد الله بن أُبَىّ ابن سَلُولَ فى رجال من الخزرج مع الذى قال مسطح وحَمْنَة بنت جَحْش وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن من نسائه امرأة تناصينى [1] فى المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيراً ، وأما حَمْنَة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت تُضَادُّنِى لأختها ، فشقيت بذلك

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة قال أُسَيْدُ بن حُضَير : يارسول الله ، إنْ يكونوا من الأوس نَكْفِكَهُمْ وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمُرْنَا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تُضْرَبَ أعناقهم ، قالت : فقام سعد بن عُبَادة — وكان قبل ذلك يُرَى رجلا صالحا — فقال : كذبت ، لعمر الله لانضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ماقلت هذا ،فقال أُسَيْدٌ : كذبت لعمر الله ، ولكنك مُنَافق تجادل عن المنافقين ،قالت : وَتَثَاوَرَ الناسُ [2] ، حتى كاد يكون بين هذين الحَيَّيْنِ من الأوس والخزرج شَرٌّ ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل علىّ ، فدعا علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه وأسامة بن زيد فاستشارهما ، فأما أسامة فأثنى على خيراً وقاله ،

---

(١) تناصينى : يروى بالباء الموحدة وبالياء المثناة ، والمراد فى الروايتين جميعا تنازعنى الرتبة والمنزلة من نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) تثاور الناس : ثار بعضهم إلى بعض ؛ وقام بعضهم نحو بعض

ثم قال : يارسول الله ، أهلُكَ ولا نعلم إلا خيرا ، [ولا تعلم منهم إلا خيرا] وهذا الكذب والباطل ، وأما عليٌّ فانه قال : يارسول الله ، إن النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تستخلف ، وَسَلِ الجاريةَ فانها ستصدقك ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بُرَيْرَةَ ليسألها ، قالت : فقام إليها على بن أبى طالب فضربها ضربا شديداً ، ويقول : اصْدُقِى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فتقول : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعيب على عائشة شيئا إلا أنى كنت أعجن عجينى فآمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله ، قالت : ثم دخل عَلَىَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعندى أبواى ، وعندى امرأة من الأنصار ، وأنا أبكى وهى تبكى معى ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « ياعائشة ، إنه قد كان ماقد بلغك من قول الناس ، فاتقى الله فان كُنْتِ قَارَفْتِ سوءاً [1] مما يقول الناس فتوبى إلى الله ؛ فان الله يقبل التوبة عن عباده » قالت : فو الله ماهو إلا أن قال لى ذلك فَقَلَص [2] دمعى حتى ما أُحِسُّ منه شيئاً ، وانتظرت أَبَوَىَّ أن يجيبا عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يتكلما ، قالت : وايم الله لأنا كنت أحْقَرَ فى نفسى وأصغر شأنا من أن يُنْزِلَ الله فىَّ قرآنا يُقْرَأُ به فى المساجد وَيُصَلَّى به ، ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نومه شيئا يكذب به الله عنى ؛ لما يعلم من براءتى ، أو يخبر خبراً ، فأما قرآن ينزل فى فوالله لنَفْسِى كانت أحقر عندى من ذلك ، قالت : فلما لم أر أَبَوَىَّ يتكلمان قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه

---

(١) قارفت سوءا : أى أتيت ذنبا ، تقول : قارف الرجل الخطيئة ، إذا وقع فيها

(٢) قلص الدمع : ارتفع .

وسلم ، قالت: فقالا : والله ماندرى بماذا نجيبه ، قالت : ووالله ما أعلم أهْلَ بيت دخل عليهم مادخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام ، قالت : فلما أن استَعْجَمَا على استَعْبَرْتُ فبكيت ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدا ، والله إنى لأعلم لئن أقرَرْتُ بما يقول الناس والله يعلم أنى منه بريئة لأقُولَنَّ مالم يكن ، ولئن أنا أنكرت مايقولون لاتصدقوننى ، قالت : ثم التمست اسْمَ يعقوب فماأذكره ، فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَاتَصِفُونَ قالت: فو الله مابرح رسول الله صلى الله عليه وسلم مَجْلِسَهُ حتى تَغَشَّاهُ من الله ما كانَ يَتَغَشَّاهُ ، فَسُجِّىَ بثوبه ، ووُضِعَتْ له وِسَادة من أَدَمٍ تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك مارأيت فوالله ما فَزِعْتُ ولا باليت ، قد عرفت أنى [منه] بريئة ، وأن الله عزوجل غيْرُ ظالمى ، وأما أبَوَاىَ فوالذى نفسُ عائشة بيده ما سُرِّىَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظَنَنْتُ لَتَخْرُجَنَّ أنْفُسُهُمَا فَرَقًا من أن يأتى من الله تحقيقُ ماقال الناس ، قالت : ثم سُرِّىَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس وإنه لَيَتَحَدَّرُ منه مثل الْجُمَان فى يوم شاتٍ ، فجعل يمسح الْعَرَقَ عن جبينه ويقول : « أبْشِرِى يَاعَائِشَةُ فَقَدْ أنْزَلَ الله بَرَاءتَكِ » قالت : قلت : بحمد الله ، ثم خرج إلى الناس فَخَطَبَهُمْ وتلا عليهم ماأنزل الله عليه من القرآن فى ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسَّان بن ثابت وَحَمْنَةَ بنت جحش ــ وكانوا ممن أفصح بالفاحشة ــ فضربوا حدهم

تبرئة الله عائشة وضرب قذفتها الحد

قال ابن إسحق : وحدثنى أبى إسْحٰقُ بن يَسَار ، عن بعض رجال بنى النجار ، أن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب : ياأبا أيوب ، ألا تسمع مايقول الناس فى عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب ، أكنت ياأمَّ أيوب فاعلة ؟ قالت : لا والله ، ما كُنْتُ لأفْعَلَهُ ، قال : فعائشة والله

خَيْر منك ، قالت : فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ماقال من أهل الافك فقال تعالى : (٢٤ : ١١ — ١٥) (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) وذلك حسان بن ثابت وأصحابه الذين قالوا ماقالوا

قال ابن هشام : ويقال : وذلك عبد الله بن أُبَيّ وأصحابه

قال ابن هشام : والذى تولى كبره عبد الله بن أبى ، وقد ذكر ذلك ابن إسحق فى هذا الحديث قبل هذا

ثم قال تعالى : (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا) أى : فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته ، ثم قال : (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ) فلما نزل هذا فى عائشة وفيمن قال لها ماقال قال أبو بكر — وكان ينفق على مِسْطَح لقرابته وحاجته — : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبدا ، ولا أنفعه بنفع أبدا ، بعد الذى قال لعائشة وأدخل علينا ، قالت : فأنزل الله فى ذلك : (٢٤ : ٢٢) (وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

[قال ابن هشام : يقال : كِبْره وَكُبْره فى الرواية ، وأما فى القرآن فكِبْره بالكسر]

قال ابن هشام : ولا يأتل : ولا يَأْلُ أولو الفضل منكم ، قال امرؤ القيس بن حُجْر الكِنْدِيُّ : —

أَلَا رُبَّ خَصْمٍ فِيكِ أَلْوَى رَدَدْتُهُ
نَصِيحٍ عَلَى تَعْذَالِهِ غَيْرِ مُؤْتَلِ (١)

وهذا البيت فى قصيدة له

ويقال : ولا يأتل أولو الفضل : ولا يحلف أولو الفضل ، وهو قول الحسن بن أبى الحسن[البصرى] ، فيما بلغنا عنه ، وفى كتاب الله تعالى (٢ : ٢٢٦) (لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ) وهو من الأَلِيَّة ، والألية : اليمين ، قال حسان بن ثابت : —

آلَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا مِنِّى أَلِيَّةَ بَرٍّ غَيْرِ إِفْنَادِ (٢)

وهذا البيت فى أبيات له سأذكرها إن شاء الله فى موضعها (٣) ؛ فمعنى (أن يؤتوا) فى هذا المذاهب أن لا يؤتوا ، وفى كتاب الله عز وجل : (٤ : ١٧٦) : (يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا) يريد أن لاتضلوا ، و (٢٢:٦٥) : (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ) يريد أن لاتقع على الأرض، وقال ابن مُفَرِّغٍ الحِمْيَرِيُّ :—

---

(١) الخصم : لفظ يطلق على الواحد والجمع وعلى المذكر والمؤنث ، والألوى : الشديد الخصومة كأنه يلتوى على خصمه ؛ والتعذال والعذل ـ بسكون الذال ـ والعذل ـ بفتحها ـ واحد ، ومؤتل : أى مقصر ، والمراد من قوله «رددته» أنه لم يقبل نصحه ، ومعنى كونه غير مؤتل أنه مبالغ فى نصحه شديد الاجتهاد فيه

(٢) آليت : أقسمت وحلفت ، والألية : اليمين ، والبر : الصادق والمجتهد : الذى لم يقصر ، والافناد : الكذب، تقول: أفند الرجل، إذا كذب ، يريد آليت آلية بر غير ذى إفناد منى مجتهد

(٣) هذا البيت من كلمة يقولها حسان فى رثاء النبى صلى الله عليه وسلم

لاَذَعَرْتُ السَّوَامَ فِي وَضَحِ الصُّبْـ
ـحِ مُغِيرًا وَلاَ دُعِيتُ يَزِيدَا (١)
يَوْمَ أُعْطِي مَخَافَةَ الْمَوْتِ ضَيْماً وَالْمَنَايَا يَرْصُدْنَنِي أَنْ أَحِيدَا (٢)

يريد أن لا أحيد ، وهذان البيتان فى أبيات له

قال ابن إسحق : قالت : فقال أبو بكر : بلى والله إنى لأُحِبُّ أن يغفر الله لى ، فَرَجَعَ إلى مِسْطَح نَفَقَتَهُ التى كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبدا

صفوان بن المعطل وحسان بن ثابت

قال ابن إسحق : ثم إن صَفْوَانَ بن الْمُعَطّل اعترض حَسَّان بن ثابت بالسَّيْف — حين بلغه ما كان يقول فيه — وقد كان حسان قال شعرا مع ذلك يُعَرِّض بابن المعطل فيه و بمن أسلم من العرب من مضر قال : —

أَمْسَى الجَلاَبِيبُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا
وَابْنُ الْفُرَيْعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ (٣)

---

(١) ذعرت : أفزعت وأخفت ، والسوام : المال الذى يرسله صاحبه فى المرعى ، ووضح الصبح : بياضه وحين تنفلق الظلماء عن الضوء

(٢) الضيم : الذل ، وأحيد : أعدل وأميل ، تقول : حاد فلان عن الطريق إذا عدل عنه وعرج

(٣) الجلابيب : هذا لقب كان المشركون فى مكة يلقبون به أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، والفريعة - بضم الفاء وفتح الراء - أم حسان بن ثابت ، و « بيضة البلد » يريد أنه أصبح وحيدا لانظير له ولا يقوى عليه وأحد هذه ، عبارة تقال للمدح وتقال للذم أيضا

قَدْ ثَكِلَتْ أُمُّهُ مَنْ كُنْتَ صَاحِبَهُ

أوْ كَانَ مُنْتَشِبًا فِي بُرْثُنِ الْأَسَدِ (١)

مَا لِقَتِيلِي الَّذِي أَغْدُو فَآخُذُهُ

مِنْ دِيَةٍ فِيهِ يُعْطَاهَا وَلَاقَوَدُ (٢)

مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهُبُّ الرِّيحُ شَامِيَةً فَيَغْطَئِلُ وَيَرْمِي الْعِبْرَ بِالزَّبَدِ (٣)

يَوْمًا بِأَغْلَبَ مِنِّي حِينَ تُبْصِرُنِي

مِلْغَيْظِ أفْرِي كَفَرْيِ الْعَارِضِ الْبَرِدِ (٤)

أَمَّا قُرَيْشٌ فَإِنِّي لَنْ أُسَالِمَهُمْ حَتَّى يُنِيبُوا مِنَ الْغَيَّاتِ لِلرَّشَدِ (٥)

وَيَتْرُكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى بِمَعْزِلَةٍ

وَيَسْجُدُوا كُلُّهُمْ لِلْوَاحِدِ الصَّمَدِ

وَيَشْهَدُوا أَنَّ مَا قَالَ الرَّسُولُ لَهُمْ

حَقٌّ وَيُوفُوا بِعَهْدِ اللهِ وَالْوُكُدِ (٦)

---

(١) ثكلت : فقدت ؛ ومنتشبا : عالقا ، وبرثن الأسد : مخالبه ، وهى بمنزلة الأظفار للانسان ، وهذا البيت من شواهد النحاة على تقديم الفاعل المضاف إلى ضمير المفعول على هذا المفعول ، وقد أجازه جماعة منهم أبو الفتح بن جنى ، ومنعه الجمهور

(٢) القود ـ بفتح القاف والواو جميعا ـ قتل النفس بالنفس

(٣) يغطئل ـ بالغين معجمة ـ يموج ويتحرك ، والعبر : جانب النهر والبحر

(٤) ملغيظ : أراد من الغيظ ، فحذف النون ، وأفرى : أقطع ، والعارض : السحاب ، والبرد ـ بفتح الباء وكسر الراء ـ الذى فيه برد

(٥) ينيبوا : يرجعوا ويعودوا ، والغيات : جمع غية ، وهى المرة من الغى وهو ضد الرشد

(٦) الوكد : أراد به توكيد العهد وتقويته

صفوان يضرب حسان بالسيف

فاعترضه صَفْوانُ بن الْمُعَطَّلِ فضربه بالسيف ، ثم قال — كما حدثنى يعقوب بن عتبة : —

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّى فإنَّنِى غُلَامٌ إذَا هُوجِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرِ

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحرث التيمى ، أن ثابت بن قَيْس بن الشَّمَّاس وثب على صَفْوَان بن الْمُعَطَّل — حين ضرب حَسَّان — فجمع يديه إلى عنقه بحبل ، ثم انطلق به إلى دار بنى الحرث بن الخزرج ، فلقيه عبد الله بن رَوَاحة ، فقال : ماهذا ؟ قال : أما أُعَجِّبُكَ ضَرَبَ حَسَّانَ بالسيف ، والله ماأُراه إلاقتله ، قال له عبد الله بن رواحة : هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء مما صنعت ؟ قال : لاوالله ، قال : لقد اجترأت ، أطْلِقِ الرجل ، فأطلقه ، ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له ، فدعا حَسَّان وصفوان بن المعطل ، فقال ابن المعطل : يارسول الله آذانى وهجانى ، فاحتملنى الغضب فضربته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : « يَاحَسَّانُ أَتَشَوَّهْتَ عَلَى قَوْمِى أَنْ هَدَاهُمُ اللهُ لِلإسْلاَمِ » ثم قال : « أَحْسِنْ يَاحَسَّانُ فِى الَّذِى قَدْ أَصَابَكَ » قال : هى لك [يارسولَ الله]

قال ابن هشام : ويقال : [أبعد] أن هداكم الله للاسلام

رسول الله يعوض حسان من ضرب صفوان اياه

قال ابن إسحق : فحدثنى محمد بن إبراهيم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعطاه عِوَضاً منها بِيرَحَاءَ ، وهى قصر بنى حُدَيْلَةَ اليوم بالمدينة وكانت مالاً لأبى طَلْحَةَ بن سهل تَصَدَّق بها على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم حَسَّان فى ضربته ، وأعطاه سيرينَ أمةً قِبْطِيَّةً فولدت له عبدالرحمن بن حسان ، قال : وكانت

عائشة تقول : لقد سُئِلَ عن ابن الْمُعَطَّل فوجدوه رجلا حَصُورا مايأتى النساء ، ثم قتل بعد ذلك شهيدا

ثم قال حسان بن ثابت يعتذر من الذى كان قال فى شأن عائشة رضى الله عنها : —

كلمة حسان فى تبرئة عائشة أم المؤمنين

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ
وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ (١)

عَقِيلَةُ حَيٍّ مِنْ لُؤَىِّ بْنِ غَالِبٍ
كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ (٢)

مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللهُ خِيمَهَا
وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ (٣)

فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِى قَدْ زَعَمْتُمُ
فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِى إِلَىَّ أَنَامِلِي (٤)

---

(١) حصان : عفيفة ، ورزان : ملازمة لموضعها لاتتصرف كثيرا ، وتزن ـ بالبناء للمجهول ـ تتهم ، وغرثى : جائعة ، يريد أنها لاتنال عرض أحد ، والغوافل : جمع غافلة

(٢) العقيلة : الكريمة ، والمساعى : جمع مسعاة ، وهو مايسعى فيه المرء من طلب المجد والمكارم

(٣) مهذبة : صافية مخلصة ، والخيم ـ بكسر الخاء ـ الطبع والأصل

(٤) الأنامل : جمع أنملة ، وهى طرف الأصبع ، وربما عبر بها عن الأصبع ، وأراد الدعاء على نفسه بشلل يده إن كان مانسب إليه قد قاله حقا

وَكَيْفَ وَوُدِّى مَا حَيِيتُ وَنُصْرَتِى
لِآلِ رَسُولِ اللهِ زَيْنِ الْمَحَافِلِ (١)

لَهُ رَتَبٌ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ تَقَاصَرُ عَنْهُ سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ (٢)

فَإِنَّ الَّذِى قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَائِطٍ
وَلٰكِنَّهُ قَوْلُ امْرِىءٍ بِىَ مَاحِلِ (٣)

قال ابن هشام : بيته « عقيلة حى » و [البيت] الذى بعده ، و بيته « له رَتَبٌ عال » عن أبى زيد الأنصارى .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة أن امرأة مدحت بنت حسان بن ثابت عند عائشة فقالت : —

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

فقالت عائشة : لكن أبوها

قال ابن إسحق : وقال قائل من المسلمين فى ضرب حسّان وأصحابه فى فِرْيَتِهِمْ على عائشة .

قال ابن هشام : فى ضرب حسان وصاحبيه : —

---

(١) المحافل : جمع محفل ، وهو المكان الذى يجتمع فيه الناس

(٢) رتب : يروى بضم الراء وبفتحها ، فأما من رواه بضم الراء فقد أراد جمع رتبة ، وهى المنزلة ، وأما من رواه بفتح الراء فقد أراد المجد والشرف وأصله الموضع المشرف المرتفع من الأرض ، والسورة - بفتح السين - الوثبة ، وتقول : تثاور الرجلان وتساورا

(٣) ليس بلائط : أى ليس بلاصق ، تقول : هذا لايليط بفلان ، إذا أردت أنه لايلصق به ، والماحل : النمام الواشى الكاذب

لَقَدْ ذَاقَ حَسَّانُ الَّذِى كَانَ أَهْلَهُ
وَحَمْنَةُ إذْ قَالُوا هَجِيراً وَمِسْطَحُ (١)

كلمة أحد المسلمين فى ضرب حسان وأصحابه حد القذف

تَعَاطَوْا بِرَجْمِ الْغَيْبِ زَوْجَ نَبِيِّهِمْ
وَسَخْطَةَ ذِى الْعَرْشِ الْكَرِيمِ فَأُتْرِحُوا (٢)

وَآذَوْا رَسُولَ اللهِ فِيهَا فُجُلِّلُوا
مَخَازِىَ تَبْقَى عُمِّمُوهَا وَفُضِّحُوا

وَصُبَّتْ عَلَيْهِمْ مُحْصَدَاتٌ كَأَنَّهَا
شَآبِيبُ قَطْرٍ مِنْ ذُرَى الْمُزْنِ تَسْفَحُ (٣)

غزوة الحديبية

أمر الحديبية (٤) ، فى آخر سنة ست ، وذكر بيعة الرضوان
والصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سُهَيْل بن عَمْرو

قال ابن إسحق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة شهر رمضان وشوالا ، وخرج فى ذى القعدة مُعْتَمِراً لا يريد حرباً .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نُمَيْلَةَ بن عبد الله الليثى

رسول الله يستنفر الناس

قال ابن إسحق : واستنفر الْعَرَبَ ومَنْ حوله من أهل الْبَوَادِى من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش الذى صنعوا أن يعرضوا له

---

(١) هجيرا : هو الهجر ، وهو الفحش من القول والقبيح منه

(٢) الرجم : الظن ، وأترحوا ـ بالبناء للمجهول ـ أصيبوا بالترح ، وهو الحزن ، ويروى فأبرحوا ـ بالباء الموحدة مبنيا للمجهول أيضا ـ وهو من البرح ؛ وهو الشدة

(٣) محصدات ـ بفتح الصاد ـ أى سياطا محكمة الفتل شديدات ، والشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر ، والذرى : الأعالى ، والمزن : السحاب ، وتسفح : تسيل

(٤) الحديبية ـ يقال بتخفيف الياء وبتشديدها ، وهى قرية ليست

بحرب أو يَصُدُّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهَدْىَ ، وأحرم بالعُمْرَةِ ليأمن الناسُ من حربه وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومُعَظِّماً له

هدى رسول الله

قال ابن إسحق : حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن عروة ابن الزبير ، عن مِسْوَر بن مَخْرَمة ومَرْوَان بن الحكم أنهما حَدَّثاه قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ الْحُدَيْبِيَةِ يريد زِيَارَةَ البيت ، لا يريد قتالا ، وساق معه الهَدْىَ سَبْعِينَ بَدَنَةً ، وكان الناس سبعمائة رجل ؛ فكانت كل بدنة عن عشرة نفر ، وكان جابر بن عبد الله — فيما بلغنى — يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة ، قال الزهرى : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بعُسْفَانَ لقيه بشر بن سفيان الكعبي

قال ابن هشام : [ويقال] بُسْر

بشر بن سفيان يخبر رسول الله باجتماع قريش له

فقال : يارسول الله ، هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العُوذُ المَطَافِيلُ (١) قد لبسوا جُلودَ النُّمور (٢) وقد نزلوا بذى طُوًى ، يعاهدون الله لا تَدْخُلها عليهم أبدا ، وهذا خالد بن الوليد فى خَيْلِهم قد قَدَّمُوها إلى كُرَاعِ الغَمِيم ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَاوَيْحَ قُرَيْشٍ !!! لَقَدْ أَكَلَتْهُمُ الْحَرْبُ (٣) ، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلَّوْا بَيْنِى وَبَيْنَ

بكيرة ، بينها وبين مكة مرحلة واحدة ، وبينها وبين المدينة تسع مراحل ، ويقال : إن بعضها من الحل وبعضها من الحرم ، وسميت بذلك لبئر فيها تسمى الحديبية

(١) العوذ : جمع عائذ ، وهى التى لها تلد ، والمطافيل : جمع مطفل وهى التى لها طفل ، وأصل الطفل الصبى من الأناسى فاستعاره هنا لأبناء النوق

(٢) يريد أنهم تنمروا لك (٣) فى نسخة «ولقد أكلتهم الحرب» والمعنى واحد

سَائِرِ الْعَرَبِ فَإِنْ هُمْ أَصَابُونِي كَانَ ذَلِكَ الَّذِي أَرَادُوا وَإِنْ أَظهرني الله عليهم دَخلوا في الاسلام وَافرين وإن لَمْ يَفعلُوا قَاتلُوا وَ بِهِمْ قُوَّةٌ فَمَا تَظُنُّ قُرَيْشٌ فَوَاللهِ لَاأَزَالُ أُجَاهِدُ عَلَى الَّذِى بَعَثَنِى اللهُ بِهِ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ تَنفَرِدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ[1] »ثم قال : « مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهِمُ الَّتِي هُمْ بِهَا » ؟

رسول الله يسلك غير طريق قريش

قال ابن إسحق : فحدثني عبدالله بن أبي بكر ، أن رجلا من أسلم قال : أنا يارسول الله، قال : فسلك بهم طريقا وَعرًا أَجْرَل[2] بين شِعَاب ، فلما خرجوا منـه وقد شَقَّ ذلك على المسلمين وأَفْضَوْا إلى أرض سَهْلَةٍ عند مُنْقَطَع الوادى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : « قُولُوا نَسْتَغْفِرُ اللهَ وَنَتُوبُ إليه » فقالوا ذلك ، فقال : « وَاللهِ إِنَّهَا لَلْحِطَّةُ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَقُولُوهَا »

قال ابن شهاب[3] : فأمر رسول الله صلى الله عليـه وسلم الناس ، فقال : « اسْلُـكُوا ذَاتَ الْيَمِينِ » بَيْن ظَهْرَى الْحَمْضِ[4] فى طريق [تخرجهم] على ثَنِيَّةِ الْمرَارِ مَهْبِطِ الْحُدَيْبية من أسفل مكة ، قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ، فلما رأت خيل قريش قَتَرَةَ الجيش[5] قد خالفوا عن طريقهم رجعوا راكضين إلى قريش ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلك فى ثَنِيَّةِ الْمرَارِ بركت ناقته فقال الناس : خَلَأَتِ[6] الناقة ،

---

(١) السالفة : صفحة العنق

(٢) أجرل : كثير الحجارة ، ويروى «أجرد» بالدال المهملة ، وهو الذى لانبات فيه (٣) فى نسخة « قال ابن هشام »

(٤) الحمض : ما ملح من النبات ، وهو هنا اسم موضع

(٥) قترة الجيش : غباره

(٦) خلأت : أى حرنت ، ولا يقال ذلك إلا الناقة

فقال : « مَاخَلَأَتْ وَمَا هُوَ لَهَا بِخُلُقٍ وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ عَنْ مَكَّةَ ؛ لَا تَدْعُونِى قُرَيْشٌ الْيَوْمَ إِلَى خُطَّةٍ يَسْأَلُونَنِى فِيهَا صِلَةَ الرَّحِمِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا » ثم قال للناس : « انزِلُوا » قيل له : يارسول الله ، ما بالوادى ماءٌ يُنْزَلُ عليه ، فأخرج سَهْمًا من كِنَانته فأعطاه رجُلًا من أصحابه ، فنزل [به] فى قليبٍ[1] من تلك القُلُبِ فغرَزَه فى جَوْفه ، فجَاشَ[2] بالرَّوَاءِ[3] حتَّى ضرب الناس عنه بِعَطَنٍ[4]

رسول الله ينزل على غير ماء

قال ابن إسحق : فحدثنى بعض أهل العلم ، عن رجال من أسلم ، أن الذى نزل فى القليب بِسَهْمِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية بن جُنْدَب ابن عُمَيْر بن يَعْمَر بن دارم بن عمرو بن وائلة بن سَهم بن مازن بن سلامان ابن أسلم بن أفصى بن أبى حارثة ، وهو سائق بُدْن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : أفصى بن حارثة

قال ابن إسحق : وقد زعم لى بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذى نزلت بسَهْم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالله أعلم أى ذلك كان

وقد أنْشَدَتْ أَسْلَمُ أبياتًا من شعر قالها ناجية قد ظَنَنَّا أنه هو الذى نزل

---

(١) القليب : البئر ، والقلب : جمعه

(٢) جاش : علا وارتفع

(٣) الرواء — بفتح الراء — الكثير

(٤) العطن — بفتح العين المهملة والطاء — مبرك الابل

بالسَّهْم ، فزعمت أسْلَمَ أن جارية من الأنصار أقْبَلَتْ بِدَلْوِها وناجيةُ فى القليب يَميح على الناس [١] ، فقالت :—

يَاأَيُّهَا الْمَائِحُ دَلْوِى دُونَكَا * إِنِّى رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَا [٢]
* يُثْنُونَ خَيْراً وَيُمَجِّدُونَكَا * [٣]

قال ابن هشام : ويروى :

* إِنِّى رَأَيْتُ النَّاسَ يَمْدَحُونَكَا *

قال ابن إسحق : فقال ناجية وهو فى القليب يَميحُ على الناس :—

قَدْ عَلِمَتْ جَارِيَةٌ يَمَانِيَهْ * أَنِّى أَنَا الْمَائِحُ وَاسْمِى نَاجِيَهْ
وَطَعْنَةٍ ذَاتِ رَشَاشٍ وَاهِيَهْ * طَعَنْتُهَا عِنْدَ صُدُورِ الْعَادِيَهْ [٤]

مجىء بديل الخزاعى الى رسول الله

فقال الزهرى فى حديثه : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه بُدَيْلُ بن وَرْقَاء [الْخُزَاعِيُّ] فى رجال من خُزَاعة فكلموه وسألوه ماالذى

---

(١) يميح على الناس : يريد أنه يملأ لهم الدلاء وهو فى أسفل البئر

(٢) المائح : هو الرجل يكون فى أسفل البئر يملأ الدلاء للقوم ، والماتح بالتاء المثناة ـ هو الذى يكون فى أعلى البئر ينتزع الدلاء المملوءة ، وقولها « دلوى دونكا » هو من شواهد بعض النحاة على جواز تقديم معمول اسم الفعل عليه ، وتأوله قوم بأنه من باب حذف العامل ، وأصله : خذ دلوى دونكا

(٣) يمجدونكا: يشرفونك ، والتمجيد : التشريف ، ويروى الرجز هكذا:ـ

إِنِّى رَأَيْتُ النَّاسَ يَمْنَحُونَكَا يُثْنُونَ خَيْراً وَيُمَجِّدُونَكَا

ويمنحونك : أى يعطونك ، والمنحة : العطية ، تريد أنهم يعطونه دلاءهم

(٤) الواهية : المسترخية الواسعة الشق ، والعادية : القوم الذين يسرعون العدو ، والعدو : هو السير السريع

جاء به ، فأخبرهم أنه لم يأت يريد حربا ، وإنما جاء زائرا البيت ، ومعظما حرمته ، ثم قال لهم نحوا مما قال لبشر بن سُفْيَان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يامعشر قريش ، إنكم تعجلون على محمد ، إن محمدا لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائرا لهذا البيت ، فاتَّهَمُوهُمْ وجَبَّهُوهُمْ [١] ، وقالوا : وإن كان جاء ولا يريد قتالا ، فوالله لايدخلها علينا عَنْوَةً أبدا ، ولا تحدث بذلك عنا العرب

مجيء مكرز بن حفص إلى النبي

قال الزهرى : وكانت خزاعة عَيْبَةَ [٢] [نصح] رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمها ومشركها ، لا يُخْفُونَ عنه شيئا كان بمكة ، قال : ثم بعثوا إليه مِكْرَزَ بن حَفْص بن الأخيف أخا بنى عامر بن لؤى ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال : « هٰذَا رَجُلٌ غَادِرٌ » فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا مما قال لبُدَيْل وأصحابه ، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بعثوا إليه الحُلَيْسَ بن علقمة أو ابن زَبَّان ، وكان يومئذ سيد

قريش تبعث الحليس بن علقمة

الأحابيش ، وهو أحد بنى الحرث بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ هٰذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلَّهُونَ [٣] فَابْعَثُوا الْهَدْىَ فِى وَجْهِهِ حَتَّى يَرَاهُ » فلما رأى الْهَدْىَ يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده [٤] وقد أكل أَوْبَارَهُ من طول الحبس عن مَحِلِّه [٥] رجع إلى

---

(١) جبهوهم : خاطبوهم بما يكرهون ، تقول : جبهت الرجل ، إذا خاطبته بما يكره

(٢) عيبة نصحه : خاصته وأصحاب سره ، بمنزلة العيبة التى يودع الرجل فيها أفضل ثيابه ، وقد سقطت كلمة « نصحه » من بعض النسخ

(٣) يتألهون : يتعبدون

(٤) يسيل من عرض الوادى : يسرع السير ، وعرض الوادى : جانبه ، والقلائد : مايعلق فى أعناق الهدى ليعلم أنه هدى

(٥) محله : موضعه الذى ينحر فيه ، وفى الكتاب العزيز (حتى يبلغ الهدى محله)

قريش ، ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاما لما رأى ، فقال لهم ذلك ، قال : فقالوا له : اجلس فإنما أنت أعرابى لا علم لك .

قال ابن إسحق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن الْحُلَيْسَ غضب عند ذلك ، وقال : يامعشر قريش ، والله ماعلى هذا حالفناكم ، ولاعلى هذا عاقدناكم ، أيُصَدُّ عن بيت الله من جاء مُعَظِّمًا له ، والذى نَفْسُ الحُلَيْسِ بيده لَتُخَلُّنَّ بين محمد وبين ماجاء له أولَأَنْفِرَنَّ بالأحابيش نَفْرَةَ رجل واحد ، قال : فقالوا له : مَهْ كُفَّ عنا ياحُلَيْسُ حتى نأخذ لأنفسنا مانرضى به ،

قريش تبعث عروة بن مسعود الثقفى

قال الزهرى فى حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عُرْوَةَ ابن مسعود الثقفى ، فقال : يامعشر قريش ، إنى قد رأيت مايَلْقَى منكم من بَعَثْتُمُوهُ إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وأنى ولد (وكان عروة لِسُبَيْعَةَ بنت عبد شمس) وقد سمعتُ بالذى نابكم فجمعتُ من أطاعنى من قومى ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى ، قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم ، فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ، ثم قال : يامحمد ، أجَمَعْتَ أوْ شَابَ [1] الناس ثم جئت بهم إلى بَيْضَتِكَ لِتَفُضَّها [2] بهم ، إنها قُرَيْشٌ قد خرجت معها العُوذُ المطَافيل ، قد لبسوا جلود النمور ، يعاهدون الله لاتدخلها عليهم عَنْوَةً [3] أبدا ، وايم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا [4] ، قال : وأبو بكر الصديق

(١) الأوشاب : الأخلاط
(٢) بيضة الرجل : أهله وقبيله ، وتفضها : أى تكسرها
(٣) عنوة — بفتح فسكون — أى : قهراً وغلبة
(٤) انكشفوا عنك : انهزموا وتركوك لعدوك

خَلْفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ، فقال : امْصُصْ بَظْرَ اللَّاتِ ، أَنَحْنُ نَنْكَشِفُ عنه ؟ قال : مَنْ هذا يامحمد ؟ قال : « هٰذَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ » قال : أما والله لولا يدٌ كانت لك عندي لكافأتك بها ، ولكن هذه بها ، قال : ثم جعل يَتَنَاوَلُ لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه ، قال : والمغيرة بن شعبة واقفٌ على رأس رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى الحديد ، قال : فجعل يَقْرَعُ يده إذا تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : اكْفُفْ يَدَكَ عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قَبْلَ أن لاتصل إليك ، قال : فيقول عُرْوَةُ : ويحك !!! ماأَفَظَّكَ وأغلظك !!! قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له عروة : من هذا يامحمد ؟ قال : « هٰذَا ابْنُ أَخِيكَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ » قال : أى غُدَرُ ، وهل غَسَلْتُ سوأتك إلا بالأمس

قال ابن هشام : أراد عروة بقوله هذا أن المغيرة [بن شعبة] قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك من ثقيف ، فتهايج الحيان من ثقيف : بنو مالك رهط المقتولين ، والأحلاف رهط المغيرة ، فَوَدَى عروةُ المقتولين ثلاث عشرة دية ، وأصلح ذلك الأمر

قال ابن إسحق : قال الزهرى : فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو مما كلم [به] أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حربا ، فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى مايصنع به أصحابه : لايتوضأ إلا ابتدروا وَضُوءَهُ ، ولايبصق بصاقا إلا ابتدروه ، ولايسقط من شعره شيء إلا أخذوه ، فرجع إلى قريش فقال : يامعشر قريش ، إنى قد جئت كِسْرَى فى ملكه وقَيْصَرَ فى ملكه ، والنجاشى فى ملكه ، وإنى والله مارأيت مَلِكاً فى

قوم قَطُّ مثل محمد فى أصحابه ؛ ولقد رأيت قوما لايسلمونه لشىء أبدا ، فَرَوْا رأيَكم

وسول الله يرسل لقريش خراش بن أمية الخزاعى

قالْ ابن إسحق : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خِرَاشَ بن أُمَيَّةَ الْخُزَاعِىَّ فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على بعير له يقال له الثَّعْلَب لِيُبَلِّغَ أشرافهم عنه ماجاء له ، فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرادوا قتله ، فمنعته الأحابيش ، فَخَلَّوْا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قريش ترسل العيون لاستطلاع أخبار النبى

قال ابن إسحق . وقد حدثنى بعض من لاأتهم، عن عكرمة مولى ابن عباس، [عن ابن عباس] ، أن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم ، أو خمسين رجلا ، وأمَرُوهُمْ أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا ، فأُخِذُوا أخذاً ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعفا عنهم ، وخلَّى سبيلهم ، وقد كانوا رَمَوْا فى عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنَّبْلِ

رسول الله يبعث عثمان بن عفان

ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فيُبَلِّغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يارسول الله ، إنى أخاف قريشا على نفسى ، وليس بمكة من بنى عَدِىٍّ بن كعب أحدٌ يمنعنى ، وقد عرفت قريش عداوتى إياها وغِلْظَتى عليها ، ولكنى أدُلُّكَ على رجل أعز بها منى عُثْمَان بن عفان ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان ابن عفان ، فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه إنما جاء زائراً لهذا البيت ومُعَظِّمًا لحرمته

قال ابن إسحق : فخرج عثمان إلى مكة فلقيه أبَانُ بن سعيد بن العاص ، حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بَلَّغَ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق عثمان حتى أتى

أباسفيان وعظماء قريش فَبَلَّغَهُمْ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فَطُفْ ، فقال : ما كنت لأفعل حتى يَطُوفَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحتبسته قريش عندها ، فَبَلَغَ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أنَّ عثمان بن عفان قد قُتِلَ

بيعة الرضوان

سبب البيعة

قال ابن إسحق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال — حين بلغه أن عثمان قد قتل — : « لَا نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ الْقَوْمَ » فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت ، وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفر ؛ فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجَدُّ بنُ قَيْسٍ أخو بنى سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول: والله لكأنى أنظر إليه لاصقاً بابط ناقته قد ضبأ إليها [1] يستتر بها من الناس ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذى ذكر من أمر عثمان باطل

لم يتخلف عن البيعة إلا الجد بن قيس

أول من بايع رسول الله

قال ابن هشام : فذكر وكيع ، عن إسمعيل بن أبى خالد ، عن الشعبى ، أن أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنان الأسدى .

(١) ضبأ إليها : لصق بها واستتر

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به ، عمن حدثه بإسناد له ، عن ابن أبي مُلَيكة ، عن ابن عمر ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى

رسول الله يبايع لعثمان بن عفان

[أمر] الهُدْنَة

قال ابن إسحق : قال الزهري : ثم بَعَثَتْ قريش سُهَيْلَ بن عَمْرو أخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا له : ائت محمدا فصالحه ولا يكن في صلحه إلاَّ أن يرجع عنَّا عامَهُ هذا ، فوالله لاتحدَّثُ العرب عنَّا أنه دخلها علينا عَنْوَةً أبدا ، فأتاه سُهَيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال : « قَدْ أَرَادَ القَوْمُ الصُّلْحَ حِينَ بَعَثُوا هذَا الرَّجُلَ » فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثَبَ عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين؟ قال : بلى ، قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلامَ نُعْطي الدَّنِيَّةَ [1] في ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر ، الزم غَرْزَهُ [2] فإني أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، ألست برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ،

عمر بن الخطاب يتألم لصلح القوم

---

(١) « نعطي الدنية » الدنية : الذل والصغار والخسيس من الأمر ، يريد لماذا نقبل من المشركين ما يعتبر هوانا لنا ومذلة

(٢) « الزم غرزه » يريد لاتحد عن طريقه ولا تختر لنفسك إلا ما يختاره ، وأصل الغرز بمنزلة الركاب للسرج

قال : فعلام نُعْطِى الدنية فى ديننا ، قال : « أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ لَنْ أُخَالِفَ أَمْرَهُ وَلَنْ يُضِيعَنِى » قال : فكان عمر يقول : مازلت أتَصَدَّق وأصوم وأصلى وأعتق من الذى صنعت يومئذ ؛ مخافة كلامى الّذى تكلمت به حين رَجَوْتُ أن يكون خيرا

كتابة عقد الصلح

قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، قال: فقال سهيل : لاأعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم ، فكتبها ، ثم قال : اكتب هذا ماصالح عليه محمدٌ رسولُ الله سهيلَ بن عمرو ، قال : فقال سهيل : لوشهدت أنك رسول الله لم أُقاتلك ؛ ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب هذا ماصالح عليه محمدُ بْنُ عبد الله سهيلَ بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهنَّ الناسُ ، ويكفُّ بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رَدَّه عليهم، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وأن بيننا عَيْبَةً مَكْفُوفة (١) وأنه لاإسلال ولاإغلال (٢) وأنه من أحَبَّ أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنوبكر فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم ، وأنك تَرْجِعُ عنا عَامَكَ هذا فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام

(١) « أن بيننا عيبة مكفوفة » المراد أنك تكف عنا ونكف عنك ، فاستعار هذه العبارة لذلك

(٢) الاسلال : السرقة الخفية ، والاغلال : الخيانة

قابل خرَجْنَا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب السيوفُ فى القُرُب ، لاتدخلها بغيرها

أمر أبى جندل ابن سهيل بن عمرو

فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسُهَيْلُ بن عمرو إذ جاء أبوجندل بن سهيل بن عمرو يرْسُفُ[(١)] في الحديد قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لايشكون فى الفتح لِرُؤْيَا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رَأَوْا مارَأَوْا من الصلح والرجوع وما تَحَمَّلَ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفسه دَخَلَ [على] الناس من ذلك أمرٌ عظيم ، حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سهيلٌ أبا جندل قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ بتَلْبيبه ، ثم قال : يامحمد ، قد لَجَّت القضية[(٢)] بينى و بينك قبل أن يأتيك هذا ، قال : « صَدَقْتَ » فجعل ينتره بتلبيبه[(٣)] ويجره ليرده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يَصْرُخ بأعلى صوته : يامعشر المسلمين ، أأُرَدُّ إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟ ! ! فزاد [ذلك] الناسَ إلى مابهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ياأَبَا جَنْدَلٍ ، اُصْبِرْ وَاحتَسِبْ فَانَّ اللهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرجاً وَمَخْرَجاً ، إنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحاً وَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَأَعْطَوْنَا عَهْدَ اللهِ وَإنَّا لاَ نَغْدِرُ بِهِمْ » قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فانما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب ، قال: ويُدْنِى قائم السيف منه ، قال : يقول عمر : رجوت أن

(١) يرسف : يمشى مشى المقيد

(٢) لجت القضية : انعقدت وانتهى أمرها وتمت

(٣) ينتره : يجذبه جذبا شديدا عنيفا

يأخذ السيف فيضرب به اباه ، قال : فضن [١] الرجلُ بأبيه ، وقذت القضيـة .

شهود عقد الصلح

فلما فرغ من الكتاب أُشْهِدَ على الصلح رجال من المسلمين ورجال من المشركين : أبوبكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبدالرحمن بن عَوْفٍ ، وعبد الله بن سُهَيْل بن عمرو ، وسعد بن أبى وقاص ، ومحمود بن مسلمة ، ومِكْرَزُ بن حَفْص وهو يومئذ مشرك ، وعلىُّ بن أبى طالب ، وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطربا [٢] فى الحل ، وكان يصلى فى الحرم

رسول الله يتحلل من احرامه

فلما فرغ من الصلح قام إلى هَدْيه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ، وكان الذى حلقه — فيما بلغنى فى ذلك اليوم — خِرَاشُ بن أُمَيَّةَ بن الفضل الخزاعى ، فلما رأى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحلق تواثبوا يَنْحَرُون ويحلقون

حلق رجال وقصر آخرون

قال ابن إسحق : فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : حلق رجالٌ يوم الحديبية وقصَّر آخرون ، فقال رسو الله صلى الله عليه وسلم « : يَرْحَمُ اللهُ الْمُحَلِّقِينَ » قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : « يرحم الله المحلقين » قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : « يرحم الله المحلقين » قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : « والمقصرين »

---

(١) ضن الرجل بأبيه : بخل به ولم يقبل أن يقتله

(٢) « مضطربا فى الحل » قال أبو ذر : « معناه أن أبنيته كانت مضروبة فى الحل ، وكانت صلاته فى الحرم ، وهذا لقرب الحديبية من الحرم » اه

فقالوا : يارسول الله ، فلم ظاهرت الترحيم [1] للمحلقين دون المقصرين ؟

قال : « لم يشكوا »

رسول الله يهدى جملا فى أنفه برة من فضة

وقال عبد الله بن أبى نجيح : حدثنى مجاهد ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى عام الحديبية فى هداياه جملا لأبى جهل فى رأسه بُرَةٌ من فضة [2] يغيظ بذلك المشركين

رجوع الرسول ونزول سورة الفتح

قال الزهرى فى حديثه : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجه ذلك قافلا ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح (٤٨ : ١ …) : (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً) ثم كانت القصة فيه وفى أصحابه حتى انتهى إلى ذكر البيعة فقال جل ثناؤه : (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) ثم ذكر من تخلف عنه من الأعراب ، ثم قال حين استنفرهم للخروج معه فأبطأوا عليه : (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا) ثم القصة عن خبرهم حتى انتهى إلى قوله : (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا

---

(١) المظاهرة : المعاونة والقوة ، ومعنى هذه العبارة : لم قويت دعاءك للمحلقين بتكريرك إياه

(٢) البرة ـ بضم الباء وتخفيف الراء ـ حلقة تجعل فى أنف البعير ليذل وينقاد ، وأكثر ماتكون من صفر ، وإذا اتخذت من شعر سميت خزامة ، فاذا اتخذت من خشب فهى خشاش ، قال ابن الأثير : « البرة حلقة تجعل فى لحم الأنف ، وربما كانت من شعر ، وأصلها بروة ، وتجمع على برى وبرات وبرين ، بضم الباء فيهن » اه وذكر المجد كسر الباء فى آخر الجموع أيضا

انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا [كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ]) ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولى البأس الشديد

قال ابن إسحق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس قال : فارس

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم ، عن الزهرى ، أنه قال : أولو البأس الشديد : حَنِيفَةُ مع الْكَذَّاب (١)

ثم قال الله تعالى : (لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا)

ثم ذكر مَحْبسه وكَفَّه إياه عن القتال بعد الظفر منه بهم ، يعنى النفر الذين أصاب منهم وكفهم عنه ، ثم قال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) ثم قال تعالى : (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ)

قال ابن هشام : المعكوف : المحبوس ، قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

---

(١) أراد بالكذاب مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وأعانه على ذلك قوم من الأعراب منهم بنو حنيفة

وَكَأَنَّ السُّمُوطَ عَكَّفَهَا السِّلْـ ـكُ بِعِطْفَىْ جَيْدَاءَ أُمِّ غَزَالِ(١)

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن إسحق : (وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ) وَالْمَعَرَّةُ : الغُرْمُ ، أى : أن تصيبوا منهم [معرةً] بغير علم فتخرجوا ديته ، فأما إثم فلم يخشه عليهم .

قال ابن هشام : بلغنى عن مجاهد أنه قال : نزلت هذه الآية فى الوليد ابن الوليد بن المغيرة وَسَلَمَةَ بن هشام ، وعيَّاش بن أبى ربيعة ، وأبى جَنْدَل بن سهيل ، وأشباههم .

قال ابن إسحق : ثم قال تبارك وتعالى : (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) يعنى سهيل بن عمرو حين حمى أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وأن محمداً رسول الله ، ثم قال تعالى : (فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا) أى : التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ثم قال تعالى : (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا) أى : لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى رأى أنه سيدخل مكة آمناً لايخاف ، يقول : (مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ) معه (لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ) مِنْ ذَلِكَ (مَا لَمْ

---

(١) السموط : جمع سمط ، وهو ما يعلق من القلادة على الصدر ، والسلك : الخيط الذى ينظم فيه العقد ، والجيداء : المرأة الطويلة الجيد ، والجيد : هو العنق

تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا) صلح الحديبية ، يقول الزهرى : فما فُتِحَ فى الاسلام فَتْحٌ قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت المدنة ووُضِعَت الحرب وَأَمِنَ الناس بَعْضُهم بعضاً والْتَقَوْا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ولم يُكَلَّمْ أحد فى الاسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه ، ولقد دخل فى تينك السنتين مثل من كان فى الاسلام قبل ذلك أو أكثر

قال ابن هشام : والدليل على قول الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية فى ألف وأربعمائة فى قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام فتح مكة ، بعد ذلك بسنتين ، فى عشرة آلاف

ماجرى عليه أمرُ قومٍ من الْمُسْتَضْعَفِينَ بعد الصُّلْح

أمر أبى بصير عتبة ابن أسيد

قال ابن إسحق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بَصِيرٍ عُتْبَةُ بن أسيد بن جارية ، وكان ممن حُبِسَ بمكة ، فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فيه أَزْهَرُ بن عبد عَوْفِ بن عبد الحرث بن زُهْرَةَ والأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وَهب الثقفى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبَعَثَا رجلاً من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهم ، فَقَدِمَا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الأزهر والأخنس ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياأبا بصيرٍ ، إنَّا قد أعطينا هؤلاء القومَ ماقد عَلِمتَ ، ولا يصلح لنا فى ديننا الْغَدْرُ ، وإنَّ الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فَرَجاً وَمَخْرَجًا ، فانطلق إلى قومك » قال : يارسول الله ، أتردُّنى إلى المشركين يفتنوننى فى دينى ؟ قال : « ياأبا بَصِيرٍ انطلق ، فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فَرَجًا وَمَخْرَجًا »

فانطلق معهما ، حتى إذا كان بذى الْحُلَيْفَةِ جلس إلى جدار ، وجلس معه صاحباه ، فقال أبو بصير : أصَارِمٌ سَيْفُكَ هذا يا أخا بنى عامر ؟ فقال : نعم ، قال : أنظر إليه ؟ قال : انظر إن شئت ، قال : فاسْتَلَّهُ أبو بصير ، ثم علاه به حتى قتله ، وخرج المولى سريعا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم طالعا قال : « إِنَّ هٰذَا الرَّجُلَ قَدْ رَأَى فَزَعاً » فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « وَيْحَكَ ! ! مَالَكَ ؟ » قال : قَتَلَ صاحبكم صاحبى ، فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير مُتَوَشِّحاً بالسيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، وَفَتْ ذِمَّتُكَ ، وَأَدَّى اللهُ عَنْكَ أسلَمْتنِى بيد القوم ، وقد امتنعتُ بدينى ان أُفْتَنَ فيه أو يُعْبَثَ بى ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَيْلُ أُمِّهِ مِحَشَّ حَرْبٍ[1] لَوْ كَانَ مَعَهُ رِجَالٌ » ثم خرج أبو بصير حتى نزل العِيصَ من ناحية ذى الْمَرْوَةَ على ساحل البحر بطريق قُرَيْش التى كانوا يأخذون [عليها] إلى الشأم ، وبلغ المسلمين الذين كانوا حُبِسُوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بصير « وَيْلُ أمه مِحَشَّ حَرْبٍ لَوْ كَانَ مَعَهُ رِجَالٌ » فخرجوا إلى أبى بصير بالعيص ، فاجتمع إليه منهم قريب من سَبْعِين رجلا ، وكانوا قد ضَيَّقُوا على قريش : لا يَظْفَرُونَ بأحدٍ منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم عير إلا اقتطعوها ، حتى كتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم ، فآواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة

---

(١) محش حرب : أى أنه يوقد الحرب ويهيجها ويشعل نارها ، تقول : حش فلان النار يحشها ، إذا أوقدها وجمع لها الحطب

قال ابن هشام : أبو بصير ثقفى .

قال ابن إسحق : فلما بلغ سهيل بن عمرو قتل أبو بصير صاحبهم العامرى أسند ظهره إلى الكعبة ثم قال : والله لا أؤخر ظهرى عن الكعبة حتى يُودَى هذا الرجل ، فقال أبو سفيان بن حرب : والله إن هذا لهو السَّفَه ، والله لا يُودَى ، ثلاثا ، فقال فى ذلك موْهَبُ بن رباح أبو أُنَيْسٍ حليفُ بنى زهرة

قال ابن هشام : أبو أنيس : أشعرىٌّ .

كلمة لأبى أنيس موهب بن رباح فى حادث أبى بصير

أَتَانِى عَنْ سُهَيْلٍ ذَرْوُ قَوْلٍ ... فَأَيْقَظَنِى وَمَا بِى مِنْ رُقَادِ (١)

فَإِنْ تَكُنِ الْعِتَابَ تُرِيدُ مِنِّى ... فَعَاتِبْنِى فَمَا بِكَ مِنْ بِعَادِ

أَتُوعِدُنِى وَعَبْدُ مَنَافَ حَوْلِى ... بِمَخْزُومٍ ؟ أَلَهْفِى مَنْ تُعَادِى (٢)

فَإِنْ تَغْمِزْ قَنَاتِى لَا تَجِدْنِى

ضَعِيفَ الْعُودِ فِى الْكُرَبِ الشِّدَادِ (٣)

أُسَامِى الْأَكْرَمِينَ أَبًا بِقَوْمِى ... إِذَا وَطِىءَ الضَّعِيفُ بِهِمْ أُرَادِى (٤)

(١) « ذرو قول » قال أبو ذر : « أى طرف قول ، وهو مهموز ، ويروى بالواو ، والصواب فيه الهمز » اه

(٢) توعدنى : تهددنى ، وقد منع « عبد مناف » من الصرف للضرورة

(٣) « تغمز قناتى » أراد إن تجربنى وتبلنى وتختبرنى ، والكرب : جمع كربة ـ بضم الكاف فيهما ـ والشداد : جمع شديدة ، يريد أنه يجده قويا عند الحوادث الجسام

(٤) أسامى : أعالى وأفاخر ، وأرادى : أرامى ، تقول : راديته ؛ إذا راميته

هُمُ مَنَعُوا الظَّوَاهِرَ غَيْرَ شَكٍّ ... إِلَى حَيْثُ الْبَوَاطِنُ فَالْعَوَادِى (١)
بِكُلِّ طِمِرَّةٍ وَبِكُلِّ نَهْدٍ ... سَوَاهِمَ قَدْ طُوِينَ مِنَ الطِّرَادِ (٢)
لَهُمْ بِالْخِيفِ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... رِوَاقُ الْمَجْدِ رُفِّعَ بِالْعِمَادِ (٣)

فأجابه عبد الله بن الزِّبَعْرَى ، فقال :—

عبدالله بن الزبعرى يجيب أبا أنيس

أَمْسَى مَوْهَبٌ كَحِمَارِ سَوْءٍ ... أَجَازَ بِبَلْدَةٍ فِيهَا يُنَادِى (٤)
فَإِنَّ الْعَبْدَ مِثْلَكَ لَا يُنَاوِى ... سُهَيْلاً ضَلَّ سَعْيُكَ مَنْ تُعَادِى (٥)
فَأَقْصِرْ يَاابْنَ قَيْنِ السُّوءِ عَنْهُ ... وَعَدِّ عَنِ الْمَقَالَةِ فِى الْبِلَادِ (٦)
وَلَا تَذْكُرْ عِتَابَ أَبِى يَزِيدٍ ... فَهَيْهَاتَ الْبُحُورُ مِنَ الثِّمَادِ (٧)

أمر المؤمنات المهاجرات بعد المدة

وَهَاجَرَتْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمُّ كُلْثُوم بنتُ عُقْبَة بن أبى مُعَيْطٍ فى تلك المدة ، فخرج أخَوَاها عِمَارة والْوَليد ابنا عُقْبَة حتى قدما

---

(١) الظواهر : ماعلا من مكة ؛ والبواطن : ماانخفض منها ؛ والعوادى : جوانب الأودية

(٢) طمرة : هى الفرس الوثابة السريعة ، والنهد : الغليظ ، والسواهم : العوابس المتغيرة ، واحدها ساهم ، تقول : فلان ساهم الوجه ؛ إذا كان عابسا ، وطوين : ضعفن وضمرن ، والطراد : مطاردة فرسانها أعاديهم

(٣) الخيف : موضع بمنى ، والرواق : ضرب من الأخبية

(٤) « أمسى موهب » قد حذف من صدر هذا البيت حرفا ، وذلك جائز ، كما تجوز زيادة حرف أو أكثر ، وقوله : « أجاز ببلدة » معناه جازها وقطعها .

(٥) لا يناوى : أى لايعادى ، وأصله « لايناوىء » بالهمزة فترك الهمزة لضرورة الشعر .

(٦) القين — بفتح القاف وسكون الياء المثناة — الحداد

(٧) الثماد — بكسر الثاء المثلثة — الماء القليل

على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يَرُدَّهَا عليهما بالعهد الذى بينه و بين قريش فى الحديبية ، فلم يفعل ، أَبَى اللهُ ذلك

قال ابن إسحق : فحدثنى الزُّهْرِىُّ ، عن عُرْوة بن الزبير ، قال : دَخَلْتُ عليه وهو يكتب كتابا إلى ابن أبى هُنَيْدَة صاحب الوليد بن عبد الملك ، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى (٦٠ : ١٠) : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لاَهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلاَهُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَاأَنْفَقُوا وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ)

قال ابن هشام : واحدة العِصَمِ : عِصْمَة ، وهى الحَبْل والسَّبَب ، قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة : —

إِلَى الْمَرْءِ قَيْسٍ نُطِيلُ السُّرَى ... وَنَأْخُذُ مِنْ كُلِّ حَىٍّ عِصَمْ

وهذا البيت فى قصيدة له

(واسْئَلُوا مَاأَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا مَاأَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) قال : فكتب إليه عُرْوَةُ بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صالح قريشا يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه ، فلما هاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و إلى الاسلام أبى الله أن يُرْدَدْنَ إلى المشركين إذا هُنَّ امْتُحِنَّ بِمِحْنَةِ الاسلام فعرفوا أنهن إنما جئن رغْبَةً فى الاسلام ، وأمر بِرَدِّ صَدُقَاتِهِن إليهم إن احتبسن عنهم إن هم رَدُّوا على المسلمين صَدَاق من حَبَسُوا عنهم من نسائهم ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم ، فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ، وَرَدَّ الرجال ، وسأل الذى

أمره الله به أن يَسْأَل من صَدُقات نســاء من حَبَسُوا منهن ، وأن يردوا عليهم مثل الذى يردون عليهم إنْ هُمْ فَعَلُوا ، ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لردَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم النساء كما ردَّ الرجال ، ولولا المدنة والعهدُ الذى كان بينه و بين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ولم يَرْدُدْ لهنَّ صدَاقًا ، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد

قال ابن إسحق : وسألتُ الزهريَّ عن هذه الآية وقول الله عز وجل فيها : (وإنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إلى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُم فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِثْلَ مَاأَنفَقُوا وَاتَّقُوا الله الَّذِى أَنتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) فقال : يقول : إن فات أحداً منكم أهْلُه إلى الكـفار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذى يأخذون منكم ، فَعَوِّضُوهُمْ من فَيْء إن أصبتموه

فلما نزلت هـذه الآية (يَاأَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذا جاءَكُم الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ)إلى قوله عز وجل (وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرْ) كان ممن طَلَّقَ عُمَرُ بن الخطاب [طَلَّقَ] امرأتهُ قُرَيْبَةَ بنت أبى أمية بن المغيرة ، فتزوجها بعده معاوية بن أبى سفيان ، وهما على شركهما بمكة ، وأمَّ كُلثوم بنت جَرْوَل أمَّ عُبَيْد الله بن عمر الخُزَاعيةَ فتزوجها أبو جَهْم بن حُذَيْفَة ابن غانم ، رجل من قومه ، وهما على شركهما

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة أن بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما قدم المدينة : ألم تقل يارسول الله إنَّكَ تدخل مكة آمنا ؟ قال : «بلَى أَفَقُلْتُ لَكُم مِنْ عَامِي هَذَا؟» قالوا : لا، قال : «فَهُوَ كَمَا قَالَ لِى جِبْرِيلُ عَلَيْه السلام»

ذكر المسير إلى خَيْبر [فى المحرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ]

بسم الله الرحمن الرحيم

[قال : حدثنا أبو محمد عَبْدُ الملك بن هشام قال : حدثنا زيادُ بْنُ عبد الله البَكَّائِىُّ ، عن محمد بن إسحق المُطَّلِبِىُّ قال :]

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ـ حين رجع من الحديبة ـ ذا الحجة وبعض المحرم ، وولى تلك الحجة المشركون ، ثم خرج فى بقية المحرم إلى خيبر .

عامل رسول الله على المدينة وحامل رايته فى غزاة خيبر

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نُمَيْلَةَ بن عبد الله الليثى ، ودفع الراية إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكانت بيضاء .

قال ابن إسحق : فحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحرث التَّيْمِى ، عن أبى الهيثم بن نصر بن دَهْر الأسلمى ،(١) أن أباه حدثه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع وهو عم سَلَمَةَ ابن عمرو بن الأكوع ، وكان اسم الأكوع سنان : «انْزِلْ يَاابْنَ الْأَكْوَعِ فَخُذْ لَنَا مِنْ هَنَاتِكَ »(٢) قال : فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : —

أمر عامر بن الأكوع

---

(١) « نصر بن دهر » هذا هو الصواب وهو الذى قاله الدار قطنى ، وحكى أبو ذر أنه وقع فى نسخ السيرة « نصر بن رهم »

(٢) الهناة : جمع هنة ، ويكنى بها تارة عن القبيح ، وتارة أخرى عن الحقير ، والمراد ههنا الثانى ، كأنه حقر من أمر الشعر لما يتخلله غالبا من الكذب وتجاوز الحد المعقول ، وإن كان من الشعر ماهو حكمة ، كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم

وَاللهِ لَوْلاَ اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا
إِنَّا إِذَا قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنَا وإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا (١)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يَرْحَمُكَ الله » فقال عمر بن الخطاب : وجبت والله يارسول الله ، لو أمْتَعْتَنَا به ، فَقُتِلَ يوم خيبر شهيداً ، وكان قتله ـ فيما بلغني ـ أن سيفه رجع عليه وهو يقاتل فكَلَمَهُ كَلْماً شديداً (٢) ، فمات منه ، فكان المسلمون قد شَكُّوا فيه ، وقالوا : إنما قتله سلاحه ، حتى سأل ابنُ أخيه سلمةُ بنُ عَمْرِو بن الأكوع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وأخبره بقول الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّهُ لَشَهِيدٌ » وصلَّى عليه ، فصلى عليه المسلمون .

دعاء رسول الله حين أشرف على خيبر

قال ابن إسحق : حدثني من لا أتهم ، عن عطاء بن أبي مَرْوَان الأسْلمى عن أبيه ، عن أبي مُعَتِّب بن عمرو ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم : « قِفُوا » ثم قال : « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمٰوَاتِ وَمَا أَظْلَلْنَ وَرَبَّ الْأَرَضِينَ وَمَا أَقْلَلْنَ وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا أَذْرَيْنَ فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا ، أَقْدِمُوا بِسْمِ اللهِ » قال : وكان يقولها عليه السلام لكل قرية دخلها .

قول عمال خيبر لما راوا النبي

قال ابن إسحق : وحدثني من لا أتهم ، عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوماً لم يُغِرْ عليهم حتى يُصْبِحَ ، فان سمع أذاناً أمسك ، وإن لم يسمع أذاناً أغار ، فنزلنا خيبر لَيْلاً ، فبات

---

(١) السكينة : الوقار والتثبيت

(٢) كلمه كلما شديدا : جرحه جرحا بليغا

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا أصبح لم يسمع أذانا ، فركب وركبنا معه ، فركبت خلف أبى طلحة وَإِنَّ قَدَمِي لَتَمَسُّ قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَاسْتَقْبَلَنَا عُمَّالُ خيبر غادين ، قد خرجوا بمساحيهم (١) ومَكَاتِلِهِمْ (٢) فلما رأوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش قالوا : محمدٌ والخميس (٣) معه ، فأدبروا هُرَّاباً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهُ أَكْبَرُ ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ »

قال ابن إسحق : حدثنا هٰرُونُ ، عن حُمَيْد ، عن أنس ، بمثله

منازل رسول الله فى خروجه إلى خيبر

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عِصْرٍ ، فَبُنِيَ له فيها مسجد ، ثم على الصهباء ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بجيشه حتى نزل بواد يقال له الرَّجيع فنزل بينهم وبين غَطَفَان ليحول بينهم وبين أن يُمِدُّوا أَهْلَ خيبر ، وكانوا لهم مُظَاهِرين (٤) على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغنى أن غَطَفَان لما سمعت بمنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر جَمَعُوا له ، ثم خرجوا ليظاهروا يَهُودَ عليه ، حتى إذا ساروا مَنْقَلَةً (٥) سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهليهم حِسًّا ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على

---

(١) المساحى : جمع مسحاة ، وهى الفأس

(٢) المكاتل : جمع مكتل ، وهى قفة كبيرة ، ويقال لها الزنبيل

(٣) الخميس : الجيش ، وسبب تسمية الجيش بذلك أنه خمسة أقسام : مقدمة ، وساقة ، وقلب ، وميمنة ، وميسرة ، وفى القلب يكون قائد الجيش

(٤) مظاهرين : معاونين

(٥) « منقلة » فى نسخة « مرحلة » وهما بمعنى واحد

أعقابهم ، فأقاموا فى أهليهم وأموالهم ، وَخَلَّوْا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خَيْبَر

افتتاح رسول الله الحصون وأخذه الاموال

وَتَدَنَّى (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموالَ يأخذها مالا مالا ، ويفتتحها حصناً حصناً ، فكان أول حصونهم افْتُتِحَ حِصْنُ نَاعِمٍ ، وعنده قتل محمود بن مَسْلَمَةَ أُلْقِيَتْ عليه منه رحاً فقتلته

ثم الْقَمُوص حِصْن بنى أبى الْحُقَيْق ، وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبايا : منهنَّ صَفِيَّةُ بنت حُيَيٍّ بن أَخْطَبَ ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الْحُقَيْق ، وبنتى عَمٍّ لها ، فاصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صَفِيَّةَ لنفسه ، وكان دِحْيَة بن خليفة الْكَلْبِيُّ قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفيةَ فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتى عمها ، وفشت السبايا من خيبر فى المسلمين .

رسول الله ينهى يوم خيبر عن أشيا.

وأكل المسلمون لحوم الْحُمُرِ [الأهلية] من حُمُرِها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى الناس عن أمور سَمَّاها لهم .

قال ابن إسحق: فحدثنى عبد الله بن عمرو بن ضَمْرَةَ الْفَزَارى ، عن عبد الله بن أبى سليط ، عن أبيه ، قال : أتانا نَهْى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل لحوم الحمر الأنسية وَالْقُدُورُ تفور بها ، فكفأناها على وجوهها .

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مكحول ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاهم يومئذ عن أربع : عن إِتْيَانِ الْحَبَالَى من السبايا ، وعن أكل الحمار الأهلى ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع ، وعن بيع المغانم حتى تُقْسَم

---

(١) « وتدنى » أى أخذ الأدنى فالأدنى

وحدثنى سَلاَّم بن كِرْكِرَةَ ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبدالله الأنصارى ، ولم يشهد جابر خيبر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذِنَ لهم فى [أكل] لحوم الخيل .

قال ابن إسحق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى مرزوق مولى تجيب ، عن حنش الصنعانى ، قال : غزونا مع رُوَيْفِع بن ثابت الأنصارى المغرب ، فافتتح قَرْيَةً من قرى المغرب يقال لها جَرْبَة . فقام فينا خطيباً ، فقال : أيها الناس ، إنى لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله فينا يوم خيبر ، قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَسْقِيَ ماءَهُ زَرْعَ غَيْرِهِ يعنى إتيان الحبالى من السبايا حتى يستبرئها « وَلاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أنْ يُصِيبَ امْرَأَةً مِن السَّبْيِ حَتَّى يَسْتَبْرِئَهَا وَلاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أنْ يَبِيعَ مَغْنَماً حَتَّى يُقْسَمَ ، وَلاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أنْ يَرْكَبَ دَابَّةً مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى إذَا أَعْجَفَهَا رَدَّهَا فِيهِ ، وَلاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أنْ يَلْبَسَ ثَوْباً مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى إذَا أَخْلَقَهُ رَدَّهُ فِيهِ »

قال ابن إسحق : وحدثنى يزيد بن عبد الله بن قُسَيْطٍ ، أنهُ حدَّث ، عن عُبَادة بن الصامت ، قال : نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن أن نبيع أو نبتاع تِبْرَ الذَّهَب بالذهب العَيْن ، وتبر الفضة بالوَرِقِ العَيْنِ ، وقال : « ابْتَاعُوا تِبْرَ الذَّهَبِ بِالْوَرِقِ العين وَتِبْرَ الْفِضَّةِ بِالذَّهَبِ الْعَيْنِ »

قال ابن إسحق : ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يَتَدَنَّى الحصونَ والأموال

أمرنى سهم الاسلميين

فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدثه بعضُ أسلم أن بنى سَهْم من أسلم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : والله يارسول الله ، لقد جُهِدْنَا وما بأيدينا من شىء ، فلم يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا يعطيهم إياه ، فقال : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ حَالَهُمْ وَأَنْ لَيْسَتْ بِهِمْ قُوَّةٌ وأَنْ لَيْسَ بِيَدِى شَىْءٌ أُعْطِيهِمْ إِيَّاهُ فَافْتَحْ عَلَيْهِمْ أَعْظَمَ حُصُونِهَا عَنْهُمْ غَنَاءً وَأَكْثَرَهَا طَعَاماً وَوَدَكاً » فغدا الناس ، ففتح الله عز وجل عليهم حِصْنَ الصَّعْب بن مُعَاذ ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاما وَوَدَكاً منه

شأن مرحب ومقتله

قال ابن إسحق : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح وحاز من الأموال ما حاز انْتَهَوْا إلى حِصْنَيهِم الْوَطِيح والسُّلاَلم ، وكانا آخر حصون أهل خيبر افتتاحا ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة

شعار المسلمين يوم خيبر

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر « يَامَنْصُور أَمِتْ أَمِتْ » .

خروج مرحب للقتال وادلاله بنفسه

قال ابن إسحق : فحدثنى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل أخو بنى حارثة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرج مَرْحَبٌ اليهودى من حصنهم قَدْ جمع سلاحه يرتجز وهو يقول : —

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّى مَرْحَبُ ... شَاكِى السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ (١)

---

(١) شاكى السلاح : يريد أن سلاحه حاد ماض ، وأصل شاك شائك

أَطْعُنُ أَحْيَانًا وَحِينًا أَضْرِبُ   إِذَا ٱللُّيُوثُ أَقْبَلَتْ تَحَرَّبُ (١)
إِنَّ حِمَايَ لَلْحِمَي لاَ يُقْرَبُ   [يُحْجِمُ عَنْ صَوْلَتِيَ ٱلْمُجَرِّبُ]

وهو يقول : من يبارز ؟ فأجابه كعب بن مالك فقال : —

كعب بن مالك يجيب مرحبا

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّى كَعْبُ   مُفَرِّجُ ٱلْغَمَّا جَرِىءٌ صُلْبُ (٢)
إِذْ شُبَّتِ ٱلْحَرْبُ تَلَتْهَا ٱلْحَرْبُ   مَعِى حُسَامٌ كَٱلْعَقِيقِ عَضْبُ (٣)
نَطَؤُكُمْ حَتَّي يَذِلَّ ٱلصَّعْبُ   نُعْطِى ٱلْجَزَاءَ أَوْ يَفِىءَ ٱلنَّهْبُ (٤)
بِكَفِّ مَاضٍ لَيْسَ فِيهِ عَتْبُ (٥)

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى : —

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّى كَعْبُ   وَأَنَّنِى مَتَى تُشَبَّ ٱلْحَرْبُ
مَاضٍ عَلَى ٱلْهَوْلِ جَرِىءٌ صُلْبُ   مَعِى حُسَامٌ كَٱلْعَقِيقِ عَضْبُ
بِكَفِّ مَاضٍ لَيْسَ فِيهِ عَتْبُ   نَدُكُّكُمْ حَتَّى يَذِلَّ ٱلصَّعْبُ

قال ابن هشام : ومَرْحب من حمير

فقدم الكاف وقلب الهمزة ياء ، أو حذف الهمزة من غير أن يؤخرها ، ومجرب : قد جربوه فى الشدائد

(١) تحرب ـ بالحاء والراء المهملتين مبنيا للمجهول ـ أى تغضب ، وتقول : حرب الرجل حربا ـ كفرح فرحا ـ إذا غضب

(٢) الغما : الكربة والشدة ، والجرىء : الشجاع المقدم ، والصلب : الشديد

(٣) شبت : أوقدت وهيجت ، والعقيق : شعاع البرق ، شبه به السيف

(٤) أراد بالجزاء ههنا الجزى ، وهو جمع جزية ، والنهب : ماانتهب من الأموال

(٥) ليس فيه عتب : يريد ليس فيه مايلام عليه

مقتل مرحب اليهودى

قال ابن إسحق : فحدثنى عبد الله بن سهل ، عن جابر بن عبد الله [الأنصارى] ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لِهٰذَا » ؟ قال محمد بن مسلمة : أنا له يارسول الله ، أنا والله الْمَوْتُورُ الثَّائِر ، قُتِلَ أخى بالأمس ، فقال : « فَقُمْ إلَيْهِ اللّٰهُمَّ أعِنْهُ عَلَيْهِ » قال : فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شَجَرَةٌ عُمْرِيَّةٌ[1] من شَجَرِ الْعُشَرِ[2] ، فجعل أحدهما يلوذ بها[3] من صاحبه ؛ كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه مادونه منها ، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرجل القائم ، ما فيها فَنَنٌ[4] ، ثم حمل مَرْحَبٌ على محمد بن مَسْلَمَةَ فضربه فَاتَّقَاه بِدَرَقَةٍ فوقع سيفه فيها ، فَعَضَّتْ به فأمسكته ، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله

مقتل ياسر أخى مرحب

قال ابن إسحق : ثم خرج بعد مَرْحَبٍ أخوه يَاسِر ، وهو يقول : مَنْ يُبَارِز ؟ فزعم هشام بن عروة أن الزُّبَيْرَ بن الْعَوَّامِ خرج إلى ياسر ، فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب : يَقْتُلُ ابنى يارسول الله ، قال : « بَلِ ابْنُكِ يَقْتُلُهُ إنْ شاء الله » فخرج الزبير ، فالتقيا ، فقتله الزبير

[قال ابن إسحق] : فحدثنى هشام بن عروة ، أن الزبير كان إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لَصَارِماً عَضْباً ، قال : والله ما كان صارما ، ولكنى أكرهته

شأن على بن أبى طالب رضى الله عنه

قال ابن إسحق : وحدثنى بُرَيْدَةُ بن سفيان بن فَرْوَةَ الأسلمى ، عن أبيه سفيان ، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع ، قال : بَعَثَ رسولُ الله

---

(١) عمرية : أى قديمة طويلة العمر

(٢) العشر ـ بضم العين وفتح الشين ـ شجر له صمغ

(٣) يلوذ بها : يلجأ إليها ويستتر بها من عدوه

(٤) فنن ـ بفتح الفاء والنون ـ غصن

صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه برايته ، [وكانت بيضاء فيما قال ابن هشام]، إلى بعض حصون خَيْبَرَ ، فقاتل فرجع ولم يك فَتْحٌ وقد جُهِدَ (١) ، ثم بعث الغَدَ عمر بن الخطاب ، فقاتل ثم رجع ولم يك فتح ، وقد جُهِد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ لَيْسَ بِفَرَّارٍ » قال : يقول سلمة : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًّا رضوان الله عليه ، وهو أَرْمَدُ (٢) فَتَفَلَ فى عينه (٣) ، ثم قال : « خُذْ هٰذِهِ الرَّايَةَ فَامْضِ بِهَا حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ عَلَيْكَ » قال : يقول سلمة : فخرج والله بها يأْنَحُ (٤) يُهَرْوِلُ هَرْوَلَةً (٥) ، وإنَّا لَخَلْفَهُ نَتْبَعُ أثره حتى رَكَزَ رايته فى رَضْمٍ (٦) من حجارة تحت الحصن ، فاطلع إليه يهودىٌّ من رأس الحصن ، فقال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا على بن أبى طالب ، قال : يقول اليهودي : عَلَوْتُمْ وما أُنْزِلَ على موسى ، أو كما قال ، قال : فما رَجَعَ حتى فتح الله على يديه

قال ابن إسحق : حدثنى عبد الله بن الحسن ، عن بعض أهله ، عن أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : خرجنا مع على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه — حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) جهد : أصابه جهد ومشقة

(٢) الأرمد : هو الذى فى عينه الرمد : وهو وجع فيها

(٣) فتفل : أى بصق

(٤) « يأنح » قال فى القاموس : « أنح يأنح أنحا وأنيحا وأنوحا : زحر من ثقل يجده من مرض أو بهر » اهـ

(٥) يهرول : يسرع ، والهرولة : فوق المشى ودون الجرى

(٦) الرضم : الحجارة المجتمعة

برايته — فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله ، فقاتلهم ، فضربه رجل من يهود ، فطرح تُرْسَهُ من يده ، فتناولَ على عليه السلام بابا كان عند الحصن ، فَتَرَّسَ به عن نفسه ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ؛ فلقد رَأَيْتُنِي فى نفر سبعة معى أنا ثامنهم نَجْهَدُ على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه .

شأن أبى اليسر كعب بن عمرو

قال ابن إسحق : وحدثنى بُرَيْدَة بن سُفْيَان الأسلمى ، عن بعض رجال بنى سلمة ، عن أبى الْيَسَرِ كعب بن عمرو ، قال : [والله] إنَّا لَمَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ذات عَشِيَّةٍ إذ أقبلت غَنَمٌ لرجل من يهود تريد حصنهم ، ونحن محاصروهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ رَجُلٌ يُطْعِمُنَا مِنْ هَذهِ الْغَنَمِ » قال أبو اليسر : فقلت : أنا يارسول الله ، قال: « فافْعَلْ» قال: فخرجت أَشْتَدُّ (١) مثل الظَّلِيمِ (٢) ، فلما نظر إلىَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُوَلِّيًا قال:«اللَّهُمَّ أَمْتِعْنَا بِهِ» قال : فأدركت الغنم ، وقد دخلت أُولاَهَا الحصنَ ، فأخذت شَاتَيْنِ من أُخْرَاهَا ، فاحتَضَنْتُهُمَا (٣) تحت يدى ، ثم أقبلت بهما أَشْتَدُّ كأنه ليس معى شىء حتى ألقيتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذبحوهما فأكلوهما، فكان أبو اليَسَرِ من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هَلاَكًا ، فكان إذا حدث هذا الحديث بكى ، ثم قال : أُمْتِعُوا بِى لَعَمْرِى حَتَّى كنت من آخرهم [هُلْكًا]

---

(١) أشتد :أسرع فى الجرى

(٢) الظليم : ذكر النعام

(٣) احتضنتهما : جعلتهما فى حضنى ، وحضن الرجل : ماتحت إبطه إلى خاصرته

شأن صفية بنت حيي

قال ابن إسحق : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم القَمُوصَ حِصْنَ بنى أبى الحُقَيْقِ أُتِىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بصَفِيَّةَ ابنة حُيَىٍّ بن أخطب ، و بأخرى معها ، فمرّ بهما بِلَالٌ — وهو الذى جاء بهما — على قَتْلَى من قتلى يهود ، فلما رأتهم التى مع صفية صاحت وَصَكَّتْ وجهها وَحَثَتْ الترابَ على رأسها ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أعزِبُوا (١) عَنِّى هٰذِهِ الشَّيْطَانَةَ » وأمر بصفية فحِيزَتْ خَلْفَه ، وألقى عليها رداءه ، فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال — فيما بلغنى ، حين رأى بتلك اليهودية ما رأى — : « أَنُزِعَتْ مِنْكَ الرَّحْمَةُ يَابِلَالُ حِينَ تَمُرُّ بامْرَأَتَينِ عَلَى قَتلَى رِجَالِهِمَا » وكانت صفية قد رأت فى المنام — وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيْقِ — أن قمراً وقع فى حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها ، فقال : ماهذا إلا أنك تَمَنَّيْنَ مَلِكَ الحجَاز محمداً ، فلطم وجهها لَطْمَةً خَضَّرَ عينها منها ، فأُتِىَ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثرٌ منه ، فسألها ماهو ، فأخبرته هذا الخبر

بقية أمر خيبر

شأن كنانة بن الربيع ومقتله

وأُتِى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع ، وكان عنده كنز بنى النَّضِير ، فسأله عنه ، فجَحَدَ أن يكون يعرف مكانه ، فأُتِى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من يهود ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى رأيت كنانةَ يُطِيف بهذه الخَرِبَة كلَّ غَدَاةٍ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة : « أرَأَيْتَ إِنْ وَجَدْنَاهُ عِنْدَكَ

(١) أعزبوا : باعدوا ، وهى فى بعض النسخ بالغين المعجمة والراء المهملة ، وفى بعضها بالعين المهملة والزاى . وكلاهما صحيح ، وبهذا المعنى

أأَقتلُكَ؟» قال: نعم، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخَرِبة فحُفِرَتْ فأخرج منها بعضُ كنزِهم، ثم سأله عما بقى فأبى أن يؤدِّيه، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزُّبَيْرَ بن العوَّام، فقال: «عَذِّبْهُ حتى تَسْتأْصِلَ ماعِنْدَهُ» فكان الزبير يَقْدَح بزَنْدٍ فى صدره، حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مَسْلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة

حصار رسول الله أهل خيبر، وصلحه معهم

وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر فى حِصْنَيْهِم الوَطيح والسُّلَالم حتى إذا أيقنوا بالهَلَكَة سألوه أن يُسَيِّرهم[1] وأن يحقن [لهم] دماءهم، ففعل، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلَّها: الشَّقّ، ونَطَاةَ والكَتِيبةَ، وجميع حصونهم إلا ما كان من ذَيْنِكَ الحصنين، فلما سمع بهم أهلُ فَدَكَ قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يُسَيِّرهم[1] وأن يحقن دماءهم، ويُخَلُّوا له الأموال، ففعل، وكان ممن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم [فى ذلك] مُحَيِّصَةُ بن مَسْعُود أخو بنى حارثة؛ فلما نزل أهلُ خيبر على ذلك سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم فى الأموال على النِّصْف، وقالوا: نحن أعلم بها منكم، وأعمر لها، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف، على أنَّا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم، فصالحه أهلُ فَدَكَ على مثل ذلك، فكانت خيبر فيئاً بين المسلمين، وكانت فَدَكُ خالصةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم لم يُجْلِبُوا عليها بخَيْلٍ ولا ركاب

زينب بنت الحارث زوج سلام بن مشكم تهدى الى الرسول شاة مسمومة

فلما اطمأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أهْدَتْ له زَيْنَبُ ابنة الحرث

---

(١) يسيرهم: ينفيهم

امرأةُ سَلَّام بن مِشْكَم شاةً مَصْلِيَّةً (١) وقد سألت : أيُّ عُضْوٍ من الشاة أحبُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقيل لها : الذراع ، فأكثرت فيها من السَّمِّ ، ثم سَمَّت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يَدَيْ رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذِّرَاعَ ، فلاك منها مُضْغَةً فلم يُسِغْهَا (٢) ومعه بِشْرُ بن البَرَاء بن مَعْرُور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما بِشْرٌ فأساغها ، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فَلَفَظَهَا (٣) ، ثم قال : « إنَّ هٰذَا العَظْمَ لَيُخْبِرُنِي أنَّهُ مَسْمُومٌ » ثم دعا بها فاعترفت ، فقال : « ما حَمَلَكِ عَلَى ذٰلِكِ » ؟ قالت : بَلَغْتَ من قومى ما لم يَخْفَ عليك ، فقلتُ : إنْ كان مَلِكاً استرحتُ منه ، وإن كان نبياً فَسَيُخْبَرُ ، قال : فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات بشر من أكلته التى أكل

قال ابن إسحق : وحدثنى مَرْوَانُ بن عُثْمان بن أبى سعيد بن المعلَّى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال فى مرضه الذى تُوُفِّيَ فيه ودخلت أمُّ بِشْرٍ بنتُ البراء بن معرور تعوده : « يا أُمَّ بِشْرٍ إنَّ هٰذا الأَوَان وَجَدْتُ [فِيهِ] انْقِطَاعَ أَبْهَرِى (٤) مِنَ الأَكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُ مَعَ أَخِيكِ بِخَيْبَرَ » قال : فان كان المسلمون لَيَرَوْنَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيداً ، مع ما أكرمه الله به من النبوة

---

(١) مصلية : مشوية

(٢) لم يسغها : لم يبلعها

(٣) لفظها : طرحها ورماها

(٤) الأبهر : عرق إذا انقطع مات صاحبه ، وهما أبهران يخرجان من القلب ثم تتشعب منهما سائر الشرايين

قال ابن إسحق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى وادى القُرَى فحاصر أهله ليالى ، ثم انصرف راجعا إلى المدينة

حصار وادى القرى

قال ابن إسحق : فحدثنى ثور بن زيد ، عن سالم مولى عبد الله بن مُطيع ؛ عن أبى هريرة ، قال : فلما انصَرَفْنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر إلى وادى القُرَى نزلنا بها أصيلاً مع مَغْرِب الشمس ، ومع رسول الله صلى الله عليه غُلَامٌ له أهداه له رِفَاعَةُ بن زيد الْجُذَامِىُّ ثم الضبى[(١)]

أمر العبد الغال من الفىء

قال ابن هشام : جُذَام : أخو لَخْم

قال : فوالله إنه ليضع رَحْل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذْ أتَاهُ سَهْمٌ غَرْبٌ[(٢)] ، فأصابه ، فقتله ، فقلنا : هنيئا له الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَلاَّ وَالَّذِى نَفْسُ محمدٍ بِيَدِهِ إِنَّ شَمْلَتَهُ[(٣)] الْآنَ لَتَحْتَرِقُ عَلَيْهِ فِى النَّارِ ، كانَ غَلَّهَا[(٤)] مِنْ فَىْءِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ خَيْبَرَ » قال : فسمعها رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه ، فقال : يارسول الله ، أصَبْتُ شِرَاكَيْنِ لِنَعْلَيْنِ لى ، قال : فقال : « يُقَدُّ لَكَ[(٥)] مِثْلُهُمَا مِنَ النَّارِ »

قال ابن إسحق : وحدثنى من لاأتهم ، عن عبد الله بن مُغَفَّل الْمُزَنِى قال : أصَبْتُ من فَىْء خيبر جِرَابَ شَحْمٍ ، فاحتملته على عاتقى إلى رحلى وأصحابى ، قال : فلقينى صاحبُ المغانم الذى جُعِلَ عليها ، فأخذ بناحيته ،

شأن عبد الله بن مغفل المزنى

---

(١) فى نسخة « والضبى » بباءين أولاهما مفتوحة بعد ضمة الضاد

(٢) سهم غرب : هو الذى لايدرى مأتاه ولايعرف من رماه

(٣) الشملة : كساء غليظ يلتحف به

(٤) غلها : سرقها

(٥) يقد : يقطع

وقال : هَلُمَّ هذا حتى نَقْسِمَه بين المسلمين ، قال : قلت : لا والله لا أعطيكه ، قال : فجعل يُجَابِذنى الجرابَ ، قال : فرآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك ، قال : فتبَسَّمَ [رسول الله صلى الله عليه وسلم] ضاحكا ، ثم قال لصاحب المغانم : « لا أبَا لَكَ خَلِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ » قال : فأرسله فانطلقت به إلى رحلى وأصحابى فأكلناه

بناء رسول الله بصفية بنت حيي

قال ابن إسحق : ولما أعْرَسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بخيبر ، أو ببعض الطريق ، وكانت التى جَمَّلَتْهَا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وَمَشَّطَتْها وأصلحت من أمرها أمَّ سُلَيْم ابنة مِلْحَان أمَّ أنس بن مالك ، فبات بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة له ، وبات أبو أيوب خالد بن زيد أخو بنى النجار مُتَوَشِّحاً سيفه ، يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُطِيف بالقبة ، حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى مكانه قال : « مَالَكَ يا أبَا أيُّوبَ » قال : يارسول الله ، خِفْتُ عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها وكانت حديثة عهد بكفر فَخِفْتُهَا عليك ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللَّهُمَّ احفَظْ أبَا أيُّوبَ كَمَا بَاتَ يَحْفَظُنِى »

رسول الله وأصحابه ينامون عن صلاة الصبح

قال ابن إسحق : وحدثنى الزهرى ، عن سعيد بن المُسَيَّب ، قال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر فكان ببعض الطريق قال من آخر الليل : « مَنْ رَجُلٌ يَحْفَظُ عَلَيْنَا الْفَجْرَ لَعَلَّنَا نَنَام » قال بلال : أنا يارسول الله أحفظه عليك ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونَزل الناس ، فناموا ، وقام بلال يُصَلِّى ، فصلى ماشاء الله عز وجل أن يصلى ، ثم استند إلى بعيره واستقبل الفجر يَرْمُقُه ، فغلبته عينه ، فنام ، فلم يُوقِظْهم إلا مَسُّ الشمس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولَ أصحابه

هَبَّ ، فقال : « مَاذَا صَنَعْتَ بِنَا يَابِلَالُ »؟قال: يارسول الله ، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ، قال : « صَدَقْتَ » ثم اقتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم [بعيره] غير كثير ، ثم أناخ فتوضأ وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة فصلّى [رسول الله صلى الله عليه وسلم] بالناس ، فلما سلم أقبل على الناس فقال: « إِذَا نَسِيتُمُ الصَّلَاةَ فَصَلُّوهَا إذا ذَكَرْتُمُوهَا فإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى »

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — قد أعطى ابن لُقَيْمٍ العَبْسِيَّ — حين افتتح خيبر — ما بها من دَجَاجَة أو داجِن (١) ، وكان فتح خيبر فى صفر ، فقال ابن لُقَيْم العبسى فى خيبر : —

رُمِيَتْ نَطَاةُ مِنَ الرَّسُولِ بِفَيْلَقٍ شَهْبَاءَ ذَاتِ مَنَاكِبٍ وَفَقَارِ (٢) — كلمة ابن لقيم فى فتح خيبر

---

(١) من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى ابن لقيم مابخيبر من دجاج أوداجن كان يقال له : لقيم الدجاج ، قاله أبوذر عن ابن سراج ، والداجن : كل ماألف الناس من الحيوان ، كالشاة التى تعلف والحمام والدجاج ، وأصل الداجن اسم فاعل من قولهم : دجن بالمكان ، إذا أقام به وقيل لهذه الأنواع ذلك لأنها تقيم مع الناس فى البيوت

(٢) نطاة ـ بالنون فى أوله وبعدها طاء مهملة وبعد الألف تاء ـ قال ياقوت : « قيل : هو اسم لأرض خيبر ، وقال الزمخشرى : نطاة حصن بخيبر ، وقيل : عين بها تسقى بعض نخيل قراها وهى وبئة ،... وقد ذكرها الشاعر يصف محموما فقال :

كَأَنَّ نَطَاةَ خَيْبَرَ زَوَّدَتْهُ بَكُورَ الوِرْدِ رَيِّثَةَ القُلُوعِ

فظن الليث من هذا البيت أن نطاة اسم لحى تعتاد خيبر ، والحق أنها عين بها اه والفيلق : الكتيبة ، وهى الجيش ، وشهباء : كثيرة السلاح ، وجعل لها مناكب وفقارا وهو يريد من ذلك وصفها بالشدة والقوة

وَاسْتَيْقَنَتْ بِالذُّلِّ لَمَّا شُيِّعَتْ وَرِجَالُ أَسْلَمَ وَسْطَهَا وَغِفَارِ (١)

صَبَحَتْ بَنِي عَمْرِو بْنِ زُرْعَةَ غُدْوَةً
وَالشَّقُّ أَظْلَمَ أَهْلُهُ بِنَهَارِ (٢)

جَرَّتْ بِأَبْطَحِهَا الذُّيُولَ فَلَمْ تَدَعْ
إِلاَّ الدَّجَاجَ تَصِيحُ فِي الْأَسْحَارِ (٣)

وَلِكُلِّ حِصْنٍ شَاغِلٌ مِنْ خَيْلِهِمْ
مِنْ عَبْدِ الْأُشْهَلِ أَوْ بَنِي النَّجَّارِ (٤)

وَمُهَاجِرِينَ قَدَ اعْلَمُوا سِيمَاهُمُ فَوْقَ الْمَغَافِرِ لَمْ يَنُوا لِفِرَارِ (٥)

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَيَغْلِبَنَّ مُحَمَّدٌ وَلَيَثْوِيَنَّ بِهَا إِلَى أَصْفَارِ (٦)

---

(١) استيقنت : تيقنت وعلمت ، وشيعت : فرقت ، وأسلم وغفار : قبيلتان

(٢) الشق - يروى بكسر الشين وبفتحها - وهو موضع بخيبر ، قال ياقوت : « هو حصن من حصون خيبر ، وفى كتاب نصر : شق : من قرى فدك ، تعمل فيها اللجم » اهـ وكنى باظلام أهله عن سوء حالهم وشدة مالقوا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

(٣) الأبطح : المكان السهل ، وقوله « الذيول » قد وقع فى بعض النسخ مكانه « الديوك »

(٤) « من عبد الاشهل » قد ألقى حركة الهمزة على اللام التى قبلها حين اضطره الوزن إلى ذلك ، وعبد الأشهل : جماعة من الأنصار ، وكذلك بنو النجار

(٥) سيماهم : علامتهم ، والمغافر : جمع مغفر ، وهو الدرع الذى يلبس على الرأس ، ولم ينوا : أى لم يفتروا ولم يضعفوا

(٦) ليثوين: أى ليقيمن ، تقول : ثوى بالمكان يثوى؛ إذا أقام ، والأصفار: جمع صفر ، وهو الشهر الذى يلى المحرم ، يريد ليقيمن بخيبر سنين عددا

فَرَّتْ يَهُودُ يَوْمَ ذَلِكَ فِي الْوَغَى
تَحْتَ الْعَجَاجِ غَمَائِمَ الْأَبْصَارِ (١)

قال ابن هشام : فَرَّتْ : [يريدُ] كشفت الجفون عين العين ، كما تُفَرُّ الدابة بالكَشْفِ عن أسنانها .

شهد خيبر بعض نساء المسلمين

قال ابن إسحق : وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء من نساء المسلمين ، فَرَضَخَ لهنَّ (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفيء ولم يضرب لهن بسهم

المرأة الغفارية

قال ابن إسحق : حدثني سليمان بن سُحَيْم ، عن أُمَيَّة بنت أبي الصَّلت عن امرأة من بني غِفار ، قد سماها لي ، قالت : أَتَيْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوةٍ من بني غفار ، فقلنا : يارسول الله ، قد أَرَدْنَا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ، وهو يسير إلى خيبر ، فَنُدَاوِيَ الْجَرْحَى ، ونُعِينَ المسلمين بما استطعنا ، فقال : « عَلَى بَرَكَةِ اللهِ » قالت : فخرجنا معه ، وَكنتُ جاريةً حَدَثَةً فأَرْدَفَنِي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على حَقِيبةِ رَحْلِهِ ، قالت : فو الله لَنَزَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح ، وأناخ ، ونزلتُ عن حقيبة رَحْلِهِ ، وإذا بها دَمٌ مِنِّي ، وكانت أوَّلَ حَيْضَةٍ حِضْتُهَا ، قالت : فَتَقَبَّضْتُ إلى الناقة وَاسْتَحْيَيْتُ ، فلما رأى رسول الله

---

(١) فرت يهود : هنا بمعنى كشفت كما في تفسير ابن هشام ، وفي خطبة الحجاج حين ولي الفراق : « ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة » ؛ والوغى : الحرب ، والعجاج : الغبار ، والغمائم : جفون العين ، قال أبو ذر « قال ابن سراج : ويصح أن تكون عمائم بالعين المهملة — جمع عمامة ، وحينئذ تكون الأنصار بالنون » اه أما على الرواية الأولى فالأبصار بالباء ، وهو جمع بصر

(٢) رضخ لهن : أعطاهن عطاء دون السهم ، تقول : رضخت لفلان من مالي ، إذا أعطيته منه

صلى الله عليه وسلم مابى ، ورأى الدم ؛ قال : « مَالَكِ لَعَلَّكِ نُفِسْتِ[١] »
قالت : قلت : نعم ، قال : « فَأَصْلِحِي مِنْ نَفْسِكِ ثُمَّ خُذِي إِنَاءً مِنْ
مَاءٍ فَاطْرَحِي فِيهِ مِلْحًا ثُمَّ اغْسِلِي [بِهِ] مَاأَصَابَ الْحَقِيبَةَ مِنَ الدَّمِ ثُمَّ
عُودِي لِمَرْكَبِكِ » قالت : فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر
رَضَخَ لنا من الفيء ، وأخذ هذه القلادة التى تَرَيْنَ فى عنقى فأعطانيها
وَعَلَّقَهَا بيده فى عنقى ، فو الله لا تفارقنى أبداً ، قالت : فكانت فى عنقها
حتى ماتت ، ثم أَوْصَتْ أن تدفن معها ، قالت : وكانت لا تطهر من حَيْضَةٍ
إلا جعلت فى طَهُورِهَا مِلْحًا ، وأوصت به أن يجعل فى غُسْلِهَا حين ماتت

تسمية شهداء المسلمين فى غزوة خيبر

قال ابن إسحق : وهذه تَسْمِيَةُ من استشهد بخيبر من المسلمين
من قريش ، ثم من بنى أمية بن عبد شمس ، ثم من حلفائهم : ربيعة
ابن أَكْثم بن سَخْبَرَةَ بن عمرو بن لُكَيز[٢] بن عامر بن غنم بن دودان
ابن أسد ، وَثَقِفُ بن عَمْرو ، ورفاعة بن مَسْرُوح

ومن بنى أسد بن عبد الْعُزَّى : عبدُ الله بن الْهُبَيْب (ويقال :
الْهَبِيب فيما قال ابن هشام) ابن أُهَيْب بن سُحَيْم بن غِيَرَةَ من بنى سعد
ابن ليث حليف لبنى أسد وابن أختهم

ومن الأنصار ، ثم من بنى سلمة : بِشْرُ بن الْبَرَاء بن مَعْرُور ، مات
من الشاة التى سُمَّ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَفُضَيْل بن
النعمان ، رجلان .

---

(١) نفست : هو بالبناء للمجهول ، ومعناه حضت هنا ، وليس المراد به المعنى الذى خصه الفقهاء به كما هو ظاهر من السياق
(٢) « ابن لكيز » فى نسخة « بكير »

ومن بنى زُرَيْق : مَسْعُود بن سَعْد بن قيس بن خَلَدَةَ بن عامر ابن زريق .

ومن الأوس ، ثم من بنى عبد الأشهل : محمود بن مَسْلَمَةَ بن خالد ابن عَدِىّ بن مَجْدَعَة بن حارثة بن الحرث ، حليف لهم من بنى حارثة

ومن بنى عمرو بن عوف : أبو ضَيَّاح بن ثابت بن النُّعْمَان بن أمية ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ؛ والحرث بن حاطب ؛ وعُرْوَةُ ابن مُرَّة بن سُرَاقة ؛ وأوْسُ بن القائد ؛ وأُنَيف بن حُبَيْب ؛ وثابت بن أثلة ؛ وطلحة (١)

ومن بنى غِفار : عُمَارة بن عُقْبة ، رمى بسهم

ومن أسلم : عامر بن الأكوع ؛ والأسود الراعى ، وكان اسمه أسلم

قال ابن هشام : الأسود الراعى من أهل خيبر

وممن استشهد بخيبر — فيما ذكر ابن شهاب الزهرى — من بنى زهرة : مسعودُ بن ربيعة ، حليف لهم من القَارَة

ومن الأنصار من بنى عمرو بن عوف : أوْسُ بن قَتَادة

أمر الأسود الراعى ، فى حديث خيبر

قال ابن إسحق : وكان من حديث الأسود الراعى — فيما بلغنى — أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصرٌ لبعض حصون خيبر ومعه

---

(١) قال الحافظ ابن حجر فى الاصابة : « طلحة غير منسوب ذكره ابن إسحق فيمن استشهد بخيبر هو وأوس بن معاذ » اه كلامه ، ولم يبينه وقال أبو ذر : « طلحة : هو طلحة بن يحيى بن مليل بن ضمرة ، قال أبو على الغسانى : لم يذكر ابن إسحق اسم أبى طلحة هذا » اه

غَنَمٌ له كان فيها أجيراً لرجلٍ من يهود ، فقال : يارسول الله ، اعْرِضْ عَلَىَّ الاسلام ، فعَرَضَهُ عليه ، فأسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَحْقِرُ أحداً أن يدعوه إلى الاسلام و يعرضه عليه ، فلما أسلم قال : يارسول الله ، إنى كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم ، وهى أمانة عندى ، فكيف أصنع بها ؟ قال : « اضْرِبْ فِى وُجُوهِهَا فَإِنَّهَا سَتَرْجِعُ إِلَى رَبِّهَا » أو كما قال ، فقام الأسود فأخذ حَفْنَةً من الحصباء ، فرمى بها فى وجوهها ، وقال : ارجعى إلى صاحبك فوالله لا أصحبك [أبدا] ، فخرجت مجتمعة كأنَّ سائقاً يسوقها حتى دخلت الحصن ، ثم تقـدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين فأصابه حَجَرٌ فقتله ، وما صلى لله صلاةً قطُّ ، فأُتِىَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوُضِعَ خَلْفَهُ وسُجِّى بشَمْلة كانت عليه ، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه ، فقالوا : يا رسول الله ، لم أعْرَضْتَ عنه ؟ قال : « إِنَّ مَعَهُ الآنَ زَوْجَتَيْهِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ »

قال ابن إسحق : وأخبرنى عبد الله بن أبى نجيح ، أنه ذكر له أن الشهيد إذا ما أصيب تَدَلَّتْ [له] زوجتاه من الحور العين عليه تَنْفُضَان الترابَ عن وجهه وتقولان : تَرَّبَ الله وَجْهَ من تَرَّبَكَ وقَتَلَ من قتلك

أمر الحجاج بن عِلَاطٍ [السُّلَمِىِّ]

قال ابن إسحق : ولما فُتِحَتْ خيبر كَلَّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجاجُ بن عِلَاط السُّلَمِىُّ ثم البَهْزِىُّ ، فقال : يارسول الله ، إن لى بمكة مالاً عند صاحبتى أُمّ شَيْبَةَ بنت أبى طلحة، وكانت عنده ، له منها مُعْرِضُ ابن الحجّاج ، ومال متفرق فى تجار أهل مكة ، فأْذَنْ لى يا رسول الله ، فأذن له ، قال : إنه لابد لى يارسول الله من أن أقول ، قال : « قُلْ » قال

الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثَنيةِ الْبَيْضَاء رجالاً من قريش يتَسَمَّعُونَ الأخبار ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز رِيفًا وَمَنَعَةً ورجالاً فهم يتحَسَّسُون الأخبار ، ويسألون الركبان ، فلما رَأَوْنى قالوا : الحجاج بن عِلاَطٍ ، قال : ولم يكونوا علموا باسلامى ، عِنْدَهُ واللهِ الخبرُ ، أَخْبِرْنَا يا أبا محمد ، فانه [قد] بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ، وهى بَلَدُ يَهُودَ وَرِيفُ الحجاز ، قال : قلت : قد بلغنى ذلك ، وعندى من الخبر مايَسُرُّكم ، قال : فالْتَبَطُوا بِجَنْبَيْ ناقتى (١) يقولون : إيه ياحَجَّاج، قال : قلت : هُزِمَ هزيمةً لم تَسْتَمِعُوا بمثلها قَطُّ ، وقُتِلَ أصحابه قَتْلاً لم تسمعوا بمثله قَطُّ ، وَأُسِرَ محمد أَسْرًا ، وقالوا : لا نقتله حتى نَبْعَثَ به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم ، قال : فقاموا وصَاحُوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقْدَمَ به عليكم فيقتل بين أظهركم ، قال : قلت : أعينونى على جَمْع مالى بمكة وعلى غرمائى فانى أريد أن أَقْدَمَ خيبر فأصيب من فَلِّ (٢) محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ما هنالك

قال ابن هشام : ويقال مِنْ فَيْءِ محمد

قال ابن إسحق : قال : فقاموا فجمعوا لى مالى كأحثِّ جَمْعٍ سمعت به ، قال : وجئت صاحبتى فقلت : مالى ، وقد كان لى عندها مال موضوع ،

---

(١) التبطوا بجنبى ناقتى : أى مشوا إلى جنبها كمشى العرجاء لازدحامهم حولها

(٢) الفل : القوم المنهزمون ؛ إمامن باب إطلاق المصدر وإرادة المفعول وإما فعل بمعنى مفعول

لعلى ألحق بخيبر فأصيب من فُرَصِ البيع قبل أن يسبقنى التجار ، قال : فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عنى أقبل حتى وقف إلى جنبى وأنا فى خَيْمَة من خيام التجارِ ، فقال : ياحجاج ، ماهذا [الخبر] الذى جئت به ؟ قال : فقلت : وهل عندك حِفْظٌ لما وَضَعْتُ عندك ؟ قال : نعم ، قال : قلت : فاستأخر عنى حتى ألقاك على خَلاَء فانى فى جَمْع مالى كما ترى ، فانْصَرِفْ عنى حتى أفرغ ، قال : حتى إذا فَرَغْتُ من جمع كل شىء كان لى بمكة وَأجمعتُ الخروج لقيتُ العباسَ فقلت : احفظ على حديثى يا أبا الفضل ؛ فانى أخشى الطلب ثلاثا ثم قل ماشئت ، قال : أفعل ، قال : فانى والله لقد تركت ابن أخيك عَرُوساً على بنت ملكهم ، يعنى صفية بنت حُيَىّ ، ولقد افتتح خيبر ، وانْتَثَلَ [(١)] مافيها وصارت له ولأصحابه ، فقال : ماتقول ياحجاج ؟ قال : قلت : إى والله فاكتم عنى ، ولقد أسلمت ، وما جئت إلا لآخذ مالى فَرَقاً من أن أُغْلَبَ عليه ، فاذا مَضَتْ ثلاث فأظهر أمرك فهو والله على ماتُحِبُّ ، قال : حتى إذا كان اليوم الثالث لَبِسَ العباسُ حُلَّةً له وتَخَلَّقَ [(٢)] وأخذَ عَصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها ، فلما رأوه قالوا : يا أبا الفضل ، هذا والله التَّجَلُّدُ لحرّ المصيبة ، قال : كلا والله الذى حَلَفْتُمْ به ، لقد افتتح محمد خَيْبَرَ وَتُرِكَ عَرُوساً على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه ، قالوا : مَنْ جاءك بهذا الخبر؟ قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مُسْلِماً فأخذ ماله فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه ، قالوا : يالعباد الله ، انْفَلَتَ عَدُوُّ الله ،

---

(١) انتثل ما فيها : أى استخرجه ، تقول : نثلت الشىء وانتثلته ، إذا ستخرجته

(٢) تخلق : تطيب بالخلوق ، والخلوق ـ بفتح الخاء ـ ضرب من الطيب

أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ، قال : ولم يَنْشَبُوا (١) أن جاءهم الخبر بذلك

ذكر ما قيل من الشعر فى يوم خيبر

قال ابن إسحق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم خيبر قَوْلُ حسان ابن ثابت : —

كلمة لحسان فى غزوة خيبر

بِئْسَ مَاقَاتَلَتْ خَيَابِرُ عَمَّا جَمَّعُوا مِنْ مَزَارِعٍ وَنَخِيلِ (٢)
كَرِهُوا الْمَوْتَ فَاسْتُبِيحَ حِمَاهُمْ وَأَقَرُّوا فِعْلَ اللَّئِيمِ الذَّلِيلِ
أَمِنَ الْمَوْتِ تَهْرُبُونَ فَإِنَّ الْـ
مَوْتَ مَوْتُ الْهُزَالِ غَيْرُ جَمِيلِ (٣)

وقال حسان بن ثابت أيضا وهو يعذر عن أَيْمَنَ بن أمّ أيمن ابن عبيد ، وكان قد تخلف عن خيبر ، وهو من بنى عوف بن الخزرج ، وكانت أمه أم أيمن مَوْلَاةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى أم أسامة بن زيد ، فكان أخا أسامة لأمه : —

كلمة لحسان يعتذر عن تخلف أيمن بن عبيد ابن أم أيمن

عَلَى حِينِ أَنْ قَالَتْ لِأَيْمَنَ أُمُّهُ
جَبُنْتَ وَلَمْ تَشْهَدْ فَوَارِسَ خَيْبَرِ (٤)

---

(١) لم ينشبوا : أى لم ينتظروا ، يريد أن الخبر قد جاءهم سريعاً

(٢) خيابر : جمع خيبر ، وإنما أراد أهل خيبر ، كما تقول : اجتمعت المدينة ، وأنت تريد اجتماع أهلها

(٣) الهزال ـ بضم الهاء ـ الجوع وضعف الحال

(٤) جبنت : خفت وفزعت ، والجبن : الخوف والفزع ، والجبان : هو الخائف الفزع

وَأَيْمُنُ لَمْ يَجْبُنْ وَلٰكِنَّ مُهْرَهُ أَضَرَّ بِهِ شُرْبُ المَدِيدِ المُخَمَّرِ (١)

وَلَوْلاَ الَّذِي قَدْ كَانَ مِنْ شَأْنِ مُهْرِهِ
لَقَاتَلَ فِيهِمْ فَارِسًا غَيْرَ أَعْسَرِ (٢)

وَلٰكِنَّهُ قَدْ صَدَّهُ فِعْلُ مُهْرِهِ وَمَا كَانَ مِنْهُ عِنْدَهُ غَيْرُ أَيْسَرِ (٣)

قال ابن هشام: أنشدنى أبو زيد هذه الأبيات لكعب بن مالك وأنشدنى:

وَلٰكِنَّهُ قَدْ صَدَّهُ شَأْنُ مُهْرِهِ وَمَا كَانَ لَوْلاَ ذَاكُمُ بِمُقَصِّرِ

رجز لناجية ابن جندب

قال ابن إسحق: وقال ناجية بن جُنْدَبٍ الأسلمىُّ:

يَالَعِبَادِ اللهِ فِيمَ يُرْغَبُ مَاهُوَ إِلاَّ مأْكَلٌ وَمَشْرَبُ
وَجَنَّةٌ فِيهَا نَعِيمٌ مُعْجِبُ

رجز آخر لناجية بن جندب

وقال ناجية بن جُنْدَب الأَسْلَمِىُّ أيضا: —

أَنَا لِمَنْ أَنكَرَنِى ابْنُ جُنْدَبِ
يَارُبَّ قِرْنٍ فِى مَكَرِّي أَنْكَبِ (٤)
طَاحَ بِمَغْدَى أَنْسُرٍ وَثَعْلَبِ (٥)

---

(١) المديد: هو الدقيق يخلط مع الماء فتشربه الخيل، والمخمر: المتروك حتى يختمر

(٢) الأعسر: الذى يعمل بالشمال ولا يعمل باليمين

(٣) صده: منعه وعاقه، والأيسر: الفرس المنظور إليه

(٤) القرن — بكسر القاف — الذى يقاوم فى قتال أوشدة، والمكر: الموضع الذى تكر فيه الخيل، والأنكب: المائل إلى جهة

(٥) طاح: ذهب وأهلك، وقوله «بمغدى أنسر» يروى مغدى — بالدال المهملة — ويروى بمغذى — بالذال المعجمة — فأما من رواه بالدال المهملة

قال ابن هشام: أنشدنى بعض الرواة للشعر قوله « فى مكرى » و « طاح بمغدى »

وقال كعب بن مالك فى يوم خيبر — فيما ذكر ابن هشام عن أبى زيد الأنصارى — :

كلمة لكعب ابن مالك فى يوم خيبر

وَنَحْنُ وَرَدْنَا خَيْبَراً وَفُرُوضَهُ
بِكُلِّ فَتًى عَارِى الْأَشَاجِعِ مِذْوَدِ (١)

جَوَادٍ لَدَى الْغَايَاتِ لَاوَاهِنِ الْقُوَى
جَرِىءٍ عَلَى الْأَعْدَاءِ فِى كُلِّ مَشْهَدِ (٢)

عَظِيمِ رَمَادِ الْقِدْرِ فِى كُلِّ شَتْوَةٍ
ضَرُوبٍ بِنَصْلِ الْمَشْرَفِيِّ الْمُهَنَّدِ (٣)

يَرَى الْقَتْلَ مَدْحًا إِنْ أَصَابَ شَهَادَةً
مِنَ اللهِ يَرْجُوهَا وَفَوْزاً بِأَحْمَدِ

فهو من الغدو، وأما من رواه بالذال المعجمة فهو من الغذاء، وهو على الروايتين اسم مكان، والأنسر: جمع نسر، قوله « وثعلب » كان حقه أن يقول وثعالب فيجمع كما جمع الأيسر، ولكنه لما اضطر استعمل الواحد فى مكان الجمع

(١) الفروض: المواضع التى يشرب منها من الأنهار، والأشاجع: عروق ظاهر الكتف، ومذود: أى يدفع عن حوزته ويمنع الأعداء أن تناله

(٢) الواهن: الضعيف، ومشهد: مكان الحضور؛ وشهد: أى حضر

(٩) عظيم رماد القدر: كناية عن أنه كريم، وإنما خص الشتاء لأنه الوقت الذى تشتد فيه الحاجة وتعظم فيه قيمة العطية، والمشرفى: السيف، ونصله: حده

يَذُودُ وَيَحْمِي عَنْ ذِمَارِ مُحَمَّدٍ   وَيَدْفَعُ عَنْهُ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ (١)
وَيَنْصُرُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يَرِيبُهُ   يَجُودُ بِنَفْسٍ دُونَ نَفْسِ مُحَمَّدِ
يُصَدِّقُ بِالْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ مُخْلِصًا
يُرِيدُ بِذَاكَ الْفَوْزَ وَالْعِزَّ فِي غَدِ (٢)

ذِكْرُ مقَاسِمِ خَيْبَرَ وَأموالها

مقاسم غنائم خيبر

قال ابن إسحق : وكانت المقاسم على أموال خيبر على الشَّقِّ ونَطَاةَ والْكَتِيبة ، فكانت الشَّقُّ ونَطَاةُ فى سُهْمَان المسلمين ، وكانت الكتيبةُ خُمسَ الله وسَهْمَ النبي صلى الله عليه وسلم ، وسَهْمَ ذوى القربى واليتامى والمساكين وطُعْمَ أزْواج النبي صلى الله عليه وسلم وطُعْمَ رجال مَشَوْا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين أهل فدَكَ بالصلح ، منهم مُحَيِّصَةُ بن مَسْعُود وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم [منها] ثلاثين وَسْقًا من شعير ، وثلاثين وَسْقًا من تمر ، وقُسِّمَتْ خيبر على أهل الحديبية ، من شَهِدَ خيبر ومن غاب عنها ، ولم يغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام ، فقَسَمَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسَهْم من حضرها وكان وَادِيَاهَا وادى السُّرَيْر و وادى خاص ، وهما اللذان قُسِّمَتْ عليهما خيبر ، وكانت نَطَاةُ والشَّقُّ ثمانيةَ عشرَ سَهْمًا ، نطاةُ من ذلك خَمْسَةُ أسهمٍ ، والشَّقُّ ثلاثةَ عشر سهما ، وقُسِّمَت الشق ونطاة على ألف سَهْمٍ وثمانمائة سهم ،

---

(١) يذود : يدفع ، والذمار ـ بزنة كتاب ـ ما تجب على الرجل حمايته والدفاع عنه

(٢) الأنباء : هو بفتح الهمزة جمع نبأ ، والنبأ : الخبر ، والانباء بكسر الهمزة ـ مصدر أنبأ بكذا : أى أخبر به ، و « الفوز » يروى فى مكانه « الغنم » وهو بضم الغين المعجمة من الغنيمة

وكانت عِدَّةُ الذين قسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أَلْفَ سهم و ثمانمائة سهم برجالهم وخيلهم ، الرجالُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مائةً ، والخيل مائتا فرس ؛ فكان لكل فرس سهمان ولفارسه سهم ، وكان لكل راجل سهم ، فكان لـكل سهم رأسٌ جُمِعَ إليه مائة رجل فكانت ثمانية عشر سهما جمع .

قال ابن هشام : وفى خيبر عَرَّبَ رسول الله صلى الله عليـه وسلم العَرَبِيَّ من الخيل ، وهَجَّنَ المهجين

قال ابن إسحق : فكان على بن أبى طالب رأساً ، والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعاصم ابن عدى أخو بنى العجلان ، وأُسَيْدُ [بن الْحُضَيْر] وسهم الحرث بن الخزرج ، وسهم ناعم ، وسهم بنى بياضة ، وسهم بنى عبيدة ، وسهم بنى حرام من بنى سلمة ، وعُبَيْد السِّهَامِ

قال ابن هشام : وإنما قيل له عبيد السهام لما اشترى من السهام يوم خيبر ، وهو عُبَيْدُ بن أوسٍ أحد بنى حارثة بن الحرث بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن الأوس

قال ابن إسحق : وسهم ساعدة ، وسهم غِفَارٍ وأسلم ، وسهم النجار ، وسهم حارثة ، وسهم أوس ، فـكان أولُ سهم خرج من خيبر بنطاة سَهْمَ الزبير بن العوام ، وهو الخَوْعُ ، وتابعه السُّرَيْر ، ثم كان الثانى سَهْمَ بياضة ، ثم كان الثالث سهم أسيد ، ثم كان الرابع سهم بنى الحرث بن الخزرج ، ثم كان الخامس سهم ناعم لبنى عوف بن الخزرج ومزينة وشركائهم ، وفيه قتل محمود بن مسلمة ، فهذه نطاة ، ثم هبطوا إلى الشق فكان أول سهم خرج منه سهم عاصِمِ بن عَدِىٍّ أخى بنى العَجْلَانِ، ومعه كان سهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، ثم سهم عبد الرحمن بن عوف ، ثم سهم ساعدة ، ثم سهم النجار ، ثم سهم على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، ثم سهم طلحة ابن عبيد الله ، ثم سهم غفار وأسلم ، ثم سهم عمر بن الخطاب ، ثم سَهْما سلمة بنى عبيد و بنى حرام ، ثم سهم حارثة ، ثم سهم عُبَيْدِ السِّهَامِ ، ثم سهم أوس ، وهو[1] سهم اللفيف جمعت إليه جهينة ومن حضر خيبر من سائر العرب ، وكان حَذْوَهُ سَهْمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى [كان] أصابه فى سهم عاصم بن عدى ، ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتيبة ، وهى وادى خاص ، بين قرابته و بين نسائه و بين رجال من المسلمين ونساء أعطاهم منها ؛ فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته مائتى وَسْقٍ ، ولعلى بن أبى طالب مائةَ وَسْقٍ ، ولأسامة بن زيد مائتى وَسْقٍ وخمسين وسقا [من] نوًى ، ولعائشة أم المؤمنين مائتى وَسْقٍ ، ولأبى بكر بن أبى قُحَافة مائة وَسْقٍ ، ولِعَقِيل بن أبى طالب مائةَ وَسْقٍ وأربعين وسقا ، ولبنى جَعْفر خمسين وَسْقًا ، ولربيعة بن الحرث مائة وَسْقٍ ؛ وللصَّلْت بن مَخْرَمَة وابنيه مائة وَسْق : للصلت منها أربعون وسقا ، ولأبى نَبِقَةَ خمسون وسقا ، ولِرُكَانَةَ بن عبد يزيد خمسين وَسْقًا ، ولقيس بن مَخْرَمَةَ ثلاثين وسقا ، ولأبى القاسم بن مخرمة أربعين وسقا ، ولبنات عبيدة بن الحرث وابنة الحصين بن الحرث مائة وسْق ، ولبنى عبيد بن عبد يزيد ستين وَسْقًا ، ولابن أوس بن مخرمة ثلاثين وسقا ، ولِمِسْطَح ابن أثاثة وابن إلياس خمسين وَسْقًا ، ولأم رُمَيْثَةَ أربعين وسقا ، ولِنُعَيْم بن هِنْدٍ ثلاثين وسقا ، ولبُحَيْنَةَ بنت الحرث ثلاثين وسقا ، ولعجير بن عبد يزيد ثلاثين وسقا ، ولام الحكم [بنت الزبير بن عبد المطلب] ثلاثين وَسْقًا ،

(١) فى بعض نسخ الكتاب « ثم سهم اللفيف »

وجُمَانَةَ بنت أبي طالب ثلاثين وسقا ، ولأمّ الأرقم خمسين وَسْقًا ، ولعبد الرحمن ابن أبي بكر أربعين وَسْقًا ، وَلِحَمْنَةَ بنت جَحْشٍ ثلاثين وَسْقًا ، ولأم الزبير أربعين وَسْقًا ، ولضُبَاعة بنت الزبير أربعين وَسْقًا ، ولابن أبي خنيس ثلاثين وَسْقًا ، ولأم طالب أربعين وسقًا ، ولأبي بَصْرَةَ (١) عشرين وسقا ، ولِنُمَيْلَةَ الكلبي خمسين وسقا ، ولعبد الله بن وهب وابنيه تسعين وسقا : لابنيه منها أربعين وسقا ، ولأم حَبيب بنت جَحْش ثلاثين وسقا ، ولمَلْكُو بن عَبْدَةَ ثلاثين وسقا ، ولنسائه صلى الله عليه وسلم سبعمائةِ وَسْقٍ

[قال ابن هشام : قمح وشعير وتمر ونوى وغير ذلك ، قسمه على قدر حاجتهم ، وكانت الحاجة في بني عبد المطلب أكثر ؛ ولهذا أعطاهم أكثر]

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ما أَعطَى محمدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه من قمح خيبر

قسم لهن مائة وسق وثمانين وسقا ، ولفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وثمانين وَسْقًا ، ولأسامة بن زيد أربعين وسقا ، وللمقداد بن الأسود خمسة عشر وسقا ، ولأم رُمَيْثَةَ خمسة أوسق ، شهد عثمان بن عفان وعباس وكتب

قال ابن إسحق : وحدثني صالح بن كَيْسَانَ ، عن ابن شهاب الزُّهْرِي ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، قال : لم يُوصِ رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته إلا بثلاث : أوصى لِلرَّهَاوِيينَ (٢)

---

(١) في بعض أصول الكتاب « ولأبي نضرة »

(٢) « الرهاويين » قال أبوذر : « هم منسوبون إلى رهاوة ، وهي من اليمن ، ويقال فيها رهاء بالهمز أيضاً ، وهو الأصح ، وقال بعض أهل

بجادٍّ [١] مائَةِ وَسْقٍ من خيبر ، وللدَّارِيِّين [٢] بجادٍّ مائةِ وَسْقٍ من خيبر ، وللسَّبائيين بجادٍّ مائةِ وَسْقٍ من خيبر ، وللأَشْعَرِيِّينَ بجادٍّ مائةِ وَسْقٍ من خيبر ، وأوصى بتنفيذ بَعْثِ أسامة بن زيد بن حارثة ، وأن لا يُتْرَكَ بجزيرة العربِ دِينَانِ

أمْرُ فَدَكَ فى خبر خيبر

قال ابن إسحق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر قَذَفَ اللهُ الرُّعْبَ فى قلوب أهل فَدَكَ — حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر — فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصالحونه على النِّصْفِ من فَدَكَ ، فَقَدِمَتْ عليه رُسُلُهُمْ بخيبر أو بالطريق ، أو بعد ما قدم المدينة ، فَقَبِلَ ذلك منهم ، فكانت فَدَكُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم خَالِصَةً لأنه لم يُوجَفْ عليها بخَيْلٍ ولا رِكاب

تسمية النفر الداريين

الذين أوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، وهم بنو لدار بن هانىء بن حبيب بن نُمَارة بن لَخْمٍ الذين صاروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشأم .

النسب : رهاوة - بفتح الراء - قبيلة ، ينسب إليها رهاوى بفتحها أيضاً ، والرهاء : نفر بالجزيرة ينسب إليه رهاوى بضم الراء » اه

(١) « بجاد مائة وسق » قال أبو ذر : « أى مايجد منه مائة وسق ، ويجد : يقطع ، ويقال : أتى زمن الجداد ، أى الوقت الذى يقطع فيه الثمر من النخيل » اه

(٢) « الداريون » قال أبو ذر : « الداريون هنا : هم الغرباء ، واحدهم

تميم بن أوس ، ونُعَيْم بن أوس أخوه ، ويزيد بن قيس ، وعَرْفة ابن مالك ، سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن (قال ابن هشام : ويقال : عَزَّةُ بن مالك) وأخوه مُرّان بن مالك

قال ابن هشام : مروان بن مالك

قال ابن إسحق : وفاكه بن نُعْمان ، وَجَبَلَة بن مالك ، وأبو هند ابن بر ، وأخوه الطَّيِّبُ بن بر ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله

رسول الله يبعث خارصا إلى أهل خيبر يقدر ثمارهم

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما حدثنى عبد الله بن أبى بكر — يبعث إلى أهل خَيْبَرَ عبدَ الله بن رَوَاحَة خَارِصاً [1] بين المسلمين ويهود ، فيَخْرِصُ عليهم ، فاذا قالوا : تَعَدَّيْتَ علينا ، قال : إن شئتم فلنا وإن شئتم فلكم ، فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض ، وإنما خَرَص عليهم عبدُ الله بن رواحة عاماً واحداً ، ثم أصيب بِمُؤْتَةَ يرحمه الله ، فكان جَبَّار بن صَخْر بن أمية بن خَنْساء أخو بنى سلمة هو الذى يَخْرِصُ عليهم بعد عبد الله بن رواحة

اليهود تقتل عبد الله بن سهل أخا بنى حارثة

فأقامت يهود على ذلك لا يَرَى بهم المسلمون بَأْساً فى معاملتهم ، حتى عَدَوْا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سهل أخى بنى حارثة ، فقتلوه ، فاتَّهَمَهُمْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه

دارى ، و [السبائيين] قد يكونون منسوبين إلى سبإ » اه قال أبو رجاء : وسيأتى فى كلام بن إسحق قريبا بيان الداريين بما يوافق الأول لكنه جعل اللفظ منسوبا إلى الدار ، وهو اسم رجل

(١) الخارص : الذى يقدر التمر وهو على أصوله قبل أن يجد ، والخرص هنا : التقدير

قال ابن إسحق : فحدثني الزُّهْرِيُّ عن سهل بن أبي حَثْمَةَ وحدثني أيضا بشير بن يسار مولى بني حارثة عن سهل بن أبي حَثْمَةَ قال : أُصِيبَ عبدُ الله بن سَهْل بخيبر، وكان خرج إليها في أصحاب له يَمْتَارُ منها تَمْرًا فوُجِدَ فِي عَيْنٍ قد كُسِرَتْ عنقه ، ثم طرح فيها ، قال : فأخذوه فغيَّبُوهُ ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له شأنه ، فتقدم إليه أخوه عبدُ الرحمن [بن سهل] ومعه ابنا عمه حُوَيِّصَةُ وَمُحَيِّصَةُ ابنا مسعود ، وكان عبد الرحمن من أحدثهم سنًّا ، وكان صاحبَ الدم ، وكان ذا قَدَمٍ في القوم ، فلما تكلم قبل ابني عمه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْكُبْرَ الْكُبْرَ »

قال ابن هشام : ويقال « كَبِّرْ كَبِّرْ » فيما ذكر مالك بن أنس

القسامة وأيمانها فسكتَ ، فتكلم حُوَيِّصَة ومُحَيِّصَة ، ثم تكلم هو بعد ، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قَتْلَ صاحبهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَتُسَمُّونَ قَاتِلَكُمْ ثُمَّ تَحْلِفُونَ عَلَيْهِ خَمْسِينَ يَمِيناً فَنُسَلِّمُهُ إِلَيْكُمْ » قالوا : يارسول الله ، ما كنا لنَحْلِفَ على مالا نعلم ، قال : «أَفَيَحْلِفُونَ بِاللهِ [لكم] خَمْسِينَ يَمِيناً مَا قَتَلُوهُ وَلاَ يَعْلَمُونَ لَهُ قَاتِلاً ثُمَّ يَبْرَؤُونَ مِنْ دَمِهِ » قالوا: يارسول الله ، ما كنا لنقبل أيمانَ يهود ، مافيهم من الكفر أعظمُ من أن يحلفوا على إثم ، قال : فَوَدَاهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده مائةَ ناقةٍ ، قال سهلٌ : فوالله ما أنسى بَكْرَةً[1] منها حمراء ضربتني وأنا أحوزها

قال ابن إسحق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحرث التَّيْمِيُّ ، عن

---

(١) البكرة : الفتية من الابل ، والذكر بكر ، قال الراجز : —

وَالقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌ عُرُدُّ مِثْلُ ذِرَاعِ البَكْرِ أَوْ أَشَدُّ

ومنه سمي الرجل بكرا

عبد الرحمن بن بُجَيْد بن قَيْظِىٍّ أخى بنى حارثة ، قال محمد بن إبراهيم : وأيم الله ما كان سَهْلٌ بأكثر علما منه ، ولكنه كان أسَنَّ منه ، إنه قال له والله ماهكذا كان الشأن ، ولكن سَهْلاً أوهم ، ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «احلفوا على مالا علم لكم به»، ولكنه كتب إلى يهود خيبر — حين كلمته الأنصار — : « إِنَّهُ قَدْ وُجِدَ قَتِيلٌ بَيْنَ أَبْيَاتِكُمْ فَدُوهُ » فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ، فَوَدَاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده

قال ابن إسحق : وحدثنى عمرو بن شُعَيْب مثل حديث عبد الرحمن ابن بُجَيْد ، إلا أنه قال فى حديثه « دُوهُ أَوِ ائْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ » فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ، فَوَدَاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده

قال ابن إسحق : وسألتُ ابن شهاب الزهرى : كَيْفَ كان إعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود خيبر نَخْلَهم — حين أعطاهم النخل — على خَرْجِهَا : أَبَتَّ ذلك لهم حتى قُبِضَ أم أعطاهم إياها الضرورة من غير ذلك ؟ فأخبرنى ابنُ شهابٍ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عَنْوَةً بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خَمَّسَهَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقَسَّمَهَا بين المسلمين ونزل مَنْ نزل من أهلها على الجَلاَء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « إِنْ شِئْتُمْ دَفَعْتُ إِلَيْكُمْ هٰذِهِ الْأَمْوَالَ عَلَى أَنْ تَعْمَلُوهَا وَتَكُونَ ثِمَارُهَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ وَأُقِرُّكُمْ مَا أَقَرَّكُمُ اللهُ » فقبلوا ، فكانوا على ذلك يعملونها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عَبْدَ الله بن رواحة فيقسم ثمرها ويعدل عليهم فى الخَرْصِ ، فلما

إجلاء أهل خيبر

تَوَفَّى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أقرَّهَا أبو بكر رضى الله تعالى عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم على المعاملة التى عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى توفى ، ثم أقرَّهَا عمر رضى الله عنه صَدْرًا من إمارته ، ثم بلغ عُمَرَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى وَجَعِهِ الذى قَبَضَه الله فيه : « لاَ يَجْتَمِعَنَّ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانِ » ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثَّبْتُ ، فأرسل إلى يهود فقال : إن الله عز وجل قد أذِنَ فى جلائكم ، فقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لاَ يَجْتَمِعَنَّ بجزيرة العرب دينان » فمن كان عنده عَهْدٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليأتنى به أُنْفِذْهُ له ، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فَلْيَتَجَهَّزْ لِلْجَلاء ، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم

قال ابن إسحق : وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، قال: خرجت أنا والزُّبَيْرُ [بن الْعَوَّام] والْمِقْدَادُ بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا ، قال : فَعُدِىَ علىَّ تحتَ الليل وأنا نائم على فراشى ، ففُدِعَتْ يَدَاىَ من مَرْفِقَىَّ ، فلما أصبحتُ اسْتُصْرِخَ علىَّ صاحِبَايَ ، فأتيانى فسألانى : مَنْ صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدرى ، قال : فأصلحا من يَدَىَّ ثم قدما بى على عمر رضى الله عنه ، فقال : هذا عمل يَهُود ، ثم قام فى الناس خطيبا فقال : أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عَامَلَ يهود خيبر على أنا نُخْرِجُهُمْ إذا شئنا ، وقد عَدَوْا على عبد الله بن عمر فَفَدَعُوا يديه كما قد بلغكم مع عَدْوِهِم على الأنصارىِّ قبله ، لا نشك أنهم أصحابه ، ليس لنا هناك عَدُوٌّ غيرهم ، فمن كان له مال بخيبر فَلْيَلْحَقْ به فانى مُخْرِجٌ يَهُودَ ، فأخرجهم

قال ابن إسحق: فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ،عن عبد الله بن مَكْنَفٍ أخى بنى حارثة ، قال : لما أَخْرَجَ عمر يهود من خيبر ركب فى المهاجرين والأنصار وخرج معه جَبَّار بن صخر بن أمية بن خَنْساء أخى بنى سلمة ، وكان خَارِصَ أهل المدينة وحاسبهم ، ويزيد بن ثابت ، فهما قَسَمَا خيبر على أهلها على أصل جماعة السُّهْمَان التى كانت عليها ، وكان ماقسم عمر بن الخطاب رضى الله عنه من وادى القُرَى : لعثمان بن عفان خَطَر [١] ولعبد الرحمن بن عوف خَطَر ، ولعمر بن أبى سلمة خطر ، ولعامر بن أبى ربيعة [٢] خطر ،ولعمرو بن سُرَاقة خطر ، ولأشْيَم خَطَر (قال ابن هشام : ويقال: ولأسلم) ولبنى جعفر خطر ، وَلمُعَيْقِب خطر ، ولعبد الله بن الأرقم خطر ، ولعبد الله وعبيد الله خطران ، ولابن عبد الله بن جَحْش خطر ، ولابن البُكَيْر [خطر] ، وَلمُعْتَمِر خطر ، ولزيد بن ثابت خطر ، ولأُبَيّ بن كعب خطر ، ولمعاذ بن عَفْراء خطر ، ولأبى طلحة وحسن خطر ، ولجَبَّار بن صخر وجابر بن عبد الله بن رئاب خطر ، ولمالك بن صَعْصَعَة وجابر بن عبد الله بن عَمْرو خطر ، ولابن حُضَيْر خطر ، ولابن سعد بن معاذ خطر ، ولسلمة بن سلامة خطر ، ولعبد الرحمن بن ثابت وأبى شريك خطر ، ولأبى عَبْس بن جَبْر خطر ، ولمحمد بن مسلمة خطر ، ولعبادة بن طارق خطر ، (قال ابن هشام : ويقال : لقتَادة) قال ابن إسحق : ولجبر بن عَتيك نصفُ خطرٍ ، ولابنى الحرث بن قيس نصف خطر ، ولابن حَزَمَةَ والضحاك خطر ، فهذا مابلغنا من أمر خيبر ووادى القرى ومقاسمهما

---

(١) خطر :حظ و نصيب ، تقول : أخطر لى فلان، إذا جعل لك نصيبا ، وسيأتى تفسيره بهذا المعنى عن ابن هشام

(٢) قال أبوذر : « كذا وقع ، وصوابه لعامر بن ربيعة » اه

قال ابن هشام : الخطر : النصيب ، يقال : أخطرلى فلان خطراً

ذكر قدوم جعفر [بن أبي طالب] من الحبشة ،

وحديث المهاجرين إلى الحبشة

عاد بقية مهاجرى الحبشة يوم فتح خيبر

قال ابن هشام : وذكر سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ ، عن الأجلح ، عن الشعبي ، أن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر ، فَقَبَّلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين عَيْنَيه ، والتزمه ، وقال : « مَا أَدْرِى بِأَيِّهِمَا أَنَا أَسَرُّ بِفَتْحِ خَيْبَرَ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرَ »

تسمية الذين بقوا من مهاجرى الحبشة الى ذلك الوقت

قال ابن إسحق : وكان مَنْ أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشيّ عَمْرو بن أُمَيَّةَ الضَّمْرى ، فحملهم فى سفينتين ، فقدم بهم عليه صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بعد الحديبية

من بنى هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبى طالب [بن عبد المطلب] معه امرأته أسماء ابنة عُمَيْس الخَثْعَمِيَّةُ ؛ وابنه عبدُ الله بن جعفر ، وكانت وَلَدَتْه بأرض الحبشة ، قُتِلَ جعفر بمُؤْتة من أرض الشأم أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ رجل

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أُمَيْنَة بنت خَلَف بن أسعد (قال ابن هشام : ويقال : هُمَيْنَةُ بنت خلف) وابناه : سعيدُ بن خالد ، وَأَمَةُ بنت خالد ، ولدتهما بأرض الحبشة ، قُتِلَ خالدٌ بمَرْج الصُّفَّرِ فى خلافة أبى بكر الصديق بأرض الشام ؛ وأخوه عَمْرو بن سعيد بن العاص ، معه امرأته فاطمة بنت صَفْوَان بن أمية بن مُحَرِّث الكنانى ، هلكت بأرض الحبشة ، قُتِلَ عمرو

بأجنَادِينَ من أرض الشام فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، وَلعمرو بن سعيد يقول أبوه سعيد بن العاص [بن أمية] أبو أُحَيْحَة : —

ألاَ لَيْتَ شِعْرِى عَنْكَ يَا عَمْرُو سَائِلاً
إذَا شَبَّ وَاشْتَدَّتْ يَدَاهُ وَسُلِّحَا (١)

أَتَتْرُكُ أَمْرَ الْقَوْمِ فِيهِ بَلاَبِلٌ
وَتَكْشِفُ غَيْظاً كَانَ فِى الصَّدْرِ مُوجَحَا (٢)

ولعمرو وَخالد يقول أخوهما أَبَانُ بن سعيد بن العاص حين أسلما ، وكان أبوهم سعيد بن العاص هلك بالظُّرَيْبَةِ من ناحية الطائف ، هلك فى مال له بها : —

ألاَ لَيْتَ مَيْتًا بِالظُّرَيْبَةِ شَاهِدٌ
لِمَا يَفْتَرِى فِى الدِّينِ عَمْرٌو وخَالِدُ (٣)

أطَاعَا بِنَا أَمْرَ النِّسَاءِ فَأَصْبَحَا
يُعِينَانِ مِنْ أَعْدَائِنَا مَنْ نُكَايِدُ

فأجابه خالد بن سعيد فقال : —

أخِى مَا أَخِى لاَ شَاتِمٌ أَنَا عِرْضَهُ
وَلاَ هُوَ مِنْ سُوءِ الْمَقَالَةِ مُقْصِرُ

يَقُولُ إِذَا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ أُمُورُهُ
ألاَ لَيْتَ مَيْتًا بِالظُّرَيْبَةِ يُنْشَرُ

فَدَعْ عَنْكَ مَيْتًا قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ
وَأَقْبِلْ عَلَى الْأَدْنَى الَّذِى هُوَ أَفْقَرُ

(١) سلحا ـ بالبناء للمجهول ـ ألبس السلاح

(٢) بلابل : أى تخليط واضطراب ، وكان فى الصدر موجحا : أى مستورا

(٣) يفترى ـ بالفاء ـ من الافتراء الذى هو الكذب ، ويروى بالقاف ومعناه يتتبع ، تقول : قروت الأرض ونحوها ، إذا تتبعتها

وَمُعَيْقِيبُ بن أبي فاطمة خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المسلمين وكان إلى آل سعيد بن العاص؛ وَأبو موسى الأشعرى عبدُ الله بن قَيْسٍ حليف آل عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أربعة نفر

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قُصَيٍّ: الأسودُ بن نَوْفَل بن خُوَيْلد رجل

ومن بنى عبد الدار بن قُصَيٍّ: جَهْمُ بن قَيْس بن عبد شُرَحْبيل، معه ابناه: عمرو بن جَهْم، وخُزَيْمة بن جَهْم، وكانت معه امرأته أمُّ حَرْملة بنت عبد الأسود هلكت بأرض الحبشة، وابناه لها، رجل

ومن بنى زُهْرَةَ بن كلابٍ: عَامِرُ بن أبي وَقَّاص، وعُتْبَةُ بن مَسْعُود حليف لهم من هذيل، رجلان

ومن بنى تَيْم بن مُرَّة بن كَعْبٍ: الحرثُ بن خالد بن صَخْر، وقد كانت معه امرأته رَيْطَةُ بنت الحرث بن جُبَيْلة هلكت بأرض الحبشة، رجل

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب: عُثْمَانُ بن ربيعة بن أُهْبَان، رجل

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب: مَحْمِيَّةُ بن الجَزْءِ، حليف لهم من بنى زُبَيْد، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعله على خُمُس المسلمين، رجل

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى: مَعْمَرُ بن عبد الله بن نَضْلَة، رجل

ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب: أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس،

ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس معه امرأته عَمْرَةُ بنت السَّعْدِيّ ابن وَقْدَان بن عبد شمس، رجلان .

ومن بني الحرث بن فهر بن مالك : الحرثُ بن عبد قيس بن لَقيط ، رجل

وقد كان حَمَلَ [النجاشيُّ] معهم في السفينتين نساء من نساء من هَلَكَ هنالك من المسلمين ، فهؤلاء الذين حمل النجاشي مع عمرو بن أمية [الضمرى] في السفينتين ، فجميع من قدم في السفينتين [إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم] ستة عشر رجلا

شأن عبيد الله ابن جحش وزواج رسول الله امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان

وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة ولم يَقْدَمْ إلا بعد بدر ولم يحمل النجاشي في السفينتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قدم بعد ذلك ومن هلك بأرض الحبشة من مهاجرة الحبشة : من بني أُمَيَّةَ بن عبد شمس ابن عبد مناف : عُبَيْدُ الله بن جَحْش بن رئاب الأسدى أسدِ خُزَيْمَة ، حليف بني أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وابنته حبيبة بنت عبيد الله ، وبها كانت تكنى أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وكان اسمها رَمْلَة ، خرج مع المسلمين مُهَاجِرًا فلما قدم أرض الحبشة تَنَصَّر بها وفارق الاسلام ، ومات هنالك نصرانياً ، فَخَلَفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على امرأته من بعده أمّ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب

قال ابن إسحق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، قال : خرج عبيد الله بن جحش مع المسلمين مسلما، فلما قدم أرضَ الحبشة تَنَصَّر قال : فكان إذا مرّ بالمسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فَقَّحْنا وَصَأْصَأْتُم » أي : قد أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا بَعْدُ ، وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صأصأ

قبل ذلك ، فضرب ذلك له ولهم مثلا ، أى : إنا قد فَتَّحْنا أعيننا فأبصرنا ولم تفتحوا أعينكم فتبصروا وأنتم تلتمسون ذلك

قال ابن إسحق : وقيس بن عبدالله ، رجل من بنى أسد بن خُزَيْمة ، وهو أبو أمية بنت قيس التى كانت مع أم حبيبة ، وامرأته بَرَكة بنت يَسَار مولاة أبى سفيان بن حرب ، كانتا ظِئْرَىْ عُبَيدالله بن جحش (١) ، وأمّ حبيبة بنت أبى سفيان ، فخرجا بهما معهما حين هاجرا إلى أرض الحبشة ، رجلان

ومن بنى أسد بن عبد العُزَّى بن قصى : يزيد بن زَمْعَة بن الأسود ابن المطلب بن أسد ، قُتِلَ يوم حُنَيْن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً ، وعمرو بن أمية بن الحرث بن أسد ، هلك بأرض الحبشة ، رجلان

ومن بنى عبد الدار بن قصى : أبو الرُّوم بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفِرَاس بن النَّضْر بن الحرث بن كَلَدَة بن عَلْقَمَة بن عبد مناف بن عبد الدار ، رجلان

ومن بنى زُهْرَة بن كلاب بن مرة : المطلبُ بن أزهر بن عبدعوف ابن عبد بن الحرث بن زهرة ، معه امرأته رَمْلَة بنت أبى عوف بن ضُبَيْرة بن سعيد بن سعد بن سهم ، هلك بأرض الحبشة ، ولدت له هنالك عبد الله ابن المطلب فكان يقال : إن كان لأولَ رجل ورث أباه فى الاسلام ، رجل

ومن بنى تَيْم بن مرة بن كعب بن لؤى : عَمْرُو بن عثمان بن عمرو [بن كعب] بن سعد بن تَيْم ، قتل بالقَادِسِيَّة مع سعد بن أبى وَقَّاص ، رجل

---

(١) الظئر ـ بكسر الظاء وسكون الهمزة ـ المرأة التى ترضع ولد غيرها ، وكانت حليمة السعدية ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن بنى مَخْزُوم بن يَقَظَة بن مرة بن كعب : هَبَّار بن سُفْيان ابن عبد الأسد ، قتل بأجْنَادِينَ من أرض الشأم فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، وأخوه عبدُ الله بن سُفْيَان ، قتل عام اليَرْمُوك بالشأم فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يُشَكّ فيه أقتل ثَمَّ أم لا ، وهشامُ بن أبى حُذَيْفة بن المغيرة ، ثلاثة نفر

ومن بنى جُمَحَ بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب : حاطب بن الحرث ابن مَعْمَر بن حبيب بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح ، وابناه : محمد ، والحرث ، ومعه امرأته [فاطمة] بنت المُجَلَّل ، هلك حاطب هناك مسلما فقدمت امرأته وابناه ، وهى أمهما ، فى إحدى السفينتين ، وأخوه حَطَّابُ ابن الحرث معه امرأته فُكَيْهة بنت يَسَار ، هلك هنالك مسلما فقدمت امرأته فكيهة فى إحدى السفينتين ، وسفيان بن مَعْمر بن حبيب ، وابناه : جُنَادة ، وجابر ، وأمهما معه حَسَنَةُ ، وأخوهما لأمهما شُرَحْبيل بن حَسَنَة ، وهلك سفيان وهلك ابناه جنادة وجابر فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ستة نفر

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب : عبد الله بن الحرث بن قَيْس بن عَدىّ بن سُعَيْد بن سَهْم الشاعر ، هلك بأرض الحبشة ، وقَيْسُ بن حُذَافة بن قيس بن عـدى بن سعيد بن سهم ، وأبو قيس بن الحرث بن قيس بن عـدى بن سعيد بن سهم ، قُتِلَ يوم اليمامة فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وعَبْدُ الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد ابن سهم ، وهو رسولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ، والحرثُ بن الحرث بن قيس بن عدى ، ومعمر بن الحرث بن قيس بن عدى ، و بشر بن الحرث بن قيس بن عـدى ، وأخٌ له من أمه من بنى

تميم يقال له سعيد بن عمرو قُتِلَ بأجْنَادِينَ فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، وسعيد بن الحرث بن قيس ، قُتِلَ عام اليرموك فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، والسائب بن الحرث بن قيس ، جُرِحَ بالطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقُتل يوم فَحْل فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ويقال : قتل يوم خيبر ، يُشَكّ فيه ، وعُمَيْر بن رئاب بن حُذَيْفَةَ بن مِهْشَم بن سعيد بن سهم ، قتل بعين التَّمْر مع خالد بن الوليد مُنْصَرَفَهُ من اليمامة فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، أحَدَ عشر رجلا

ومن بنى عدىّ بن كعب [بن لؤىّ] : عروةُ بن عبدالْعُزَّى بن حُرْثَان ابن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب ، هلك بأرض الحبشة ، وعدىُّ بن نَضْلَةَ بن عبد الْعُزَّى بن حُرْثَان ، هلك بأرض الحبشة ، رجلان ، وقد كان مع عدى ابنه النُّعْمَانُ بن عدى ، فقدم النعمان مع من قدم من المسلمين من أرض الحبشة ، فبقى حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب ، فاستعمله على مَيْسَانَ من أرض الْبَصْرَة فقال أبياتًا من شعر ، وهى : — شأن النعمان بن عدى

أَلَا هَلْ أَتَى الْحَسْنَاءَ أَنَّ حَلِيلَهَا
بِمَيْسَانَ يُسْقَى فِى زُجَاجٍ وَحَنْتَمِ (١)
إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِى دَهَاقِينُ قَرْيَةٍ ... وَرَقَّاصَةٌ تَجْذُو عَلَى كُلِّ مَنْسِمِ (٢)

(١) الحليل ـ بالحاء المهملة ـ الزوج ، ويقال للمرأة : حليلة ، وإنما قيل لكل منهما ذلك لأن الرجل يحل للمرأة والمرأة تحل للرجل ، والحنتم ـ بفتح الحاء المهملة وسكون النون بعدها تاء مثناة مفتوحة ـ جرار مدهونة بخضرة تضرب إلى الحمرة

(٢) الدهاقين : جمع دهقان ، وهو العارف بأمور القرية ومنافعها ومضارها ، و « رقاصة » يروى فى مكانه « وصناجة » وهى التى تضرب

فَإِنْ كُنتَ نَدْمَانِى فَبِالأَكْبَرِ اسْقِنِى
وَلاَ تَسْقِنِى بِالأَصْغَرِ الْمُتَثَلِّمِ (١)
لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوءُهُ
تَنَادُمُنَا فِى الْجَوْسَقِ الْمُتَهَدِّمِ (٢)

فلما بلغت أبياته عمر قال : نعم والله ، إنَّ ذلك ليسوءنى ، فمن لقيه فلْيُخبِرْهُ أنى قدعزلته ، وعزله ، فلما قدم عليه اعتذر إليه وقال : والله ياأمير المؤمنين ماصنعتُ شيئاً مما بلغك أنى قُلْتُهُ قطُّ ، ولكنى كنت امرأ شاعراً وجدت فَضْلاً من قول فقلت فيماتقول الشعراء ، فقال له عمر : وايم الله لا تعمل لى على عملٍ ما بقيتُ وقد قلت ماقلت .

ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب بن فهر : سَليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبدوُدِّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وهوكان رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هَوْذَةَ بن على الحنفى باليمامة ، رجل :

ومن بنى الحرث بن فهر بن مالك : عُثْمَانُ بن عبد غَنْم بن زُهَير ابن أبى شداد ، وسعد بن عبد قَيْس بن لَقِيط بن عامر بن أمية بن ظَرِب ابن الحرث بن فهر ، وعِيَاض بن زهير بن أبى شداد ، ثلاثة نفر .

فجميع من تخلَّف عن بدر ولم يَقْدَمْ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ومن قدم بعد ذلك ولم يحمل النجاشى فى السفينتين أربعة وثلاثون رجلا

بالصنج ، والصنج : من آلات الغناء ، وقوله « تجذو » معناه تبرك على ركبتيها ، وأصله تجثو - بالثاء المثلثة - فأبدل الثاء ذالا ، والمنسم أراد به طرف قدمها ، وإنما أصل المنسم طرف خف البعير ، فاستعاره هنا للانسان

(١) المتثلم : المنشعب ، تقول : ثلمت الاناء ، إذا شعبته وأحدثت فيه ثلما

(٢) الجوسق : البنيان العالى ، ويقال : هو الحصن

الذين ماتوا بأرض الحبشة من المسلمين الذين هاجروا إليها

وهذه تسمية [جملة] من هلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة : من بنى عبد شمس بن عبد مناف : عبيدُ الله بن جحش بن رئاب حليف بنى أمية مات بها نصرانيا .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : عَمْرُو بن أمية بن الحرث ابن أسد .

ومن بنى جُمَح : حاطب بن الحرث ، وأخوه حَطّاب بن الحرث

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عبدالله بن الحرث ابن قيس .

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى : عُرْوَةُ بن عبد العزى بن حُرْثَان ابن عوف ، وعدى بن نضلة ، سبعة نفر .

ومن أبنائهم : من بنى تَيْم بن مرة ، موسى بن الحرث بن خالد بن صخر بن عامر ، رجل

النساء اللاتى هاجرن إلى الحبشة

وجميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء من قدم منهن ومن هلك هنالك سِت عَشْرَةَ امرأة سوى بناتهن اللاتى وُلِدْنَ هنالك من قدم منهن ومن هلك هنالك ومن خرج به معهن حين خرجن :

من قريش : من بنى هاشم : رُقَيَّةُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى أُمَيَّة أمُّ حبيبة بنت أبى سفيان معها ابنتها حبيبة خرجت بها من مكة ورجعت بها معها .

ومن بنى مَخْزوم : أمُّ سَلَمَةَ ابنة أبى أمية ، قدمت معها بزينب ابنتها من أبى سلمة ، ولدتها هنالك

ومن بنى تيم بن مرة : رَيْطَةَ بنت الحرث بن جُبَيْلَة ، هلكت

بالطريق ، وَبنتان لها كانت ولدتهما هنالك : عائشة بنت الحرث ، وزينب بنت الحرث ، هلكن جميعاً وأخوهنّ موسى بن الحرث من ماء شربوه فى الطريق ، وقدمت بنت لها ولدتها هنالك فلم يبق من ولدها غيرها يقال لها فاطمة

ومن بنى سهم بن عمرو : رَمْلَة بنت أبى عَوْف بن ضُبَيْرة

ومن بنى عدى بن كعب : لَيْلى بنت أبى حَثْمَة بن غانم

ومن بنى عامر بن لؤى : سَوْدَةُ بنت زَمْعة بن قيس ، وَسَهْلة بنت سُهَيْل بن عَمْرو ، وابنة المُحَلَّل ، وَعَمْرَةُ بنت السَّعْدِىّ بن وَقْدَان ، وأُمُّ كلثوم بنت سهيل بن عمرو

ومن غرائب العرب : أسماء بنت عُمَيْس بن النُّعْمان الخَثْعَمِيَّة ، وفاطمة بنت صَفْوان بن أمية بن مُحَرِّث الكنانية ، وفُكَيْهَةُ بنت يَسَار ، وبركة بنت يسار ، وَحَسَنَةُ أم شُرَحْبيل بن حَسَنَة

مواليد الحبشه من ابناء المسلمين

وهذه تسمية من ولد من أبنائهم بأرض الحبشة : من بنى هاشم : عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، ومن بنى عبد شمس : محمدُ بن أبى حُذَيْفَة ، وسعيد بن خالد بن سعيد ، وأخته أَمَةُ بنت خالد ، ومن بنى مخزوم : زَيْنَبُ بنت أبى سلمة بن عبد الأسد ، ومن بنى زُهْرة : عبدُ الله بن المطلب بن أزهر ، ومن بنى تَيم موسى بن الحرث بن خالد ، وأخواته : عائشة بنت الحرث ، وفاطمة بنت الحرث ، وزينب بنت الحرث

الرجال منهم خمسة : عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن أبى حذيفة ، وسعيد بن خالد ، وعبد الله بن المطلب ، وموسى بن الحرث ، ومن النساء خمس : أَمَة بنت خالد ، وزينب بنت أبى سلمة ، وعائشة وزينب وفاطمة بنات الحرث بن خالد بن صخر

قال ابن إسحق : فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر أقام بها شَهْرَىْ ربيع ، وجُمادَيْنِ ، ورجبا ، وشعبان ، ورمضان وشوالا ، يبعث فيما بين ذلك من غزوه سراياه صلى الله عليه وسلم

عُمْرَةُ الْقَضَاء [في ذي القعده سنة سبع]

وقت خروج النبي الى العمرة

ثم خرج فى ذى القعدة فى الشهر الذى صَدَّهُ فيه المشركون مُعْتَمِراً عُمْرَةَ القضاء مكان عمرته التى صَدُّوه عنها

عامل النبي على المدينة

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عُوَيْفَ بن الأَضْبَط الديلى ، ويقال لها عمرة القصاص ؛ لأنهم صَدُّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ست ، فاقتصّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فدخل مكة فى ذى القعدة فى الشهر الحرام الذى صَدُّوه فيه من سنة سبع ، وبلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله فى ذلك (٢ : ١٩٤) : (والحُرُمَاتُ قِصَاصٌ)

قال ابن إسحق : وخرج معه المسلمون ممن كان صُدَّ معه فى عمرته تلك ، وهى سنة سبع ، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه ، وتَحَدَّثَتْ قريش بينها أن محمدا وأصحابه فى عُسْرَةٍ وجَهْدٍ وشِدَّة

الاضطباع والرمل فى الطواف وسببهما

قال ابن إسحق : فحدثنى من لا أتهم ، عن ابن عباس قال : صَفُّوا له عند دار النَّدْوَة (١) لينظروا إليه وإلى أصحابه ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطبع (٢) بردائه وأخرج عَضُدَهُ اليمنى ثم قال : « رَحِمَ الله امرأً

---

(١) صفوا له : يريد أنهم اصطفوا وجلسوا صفوفا ، ودار الندوة : هى التى كانوا يجتمعون فيها للشورى والرأى

(٢) الاضطباع : أن يدخل بعض ردائه تحت عضده اليمنى ويجعل طرفه على منكبه الأيسر .

أَرَاهُمُ الْيَوْمَ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً » ثم استلم الركن ، وخرج يُهَرْوِلُ (١) ويُهَرْوِلُ أصحابه معه ، حتى إذا واراه البيت منهم واستلم الركن اليمانى مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هَرْوَلَ كذلك ثلاثة أطواف ، ومشى سائرها ، فكان ابن عباس يقول : كان الناس يَظُنُّونَ أنها ليست عليهم ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صنعها لهذا الحى من قريش للذى بَلَغَه عنهم حتى [إذا] حج حَجَّةَ الْوَدَاعِ فلزمها فَمَضَتْ السُّنَّةُ بها

رسول الله يدخل مكة

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فى تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رَوَاحة آخذٌ بخطام ناقته (٢) يقول : —

خَلُّوا بَنِى الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ   خَلُّوا فَكُلُّ الْخَيْرِ فِى رَسُولِهِ (٣)
يَارَبِّ إِنِّى مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ   أَعْرِفُ حَقَّ اللهِ فِى قَبُولِهِ (٤)
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ   كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ   وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ (٥)

قال ابن هشام : « نحن قتلناكم على تأويله » إلى آخر الأبيات لعمار بن

---

(١) الهرولة : فوق المشى ودون الجرى

(٢) خطام الناقة : الحبل الذى تقاد به

(٣) سبيله : طريقه التى انتهجها له الله تعالى

(٤) قيله : القيل ـ بكسر القاف ـ والقول ـ بفتح فسكون ـ والقال ـ بالفتح وقلب الواو ألفا ـ كل ذلك عند جماعة من أهل اللغة بمعنى واحد ، ويقال : القول هو المصدر ، والقيل : الاسم

(٥) الهام : جمع هامة ، والمراد هنا الرأس ، ومقيل الهام : الأعناق ويذهل : يشغل

ياسر فى غير هذا اليوم ، والدليل على ذلك أن ابن رَوَاحة إنما أراد المشركين. والمشركون لم يقروا بالتنزيل و إنما يُقْتَل على التأويل من أقرّ بالتنزيل

رسول الله يتزوج ميمونة بنت الحارث

قال ابن إسحق : وحدثنى أبَان بن صالح وعبد الله بن أبى نجيح ، عن عطاء بن أبى رباح ، ومجاهدُ بن الحجّاجَ عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوّج مَيْمُونَةَ بنت الحرث فى سَفَره ذلك ، وهو حرامٌ وكان الذى زَوَّجَه إياها العباس بن عبد المطلب

قال ابن هشام : وكانت جَعَلَتْ أمرها إلى أختها أمّ الفضل ، وكانت أم الفضل تحت العباس ، فجعلت أم الفضل أمْرَها إلى العباس ، فزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم [بمكة] ، وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم

اقامة النبي بمكة وخروجه منها

قال ابن إسحق: فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا فأتاه حُوَيْطب بن عبد العُزّى بن أبى قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْلٍ فى نفر من قريش فى اليوم الثالث ، وكانت قريش قد وَكّلَتْهُ بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فقالوا له : إنه قد انقضى أجلُكَ فاخرج عنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « وَمَا عَلَيْكُمْ لَو تَرَكْتُمُونِى فَأَعْرَسْتُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَصَنَعْنَا لَكُمْ طَعَاماً فَحَضَرْتُمُوهُ » قالوا : لا حاجة لنا فى طعامك فاخرج عنا ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخَلَّفَ أبا رافعٍ مولاه على مَيْمُونة حتى أتاه بها بِسَرِفَ فَبَنَى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فى ذى الحجة

قال ابن هشام : فأنزل الله عز وجل عليه فيما حدثنى أبو عبيدة ، : (٤٨ : ٢٧) (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ

إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخافُونَ فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قريباً) يعني خيبر

ذكر غزوة مؤتة فى جمادى الأولى سنة ثمان

ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة

قال ابن إسحق : فأقام بها بقية ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون ، والمحرمَ ، وصفراً ، وشهرَىْ ربيع ، وبعَثَ فى جُمادى الأولى بَعْثَه إلى الشأم الذين أصيبوا بمُؤْتَةَ (١)

قال ابن إسحق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُرْوَةَ بن الزبير ، قال : بعَثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بَعْثَهُ إلى مُؤْتَةَ فى جُمَادى الأولى [من] سنة ثمانٍ ، واستعمل عليهم زَيدَ بن حارثة ، وقال : « إنْ أُصِيبَ زَيدٌ فجعفَرُ بنُ أبى طَالِبٍ عَلَى النَّاسِ ، فإنْ أُصِيبَ جعفَرٌ فعبدُ الله ابْنُ رَوَاحَةَ عَلَى الناسِ » فتجهَّزَ النَّاسُ ثم تَهَيَّؤُا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف : فلما حضر خروجُهُمْ وَدَّعَ الناسُ أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وَسَلَّموا عليهم ، فلما وُدِّعَ عبدُ الله بن رَوَاحة مع من وُدِّعَ من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى ، فقالوا : ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال : أما والله مابى حُبُّ الدنيا ولا صَبَابَةٌ بكم ، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله عز وجل يذكر فيها النار :

---

(١) «مؤتة» قال أبوذر : « مؤتة اسم موضع بالشأم ، حكى فيه أبو العباس ثعلب الهمز ، وغيره من اللغويين لا يهمز ، وأما الموتة التى هى ضرب من الجنون فهى غير مهموزة بلا خلاف » اه كلامه

(١٩ : ٧١) : (وَإِنْ مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا)
فلستُ أدرى كيف لى بالصَّدَر بعد الوُرُود ، فقال المسلمون : صَحِبَكم الله ، ودفع عنكم وردَّكم إلينا صالحين ، فقال عبدُ الله بن رَوَاحَة : —

كلمة لعبد الله بن رواحة يتمنى فيها الشهادة

لَكِنَّنِي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً
وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا (١)
أَوْ طَعْنَةً بِيَدَىْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً
بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِدَا (٢)
حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَثِى
أَرْشَدَهُ اللهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدَا (٣)

قال ابن إسحق : ثم إن القوم تهيَّؤُا للخروج ، فأتى عبدُ الله بن رَوَاحة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فوَدَّعه ، ثم قال : —

كلمة لعبد الله بن رواحة فى مدح رسول الله وتوديعه

فَثَبَّتَ اللهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ
تَثْبِيتَ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِى نُصِرَا (٤)

---

(١) ذات فرغ : يريد واسعة ، والزبد : أصله مايعلو الماء إذا غلا ، وأراد هنا مايعلو الدم الذى ينفجر من الطعنة

(٢) مجهزة : سريعة القتل ، تقول : أجهز على الجريح ، إذا أسرع فى قتله ، وتنفذ الأحشاء : تخرقها وتصل إليها

(٣) الجدث ـ بفتح الجيم والدال المهملة ، وآخره ثاء مثلثة ـ هو القبر ، وربما أبدلوا ثاءه فاء

(٤) ثبت الله : قواه وأيده وجعل له الغلبة ، ما آتاك من حسن : يريد به الدين المتين .

إِنِّى تفرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً ... اللهُ يَعْلَمُ أَنِّى ثَابِتُ الْبَصَرِ (١)

أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحْرَمْ نَوَافِلَهُ

وَالْوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أَزْرَى بِهِ الْقَدَرُ (٢)

قال ابن هشام: أنشدنى بعضُ أهل العلم بالشعر هذه الأبيات: —

أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحْرَمْ نَوَافِلَهُ

وَالْوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أَزْرَى بِهِ الْقَدَرُ

فَثَبَّتَ اللهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ

فِى الْمُرْسَلِينَ وَنَصْرًا كَالَّذِى نُصِرُوا

إِنِّى تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً ... فِرَاسَةً خَالَفَتْ فِيكَ الَّذِى نَظَرُوا

يعنى المشركين، وهذه الأبيات فى قصيدة له

قال ابن إسحق: ثم خرج القومُ وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يُشَيِّعُهُم، حتى إذا وَدَّعَهُمْ وانصرف عنهم قال عبدُ الله بن رَوَاحة: —

خَلَفَ السَّلَامُ عَلَى امْرِئٍ وَدَّعْتُهُ

فِى النَّخْلِ خَيْرِ مُشَيَّعٍ وَخَلِيلِ

ثم مَضَوْا حتى نزلوا مُعَان من أرض الشأم، فبلغ الناسَ أن هِرَقْلَ قد نزل مآبَ من أرض الْبَلْقَاء فى مائة ألف من الرُّوم، وانضم إليهم من لَخْمٍ وَجُذَامَ والْيَقَيْنِ وَبَهْرَاءَ وَبَلِىٍّ مائةُ ألفٍ منهم عليهم رجلٌ من بَلِىٍّ ثم

(١) تفرست: تبينت، ونافلة: هبة من الله وعطية منه، والنوافل: الهبات والعطايا.

(٢) أزرى به القدر: قصر به، ويقال: أزريت بفلان، إذا قصرت به

أحد إرَاشَةَ يقال له : مالك بن زافلة ؛ فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على مُعَانَ ليلتين يُفَكِّرُونَ فى أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بِعَدَدِ عَدُوِّنَا ؛ فإما أن يُمِدَّنَا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فَنَمْضِيَ له ، قال : فَشَجَّعَ الناسَ عبدُ الله بن رَوَاحة وقال : ياقوم ، والله إن التى تَكْرَهُونَ لَلَّتِى خرجتم تطلبون ، الشهادة ، وما نقاتل الناسَ بعدَدٍ ولاقُوَّة ولا كَثْرَة ، ولانقاتلهم إلا بهذا الدِّين الذى أكْرَمَنَا الله به فانطلقوا فإنما هى إحدى الْحُسْنَيَيْنِ إما ظُهُور وإما شهادة ، قال : فقال الناس : قَدْ واللهِ صَدَقَ ابنُ رَوَاحَةَ ، فمضى الناس ، فقال عبد الله بن رَوَاحة فى مَحْبِسِهِمْ ذلك : —

قصيدة لعبد الله بن رواحة فى يوم مؤتة

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَجَإٍ وَفَرْعٍ ... تُغَرُّ مِنَ الْحَشِيشِ لَهَا الْعُكُومُ (١)
حَذَوْنَاهَا مِنَ الصَّوَّانِ سِبْتًا ... أَزَلَّ كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ (٢)
أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ عَلَى مُعَانٍ ... فَأُعْقِبَ بَعْدَ فَتْرَتِهَا جُمُومُ (٣)
فَرُحْنَا وَالْجِيَادُ مُسَوَّمَاتٌ ... تَنَفَّسَ فِى مَنَاخِرِهَا السَّمُومُ (٤)

---

(١) أجأ ـ بفتح الهمزة والجيم ، وآخره همزة ـ أحد جبلى طيء ، والآخر سلمى ، وفرع : يروى بالعين المهملة وبالغين المعجمة ، وهو اسم موضع ، وتغر : أى تطعم شيئا بعدشىء ، تقول : غررت الطائر ، إذا أطعمته والعكوم : الجنوب .

(٢) حذوناها : جعلنا لها حذاء ، والحذاء : النعل ، والصوان : حجارة ملس ، واحدتها صوانة ، والسبت ـ بكسر السين ـ النعال التى تصنع من الجلد المدبوغ ، وأزل : أملس ظاهر الصفحة ، والأديم : الجلد

(٣) معان : اسم موضع ، والجموم : استراحة الفرس ، وأراد منه هنا استعداده ونشاطه

(٤) مسومات : مرسلات ، أو معلمات ، والسموم : الريح الحارة

فَلاَ وَأَبِى مَآبَ لَنَأْتِيَنْهَا ... وَإِنْ كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ وَرُومُ[1]

فَعَبَّأْنَا أَعِنَّتَهَا فَجَاءَتْ ... عَوَابِسَ وَالْغُبَارُ لَهَا بَرِيمُ[2]

بِذِى لَجَبٍ كَأَنَّ الْبَيْضَ فِيهِ ... إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُهَا النُّجُومُ[3]

فَرَاضِيَةُ الْمَعِيشَةِ طَلَّقَتْهَا ... أَسِنَّتُهَا فَتَنْكِحُ أَوْ تَئِيمُ[4]

قال ابن هشام : ويروى

* جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ آجَامِ قُرْحٍ *[5]

وقوله « فعبأنا أعنتها » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : ثم مضى الناس ، فحدثنى عبدالله بن أبى بكر ، أنه حُدِّثَ عن زَيْد بن أرقم ؛ قال : كنتُ يتيما لعبد الله بن رَوَاحة فى حِجْرِهِ ، فخرج بى فى سفره ذلك مُرْدِفِى على حَقِيبَةِ رَحْلِهِ[6] فوالله إنه ليَسِيرُ لَيْلَةً إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه : —

---

(١) مآب : اسم موضع ، وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده ، أو مرفوع على الابتداء ،

(٢) البريم : هو فى الأصل خيط تنظمه المرأة ثم تشده على وسطها ، وأراد ههنا الحزام

(٣) بذى لجب : اللجب — بفتح اللام والجيم — كثرة الأصوات واختلاطها ، وذو اللجب : الجيش ، والقوانس : جمع قونس ، وهو أعلى البيضة ، والنجوم : خبر كأن ، وجملة الشرط وجوابه المحذوف معترضة

(٤) تئيم : تبق بغير زوج ، تقول : آمت المرأة ، إذا لم تتزوج

(٥) قرح : اسم موضع أيضاً

(٦) الحقيبة : ما يحمله الراكب وراءه إذا ركب.

إِذَا أَدَّيْتِنِى وَحَمَلْتِ رَحْلِي   مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحِسَاءِ (١)

فَشَأْنُكِ أَنْعُمٌ وَخَلَاكِ ذَمٌّ   وَلَا أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي وَرَائِي (٢)

وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ وَغَادَرُونِي   بِأَرْضِ الشَّامِ مُشْتَهِيَ الثَّوَاءِ (٣)

وَرَدَّكِ كُلُّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ   إِلَى الرَّحْمٰنِ مُنْقَطِعَ الْإِخَاءِ

هُنَالِكَ لَا أُبَالِي طَلْعَ بَعْلٍ   وَلَا نَخْلٍ أَسَافِلُهَا رِوَاءُ (٤)

فلما سمعتهن منه بكيت ، قال : خَفَقَنِى (٥) بالدِّرة وقال : ماعليك يالُكَعُ (٦) أن يرزقنى الله شهادةً وترجع بين شُعْبَتى الرَّحْلِ (٧) ؟ قال : ثم قال عبد الله بن رَوَاحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز : —

---

(١) أصل الحساء جمع حسى ، مثل دلو ودلاء وظبي وظباء ، والحسى : ماء يغور فى الرمل فاذا بحثت عنه وجدته

(٢) ولا أرجع : جزم هذا الفعل على الدعاء ، يدعو على نفسه بأن يستشهد فى هذه الوقعة ولا يرجع إلى أهله

(٣) الثواء ـ بفتح الثاء المثلثة ـ الاقامة ، وتقول : ثوى فى المكان يثوى ـ من باب ضرب ـ إذا أقام

(٤) البعل : الذى يشرب بعروقه من الأرض ، والعذى : الذى يشرب من ماء السماء ، وقوله « أسافلها رواء » أظهر ما فيه أنه مبتدأ وخبر ، ففى هذا البيت الاقواء ، وهو اختلاف حركة الروى

(٥) خفقنى : ضربنى ، والدرة : العصا

(٦) لكع ـ بضم اللام وفتح الكاف ، وهذه صيغة مستعملة فى سب الذكور ، ولا تستعمل إلا فى النداء ـ وهو اللئيم ، وقد وقع ههنا منادى على الأصل

(٧) شعبتا الرحل : طرفاه المقدم والمؤخر

يَا زَيْدُ زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ الذُّبَّلِ
تَطَاوَلَ اللَّيْلُ هُدِيتَ فَانْزِلِ (١)

قال ابن إسحق : فمضى الناسُ حتى إذا كانوا بتُخُومِ الْبَلْقَاء (٢) لقيتهم جموعُ هِرَقْل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مَشَارِف ، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُؤْتَةُ ، فالتقى الناس عندها فتعبَّأَ لهم المسلمون ؛ فجعلوا على مَيْمَنَتِهم رجلاً من بنى عُذْرة يقال له : قُطْبة ابن قتادة وعلى مَيْسَرَتِهم رجلا من الأنصار يقال له : عَبَايَةُ بن مالك (قال ابن هشام : ويقال : عُبَادَةُ بن مالك) قال ابن إسحق : ثم التقى الناس ، واقتتلوا ، فقاتل زيدُ بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شَاطَ فى رِمَاحَ القوم (٣) ، ثم أخذها جعفرٌ فقاتل بها حتى إذا ألْحَمَهُ القتال اقْتَحَمَ عن (٤) فرس له شَقْرَاء ، فعقَرَهَا ، ثم قاتل القوم حتى قُتِلَ ؛ فكان جعفرٌ أولَ رجل من المسلمين عَقَرَ فى الاسلام

لقاء القوم والروم

وحدثنى يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير، عن أبيه عَبَّاد، قال : حدثنى أبى الذى أرضعنى ، وكان أحدَ بنى مُرَّة بن عَوْف فكان فى تلك الغزوة غزوة مؤتة ، قال: والله لكأنى أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول :

(١) اليعملات : جمع يعملة ، وهى الناقة السريعة . والذبل : التى أضعفها السير فقل لحمها

(٢) التخوم : حدود الأرضين التى تقع بين أرض وأرض ، ويقال بفتح التاء أو ضمها

(٣) شاط فى رماح القوم : أى هلك ، تقول : شاط الرجل ؛ إذا سال دمه فهلك

(٤) اقتحم عن فرس له : أى رمى بنفسه عنها ، يريد أنه كان فارسا فترجل

يَاحَبَّذَا الْجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا   طَيِّبَةً وَبَارِدًا شَرَابُهَا

وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا   كَافِرَةً بَعِيدَةً أَنْسَابُهَا

عَلَيَّ إِذْ لاَقَيْتُهَا ضِرَابُهَا

جعفر يحمل اللوا

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به من أهل العلم أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللِّوَاء بيمينه فَقُطِعَتْ ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحْتَضَنَهُ بِعَضُدَيْهِ (١) حتى قُتِلَ رضي الله عنه وَهُو ابنُ ثلاثٍ وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جَنَاحَين في الجنة يطير بهما حيث شاء ، ويقال : إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربةً فقَطَعَهُ (٢) نصفين

ابن رواحة يحمل اللواء

قال ابن إسحق : وحدثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : حدثني أبي الذي أرضعني — وكان أحد بني مُرَّة ابن عوف — قال : فلما قُتِلَ جعفر أخذ عبدُالله بن رَوَاحَة الراية ، ثم تقدم بها — وهو على فرسه — فجعل يستنزل نفسه ويتردَّدُ بعض التردد ، ثم قال : —

أَقْسَمْتُ يَانَفْسُ لَتَنْزِلِنَّهْ   لَتَنْزِلِنَّ أَوْ لَتُكْرَهِنَّهْ

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرَّنَّهْ

مَالِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الْجَنَّهْ (٣)

---

(١) احتضنه : أخذه في حضنه ، وحضن الرجل : ماتحت العضد إلى أسفل

(٢) فقطعه : يروى في مكانه فقطه — بتشديد الطاء — وقطه وقطعه بمعنى

(٣) أجلب الناس : صاحوا واجتمعوا ، والرنة : صوت فيه ترجيع يشبه البكاء

قَدْ طَالَمَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ هَلْ أَنْتِ إلاَّ نُطْفَةٌ فِى شَنَّهْ (١)

وقال أيضا : —

يَانَفْسُ إلاَّ تُقْتَلِى تَمُوتِى هٰذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلِيتِ
وَمَا تَمَنَّيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتِ إنْ تَفْعَلِى فِعْلَهُمَا هُدِيتِ

يريد صاحبيه زيدا وجعفرا ، ثم نزل ، فلما نزل أتاه ابن عم له بِعَرْقٍ (٢) من لحم ، فقال : شدَّ بهذا صُلْبَكَ ، فانك قد لقيتَ [فى] أيامك هذه مالقيت ، فأخذه من يده ، ثم انتَهَسَ (٣) منه نَهْسَةً ثم سمع الحَطْمَةَ (٤) فى ناحية الناس ، فقال : وأنتِ فى الدنيا ، ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حَتَّى قُتِل

ثم أخذ الراية ثَابتُ بن أرْقَم أخو بنى العَجْلاَن ، فقال : يامعشر المسلمين ، اصْطَلِحُوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال : ماأنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القومَ وَحاشى (٥) بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس . ثابت ابن أرقم يحمل اللواء

قال ابن إسحق : ولما أصيب القومُ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — : « أخَذَ الرايةَ زيدُ بن حارثة فقاتل بها حتى قُتِل شهيدا ، ثم أخذَها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا » قال : ثم صَمَتَ رسولُ الله صلى

(١) النطفة : الماء القليل الصافى ، والشنة : القربة القديمة
(٢) العرق : العظم الذى عليه بعض اللحم
(٣) انتهس : أخذ منه بفمه يسيراً
(٤) الحطمة : الكسرة
(٥) قيل : هو بالحاء المهملة من المحاشاة ، وقيل : هو بالخاء المعجمة ، وأصله الخشية ، أى أن فعله معهم كان فعل من يخشى

الله عليـه وسلم حتى تَغَيَّرَتْ وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان فى عبد الله ابن رواحة بعضُ ما يكرهون ، ثم قال : « ثُمَّ أخذها عبدُ الله بن رَوَاحَةَ فقاتل بها حتى قُتِلَ شهيداً » ثم قال : « لَقَدْ رُفِعُوا إلىَّ فى الجنة فيما يَرَى النائمُ عَلَى سُرُرٍ من ذهبٍ ، فرأيتُ فى سرير عبدالله بن رَوَاحة ازْوِرَاراً[1] عن سَرِيرَىْ صَاحِبيْهِ فقلت : عَمَّ هٰذَا ؟ فقيل لى : مَضَيَا وَتَرَدَّدَ عبدُ الله بعضَ التردد ، ثم مضى »

رسول الله يخبر أهل المدينة بمصاب القوم

قال ابن إسحق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن أم عيسى الْخُزاعيةِ ، عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبى طالب ، عن جدتها أسماء ابنةِ عُمَيْسٍ ، قالت : لما أصيب جعفر وأصحابه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دَبَغْتُ أربعين[2] مَنًّا (قال ابن هشام : ويروى « أربعين منيئةً ») قالت : وعجنتُ عجينى وغَسَّلْتُ بَنِىَّ ودَهَنْتُهُمْ وَنَظَّفْتُهُمْ ، قالت : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ائْتِنِى بِبَنِى جَعْفَرٍ » قالت : فأتيته بهم ، فَتَشَمَّمَهُمْ وَذَرَفَتْ عيناه ، فقلت : يارسول الله ، بأبى أنت وأمى مايُبْكِيكَ أَبَلَغَكَ عن جعفر وأصحابه شىء ؟ قال « أُصِيبُوا هٰذَا الْيَوْمَ » قالت : فقمتُ أصيحُ ، واجتمع إلىَّ النساء ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىّ ، فقال : « لاتُغْفِلُوا آلَ جَعْفَرٍ مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا لَهُمْ طَعَامًا فَإِنَّهُمْ قَدْ شُغِلُوا بِأَمْرِ صَاحِبِهِمْ »

وحدثنى عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، عن أبيه ، عن عائشة زوج

---

(١) الازورار : الميل ، والاعوجاج

(٢) المنا : هو مقصور كعصا ، ومهموز ، وهو مقدار يوزن به ، والمنيئة هى الجلد ما دام فى الدباغ

النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما أَتَى نَعِيُّ جعفر [1] عَرَفْنا فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الْحُزْنَ قالت : فدخل عليه رجل فقال : يارسول الله ، إن النساء عَنَّيْنَنَا وَفَتَنَّنَا ، قال: « فَارْجِعْ إِلَيْهِنَّ فَأَسْكِتْهُنَّ » قالت : فذهب ثم رجع فقال له مثل ذلك ، قال : تقول : وَرُبَّمَا ضَرَّ التكلُّفُ أَهْلَه ، قالت : قال « فَاذْهَبْ فَأَسْكِتْهُنَّ فَإِنْ أَبَيْنَ فَاحْثُ فِى أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ » قالت: وقلت فى نفسى : أَبْعَدَكَ الله ، والله ما تَرَكْتَ نفسك وما أنت بِمُطِيعٍ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : وعرفت أنه لا يقدر على أن يَحْثِىَ فى أفواههن التراب

قال ابن إسحق : وقد كان قُطْبَة بن قَتَادة العُذْرِىُّ الذى كان على ميمنة المسلمين قد حمل على مالك بن زافلة فقتله ، فقال قُطْبَة بن قَتَادة : —

طَعَنْتُ ابْنَ زَافِلَةَ بْنَ الْإِرَاشِ   بِرُمْحٍ مَضَى فِيهِ ثُمَّ انْحَطَمْ [2]
ضَرَبْتُ عَلَى جِيدِهِ ضَرْبَةً   فَمَالَ كَمَا مَالَ غُصْنُ السَّلَمْ [3]
وَسُقْنَا نِسَاءَ بَنِى عَمِّهِ   غَدَاةَ رَقُوقَيْنِ سَوْقَ النَّعَمْ [4]

قال ابن هشام : قوله « ابن الاراش » عن غير ابن إسحق ، والبيت الثالث عن خَلَّاد بن قُرَّة ، ويقال : مالك بن رافلة [عن غير ابن إسحق]

---

(١) النعى - بفتح فسكون - خبر الميت ، والنعى - بفتح فكسر وتشديد الياء - الذى يخبر بالموت ، فعيل بمعنى فاعل

(٢) انحطم : انكسر

(٣) الجيد : العنق ، والسلم - بفتح السين واللام - ضرب من الشجر ، واحدته سلمة

(٤) رقوقين : هو اسم موضع ، يروى بقافين وبقاف فقاء بعد الواو

كاهنة فى حدس تنذر قومها جيش رسول الله

قال ابن إسحق : وقد كانت كاهنة من حَدَس [1] — حين سمعت بجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا — قد قالَتْ لقومها من حَدَس وَقَوْمُهَا بطنٌ يقال لهم بنو غَنْم : أُنْذِرُكُمْ قوماً خُزْرًا [2] ، ينظرون شَزْرًا [3] ويقودون الخيلَ تَتْرًا [4] ، وَيُهَرِيقُونَ دَمًا عَكِرًا [5] ، فأخذوا بقولها واعتزلوا من بين لَخْم ، فلم تزل بَعْدُ أثرى حَدَس [6]

وكان الذين صَلَوا الحربَ يومئذٍ بنو ثعلبة بَطْنٌ من حَدَس ، فلم يزالوا قليلاً بعد ، فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلا

عودة الجيش الى المدينة

قال ابن إسحق : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، : عن عروة بن الزبير ، قال : فلما دَنَوا من حول المدينة تَلَقَّاهُمْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، قال : ولقيهم الصبيانُ يَشْتَدُّونَ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مقبلٌ مع القومِ على دابة ، فقال : « خُذُوا الصِّبْيَانَ فَاحْمِلُوهُمْ وَأَعْطُونِى ابْنَ جَعْفَرٍ » فأتى بعبد الله ، فأخذه فحمله بين يديه ، قال : وجعل الناس يَحْثُونَ على الجيش الترابَ ويقولون : يَافُرَّارُ فَرَرْتُمْ فى سبيل الله !! قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيْسُوا بِالْفُرَّارِ وَلَكِنَّهُمُ الْكُرَّارُ إِنْ شَاءَ اللهُ [تعالى] »

---

(١) حدس : قبيلة من لخم ، ولخم : من اليمن

(٢) خزرا : جمع أخزر ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه نظر المتكبر

(٣) شزرا : هو نظر العداوة

(٤) تترى : يروى بتاءين ، ومعناه تابعا كما فى قوله تعالى : (ثم أرسلنا رسلنا تترى) ويروى تترابنون فتاء - وهو مصدر قولك : نترت الشىء ،

(٥) العكر : المتعكر ، تريد المختلط

(٦) يريد أنها كانت بعد ذلك أكثر قومها مالا وأعظمهم ثروة

قال ابن إسحق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عامر بن عبد الله ابن الزبير ، عن بعض آل الحرث بن هشام — وهم أخواله — عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام ابن العاص بن المغيرة : مالي لا أرى سلمة يَحْضُر الصلاةَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين ؟ قالت : والله ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناسُ يافُرّارُ فَرَرْتُم في سبيل الله ، حتى قعد في بيته فما يخرج

قال ابن إسحق : وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومُحَاشاته بالناس وانصرافه بهم قَيْسُ بن المُسَحَّر اليَعْمُرِيُّ يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس : —

كلمة لقيس بن المسحر يوم مؤتة

فَوَاللهِ لَاتنفَكُّ نَفْسِي تَلُومُنِي
عَلَى مَوْقِفِي وَالْخَيْلُ قَابِعَةٌ قُبْلُ (١)
وَقَفْتُ بِهَا لَامُسْتَحِيزًا فَنَافِذًا
وَلَا مَانِعًا مَنْ كَانَ حُمَّ لَهُ الْقَتْلُ (٢)

---

(١) قابعة : تروى هذه الكلمة على عدة أوجه : الأول : قابعة ـ بالباء وأوله قاف ـ ومعناها منقبضة في مكانها ، والوجه الثاني : نائعة ـ بالنون في أوله وبعد الألف همزة ـ ومعناها رافعة رءوسها ، والوجه الثالث : قائعة ـ بالقاف وبعد الألف همزة ـ ومعناها واثبة ، تقول : قاع الفحل على الناقة ، إذا وثب عليها ، والقبل ـ بضم القاف وسكون الباء ـ جمع أقبل ، وهو الذي تميل عينه عند النظر إلى جهة العين الأخرى ، وربما فعلت الخيل ذلك حدة ونشاطا ، وأنثى الأقبل قبلاء ، وجمعها قبل أيضا

(٢) مستحيزا : يروى بالحاء المهملة وآخره زاى ، وتقول : تحيز وانحاز واستحاز ، إذا كان في ناحية ، ويروى مستجيرا ـ بالجيم وآخره راء مهملة وقوله « حم » هو بالبناء للمجهول : أي قدر

عَلَى أَنَّنِي آسَيْتُ نَفْسِي بِخَالِدٍ
أَلَا خَالِدٌ فِي الْقَوْمِ لَيْسَ لَهُ مِثْلُ (١)

وَجَاشَتْ إِلَيَّ النَّفْسُ مِنْ نَحْوِ جَعْفَرٍ
بِمُؤْتَةَ إِذْ لَا يَنْفَعُ النَّابِلَ النَّبْلُ (٢)

وَضَمَّ إِلَيْنَا حَجْزَتَيْهِمْ كِلَيْهِمَا
مُهَاجِرَةٌ لَا مُشْرِكُونَ وَلَا عُزْلُ (٣)

فبيَّنَ قَيسٌ مااختلف فيه الناس من ذلك فى شعره أن القوم حاجزوا وكَرِهوا الموت وحقَّق انحياز خالد بمن معه

قال ابن هشام: فأما الزهرى فقال — فيما بلغنا عنه —: أمَّر المسلمون عليهم خالد بن الوليد، ففتح الله عليهم، وكان عليهم حتى قفل إلى النبى صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق: وكان مما بُكِى به أصحابُ مؤته من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قولُ حسان بن ثابت: —

كلمة لحسان فى رثاء شهداء مؤتة

تَأَوَّبَنِي لَيْلٌ بِيَثْرِبَ أَعْسَرُ وَهَمٌّ إِذَا مَا نَوَّمَ النَّاسُ مُسْهِرُ (٤)

---

(١) آسيت نفسى بخالد: أى اقتديت به فيما صنع، من الأسوة، وهى القدوة، وألا: استفتاح

(٢) جاشت: رجعت أو ارتفعت، والنابل: صاحب النبل

(٣) حجزتيهم: ناحيتيهم، والعزل: جمع أعزل، وهو الذى لا سلاح معه

(٤) تأوبنى: عادنى ورجع إلى، وأصله آب يؤوب: أى رجع، وأعسر: شديد العسر، ومسهر: داع إلى السهر، ومانع من النوم

لِذِكْرَى حَبِيبٍ هَيَّجَتْ لِيَ عَبْرَةً
سَفُوحاً وَأَسْبَابُ الْبُكَاءِ التَّذَكُّرُ (١)
بَلَى إِنَّ فِقْدَانَ الْحَبِيبِ بَلِيَّةٌ
وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يُبْتَلَى ثُمَّ يَصْبِرُ
رَأَيْتُ خِيَارَ الْمُؤْمِنِينَ تَوَارَدُوا   شَعُوبَ وَخَلْفًا بَعْدَهُمْ يَتَأَخَّرُ (٢)
فَلَا يُبْعِدَنَّ اللهُ قَتْلَى تَتَابَعُوا   بِمُؤْتَةَ مِنْهُمْ ذُو الْجَنَاحَيْنِ جَعْفَرُ
وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللهِ حِينَ تَتَابَعُوا   جَمِيعًا وَأَسْبَابُ الْمَنِيَّةِ تَخْطِرُ (٣)
غَدَاةَ مَضَوْا بِالْمُؤْمِنِينَ يَقُودُهُمْ
إِلَى الْمَوْتِ مَيْمُونُ النَّقِيبَةِ أَزْهَرُ (٤)
أَغَرُّ كَضَوْءِ الْبَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ   أَبِيٌّ إِذَا سِيمَ الظُّلَامَةَ مِجْسَرُ (٥)
فَطَاعَنَ حَتَّى مَالَ غَيْرَ مُوَسَّدٍ   بِمُعْتَرَكٍ فِيهِ قَنًا مُتَكَسِّرُ (٦)

---

(١) العبرة : الدمعة ، والسفوح : السائلة أو شديدة السيلان

(٢) شعوب : تروى هذه الكلمة بضم الشين فهى جمع شعب ، وهو القبيلة ، ويقال : هو أكبر منها ، ويجب حينئذ نصبها منونة ، وتروى بفتح الشين فهى المنية ، فعول بمعنى فاعل ، سميت بذلك لأنها تشعب الأحباب : أى تفرقهم ، ويجوز حينئذ نصبها من غير تنوين للعلمية والتأنيث ، وخلفا : تروى بالفاء ، ومعناه الذى يأتى بعدهم ، وتروى بالقاف ، وهو ظاهر المعنى

(٣) « تخطر » تقول : خطر فلان فى مشيته ، إذا اختال فيها وتبختر وتحرك واهتز .

(٤) ميمون النقيبة : يريد أنه مسعود منجح فيما يطلبه ، وأزهر : أى أبيض

(٥) الأبى : العزيز الذى يأبى الضيم : أى يمتنع من قبوله ، وسيم : كلف ، والمجسر : الشديد الجسارة

(٦) المعترك : موضع الحرب

فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشْهِدِينَ ثَوَابُهُ
جِنَانٌ وَمُلْتَفُّ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ (١)
وَكُنَّا نَرَى فِي جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ وَفَاءً وَأَمْرًا حَازِمًا حِينَ يَأْمُرُ
وَمَازَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
دَعَائِمُ عِزٍّ لَايَزُلْنَ وَمَفْخَرُ
هُمُ جَبَلُ الْإِسْلَامِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُمْ
رِضَامٌ إِلَى طَوْدٍ يَرُوقُ وَيَبْهَرُ (٢)
بَهَالِيلُ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وَابْنُ أُمِّهِ عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ (٣)
وَحَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمُ عَقِيلٌ وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يُعْصَرُ
بِهِمْ تُفْرَجُ اللَّأْوَاءُ فِي كُلِّ مَأْزِقٍ
عَمَاسٍ إِذَا مَاضَاقَ بِالنَّاسِ مَصْدَرُ (٤)
هُمُ أَوْلِيَاءُ اللهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ عَلَيْهِمْ وَفِيهِمْ ذَا الْكِتَابُ الْمُطَهَّرُ

وقالَ كعبُ بن مالك : —

---

(١) الحدائق : جمع حديقة ، وهى الجنة

(٢) الرضام : جمع رضم ، وهو الحجارة يجعل بعضها فوق بعض ، والطود : الجبل ، ويروق : يعجب

(٣) البهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد

(٤) اللأواء : الشدة ، والمأزق : المكان الضيق ، والعماس : المظلم ، يريد عند ارتفاع الغبار فيه

قصيدة لكعب ابن مالك فى شهداء مؤتة

نَامَ الْعُيُونُ وَدَمْعُ عَيْنِكَ يَهْمُلُ
سَحًّا كَمَا وَكَفَ الطِّبَابُ الْمُخْضِلُ (١)
فِي لَيْلَةٍ وَرَدَتْ عَلَيَّ هُمُومُهَا طَوْرًا أَحِنُّ وَتَارَةً أَتَمَلْمَلُ
وَاعْتَادَنِي حُزْنٌ فَبِتُّ كَأَنَّنِي بِبَنَاتِ نَعْشٍ وَالسِّمَاكِ مُوَكَّلُ (٢)
وَكَأَنَّمَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَا مِمَّا تَأَوَّبَنِي شِهَابٌ مُدْخَلُ (٣)
وَجْداً عَلَى النَّفَرِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا يَوْمًا بِمُؤْتَةَ أُسْنِدُوا لَمْ يُنْقَلُوا
صَلَّى الْإِلَهُ عَلَيْهِمُ مِنْ فِتْيَةٍ وَسَقَى عِظَامَهُمُ الْغَمَامُ الْمُسْبِلُ (٤)
صَبَرُوا بِمُؤْتَةَ لِلْإِلَهِ نُفُوسَهُمْ
حَذَرَ الرَّدَى وَمَخَافَةً أَنْ يَنْكُلُوا (٥)
فَمَضَوْا أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ كَأَنَّهُمْ فُنُقٌ عَلَيْهِنَّ الْحَدِيدُ الْمُرْفَلُ (٦)

---

(١) يهمل : يسيل ؛ تقول : همل الدمع ، إذا سال ، وسحا : صبا ، ووكف : قطر ، والطباب : ثقب فى خرز المزادة التى يجعل فيها الماء ، والمخضل : اسم فاعل من أخضل ؛ إذا ندى

(٢) أحن : تروى هذه الكلمة بالحاء المهملة وبالخاء المعجمة ؛ فأما من رواه بالحاء المهملة فهو مضارع من الحنين ؛ وأما من رواه بالخاء المعجمة فهو مضارع من الخنة وهى صوت يخرج من الأنف مع بكاء ، وأتململ : أتقلب

(٣) الجوانح : عظام أسفل الصدر ، والشهاب : القطعة من النار ، ومدخل : اسم مفعول من أدخل

(٤) المسبل : الممطر ، ويقال للمطر : سبل

(٥) ينكلوا : يرجعوا عن عدوهم هائبين له

(٦) فنق : جمع فنيق ، وهو الفحل من الابل ، والمرفل : الذى تجر أطرافه على الأرض

إذْ يَهْتَدُونَ بِجَعْفَرٍ وَلِوَائِهِ قُدَّامَ أَوَّلِهِمْ فَنِعْمَ الْأَوَّلُ

حَتَّى تَفَرَّجَتِ الصُّفُوفُ وَجَعْفَرٌ
حَيْثُ الْتَقَى وَعْثُ الصُّفُوفِ مُجَدَّلُ (١)

فَتَغَيَّرَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ لِفَقْدِهِ
وَالشَّمْسُ قَدْ كُسِفَتْ وَكَادَتْ تَأْفِلُ (٢)

قَرْمٌ عَلَا بُنْيَانُهُ مِنْ هَاشِمٍ فَرْعًا أَشَمَّ وَسُودَدًا مَا يُنْقَلُ (٣)

قَوْمٌ بِهِمْ عَصَمَ الْإِلَهُ عِبَادَهُ وَعَلَيْهِمُ نَزَلَ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ

فَضَلُوا الْمَعَاشِرَ عِزَّةً وَتَكَرُّمًا
وَتَغَمَّدَتْ أَحْلَامُهُمْ مَنْ يَجْهَلُ (٤)

لَا يُطْلِقُونَ إِلَى السَّفَاهِ حُبَاهُمُ وَتَرَى خَطِيبَهُمُ بِحَقٍّ يَفْصِلُ (٥)

بِيضُ الْوُجُوهِ تَرَى بُطُونَ أَكُفِّهِمْ
تَنْدَى إِذَا اعْتَذَرَ الزَّمَانُ الْمُمْحِلُ (٦)

---

(١) الوعث : الرمل الذى تغيب فيه الأرجل ، ومجدل : مطروح على الجدالة وهى الأرض

(٢) تأفل : تغيب

(٣) القرم : أصله الفحل من الابل ، وأراد منه ههنا السيد ، وقوله ما ينقل : يروى بالقاف ، ومعناه ظاهر ، ويروى بالفاء ومعناه لايحجر

(٤) تغمدت أحلامهم من يجهل : أى سترت أهل الجهل

(٥) الحبى : بضم الحاء ، مقصورا : جمع حبوة ، مثل خطوة وخطى ، والحبوة : أن يشبك المرء أصابع يديه بعضها فى بعض ويجعلها فى ركبتيه إذا جلس ، وربما احتبى الناس بحمائل السيف ونحوها

(٦) الممحل : هو من المحل ، وهو الشدة والقحط وكلب الزمان والجدب

وَبِهَدْيِهِمْ رَضِىَ الإلٰهُ لِخَلْقِهِ ۞ وَبِجَدِّهِمْ نُصِرَ النَّبِىُّ الْمُرْسَلُ (١)

وقال حسان بن ثابت يبكى جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه : —

قصيدة لحسان يرثى فيها جعفرا

وَلَقَدْ بَكَيْتُ وَعَزَّ مَهْلِكُ جَعْفَرٍ ۞ حِبِّ النَّبِىِّ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا

وَلَقَدْ جَزِعْتُ وَقُلْتُ حِينَ نُعِيتَ لِى ۞ مَنْ لِلْجِلَادِ لَدَى الْعُقَابِ وَظِلِّهَا (٢)

بِالْبِيضِ حِينَ تُسَلُّ مِنْ أَغْمَادِهَا ۞ ضَرْبًا وَإِنْهَالِ الرِّمَاحِ وَعَلِّهَا (٣)

بَعْدَ ابْنِ فَاطِمَةَ الْمُبَارَكِ جَعْفَرٍ ۞ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا وَأَجَلِّهَا (٤)

رُزْءًا وَأَكْرَمِهَا جَمِيعًا مَحْتِدًا ۞ وَأَعَزِّهَا مُتَظَلَّمًا وَأَذَلِّهَا

لِلْحَقِّ حِينَ يَنُوبُ غَيْرَ تَنَحُّلٍ ۞ كَذِبًا وَأَنْدَاهَا يَدًا وَأَقَلِّهَا (٥)

فُحْشًا وَأَكْثَرِهَا إِذَا مَا يُجْتَدَى ۞ فَضْلًا وَأَنْدَاهَا يَدًا وَأَبَلِّهَا (٦)

بِالْعُرْفِ غَيْرَ مُحَمَّدٍ لَا مِثْلُهُ ۞ حَىٌّ مِنَ أَحْيَاءِ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا

---

(١) بجدهم : يروى بالحاء المهملة وبالجيم مكسورة ، فأما من رواه بالمهملة فقد أراد به إقدامهم وشجاعتهم وجرأتهم فى أوقات النزال ، وأما من رواه بالجيم المكسورة فهو الاجتهاد

(٢) العقاب فى هذا المكان : الراية

(٣) الانهال : أن تسقى الناس بعد الشراب الأول ، وهو معطوف على قوله الجلاد فى البيت السابق ، والعل : الشرب الثانى

(٤) فاطمة هنا : هى أم جعفر وعلى ابنى أبى طالب رضى الله عنهما ، وهى فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وهى أول هاشمية ولدت لهاشمى

(٥) التنحل : الانتحال ، والتنحل : الكذب أيضا

(٦) يجتدى : تطلب جدواه ، والجدوى - بفتح الجيم - المنحة والعطية

وقال حسان بن ثابت فى يوم مؤتة يبكى زيد بن حارثة وعبد الله بن رَوَاحة : —

حسان بن ثابت يرثى عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة

عَيْنُ جُودِى بِدَمْعِكِ الْمَنْزُورِ
وَاذْكُرِى فِى الرَّخَاءِ أَهْلَ الْقُبُورِ (١)

وَاذْكُرِى مُؤْتَةً وَمَا كَانَ فِيهَا يَوْمَ رَاحُوا فِى وَقْعَةِ التَّغْوِيرِ (٢)

حِينَ رَاحُوا وَغَادَرُوا ثَمَّ زَيْداً
نِعْمَ مَأْوَى الضَّرِيكِ وَالْمَأْسُورِ (٣)

حِبَّ خَيْرِ الْأَنَامِ طُرًّا جَمِيعاً سَيِّدِ النَّاسِ حُبُّهُ فِى الصُّدُورِ

ذَاكُمُ أَحْمَدُ الَّذِى لَا سِوَاهُ ذَاكَ حُزْنِى لَهُ مَعًا وَسُرُورِى

إِنَّ زَيْداً قَدْ كَانَ مِنَّا بِأَمْرٍ لَيْسَ أَمْرَ الْمُكَذَّبِ الْمَغْرُورِ

ثُمَّ جُودِى لِلْخَزْرَجِيِّ بِدَمْعٍ سَيِّداً كَانَ ثَمَّ غَيْرَ نَزُورِ (٤)

قَدْ أَتَانَا مِنْ قَتْلِهِمْ مَا كَفَانَا فَبِحُزْنٍ نَبِيتُ غَيْرِ سُرُورِ

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من غزوة مؤتة : —

كَفَى حَزَنًا أَنِّى رَجَعْتُ وَجَعْفَرٌ وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللهِ فِى رَمْسِ أَقْبُرِ

قَضَوْا نَحْبَهُمْ لَمَّا مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ وَخُلِّفْتُ لِلْبَلْوَى مَعَ الْمُتَغَبِّرِ (٥)

---

(١) المنزور : القليل ، وذلك لأنه بكى حتى فرغ دمعه

(٢) التغوير : الاسراع ، يريد الانهزام

(٣) الضريك : الفقير

(٤) أراد بالخزرجى عبدالله بن رواحة ، والنزور : القليل العطاء

(٥) قضوا نحبهم : يريد ماتوا ، وأصل النحب النذر ، وقال الله تعالى :

[ثَلَاثَةُ رَهْطٍ قَدَّمُوا فَتَقَدَّمُوا
إِلَى وِرْدِ مَكْرُوهٍ مِنَ الْمَوْتِ أَحْمَرِ]

وهذه تسمية من استشهد يوم مُؤْته

من قريش ، ثم من بنى هاشم : جَعْفَرُ بن أبي طالب رضى الله عنه وزيد بن حارثة رضى الله عنه أسماء شهداء يوم مؤتة

ومن بنى عدى بن كعب : مَسْعُودُ بن الأسود بن حارثة بن نَضْلَة

ومن بنى مالك بن حِسْلٍ : وَهْبُ بن سعد بن أبي سَرْح

ومن الأنصار ، ثم من بنى الحرث بن الخزرج : عَبْدُ الله بن رَوَاحَةَ ، وَعَبَّاد بن قيس

ومن بنى غَنْم بن مالك بن النجار : الحرثُ بن النعمان بن إساف بن نَضلة بن عبد بن عوف بن غنم

ومن بنى مازن بن النجار : سُرَاقَةُ بن عَمْرو بن عَطِيَّةَ بن خَنْسَاء

قال ابن هشام : وممن استشهد يوم مؤتة — فيما ذكر ابن شهاب — من بنى مازن بن النجار : أبو كُلَيْبٍ وَجَابِرٌ ابنا عَمْرو بن زيد بن عوف بن مبذول ، وهما لأب وأم

ومن بنى مالك بن أَفْصَى : عمرو وعامر ابنا سعد بن الحرث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى

قال ابن هشام : ويقال : أبو كلاب وجابر ابنا عمرو

(فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) والمتغبر : الباقى ، ويروى فى مكانه «المتعذر» وهو واضح المعنى

قد تم — بحمد الله تعالى ومعونته وحسن توفيقه — طبع الجزء الثالث من كتاب «سيرة النبي صلى الله عليه وسلم» لأبي محمد عبد الملك بن هشام ، ويتلوه — إن شاء الله تعالى — الجزء الرابع ، ومفتتحه « ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكة ، وذكر فتح مكة » نسأل الله أن يوفق ويعين على إكماله ، إنه سبحانه وليّ ذلك ؛ هو المعين وعليه التكلان .

فهرست الموضوعات

الواردة فى الجزء الثالث من كتاب



لأبى محمد عبد الملك بن هشام

مكتبة
دار التراث
٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة



لأبي محمد عبد الملك بن هشام

راجع أصولها ، وضبط غريبها ، وعلق حواشيها ، ووضع فهارسها



الجزء الرابع

مكتبة
دار التراث
٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكة ، وذكر فتح مكة

فى [شهر] رمضان سنة ثمان

قال ابن إسحق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بعثه إلى مُؤْتَةَ جُمَادَى الآخرة وَرَجَبًا

الحرب بين بنى بكر وخزاعة

ثم إن بنى بكر بن عبد مَنَاةَ بن كنانة عَدَتْ على خُزَاعَة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الْوَتِيرُ ، وكان الذى هاج ما بين بنى بكر وخزاعة أن رجلا من بنى الْحَضْرَمِىّ ، واسمه مالك بن عَبَّاد ، وَحِلْفُ الْحَضْرَمِىّ يومئذ إلى الأسود بن رَزْنٍ[١] ، خرجَ تاجراً ، فلمّا توسط أرض خُزَاعَةَ عَدَوْا عليه ، فقتلوه ، وأخذوا ماله ؛ فَعَدَتْ بنو بكر على رجل من خُزَاعة فَقَتَلُوهُ ، فعدت خُزَاعة قبيل الإسلام على بنى الأسود بن رَزْنٍ[١] الديلى وهم مَنْخَرُ[٢] بنى كنانة وأشرافهم — سَلْمَى وَكُلْثُوم وَذُؤَيْب — فقتلوهم بِعَرَفَةَ عند أنصاب الحرم[٣]

---

(١) « رزن » قال أبو ذر : « يروى هنا بكسر الراء وفتحها وباسكان الزاى وفتحها ، وقيده الدارقطنى بفتح الراء وإسكان الزاى لا غير » اه كلامه

(٢) منخر بنى كنانة : يعنى المتقدمين منهم ؛ لأن الأنف هو المقدم من الوجه

(٣) أنصاب الحرم : أراد بها الحجارة المنصوبة التى وضعت لتكون علامات وحدودا بين الحل والحرم

قال ابن إسحق : وحدثنى رجل من بنى الديل قال : كان بنو الأسود بن رَزْنٍ يُودَوْنَ فى الجاهلية دِيَتَيْنِ دِيَتَيْنِ وَنُودَى ديةً ديةً لفضلهم فينا

قال ابن إسحق : فبينا بنو بكر وخُزَاعَةُ على ذلك حَجَزَ بينهم الاسلام وتشاغل الناس به ، فلما كان صلحُ الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش كان فيما شرطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط لهم — كما حدثنى الزهرىُّ ، عن عُرْوَةَ بن الزبير ، عن الْمِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ ومروان ابن الحكم وغيرهم من علمائنا — أنه من أحبَّ أن يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه ، فدخلت بنو بكر فى عقد قريش [وعهدهم] ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم [وعهده]

قال ابن إسحق : فلما كانت الْهُدْنَةُ اغتنمها بنو الديل من بنى بكر من خزاعة وأرادوا أن يُصِيبُوا منهم ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببنى الأسود بن رَزْن ؛ فخرج نَوْفَلُ بن معاوية الديلى فى بنى الديل ، وهو يومئذ قائدهم ، وليس كل بنى بكر تابعه ، حتى بَيَّتَ خُزَاعَةَ وهم على الْوَتِيرِ ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلا ، وتحاوزوا ، واقتتلوا ، وَرَفَدَتْ بنى بكر قريشٌ بالسلاح ، وقاتل معهم من قريشٍ مَنْ قاتل بالليل مُسْتَخْفِيًا حتى حَازُوا خُزَاعَةَ إلى الحرم ، فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر : يا نوفل ، إنا قد دخلنا الحرم إِلٰهَكَ إِلٰهَكَ ، فقال : كلمة عظيمة لا إله له اليوم ، يا بنى بكر ، أصيبُوا ثأركم فلعمرى إنكم لَتَسْرِقُونَ فى الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟ ! ! وقد أصابوا منهم ليلةَ بَيَّتُوهم بِالْوَتِيرِ رجلاً يقال له مُنَبِّه وكان منبه رجلا مَفْؤُدًا (١)

(١) « مفؤداً » أى : ضعيف الفؤاد ، وقد ثبت هذا التفسير فى الاصل بعض النسخ

خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد ، فقال له مُنَبِّه : ياتميم ، انجُ بنفسك ، فأما أنا فوالله إنى لَمَيِّتٌ قتلونى أو تركونى ، لقد انبَتَّ فؤادى (١) ، فانطلق تميم فأفلَتَ ، وأدركوا مُنَبِّهًا فقتلوه ، فلما دخلت خُزَاعَةَ مكة لجئوا إلى دار بُدَيْل بن ورقاء ودار مولًى لهم يقال له رافع ، فقال تميم بن أسد يعتذر من فِرَاره عن مُنَبِّه : —

لَمَّا رَأَيْتُ بَنِى نُفَاثَةَ أَقْبَلُوا يَغْشَوْنَ كُلَّ وَتِيرَةٍ وَحِجَابِ (٢)

صَخْرًا وَرَزْنًا لاَ عَرِيبَ سِوَاهُمْ يُزْجُونَ كُلَّ مُقَلَّصٍ خَنَّابِ (٣)

وَذَكَرْتُ ذَحْلاً عِنْدَنَا مُتَقَادِمًا فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الْأَحْقَابِ (٤)

---

(١) « انبت فؤادى » أى : انقطع ، والبت : القطع

(٢) « وتيرة » تروى هذه الكلمة بالتاء المثناة ، وتروى بالثاء المثلثة ؛ فأما من رواه بالمثناة فانما عنى الأرض الممتدة ، وأما من رواه بالمثلثة فانما أراد الأرض اللينة الرطبة ، ومنه يقال : فراش وثير ، إذا كان لينا رطبا ، والحجاب ههنا : ما اطمأن من الأرض

(٣) لاعريب : يريد لا أحد ، وهذا اللفظ من الألفاظ التى لاتستعمل إلا بعد الجحد ، ومثله ديار ، وأحد ؛ تقول : مابالدار أحد ، ومابهاعريب ، ومابها ديار ، وما بها كتيع ، وما بها ذبيح ، وكلها بمعنى واحد ؛ وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام : (رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا) ؛ ويزجون : يسوقون ، والمقلص : الفرس المشمر ، والخناب : الواسع المنخرين ، ويروى فى مكانه « خباب » بباءين ، وهو صيغة مبالغة من الخبب ، وهو السير السريع

(٤) الذحل : طلب الثأر ، والأحقاب : السنون

وَنَشِيْتُ رِيحَ الْمَوْتِ مِنْ تِلْقَائِهِمْ
وَرَهِبْتُ وَقْعَ مُهَنَّدٍ قَضَّابِ (١)

وَعَرَفْتُ أَنْ مَنْ يَثْقَفُوهُ يَتْرُكُوا لَحْماً لِمُجْرِيَةٍ وَشِلْوَ غُرَابِ (٢)
قَوَّمْتُ رِجْلاً لا أَخَافُ عِثَارَهَا وَطَرَحْتُ بِالْمَتْنِ الْعَرَاءِ ثِيَابِى (٣)
وَنَجَوْتُ لاَ يَنْجُو نَجَائِيَ أَحْقَبٌ عِلْجٌ أَقَبُّ مُشَمَّرُ الْأَقْرَابِ (٤)

تَلْحَى وَلَوْ شَهِدَتْ لَكَانَ نَكِيرُهَا
بَوْلاً يَبُلُّ مَشَافِرَ الْقَبْقَابِ (٥)

الْقَوْمُ أَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ مُنَبَّهاً
عَنْ طِيبِ نَفْسٍ فَاسْأَلِي أَصْحَابِي

قال ابن هشام : وتروى لحبيب بن عبد الله [الأعلم] الهذلى ، وبيته

---

(١) نشيت : شممت ، ورهبت : خفت ، والمهند : السيف ، والقضاب : القاطع

(٢) المجرية : اللبؤة التى لها أجراء . أى أولاد صغار ، والشلو : بقية الجسد

(٣) المتن : ما ظهر من الأرض وارتفع ، والعراء : الخالى الذى لا يخفى فيه شىء

(٤) نجوت : أسرعت ، والأحقب : حمار الوحش إذا كان أبيض موضع الحقيبة ، وموضع الحقيبة مؤخره ، والعلج — بكسر فسكون — الغليظ ، والأقب : الضامر البطن ، و « مشمر الأقراب » أى منقبض ، ويروى فى فى مكانه « مقلص الأقراب » وهو بمعناه ، والأقراب : جمع قرب ، وهو الخاصرة وما يليها

(٥) تلحى : تلوم ، والمشافر هنا : النواحى والجوانب ، والقبقاب : من أسماء الفرج

«وذكرت ذحلا عندنا متقادما» عن أبى عبيدة، وقوله «الحناب» و «علج أقب مشمر الأقراب» عنه أيضا

قال ابن إسحق: وقال الأخزر بن لُعط الديلى فيما كان بين بنى كنانة وخزاعة فى تلك الحرب: —

أَلَاهَلْ أَتَى قُصْوَى الْأَحَابِيشِ أَنَّنَا
رَدَدْنَا بَنِى كَعْبٍ بِأَفْوَقَ نَاصِلِ (١)

حَبَسْنَاهُمُ فِى دَارَةِ الْعَبْدِ رَافِعٍ وَعِنْدَ بُدَيْلٍ مَحْبِساً غَيْرَ طَائِلِ (٢)

بِدَارِ الذَّلِيلِ الآخِذِ الضَّيْمَ بَعْدَمَا
شَفَيْنَا النُّفُوسَ مِنْهُمُ بِالْمَنَاصِلِ (٣)

حَبَسْنَاهُمُ حَتَّى إِذَا طَالَ يَوْمُهُمْ
نَفَحْنَا لَهُمْ مِنْ كُلِّ شِعْبٍ بِوَابِلِ (٤)

نُذَبِّحُهُمْ ذَبْحَ التُّيُوسِ كَأَنَّنَا أُسُودٌ تَبَارَى فِيهِمُ بِالْقَوَاصِلِ (٥)

---

(١) القصوى: أنثى الأقصى، وهو البعيد، والأحابيش: الذين حالفوا قريشا من القبائل ودخلوا فى عهدها ووثقوا أمرها، وقوله «بأفوق ناصل» هو من قول العرب: رددته بأفوق ناصل، إذا رددته خائبا، والأصل فيه أن الأفوق: هو السهم الذى انكسر فوقه: أى طرفه الذى يكون من ناحية الوتر، والناصل: الذى زال نصله: أى حديده الذى يكون فيه

(٢) دارة العبد: الدار والدارة بمعنى واحد

(٣) الضيم: الذل والهوان، والمناصل: جمع منصل، وهو السيف

(٤) نفحنا: وسعنا، والشعب - بكسر الشين - المطمئن بين الجبلين والوابل فى الأصل: المطر الشديد، وأراد به ههنا الدفعة من الخيل

(٥) القواصل: الأنياب

هُمُو ظَلَمُونَا وَاعْتَدَوْا فِي مَسِيرِهِمْ
وَكَانُوا لَدَى الْأَنْصَابِ أَوَّلَ قَاتِلِ (١)

كَأَنَّهُمُ بِالْجِزْعِ إِذْ يَطْرُدُونَهُمْ بِفَاثُورَ حُفَّانُ النَّعَامِ الْجَوَافِلِ (٢)

فأجابه بُدَيل بن عبد مَنَاة بن سلمة بن عمرو بن الأَحَبِّ وكان يقال له بديل بن أم أَصْرَمَ فقال : —

تَفَاقَدَ قَوْمٌ يَفْخَرُونَ وَلَمْ نَدَعْ لَهُمْ سَيِّداً يَنْدُوهُمُ غَيْرَ نَافِلِ (٣)

أَمِنْ خِيفَةِ الْقَوْمِ الْأُلَى تَزْدَرِيهِمُ
تُجِيزُ الْوَتِيرَ خَائِفاً غَيْرَ آئِلِ (٤)

---

(١) الأنصاب : جمع نصب ، والأنصاب : الحجارة التي نصبوها عند الحرم

(٢) الجزع : ما انعطف من الوادى ، وقوله « بفاثور » وقعت هذه الكلمة فى نسخة أبى ذر « بعاثور » بعين مهملة بعد باء الجر ، ووقعت فى نسخة أخرى بغين معجمة ، وكلتاهما من آثار تحريف النساخ ، والصواب فى ذلك « بفاثور » بالفاء ، قال ياقوت : فاثور : اسم موضع ببلاد نجد ، قال لبيد : —

وَمَقَامٍ ضَيِّقٍ فَرَّجْتُهُ بِمَقَامِى وَلِسَانِى وَجَدَلْ
لَوْ يَقُومُ الْفِيلُ أَوْ فَيَّالُهُ زَلَّ عَنْ مِثْلِ مَقَامِى وَزَحَلْ
وَلَدَى النُّعْمَانِ مِنِّى مَوْقِفٌ بَيْنَ فَاثُورِ أُفَاقٍ فَالدَّحَلْ

وحفان النعام : صغارها ، والجوافل : جمع جافلة ، وهى المسرعة

(٣) يندوهم : يجمعهم فى الندى ، وهو المجلس

(٤) الألى : أى الذين ، وتزدريهم : تحتقرهم ، والوتير : اسم ماء ، وغير آئل : أى غير راجع ، من قولك : آل إلى كذا ، إذا رجع إليه

وَفِى كُلِّ يَوْمٍ نَحْنُ نَحْبُو حِبَاءنَا
لِعَقْلٍ وَلاَ يُحْبَى لَنَا فِى الْمَعَاقِلِ (١)

وَنَحْنُ صَبَحْنَا بِالتَّلاَعَةِ دَارَكُمْ بِأَسْيَافِنَا يَسْبِقْنَ لَوْمَ الْعَوَاذِلِ (٢)

وَنَحْنُ مَنَعْنَا بَيْنَ بِيضٍ وَعَتْوَدٍ
إِلَى خَيْفِ رَضْوَى مِنْ مَجَرِّ الْقَنَابِلِ (٣)

وَيَوْمَ الْغَمِيمِ قَدْ تَكَفَّتَ سَاعِيًا عُبَيْسٌ فَجَعْنَاهُ بِجَلْدٍ حُلاَحِلِ (٤)

أَأَنْ أَجْمَرَتْ فِى بَيْتِهَا أُمُّ بَعْضِكُمْ
بِجُعْمُوسِهَا تَنْزُونَ إِنْ لَمْ نُقَاتِلِ (٥)

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ مَا إِنْ قَتَلْتُمُ
وَلَكِنْ تَرَكْنَا أَمْرَكُمْ فِى بَلاَبِلِ (٦)

---

(١) نحبو : نعطى ، والعقل هنا : الدية

(٢) التلاعة : اسم موضع ؛ وقوله « يسبقن لوم العواذل » مأخوذ من مثل سائر من أمثالهم وهو قولهم « سبق السيف العذل »

(٣) بيض: اسم موضع ، وعتود : اسم موضع أيضا، والخيف :ماانحدر من الجبل ، ورضوى ـ بفتح فسكون ـ اسم جبل ، والقنابل : جمع قنبلة ، وهى القطعة من الخيل

(٤) تكفت : حاد عن طريقه واعوج عنه ، وعبيس : اسم رجل ، وجلد : أى قوى ، والحلاحل ـ بضم أوله ـ السيد ، وقال امرؤ القيس : ـ

وَاللهِ لاَ يَذْهَبُ شَيْخِى بَاطِلاَ حَتَّى أُبِيرَ مَالِكاً وَكَاهِلاَ
الْقَاتِلِينَ الْمَلِكَ الْحُلاَحِلاَ

(٥) أجمرت : تجمرت ، والجعموس : العذرة والبعر ، وتنزون : تثبون وترتفعون .

(٦) البلابل : الاختلاط ووساوس الصدر

قال ابن هشام : قوله « غير نافل » وقوله « إلى خيف رضوى » عن غير ابن إسحق

قال ابن هشام : وقال حسان بن ثابت فى ذلك : —

لَحَا اللهُ قَوْمًا لَمْ نَدَعْ مِنْ سَرَاتِهِمْ
لَهُمْ أَحَدًا يَنْدُوهُمُ غَيْرَ نَاقِبِ (١)
أَخُصْيَى حِمَارٍ مَاتَ بِالْأَمْسِ نَوْفَلًا
مَتَى كُنْتَ مِفْلَاحًا عَدُوَّ الْحَقَائِبِ (٢)

خروج عمرو بن سالم الخزاعى الى رسول الله

قال ابن إسحق : فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خُزَاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونقضوا ما كان بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استَحَلُّوا من خزاعة ، وكانوا فى عقده وعهده ؛ خرج عَمْرُو بن سالم الخزاعى ، ثم أحد بنى كعب ، حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان ذلك مما هاج فَتْحَ مكة ، فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظَهْرَانَى الناس ، فقال : —

يَارَبِّ إِنِّى نَاشِدٌ مُحَمَّدَا حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا (٣)
قَدْ كُنْتُمُ وُلْدًا وَكُنَّا وَالِدَا ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا

(١) سراة القوم : أشرافهم وخيارهم ، و يندوهم : يجمعهم فى الندى وهو المجلس ، وناقب : أى رجل

(٢) المفلاح : صيغة مبالغة من الفلاح ، والفلاح : بقاء الخير ، والحقائب : جمع حقيبة ، وهو مايجعله الراكب وراءه فيضع فيه متاعه

(٣) ناشد : طالب ومذكر ، والأتلد : القديم

فَانْصُرْ هَدَاكَ اللهُ نَصْراً أَعْتَدَا ... وَادْعُ عِبَادَ اللهِ يَأْتُوا مَدَدَا (١)
فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ قَدْ تَجَرَّدَا ... إِنْ سِيمَ خَسْفاً وَجْهُهُ تَرَبَّدَا (٢)
فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِدَا ... إِنَّ قُرَيْشاً أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا (٣)
وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا ... وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ رُصَّدَا (٤)
وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا ... وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقَلُّ عَدَدَا
هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا ... وَقَتَلُونَا رُكَّعاً وَسُجَّدَا (٥)

قال ابن هشام : ويروى أيضاً : —

* فَانْصُرْ هَدَاكَ اللهُ نَصْراً أَيِّدَا (٦) *

قال ابن هشام : ويروى أيضا : —

* نَحْنُ وَلَدْنَاكَ فَكُنْتَ وَلَدَا *

---

(١) نصراً أعتدا : أي حاضراً ، والمدد : العون

(٢) « قد تجردا » تروى هذه الكلمة بالجيم وبالحاء المهملة ؛ فأما من رواه بالجيم فمعناه شمر وتهيأ لحربهم ، وأما من رواه بالحاء المهملة فمعناه غضب وثار ، وسيم خسفا : معناه طلب منه وكلفه ، والخسف ـ بفتح فسكون ـ الذل ، وتربد : تغير

(٣) الفيلق : العسكر الكثير

(٤) كداء : موضع بمكة ، « ورصدا » يروى بضم الراء وتشديد الصاد مفتوحة فهو جمع راصد ، مثل راكع وركع ، والراصد : الذي يترصد الأمر ويطلبه ، ويروى « رصدا » بفتح الراء والصاد جميعا

(٥) الوتير : اسم ماء ، وهجد : جمع هاجد ، ويطلق على النائم أو المستيقظ ، ضد

(٦) نصراً أيدا : قويا ، وأصله من التأييد ، وهو المعونة

قال ابن إسحق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنَ سَالِمٍ » ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عَنَانٌ من السماء (١) فقال: « إِنَّ هٰذِهِ السَّحَابَةَ لَتَسْتَهِلُّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ »

خروج بديل بن ورقاء الخزاعى الى رسول الله

ثم خرج بُدَيْلُ بن وَرْقَاءَ فى نفر من خُزَاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأخبروه بما أصيب منهم ، و بمظاهرة قريش (٢) بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : « كَأَنَّكُمْ بِأَبِي سُفْيَانَ قَدْ جَاءَكُمْ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ » ومضى بُدَيْلُ بن ورقاء وأصحابه حتى لَقُوا أبا سفيان بن حَرْب بعُسْفَان قد بعثته قريشٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشُدَّ العقد و يزيد فى المدة ، وقد رَهِبُوا الذى صنعوا ، فلما لقى أبو سفيان بُدَيْل ابن ورقاء قال : مِنْ أَيْنَ أقبلت يابديل ؟ وظن أنه قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : تَسَيَّرْتُ فى خزاعة فى هذا الساحل وفى بطن هذا الوادى ، قال : أَوَمَا جِئْتَ محمداً ؟ قال : لا ، فلما راح بُدَيل إلى مكة قال أبو سفيان : لئن كان جاء [بُدَيْلٌ] المدينة لقد عَلَفَ بها النَّوَى ، فأتى مَبْرَكَ راحلته ، فأخذ من بَعَرِهَا فَفَتَّه ، فرأى فيه النَّوَى فقال : أحلفُ بالله لقد جاء بُدَيل محمداً

أبوسفيان وابنته أم حبيبة زوج رسول الله

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخل على ابنته أمِّ حبيبة بنت أبى سفيان ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طَوَتْه عنه ، فقال : يابُنَيَّةُ ، ماأدرى أرغبت بى عن هٰذا الفراش أم رغبت به عنى ؟ قالت : بل هو فراشُ رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) عنان من السماء : أى سحابة

(٢) المظاهرة : المعاونة

وأنت رَجُلٌ مشركٌ نَجَسٌ فلم أحِبَّ أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : والله لقد أصابك يابنية بعدى شَرٌّ ، ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلّمه فلم يَرُدَّ عليه شيئاً ، ثم ذهب إلى أبى بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ماأنا بفاعل ، ثم أتى عمر بن الخطاب ، فكلمه ، فقال : أأنا أشفعُ لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذَّرَّ لجاهدتكم به ، ثم خرج فدخل على على بن أبى طالب رضوان الله عليه وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وعندها حَسَنُ بن على عليه رضوان الله غلامٌ يَدِبُّ بين يديها ، فقال : ياعلى ، إنك أمَسُّ القوم بى رَحِمًا ، وإنى قد جئت فى حاجة فلاأرْجِعَنَّ كما جئت خائباً ، فاشْفَعْ لى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ويحك ياأبا سفيان ! ! والله لقدعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر مانستطيع أن نكلمه فيه ، فالتفتَ إلى فاطمة فقال : ياابنةَ محمدٍ ، هل لك أن تأمرى بُنَيَّكَ هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله مابلغ بُنَيِّ ذاكَ أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ياأبا الحسن ، إنى أرى الأمور قد اشْتَدَّتْ عَلَيَّ فانْصَحْنِى ، قال : والله ماأعلم لك شيئاً يغنى عنك شيئاً ، ولكنك سيد بنى كنانة فقُمْ فأجِرْ بين الناس ثم الْحَقْ بأرضك ، قال : أو ترى ذلك مغنياً عنى شيئاً ؟ قال : لا والله ما أظنه ، ولكنى لاأجد لك غير ذلك ، فقام أبو سفيان إلى المسجد ، فقال : ياأيها الناس ، إنى قد أجَرْتُ بين الناس ، ثم ركب بعيره ، فانطلق ، فلما قدم على قريش قالوا : ماوراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلمته فوالله مارد على شيئاً ، ثم جئت ابن أبى قُحافة فلم أجد فيه خيراً ، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته

أدنى العدو (قال ابن هشام : أَعْدَى العدو) قال ابن إسحق : ثم أتيت عليا فوجدته أَلْيَنَ القوم ، وقد أشار على بشىء صنعته ؛ فوالله ما أدرى هل يغنى ذلك شيئاً أم لا ، قالوا : وبم أمرك ؟ قال : أمرنى أن أجير بين الناس ، ففعلت ، قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا ، قالوا : ويلك ! ! والله إنْ زَادَ الرَّجُلُ على أن لعب بك ، فما يغنى عنك ماقلت ؟ قال : لا والله ماوجدت غير ذلك

رسول الله يأمر بالجهاز

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالْجَهَاز ، وأمر أهله أن يُجَهِّزُوه ، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها وهى تحرك بعضَ جَهَاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أى بُنَيَّة أأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه ؟ قالت : نعم ، فَتَجَهَّزْ ، قال : فأين تُرَيْنَهُ يريد ؟ قالت : والله ماأدرى

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناسَ أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجد والتهيؤ ، وقال : « اللَّهُمَّ خُذِ الْعُيُونَ وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَبْغَتَهَا فِي بِلَادِهَا (١) » فتجهَّز الناس ، فقال حسان بن ثابت يُحَرِّضُ الناسَ ويذكر مصاب رجال خُزَاعة : —

عَنَانِي وَلَمْ أَشْهَدْ بِبَطْحَاءِ مَكَّةٍ ... رِجَالَ بَنِي كَعْبٍ تُحَزُّ رِقَابُهَا (٢)
بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَسُلُّوا سُيُوفَهُمْ ... وَقَتْلَى كَثِيرٌ لَمْ تُجَنَّ ثِيَابُهَا (٣)

---

(١) « نبغتها فى بلادها » هو من البغتة ، وهى الفجأة ، يقال : بغته الأمر وبجئه ، إذا جاءه من غير أن يعلم به

(٢) « عنانى ولم أشهد » يروى فى مكانه « وغبنا فلم نشهد »

(٣) رواية هذا البيت فى الديوان هكذا : —

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى هَلْ تَنَالَنَّ نُصْرَتِى
سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو حَرُّهَا وَعِقَابُهَا (١)
وَصَفْوَانُ عَوْدٌ حُزَّ مِنْ شَعَرِ أُسْتِهِ
فَهٰذَا أَوَانُ الْحَرْبِ شُدَّ عِصَابُهَا (٢)
فَلاَ تَأْمَنَنَّا يَا ابْنَ أُمِّ مُجَالِدٍ
إِذَا احْتُلِبَتْ صِرْفًا وَأَعْصَلَ نَابُهَا (٣)

بِأَيْدِى رِجَالٍ لَمْ يَسُلُّوا سُيُوفَهُمْ
بِحَقٍّ ، وَقَتْلَى لَمْ تُجَنَّ ثِيَابُهَا

وقد عنى بقوله « رجال لم يسلوا سيوفهم » قريشا كما يأتى عن ابن هشام وقوله « لم تجن ثيابها » أى لم تستر ، يريد أنهم قتلوا ولم يدفعوا ،

(١) «حرها وعقابها » رويت هذه الكلمة على ثلاثة أوجه ، هذا أحدها والثانى « حربها وعقابها » والثالث « وخزها وعقابها » والوخز : الطعن النافذ فى جنب المطعون ، ويقال : هو الطعن غير النافذ

(٢) صفوان : هو صفوان بن أمية بن خلف الجمحى ، والعود : المسن من الابل مع أن فيه بقيـة ، وقوله « من شعر أسته » رويت هـذه الكلمة على ثلاثة أوجه ، هذا أحدها ، والثانى «من شقر أسته» والشقر : الحمرة ، ويقال : بعير أشقر ، إذا كان شديد الحمرة ، والثالث « من شفر أسته » بالفاء - أما الشفر فان شفر كل شىء ناحيتـه ، وقوله « شد عصابهـا » فان العصـاب ما يعصب به : أى يشد به

(٣) ابن أم مجالد : هو عكرمة بن أبى جهل كما سيأتى عن ابن هشام ، والصرف : اللبن الخالص ، وأعصل - بالصاد المهملة - أى اعوج ، يقـال : ناب أعصل بين العصل ، أى معوج شديد ، قال أوس : -

رَأَيْتُ لَهَا نَابًا مِنَ الشَّرِّ أَعْصَلاَ

وَلاَ تَجْزَعُوا مِنْهَا فَإِنَّ سُيُوفَنَا ۞ لَهَا وَقْعَةٌ بِالْمَوْتِ يُفْتَحُ بَابُهَا

قال ابن هشام: قول حسان «بأيدى رجال لم يسلوا سيوفهم» يعنى قريشا، و«ابن أم مجالد» يعنى عكرمة بن أبى جهل

كتاب حاطب بن أبى بلتعة وشأنه

قال ابن إسحق: وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا، قالوا: لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة كتب حاطبُ بن أبى بَلْتَعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر فى السير إليهم، ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مُزَيْنة، وزعم لى غيره أنها سارة مولاة لبعض بنى عبد المطلب، وجعل لها جُعْلاً على أن تبلغه قريشاً، فجعلته فى رأسها ثم فتلت عليه قُرُونَهَا، ثم خرجت به، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما صنع حاطب، فبعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام رضى الله عنهما، فقال: «أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبى بلتعة بكتاب إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له فى أمرهم»، فخرجا حتى أدركاها بالخليقة خليقة بنى أبى[1] أحمد، فاستنزلاها فالتمسا فى رحلها فلم يجدا شيئا، فقال لها على بن أبى طالب: إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا، ولَتُخْرِجِنَّ لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك، فلما رأت الجِدَّ منه قالت: أعْرِضْ، فأعْرَضَ، فحلَّتْ قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا رسول الله

(١) قال أبو ذر: «كذا وقع هنا بضم الخاء المعجمة فيهما، ورواه الخشنى بالخليقه — بفتح الخاء المعجمة فيهما — وفى كتاب ابن إسحق بذى الخليفة خليفة ابن أبى أحمد بضم الخاء المعجمة فيها وبالفاء، وهو اسم موضع» اه كلامه

صلى الله عليه وسلم حاطبا ، فقال : « ياحَاطِبُ مَا حَمَلَكَ عَلَى هٰذَا » ؟ فقال : يارسول الله أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ، ماغَيَّرْتُ ولا بَدَّلْتُ ، ولكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم وَلَدٌ وأهل ، فصانعتهم عليهم ، فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله ، دَعْنِي فَلأَضْرِبْ عُنُقَهُ فان الرجل قد نافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ومَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ لَعَلَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَصْحَابِ بَدْرٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَقَالَ : اُعْمَلُوا مَاشِئْتُمْ ، فَقَدْ غَفَرْتُ لكم» فأنزل الله تعالى فى حاطب (٦٠ : ١ ....) (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَتَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ) إلى قوله (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ) إلى آخر القصة

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن عبيدالله ابن عبدالله بن عتبة [بن مسعود] ، عن عبدالله بن عباس ، قال : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره ، واستخلف على المدينة أبارُهْمٍ كلثومَ ابن حُصَيْن بن عتبة بن خلف الغفارى ، وخرج لعَشْرٍ مَضَيْنَ من شهر رمضان ، فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكُدَيْدِ بين عُسْفَان وأَمَجَ أفطر

فطر رسول الله فى رمضان بسبب السفر

قال ابن إسحق : ثم مضى حتى نزل مَرَّ الظَّهْرَان فى عَشَرَة آلاف من المسلمين ؛ فَسَبَّعَتْ سُلَيْم ، وبعضهم يقول : أَلَّفَت [1] سليم ، وأَلَّفَتْ

نزول رسول الله بمر الظهران

(١) سبعت : أى كانت سبعمائة ، وقوله « ألفت » أى : كانت ألفا

مُزَيْنَةُ ، وفى كل القبائل عَدَدٌ و إسلام ، وأَوْعَبَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والأنصار ، فلم يَتَخَلَّف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ الظَّهْرَان وقد عُمِّيَتِ الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يَدْرُونَ ماهو فاعل ، وخرج فى تلك الليالى أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبُدَيْل بن ورقاء يَتَحَسَّسُونَ الأخبار و ينظرون هل يجدون خَبَراً أو يسمعون به ، وقد كان العباس بن عبد المطلب لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق

قال ابن هشام : لقيه بالجُحْفَة مهاجرا بعياله ، وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فيما ذكر ابن شهاب الزهرى .

أبو سفيان بن الحرث وعبدالله بن أبى أمية واسلامهما

قال ابن إسحق : وقد كان أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وعبدالله ابن أبى أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً بنيق العُقَاب ، فيما بين مكة والمدينة ، فالتمسا الدخول عليه ، فكلمته أمُّ سَلَمَةَ فيهما ؛ فقالت : يارسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصهرك . قال : «لاَ حَاجَةَ لِى بِهِمَا أَمَّا ابْنُ عَمِّى فَهَتَكَ عِرْضِى وَأَمَّا ابن عَمَّتِى وَصِهْرِى فَهُوَ الَّذِى قَالَ لِى بِمَكَّةَ مَا قَالَ » قال : فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبى سفيان بُنَيٌّ له فقال : والله لَيَأْذَنَنَّ لى أو لآخذن بيدى بُنَيَّ هذا ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عَطَشاً وجُوعاً ؛ فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رقَّ لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه وأسلما ، وأنشده أبو سفيان بن الحرث قوله فى إسلامه واعتذر إليه مما كان مضى منه ، فقال : —

قصيدة لابى سفيان بن الحرث فى اسلامه

لَعَمْرُكَ إِنِّى يَوْمَ أَحْمِلُ رَايَةً ‏ ‏ لِتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدِ (١)

(١) أحمل راية : كنى بذلك عن شهود الحرب ودعوته إليها ، واللات

لَـكَالْمُدْلِجِ الْحَيْرانِ أظْلَمَ لَيْلُهُ
فَهٰذَا أَوَانِي حِينَ أُهْدَى وَأَهْتَدِى (١)

هَدَانِيَ هَادٍ غَيْرُ نَفْسِي وَنَالَنِي
مَعَ اللهِ مَنْ طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَرَّدِ (٢)

أَصُدُّ وأَنْأَى جَاهِداً عَنْ مُحَمَّدٍ
وَأُدْعَي وإنْ لَمْ أنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدِ (٣)

هُمُ مَا هُمُ مَنْ لَمْ يَقُلْ بِهَوَاهُمُ
وَإِنْ كَانَ ذَا رأْيٍ يُلَمْ وَيُفَنَّدِ (٤)

أُرِيدُ لِأُرْضِيَهِمْ وَلَسْتُ بِلَائِطٍ
مَعَ الْقَوْمِ مَا لَمْ أُهْدَ فِي كُلِّ مَقْعَدَ (٥)

فَقُلْ لِثَقِيفٍ لَا أُرِيدُ قِتَالَهَا
وَقُلْ لِثَقِيفٍ تِلْكَ: غَيْرِيَ أَوْعِدِى (٦)

صنم من أصنام العرب ، وأراد بخيل اللات جيش الكفر والشرك ، وخيل محمد : أراد بها جيش المسلمين

(١) المدلج : الذى يسير ليلا

(٢) مطرد : مصدر ميمى بمعنى الطرد ، وذلك كما فى قوله تعالى : (أنكم إذا مزقتم كل ممزق)

(٣) أصد : أمنع الناس عن الدخول فى الإيمان ، وأنأى : أبعد بنفسى عنه ، وجاهدا : مجتهدا

(٤) يفند : ينسب الى الفند ، وهو الكذب ، أو يلام

(٥) لائط : ملصق ، يقال : لاط حبه بقلبى ، اذا لصق به

(٦) أوعدى : هددى

فَمَا كُنْتُ فِي الْجَيْشِ الَّذِي نَالَ عَامِرًا
وَمَا كَانَ عَنْ جَرَّى لِسَانِي وَلَا يَدِي
قَبَائِلُ جَاءَتْ مِن بِلَادٍ بَعِيدَةٍ
نَزَائِعُ جَاءَتْ مِنَ سِهَامٍ وَسَرْدُدِ

قال ابن هشام: ويرى «ودَلَّنى على الحق من طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَرَّد»

قال ابن إسحق: فزعموا أنه حين أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله «ونالَني مع الله من طردت كُلَّ مُطَرَّد» ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدره، وقال: «أنْتَ طَرَّدْتَنِي كُلَّ مُطَرَّدٍ»

العباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن حرب

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ الظَّهْرَانِ قال العباس بن عبد المطلب: فقلت: واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عَنْوَةً قَبْلَ أن يأتوه فيستأمنوه إنَّه لَهَلَاكُ قريش إلى آخر الدهر، قال: فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء، فخرجت عليها، قال: حتى جئت الأراك، فقلت: لعلى أجد بعض الحَطَّابة، أو صاحبَ لبنٍ، أو ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عَنْوَةً، قال: فوالله إنى لأسير عليها وألتمس ماخرجت له إذ سمعت كلام أبى سفيان وبُدَيْل بن وَرْقَاء وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيرانًا قطُّ ولا عَسْكَرًا، قال: يقول بُدَيْل: هذه والله خزاعة حَمَشَتْهَا الحرب [1]، قال: يقول أبو سفيان:

---

(١) حمشتها الحرب: أحرقتها، وتروى هذه الكلمة «حمستها» بالسين المهملة. فمعناها اشتدت عليها، مأخوذة من الحماسة، وهى الشجاعة والشدة.

خزاعة أَذَلُّ وأَقَلُّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ، قال : فَعَرَفْتُ صوته ، فقلت : ياأبا حنظلة ، فعرف صوتى ، فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم ، قال : مالك فداك أبى وأمى ؟ قال : قلت : وَيْحَكَ يا أباسفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس ، واصَبَاحَ قريش والله ! ! قال : فما الحيلة فداك أبى وأمى ؟ قال : قلت : والله لئن ظفربك لَيَضْرِبَنَّ عنقك ، فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك ، قال : فركب خلفى ورجع صاحباه ، قال : فجئت به كلما مررت بنارمن نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فاذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا : عمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم [على بغلته] ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : من هذا ؟ وقام إلى ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ، الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، ثم خرج يَشْتَدُّ نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وركضت البغلة ، فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطىء ، قال : فاقْتَحَمْتُ عن البغلة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل عليه عمر فقال : يارسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عَقْدٍ ولا عَهْدٍ فَدَعْنِى فَلْأَضْرِبْ عنقه ، قال : قلت : يارسول الله إنى قد أجَرْتُه ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه فقلت : وَالله لا يُنَاجِيه اللَّيْلَةَ دونى رجلٌ ، فلما أكثر عمر فى شأنه قال : قلت : مَهْلاً ياعمر فوالله أن لو كان مِنْ رجال بنى عَدِىٍّ بن كعب ماقلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف ، فقال : مَهْلاً يَاعبَّاسُ فوالله لإسْلَامُكَ يوم أسلمت كان أَحَبَّ إلى من إسلام الخطاب لو أسلم ، ومابى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أَحَبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب

[لو أسلم] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذْهَبْ بِهِ ياعَبَّاسُ إلى رَحْلِكَ فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَأْتِنِى بِهِ » قال : فذهبت به إلى رحلى ، فبات عندى ، فلما أصبح غَدَوْتُ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « وَيْحَكَ يَاأَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ (١) لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّه لَاإِلٰه إِلاَّ الله » قال : بأبى أنت وأمى مَاأَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ !!! والله لقد ظَنَنْتُ أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئا بعد ، قال : « وَيْحَكَ ياأبا سفيان ! ! ! أَلَمْ يَأْنِ (١) لَكَ أَنْ تَعْلَمْ أَنِّى رسول الله » قال : بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك !!! أَمَّا هذه والله فان فى النَّفْس منها حتى الآن شَيْئاً ، فقال له العباس : وَيْحَكَ أَسْلِمْ وَاشْهَدْ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك ، قال : فشهد شهادة الحق ، فأسلم ، قال العباس : قلت : يارسول الله ، إن أباسفيان رجُلٌ يحبُّ هذا الفَخْرَ فاجعل له شيئاً ، قال : « نَعَمْ مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِى سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ »

اسلام أبى سفيان

مرور المسلمين على أبى سفيان

فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَاعَبَّاسُ احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِى عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ (٢) حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللهِ فَيَرَاهَا » قال : فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادى حيث أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه ، قال : ومَرَّتِ القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : ياعباسُ مَنْ هٰذِهِ ؟ فأقول : سليم ، فيقول : مالى

---

(١) « ألم يأن » معناه ألم يحن ، يقال : آن الشىء يئين ، وأنى يأنى — كرمى يرمى — وأنى يأنى — كرضى يرضى — وكل هذا بمعنى واحد

(٢) الخطم : أنف الجبل ، وهو شىء يخرج منه يضيق به الطريق ، ووقع فى بعض روايات القصة « عند خطم الخيل » وهو موضع ضيق تتزاحم فيه الخيل حتى يحطم بعضها بعضا

ولسليم ؟ ثم تمر القبيلة فيقول : ياعباس من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة ، فيقول : مالى ولمزينة ؟ حتى نفذت القبائل ، ما تمرُّ به قبيلة إلا يسألنى عنها ، فاذا أخبرته بهم قال : مالى ولبنى فلان ، حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء.

قال ابن هشام : وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها قال الحرث بن حِلِّزَةَ الْيَشْكُرِىُّ : —

ثُمَّ حُجْراً أَعْنِى ابْنَ أُمِّ قَطَامٍ وَلَهُ فَارِسِيَّةٌ خَضْرَاءُ

يعنى الكتيبة ، وهذا البيت فى قصيدة له ، وقال حسان بن ثابت الأنصارى : —

لَمَّا رَأَى بَدْرًا تَسِيلُ جِلاَهُهُ بِكَتِيبَةٍ خَضْرَاءَ مِنْ بَلْخَزْرَجِ

وهذا البيت فى أبيات له قد كتبناها فى أشعار يوم بدر

قال ابن إسحق : فيها المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم ، لا يُرَى منهم إلا الْحَدَقُ من الحديد ، فقال : سبحان الله ياعباس من هؤلاء ؟!! قال : قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار ، قال : مالأحد بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقة ، والله ياأبا الفضل لقد أصبح مُلْكُ ابن أخيك الْغَدَاةَ عظيما ، قال : قلت : ياأباسفيان إنها النُّبُوَّةُ ، قال : فنعم إذَنْ ، قال : قلت : النَّجَاءَ إلى قومك [1] ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَلَ لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت : اقْتُلُوا

(١) النجاء : السرعة ، يقال : نجا ينجو نجاء ، إذا أسرع

الْحَمِيتَ الدَّسِمَ الْأَحْمَسَ (١) قُبِّحَ مِنْ طَلِيعَةِ (٢) قَوْمٍ ! قال : وَيْلَكُم لا تَغُرَّنَّكُمْ هذه من أنفسكم ؛ فانه قد جاءكم مالا قِبَلَ لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله ، وما تغني عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فَتَفَرَّقَ الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

انتهاء رسول الله إلى ذي طوى

قال ابن إسحق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذي طَوًى وقف على راحلته مُعْتَجِراً بشُقَّةِ بُرْدٍ حَبِرَةٍ (٣) حَمْرَاء ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لَيَضَعُ رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عُثْنُونه ليكاد يَمَسُّ واسطة الرَّحْلِ

شأن أبي قحافة والد أبي بكر الصديق

قال ابن إسحق : وحدثني يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن جدته أسماء ابنة أبي بكر ، قالت : لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي طَوًى قال أبو قحافة لابنة لَهُ من أصغر ولده : أي بُنَيَّةَ اظْهَرِي (٤) بي على أبي قُبَيْسٍ ، قالت : وقد كُفَّ بصره ، قالت : فأشْرَفَتْ به عليه ، فقال : أي بُنَيَّةَ ، ماذا تَرَيْنَ ؟ قالت : أرى سَوَاداً مُجْتَمِعاً ، قال : تِلْكِ الخيلُ ، قالت : وأرى رَجُلاً يَسْعَى بين يدي ذلك

---

(١) الحميت في الأصل : زق السمن ، والدسم : الكثير الودك ، والأحمس : الشديد اللحم ، تريد تشبيهه به لعبالته وسمنه

(٢) طليعة القوم : الذي يتقدمهم ، أو يحرسهم

(٣) معتجرا : أي متعمما من غير أن يجعل لها ذؤابة ، والشقة : النصف ، والحبرة : ضرب من ثياب اليمن

(٤) اظهري : اصعدي وارتفعي ، وأبو قبيس : جبل بمكة

السواد مقبلا ومدبرا ، قال : أىْ بُنَيَّةَ ذَلِكَ الوازع (١) ، يعنى الذى يأمر الخيل ويتقدم إليها ، ثم قالت : قد والله انْتَشَرَ السواد ، قالت : فقال : قدوالله إذن دَفَعَتِ الخيل فأسرعي بى إلى بيتى ، فانحطَّتْ به ، وتَلَقَّاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته ، قالت : وفى عنق الجارية طَوْق من وَرِقٍ (٢) فتلقاها رجل فيقطعه من عنقها ، قالت : فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هَلاَّ تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِى بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ فِيهِ » قال أبوبكر : يارسول الله ، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه أنت ، قال : قالت : فأجْلَسه بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال له: «أسلم» فأسلم ، قالت: فدخل به أبو بكر وكأَنَّ رأسه ثَغَامَة (٣) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غَيِّرُوا هذا مِنْ شَعْرِهِ » ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته وقال : أَنْشُدُ الله والإسلام طَوْقَ أُخْتِى، فلم يجبه أحد ، قالت : فقال : أىْ أُخَيَّةَ ، احْتَسِبِى طَوقَكِ فوالله إن الأمانة فى الناس اليوم لَقَلِيلٌ

ترتيب الجيش فى دخول مكة

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين فَرَّقَ جيشه من ذى طَوًى — أمر الزبير بن العوام أن

---

(١) الوازع الذى يكف الجيش : أى يقدم بعضه على بعض ، وتقول : وزعته عن كذا ، إذا كففته

(٢) الطوق : القلادة ، والورق : الفضة ، وهو بفتح الواو وكسر الراء

(٣) الثغامة — بفتح أوله — شجرة ، والجمع ثغام ، ومن شأن هذا النوع من الشجر أنه إذا يبس ابيضت أغصانه ، والعرب تشبه الشيب به ، قال الشاعر : —

أَعَلاَقَةً أُمَّ الْوُلَيِّدِ بَعْدَمَا أفْنَانُ رَأْسِكَ كَالثَّغَامِ الْمُخْلِسِ

يدخل في بعض الناس من كُدًى ، وكان الزبير على المُجَنَّبَةِ اليُسْرَى ، وأمر سَعْدَ بنَ عُبَادة أن يدخل فى بعض الناس من كَدَاء

قال ابن إسحق : فزعم بعض أهل العلم أنَ سَعدًا ـ حين وَجَّهَ داخلا — قال : اليوم يَوْمُ المَلحَمَة، اليوم تُستَحَلُّ الحرمة ، فسمعها رجل من المهاجرين (قال ابن هشام : هو عمر بن الخطاب) فقال : يارسول الله ، اسْمَعْ ماقال سعد بن عبادة ، مانأمن أن تكون له فى قريش صَوْلَة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب : « أدرِكْهُ فَخُذِ الرَّايَةَ [مِنْهُ] فَكُنْ أنتَ الَّذِى تَدْخُلُ بها »

قال ابن إسحق : وقد حدثنى عبد الله بن أبى نجيح فى حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد فدخل من اللِّيطِ أسفل مكة فى بعض الناس ، وكان خالد على المُجَنَّبَةِ اليمنى وفيها أَسْلَمُ وَسُلَيْم وغفَار ومُزَيْنَةُ وَجُهَيْنَة وقبائل من قبائل العرب ، وأقبل أبو عبيدة بن الجَرَّاحِ بالصَّفِّ من المسلمين يَنْصَبُّ لمكة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أَذَاخِر ، حتى نزل بأعلى مكة ، وَضُرِبَتْ [له] هنالك قُبَّتُهُ

شأن أهل الخندمة

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح وعبد الله بن أبى بكر أن صَفْوَان بن أُمَيَّةَ وَعِكْرِمَةَ بن أبى جهل وَسُهَيل بن عمرو كانوا قد جَمَعُوا ناساً بالخَنْدَمة ليقاتلوا ، وقد كان حِمَاسُ بن قَيْسِ بن خالد أخو بنى بكر يُعِدُّ سلاحا قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُصْلِحُ منه ، فقالت له امرأته : لماذا تُعِدُّ ماأرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ، قالت : والله ماأرى أنه يقوم لمحمد وأصحابه شىء ، قال : والله إنى لأرجو أن أُخْدِمَكِ بعضَهمْ ثم قال : —

إنَّ يُقْبِلُوا الْيَوْمَ فَمَالِى عِلَّهْ هٰذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَّهْ (١)

* وَذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّهْ (٢) *

ثم شهد الْخَنْدَمَةَ مع صفوان وسهيل وعكرمة ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئاً من قتال فقتل كُرْزُ بن جابر أحد بنى محارب بن فهر ، وَخُنَيْسُ بن خالد بن ربيعة بن أصْرَمَ حليف بنى منقذ ، وكانا فى خيل خالد بن الوليد ، فَشَذَّا عنه فسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعا : قُتِلَ خُنَيْس بن خالد قَبْلَ كُرز بن جابر ، فجعله كرز بن جابر بين رجليه ، ثم قاتل عنه حتى قتل وهو يرتجز ويقول : —

قَدْ عَلِمَتْ صَفْوَاءُ مِن بَنِى فِهِرْ نَقِيَّةُ الْوَجْهِ نَقِيَّةُ الصَّدْرْ

* لأضْرِبَنَّ الْيَوْمَ عَنْ أَبِى صَخْرْ *

قال ابن هشام : وكان خُنَيْسٌ يكنى أبا صَخْر

قال ابن هشام : خنيس بن خالد من خزاعة

قال ابن إسحق : حدثنى عبدالله بن أبى نجيح وعبد الله بن أبى بكر قالا : وأُصِيبَ من جُهَيْنَةَ سَلَمَةُ بن الْمَيْلَاء من خيل خالد بن الوليد ، وأصيب من المشركين ناسٌ قريبٌ من اثنى عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا ، ثم انهزموا ، فخرج حِمَاسٌ منهزما حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغْلِقِى عَلَىَّ بابى ، قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال : —

إنَّكِ لَوْ شَهِدْتِ يَوْمَ الْخَنْدَمَهْ إِذْ فَرَّ صَفْوَانُ وَفَرَّ عِكْرِمَهْ

وَأَبُو يَزِيدَ قَائِمٌ كَالْمُؤْتِمَهْ وَاسْتَقْبَلَتْهُمْ بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَهْ (٣)

---

(١) الألة : الحربة لها سنان طويل

(٢) ذو غرارين : يعنى به سيفا ، والغرار ـ بكسر أوله ـ الحد

(٣) حذف همزة أبى يزيد من النطق حين اضطره الشعر ، والمؤتمة ـ بكسر

يقطعن كُلَّ ساعِدٍ وَجُمْجُمَهْ ضَرْبًا فلاَ يُسْمَعُ إلاَّ غَمْغَمَهْ (١)
لَهُمْ نَهِيتٌ خَلْفَنَا وَهَمْهَمَهْ
لَمْ تَنْطِقى فِي اللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَهْ (٢)

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قوله « كالمؤتمه » ، وتروى للرعَّاش (٣) الهذلى

شعار أصحاب رسول الله

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وحنين والطائف : شعار المهاجرين « يابنى عبد الرحمن » وشعار الخزرج « يابنى عبد الله » وشعار الأوس « يابنى عبيد الله » .

أمر رسول الله بقتل نفر من الكفار وإن تعلقوا بأستار الكعبة

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين — حين أمرهم أن يدخلوا مكة — أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عهد فى نفر سَمَّاهم ، أمر بقتلهم وإن وُجِدُوا تَحْتَ أستار الكعبة : منهم [عبد الله] بن سَعْد أخو بنى عامر بن لؤى ،

عبد الله بن سعد

وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الْوَحْيَ ، فارتَدَّ مُشْرِكا راجعا إلى قريش ؛ فَفَرَّ إلى عثمانَ بن عفان — وكان أخاه للرضاعة — فغَيَّبَهُ حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن الناس وأهل مكة ، فاستأمن له ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَمَتَ طويلا ثم

التاء - هى التى قتل زوجها فبقى لها أولاد أيتام ، يقال : أيتمت فهى مؤتم ، والمسلمة أراد بها المسلمين

(١) الجمجمة : الرأس ، والغمغمة : أصوات الأبطال فى الحرب

(٢) النهيت : نوع من صياح الأسد ، والهمهمة : صوت فى الصدر

(٣) قال أبو ذر : « الرعاش يروى هنا بالشين والسين ، وصوابه بالشين المعجمة لاغير » اه كلامه

قال : « نَعَمْ » فلما انصرف عنه عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من أصحابه : « لَقَدْ صَمَتُّ لِيَقُومَ إِلَيْهِ بَعْضُكُم فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ » فقال رجل من الأنصار : فهلا أومأت إلىّ يارسول الله ، قال : « إنَّ النَّبِيَّ لاَ يَقْتُلُ بالاشارة »

قال ابن هشام : ثم أسلم بعدُ فَوَلاَّه عمر بن الخطاب بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر

قال ابن إسحق : وعبد الله بن خَطَل ، رَجُلٌ من بنى تيم بن غالب ، وإنما أمر بقتله أنه كان مسلما ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصَدِّقا ، وبعث معه رجلا من الأنصار ، وكان معه مولًى له يخدمه ، وكان مسلما ، فنزل منزلا ، وأمر المولى أن يذبح له تَيْساً فيصنع له طعاما ، فنام ، فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً ، فعدا عليه فقتله ، ثم ارتدّ مشركا ، وكانت له قَيْنَتَان فَرْتَنَى وصاحبتها ، وكانتا تُغَنِّيَان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهما معه عبد الله بن خطل

والحويرث بن نُقَيْذ بن وَهْب بن عبد بن قُصَىّ ، وكان ممن يؤذيه بمكة الحويرث بن نقيذ

قال ابن هشام : وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأم كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة ، فَنَخَسَ بهما الحويرث بن نُقَيْذ فرمى بهما إلى الأرض

قال ابن إسحق : وَمِقْيَسُ بن صُبَابة ، وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لقتل الأنصارى (١) الذى كان قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى قريش مشركا مقيس بن صبابة

(١) أنظر (ص ٢٢٧ ج ٣ من هذا الكتاب)

أمر سارة وعكرمة ابن أبى جهل

وسارة : مولاة لبعض بنى عبدالمطلب ، وعكرمة بن أبى جهل ، وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة ، فأما عكرمة فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحرث بن هشام ، فاستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمنه ، فخرجت فى طلبه إلى اليمن حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم

وأما عبدالله بن خَطَل فقتله سعيد بن حريث المخزومى وأبو برزة الأسلمى اشتركا فى دمه

وأما مِقْيَسُ بن صُبَابة فقتله نُمَيْلة بن عبد الله رجل من قومه ، فقالت أخت مِقْيَسٍ فى قتله : —

لَعَمْرِى لَقَد أَخْزَى نُمَيْلَةُ رَهْطَهُ   وَفَجَّعَ أَضْيَافَ الشِّتَاءِ بِمِقْيَسِ
فَلِلّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَ مِقْيَسٍ   إذا النُّفَسَاءُ أَصْبَحَتْ لَمْ تُخَرَّسِ[1]

وأما قينتا ابن خطل فقتلت إحداهما وهربت الأخرى حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدُ فأمَّنها

وأما سارة فاستؤمن لها فأَمنها ، ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرساً فى زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها

وأما الحويرث بن نقيذ فقتله على بن أبى طالب

قال ابن إسحق : وحدثنى سعيد بن أبى هند ، عن أبى مُرَّةَ مولى عقيل ابن أبى طالب ، أن أم هانىء ابنة أبى طالب قالت : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فرَّ إلىَّ رجلان من أحمائى من بنى مخزوم ، وكانت

---

(١) « لم تخرس » أى : لم يصنع لها طعام عند ولادتها ، وذلك كناية عن الجدب وعسر الحال ، والطعام الذى يصنع للنفساء يسمى الخرس

أم هانئ بنت أبى طالب تجير الحرث بن هشام وزهير بن أبى أمية

عند هبيرة بن أبى وهب المخزومى ، قالت : فدخل علىَّ علىٌّ بن أبى طالب أخى ، فقال : والله لأقتلنَّهما ، فأغلقت عليهما باب بيتى ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة ، فوجدته يغتسل من جَفْنَةٍ إنَّ فيها لَأثَرَ العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشَّحَ به ، ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ، ثم انصرف إلى فقال : « مَرْحَبًا وَأَهْلاً بِأُمِّ هَانِىءٍ ، مَاجَاءَ بِكِ ؟ » فأخبرته خبر الرجلين وخبر على ، فقال : « قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ وَأَمَّنَّا مَنْ أَمَّنْتِ فَلاَ يَقْتُلْهُمَا »

قال ابن هشام : هما الحرث بن هشام ، وزهير بن أبى أمية بن المغيرة

طواف رسول الله بالكعبة وخطبته

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبى ثور ، عن صفية بنت شيبة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته ، يستلم الركن بمحجن[1] فى يده ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مِفْتَاحَ الكعبة ففتحت له ، فدخلها ، فوجد فيها حَمَامَةً من عيدان ، فكسرها بيده ، ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكفَّ له الناس[2] فى المسجد

نص الخطبة

قال ابن إسحق : فحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة فقال : « لا إِلَهَ إلا الله وحده ، لا شريك له ،

(١) المحجن — بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الجيم — عود معوج الطرف يمسكه الراكب للبعير فى يده

(٢) استكف له الناس : اجتمعوا ، وأصله الكافة ، وهى الجماعة ، وقد يكون المراد من استكف هنا أنهم نظروا إليه وحدقوا أبصارهم فيه ، وقد يكون معناه أنهم استداروا حوله

صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده، ألاَ كُلُّ مَأْثُرَةٍ أودَمٍ أومَالٍ يُدَّعَى فهو تحت قدمَيَّ هاتين ، إلاسِدَانَةَ البيت وَسِقَايَةَ الحاجّ ، ألا وقتيل الخطأشِبْهِ العمد بالسَّوْطِ والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل أربعون منها فى بطونها أولادها ، يامعشر قريش ، إن الله قد أذْهَبَ عنكم نَخْوَةَ الجاهلية وَتعظُّمَهَا بالآباء ، الناسُ من آدم وآدم من تراب » ثم تلاهذه الآية(٤٩:١٣): (يَاأَيُّهَا النَّاسُ إناخَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى) الآية كلها ، ثم قال : « يَامَعْشَرَ قُرَيْشٍ ؛ مَا تَرَوْنَ أنِّى فَاعِلٌ فِيكم»؟ قالوا: خيرا أخٌ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاء » ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، فقام إليه على بن أبى طالب ومفتاحُ الكعبة فى يده ، فقال : يارسول الله ، اجْمَعْ لَنَا الحِجَابَة مع السقاية صلى الله عليك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أيْنَ عُثمَانُ بْنُ طَلْحَةَ » فدعى له ، فقال : « هَاكَ مِفْتَاحَكَ ياعُثمَانُ الْيَوْمُ يَوْمُ بِرٍّ وَوَفَاء»

قال ابن هشام : وذكر سفيان بن عُيَيْنة أن رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم قال لعلى : « إنمَّا أُعطِيكُمْ مَا تُرْزَؤُونَ لاَ مَا تَرْزَؤُونَ »

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صُوَرَ الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم عليه السلام ، مُصَوَّرًا فى يده الأزلام يَسْتَقْسِمُ بها ، فقال : « قَاتَلَهُمُ الله جعَلُوا شيْخَنَا يَسْتَقْسِمُ بِالأزْلاَمِ ، مَا شَأْنُ إبْرَاهِيمَ وَالأزْلاَمِ (٣ : ٦٧) : (مَا كَانَ إبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) » ثم أمر بتلك الصور كلها فطُمِست .

قال ابن هشام : وحدثنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل

الـكعبة ومعه بِلاَلٌ ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخلَّفَ بلال ، فدخل عبد الله بن عمر على بلال ؛ فسأله : أين صَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ولم يسأله كم صلى ، فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قبل وجهه وجعل الباب قبل ظهره حتى يكون بينه وبين الجدار [قدر] ثلاث أذرع ، ثم يصلى ، يَتَوَخَّى [بذلك] الموضع الذى قال له بلال

أذان بلال فى الكعبة

قال ابن هشام : وحدثنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الـكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذن ، وأبو سفيان بن حرب وعَتَّاب بن أسيد والحرث بن هشام جُلُوسٌ بفناء الـكعبة ، فقال عتاب ابن أسيد : لقد أكرم الله أسيدًا أن لايكون سمع هذا فيسمع منه مايغيظه،

شأن أبى سفيان والحرث بن هشام وعتاب بن أسيد

فقال الحرث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه مُحِقٌّ لاتبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئا لو تـكلمت لأَخْبَرَتْ عنى هذه الحصا ، فخرج عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « قَدْ عَلِمْتُ الَّذِى قُلْتُمْ » ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحرث وعَتَّاب : نشهد أنك رسول الله ، والله ما اطّلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك

قال ابن إسحق : حدثنى سعيد بن أبى سَنْدَر الأسلمى ، عن رجل من قومه ، قال : كان معنا رجل يقال له أحمر بأسا[(١)] ، وكان رجلا شجاعا ، وكان إذا نام غَطَّ[(٢)] غطيطاً مُنْـكَراً لايخفى مكانه ، فـكان

---

(١) « أحمر بأسا » قال أبو ذر : « هو جملة مركبة كحضرموت ونحوه » اه وهذا التعبير الذى عبر به أبو ذر ليس دقيقاً ، وفيه شىء من التساهل ؛ ولـكنه تقريب

(٢) الغطيط : مايسمع من صوت الآدميين إذا ناموا ، وهو صوت فى الحلق

إذا بات فى حَيِّه بات مُعْتَنِزاً [(١)] ، فإذا بُيِّتَ الحى [(٢)] صَرَخوا : يا أحمر ، فيثور مثل الأسد ، لا يقوم لسبيله شىء ، فأقبل غَزِىٌّ من هُذَيل [(٣)] يريدون حاضره [(٤)] ، حتى إذا دَنَوْا من الحاضر قال ابن الأَثْوَعِ الهذلى: لا تعجلوا على حتى أنظر ؛ فان كان فى الحاضر أحمر فلا سبيل إليهم ، فانَّ له غَطِيطًا لا يخفى ، قال : فاستمع ، فلما سمع غطيطه مشى إليه حتى وَضع السيف فى صدره ، ثم تحامل عليه حتى قتله ، ثم أغاروا على الحاضر ، فصرخوا : يا أحمر ، ولا أحمر لهم ، فلما كان عام الفتح ، وكان الغد من يوم الفتح أتى ابن الأثوع الهذلى حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس ، وهو على شركه ، فرأته خزاعة ، فعرفوه ، فأحاطوا به ، وهو إلى جنب جدار من جُدُر مكة ، يقولون: أأنت قاتل أحمر ؟ قال : نعم أنا قاتل أحمر فمه [(٥)] ، قال : إذ أقبل خِرَاشُ ابن أمية مشتملا على السيف ، فقال هكذا عن الرجل [(٦)] ، ووالله ما نَظُنُّ

---

(١) معتنزاً : أى فى ناحية من الحى ، ويقال : هذا بيت معتنز ؛ إذا كان خارجاً عن بيوت الحى

(٢) بيت الحى : جاءهم الغزاة فى وقت البيات

(٣) الغزى : جماعة القوم الغزاة

(٤) الحاضر : الذين ينزلون على الماء

(٥) فمه : هى ، ما الاستفهامية وهذه الهاء هى هاء السكت ، والمعنى ما الذى تريدون أن تصنعوا

(٦) قال أبو ذر : « هكذا عن الرجل : هكذا اسم سمى به الفعل ، ومعناه تنحوا عن الرجل ، وعن متعلقة بما فى هكذا من معنى الفعل » اه كلامه قال أبو رجاء : ولا أعلم أن هكذا تستعمل هذا الاستعمال ؛ والذى يبدو لى أن كلمة هكذا من كلام الراوى ؛ وأنه أراد بها أن يصور حاله حين قدم إذ كان

إلا أنه يريد أن يُفَرِّجَ الناس عنه ، فلما انفَرَجْنَا عنه حمل عليه فطعنه بالسيف في بطنه ، فوالله لكأني أنظر إليه وحِشْوَتُه[1] تسيل من بطنه ، وإنَّ عينيه لتَرَنَّقَان[2] في رأسه . وهو يقول : أقد فعلتموها يا معشر خزاعة ؟ حتى انْجَعَفَ[3] ، فوقع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا مَعْشَرَ خُزَاعَةَ ارْفَعُوا أيْدِيَكُمْ عَنِ الْقَتْلِ فَقَدْ كَثُرَ الْقَتْلُ إنْ نَفَعَ لَقَدْ قَتَلْتُمْ قَتِيلاً لأدِيَنَّهُ » .

قال ابن إسحق : وحدثني عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي ، عن سعيد ابن المسيب ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع خِرَاشُ بن أميَّة قال : « إنَّ خِرَاشاً لَقَتَّالٌ » يعيبهُ بذلك .

خطبة رسول الله غداة يوم الفتح

قال ابن إسحق : وحدثني سعيد بن أبي سعيد الْمَقْبُرِيُّ ، عن أبي شريح الخزاعي ، قال : لما قدم عمرو بن الزبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جئته فقلت له : يا هذا ، إنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة فلما كان الغَدُ من يوم الفتح عَدَتْ خُزَاعَةُ على رجل من هُذَيْل ، فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً فقال : « يا أيها الناس ، إنَّ الله حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأرْضَ فَهِيَ حَرَامٌ مِنْ حَرَامٍ إلى يَوْمِ الْقِيَامَة ، فَلاَ يَحِلُّ لاِمْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ

يفرق الناس بيديه ، ولم يقل إلا « عن الرجل » وهو جار ومجرور متعلق بمحذوف يرشد إليه الحال . فتنبه لذلك

(١) الحشوة : ما اشتمل عليه البطن من الأمعاء وغيرها

(٢) ترنقان : يريد أنهما قريبتان أن تنغلقا ، وتقول : رنقت الشمس للغروب ، إذا دنت منه ، وتقول : رنقه النعاس : إذا ابتدأه قبل أن تنغلق عينه

(٣) انجعف : أي سقط سقوطاً شديداً ، تقول : انجعفت الثمرة ؛ إذا انقلعت أصولها فسقطت

وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ فِيهَا دَماً وَلاَ يَعْضِدَ (١) فِيهَا شَجَرًا ، لَمْ تَحْلُلْ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي وَلاَ تَحِلُّ لِأَحَدٍ يَكُونُ بَعْدِي وَلَمْ تُحْلَلْ لِي إِلاَّ هٰذِهِ السَّاعَةَ غَضَبًا عَلَى أَهْلِهَا أَلاَ ثُمَّ قَدْ رَجَعَتْ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ ؛ فَمَنْ قَالَ لَكُمْ إِنَّ رَسُولَ اللهِ [صلى الله عليه وسلم] قَاتَلَ فِيهَا فَقُولُوا إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَلَّهَا لِرَسُولِهِ وَلَمْ يُحِلَّهَا لَكُمْ ، يَامَعْشَرَ خُزَاعَةَ ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ عَنِ الْقَتْلِ فَلَقَدْ كَثُرَ الْقَتْلُ إِنْ نَفَعَ لَقَدْ قَتَلْتُمْ قَتِيلاً لَأَدِيَنَّهُ فَمَنْ قُتِلَ بَعْدَ مَقَامِي هٰذَا فَأَهْلُهُ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ إِنْ شَاءُوا فَدَمُ قَاتِلِهِ وَإِنْ شَاءُوا فَعَقْلُهُ » ثم وَدَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة ، فقال عمرو لأبي شريح : انصرف أيها الشيخ فنحن أعلم بحرمتها منك ، إنها لا تمنع سافكَ دمٍ ، ولا خالعَ طاعةٍ ، ولا مانعَ جزيةٍ ، فقال أبو شريح : إني كنت شاهدا وكُنْتَ غائبا ، ولقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ شاهدنا غائبنا ، وقد أبلغتك فأنت وشأنك .

قال ابن هشام : وبلغني أن أول قتيل وَدَاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح جُنَيْدِبُ بن الأكوع ، قتلته بنو كعب ، فوَدَاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائة ناقة .

مقالة الانصار يوم الفتح

قال ابن هشام : وبلغني عن يحيى بن سعيد ، أن النبي صلى الله عليه وسلم — حين افتتح مكة ودخلها — قام على الصفا يدعو [الله] ، وقد أَحْدَقَتْ به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أَتُرَوْنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إِذْ فَتَحَ الله عليه أَرْضَهُ وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال : « مَاذَا قُلْتُمْ »؟ قالوا : لاشيء يارسول الله ، فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَعَاذَ اللهِ الْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُم »

(١) يعضد : يقطع ، تقول : عضدت الشجرة ، إذا قطعتها

وقوع الأصنام بإشارة النبى

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل الرواية ، فى إسناد له عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول البيت أصنام مَشْدُودَة بالرصاص ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب فى يده إلى الأصنام ويقول (١٧ : ٨١) : (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) فما أشار إلى صنم منها فى وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقى منها صنم إلا وقع ، فقال تميم بن أسد الخزاعى فى ذلك : —

وَفِى الأَصْنَامِ مُعْتَبَرٌ وَعِلْمٌ لِمَنْ يَرْجُو الثَّوابَ أَوِ الْعِقَابَا

شأن فضالة ابن عمير الليثى

قال ابن هشام : وحدثنى أن فَضَالة بن عُمَيْر بن الْمُلَوَّح الليثى أراد قتل النبى صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَفَضَالَةُ » قال : نعم فضالة يارسول الله ، قال : « مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ » ؟ قال : لا شىء كنت أذكر الله عز وجل ، قال : فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال : « اسْتَغْفِرِ اللهَ » ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يَدَهُ عن صدرى حتى ما من خلق الله شىءٌ أَحَبُّ إلى منه ، قال فضالة : فرجعت إلى أهلى فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها ، فقالت : هَلُمَّ إلى الحديث ، فقلت : لا ، وانبعث فَضَالةُ يقول : —

قَالَتْ : هَلُمَّ إِلَى الْحَدِيثِ ، فَقُلْتُ : لا
يَأْبَى عَلَيْكِ اللهُ والإِسْلَامُ
لَوْمَا رَأَيْتِ مُحَمَّدًا وَقَبِيلَهُ بِالْفَتْحِ يَوْمَ تُكَسَّرُ الأَصْنَامُ
لَرَأَيْتِ دِينَ اللهِ أَضْحَى بَيِّنًا وَالشِّرْكُ يَغْشَى وَجْهَهُ الإِظْلَامُ

شأن صفوان ابن أمية

قال ابن إسحق: فحدثني محمد بن جعفر، عن عروة [بن الزبير]، قال: خرج صَفْوَانُ بن أمية يريد جُدَّة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير بن وهب: يانبي الله، إن صفوان بن أمية سَيِّدُ قومه، وقد خرج هاربا منك لِيَقْذِفَ نفسه فى البحر، فأَمِّنْهُ صلى الله عليك وسلم، قال: «هُوَ آمِنٌ» قال: يارسول الله، فأعطني آيَةً يعرف بها أمانك، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التى دخل فيها مكة، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب [فى] البحر فقال: ياصَفْوَانُ، فِدَاكَ أبى وأمى، اللهَ اللهَ فى نفسك أن تهلكها فهذا أمانٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به، قال: ويحك!!! أُغْرُبْ عنى فلا تكلمنى، قال: أىْ صفوانُ، فِدَاكَ أبى وأمى، أفْضَلُ الناس، وأَبَرُّ الناس، وأحلم الناس، وخير الناس، ابن عمك عِزُّه عِزُّكَ، وشرفه شرفك، وملكه ملكك، قال: إنى أخافه على نفسى، قال: هو أحلم من ذاك وأكرم، فرجع معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك قد أَمَّنْتَنِى، قال: «صَدَقَ» قال: فاجعلنى فيه بالخيار شهرين، قال: «أَنْتَ بِالْخِيَارِ فِيهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ»

قال ابن هشام: وحدثنى رجل من قريش من أهل العلم أن صفوان قال لعمير: ويحك!!! أُغْرُبْ عنى فلا تكلمنى فانك كَذَّاب، لما كان صنع به، وقد ذكرناه فى آخر حديث يوم بدر

قال ابن إسحق: وحدثنى الزهرى أن أم حكيم بنت الحرث بن هشام وَفَاخِتَةَ بنت الوليد، وكانت فاختة عند صفوان بن أمية وأم حكيم عند عكرمة بن أبى جهل؛ أسلمتا، فأما أم حكيم فاستأمنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لعكرمة فأمنه، فلحقت به باليمن فجاءت به، فلما أسلم عكرمة

وصفوان أقرَّهُمَا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها على النكاح الأول

شأن ابن الزبعرى قال ابن إسحق : وحدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال : رمى حسانُ ابنَ الزِّبَعْرَى وَهو بِنَجْرَانَ ببيت واحد مازاد عليه : —

لَا تَعْدَمَنْ رَجُلاً أَحَلَّكَ بُغْضُهُ نَجْرَانَ فِي عَيْشٍ أَحَذَّ لَئِيمِ (١)

إسلام ابن الزبعرى فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال حين أسلم : —

يَارَسُولَ الْمَلِيكِ ، إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ (٢)

إِذْ أُبَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الْـغَيِّ وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ (٣)

آمَنَ اللَّحْمُ وَالْعِظَامُ لِرَبِّي ثُمَّ قَلْبِي الشَّهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ

إِنَّنِي عَنْكَ زَاجِرٌ ثَمَّ حَيًّا مِنْ لُؤَيٍّ وَكُلُّهُمْ مَغْرُورُ

قال ابن إسحق : وقال عبد الله بن الزبعرى أيضاً حين أسلم [رضى الله عنه] : —

منع الرقاد بلابِلٌ وَهمومَ وَاللَّيْلُ مُعْتَلِجُ الرِّوَاقِ بَهِيمُ (٤)

(١) « عيش أحذ » تروى هذه الكلمة بالحاء المهملة والذال المعجمة، وتروى بجيم موحدة فدال مهملة ؛ فأما من رواه بالحاء والذال فمعناه القليل المنقطع ، وأما من رواه بالجيم والدال فهو المنقطع أيضا

(٢) راتق : ساد ؛ تقول : رتق الفتق ، إذا سده ، ومعناه مصلح ما كنت أفسدته ، وفى التنزيل : (كانتا رتقا ففتقناهما) والبور : الهالك

(٣) أبارى : أعارض وأجارى ، والسنن ـ بفتح السين والنون ـ وسط الطريق ، ومثبور : هالك ، من الثبور وهو الهلاك

(٤) البلابل : الوساوس المختلطة والأحزان ، ومعتلج : مضطرب يركب بعضه بعضا ، والبهيم : الذى لا ضياء فيه

مِمَّا أَتَانِي أَنَّ أَحْمَدَ لاَمَنِي ... فِيهِ فَبِتُّ كَأَنَّنِي مَحْمُومُ
يَا خَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَى أَوْصَالِهَا ... عَيْرَانَةٌ سُرُحُ الْيَدَيْنِ غَشُومُ[(1)]
إِنِّي لَمُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي ... أَسْدَيْتُ إِذْ أَنَا فِي الضَّلاَلِ أَهِيمُ[(2)]
أَيَّامَ تَأْمُرُنِي بِأَغْوَى خُطَّةٍ ... سَهْمٌ وَتَأْمُرُنِي بِهَا مَخْزُومُ
وَأُمِدُّ أَسْبَابَ الرَّدَى وَيَقُودُنِي ... أَمْرُ الْغُوَاةِ وَأَمْرُهُمْ مَشْؤُومُ[(3)]
فَالْيَوْمَ آمَنَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... قَلْبِي، وَمُخْطِئُ هَذِهِ مَحْرُومُ
مَضَتِ الْعَدَاوَةُ وَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا ... وَدَعَتْ أَوَاصِرُ بَيْنَنَا وَحُلُومُ[(4)]
فَاغْفِرْ فِدًى لَكَ وَالِدَايَ كِلاَهُمَا ... زَلَلِي فَإِنَّكَ رَاحِمٌ مَرْحُومُ
وَعَلَيْكَ مِنْ عِلْمِ الْمَلِيكِ عَلاَمَةٌ ... نُورٌ أَغَرُّ وَخَاتَمٌ مَخْتُومُ
أَعْطَاكَ بَعْدَ مَحَبَّةٍ بُرْهَانَهُ ... شَرَفًا وَبُرْهَانُ الْإِلَهِ عَظِيمُ

---

(١) العيرانة : الناقة التي تشبه العير (وهو حمار الوحش) فى شدته ونشاطه ، وسرح اليدين : خفيفة اليدين ، وغشوم : ظلوم ، يعنى أن مشيها فيه خفاء ، ويروى فى مكان هذه الكلمة « رسوم » ومعناه أنها ترسم الأرض وتؤثر فيها من شدة وطئها ، أو هو من الرسيم وهو من ضرب الابل

(٢) أسديت : صنعت ، والمشهور إطلاق هذا اللفظ فى صنع المعروف ، ولكنه هنا جرده من بعض معناه ، وأراد بالذى صنعه ما كان يقول من الشعر فى هجاء النبي وأصحابه أيام كفره ، وقد سبق ذكر جملة منه ، وأهيم : أذهب على وجهى متحيرا

(٣) الردى : الهلاك

(٤) الأواصر : جمع آصرة ، وهى قرابة الرحم بين الناس ، والحلوم : جمع حلم ، وهو العقل

وَلَقَدْ شَهِدْتُ بِأَنَّ دِينَكَ صَادِقٌ حَقٌّ وَأَنَّكَ فِي الْعِبَادِ جَسِيمُ(١)
وَاللهُ يَشْهَدُ أَنَّ أَحْمَدَ مُصْطَفًى مُسْتَقْبَلٌ فِي الصَّالِحِينَ كَرِيمُ(٢)
قَرْمٌ عَلاَ بُنْيَانُهُ مِنْ هَاشِمٍ فَرْعٌ تَمَكَّنَ فِي الذُّرَا وَأُرُومُ(٣)

قال ابن هشام : و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له

شأن هبيرة بن أبى وهب المخزومى

قال ابن إسحق : وأما هُبَيْرة بن أبى وهب المخزومى فأقام بها حتى مات كافراً ، وكانت عنده أم هانىء ابنة أبى طالب ، واسمها هند ، وقد قال حين بلغه إسلام أم هانىء : —

أَشَاقَتْكَ هِنْدٌ أَمْ أَتَاكَ سُؤَالُهَا كَذَاكَ النَّوَى أَسْبَابُهَا وَانْفِتَالُهَا(٤)
وَقَدْ أَرَّقَتْ فِي رَأْسِ حِصْنٍ مُمَنَّعٍ بِنَجْرَانَ يَسْرِي بَعْدَ لَيْلٍ خَيَالُهَا(٥)
وَعَاذِلَةٍ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي وَتَعْذِلُنِي بِاللَّيْلِ ضَلَّ ضَلاَلُهَا(٦)
وَتَزْعُمُ أَنِّي إِنْ أَطَعْتُ عَشِيرَتِي سَأَرْدَى وَهَلْ يُرْدِينِ إِلاَّ زِيَالُهَا(٧)

---

(١) جسيم : عظيم

(٢) مستقبل : ملحوظ منظور إليه كأن كل أحد قد جعله قبالته

(٣) قرم : أصله الفحل من الابل ، والمراد به السيد ، والذرا : الأعالى . والأروم : الأصول

(٤) « أتاك » هكذا وقع فى أكثر نسخ الأصل ، وفى نسخة أبى ذر مكانه « نآك » ومعناه بعد عنك ، والنأى : البعد ، وانفتالها : يروى بالفاء الموحدة ، ومعناه تقلبها من حالة إلى حالة ، ويروى فى مكانه « وانتقالها » بالقاف

(٥) أرقت : أزالت النوم ، ونجران : بلد ، ويسرى : يسير ليلا

(٦) هبت : استيقظت من نومها ، وضل ضلالها : دعاء عليها بالضلال

(٧) أردى — بفتح الدال ، من باب رضى يرضى — أى : أهلك ، وزيالها : ذهابها

فَإنِّى لَمِنْ قَوْمٍ إذَا جَدَّ جِدُّهُمْ عَلى أَىِّ حَالٍ أَصْبَحَ الْيَوْمَ حَالُهَا
وَإنِّى لَحَامٍ مِنْ وَرَاءِ عَشِيرَتِى إذَا كَانَ مِنْ تَحْتِ الْعَوَالِى مَجَالُهَا (١)
وَصَارَتْ بِأَيْدِيهَا السُّيُوفُ كَأَنَّهَا مَخَارِيقُ وِلْدَانٍ وَمِنْهَا ظِلَالُهَا (٢)
وَإنِّى لَأَقْلِى الْحَاسِدِينَ وَفِعْلَهُمْ عَلَى اللهِ رِزْقِى نَفْسُهَا وَعِيَالُهَا (٣)
وَإنَّ كَلَامَ الْمَرْءِ فِى غَيْرِ كُنْهِهِ لَكَالنَّبْلِ تَهْوِى لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا (٤)
فَإنْ كُنْتِ قَدْ تَابَعْتِ دِينَ مُحَمَّدٍ وَعَطَّفَتِ الْأَرْحَامَ مِنْكِ حِبَالُهَا
فَكُونِى عَلَى أَعْلَى سَحِيقٍ بِهَضْبَةٍ مُمَلْمَلَةٍ غَبْرَاءَ يَبْسٍ بِلَالُهَا (٥)

[قال ابن إسحق : ويروى « وقَطَّعَتِ الْأَرْحَامَ مِنْكِ حِبَالُهَا »]

جميع من شهد فتح مكة من المسلمين

قال ابن إسحق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف : من بنى سُلَيم سَبْعُمائة ، ويقول بعضهم : أَلْف ، ومن بنى غفار أربعمائة ، ومن أسلم أربعمائة ، ومن مُزَيْنة ألف وثلاثة نفر ، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد

---

(١) العوالى : جمع عالية ، وهى أعلى الرمح

(٢) مخاريق : جمع مخراق ، وهو منديل يمسكه الصبى بيده ويضرب به ، شبه السيوف به

(٣) أقلى : أبغض ، والقلى - بكسر القاف - البغض ، وقد قلاه يقليه وقلاه يقلوه وفى التنزيل : (ما ودعك ربك وما قلى)

(٤) « فى غير كنهه » أى فى غير حقيقته ، وكنه الشىء : حقيقته وما هو عليه ، والنصال : حديد السهام

(٥) السحيق : البعيد ، والهضبة : الكدية العالية ، والململة : المستديرة والغبراء : التى علاها الغبار ، واليبس : اليابس

قصيدة لحسان بن ثابت الأنصارى فى فتح مكة

وكان مما قيل من الشعر فى يوم الفتح قول حسان بن ثابت الأنصارى

عَفَتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجِوَاءُ ... إِلَى عَذْرَاءَ مَنْزِلُهَا خَلَاءُ (١)

دِيَارٌ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفْرٌ ... تُعَفِّيهَا الرَّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ (٢)

وَكَانَتْ لَا يَزَالُ بِهَا أَنِيسٌ ... خِلَالَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وَشَاءُ (٣)

فَدَعْ هَذَا وَلَكِنْ مَنْ لِطَيْفٍ ... يُؤَرِّقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ (٤)

لِشَعْثَاءَ الَّتِي قَدْ تَيَّمَتْهُ ... فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءُ (٥)

كَأَنَّ خَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ ... يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ (٦)

---

(١) عفت : درست وتغيرت ، وذات الأصابع والجواء : موضعان فى بلاد الشام بأكناف دمشق ، وعذراء : موضع على بريد من دمشق ، وهذه المواضع كانت بها منازل بنى جفنة ملوك غسان الذين كان ينتجعهم حسان رضى الله عنه فى أيام الجاهلية ، فهو لايفتأ يذكرها ، ومنزلها : إنما أفرده لأنه حين أضافه فقد آذن بعمومه ، وخلاء : قفر خال

(٢) الحسحاس ههنا وصف وليس علما ، والحسحاس : الرجل الجواد الذى يطرد الجوع بسخائه ، وقفر : موحشة خالية ، والروامس : الرياح التى تثير التراب فترمس به الآثار : أى تطمسها وتعفيها ، والسماء : أراد به هنا المطر

(٣) المروج : جمع مرج ، وهو الأرض الواسعة ذات الكلأ ، والنعم : الابل ، وهم يخصون الابل بهذا الاسم لأنها أكثر أموالهم ، والشاء : الغنم

(٤) الطيف : الخيال الذى يلم فى النوم ، ويؤرقنى : يسهرنى ويذهب نومى ، وقوله « إذا ذهب العشاء » أراد إذا حان موعد النوم

(٥) شعثاء : قيل هى بنت سلام بن مشكم ، وقيل : هى امرأة من خزاعة وتيمته : أى استولت على قلبه وذللته وذهبت به كل مذهب

(٦) خبيئة : مخبوءة ، ويروى فى مكانه « سبيئة » والمراد على أية حال الخمر ، وبيت رأس : موضع بالأردن مشهور بالخمر ، وفى الديوان بعد هذا البيت قوله :ـ

إِذَا مَا الأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا ... فَهُنَّ لِطَيِّبِ الرَّاحِ الْفِدَاءُ (١)
نُوَلِّيهَا الْمَلَامَةَ إِنْ أَلَمْنَا ... إِذَا مَا كَانَ مَغْثٌ أَوْ لِحَاءُ (٢)
وَنَشْرَبُهَا فَتَتْرُكُنَا مُلُوكًا ... وَأُسْدًا مَا يُنَهْنِهُنَا اللِّقَاءُ (٣)
عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ (٤)
يُنَازِعْنَ الأَعِنَّةَ مُصْغِيَاتٍ ... عَلَى أَكْتَافِهَا الأَسَلُ الظِّمَاءُ (٥)
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ... يُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ (٦)
فَإِمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ (٧)

عَلَى أَنْيَابِهَا أَوْ طَعْمَ غَضٍّ ... مِنَ التُّفَّاحِ هَصَّرَهُ الْجَنَاءُ

(١) يريد إذا ذكرت الأشربة فهذه الخمر أفضلها .

(٢) ألمنا : أتينا ما نلام عليه ، والمغث : الشر والقتال ، وهو الأخذ باليد ، واللحاء : السباب والشتم ، يقول : إننا ننسب إلى الخمر ما يكون منا إذا شربناها مما يستحق اللوم

(٣) ينهنهنا : يزجرنا ويردنا ، واللقاء : أراد به لقاء الأعداء ، والمراد أنهم إذا شربوها لم يهابوا لقاء العدى

(٤) النقع : الغبار ، وكداء : الثنية العليا بمكة مما يلي المقابر ، وهي المعلى

(٥) ينازعن : يروى في مكانه « يبارين » والمراد أن الخيل تجاري الأعنة ، وذلك كناية عن لينها وسرعة انقيادها ، ومصغيات : مستمعات ، ويروى في مكانه « مصعدات » والأسل : الرماح ، والظماء : العطاش

(٦) متمطرات : ذاهبة مسرعة يسبق بعضها بعضا ، وتلطمهن : تضرب خدودهن لتردهن ، والخمر : جمع خمار ، وهو ما تغطى به المرأة وجهها ، وقد روى أن نساء مكة يوم الفتح ظللن يضربن بخمرهن وجوه الخيل ليرددنها

(٧) اعتمرنا : أدينا مناسك العمرة ، وانكشف الغطاء : ظهر ما كان خافيا

وَإِلاَّ فَاصْبِرُوا لِجِلاَدِ يَوْمٍ ... يُعِينُ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ (١)
وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللهِ فِينَا ... وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ (٢)
وَقَالَ اللهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا ... يَقُولُ الْحَقَّ إِنْ نَفَعَ الْبَلاَءُ (٣)
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صَدِّقُوهُ ... فَقُلْتُمْ لاَ نَقُومُ وَلاَ نَشَاءُ
وَقَالَ اللهُ قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا ... هُمُ الأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ (٤)
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ ... سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
فَنُحْكِمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا ... وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدِّمَاءُ (٥)
أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي ... مُغَلْغَلَةً فَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ (٦)
بِأَنَّ سُيُوفَنَا تَرَكَتْكَ عَبْدًا ... وَعَبْدُ الدَّارِ سَادَتُهَا الإِمَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا وَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ (٧)

---

(١) الجلاد : المضاربة بالسيوف ، وقوله « يعين الله » يروى فى مكانه « يعز الله »

(٢) أصل القدس الطهارة ، والمراد بروح القدس جبريل عليه السلام ، وليس له كفاء : أى ليس له مثل ولا نظير ، يريد لا يقوم له أحد

(٣) أراد بالعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والبلاء : الاختبار

(٤) عرضتها اللقاء : أراد عادتها التى جرت على أن تتعرض لعملها

(٥) نحكم : نمنع ، ومنه قول جرير :—

أَبَنِي حَنِيفَةَ أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكُمْ ... إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمُ أَنْ أَغْضَبَا

(٦) المغلغلة : الرسالة ترسل من بلد إلى بلد ، وقد روى فى الديوان :—

أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي ... فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ

والمجوف : الجبان ، وأصله الخالى الجوف ، والنخب والهواء : مثله

(٧) الجزاء : المكافأة على الشىء ، سواء أكان خيرا أم شرا

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ
هَجَوْتَ مُبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا أَمِينَ اللهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ (١)
أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ (٢)
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ
لِسَانِي صَارِمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَبَحْرِي لَا تُكَدِّرُهُ الدِّلَاءُ (٣)

قال ابن هشام: قالها حسان [قبل] يوم الفتح، ويروى «لساني صارم لاعَتْبَ فيه (٤)» وبلغني عن الزهرى أنه قال: لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يلطمن الخيل بالخمر تبسم إلى أبي بكر الصديق رضى الله عنه.

قصيدة لأنس ابن زنيم الديلى

قال ابن إسحق: وقال أنس بن زُنَيْم الدِّيلى يعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعى: —

أَأَنْتَ الَّذِي تُهْدَى مَعَدٌّ بِأَمْرِهِ بَلِ اللهُ يَهْدِيهِمْ وَقَالَ لَكَ أَشْهَدِ
وَمَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا أَبَرَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدِ (٥)

---

(١) الحنيف: أصله المائل، مأخوذ من الحنف، ويقال: رجل أحنف وحنيف، ورجال حنفاء، وأراد بالحنيف هنا المسلم لأنه مال عن الباطل إلى الحق، ويروى فى مكانه «حق» وهو المبالغ فى الشىء والبحث عنه، وشيمته: طبيعته

(٢) يريد أمن يهجو رسول الله ومن يمدحه سواء؛ بدليل الاخبار عنه بسواء التى لا يخبر بها إلا عن متعدد، فحذف الاسم الموصول المعطوف على الموصول وأبقى صلته

(٣) أصل الصارم السيف القاطع، فشبه به لسانه

(٤) لاعتب فيه: يريد لا لوم، لأنه إنما يرد عليكم، ويهجوكم وأنتم لذلك أهل

(٥) الذمة — بكسر الذال وتشديد الميم — العهد

أَحَثَّ عَلَى خَيْرٍ وَأَسْبَغَ نَائِلاً
إِذَا رَاحَ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ الْمُهَنَّدِ (١)
وَأَكْسَى لِبُرْدِ الْخَالِ قَبْلَ ابْتِذَالِهِ
وَأَعْطَى لِرَأْسِ السَّابِقِ الْمُتَجَرِّدِ (٢)
تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي
وَأَنَّ وَعِيدًا مِنْكَ كَالأَخْذِ بِالْيَدِ (٣)
تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ صِرْمٍ مُتْهِمِينَ وَمُنْجِدِ (٤)
تَعَلَّمْ بِأَنَّ الرَّكْبَ رَكْبَ عُوَيْمِرٍ
هُمُ الْكَاذِبُونَ الْمُخْلِفُو كُلِّ مَوْعِدِ
وَنَبَّوْا رَسُولَ اللهِ أَنِّي هَجَوْتُهُ فَلاَ حَمَلَتْ سَوْطِي إِلَيَّ يَدِي
سِوَى أَنَّنِي قَدْ قُلْتُ وَيْلُ اُمِّ فِتْيَةٍ
أُصِيبُوا بِنَحْسٍ لَا بِطَلْقٍ وَأَسْعُدِ (٥)

---

(١) أحث: أسرع، وأشد حثاً للناس واستنهاضاً لهممهم، وأسبغ: أكمل وأضفى، والنائل: العطاء، والمهند: الصارم

(٢) الخال: ضرب من برود اليمن، وابتذاله: استعماله حتى يبتذل، والسابق هنا: الفرس، والمتجرد: أراد به الذي يسبق الخيل

(٣) تعلم: معناه اعلم، والوعيد: التهديد

(٤) صرم - بكسر فسكون - البيوت المجتمعة، ومتهمين: أي يسكنون تهامة، والمنجد: الذي يسكن نجدا. وأراد بتهامة المنخفض من الأرض وبنجد المرتفع منها

(٥) «طلق» يقال: يوم طلق، إذا لم يكن فيه حر ولا برد ولا شيء يؤذى، وكذلك قولهم: ليلة طلقة

أَصَابَهُمُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ
كِفَاءً فَعَزَّتْ عَبْرَتِى وَتَبَلُّدِى (١)

فَانَّكَ قَدْ أَخْفَرْتَ إِنْ كُنْتَ سَاعِيًا
بِعَبْدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ وَابْنَةِ مَهْوَدِ (٢)

ذُؤَيْبٌ وَكُلْثُومٌ وَسَلْمَى تَتَابَعُوا
جَمِيعًا فَالاًّ تَدْمَعِ الْعَيْنُ أَكْمَدِ (٣)

وَسَلْمَى وَسَلْمَى لَيْسَ حَيٌّ كَمِثْلِهِ وَإِخْوَتُهُ وَهَلْ مُلُوكٌ كَأَعْبُدِ

فَإِنِّىَ لَادِينًا فَتَقْتُ وَلَا دَمًا هَرَقْتُ تَبَيَّنْ عَالِمَ الْحَقِّ وَاقْصِدِ

فأجابه بُدَيل بن عبد مناف بن أم أصرم، فقال : —

جواب بديل بن عبد مناف مجيب أنس بن زنيم

بَكَى أَنَسٌ رَزْنًا فَأَعْوَلَهُ الْبُكَا فَأَلاَّ عَدِيًّا إِذْ تُطَلُّ وَتُبْعَدُ (٤)

بَكَيْتَ أَبَا عَبْسٍ لِقُرْبِ دِمَائِهَا فَتُعْذَرَ إِذْ لَا يُوقِدُ الْحَرْبَ مُوقِدُ

أَصَابَهُمُ يَوْمَ الْخَنَادِمِ فِتْيَةٌ كِرَامٌ فَسَلْ، مِنْهُمْ نُفَيْلٌ وَمَعْبَدُ (٥)

---

(١) كفاء : أراد نظيرا ومكافئا ، وعزت : اشتدت حتى غلبتنى ، ومنه قوله تعالى : (وعزنى فى الخطاب) ، والعبرة : الدمعة ، وتبلدى : تحيرى ، ويروى « تجلدى » وهو الصبر

(٢) أخفرت : نقضت العهد

(٣) أكمد : هو من الكمد ، وهو الحزن

(٤) العويل : رفع الصوت بالبكاء ، وأعوله : صيره ذا عويل ، وتطل - بالبناء للمجهول - تهدر دماؤها وتبطل ولا تؤخذ بثأرها

(٥) يوم الخنادم : أراد يوم الخندمة ، وقد سبق ذكره قريباً جداً وإنما جمع لأنه أراده مع ما يليه ، والخندمة : موضع

هُنَالِكَ إِنْ تَسْفَحْ دُمُوعُكَ لَا تُلَمْ
عَلَيْهِمْ أَوِ انْ لَمْ تَدْمَعِ الْعَيْنُ فَا كْمَدُوا (١)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له

قال ابن إسحق : وقال بُجَيْر بن زهير بن أبى سُلْمى فى يوم الفتح :

قصيدة لبجير ابن زهير بن أبى سلمى فى يوم الفتح

نَفَى أَهْلَ الْحَبَلَّقِ كُلَّ فَجٍّ مُزَيْنَةُ غُدْوَةً وَبَنُو خُفَافِ (٢)
ضَرَبْنَاهُمْ بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتْحِ النَّ بِيِّ الْخَيْرِ بِالْبِيضِ الْخِفَافِ (٣)
صَبَحْنَاهُمْ بِسَبْعٍ مِنْ سُلَيْمٍ وَأَلْفٍ مِنْ بَنِي عُثْمَانَ وَافِ
نَطَا أَكْتَافَهُمْ ضَرْبًا وَطَعْنًا وَرَشْقًا بِالْمُرَيَّشَةِ اللِّطَافِ (٤)
تَرَى بَيْنَ الصُّفُوفِ لَهَا حَفِيفًا
كَمَا انْصَاعَ الْفُوَاقُ مِنَ الرِّصَافِ (٥)

---

(١) تسفح : تسيل ، وا كدوا : هو من الكمد ، وهو الحزن . ووقع فى رواية « فاكمد » مكسور الدال على الأصل ، لأمر الواحد . وفى البيت على ذلك إقواء.

(٢) الحبلق : الغنم الصغار ، قال فى القاموس : « الحبلق - كعملس - غنم صغار لاتكبر ، أو قصار المعز ودمامها »

(٣) الخير - بفتح فسكون - هو مخفف خير - بفتح فياء شددة - كهين لين

(٤) نطا : أراد نطأ . فأبدل الهمزة ألفا ، والرشق : الرمى السريع ، والمريشة : أراد بها السهام التى لها ريش

(٥) الحفيف : الصوت ، وانصاع : انشق ، والفواق - بضم الفاء كغراب - طرف السهم الذى يلى الوتر ، والمعروف فيه فوق بضم الفاء والواو ساكنة ، والرصاف - ككتاب - جمع رصفة - بفتحات - وهى العقب الذى يكون على السهم

فَرُحْنَا وَالْجِيَادُ تَجُولُ فِيهِمْ ... بِأَرْمَاحٍ مُقَوَّمَةِ الثِّقَافِ
فَأُبْنَا غَانِمِينَ بِمَا اشْتَهَيْنَا ... وَآبُوا نَادِمِينَ عَلَى الْخِلَافِ
وَأَعْطَيْنَا رَسُولَ اللهِ مِنَّا ... مَوَاثِقَنَا عَلَى حُسْنِ التَّصَافِي (١)
وَقَدْ سَمِعُوا مَقَالَتَنَا فَهَمُّوا ... غَدَاةَ الرَّوْعِ مِنَّا بِانْصِرَافِ (٢)

كلمة لعباس بن مرداس السلمى فى يوم الفتح

قال ابن هشام : وقال عبَّاسُ بن مِرْداس السُّلَمِيُّ فى فتح مكة : —

مِنَّا بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتْحِ مُحَمَّدٍ ... أَلْفٌ تَسِيلُ بِهِ الْبِطَاحُ مُسَوَّمُ (٣)
نَصَرُوا الرَّسُولَ وَشَاهَدُوا أَيَّامَهُ ... وَشِعَارُهُمْ يَوْمَ اللِّقَاءِ مُقَدَّمُ (٤)
فِى مَنْزِلٍ ثَبَتَتْ بِهِ أَقْدَامُهُمْ ... ضَنْكٍ كَأَنَّ الْهَامَ فِيهِ الْحَنْتَمُ (٥)
جَرَّتْ سَنَابِكَهَا بِنَجْدٍ قَبْلَهَا ... حَتَّى اسْتَقَادَ لَهَا الْحِجَازُ الْأَدْهَمُ
اللهُ مَكَّنَهُ لَهُ وَأَذَلَّهُ ... حُكْمُ السُّيُوفِ لَنَا وَجَدٌّ مِزْحَمُ

---

(١) التصافى : أراد صفاء القلوب على الطاعة

(٢) الروع : الفزع ، ومنا : متعلق بالروع ، وبانصراف : متعلق بهموا

(٣) البطاح : جمع بطحاء ؛ وهى الأرض السهلة المتسعة ، ومسوم : مرسل ، ويقال : هو المعلم بعلامة

(٤) شعارهم : علامتهم فى الحرب

(٥) ضنك : أى ضيق ؛ والهام هنا : الرأس ، والحنتم - بفتحتين بينهما سكون - الحنظل ، يريد أنها تطيح وتطير كما يطير الحنظل عند هصره

عَوْدُ الرِّيَاسَةِ شَامِخٌ عِرْنِينُهُ مُتَطَلِّعٌ ثغرَالْمَكَارِمِ خِضْرِمُ (١)

إسلام عَبَّاس بن مِرْداس

ضمار صنم مرداس السلمى

قال ابن هشام : وكان إسلام عَبَّاس بن مِرْدَاس — فيما حدثنى بعض أهل العلم بالشعر وحديثه — أنه كان لأبيه مِرْدَاسٍ وثَنٌ يَعْبُدُه ، وهو حَجَر كان يقال له ضِمَار ، فلما حُضِرَ مرداسٌ قال لعباس : أىْ بُنَىَّ اعْبُدْ ضِمَار فإنه ينفعك ويضرك ، فبينا عباس يوما عند ضِمَارِ إذ سمع من جَوْف ضِمَارِ مناديا يقول : —

قُلْ لِلْقَبَائِلِ مِنْ سُلَيْمٍ كُلِّهَا

أَوْدَى ضِمَارِ وَعَاشَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ (٢)

إِنَّ الَّذِى وَرِثَ النُّبُوَّةَ وَالْهُدَى بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِ

أَوْدَى ضِمَارِ وَكَانَ يُعْبَدُ مَرَّةً قَبْلَ الْكِتَابِ إِلَى النَّبِىِّ مُحَمَّدِ

فحَرَّق عباس ضِمَارِ ، ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فأسلم

كلمة لجعدة بن عبد الله الخزاعى فى فتح مكة

قال ابن هشام : وقال جَعْدَةُ بن عبد الله الْخُزَاعِىُّ يوم فتح مكة :

أَ كَعْبَ بْنَ عَمْرٍو دَعْوَةً غَيْرَ بَاطِلٍ

لِحَيْنٍ لَهُ يَوْمَ الْحَدِيدِ مُتَاحِ (٣)

---

(١) شامخ : مرتفع ، والعرنين ـ بكسر فسكون ـ طرف الأنف ، والخضرم : الجواد الكثير العطاء

(٢) أودى : هلك ، والمسجد هنا : مسجد مكة أو مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة

(٣) الحين : الهلاك ، وهو بفتح فسكون ، ومتاح : مهيأ ومقدر

أَتِيحَتْ لَهُ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ لِتَقْتُلَهُ لَيْلاً بِغَيْرِ سِلَاحِ
وَنَحْنُ الْأُلَى سَدَّتْ غَزَالَ خُيُولُنَا وَلِفْتًا سَدَدْنَاهُ وَفَجَّ طِلَاحِ (١)
خَطَرْنَا وَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ بِجَحْفَلٍ ذَوِى عَضُدٍ مِنْ خَيْلِنَا وَرِمَاحِ (٢)

وهذه الأبيات فى أبيات له

أبيات لنجيد بن عمران الخزاعى فى فتح مكة

وقال نجيد (٣) بن عمران الخزاعى : —

وَقَدْ أَنْشَأَ اللهُ السَّحَابَ بِنَصْرِنَا
رُكَامَ سَحَابِ الْهَيْدَبِ الْمُتَرَاكِبِ (٤)
وَهِجْرَتُنَا فِى أَرْضِنَا عِنْدَنَا بِهَا كِتَابٌ أَتَى مِنْ خَيْرِ مُمْلٍ وَكَاتِبِ
وَمِنْ أَجْلِنَا حَلَّتْ بِمَكَّةَ حُرْمَةٌ
لِنُدْرِكَ ثَأْرًا بِالسُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ (٥)

---

(١) الألى : أى الذين ، وغزال : اسم موضع ، يجوز فيه الصرف وعدمه ولفت : اسم موضع أيضا ، وفج طلاح : اسم موضع أيضا ، وأصله مركب إضافى ، فالطلاح : جمع طلح ، وهو شجر ، وأضيف الفج إليه

(٢) خطرنا : تروى هذه الكلمة بالحاء المهملة والظاء المعجمة ، وتروى بالخاء المعجمة والطاء المهملة ، فأما من رواه حظرنا ـ بمهملة فعجمة ـ فمعناه منعنا ، والشىء المحظور : هو الممنوع ، وأما من رواه خطرنا ـ بمعجمة فمهملة ـ فان معناه اهتززنا ، والجحفل : الجيش الكثير العدد

(٣) وقع فى بعض النسخ « بجيد بن عمران » بالباء ، وقال أبو ذر : « وبالنون قيده الدارقطنى » اهـ كلامه

(٤) الركام : المتراكب الذى يركب بعضه بعضا ، والهيدب : المتدانى من الأرض

(٥) القواضب : القواطع ، واحدها قاضب ، والقضب : القطع

مسير خالد بن الوليد بعد فتح مكة إلى بنى جَذِيمة من كنانة ومسير على لتلافى خطأ خالد

قال ابن إسحق : وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حول مكة السَّرَايا ، تدعو إلى الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تِهامة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلا ، فوطىء بنى جَذِيمَةَ فأصاب منهم

قال ابن هشام : وقال عَبَّاس بن مِرْدَاسٍ [السُّلَمِيُّ] فى ذلك : —

فإِنْ تَكُ قَدْ أَمَّرْتَ فِى الْقَوْمِ خَالِداً
وَقَدَّمْتَهُ فإِنَّهُ قَــــدْ تَقَدَّمَا

بِجُنْدٍ هَدَاهُ اللهُ أَنْتَ أَمِيرُهُ
نُصِيبُ بِهِ فِى الْحَقِّ مَنْ كَانَ أَظْلَمَا

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له فى حديث يوم حنين ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها

قال ابن إسحق : فحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حُنَيْف ، عن أبى جعفر محمد بن على ، قال : بَعَثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعيا ، ولم يبعثه مقاتلا ، ومعه قبائل من العرب سُلَيْمُ بن منصور ومُدْلِجِ بن مُرَّة ، فوطئوا بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالدٌ : ضعوا السلاح فان الناس قد أسلموا

قال ابن إسحق : فحدثنى بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جذيمة قال : لما أَمَرَنَا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جَحْدَم : ويلكم يا بنى جَذِيمة إنه خالد ، والله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار ، وما بعد الإسار إلا ضرب

الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبداً ، قال : فأخذه رجال من قومه فقالوا : ياجَحْدَم أتريد أن تَسفِكَ دماءنا ، إن الناس قد أسلموا ، [ووضعوا السلاح] ووُضِعت الحرب ، وأمن الناس ، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد

قال ابن إسحق : فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر محمد بن على قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك فكُتِفوا ، ثم عَرَضَهم على السيف ، فقتل من قتل منهم ، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ثم قال : « اللَّهُمَّ إِنِّى أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ »

رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أنه حُدِّث عن إبراهيم بن جعفر المحمودى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رَأَيْتُ كأنى لَقِمْتُ لُقْمَةً مِنْ حَيْسٍ (١) فَالْتَذَذْتُ طَعْمَهَا فَاعْتَرَض فِي حَلْقِي مِنْهَا شَيْءٌ حِينَ ابْتَلَعْتُهَا فَأَدْخَلَ عَلِيٌّ يَدَهُ فَنَزَعَهُ » فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : يارسول الله ، هذه سَرِيَّة من سراياك تبعثها فيأتيك منها بعض ما تحب ويكون فى بعضها اعتراض فتبعث عليا فيُسَهِّله

قال ابن هشام : وحدثنى أنه انفَلَتَ رجلٌ من القوم ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هَلْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ » ؟ فقال : نعم ، قد أنكر عليه رجل أبيض

---

(١) الحيس - بفتح فسكون - أن يخلط السمن والتمر والأقط فيؤكل ، والأقط : مايعقد من اللبن ويجفف

رَبْعَةٌ [١] فَنَهَمَهُ [٢] خالد فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب [٣] فراجعه ، فاشتدت مراجعتهما ، فقال عمر بن الخطاب : أما الأول يارسول الله فابنى عبد الله ، وأما الآخر فسالم مولى أبى حذيفة

رسول الله يرسل عليا

قال ابن إسحق : فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر محمد بن على قال: ثم [دعا] رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضوان الله عليه فقال : « ياعَلِيُّ اخْرُجْ إلَى هٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَانْظُر فِي أَمْرِهِمْ وَاجْعَلْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيْكَ » فخرج على حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَوَدَى لهم الدماء وماأصيب لهم من الأموال حتى إنه لَيَدِى لهم ميلَغَةَ الكلب [٤] ، حتى إذا لم يبق شىء من دَمٍ ولا مال إلا وَدَاه بقيت معه بقيةٌ من المال ، فقال لهم على رضوان الله عليه حين فرغ منهم : هل بقى لكم [بقية من] دم أو مال لم يُودَ لكم ؟ قالوا : لا ، قال : فإنى أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يعلم ولا تعلمون ، ففعل ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فقال: «أَصَبْتَ وَأَحْسَنْتَ » قال: ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه حتى إنه لَيُرَى ما تحت منكبيه ؛ يقول : « اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ » ثلاث مرات

قال ابن إسحق : وقد قال بعض من يَعْذر خالدا : إنه قال : ماقاتلت

---

(١) الربعة من الرجال : الذى بين الطويل والقصير

(٢) نهمه : زجره

(٣) مضطرب : يريد أنه ليس مستوى الخلق

(٤) الميلغة : خشبة تحفر ثم تتخذ ليلغ فيها الكلب

حتى أمرني بذلك عبدُ الله بن حُذَافَةَ السَّهْمِيّ ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الاسلام

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : لما أتاهم خالد قالوا : صَبَأْنَا صَبَأْنَا(١)

قال ابن إسحق : وقد كان جَحْدَمٌ قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى مايصنع خالد ببني جذيمة : يابنى جذيمة ، ضاع الضَّرْبُ ، قد كنت حَذَّرْتُكم ماوقعتم فيه ، وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف — فيما بلغني — كلام في ذلك ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : عَمِلْتَ بأمر الجاهلية فى الاسلام ، فقال : إنما ثأرت بأبيك ، فقال عبد الرحمن : كذبت قد قتلتُ قاتل أبي ولكنك ثأرت بعمك الفاكه بن المغيرة ، حتى كان بينهما شَرٌّ ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « مَهْلاً يَاخَالِدُ دَعْ عَنْكَ أَصْحَابِي فَوَاللهِ لَوْ كَانَ لَكَ أُحُدٌ ذَهَبًا ثُمَّ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا أَدْرَكْتَ غَدْوَةَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي وَلاَ رَوْحَتَهُ »

ثأر خالد عند بنى جذيمة

وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وَعَوْفُ بن عَبْدِ عَوْفِ بن عبد الحرث بن زُهْرَة وعَفَّان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس قد خرجوا تُجَّاراً إلى اليمن ، ومع عفان ابنه عثمان ومع عوف ابنه عبد الرحمن ، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بنى جذيمة بن عامر كان هلك باليمن إلى ورثته ، فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ، ولقيهم بأرض بنى جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فَأَبَوْا عليه ، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال

(١) « صبأنا صبأنا » يعنون دخلنا فى دين محمد ، وكانوا يسمون النبى صلى الله عليه وسلم الصابىء ؛ لأنه خرج من دينهم ، يقال : صبأ الرجل ؛ إذا خرج من دين إلى دين ، ومنه (الصابئون) لأنهم قد اتخذوا دينا بين اليهودية والنصرانية ، كذا قال جمع من المفسرين

ليأخذوه ، وقاتلوه ، فقتل عوف بن عبد عوف والفاكه بن المغيره ، ونجا عفّان ابن أبى العاص وابنه عثمان ، وأصابوا مال الفاكه بن المغيرة ومال عوف بن عبد عوف فانطلقوا به ، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه ، فهمّت قريشٌ بغزو بنى جذيمة ، فقالت بنو جذيمة : ما كان مصاب أصحابكم عن مَلأٍ منا ، إنما عدَا عليهم قومٌ بجهالة فأصابوهم ، ولم نعلم ، فنحن نَعْقِلُ لكم ما كان لكم قبلنا من دم أومال ، فقبلت قريش ذلك ووضعوا الحرب

وقال قائل من بنى جَذِيمة ، وبعضهم يقول : امرأة يقال لها سَلْمَى : —

وَلَوْلاَ مَقَالُ الْقَوْمِ لِلْقَوْمِ أَسْلِمُوا ... لَلاَقَتْ سُلَيْمٌ يَوْمَ ذَلِكَ نَاطِحاَ

لَمَاصَعَهُمْ بُسْرٌ وَأَصْحَابُ جَحْدَمٍ ... وَمُرَّةُ حَتَّى يَتْرُكُوا الْبَرْكَ ضَابِحَا (١)

فَكَائِنْ تَرَى يَوْمَ الْغُمَيْصَاءِ مِنْ فَتًى ... أُصِيبَ وَلَمْ يُجْرَحْ وَقَدْ كَانَ جَارِحَا (٢)

أَلَظَّتْ بِخُطَّابِ الْأَيَامَى وَطَلَّقَتْ ... غَدَاتَئِذٍ مِنْهُنَّ مَنْ كَانَ نَاكِحَا (٣)

قال ابن هشام : قوله « بسر » و« أَلَظَّتْ بِخُطَّاب » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : فأجابها عَبَّاس بن مِرْدَاس ، ويقال : بل الجُحَّاف بن حَكيم السُّلَمِيُّ : —

---

(١) المصاع والمماصعة : المضاربة بالسيوف ، والبرك : الابل باركة ، وضابحا : صائحا ، وأصل الضبح نفس الخيل والابل إذا أعيت ، ومنه قوله تعالى : (والعاديات ضبحا) وفى بعض النسخ صائحا

(٢) الغميصاء : اسم موضع

(٣) ألظت : لزمت وألمت ، والأيامى : جمع أيم ، وهى التى لازوج لها

دَعِي عَنْكِ تَقْوَالَ الضَّلَالِ كَفَى بِنَا
لِكَبْشِ الْوَغَى فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ نَاطِحَا(١)
فَخَالِدُ أَوْلَى بِالتَّعَذُّرِ مِنْكُمُ
غَدَاةَ عَلَا نَهْجًا مِنَ الْأَمْرِ وَاضِحَا
مُعَانًا بِأَمْرِ اللهِ يُزْجِي إِلَيْكُمُ
سَوَانِحَ لَا تَكْبُوا لَهُ وَبَوَارِحَا(٢)
نَعَوْا مَالِكاً بِالسَّهْلِ لَمَّا هَبَطْنَهُ
عَوَابِسَ فِي كَابِي الْغُبَارِ كَوَالِحَا(٣)
فَإِنْ نَكُ أَثْكَلْنَاكِ سَلْمَى فَمَالِكٌ
تَرَكْتُمْ عَلَيْهِ نَائِحَاتٍ وَنَائِحَا(٤)

وقال الجحّافُ بن حكيم السُّلَمِيُّ : —

شَهِدْنَ مَعَ النَّبِيِّ مُسَوَّمَاتٍ حُنَيْنًا وهْيَ دَامِيَةُ الْكِلَامِ(٥)

---

(١) الكبش هنا : الرجل السيد ، والوغى : الحرب

(٢) يزجي : يسوق ، والسوانح : جمع سانح وأصله من الطير مامر من مياسرك إلى ميامنك ، وقوله « لاتكبوا » معناه لاتسقط ولا تعيا ، ويروى في مكانه « لاتبو » ومعناه لا ترجع ، والبوارح : جمع بارح ، وهو من الطير مامر من ميامنك إلى مياسرك ، وكانوا يتيامنون بالسوانح ويتشاءمون بالبوارح ، وأراد ههنا الخيل تحدق بهم وتجيئهم من كل جهة

(٣) عوابس : جمع عابس ، وهو الذي انقبضت شفاهه فظهرت أسنانه

(٤) أثكلناك : يريد أفقدناك ، والثكل : الفقد ، وسلمى : منادى

(٥) مسومات : أراد بها الخيل ، من التسويم وهو التعليم بعلامة ، أو هو الارسال ، والكلام ـ بكسر الكاف ـ جمع كلم ، وهو الجرح

وَغَزْوَةَ خَالِدٍ شَهِدَتْ وَجَرَّتْ سَنَابِكُهُنَّ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ (١)
نُعَرِّضُ لِلطِّعَانِ إِذَا الْتَقَيْنَا وُجُوهًا لاَتُعَرَّضُ لِلطِّمَامِ
[وَلَسْتُ بِخَالِعٍ عَنِّي ثِيَابِي إِذا هَزَّ الْكُمَاةُ وَلاَ أُرَامِي (٢)
وَلَكِنِّي يَجُولُ الْمُهْرُ تَحْتِي إِلَى الْعَلَوَاتِ بِالْعَضْبِ الْحُسَامِ]

قال ابن إسحق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهرى ، عن ابن أبى حَدْرَد الأسلمى ، قال : كنت يومئذ فى خيل خالد بن الوليد ، فقال لى فتى من بنى جذيمة ـ وهو فى سنى ، وقد جُمِعَتْ يداه إلى عنقه برُمَّةٍ ، ونِسْوَةٌ مجتمعات غيرَ بعيد منه — : يافتى ، قلت : ماتشاء ؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرُّمَّة فقائدى إلى هؤلاء النسوة حتى أقضى إليهن حاجة ثم تردنى بعد فتصنعوا بى ما بدا لكم ؟ قال : قلت : والله ليَسيرٌ ما طلبت ، فأخذت برُمَّته فقُدْته بها حتى أوقفته عليهن ، فقال : اسْلَمِى حُبَيْش ، على نَفَدِ [من] العيش

أَرَيْتُكِ إِذْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ
بِحَلْيَةَ أَوْ أَلْفَيْتُكُمْ بِالْخَوَانِقِ (٣)
أَلَمْ يَكُ أَهْلاً أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقٌ
تَكَلَّفَ إِدْلاَجَ السُّرَى وَالْوَدَائِقِ (٤)

---

(١) السنابك : جمع سنبك ، وهو مقدم طرف الحافر ، وقوله « بالبلد الحرام » يريد به مكة ، ووقع فى نسخة « بالبلد التهام »

(٢) سقط هذا البيت والذى بعده من أكثر نسخ الأصل

(٣) حلية والخوانق : اسما موضعين

(٤) الادلاج : مصدر أدلج ، إذا سار من أول الليل ، والودائق :

فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ أَهْلُنَا مَعًا
أَثِيبِي بِوُدٍّ قَبْلَ إِحْدَى الصَّفَائِقِ (١)

أَثِيبِي بِوُدٍّ قَبْلَ أَنْ تَشْحَطَ النَّوَى
وَيَنْأَى الْأَمِيرُ بِالْحَبِيبِ الْمُفَارِقِ (٢)

فَإِنِّيَ لَا ضَيَّعْتُ سِرَّ أَمَانَةٍ
وَلَا رَاقَ عَيْنِي عَنْكِ بَعْدَكِ رَائِقُ (٣)

سِوَى أَنَّ مَا نَالَ الْعَشِيرَةَ شَاغِلٌ
عَنِ الْوُدِّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ التَّوَامُقُ (٤)

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر البيتين الأخيرين منهما له .

قال ابن إسحق . وحدثني يعقوب بن عتبة [بن المغيرة بن الأخنس] ، عن الزهرى ، عن ابن أبى حَدْرَدٍ الأسلمى ، قالت : وأَنْتَ فَحُيِّيتَ سَبْعًا وَعَشْراً وَتْراً ، وَثَمَانِياً تَتْرَى (٥) ، قال : ثم انْصَرَفْتُ به ، فضربت عنقه

قال ابن إسحق : فحدثنى أبو فِرَاس بن أبى سُنْبُلَةَ الأسلمى ، عن

جمع وديقة ، وهى شدة الحر ، وأراد بالادلاج ههنا مجرد السير ، والسرى : أصله السير ليلا ، فأراد منه ههنا الليل ، يقول : تكلفت السير فى الليل وفى شدة الحر

(١) الصفائق : أراد بها النوائب

(٢) تشحط : تبعد ، وينأى : يبعد أيضا

(٣) راق : أعجب ، يريد لم يعجبنى بعدك أحد

(٤) التوامق : الحب

(٥) ثمانيا تترى : أى تتوالى

أشياخ منهم، عمن كان حضرها منهم، قالوا: فقامت إليه حين ضربت عنقه فأكبّت عليه، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده

قال ابن إسحق: وقال رجل من بنى جَذيمة: —

جَزَى اللهُ عَنَّا مُدْلِجًا حَيْثُ أَصْبَحَتْ
جَزَاءَةَ بُؤْسَى حَيْثُ سَارَتْ وَحَلَّتِ
أَقَامُوا عَلَى أَقْضَاضِنَا يَقْسِمُونَهَا
وَقَدْ نَهِلَتْ فِينَا الرِّمَاحُ وَعَلَّتِ (١)
فَوَاللهِ لَوْلاَ دِينُ آلِ مُحَمَّدٍ
لَقَدْ هَرَبَتْ مِنْهُمْ خُيُولٌ فَشُلَّتِ (٢)
وَمَا ضَرَّهُمْ أَنْ لاَ يُعِينُوا كَتِيبَةً
كَرِجْلِ جَرَادٍ أُرْسِلَتْ فَاشْمَعَلَّتِ (٣)
فَإِمَّا يَنِيبُوا أَوْ يَثُوبُوا لِأَمْرِهِمْ فَلاَ نَحْنُ نَجْزِيهِمْ بِمَا قَدْ أَضَلَّتِ (٤)

فأجابه وَهْبٌ، رجل من بنى ليث، فقال: —

دَعَوْنَا إِلَى الْإِسْلاَمِ وَالْحَقِّ عَامِرًا
فَمَا ذَنْبُنَا فِى عَامِرٍ إِذْ تَوَلَّتِ

---

(١) الأقضاض: جمع قض، وأراد به ههنا المال المجتمع، وتقول: جاء القوم بقضهم وقضيضهم، إذا جاءوا بأجمعهم، ونهلت: من النهل، وهو الشرب الأول، وعلت: من العلل، وهو الشرب الثانى

(٢) خيول: يروى فى مكانه «حلول» والحلول: البيوت المجتمعة، والمراد ههنا أصحابها، وشلت: طردت

(٣) اشمعلت: تفرقت

(٤) يثوبوا: يرجعوا

وَمَا ذَنْبُنَا فِى عَامِرٍ لَاَ أَبَالَهُمْ لَئِنْ سَفِهَتْ أَحْلاَمُهُمْ ثُمَّ ضَلَّتِ

وقال رجل من بنى جذيمة : —

لِيَهْنِئْ بَنِى كَعْبٍ مُقَدَّمُ خَالِدٍ وَأَصْحَابِهِ إذْ صَبَّحَتْنَا الْكَتَائِبُ

فَلَا تِرَةً تَسْعَى بِهَا ابْنَ خُوَيْلِدٍ

وَقَدْ كُنْتَ مَكْفِيًّا لَوَ انَّكَ غَائِبُ (١)

فَلاَ قَوْمُنَا يَنْهَوْنَ عَنَّا غُوَاتَهُمْ

وَلاَ الدَّاءُ مِنْ يَوْمِ الْغُمَيْصَاءِ ذَاهِبُ (٢)

وقال غلام من بنى جذيمة وهو يسوق بأمه وأختين له وهو هارب بهن من جيش خالد : —

رَخِّينَ أَذْيَالَ الْمُرُوطِ وَارْبَعْنْ

مَشْيَ حَيِيَّاتٍ كَأَنْ لَمْ يُفْزَعْنْ (٣)

إنْ تُمْنَعِ الْيَوْمَ نِسَاءٌ تُمْنَعْنْ

وقال غِلْمَةٌ من بنى جَذِيمة يقال لهم بنومساحق يرتجزون ، حين سمعوا بخالد ، فقال أحدهم : —

قَدْ عَلِمَتْ صَفْرَاءُ بَيْضَاءُ الْإِطِلْ يَحُوزُهَا ذُو ثَلَّةٍ وذُو إبِلْ (٤)

---

(١) الترة : العداوة وطلب الثأر

(٢) الغواة : السفهاء ، جمع غوى

(٣) المروط : جمع مرط ، وهو كساء من خز ، وقد يكون من غير خز فى قول بعض أهل اللغة ، واربعن : أقمن على ذلك

(٤) الإطل ـ بكسر الهمزة والطاء ـ ومثله الأيطل : الخاصرة ؛ والثلة بفتح الثاء المثلثة ـ القطيع من الغنم

لَأُغْنِيَنَّ الْيَوْمَ مَا أَغْنَى رَجُلْ

وقال الآخر : —

قَدْ عَلِمَتْ صَفْرَاءُ تُلْهِي الْعُرْسَا لَا تَمْلَأُ الْحَيْزُومَ مِنْهَا نَهْسَا (١)

لَأَضْرِبَنَّ الْيَوْمَ ضَرْبًا وَعْسَا ضَرْبَ الْمُحِلِّينَ مَخَاضًا قُعْسَا (٢)

وقال الآخر : —

أَقْسَمْتُ مَا إِنْ خَادِرٌ ذُو لِبْدَهْ شَثْنُ الْبَنَانِ فِي غَدَاةٍ بَرْدَهْ (٣)

جَهْمُ الْمُحَيَّا ذُوسِبَالٍ وَرْدَهْ يُرْزِمُ بَيْنَ أَيْكَةٍ وَجَحْدَهْ (٤)

ضَارٍ بِتَأْكَالِ الرِّجَالِ وَحْدَهْ بِأَصْدَقَ الْغَدَاةَ مِنِّي نَجْدَهْ (٥)

---

(١) الحيزوم : أسفل عظام الصدر ، وهو مايقع عليه الحزام ، وأراد به بطنها ، والنهس : أكل اللحم بمقدم الأسنان ، يريد أنها قليلة الأكل

(٢) ضربا وعسا : أى سريعا ، والمواعسة : السرعة فى الشىء ، والمحلون : هم الذين خرجوا من الحرام إلى الحل ، والمخاض : الابل الحوامل ، والقعس : التى تتأخر وتأبى أن تمشى

(٣) الخادر : الأسد الداخل فى الخدر ، والخدر : الأجمة التى يسكنها الأسد ، واللبدة : الشعر الذى يكون فوق كتفيه ، وشثن : غليظ ، والبنان : الأصابع ، وفى غداة بردة : أى باردة

(٤) جهم : أى عابس ، والمحيا : الوجه ، وقوله « ذو شبال » يروى بالسين المهملة وبالشين المعجمة ، فأما من رواه بالمهملة فالسبال - بزنة كتاب - الشعر الذى حول فمه ، وأما من رواه بالشين معجمة فهو جمع شبل ، والشبل : ولد الأسد ، وقوله « يرزم » أى يصوت ، والأيكة : الشجرة الكثيرة الأغصان ، والجحدة : القليلة الورق والأغصان

(٥) ضار : أى مسعور ، والتأكال : الأكل ، والباء للسببية ، والنجدة : الشجاعة

مسير خالد بن الوليد ليَهْدِمَ العُزَّى

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العُزَّى ، وكانت بنخلة (١) وكانت بيتا يعظمه هذا الحى من قريش وكنانة ومضر كلها ، وكانت سَدَنَتَهَا (٢) وحُجَّابها بنى شيبان من بنى سليم حلفاء بنى هاشم ، فلما سمع صاحبها السُّلَمِىُّ بمسير خالد إليها علَّقَ عليها سيفه وأَسْنَدَ فى الجبل (٣) الذى هى فيه ، وهو يقول : —

أياعُزَّ شُدِّى شَدَّةً لاشَوَى لهَا
عَلَى خَالِدٍ ، أَلْقِى الْقِنَاعَ وَشَمِّرِى (٤)
يَاعُزَّ إنْ لَمْ تَقْتُلِى الْمَرْءَ خَالِداً
فَبُوئِى بِإِثْمٍ عَاجِلٍ أَوْ تَنَصَّرِى (٥)

فلما انتهى إليها خالد هدَمها ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

رسول الله يقصر الصلاة اقامته بمكة

قال ابن إسحق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يَقصُرُ الصلاة

---

(١) نخلة : اسم موضع ، وانظر للكلام على العزى (ج ١ ص ٨٧ ومابعدها من هذا الكتاب)

(٢) سدنتها : جمع سادن ، وهو خادم بيت العبادة

(٣) أسند فى الجبل : ارتفع وعلا فيه

(٤) لاشوى لها : يريد لاتبق على شىء

(٥) بوئى : ارجعى ، وقوله « تنصرى » يروى فى مكانه « تنظرى » بالظاء المعجمة

قال ابن إسحق : وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان

غَزْوَةُ حُنَيْنٍ فى سنة ثمان ، بعد الفتح

من حضر حنينا من قبائل هوزان

قال ابن إسحق : ولما سمعت هَوَازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة جَمَعَهَا مالكُ بن عَوْف النَّصْرِىُّ ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيفٌ كلها ، واجتمعت نَصْرٌ وجُشَم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بنى هلال وهم قليل ، ولم يشهدها من قيس عَيْلاَن إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ، ولم يشهدها منهم أحد له اسم ، وفى بنى جُشَم دُرَيْدُ بن الصِّمَّة شيخ كبير ليس فيه شىء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخا مُجَرَّبا ، وفى ثقيف سَيِّدَان لهم : فى الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن مُعَتِّب ، وفى بنى مالك ذُو الخِمار سبيع بن الحرث بن مالك وأخوه أحمر بن الحرث ، وجماع أمر الناس إلى مالك ابن عوف النصرى

مقالة دريد ابن الصمة ونصحه

فلما أجمع السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حَطَّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأَوْطَاسَ (١) اجتمع إليه الناس وفيهم دُرَيْدُ ابن الصِّمَّة فى شجار له (٢) يُقَاد به ، فلما نزل قال : بأىِّ وادٍ أنتم ؟ قالوا :

---

(١) أوطاس ـ بفتح الهمزة وسكون الواو بعدها طاء مهملة ـ قال ياقوت : « واد فى ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين للنبى صلى الله عليه وسلم ببنى هوازن ، ويومئذ قال النبى : حمى الوطيس ، وذلك حين استعرت الحرب ، وهو صلى الله عليه وسلم أول من قاله » اه

(٢) الشجار ـ بزنة كتاب ـ شبه الهودج إلا أنه مكشوف الأعلى

بأَوْطَاسٍ ، قال : نِعْمَ مَجَالُ الخيل،لاحَزْنٌ ضَرِسٌ ، ولاسَهْلٌ دَهِسٌ (١) مالى أسمع رُغَاءالبعير ونُهَاق الحمير وبُكَاءالصغير ويُعَار الشَّاء (٢) ؟ قالوا : ساق مالكُ بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، قال : أين مالك ؟ قيل : هذامالك ، ودعى له ، فقال: يامالك، إنك قدأصبحت رئيس قومك ، وإن هذايوم كائن له مابعده من الأيام ، مالى أسمع رُغَاء البعير ونُهَاق الحمير وبُكَاءالصغيرويُعَار الشاء ؟ (٢) قال : سُقْتُ مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال : ولِمَ ذاك ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم ، قال : فانْقَضَّ به (٣) ، ثم قال : راعى ضأن والله ، وهل يَرُدُّ المنهزمَ شىء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلارجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضِحْتَ فى أهلك ومالك ، ثم قال : مافعلت كعب وكلاب؟ قالوا : لم يشهدها منهم أحد ، قال : غاب الحَدّ (٤) وَالْجِدُّ ، ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب، وَلَوَدِدْتُ أنكم فعلتم مافعلت كعب وكلاب ، فمن شهدها منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر وعوف بن عامر ، قال : ذانك الجَذَعَانِ (٥) من عامر لاينفعان ولايضران ، يامالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة (٦) بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئا،ارفعهم إلى مُتَمَنَّع بلادهم وعُلْيَا

---

(١) الحزن : المرتفع الغليظ من الأرض ، والضرس : الذى فيه حجارة محددة ، والسهل : المطمئن من الأرض ، والدهس : اللين الكثير التراب

(٢) يعار الشاء : صوتها

(٣) انقض به : زجره كما تزجر الدابة

(٤) الحد : يريد الشجاعة والحدة

(٥) الجذعان : يريد أنهما ضعيفان ، بمنزلة الجذع فى سنه

(٦) البيضة : جماعة القوم وأصلهم

قومهم ، ثم الْقَ الصُّبَّاء (١) على مُتُون الخيل ؛ فإن كانت لك لحق بك مَنْ وراءك ، وإن كانت عليك أَلْفَاكَ ذلك وقد أَحْرَزْتَ أهلك ومالك ، قال : لا والله لا أفعل ذلك ، إنك قد كبرت وكبر عقلك ، والله لَتُطِيعُنَّنِي يا معشر هوازن أو لَأَتَّكِئَنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى ، وكره أن يكون لِدُرَيْد بن الصِّمَّة فيها ذكر ، أو رأى ، قالوا : أطعناك ، فقال دريد بن الصمة هذا يوم لم أشهده ولم يَفُتْنِى :

يَالَيْتَنِى فِيهَا جَذَعْ أَخُبُّ فِيهَا وَأَضَعْ (٢)
أَقُودُ وَطْفَاءَ الزَّمَعْ كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعْ (٣)

قال ابن هشام : أنشدنى غير واحد من أهل العلم بالشعر قوله : —

* يَالَيْتَنِى فِيهَا جَذَعْ *

قال ابن إسحق : ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ، ثم شُدُّوا شَدَّةَ رجل واحد

الملائكة تهزم هوازن

قال : وحدثنى أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حدث أن مالك بن

---

(١) الصباء : جمع صابىء ، وكانوا يسمون المسلمين صباء.

(٢) ياليتنى فيها جذع : يتمنى أن يكون فى هذه الحرب شابا لم تحطمه الأيام ، وأخب : من الخبب ، وأضع : من الوضع ، والخبب والوضع : ضربان من السير

(٣) الوطفاء : الطويلة الشعر ، والزمع : الشعر الذى فوق مربط قيد الدابة ، يريد فرسا هذه صفتها ، والشاة هنا : الوعل (وهو تيس الجبل) ، وصدع : وسط بين العظيم والحقير ، قاله أبو ذر ، وقال المجد : « والصدع — محركة — من الأوعال والظباء والحمر والإبل : الفتى الشاب القوى ، ويسكن الدال ، أو هو الشىء بين الشيئين من أى نوع كان ، بين الطويل والقصير ، والفتى والمسن ، والسمين والمهزول ، والعظيم والصغير » اه

عوف بعث عيونا من رجاله ، فأتوه وقد تفرقت أوصالهم ، فقال : ويلكم !! ماشأنكم ؟ فقالوا : رأينا رجالا بيضاً على خيل بُلْق ، فوالله ماتماسكنا أن أصابنا ماترى ، فوالله مارده ذلك عن وجهه أن مضى على مايريد

علم النبي بتهيؤ هوازن

قال ابن إسحق : ولما سمع بهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق ابن أبي حدرد فدخل فيهم فأقام فيهم حتى سمع وعلم ماقد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر [فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب فأخبره الخبر ، فقال عمر : كذب ابنُ أبي حَدْرَد ، فقال ابن أبي حدرد : إنْ كذّبتَني فربما كذبت بالحق ياعمر فقد كذبت من هو خير مني ، فقال عمر : يارسول الله ، ألا تسمع مايقول ابن أبي حدرد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قَدْ كُنْتَ ضَالاً فَهَدَاكَ اللهُ يَاعُمَرُ »]

رسول الله يستعير أدراع صفوان ابن أمية

فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى هوازن ليلقاهم ذكر له أن عند صَفْوَان بن أمية أدراعًا وسلاحا ، فأرسل إليه — وهو يومئذ مشرك — فقال : « ياأبا أمية ، أَعِرْنَا سِلاَحَكَ هذَا نَلْقَ فيه عدونا غداً » فقال صفوان : أَغَصْبًا يامحمد ؟ قال : « بَلْ عَارِيَةً مَضْمُونَةً حَتَّى نُؤَدِّيَهَا إِلَيْكَ » قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يكفيهم حملها ، ففعل .

خروج النبي إلى القتال

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة ، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة ، فكانوا

عامل رسول الله على مكة

اثنى عشر ألفا ، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عَتَّاب بن أسيد ابن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة أميرًا على من تَخَلَّفَ عنه من الناس ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وَجْهِهِ يريد لقاء هوازن ، فقال عَبَّاس بن مِرْدَاسٍ السُّلَمِيُّ : —

قصيدة لعباس ابن مرداس

أَصَابَتِ الْعَامَ رِعْلاً غُولُ قَوْمِهِمُ
وَسْطَ الْبُيُوتِ وَلَوْنُ الْغُولِ أَلْوَانُ (١)

يَالَهْفَ أُمِّ كِلَابٍ إِذْ تُبَيِّتُهُمْ
خَيْلُ ابْنِ هَوْذَةَ لاَ تُنْهَى وَإِنْسَانُ (٢)

لاَ تَلْفِظُوهَا وَشُدُّوا عَقْدَ ذِمَّتِكُمْ
إِنَّ ابْنَ عَمِّكُمُ سَعْدٌ وَدُهْمَانُ (٣)

لَنْ تَرْجِعُوهَا وَإِنْ كَانَتْ مُجَلَّلَةً
مَا دَامَ فِى النَّعَمِ الْمَأْخُوذِ أَلْبَانُ (٤)

شَنْعَاء جُلِّلَ مِنْ سَوْآتِهَا حَضَنٌ
وَسَالَ ذُوشَوْغَرٍ مِنْهَا وَسُلْوَانُ (٥)

---

(١) رعل : اسم قبيلة ، والغول : أصله فى زعمهم ساحرة الجن ، وأراد منه هنا الداهية العظيمة ،

(٢) إنسان : قال أبو ذر : « إنسان هنا اسم قبيل فى هوازن » اه ، وبهامش نسخة من الأصول « قوله إنسان هو قبيلة من قيس ثم من بنى نصر ، قاله البرقى » اه

(٣) سعد ودهمان : قبلتان من هوازن

(٤) مجللة : مغطاة

(٥) حضن : جبل بنجد ، وذوشوغر وسلوان : واديان

لَيْسَتْ بِأَطْيَبَ مِمَّا يَشْتَوِى حَذَفٌ
إِذْ قَالَ كُلْ شِواءَ الْعَيْرِ جَوْفَانُ (١)

وَفِى هَوَازِنَ قَوْمٌ غَيْرَ أَنَّ بِهِمْ دَاءَ الْيَمَانِى فَإِنْ لَمْ يَغْدِرُوا خَانُوا
فِيهِمْ أَخٌ لَوْ وَفَوْا أَوْ بَرَّ عَهْدُهُمُ
وَلَوْ نَهَكْنَاهُمُ بِالطَّعْنِ قَدْ لَانُوا (٢)

أَبْلِغْ هَوَازِنَ أَعْلَاهَا وأَسْفَلَهَا مِنِّى رِسَالَةَ نُصْحٍ فِيهِ تِبْيَانُ
أَنِّى أَظُنُّ رَسُولَ اللهِ صَابِحَكُمْ جَيْشًا لَهُ فِى فَضَاءِ الْأَرْضِ أَرْكَانُ
فِيهِمْ سُلَيْمٌ أَخُوكُمْ غَيْرَ تَارِكِكُمْ وَالْمُسْلِمُونَ عِبَادُ اللهِ غَسَّانُ
وَفِى عِضَادَتِهِ الْيُمْنَى بَنُو أَسَدٍ وَالْأَجْرَبَانِ بَنُو عَبْسٍ وَذُبْيَانُ
تَكَادُ تَرْجُفُ مِنْهُ الْأَرْضُ رَهْبَتَهُ وَفِى مُقَدَّمِهِ أَوْسٌ وَعُثْمَانُ

قال ابن إسحق : أوس وعثمان : قبيلا مزينة

قال ابن هشام : من قوله «أَبْلِغْ هَوَازِنَ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا» إلى آخرها فى هذا اليوم ، وما قبل ذلك فى غير هذا اليوم ، وهما مفصولتان ، ولكن ابن إسحق جعلهما واحدة .

ذات أنواط

قال ابن إسحق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى ، عن سنان بن أبى سنان الدؤلى ، عن أبى واقد الليثى ، أن الحرث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنَيْنٍ ، ونحن حديثو عهد بالجاهلية ، قال :

---

(١) حذف : هو اسم رجل ، يروى بالحاء المهملة والذال المعجمة ، ويروى بالجيم والدال المهملة ، والعير : يروى فى مكانه « العين » وجوفان : أراد أنه لا يساغ فيبقى البطن معه خاليا

(٢) نهكناهم : أذللناهم وبالغنا فى ضرهم

فسرنا معه إلى حُنَيْن ، قال : وكانت لكفار قريش ومَنْ سواهم من العرب شَجَرَةٌ عظيمة خَضْرَاء يقال لها : ذَاتُ أَنْوَاطٍ ؛ يأتونها كل سنة فَيُعَلِّقُونَ أسلحتهم عليها و يذبحون عندها و يعكفون عليها يوما ، قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سِدْرَةً خَضْرَاء عظيمةً ، قال: فتنادينا من جَنَبَاتِ الطريق : يارسول الله ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهُ أَكْبَرُ ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ، إِنَّهَا السَّنَنُ ، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ »

هزيمة الناس

قال ابن إسحق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن ابن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : لما استقبلنا وادىَ حُنَيْن انْحَدَرْنَا في واد من أودية تِهَامَةَ أَجْوَفَ ذى خُطُوط [1] إنما نَنْحَدِرُ فيه انْحِدَاراً ، قال : وكان في عَمَايَة الصبح [2] وكان القوم قد سبقونا إلى الوادى ، فَكَمَنُوا لنا في شعابه وأحنائه [3] ومضايقه ، وقد أجمعوا وتَهَيَّؤُا وأعدوا ، فوالله ما راعنا ونحن مُنْحَطُّون إلا الكتائب قد شَدُّوا علينا شَدَّةَ رجل واحد ، وانْشَمَرَ الناس [4] راجعين لا يَلْوِى أحد على أحد ،

---

(١) تهامة : ما انخفض من أرض الحجاز ، وأجوف : أى متسع ، وقوله « ذى خطوط » هو هكذا في بعض النسخ ، وفى بعضها الآخر « حطوط » بحذف كلمة ذى وبالحاء المهملة ، وهو المنحدر ، ولعل هذه الرواية أظهر

(٢) عماية الصبح : ظلامه قبل أن يتبين

(٣) الشعاب : الطرق الخفية ، وأحناؤه : جوانبه

(٤) انشمر الناس : انفضوا وانهزموا

ثبات رسول الله

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ، ثم قال : « أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ ، هَلُمُّوا إِلَيَّ ، أَنَا رَسُولُ اللهِ ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله » قال : فلاشيء ، حملت الابل بعضها على بعض ، فانطلق النّاس ، إلا أنه قد بقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته ، وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحرث وابنه والفضل بن العباس وربيعة بن الحرث وأسامة بن زيد وأيمن بن أم أيمن بن عبيد ، قتل يومئذ

قال ابن هشام : اسم ابن أبى سفيان بن الحرث جَعْفَرٌ ، واسم أبى سفيان المغيرة ، وبعض الناس يَعُدّ فيهم قُثَمَ بن العباس ، ولا يعد ابن أبى سفيان

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : ورجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء فى رأس رُمْح له طويل أمام هوازن ، وهوازن خلفه ، إذا أدرك طعن برمحه و إذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه ، فاتبعوه

شماتة أهل مكة بالنبي وأصحابه

قال ابن إسحق : فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جُفَاة أهل مكة الهزيمة تَكَلَّمَ رجالٌ منهم بما فى أنفسهم من الضِّغْنِ [1] ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر ، و إن الأزلام [2] لمعه فى كنانته ، وصرخ جَبَلَةُ بن الْحَنْبَل (قال ابن هشام : كَلَدَةُ بن الْحَنْبَل ، وهو مع أخيه صَفْوَانَ بن أمية مشرك فى المدة التى جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم) : أَلاَ بَطَلَ السِّحْرُ الْيَوْمَ ، فقال له صفوان :

(١) الضغن ـ بكسر فسكون ـ العداوة

(٢) الأزلام : السهام التى يستقسمون بها

اسْـكتْ فَضَّ(١) اللهُ فَاكَ ، فَوَاللهِ لَأَن يَرُبَّنِي(٢) رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرُبَّنِي رَجُلٌ مِنْ هَوَازِن

[قال ابن هشام : وقال حسان بن ثابت يهجو كَلَدَة : —

رأَيْتُ سَوَادًا منْ بَعِيدٍ فَرَاعنِي أَبُو حَنْبَلٍ يَنْزُو عَلَى أُمِّ حَنْبَلِ
كَأَنَّ الَّذِي يَنْزُو بِهِ فَوْقَ بَطْنِهَا ذِرَاعُ قَلُوصٍ مِنْ نَتَاجِ ابْنِ عَزْهَلِ

أنشدنا أبو زيد هذين البيتين ، وذكر لنا أنه هجا بهما صَفْوَان بن أمية ، وكان أخا كلدة لأمه(٣)]

شيبة بن عثمان يهم بقتل النبي

قال ابن إسحق : وقال شَيْبَة بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار : قلت : اليوم أدرك ثأري ، وكان أبوه قتل يوم أحد ، اليومَ أَقْتُلُ محمداً ، قال : فأدرت برسول الله صلى الله عليه وسلم لأقتله ، فأقبل شيء حتى تَغَشَّى فؤادي ، فلم أطق ذلك ، فعلمت أنه ممنوع مني

قال ابن إسحق : وحدثني بعض أهل مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال — حين فَصَلَ من مكةَ إلى حُنَيْن ورأى كثرة من معه من جنود الله — : « لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ »

قال ابن إسحق : وزعم بعض الناس أن رجلا من بني بكر قالها

قال ابن إسحق : فحدثني الزهري ، عن كثير بن العباس ، عن أبيه

(١) فض الله فاه : أي كسر أسنانه
(٢) يربني : يكون لي ربا : أي ملكا علي
(٣) سقطت عبارة ابن هشام كلها من بعض نسخ الأصل ، وبيتا حسان ليس لهما ذكر في نسخة أبي ذر ، فلعل هذه العبارة قد سقطت كلها من نسخته أيضاً

العباس بن عبد المطلب ، قال : إنى لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بحَكَمَة بغلته البيضاء ، قد شَجَرْتُها بها ، قال : وكنت امرأً جسيماً شديد الصوت ، قال : ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول — حين رأى ما رأى من الناس — : « أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ » ؟ فلم أر الناس يَلْوُونَ على شىء ، فقال : « يا عَبَّاسُ اصْرُخْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ السَّمُرَةِ » قال : فأجابوا : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ ، قال : فيذهب الرجل لِيَثْنِىَ بعيره فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ دِرْعَه فيقذفها فى عنقه ويأخذ سيفه وتُرْسَه ، و يقتحم عن بعيره ، و يخلِّى سبيله ، فيؤمُّ الصوتَ ، حتى ينتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

رجوع الناس بنداء العباس بأمر النبى

حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس ، فاقتتلوا ، وكانت الدعوى أول ما كانت : ياللأنصار ، ثم خلصت أخيراً : ياللخَزْرج ، وكانوا صُبُراً عند الحرب ، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ركائبه ، فنظر إلى مُجْتَلَدِ (١) القوم وهم يجتلدون ، فقال : « الْآنَ حَمِىَ الْوَطِيسُ (٢) »

اشتداد الحرب

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن ابن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : بينا ذلك الرجل من هَوَازِن صاحب الراية على جمله يصنع ما يصنع إذْ هَوَى (٣) له على بن أبى طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتيه علىٌّ بن

(١) مجتلد القوم : المكان الذى يتجالدون فيه ، يريد موقع الحرب الذى يظهر فيه كل فريق جلده

(٢) أصل الوطيس فى اللغة : التنور ، وأراد منه ههنا الحرب نفسها

(٣) هوى له : تقول : هوى إليه ، وهوى له ، وأهوى إليه ، تريد مال نحوه ، وفى القرآن الكريم على لسان إبراهيم عليه السلام : (فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم)

أبي طالب من خلفه ، فضرب عُرْقُوبي الجمل فوقع على عجزه [(١)] ، ووثب الأنصاريُّ على الرجل فضربه ضربة أطنّ قدمه [(٢)] بنصف ساقه ، فانجعف [(٣)] عن رَحْله ، قال : واجتلد الناس ، فوالله ما رجعت راجعةُ الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مُكتَّفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ، وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حسن الاسلام حين أسلم ، وهو آخذ بثَفَرِ بغلته ، فقال : « مَنْ هٰذَا » ؟ قال : أنا ابن أمك يارسول الله [(٤)]

شأن أم سليم

قال ابن إسحق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم التفت فرأى أمَّ سليم ابنة مِلْحَان ، وكانت مع زوجها أبي طلحة ، وهي حازمةٌ وسطَهَا ببُرْدٍ لها ، وإنها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة ، ومعها جمل أبي طلحة ، وقد خشيت أن يَعزَّها الجملُ فأَدْنَتْ رأسه منها فأدخلت يدها في خِزَامته [(٥)] مع الخطام ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمُّ سُلَيم » قالت : نعم بأبي أنت وأمي يارسول الله اقْتُلْ

---

(١) على عجزه : أي على مؤخره

(٢) أطن قدمه : أي أطارها حتى سمع لضربته طنين : أي صوت ودوى

(٣) انجعف : سقط وذهبت فائدته وثمرته ، وتقول : انجعفت الشجرة إذا سقطت من أصلها

(٤) إنما هو « أنا ابن عمك » ولكنه أراد أن يتقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد بالأم هنا الجدة

(٥) الخزامة ـ بكسر الخاء المعجمة ـ حلقة تصنع من شعر وتجعل في أنف البعير

هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك فإنهم لذلك أهل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوْ يَكْفِي اللهُ يا أُمَّ سُلَيم » قال : ومعها [1] خَنْجَرٌ ، فقال لها أبو طلحة : ماهذا الخنجر معك يا أم سليم ؟ قالت : خِنْجَر أخذته إن دنا مني أحد من المشركين بَعَجْتُه [2] به ، قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمع يارسول الله ماتقول أم سليم الرُّمَيْصَاء [3]

قال ابن إسحق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وَجَّه إلى حُنَيْن قد ضَمَّ بني سليم إلى الضَّحَّاك بن سفيان الكلابي ، فكانوا إليه ومعه ، ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف يرتجز بفرسه : —

أَقْدِمْ مُحَاجُ إنَّهُ يَوْمٌ نُكُرْ
مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ يَحْمِي وَيَكُرْ [4]
إذا أُضِيعَ الصَّفُّ يَوْمًا وَالدُّبُرْ
ثُمَّ احْزَأَلَّتْ زُمَرٌ بَعْدَ زُمَرْ [5]

---

(١) الخنجر ـ بفتح الخاء المعجمة أو كسرها ـ السكين ، ويقال للناقة الغزيرة اللبن : خنجر ـ بفتح الخاء المعجمة ليس غير ـ وخنجور

(٢) بعجته به : أى شققت بطنه ، وتقول : بعج فلان بطن فلان ؛ إذا شقه

(٣) الرميصاء : مصغر الرمصاء ، وفي بعض النسخ « الرمصاء » مكبرا ، والرمصاء : التي يخرج القذى من عينها ، تقول : رمصت العين ترمص ـ من باب فرح ـ إذا أخرجت القذى

(٤) محاج ـ بزنة غراب ـ اسم فرس مالك ، و « يوم نكر » بضم النون والكاف ـ شديد ، ينكر فيه الناس بعضهم بعضا

(٥) احزألت : ارتفعت ، وأراد فرت ، والزمر ـ بضم الزاى وفتح الميم ـ جمع زمرة ، وهي الجماعة من الناس

كَتَائِبٌ يَكِلُّ فِيهِنَّ الْبَصَرْ ... قَدْ أَطْعُنُ الطَّعْنَةَ تَقْذِي بِالسُّبُرْ (١)

حِينَ يُذَمُّ الْمُسْتَكِينُ الْمُنْجَحِرْ ... وَأَطْعُنُ النَّجْلاَءَ تَعْوِي وَتَهِرْ (٢)

لَهَا مِنَ الْجَوْفِ رَشَاشٌ مُنْهَمِرْ ... تَفْهَقُ تَارَاتٍ وَحِينًا تَنْفَجِرْ (٣)

وَثَعْلَبُ الْعَامِلِ فِيهَا مُنْكَسِرْ ... يَازَيْدُ يَاابْنَ هَمْهَمٍ أَيْنَ تَفِرْ (٤)

قَدْ نَفِدَ الضِّرْسُ وَقَدْ طَالَ الْعُمُرْ ... قَدْ عَلِمَ الْبِيضُ الطَّوِيلاَتُ الْخُمُرْ (٥)

أَنِّيَ فِي أَمْثَالِهَا غَيْرُ غَمِرْ ... إِذْ تَخْرُجُ الْحَاضِنُ مِنْ تَحْتِ السُّتُرْ (٦)

وقال مالك بن عوف أيضا : —

---

(١) كتائب : جمع كتيبة ، وهى الجماعة من الجيش ، و « يكل فيهن البصر » أى : يعيا ، وأراد أنها كثيرة العدد ، فلو نظر إليها ناظر ليتعرف عددها تعب بصره ، والسبر ـ بضم السين والباء جميعا ـ جمع سبار ـ بزنة كتاب وكتب : وهو مايسبر به غور الجرح ليعرف أغائر هو أم غير غائر ، ويقال : سبار ومسبار

(٢) المستكين : الذليل ، والمنجحر : أراد به المتباعد المتخذ لنفسه موئلا ، والنجلاء : الطعنة الواسعة ، وقوله « تعوى وتهر » أراد أنه يسمع لها صوت كالعواء والهرير

(٣) الجوف : الباطن ، يريد أن طعنته تصل إلى جوف المطعون ، ورشاش : أراد به الدم ، ومنهمر : منصب ، وتفهق : تنفتح ، وتنفجر : يسيل منها الدماء

(٤) الثعلب : مادخل فى السنان من عصا الرمح ، والعامل : أعلى الرمح

(٥) نفد : فنى ، والبيض : جمع بيضاء ، والخمر : جمع خمار ، وهو بزنة كتب وكتاب ، وهو ماتستر به المرأة وجهها

(٦) الغمر : الرجل الذى لم يجرب الأمور ، والحاضن : أراد به المرأة التى تحضن ولدها ، والستر : جمع ستار

أَقْدِمْ مُحَاجُ إِنَّهَا الْأَسَاوِرَهْ وَلَا تَغُرَّنَّكَ رِجْلٌ نَادِرَهْ (١)

شأن أبي قتادة وسلبه

قال ابن هشام : وهذان البيتان لغير مالك بن عوف فى غير هذا اليوم

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حُدِّث عن أبى قتادة الأنصارى ، وحدثنى من لا أتهم من أصحابنا ، عن نافع مولى بنى غفار أبى محمد ، عن أبى قتادة ، قال : قال أبو قتادة : رأيت يوم حُنَيْن رجلين يقتتلان مسلماً ومشركا ، قال : وإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم ، قال : فأتيته فضربت يده فقطعتها ، واعتنقنى بيده الأخرى ، فوالله ما أرسلنى حتى وجدت ريح الدم (ويروى ريح الموت فيما قال ابن هشام) وكاد يقتلنى ، فلولا أن الدم نزفه (٢) لقتلنى ، فسقط ، فضربته فقتلته ، وأجهضنى (٣) عنه القتال ، ومر به رجل من أهل مكة فسلبه فلما وَضَعَت الحرب أوزارها (٤) وفرغنا من القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً فَلَهُ سَلَبُهُ » فقلت : يارسول الله ، والله لقد قتلت قتيلا ذا سَلَب فأجهضنى عنه القتال ، فما أدرى من استلبه ، فقال رجل من أهل مكة : صدق يارسول الله ، وسَلَبُ ذلك القتيل عندى ، فأرضه عنى من سلبه ، فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : لا والله لا يرضيه منه ، تَعْمِدُ إلى أسَدٍ من أُسُد الله يقاتل عن دين الله تقاسمه سلبه ، اردد

---

(١) الأساورة : جمع أسوار ، وهو الرامى من القوس ، ونادرة : اى قد انقطعت وبعدت

(٢) يقال : نزفه الدم ، إذا سال منه حتى يضعفه فيشرف منه على الموت أو يموت

(٣) أجهضنى عنه القتال : شغلنى وضيق على ، وأنسانى أمره

(٤) الأوزار : جمع وزر ، وهو الحمل الثقيل ، يريد أثقال الحرب ، وعنى بأثقالها متاعبها ومشاغلها ، على سبيل الاستعارة .

عليه سَلَبَ قتيله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «صَدَقَ ارْدُدْ عَلَيْهِ سَلَبَه » فقال أبو قتادة : فأخذته منه فبعته فاشتريت بثمنه مَخْرَفاً[1] فانه لأولُ مال اعتقدته[2]

قال ابن إسحق : وحدثني من لا أتهم ، عن أبي سلمة ، عن إسحق ابن عبد الله بن أبي طلحه ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد استلب أبو طلحة يوم حُنَيْن وَحْدَه عشرين رجلا

نصرة الملائكة للسلمين

قال ابن إسحق : وحدثني أبي إسحقُ بن يسار : عن جبير بن مطعم قال : لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناسُ يقتتلون مثلَ الْبِجَاد الأسود[3] أقْبَلَ من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت فاذا نَمْلٌ أسود مبثوث[4] قد ملأ الوادى ، لم أشك أنها الملائكة ، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم

هزيمة المشركين

قال ابن إسحق : ولما هزم الله المشركين من أهل حُنَين وأمكن رسوله صلى الله عليه وسلم منهم قالت امرأة من المسلمين : —

قَدْ غَلَبَتْ خَيْلُ اللهِ خَيْلَ اللاَّتْ ... وَاللهُ أحَقُّ بِالثَّبَات

قال ابن هشام : أنشدني بعض أهل العلم بالرواية للشعر : —

غَلَبَتِ خَيْلَ اللهِ خَيْلَ اللاَّتِ ... وَخَيْلُهُ أحَقُّ بِالثَّبَاتِ

قال ابن إسحق : فلما انهزمت هوازن استَحَرَّ[5] القتلُ من ثقيف في بني مالك ، فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ،فيهم عثمان بن عبد الله

(١) مخرفا : يريد به نخلا ، وإنما سماه مخرفا لأنه يخترف ثمره : أي يجنى

(٢) أول مال اعتقدته : أي اتخذته عقدة ، والعقدة : الضيعة

(٣) البجاد - بزنة كتاب - الكساء

(٤) مبثوث : متفرق منتشر

(٥) استحر القتل : اشتد وقوى

ابن ربيعة بن الحرث بن حبيب ، وكانت رايتهم مع ذى الخمار ، فلما قُتِل أخذها عثمان بن عبد الله فقاتل بها حتى قتل

قال ابن إسحق : وأخبرنى عامر بن وهب بن الأسود ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله قال : « أَبْعَدَهُ اللهُ فَإِنَّهُ كَانَ يُبْغِضُ قُرَيْشًا » .

قال ابن إسحق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه قُتِلَ مع عثمان بن عبد الله غلام له نصرانى أغرل [1] قال : فبينا رجل من الأنصار يَسْلُب قَتْلى ثقيف إذ كَشَفَ العبد يسلبه ، فوجده أغرل ، قال : فصاح بأعلى صوته : يامعشر العرب ، يعلم الله أن ثقيفا غُرْلٌ ، قال المغيرة ابن شعبة: فأخذت بيده ، وخشيت أن تذهب عنَّا فى العرب ، فقلت: لاتقل ذاك فداك أبى وأمى ، إنما هو غلام لنا نصرانى ، قال: ثم جعلت أكشف له عن القتلى ، وأقول له : ألاتراهم مختَتَنين كما ترى .

قال ابن إسحق : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسندرايته إلى شجرة وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف فلم يقتل من الأحلاف غيررجلين : رجل من بنى غِيَرَةَ يقال له وَهْبٌ ، وآخر من بنى كُنَّة [2] يقال له الْجُلاَح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم – حين بلغه قتل الجلاح – : « قُتِلَ الْيَوْمَ سَيِّدُ شَبَابِ ثَقِيفٍ إلاَّ مَا كَانَ مِنَ ابْنِ هُنَيْدَةَ » يعنى بابن هنيدة الحرث بن أويس

---

(١) أغرل : أى غير مختتن ، والغرلة : هى الجلدة التى يقطعها الخاتن

(٢) من بنى كنة : قال أبو ذر : « كذا وقع هنا بالنون ، ورواه الخشنى كبة بالباء بواحدة من أسفل ، وهو الصواب » اه

فقال عباس بن مِرْدَاس السُّلَمى يذكر قارب بن الأسود وفراره من بنى أبيه ، وذا الخمار وحبسه قومه للموت : —

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ غَيْلاَنَ عَنِّى ... وَسَوْفَ إِخَالُ يَأْتِيهِ الْخَبِيرُ
وَعُرْوَةَ إِنَّمَا أُهْدِى جَوَاباً ... وَقَوْلاً غَيْرَ قَوْلِكُمَا يَسِيرُ
بِأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدٌ رَسُولٌ ... لِرَبٍّ لاَ يَضِلُّ وَلاَ يَجُورُ
وَجَدْنَاهُ نَبِيًّا مِثْلَ مُوسَى ... فَكُلُّ فَتًى يُخَايِرُهُ مَخِيرُ (١)
وَبِئْسَ الْأَمْرُ أَمْرُ بَنِى قَسِىٍّ ... بِوَجٍّ إِذْ تُقُسِّمَتِ الْأُمُورُ (٢)
أَضَاعُوا أَمْرَهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ ... أَمِيرٌ وَالدَّوَائِرُ قَدْ تَدُورُ
فَجِئْنَا أُسْدَ غَابَاتٍ إِلَيْهِمْ ... جُنُودُ اللهِ ضَاحِيَةً تَسِيرُ (٣)
نَؤُمُّ الْجَمْعَ جَمْعَ بَنِى قَسِىٍّ ... عَلَى حَنَقٍ نَكَادُ لَهُ نَطِيرُ (٤)

(١) يخايره : يغالبه فى الخير ، أى يقول له : أنا خير منك ، ومخير : اسم مفعول ، من خاره يخيره ، إذا غلبه فى الخير ، وتقول : خايرته فخرته أخيره : أى غالبته فى الخير فغلبته

(٢) قسى : اسم ثقيف ، ووج - بتشديد الجيم - اسم موضع

(٣) غابات : جمع غابة ، وهى مكان الأسد ، وضاحية : معناه بارزة لا يخفى مكانها ، وأصل معناه بارزة للشمس ، ومنه قوله تعالى : (إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى) والظاهر أنه لم يرد فى البيت ذلك المعنى ، وإنما أراد مجرد البروز الدال على الظهور ، وانتصاب ضاحية على أنه حال من الضمير المستتر فى « تسير » أو من جنود الله عند سيبويه .

(٤) نؤم : نقصد ، وبنو قسى : سبق أن المراد به ثقيف لأن هذا اسمهم ، والحنق - بفتح الحاء المهملة والنون - الغضب .

وَأُقْسِمُ لَوْ هُمُو مَكَثُوا لَسِرْنَا ... إِلَيْهِمْ بِالْجُنُودِ وَلَمْ يَغُورُوا (١)
فَكُنَّا أُسْدَ لِيَّةَ ثَمَّ حَتَّى ... أَبَحْنَاهُمْ وَأَسْلَمَتِ النُّصُورُ (٢)
وَيَوْمٌ كَانَ قَبْلُ لَدَى حُنَيْنٍ ... فَأَقْلَعَ وَالدِّمَاءُ بِهِ تَمُورُ (٣)
مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيَوْمٍ ... وَلَمْ يَسْمَعْ بِهِ قَوْمٌ ذُكُورُ
قَتَلْنَا فِي الْغُبَارِ بَنِي حُطَيْطٍ ... عَلَى رَايَاتِهَا وَالْخَيْلُ زُورُ (٤)
وَلَمْ يَكُ ذُو الْخِمَارِ رَئِيسَ قَوْمٍ ... لَهُمْ عَقْلٌ يُعَاقِبُ أَوْ نَكِيرُ
أَقَامَ بِهِمْ عَلَى سَنَنِ الْمَنَايَا ... وَقَدْ بَانَتْ لِمُبْصِرِهَا الْأُمُورُ (٥)
فَأَفْلَتَ مَنْ نَجَا مِنْهُمْ جَرِيضًا ... وَقُتِّلَ مِنْهُمُ بَشَرٌ كَثِيرُ (٦)
وَلَا يُغْنِي الْأُمُورَ أَخُو التَّوَانِي ... وَلَا الْغَلِقُ الصُّرَيِّرَةُ الْحَصُورُ (٧)
أَحَانَهُمُ وَحَانَ وَمَلَّكُوهُ ... أُمُورَهُمُ وَأَفْلَتَتِ الصُّقُورُ (٨)

(١) لم يغوروا : لم يذهبوا ، وأصل غار بمعنى أتى الغور .

(٢) لية ـ بكسر اللام وتشديد الياء المثناة ـ اسم موضع .

(٣) تمور : تسيل .

(٤) بنى حطيط : هو بضم الحاء المهملة وفتح الطاء المهملة أيضا ، ويروى بالخاء المعجمة ، وزور : مائلة .

(٥) سنن المنايا ـ بفتح السين والنون جميعاً ـ طريقها .

(٦) الجريض : المختنق بريقه .

(٧) التوانى : الفتور فى الأمر ، والغلق : الكثير الحرج ، كأنه تنغلق عليه الأمور وتوصد أبوابها فى وجهه ، والصريرة ـ بتشديد الياء ـ تصغير صرورة ، والصرورة : الذى لا يأتى النساء ، وهو فى الاسلام الذى لم يحج ، والحصور : العيى .

(٨) أحانهم : أهلكهم ، وحان : هلك ، يريد أنه عرضهم للهلاك وهلك معهم .

بَنُو عَوْفٍ تَمِيحُ بِهِمْ جِيَادٌ أُهِينَ لَهَا الْفَصَافِصُ وَالشَّعِيرُ (١)
فَلَوْلاَ قَارِبٌ وَبَنُو أَبِيهِ تُقُسِّمَتِ الْمَزَارِعُ وَالْقُصُورُ
وَلَـٰكِنَّ الرِّيَاسَةَ عُمِّمُوهَا عَلَى يُمْنٍ أَشَارَ بِهِ الْمُشِيرُ (٢)
أَطَاعُوا قَارِبًا وَلَهُمْ جُدُودٌ وَأَحْلاَمٌ إِلَى عِزٍّ تَصِيرُ
فَإِنْ يُهْدَوْا إِلَى الْإِسْلاَمِ يُلْفَوْا أُنُوفَ النَّاسِ مَا سَمَرَ السَّمِيرُ (٣)
وَإِنْ لَمْ يُسْلِمُوا فَهُمُ أَذَانٌ بِحَرْبِ اللهِ لَيْسَ لَهُمْ نَصِيرُ
كَمَا حَكَّتْ بَنِي سَعْدٍ وَحَرْبٍ بِرَهْطِ بَنِي غَزِيَّةَ عَنْقَفِيرُ (٤)
كَأَنَّ بَنِي مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ إِلَى الْإِسْلاَمِ ضَائِنَةٌ تَخُورُ (٥)
فَقُلْنَا أَسْلِمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ
وَقَدْ بَرَأَتْ مِنَ الْإِحَنِ الصُّدُورُ (٦)
كَأَنَّ الْقَوْمَ إِذْ جَاؤُا إِلَيْنَا مِنَ الْبَغْضَاءِ بَعْدَ السِّلْمِ عُورُ (٧)

---

(١) تميح بهم : تمشى بهم مشيا حسنا ، والفصافص : جمع فصفصة ، وهى بقلة تأكلها الدواب .

(٢) عمموها : أسندت إليهم وقدموا لها .

(٣) أنوف الناس : سادتهم والمقدمين عليهم ، والسمير : جماعة السمار ، وهم الذين يتحدثون ليلا .

(٤) عنقفير : اسم من أسماء الداهية ، وهو فاعل حكت فى أول البيت

(٥) تخور : تصيح .

(٦) الاحن : جمع إحنة ، وهى الحقد والعداوة والبغضاء ، وفى بعض النسخ « كما سلمت من الترة الصدور » والترة ـ بكسر التاء وفتح الراء ـ هنا العداوة .

(٧) عور : جمع أعور ، يريد أنهم ينظرون إليهم بجهة ، وذلك نظر المتكبر

قال ابن هشام : غيلان : غيلان بن سَلَمَةَ الثَّقفي ، وعُرْوَة : عروة بن مسعود الثقفي

قال ابن إسحق : ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ، ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأَوْطَاسَ ، وتوجَّه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غِيَرَةَ من ثقيف ، وتبعت خَيْلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك فى نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا

مقتل دريد ابن الصمة

فأدرك ربيعةُ بن رُفَيْع بن أُهْبَان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سَمَّال ابن عوف بن امرىء القيس ، وكان يقال له ابن الدُّغُنَّة ، وهى أمه ، فغلبت على اسمه (ويقال : ابن لَذْعَةَ فيما قال ابن هشام) دُرَيْدَ بن الصمة ، فأخذ جمله ، وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه فى شِجَار له[1] فاذا برجل ، فأناخ به ، فاذا شيخ كبير ، وإذا هو دريد بن الصمة ، ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد بى ؟ قال : أقتلك ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعةُ بن رُفَيْع السُّلَمى ، ثم ضربه بسيفه ، فلم يُغْنِ [فيه] شَيْئاً ، فقال : بِئْسَ ما سَلَّحَتْكَ أمك ، خذ سيفى هذا من مُؤَخَّرِ الرَّحْلِ ، وكان الرَّحْل فى الشجار ، ثم اضْرِبْ به ، وارفع عن العظام ، واخفض عن الدماغ ، فانى كذلك كنت أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة ، فَرُبَّ والله يَوْمٍ قد مَنَعْتُ فيه نساءك ، فزعم بنو سليم أن ربيعة قال : لما ضربته فوقع تَكَشَّفَ فاذا عِجَانه[2] وبطون فخذيه مثل القرطاس من ركوب الخيل أَعْرَاءً[3] ، فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمهاتٍ لك ثلاثا

---

(١) الشجار ـ بزنة كتاب ـ شبه الهودج . (انظر : هـ ٢ ص ٦٥)

(٢) العجان ـ بزنة كتاب ـ ما بين الفرجين .

(٣) أعراء : جمع عر ، وهو ههنا الفرس الذى لا سرج له .

فقالت عَمْرَةُ بنت دريد فى قتل ربيعة دريدا : —

عمرة بنت دريد ترثى أباها

لَعَمْرُكَ مَاخَشِيتُ عَلَى دُرَيْدٍ ببَطْنِ سُمَيْرَةٍ جَيْشَ الْعَنَاقِ (١)
جَزَى عَنَّا الْإِلٰهُ بَنِى سُلَيمٍ وَعَقَّتْهُمْ بِمَا فَعَلُوا عِقَاقِ (٢)
وَأَسْقَانَا إِذَا قُدْنَا إِلَيْهِمْ دِمَاءَ خِيَارِهِمْ عِنْدَ التَّلَاقِى
فَرُبَّ عَظِيمَةٍ دَافَعْتَ عَنْهُمْ وَقَدْ بَلَغَتْ نُفُوسُهُمُ التَّرَاقِى (٣)
وَرُبَّ كَرِيمَةٍ أَعْتَقْتَ مِنْهُمْ
وَأُخْرَى قَدْ فَكَكْتَ مِنَ الْوَثَاقِ
وَرُبَّ مُنَوِّهٍ بِكَ مِنْ سُلَيْمٍ أَجَبْتَ وَقَدْ دَعَاكَ بِلَارِمَاقِ (٤)

(١) سميرة : قال ياقوت : « كأنه تصغير سمرة ، واد قرب حنين قتل فيه دريد بن الصمة ، قتله ربيعة بن رفيع بن أهبان . . . فقالت عمرة بنت دريد ترثيه وتنعى إلى بنى سليم إحسان دريد إليهم فى الجاهلية . . وذكر الأبيات كما هنا » اه ، وجيش العناق - بالعين المهملة والنون الموحدة - وأصل العناق - كسحاب الأنثى من أولاد المعز ، وهى أيضاً الداهية والأمر الشديد ، فان كان من الأول فالمراد أنها لم تخش عليه هذا الجيش الضعيف ، وإن كان من الثانى فالمراد أنها لم تخش عليه هذا الجيش وإن كان شديداً عظيما لأنها تعلم مقدار صبره فى الحرب وشجاعته وظفره بأعدائه ، وقال أبو ذر : « جيش العناق تعنى به النجيبة » اه وكأن الرواية عنده « العتاق » بكسر العين المهملة وبالتاء المثناة

(٢) عقاق : فعال كقطام من العقوق ، وهو ضد البر ، واستعمال هذه الصيغة فى هذا الموضع نادر

(٣) التراق : جمع ترقوة ، وهى عظام الصدر

(٤) المنوه : اسم فاعل من نوه - بتشديد الواو - إذا ناداك نداء ظاهراً

فَـكَانَ جَزَاؤُنَا مِنْهُمْ عُقُوقًا
وَهَمًّا مَاعَ مِنْهُ مُخُّ سَاقِ (١)

عَفَتْ آثَارُ خَيْلِكَ بَعْدَ أَيْنٍ بِذِى بَقَرٍ إِلَى فِيفِ النُّهَاقِ (٢)

وقالت عمرة بنت دريد أيضاً : —

قَالُوا قَتلْنَا دُرَيْدًا قُلْتُ قَدْ صَدَقُوا
فَظَلَّ دَمْعِى عَلَى السِّرْبَالِ يَنْحدِرُ
لَوْ لاَ الَّذِى قَهَرَ الْأَقْوَامَ كُلَّهُمُ
رَأَتْ سُلَيْمٌ وَكَعْبٌ كَيْفَ تَأْتَمِرُ
إِذَنْ لَصَبَّحَهُمْ غِبًّا وَظَاهِرَةً
حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ نَوَاهُمْ جَحْفَلٌ ذَفِرُ (٣)

قال ابن هشام : ويقال : اسم الذى قتل دريدا عبدالله بن قُنَيْع بن أَهْبَان ابن ثعلبة بن ربيعة .

بأشهر أسمائك ، والرماق - بزنة كتاب وسحاب - بقية الحياة

(١) ماع : سال ، وكل سائل مائع

(٢) عفت : درست وتغيرت ، وذو بقر : موضع ، ويروى ذو نفر — بالنون والفاء ، والفيف : القفر ، والنهاق : موضع

(٣) الغب - بكسر الغين المعجمة وتشديد الباء - أن ترد الابل يوما وتدعه يوما ، والظاهرة : أن ترده كل يوم ، وقد أرادت أنه يكثر عليهم الغارة ، فضربت ذلك مثلا ، والجحفل : الجيش الكثير ، وذفر : كريه الريح من طول لبس السـلاح ، وهو بالذال المعجمة وبالدال المهملة أيضا ، وبهما يروى .

شأن أبي عامر الأشعري

قال ابن إسحق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثار من توجّه قِبَلَ أوْطَاس أبا عامر الأشْعَرِيَّ ، فأدرك من الناس بعض من انهزم ، فناوشوه القتال [١] فرُمِيَ أبو عامر بسهم فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعرى ، وهو ابن عمه ، فقاتلهم ، ففتح الله على يديه وهزمهم ، فيزعمون أن سَلَمَةَ ابن دُرَيْد هو الذى رمى أبا عامر الأشعرى بسهم فأصاب ركبته فقتله ، فقال:

إنْ تَسْأَلوا عَنِّى فَإِنِّى سَلَمَهْ ... ابْنُ سَمَادِيرَ لِمَنْ تَوَسَّمَهْ [٢]

* أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ رُؤُسَ الْمُسْلِمَهْ *

وسمادير : أمه

واستَحرَّ القتل من بنى نصر فى بنى رئاب ، فزعموا أن عبد الله بن قيس — وهو الذى يقال له : ابن العوراء ، وهو أحد بنى وهب بن رئاب — قال : يارسول الله ، هَلَكَتْ بنو رئاب ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللَّهُمَّ اجْبُرْ مُصِيبَتَهُمْ »

شأن مالك ابن عوف

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة فوقف فى فوارس من قومه على ثَنِيَّةٍ [٣] من الطريق ، وقال لأصحابه : قفوا حتى تمضى ضعفاؤكم ويلحق أُخْراكم ، فوقف هنالك حتى مضى من كان لحق بهم من مُنْهَزِمَة الناس ، فقال مالك بن عوف فى ذلك : —

وَلَوْلاَ كَرَّتَانِ عَلَى مُحَاجٍ ... لَضَاقَ عَلَى الْعَضَارِيطِ الطَّرِيقُ [٤]

---

(١) ناوشوه القتال : قال المجد فى القاموس : « المناوشة : المناولة فى القتال » اه ولا شك أن المراد هنا أنهم قاتلوه بعض قتال

(٢) سمادير هنا : اسم أمه كما قال المؤلف . ولمن توسمه : أى لمن نظر إليه وأراد أن يستدل عليه

(٣) الثنية : موضع مرتفع بين جبلين

(٤) محاج : اسم فرسه ، والعضاريط : الأتباع ، ووقع فى بعض النسخ الأضاريط .

وَلَوْلَا كَرُّ دُهْمَانَ بْنِ نَصْرٍ
لَدَى النَّخْلَاتِ مُنْدَفَعَ الشَّدِيقِ (١)

لَآبَتْ جَعْفَرٌ وَبَنُو هِلَالٍ خَزَايَا مُحْقِبِينَ عَلَى شُقُوقِ (٢)

قال ابن هشام: هذه الأبيات لمالك بن عوف فى غير هذا اليوم، ومما يدلك على ذلك قول دريد بن الصمة فى صدر هذا الحديث: مافعلت كعب وكلاب؟ فقالوا له: لم يشهدها منهم أحد، وجعفر: ابن كلاب، وقال مالك ابن عوف فى هذه الأبيات: «لَآبَتْ جَعْفَرٌ وَبَنُو هِلَالٍ».

[قال ابن هشام:] وبلغنى أن خيلا طلعت، ومالك وأصحابه على الثَّنِيَّة، فقال لأصحابه: ماذا تَرَوْنَ؟ فقالوا: نرى قَوْماً واضعى رماحهم بين آذان خيلهم طويلة بَوَادُّهُمْ (٣) فقال: هؤلاء بنو سليم، ولا بأس عليكم منهم، فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادى، ثم طلعت خيل أخرى تتبعها، فقال لأصحابه: ماذا تَرَوْنَ؟ قالوا: نرى قوما عارضى رماحهم أَغْفَالاً (٤) على خيلهم، فقال: هؤلاء الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، ولا بأس عليكم منهم، فلما انتهوا إلى أصل الثَّنِيَّةِ سلكوا طريق بنى سليم، ثم طلع فارس، فقال لأصحابه: ماذا ترون؟

---

(١) الشديق: اسم موضع.

(٢) خزايا: جمع خزيان، ومحقبين: تروى هذه الكلمة بثلاث روايات هذه إحداها، والمراد مردفين لمن انهزم منهم، والرواية الثانية «محقين» وهو من الحق، ويقال: أحقت خيل الرجل، إذا لم تنجب، والرواية الثالثة «مجلبين» والمراد بها مجتمعون، وقوله «على شقوق» أراد على مشقة

(٣) البواد: جمع باد - بتشديد الدال - وهو لحم الفخذ

(٤) أغفالا: جمع غفل - بزنة قفل - وهو الذى لا علامة له، يريد أنهم لم يتخذوا لأنفسهم علامة يعرفون بها

قالوا : نرى فارساً طويل البادّ ، واضعا رمحه على عاتقه (١) ، عاصبا رأسه بمُلَاءة حمراء (٢) فقال : هذا الزبير بن العوام ، وأحلف باللات لَيُخَالِطَنَّكُم فاثْبُتُوا له ، فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصر القوم فَصَمَدَ لهم (٣) فلم يزل يُطَاعنهم حتى أزاحهم (٤) عنها

قال ابن إسحق : وقال سلمة بن دريد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم :

نَسَّيْتِنِي مَا كُنْتِ غَيْرَ مُصَابَةٍ
وَلَقَدْ عَرَفْتِ غَدَاةَ نَعْفِ الْأَظْرُبِ (٥)

أَنِّي مَنَعْتُكِ وَالرُّكُوبُ مُحَبَّبٌ
وَمَشَيْتُ خَلْفَكِ مِثْلَ مَشْيِ الْأَنْكَبِ (٦)

إِذْ فَرَّ كُلُّ مُهَذَّبٍ ذِي لِمَّةٍ
عَنْ أُمِّهِ وَخَلِيلِهِ لَمْ يُعْقِبِ (٧)

عود الى شأن أبي عامر الاشعرى

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به من أهل العلم بالشعر وحديثه أن أبا عامر [الأشعرى] لقي يوم أَوْطَاسَ عشرة إخوة من المشركين ، فحمل عليه

---

(١) العاتق : ما بين المنكب والعنق

(٢) الملاءة : الملحفة صغيرة كانت أو كبيرة

(٣) صمد لهم : قصد ناحيتهم

(٤) أزاحهم عنها : أزالهم

(٥) النعف : أسفل الجبل ، والأظرب : يحتمل أن يكون اسم موضع ، وأن يكون جمع ظرب ، وهو الجبل الصغير

(٦) الأنكب : المائل إلى جهة

(٧) المهذب : الخالص من العيوب ، أو هو المسرع في السير ، وخليله هو صاحبه ، ويروى « وخليلة » بتاء التأنيث ، وهي الزوجة ، وقوله « لم يعقب » أي لم يرجع

أحدهم ، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الاسلام ، ويقول: اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِ ، فقتله أبو عامر ، ثم حمل عليه آخر ، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الاسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ، فقتله أبو عامر ، ثم جعلوا يحملون عليه رجلا رجلا ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك حتى قتل تسعة وبقي العاشر ، فحمل على أبي عامر ، وحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الاسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ، فقال الرجل : اللَّهُمَّ لا تَشْهَدْ علىَّ ، فكفَّ عنه أبو عامر ، فأفلت ، ثم أسلم بعدُ فَحَسُنَ إسلامه ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال : « هَـٰذَا شَرِيدُ أَبِي عَامِرٍ » ورمى أبا عامر أخَوَان : العلاء ، وأوْفَى ، ابنا الحرث من بني جُشَم بن معاوية ، فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته ، فقتلاه ، وولى الناسَ أبو موسى الأشعري ، فحمل عليهما ، فقتلهما ، فقال رجل من بني جُشَم بن معاوية يرثيهما : —

إِنَّ الرَّزِيَّةَ قَتْلُ الْعَلَاءِ ... وَأَوْفَى جَمِيعاً وَلَمْ يُسْنَدَا
هُمَا الْقَاتِلَانِ أَبَا عَامِرٍ ... وَقَدْ كَانَ ذَا هَبَّةٍ أَرْبَدَا(١)
هُمَا تَرَكَاهُ لَدَى مَعْرَكٍ ... كَأَنَّ عَلَى عِطْفِهِ مُجْسَدَا(٢)
فَلَمْ تَرَ فِي النَّاسِ مِثْلَيْهِمَا ... أَقَلَّ عِثَارًا وَأَرْمَى يَدَا

رسول الله ينهى عن قتل النساء والولدان والاجراء

قال ابن إسحق : وحدثني بعض أصحابنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر يومئذ بامرأة ، وقد قتلها خالد بن الوليد ، والناس مُتَقَصِّفُونَ (٣)

---

(١) ذاهبة : يريد سيفا ، وهبة السيف — بفتح الهاء وتشديد الباء — اهتزازه ووقع في بعض النسخ « وقد كان داهية » والأربد : الذي فيه طرائق

(٢) المعرك : موضع العراك ، وهو الحرب ، والمجسد : الثوب المصبوغ بالزعفران ، يريد أن دمه سال حتى صبغ ثوبه

(٣) متقصفون : يريد أنهم مجتمعون عليها ، ويروى منقصفون — بالنون في

عليها ، فقال : «ماهذا» ؟ فقالوا : امرأةقتلهاخالد بن الوليد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض من معه : « أَدْرِكْ خَالِدًا فَقُلْ لَهُ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّم ينهاكأَنْ تَقْتُلَ وَلِيدًا أَوِ امْرَأَةً أَوْ عَسِيفاً » .

شأن بجاد والشيماء أخت رسول الله من الرضاعة

قال ابن إسحق : وحدثني بعض بنى سعد بن بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : « إِنْ قَدَرْتُمْ عَلَى بِجَادٍ ، رجل من بنى سعد ابن بكر ، فَلَا يُفْلِتَنَّكُمْ » وكان قد أحدث حَدَثًا . فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الشَّيْمَاء بنت الحرث بن عبد الْعُزَّى أُخْتَ رَسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فَعَنَفُوا عليها فى السياق ، فقالت للمسلمين : تَعَلَّمُوا والله إنى لأخت صاحبكم من الرضاعة ، فلم يصدقوها حتى أَتَوْا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : فحدثنى يزيد بن عبيد السعدى ، قال : فلما انْتُهِيَ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : يارسول الله ، إنى أختك من الرضاعة ، قال : « وَمَا عَلاَمَةُ ذَلِكَ » ؟ قالت : عَضَّةٌ عَضَضْتَنيها فى ظَهْرِى وأنا مُتَوَرِّكَتُكَ [1] قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة ، فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخَيَّرَهَا ، وقال : « إِنْ أَحْبَبْتِ فَعِنْدِي مُحَبَّبَةً مُكَرَّمَةً وإِنْ أَحْبَبْتِ أَنْ أُمَتِّعَكِ [2] وَتَرْجِعِي إِلَى قَوْمِكِ فَعَلْتُ » فقالت : بل تمتعنى وتردنى إلى قومى ، فمتعها رسول الله صلى الله

موضع التاء ـ فالمراد أنهم لشدة ازدحامهم يكاد بعضهم يقصف بعضا : أى يكسره

(١) متوركتك : جعلتك تورك على

(٢) أمتعك : أعطيك ما يكون لك متاعا

عليه وسلم وردها إلى قومها، فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غُلَامًا له يقال له مكحول، وجارية، فزوجت أحدهما الأخرى، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية

ما نزل من القرآن فى يوم حنين

قال ابن هشام: وأنزل الله عز وجل فى يوم حنين (٩ : ٢٥ : — ٦٢): (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) إلى قوله (وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ)

شهداء غزوة حنين

قال ابن إسحق: وهذه تسمية من استشهد يوم حنين من المسلمين

من قريش، ثم من بنى هاشم: أيمن بن عبيد، ومن بنى أسد بن عبد العُزَّى: يزيد بن زَمْعَةَ بن الأسود بن المطلب بن أسد، جَمَحَ به فرس له يقال له الجناح فقتل

ومن الأنصار: سُرَاقة بن الحرث بن عدى، من بنى العجلان، ومن الأشعريين: أبو عامر الأشعرى

ثم جمعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا حُنَيْن وأموالها، وكان على المغانم مسعود بن عمرو الغفارى، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبايا والأموال إلى الجِعرانة فحبست بها

ذكر ما قيل من الشعر فى يوم حنين

أبيات لبجير ابن زهير

وقال بجير بن زهير بن أبى سُلْمَى فى يوم حُنَيْن: —

لَوْلاَ الْإِلهُ وَعَبْدُهُ وَلَّيْتُمُ
حِينَ اسْتَخَفَّ الرُّعْبُ كُلَّ جَبَانِ[1]

---

(١) استخف: دعاهم إلى الخفة وطاشت بحلومهم، والرعب: الفزع والخوف، و «كل جبان» هكذا وقع فى بعض النسخ، ووقع فى نسختين أخريين «كل جنان» والجنان: القلب

بِالْجِزْعِ يَوْمَ حَبَالَنَا أَقْرَانُنَا وَسَوَابِحٌ يَكْبُونَ لِلْأَذْقَانِ (١)
مِنْ بَيْنِ سَاعٍ ثَوْبُهُ فِي كَفِّهِ وَمُقَطَّرٍ بِسَنَابِكٍ وَلَبَانِ (٢)
فَاللهُ أَكْرَمَنَا وَأَظْهَرَ دِينَنَا وَأَعَزَّنَا بِعِبَادَةِ الرَّحْمٰنِ
وَاللهُ أَهْلَكَهُمْ وَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ وَأَذَلَّهُمْ بِعِبَادَةِ الشَّيْطَانِ

قال ابن هشام : ويروى فيها بعض الرواة : —

إِذْ قَامَ عَمُّ نَبِيِّكُمْ وَوَلِيُّهُ يَدْعُونَ يَالَكَتِيبَةِ الْإِيمَانِ
أَيْنَ الَّذِينَ هُمُ أَجَابُوا رَبَّهُمْ
يَوْمَ الْعُرَيْضِ وَبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ (٣)

قال ابن إسحق : وقال عباس بن مِرْدَاس في يوم حنين : — أبيات العباس ابن مرداس

إِنِّي وَالسَّوَابِحِ يَوْمَ جَمْعٍ
وَمَا يَتْلُو الرَّسُولُ مِنَ الْكِتَابِ (٤)
لَقَدْ أَحْبَبْتُ مَا لَقِيَتْ ثَقِيفٌ بِجَنْبِ الشِّعْبِ أَمْسِ مِنَ الْعَذَابِ
هُمُ رَأْسُ الْعَدُوِّ مِنَ أَهْلِ نَجْدٍ فَقَتْلُهُمُ أَلَذُّ مِنَ الشَّرَابِ

---

(١) الجزع : ما انعطف من الوادى ، وحبا : اعترض ، يقال : حبا الشيء ، إذا اعترض ، والسوابح : هى الخيل كأنها تسبح فى الماء لسهولة سيرها ويكبون : يخرون ويسقطون ، والأذقان : جمع ذقن ، كسبب وأسباب

(٢) مقطر : مرمى على قطره ، يريد واقعا على جنبه ، والسنابك : جمع سنبك ، وهو طرف مقدم الحافر ، واللبان ـ بفتح اللام ـ الصدر

(٣) العريض : موضع

(٤) جمع : هى المزدلفة ، وهى المشعر الحرام أيضا

هَزَمْنَا الْجَمْعَ جَمْعَ بَنِي قَسِيٍّ
وَحَكَّتْ بَرْكَهَا بِبَنِي رِئَابِ [(١)]

وَصِرْمًا مِنْ هِلَالٍ غَادَرَتْهُمْ بِأَوْطَاسٍ تُعَفَّرُ بِالتُّرَابِ [(٢)]
وَلَوْلَا قَيْنَ جَمْعَ بَنِي كِلَابٍ لَقَامَ نِسَاؤُهُمْ وَالنَّقْعُ كَابِي
رَكَضْنَا الْخَيْلَ فِيهِمْ بَيْنَ بُسٍّ إِلَى الْأَوْرَالِ تَنْحِطُ بِالنِّهَابِ [(٣)]
بِذِي لَجَبٍ رَسُولُ اللهِ فِيهِمْ كَتِيبَتُهُ تَعَرَّضُ لِلضِّرَابِ [(٤)]

قال ابن هشام: قوله « تعفر بالتراب » عن غير ابن إسحق

فأجابه عَطيّةُ بن عُفَيْف [(٥)] النَّصْرِيُّ، فيما قال ابن هشام، فقال: —

أَفَاخِرَةٌ رِفَاعَةُ فِي حُنَيْنٍ وَعَبَّاسُ ابْنُ رَاضِعَةِ اللِّجَابِ
فَإِنَّكَ وَالْفَخَارَ كَذَاتِ مِرْطٍ لِرَبَّتِهَا وَتَرْفُلُ فِي الْإِهَابِ

---

(١) البرك: الصدر، والضمير يعود إلى الحرب المفهومة من كلامه، ولهذا ساغ له إضمارها وإن لم يجر لها ذكر صريح

(٢) الصرم ـ بكسر فسكون ـ جماعة بيوت انقطعت عن الحى الكبير، وأوطاس: اسم موضع، وقد سبق بيانه، وتعفر بالتراب: كناية عن وقوعهم مجدلين فوق التراب

(٣) تنحط: تخرج نفسها عاليا، والنهاب: جمع نهب، وهو ما ينتهب من الغنائم

(٤) بذى لجب: أراد به جيشاً كثير العدد، واللجب: صوته

(٥) قال أبو ذر: « وقع هنا بفتح العين، وروى أيضاً بضم العين وتخفيف الياء، وروى عفيف بضم العين وتشديد الياء، وعفيف بضم العين وتخفيف الياء. قيده الدارقطنى »

قال ابن إسحق : وقال عَطيــة بن عُفَيف هذين البيتين لما أكثر عباس على هَوَازن فى يوم حُنَين ، ورفاعة من جهينة

قال ابن إسحق : وقال عباس بن مرداس أيضاً : —

كلمة أخرى لعباس ابن مرداس

يَاخَاتِمَ النُّبَآءِ إنَّكَ مُرْسَـــلٌ
بِالْحَقِّ كُلُّ هُدَى السَّبِيلِ هُدَاكَا

إنَّ الْإِلٰهَ بَنَى عَلَيْكَ مَحَبَّـةً
فِى خَلْقِهِ وَمُحَمَّدًا سَمَّاكَا

ثُمَّ الَّذِينَ وَفَوْا بِمَا عَاهَدْتَهُمْ
جُنْدٌ بَعَثْتَ عَلَيْهِمُ الضَّحَّاكَا

رَجُلًا بِهِ ذَرَبُ السِّلَاحِ كَأَنَّهُ
لَمَّا تَكَنَّفَهُ الْعَدُوُّ يَرَاكَا (١)

يَغْشَى ذَوِى النَّسَبِ الْقَرِيبِ وَإِنَّمَا
يَبْغِى رِضَا الرَّحْمٰنِ ثُمَّ رِضَاكَا

أُنْبِيكَ أَنِّى قَدْ رَأَيْتُ مَكَرَّهُ
تَحْتَ الْعَجَاجَةِ يَدْمَغُ الْإِشْرَاكَا (٢)

طَوْرًا يُعَانِقُ بِالْيَـدَيْنِ وَتَارَةً
يَقْرِى الْجَمَاجِمَ صَارِمًا بَتَّاكَا (٣)

---

(١) « به ذرب السلاح » صرامته وحدته وشدته ، ويقال : فلان ذرب اللسان ، إذا كان حديده ، وتكنفه : أحاط به

(٢) أنبيك : أراد أنبئك فخفف الهمزة ، ومعناه أخبرك ، ومكره : مصدر ميمى بمعنى الكر ، والعجاجة : الغبرة ، ويدمغ الاشراك : يضرب دماغه ، وأراد أهل الاشراك ، على حد قوله تعالى : (واسأل القرية) وتقول : دمغه ، إذا أصاب دماغه ، كما تقول : رأسه وجلده وعانه ووجهه ، إذا أصاب رأسه وجلده وعينه ووجهه

(٣) يقرى : تروى هذه الكلمة بالفاء ، ومعناه يقطع ، وعليه فقوله

يَغْشَى بِهِ هَامَ الْكُمَاةِ وَلَوْ تَرَى
مِنْهُ الَّذِي عَايَنْتُ كَانَ شِفَاكَا (١)

وَبَنُو سُلَيْمٍ مُعْنِقُونَ أَمَامَهُ
ضَرْبًا وَطَعْنًا فِي الْعَدُوِّ دِرَاكَا (٢)

يَمْشُونَ تَحْتَ لِوَائِهِ وَكَأَنَّهُمْ
أُسْدُ الْعَرِينِ أَرَدْنَ ثَمَّ عِرَاكَا (٣)

مَا يَرْتَجُونَ مِنَ الْقَرِيبِ قَرَابَةً   إِلاَّ لِطَاعَةِ رَبِّهِمْ وَهَوَاكَا
هٰذِي مَشَاهِدُنَا الَّتِي كَانَتْ لَنَا   مَعْرُوفَةً وَوَلِيُّنَا مَوْلاَكَا

قصيدة أخرى لعباس بن مرداس

وقال عبَّاس بن مرْداس أيضا : —

إِمَّا تَرَىْ يَاأُمَّ فَرْوَةَ خَيْلَنَا   مِنْهَا مُعَطَّلَةٌ تُقَادُ وَظُلَّعُ (٤)
أَوْهَى مُقَارَعَةُ الأَعَادِي دَمَّهَا   فِيهَا نَوَافِذُ مِنْ جِرَاحٍ تَنْبَعُ (٥)

«صارما بتاكا» حال من فاعله ، وتروى بالقاف ومعناه يطعم ، مأخوذ من القرى وهو مايقدم للضيف من الطعام ، وعلى هذا فصارما بتاكا مفعول ثان ليقرى ، والصارم : السيف القاطع ، والبتاك : الشديد القطع

(١) الهام : الرؤس ، والكماة : الشجعان ، واحدهم كمى ، ومعنى « لوترى . . . الخ » أنك لورأيت شجاعته التى عاينتها أنا لسرك ذلك منه فكان شفاء لنفسك

(٢) معنقون : مسرعون ، تقول : أعنق يعنق ـ مثل أكرم يكرم ـ إذا سار العنق ، وهو ضرب من السير السريع ، ودراك : متتابع ، تقول : دارك فلان بين العملين دراكا ـ مثل قاتل قتالا ـ إذا تابع بينهما

(٣) العرين : موضع الأسد ، والعراك : المدافعة فى الحرب

(٤) ظلع : جمع ظالع ، وهو فاعل من الظلع ، وهو العرج

(٥) أوهى : أضعف ، ومقارعة الأعادى : موافقتهم ومحاربتهم ،

فَلَرُبَّ قَائِلَةٍ كَفَاهَا وَقْعُنَا أَزْمَ الْحُرُوبِ فَسِرْبُهَا لَا يُفْزَعُ(١)
لَا وَفْدَ كَالْوَفْدِ الْأُلَى عَقَدُوا لَنَا سَبَبًا بِحَبْلِ مُحَمَّدٍ لَا يُقْطَعُ(٢)
وَفْدُ أَبُو قَطَنٍ حُزَابَةُ مِنْهُمُ وَأَبُو الْغُيُوثِ وَوَاسِعٌ وَالْمِقْنَعُ
وَالْقَائِدُ الْمِائَةِ الَّتِي وَفَّى بِهَا تِسْعَ الْمِئِينَ فَتَمَّ أَلْفٌ أَقْرَعُ(٣)
جَمَعَتْ بَنُو عَوْفٍ وَرَهْطُ مُخَاشِنٍ سِتًّا وَأَجْلَبَ مِنْ خُفَافٍ أَرْبَعُ(٤)
فَهُنَاكَ إِذْ نُصِرَ النَّبِيُّ بِأَلْفِنَا عَقَدَ النَّبِيُّ لَنَا لِوَاءً يَلْمَعُ
فُزْنَا بِرَايَتِهِ وَأَوْرَثَ عَقْدُهُ مَجْدَ الْحَيَاةِ وَسُؤْدَدًا لَا يُنْزَعُ
وَغَدَاةَ نَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ جَنَاحُهُ بِبِطَاحِ مَكَّةَ وَالْقَنَا يَتَهَزَّعُ(٥)

و «دمها» تروى بالدال وبالراء ، فأما من رواها بالدال فمعناه تسويتها بالعمل والصنعة لها حتى استوى لحمها ، تقول : دمت الارض ، إذا سويتها : وأما من رواها بالراء فمعناه ما أصلحناه منها ، تقول : رممت الشيء ، إذا أصلحته ، وتنبع : تسيل بالدم

(١) أزم الحرب : شدتها ، وسربها : نفسها ، وقيل : أهلها ، ولا يفزع : أى لا يعتريه الفزع والخوف

(٢) الألى : أى الذين ، والسبب : الحبل ، وأراد هنا الألفة

(٣) ألف أقرع : أى تام لا ينقص منه شيء ، والألف مذكر

(٤) أحلب يروى بالحاء المهملة وبالجيم ، فأما من رواه بالحاء المهملة فمعناه جمع ، وأما من رواه بالجيم فمعناه جمع مع حركة وصوت ، وخفاف - كغراب - اسم رجل تنسب إليه القبيلة

(٥) يتهزع : تروى هذه الكلمة بالزاى وتروى بالراء المهملة ، فأما من رواها بالزاى فمعناها تضطرب وتتحرك ، وأما من رواها بالراء المهملة فمعناها تسرع إلى الطعن فى الأعادى ، تقول : أهرعت ، إذا أسرعت

كَانَتْ إجَابَتُنَا لِدَاعِي رَبِّنَا ... بِالحَقِّ مِنَّا حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ (١)

فِي كُلِّ سَابِغَةٍ تَخَيَّرَ سَرْدَهَا ... دَاوُدُ إذْ نَسَجَ الحَدِيدَ وَتُبَّعُ (٢)

وَلَنَا عَلَى بِئْرَىْ حُنَيْنٍ مَوْكِبٌ ... دَمَغَ النِّفَاقَ وَهَضْبَةٌ مَا تُقْلَعُ (٣)

نُصِرَ النَّبِيُّ بِنَا وَكُنَّا مَعْشَرًا ... فِي كُلِّ نَائِبَةٍ نَضُرُّ وَنَنْفَعُ

زُرْنَا غَدَاتَئِذٍ هَوَازِنَ بِالقَنَا ... وَالخَيْلُ يَغْمُرُهَا عَجَاجٌ يَسْطَعُ (٤)

إذْ خَافَ حَدَّهُمُ النَّبِيُّ وَأَسْنَدُوا

جَمْعًا تَكَادُ الشَّمْسُ مِنْهُ تَخْشَعُ (٥)

يُدْعَى بَنُو جُشَمٍ وَيُدْعَى وَسْطَهُ ... أَفْنَاءُ نَصْرٍ وَالأَسِنَّةُ شُرَّعُ (٦)

حَتَّى إذَا قَالَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ... أَبَنِي سُلَيْمٍ قَدْ وَفَيْتُمْ فَارْفَعُوا (٧)

---

(١) الحاسر : الذى لادرع له ، والمقنع : الذى يلبس المغفر على رأسه

(٢) السابغة : الدرع الكاملة ، وسردها : نسجها ، وداود : أبو سليمان وكان يصنع الدروع ، قال الله تعالى : « أن اعمل سابغات وقدر فى السرد » أى : أن اعمل دروعا سابغات . وتبع : ملك من ملوك اليمن

(٣) الموكب : الجماعة من الخيل ، ودمغ النفاق : أصاب دماغه (وانظر هـ ٢ ص ٩٥ من هذا الجزء) والهضبة : الكدية

(٤) العجاج : الغبار ، ويسطع : يعلو ويتفرق

(٥) تخشع : أراد هنا بالخشوع نقصان ضيائها

(٦) الأفناء ـ بالفاء ـ الجماعة التى تجتمع من قبائل شتى ، وشرع : مائلة للطعن : أى منتصبة مرفوعة

(٧) اربعوا : رويت هذه الكلمة بالباء وبالفاء ، فأما من رواها بالباء فمعناها كفوا وتمهلوا ، وأما من رواها بالفاء فهو معروف

رُحْنَا وَلَوْلَا نَحْنُ أَجْحَفَ بَأْسُهُمْ   بِالْمُؤْمِنِينَ وَأَحْرَزُوا مَا جَمَّعُوا (١)

وقال عباس بن مِرْدَاس أيضا فى يوم حُنَين : —

قصيدة أخرى لعباس بن مرداس

عَفَا مِجْـدَلٌ مِنْ أَهْلِهِ فَمُتَالِعُ
فَمِطْلَى أَرِيكٍ قَدْ خَلَا فَالْمَصَانِعُ (٢)

دِيَارٌ لَنَا يَاجُمْلُ إِذْ جُلُّ عَيْشِنَا
رَخِيٌّ وَصَرْفُ الدَّارِ لِلْحَيِّ جَامِعُ (٣)

حُبَيِّبَةٌ أَلْوَتْ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى
لِبَيْنٍ فَهَلْ مَاضٍ مِنَ الْعَيْشِ رَاجِعُ (٤)

فَإِنْ تَبْتَغِي الْكُفَّارَ غَيْرَ مَلُومَةٍ   فَإِنِّي وَزِيرٌ لِلنَّبِيِّ وَتَابِعُ

دَعَانَا إِلَيْهِمْ خَيْرُ وَفْدٍ عَلِمْتُهُمْ   خُزَيْمَةُ وَالْمَرَّارُ مِنْهُمْ وَوَاسِعُ

---

(١) أجحف : نقص وضر ، وأحرزوا : جعلوه فى حرز ومنعة

(٢) عفا : تغير ودرس ، وأصل المجدل ـ كمنبر ـ القصر أو الحصن ، وهو ههنا مكان ، ومتالع : جبل ، والمطلاء ـ بالمد ـ الأرض التى يستقر فيها الماء ، وقصره هنا للضرورة ، وأريك : موضع ، والمصانع : مواضع تصنع للماشية كالصهاريج

(٣) جمل : اسم امرأة ، وجل عيشنا : أكثره ، ورخى : ناعم

(٤) « حبية » تروى بضم الحاء بعدها باء موحدة مفتوحة فياء مثناة مشددة ، وهو تصغير حبية ، وتروى « حبيبة » بياء موحدة فياء مثناة فباء موحدة مكسورة فياء مثناة مشددة ـ وهى المنسوبة إلى بنى حبيب ، وألوت بها : غيرتها عما كنا نعهدها عليه ، والنوى ، والبين : الفراق

فَجِئْنَا بِأَلْفٍ مِنْ سُلَيْمٍ عَلَيْهِمُ
لَبُوسٌ لَهُمْ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ رَائِعُ (١)

نُبَايِعُهُ بِالْأَخْشَبَيْنِ وَإِنَّمَا
يَدَ اللّٰهِ بَيْنَ الْأَخْشَبَيْنِ نُبَايِعُ (٢)

فَجِئْنَا مَعَ الْمَهْدِيِّ مَكَّةَ عَنْوَةً
بِأَسْيَافِنَا والنَّقْعُ كَابٍ وَسَاطِعُ (٣)

عَلَانِيَةً وَالْخَيْلُ يَغْشَى مُتُونَهَا
حَمِيمٌ وَآنٍ مِنْ دَمِ الْجَوْفِ نَاقِعُ (٤)

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ سَارَتْ هَوَازِنٌ
إِلَيْنَا وَضَاقَتْ بِالنُّفُوسِ الْأَضَالِعُ (٥)

---

(١) لبوس من نسج داود : أراد الدروع ، ورائع : معجب يروعك بحسنه وجماله

(٢) الأخشبان : جبلان يكتنفان مكة

(٣) جئنا : هكذا وقع فى أكثر النسخ ، وفى نسخة « فجسنا » أى وطئنا ، وقال الله تعالى : (فجاسوا خلال الديار) وعنوة - بفتح العين وسكون النون - هى القهر والغلبة ، والمهدى ههنا : النبي صلى الله عليه وسلم ، والنقع : الغبار ، وكاب : موجع ، وساطع : متفرق

(٤) المتون : الظهور ، واحدها متن : والحميم : الساخن ، والآنى : الحار ، وناقع : معناه كثير

(٥) الأضالع : جمع ضلع على غير قياس ، أوهو جمع أضلع وهو جمع ضلع

صَبَرْنَا مَعَ الضَّحَّاكِ لاَ يَسْتَفِزُّنَا
قِرَاعُ الْأَعَادِى مِنْهُمُ وَالْوَقَائِعُ (١)

أَمَامَ رَسُولِ اللهِ يَخْفِقُ فَوْقَنَا
لِوَاءٌ كَخُذْرُوفِ السَّحَابَةِ لاَمِعُ (٢)

عَشِيَّةَ ضَحَّاكُ بْنُ سُفْيَانَ مُعْتَصٍ
بِسَيْفِ رَسُولِ اللهِ وَالْمَوْتُ كَانِعُ (٣)

نَذُودُ أَخَانَا عَنْ أَخِينَا وَلَوْ نَرَى مَصَالاً لَكُنَّا الْأَقْرَبِينَ نُتَابِعُ
وَلٰكِنَّ دِينَ اللهِ دِينَ مُحَمَّدٍ رَضِينَا بِهِ فِيهِ الْهُدَى وَالشَّرَائِعُ
أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ أَمْرَنَا وَلَيْسَ لِأَمْرٍ حَمَّهُ اللهُ دَافِعُ (٤)

وقال عباس بن مرداس أيضا : —

تَقَطَّعَ بَاقِى وَصْلِ أُمِّ مُؤَمَّلٍ بِعَاقِبَةٍ وَاسْتَبْدَلَتْ نِيَّةً خُلْفَا (٥) قصيدة أخرى لعباس بن مرداس

(١) لا يستفزنا : لا يستخفنا ، وقراع الأعادى : مقارعتهم بالسيوف وحربهم ، والوقائع : جمع وقيعة

(٢) خذروف السحابة : طرفها ، وأراد هنا السرعة فى تحرك هذا اللواء واضطرابه .

(٣) معتص : ضارب ، تقول : اعتصوا بالسيوف ، إذا تضاربوا بها ، والموت كانع : أى دان ، تقول : كنع الموت ، إذا دنا وقرب .

(٤) حمه الله : قدره وهيأ أسبابه .

(٥) النية : ما ينويه الانسان من وجه ويقصده ، وخلف : يروى بضم الخاء المعجمة وبفتحها ، فأما من رواه بضم الخاء فهو من خلف الوعد ، وهو عدم إنجازه ، وأما من رواه بفتح الخاء فهو من المخالفة ، وهى ضد الموافقة

وَقَـدْ حَلَفَتْ بِاللهِ لاَ تَقْطَعُ الْقُوَى
فَمَا صَدَقَتْ فِيهِ وَلاَ بَرَّتِ الْحِلْفَا (١)

خُفَافِيَّةٌ بَطْنُ الْعَقِيقِ مَصِيفُهَا
وَتَحْتَلُّ فِي الْبَادِينَ وَجْرَةَ فَالْعُرْفَا (٢)

فَإِنْ تَتْبَعِ الْكُفَّارَ أُمُّ مُؤَمَّلٍ
فَقَدْ زَوَّدَتْ قَلْبِي عَلَى نَأْيِهَا شَغْفَا (٣)

وَسَوْفَ يُنَبِّيهَا الْخَبِيرُ بِأَنَّنَا
أَبَيْنَا وَلَمْ نَطْلُبْ سِوَى رَبِّنَا حِلْفَا (٤)

وَأَنَّا مَعَ الْهَادِى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَفَيْنَا وَلَمْ يَسْتَوْفِهَا مَعْشَرٌ أَلْفَا

بِفِتْيَانِ صِدْقٍ مِنْ سُلَيْمٍ أَعِزَّةٍ
أَطَاعُوا فَمَا يَعْصُونَ مِنْ أَمْرِهِ حَرْفَا

---

(١) القوى ـ بضم القاف وفتح الواو ، مقصورا ـ أسباب المودة ؛ ولابرت الحلفا : هو من الحلف الذى هو اليمين .

(٢) خفافية : منسوبة إلى بنى خفاف ، وهم حى من سليم ، والعقيق : واد بالحجاز ، ومصيفها : المكان الذى تقيم فيه زمن الصيف ، ووجرة والعرف : موضعان .

(٣) النأى : البعد ، والشغف : مصدر شغفته ، إذا وصل حبها إلى شغاف قلبه ، وشغاف القلب : حجابه ، وتروى بالعين المهملة ، والشعف : أن يحرق الحب القلب مع أن المحب يجد فى ذلك لذة ، وبالمهملة والمعجمة قرىء فى قوله تعالى : (قد شغفها حبا)

(٤) الحلف هنا : المحالفة ، وهو أن يتحالف القوم على أن يكونوا يداً واحدة فى جميع أمورهم .

خُفَافٌ وَذَكْوَانٌ وَعَوْفٌ تَخَالُهُمْ
مَصَاعِبَ زَافَتْ فِي طَرُوقَتِهَا كُلْفَا (١)
كَأَنَّ النَّسِيجَ الشُّهْبَ وَالْبِيضَ مُلْبَسٌ
أُسُوداً تَلاَقَتْ فِي مَرَاصِدِهَا غُضْفَا (٢)
بِنَا عَزَّ دِينُ اللهِ غَيْرَ تَنَحُّلٍ
وَزِدْنَا عَلَى الْحَيِّ الَّذِي مَعَهُ ضِعْفَا (٣)
بِمَكَّةَ إِذْ جِئْنَا كَأَنَّ لِوَاءَنَا عُقَابٌ أَرَادَتْ بَعْدَ تَحْلِيقِهَا خَطْفَا
عَلَى شُخَّصِ الأَبْصَارِ تَحْسِبُ بَيْنَهَا
إِذَا هِيَ جَالَتْ فِي مَرَاوِدِهَا عَزْفَا (٤)
غَدَاةَ وَطِئْنَا الْمُشْرِكِينَ وَلَمْ نَجِدْ لِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ عَدْلاً وَلاَ صَرْفَا
بِمُعْتَرَكٍ لاَ يَسْمَعُ الْقَوْمُ وَسْطَهُ لَنَا زَجْمَةً إِلاَّ التَّذَامُرَ وَالنَّقْفَا (٥)

---

(١) مصاعب : جمع مصعب ، وهو الفحل ، وزافت : سارت ومشت والطروقة : الناقة التي يطرقها الفحل ، والكلف : جمع أكلف ، وهو الأسود

(٢) النسيج هنا : الدروع ، والمراصد : جمع مرصد ، وهو المكان الذى يرصد فيه بعض الناس بعضا ، والغضف : جمع أغضف ؛ وهو المسترخي الأذنين

(٣) التنحل : الكذب

(٤) شخص : جمع شاخص ، وتقول : شخص بصره ، إذا ارتفع ، والمراود : جمع مرود ، وهو الوتد ، والعزف : الصوت والحركة

(٢) المعترك : موضع الاعتراك : أى الحرب ، والزجمة : أى الكلمة ، قال ابن السراج : هومن قولهم : مازجم بكلمة ، يريدون ماتكلم بكلمة ولا نطق بها ، والتذامر : أن يحض بعضهم بعضا على القتال ، والنقف : الضرب الشديد .

بِبِيضٍ تُطِيرُ الْهَامَ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا
وَنَقْطِفُ أَعْنَاقَ الْكُمَاةِ بِهَا قَطْفَا (١)

فَكَائِنْ تَرَكْنَا مِنْ قَتِيلٍ مُلَحَّبٍ وَأَرْمَلَةٍ تَدْعُو عَلَى بَعْلِهَا لَهْفَا (٢)

رِضَا اللهِ نَنْوِي لَا رِضَا النَّاسِ نَبْتَغِي
وَلِلهِ مَا يَبْدُو جَمِيعًا وَمَا يَخْفَى

وقال عباس بن مرداس أيضا : — .

قصيدة أخرى لعباس بن مرداس

مَا بَالُ عَيْنِكَ فِيهَا عَائِرٌ سَهِرُ
مِثْلُ الْحَمَاطَةِ أَغْضَى فَوْقَهَا الشُّفُرُ (٣)

عَيْنٌ تَأَوَّبَهَا مِنْ شَجْوِهَا أَرَقٌ فَالْمَاءُ يَغْمُرُهَا طَوْرًا وَيَنْحَدِرُ (٤)

كَأَنَّهُ نَظْمُ دُرٍّ عِنْدَ نَاظِمَةٍ تَقَطَّعَ السِّلْكُ مِنْهُ فَهْوَ مُنْتَثِرُ (٥)

---

(١) أراد بالبيض السيوف ، والهام : هي الرءوس ، ومستقرها : مكان استقرارها ، ونقطف : نقطع ، والكماة : الشجعان ، واحدهم كمى

(٢) كائن : أى كثيرا ، وملحب : أى مقطع اللحم ، والأرملة : التى مات زوجها .

(٣) العائر : وجع العين ، وسهر : وصف من السهر الذى هو الامتناع من النوم ، وأرادسهر صاحبه ، والحماطة : شدة تكون فى جفن العين ، والشفر ـ بضم الشين والفاء جميعا ـ أجفان العين

(٤) تأوبها . جاءها مع الليل ، أو راجعها مرة بعد مرة ، والشجو : الحزن ، والأرق : السهر ، فالماء يغمرها : أراد بالماء ههنا الدمع ، يريد أنه يغطيها وينحدر : يسيل

(٥) السلك : هو الخيط الذى ينظم فيه الدر ، ومنتثر : منقطع

يَا بُعْدَ مَنْزِلِ مَنْ تَرْجُو مَوَدَّتَهُ وَمَنْ أَتَى دُونَهُ الصَّمَّانُ فَالْحَفَرُ (١)

دَعْ مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ فَقَدْ
وَلَّى الشَّبَابُ وَزَارَ الشَّيْبُ وَالزَّعَرُ (٢)

وَاذْكُرْ بَلَاءَ سُلَيْمٍ فِى مَوَاطِنِهَا
وَفِى سُلَيْمٍ لِأَهْلِ الْفَخْرِ مُفْتَخَرُ (٣)

قَوْمٌ هُمُ نَصَرُوا الرَّحْمَـنَ وَاتَّبَعُوا
دِينَ الرَّسُولِ وَأَمْرُ النَّاسِ مُشْتَجِرُ (٤)

لَا يَغْرِسُونَ فَسِيلَ النَّخْـلِ وَسْطَهُمُ
وَلَا تَخَاوَرُ فِى مَشْتَاهُمُ الْبَقَرُ (٥)

إِلَّا سَـوَابِحَ كَالْعِقْبَانِ مُقْرَبَةً
فِى دَارَةٍ حَوْلَهَا الْأَخْطَارُ وَالْعَكَرُ (٦)

---

(١) الصمان ـ كشداد ـ والحفر ـ بفتح الحاء المهملة والفاء ـ اسما موضعين

(٢) الزعر : قلة الشعر ، وهو من علامات الكبر أيضا .

(٣) بلاء سليم : عظيم صنعها ، والمواطن : جمع موطن ، وأراد به مواقع الحروب ، ومفتخر : أراد موضع فخر

(٤) أمر الناس مشتجر : مختلف ، والاشتجار : الاختلاف وتداخل الحجج بعضها على بعض

(٥) الفسيل : صغار النخل ، وتخاور : هو من الخوار ، وهو صوت الأبقار ووقع فى بعض الروايات تجاور ـ بالجيم وبالراء المهملة ـ ووقع فى روايات أخرى تحاوز ـ بالحاء المهملة والزاى ـ وكلاهما غير صواب ، والصواب هو ما قدمناه .

(٦) سوابح : جمع سابح ، وهو الفرس الذى كأنه يعوم فى الماء عند جريه ،

تَدْعَى خُفَافٌ وَعَوْفٌ فِي جَوَانِبِهَا
وَحَيُّ ذَكْوَانَ لَا مِيلٌ وَلَا ضُجُرُ (١)
الضَّارِبُونَ جُنُودَ الشِّرْكِ ضَاحِيَةً
بِبَطْنِ مَكَّةَ وَالْأَرْوَاحُ تَبْتَدِرُ (٢)
حَتَّى رَفَعْنَا وَقَتْلَاهُمْ كَأَنَّهُمُ
نَخْلٌ بِظَاهِرَةِ الْبَطْحَاءِ مُنْقَعِرُ (٣)
وَنَحْنُ يَوْمَ حُنَيْنٍ كَانَ مَشْهَدُنَا
لِلدِّينِ عِزًّا وَعِنْدَ اللهِ مُدَّخَرُ
إِذْ نَرْكَبُ الْمَوْتَ مُخْضَرًّا بَطَائِنُهُ
وَالْخَيْلُ يَنْجَابُ عَنْهَا سَاطِعٌ كَدِرُ (٤)
تَحْتَ اللِّوَاءِ مَعَ الضَّحَّاكِ يَقْدُمُنَا
كَمَا مَشَى اللَّيْثُ فِي غَابَاتِهِ الْخَدِرُ (٥)

ومقربة ـ بالباء ـ التي تربط قريبا من بيوت أصحابها محافظة عليها ، ووقع في بعض النسخ «مقرنة» بالنون ، والأخطار : الجماعات من الابل ، والعكر : الابل الكثيرة

(١) الميل ـ بكسر الميم ـ جمع أميل ، وهو الذى لاسلاح معه ، والضجر ـ بضم الضاد والجيم ـ جمع ضجر ـ ككتف ، وهو المتبرم الذى ساء احتماله وضاق صدره

(٢) ضاحية : منكشفة بارزة للشمس

(٣) منقعر : منقلع من أصله

(٤) ساطع : هو الغبار المتفرق ، والكدر : المتغير إلى السواد

(٥) الخدر ـ بفتح الخاء وكسر الدال ـ الأسد الداخل فى خدره ، وخدر الأسد وعرينه غابته : كل ذلك موضعه

فِي مَأْزِقٍ مِنْ مَجَرِّ الْحَرْبِ كَلْكَلُهَا
تَــكَادُ تَأْفُلُ مِنْهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (١)

وَقَدْ صَبَرْنَا بِأَوْطَاسٍ أَسِنَّتَنَا
لِلَّهِ نَنْصُرُ مَنْ شِئْنَا وَنَنْتَصِرُ

حَتَّى تَأَوَّبَ أَقْوَامٌ مَنَازِلَهُمْ
لَوْلاَ الْمَلِيكُ وَلَوْلَا نَحْنُ مَا صَدَرُوا (٢)

فَمَا تَرَى مَعْشَرًا قَلُّوا وَلَا كَثُرُوا
إلاَّ قَدَ أُصْبَحَ مِنَّا فِيهِـمُ أَثَرُ

وقال عباس بن مرداس أيضا : —

قصيدة أخرى لعباس بن مرداس

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الَّذِي تَهْوِي بِهِ
وَجْنَاءُ مُجْمَرَةُ الْمَنَاسِمِ عِرْمِسُ (٣)

إِمَّا أَتَيْتَ عَلَى النَّبِيِّ فَقُلْ لَهُ
حَقًّا عَلَيْكَ إِذَا اطْمَأَنَّ الْمَجْلِسُ

يَاخَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطِيَّ وَمَنْ مَشَى
فَوْقَ التُّرَابِ إِذَا تُعَـــــدُّ الْأَنْفُسُ

---

(١) المأزق : المكان الضيق ، والكلكل : الصدر ، وتأفل : تغيب

(٢) تأوب : أراد رجع ، وصدر : رجع أيضاً

(٣) تهوى به : تسرع به ، والوجناء : الناقة الضخمة ، والمناسم : جمع منسم ، وهو طرف خف البعير ، وعرمس : شديدة

إنَّا وَفَيْنَا بِالَّذِي عَاهَدْتَنَا
وَالْخَيْلُ تُقْدَعُ بِالْكُمَاةِ وَتُضْرَسُ (١)
إذْ سَالَ مِنْ أفْنَاءِ بُهْثَةَ كُلِّهَا
جَمْعٌ تَظَلُّ بِهِ الْمَخَارِمُ تَرْجُسُ (٢)
حَتَّى صَبَحْنَا أهْلَ مَكَّةَ فَيْلَقًا
شَهْبَاءَ يَقْدُمُهَا الْهُمَامُ الْأَشْوَسُ (٣)
مِنْ كُلِّ أغْلَبَ مِنْ سُلَيْمٍ فَوْقَهُ
بَيْضَاءُ مُحْكَمَةُ الدِّخَالِ وَقَوْنَسُ (٤)
يُرْوِي الْقَنَاةَ إذَا تَجَاسَرَ فِي الْوَغَى
وَتَخَالُهُ أسَدًا إذَا مَا يَعْبِسُ
يَغْشَى الْكَتِيبَةَ مُعْلَمًا وَبِكَفِّهِ
عَضْبٌ يَقُدُّ بِهِ وَلَدْنٌ مِدْعَسُ (٥)

---

(١) تقدع : تكف وتزجر ، والكماة : الشجعان ، واحدهم كمى ، وتضرس : تجرح

(٢) سال : أراد ارتفع ، وأصل الأفناء الجماعة إذا كانوا أخلاطا من قبائل شتى ، وأراد هنا الجماعه مطلقا ، وبهثة : حى من سليم ، والمخارم : الطرق فى الجبال ، واحدها مخرم ، وترجس : تهتز وتتحرك ، وأراد تموج بالسائرين فيها

(٣) صبحنا : أتينا صباحا ، وأراد هنا الغارة ، والفيلق : الجيش ، والشهباء : الكثيرة السلاح ، والهمام : السيد، والأشوس : الذى ينظر نظر المتكبر

(٤) الأغلب : الشديد الغليظ ، ومحكمة الدخال : أى النسج ، وأراد الدرع ، والقونس : أعلى بيضة الحديد

(٥) العضب : السيف القاطع ، واللدن : اللين ، وأراد به الرمح ، والمدعس : الطعان ، تقول : دعسته بالرمح ، إذا طعنته به

وَعَلَى حُنَيْنٍ قَدْ وَفَى مِنْ جَمْعِنَا
أَلْفٌ أُمِدَّ بِهِ الرَّسُولَ عَرَنْدَسُ (١)
كَانُوا أَمَامَ الْمُؤْمِنِينَ دَرِيئَةً
وَالشَّمْسُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهِمْ أَشْمُسُ (٢)
نَمْضِي وَيَحْرُسُنَا الْإِلٰهُ بِحِفْظِهِ وَاللّٰهُ لَيْسَ بِضَائِعٍ مَنْ يَحْرُسُ
وَلَقَدْ حُبِسْنَا بِالْمَنَاقِبِ مَحْبِسًا رَضِيَ الْإِلٰهُ بِهِ فَنِعْمَ الْمَحْبِسُ
وَغَدَاةَ أَوْطَاسٍ شَدَدْنَا شَدَّةً
كَفَتِ الْعَدُوَّ وَقِيلَ مِنْهَا يَا احْبِسُوا
تَدْعُو هَوَازِنُ بِالْإِخَاوَةِ بَيْنَنَا ثَدْيٌ تَمُدُّ بِهِ هَوَازِنُ أَيْبَسُ
حَتَّى تَرَكْنَا جَمْعَهُمْ وَكَأَنَّهُ عَيْرٌ تُعَاقِبُهُ السِّبَاعُ مُفَرَّسُ (٣)

قال ابن هشام : أنشدنى خَلَفٌ الأحمر قوله « وقيل منها ياأحبسوا »

قال ابن إسحق : وقال عباس بن مرداس أيضاً : —

كلمة أخرى للعباس ابن مرداس

نَصَرْنَا رَسُولَ اللّٰهِ مِنْ غَضَبٍ لَهُ بِأَلْفِ كَمِيٍّ لَا تُعَدُّ حَوَاسِرُهْ (٤)

---

(١) العرندس : الشديد

(٢) دريئة : أى مدافعة ، تقول : درأت عنه : إذا دفعت ، ويروى « درية » بتشديد الياء المثناة ، ومعناه الستر ، والمعنيان متقاربان

(٣) العير — بفتح فسكون — حمار الوحش ، ومفرس : معقور قد افترسته السباع

(٤) حواسره : جمع حاسر ، وهو الذى لادرع له ، يريد لاتعد جموعه الذين لادروع لهم

حَمَلْنَا لَهُ فِي عَامِلِ الرُّمْحِ رَايَةً   يَذُودُ بِهَا فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ نَاصِرُهْ

وَنَحْنُ خَضَبْنَاهَا دَمًا فَهْوَ لَوْنُهَا   غَدَاةَ حُنَيْنٍ يَوْمَ صَفْوَانُ شَاجِرُهْ(١)

وَكُنَّا عَلَى الْإِسْلَامِ مَيْمَنَةً لَهُ   وَكَانَ لَنَا عَقْدُ اللِّوَاءِ وَشَاهِرُهْ

وَكُنَّا لَهُ دُونَ الْجُنُودِ بِطَانَةً   يُشَاوِرُنَا فِي أَمْرِهِ وَنُشَاوِرُهْ

دَعَانَا فَسَمَّانَا الشِّعَارَ مُقَدَّمًا   وَكُنَّا لَهُ عَوْنًا عَلَى مَنْ يُنَاكِرُهْ(٢)

جَزَى اللهُ خَيْرًا مِنْ نَبِيٍّ مُحَمَّدًا   وَأَيَّدَهُ بِالنَّصْرِ وَاللهُ نَاصِرُهْ

قال ابن هشام: أنشدنى من قوله « وكنا على الاسلام » إلى آخرها بعضُ أهل العلم بالشعر، ولم يعرف البيت الذى أوله

* حَمَلْنَا لَهُ فِي عَامِلِ الرُّمْحِ رَايَةً *

وأنشدنى بعدَ قوله :

* وَكَانَ لَنَا عَقْدُ اللِّوَاءِ وَشَاهِرُهْ *

* وَنَحْنُ خَضَبْنَاهُ دَمًا فَهْوَ لَوْنُهُ *

قال ابن إسحق: وقال عباس بن مرداس أيضا :ـ

قصيدة اخرى لعباس بن مرداس

مَنْ مُبْلِغُ الْأَقْوَامِ أَنَّ مُحَمَّدًا   رَسُولَ الْإِلٰهِ رَاشِدٌ حَيْثُ يَمَّمَا

---

(١) شاجره: مخاصمه ومخالطه، ويحتمل أن يكون المراد بشاجره مخالطه بالرمح، تقول: شجرته بالرمح، إذا طعنته به، وتقول: شجرت الرماح واشتجرت، إذا اختلط بعضها ببعض

(٢) أصل الشعار ـ بزنة كتاب ـ ما ولى جسد الانسان من الثياب، فاستعاره هنا للخلصان الأوداء.

دَعَا رَبَّهُ وَاسْتَنْصَرَ اللهَ وَحْدَهُ ... فَأَصْبَحَ قَدْ وَفَّى إِلَيْهِ وَأَنْعَمَا
سَرَيْنَا وَوَاعَدْنَا قُدَيْدًا مُحَمَّدًا ... يَؤُمُّ بِنَا أَمْرًا مِنَ اللهِ مُحْكَمَا
تَمَارَوْا بِنَا فِي الْفَجْرِ حَتَّى تَبَيَّنُوا ... مَعَ الْفَجْرِ فِتْيَانًا وَغَابًا مُقَوَّمَا(١)
عَلَى الْخَيْلِ مَشْدُودًا عَلَيْنَا دُرُوعُنَا ... وَرَجْلًا كَدُفَّاعِ الْأَتِيِّ عَرَمْرَمَا(٢)
فَإِنَّ سَرَاةَ الْحَيِّ إِنْ كُنْتَ سَائِلًا ... سُلَيْمٌ وَفِيهِمْ مِنْهُمُ مَنْ تَسَلَّمَا
وَجُنْدٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يَخْذُلُونَهُ ... أَطَاعُوا فَمَا يَعْصُونَهُ مَا تَكَلَّمَا
فَإِنْ تَكُ قَدْ أَمَّرْتَ فِي الْقَوْمِ خَالِدًا
وَقَدَّمْتَهُ فَإِنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَا
بِجُنْدٍ هَدَاهُ اللهُ أَنْتَ أَمِيرُهُ
تُصِيبُ بِهِ فِي الْحَقِّ مَنْ كَانَ أَظْلَمَا
حَلَفْتُ يَمِينًا بَرَّةً لِمُحَمَّدٍ ... فَأَكْمَلْتُهَا أَلْفًا مِنَ الْخَيْلِ مُلْجَمَا
وَقَالَ نَبِيُّ الْمُؤْمِنِينَ تَقَدَّمُوا ... وَحُبَّ إِلَيْنَا أَنْ نَكُونَ الْمُقَدَّمَا
وَبِتْنَا بِنَهْيِ الْمُسْتَدِيرِ وَلَمْ يَكُنْ ... بِنَا الْخَوْفُ إِلَّا رَغْبَةً وَتَحَزُّمَا (٣)
أَطَعْنَاكَ حَتَّى أَسْلَمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ
وَحَتَّى صَبَحْنَا الْجَمْعَ أَهْلَ يَلَمْلَمَا (٤)

(١) تماروا : شكوا فينا ، والغاب هنا : الرماح

(٢) الأتى ـ بفتح الهمزة وكسر التاء المثناة وتشديد الياء ـ السيل يأتى من بلد إلى بلد ، والعرمرم : الكثير الشديد

(٣) النهى ـ بفتح فسكون أو بكسر فسكون ـ الغدير من الماء

(٤) يلملم : موضع

يَضِلُّ الْحِصَانُ الْأَبْلَقُ الْوَرْدُ وَسْطَهُ
وَلاَ يَطْمَئِنُّ الشَّيْخُ حَتَّى يُسَوَّمَا (١)
سَمَوْنَا لَهُمْ وِرْدَ الْقَطَا زَفَّهُ ضُحًا
وَكُلٌّ تَرَاهُ عَنْ أَخِيهِ قَدَ أُحْجَمَا (٢)
لَدنْ غُدْوَةً حَتَّى تَرَكْنَا عَشِيَّةً حُنَيْناً وَقَدْ سَالَتْ دَوَافِعُهُ دَمَا (٣)
إِذَا شِئْتَ مِنْ كُلٍّ رَأَيْتَ طِمِرَّةً
وَفَارِسَهَا يَهْوِى وَرُمْحًا مُحَطَّمَا (٤)
وَقَدْ أَحْرَزَتْ مِنَّا هَوَازِنُ سَرْبَهَا
وَحُبَّ إِلَيْهَا أَنْ نَخِيبَ وَنُحْرَمَا (٥)

قال ابن إسحق : وقال ضَمْضَم بن الحرث بن جُشَم بن عبد بن حبيب بن مالك بن عَوْف بن يَقَظَةَ بن عُصَيَّةَ السُّلَمى ، فى يوم حنين ، وكانت ثقيف أصابت كنانةَ بن الحكم بن خالد بن الشريد فقتل به محْجَنًا وابن عم له ، وهما من ثقيف : —

قصيدة لضمضم ابن الحارث السلمى

نَحْنُ جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ غَيْرِ مَجْلَبٍ
إِلَى جُرَشٍ مِنْ أَهْلِ زَيَّانَ وَالْفَمِ (٦)

---

(١) الحصان : الفرس الذكر ، ويسوم : يعلم نفسه بعلامة يعرف بها

(٢) زفه : ساقه سوقا سريعا ، وأحجم : رجع وانقبض ، ويقال : أحجم بمعنى تأخر ، ويقال : معناه تقدم ، والذى ذكرناه أولا هو المشهور

(٣) دوافعه : مجارى السيول فيه

(٤) طمرة ـ بكسرتين بعدهما ميم مشددة ـ فرس سريعة وثابة، ومحطم : مكسر

(٥) السرب ـ بفتح فسكون ـ المال الراعى

(٦) مجلب ـ بفتح الميم وسكون الجيم ـ مكان الجلب ، وجرش ـ بضم ففتح ـ اسم موضع ، وزيان : جبل ، والفم : موضع

نُقَتِّلُ أَشْبَالَ الْأُسُودِ وَنَبْتَغِي ... طَوَاغِيَ كَانَتْ قَبْلَنَا لَمْ تُهَدَّمِ (١)

فَإِنْ تَفْخَرُوا بِابْنِ الشَّرِيدِ فَإِنَّنِي ... تَرَكْتُ بِوَجٍّ مَأْتَماً بَعْدَ مَأْتَمِ (٢)

أَبَأْتُهُمَا بِابْنِ الشَّرِيدِ وَغَرَّهُ ... جِوَارُكُمُ وَكَانَ غَيْرَ مُذَمَّمِ (٣)

تُصِيبُ رِجَالاً مِنْ ثَقِيفٍ رِمَاحُنَا ... وَأَسْيَافُنَا يَكْلِمْنَهُمْ كُلَّ مَكْلَمِ (٤)

كلمة أخرى لضمضم بن الحارث

وقال ضمضم بن الحرث أيضاً : —

أَبْلِغْ لَدَيْكَ ذَوِي الْحَلَائِلِ آيَةً
لَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ ذَاتَ خِمَارِ (٥)

بَعْدَ الَّتِي قَالَتْ لِجَارَةِ بَيْتِهَا
قَدْ كُنْتِ لَوْ لَبِثَ الْغَزِيُّ بِدَارِ (٦)

لَمَّا رَأَتْ رَجُلاً تَسَفَّعَ لَوْنَهُ
وَغْرُ الْمَصِيفَةِ وَالْعِظَامُ عَوَارِ (٧)

---

(١) طواغى : جمع طاغية ، والمراد بها هنا البيوت التى كانوا يتعبدون فيها فى الجاهلية ويعظمونها سوى البيت الحرام ، وتهدم : تكسر وىزول أثرها

(٢) وج - بفتح الواو وتشديد الجيم — موضع بالطائف ، والمأتم : جماعة النساء يجتمعن فى الخير أو الشر ، وأراد به هنا اجتماعهن فى الحزن

(٣) أبأتهما بابن الشريد : أى جعلتهما بواء به ، والبواء : السواء ، والمراد أنه قتلهما

(٤) يكلمنهم : يجرحنهم ، والمكلم : مصدر ميمى بمعنى الجرح

(٥) الحلائل : جمع حليلة ، وهى الزوجة ، والآية : العلامة ، وذات خمار : امرأة

(٦) الغزى : الجماعة الذين يغزون

(٧) تسفع لونه : غيره إلى السفعة ، وهى سواد بحمرة ، والوغر : شدة الحر

مُشُطَ الْعِظَامِ تَرَاهُ آخِرَ لَيْلِهِ مُتَسَرْبِلاً فِي دِرْعِهِ لِغِوَارِ (١)

إِذْ لاَ أَزَالُ عَلَى رِحَالَةِ نَهْدَةٍ
جَرْدَاءَ تُلْحِقُ بِالنِّجَادِ إِزَارِي (٢)

يَوْماً عَلَى أَثَرِ النِّهَابِ وَتَارَةً كُتِبَتْ مُجَاهِدَةً مَعَ الْأَنْصَارِ (٣)

وَزُهَاءِ كُلِّ خَمِيلَةٍ أَزْهَقْتُهَا مَهْلاً تَمَهُّلُهُ وَكُلِّ خَبَارِ (٤)

كَيْمَا أُغَيِّرَ مَا بِهَا مِنْ حَاجَةٍ وَتَوَدُّ أَنِّيَ لاَ آُوبُ فَجَارِ (٥)

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة ، قال : أُسر زُهَيْر بن الْعَجْوَة الْهُذَلى يوم حُنين ، فكتف ، فرآه جميل بن معمر الجمحى ، فقال له : أنت الماشى لنا بالمغايظ ، فضرب عنقه ، فقال أبو خراش الهذلى يرثيه ، وكان ابن عمه : —

أبو خراش الهذلى يرثى زهير بن العجوة الهذلى

عَجَّفَ أَضْيَافِي جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ
بِذِي فَجَرٍ تَأْوِي إِلَيْهِ الْأَرَامِلُ (٦)

---

(١) مشط العظام : قليل اللحم الذى على العظام ، وهو بضمتين أو بفتح فسكون ، والغوار — بكسر الغين المعجمة — مصدر غاوره ، والمغاورة مثله

(٢) الرحالة : السرج ، والنهدة — بفتح النون وسكون الهاء — الغليظة وأراد بها فرسا ، والجرداء : قصيرة الشعر ، والنجاد — بزنة كتاب — حمائل السيف

(٣) النهاب : جمع نهب ، وهو مايغنم وينهب

(٤) الخميلة : الرملة الطيبة ينبت فيها شجر ، والخبار : أرض لينة التراب

(٥) أووب : أرجع ، وفجار : فعال كقطام من الفجور ، وهو معدول عن فاجرة ، وكان من حق هذه الصيغة ألا يستعملها فاعلا ، لأنها خاصة بالنداء

(٦) عجف : أضعف وأهزل ، والأرامل : جمع أرملة ، وهى المرأة التى لا زوج لها

طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْفِ لَيْسَ بِجَيْدَرٍ
إِذَا اهْتَزَّ وَاسْتَرْخَتْ عَلَيْهِ الْحَمَائِلُ (١)
تَكَادُ يَدَاهُ تُسْلِمَانِ إِزَارَهُ
مِنَ الْجُودِ لَمَّا أَزْلَقَتْهُ الشَّمَائِلُ (٢)
إِلَى بَيْتِهِ يَأْوِى الضَّرِيكُ إِذَا شَتَا
وَمُسْتَنْبِحٌ بَالِى الدَّرِيسَيْنِ عَائِلُ (٣)
تَرَوَّحَ مَقْرُورًا وَهَبَّتْ عَشِيَّةً لَهَا حَدَبٌ تَحْتَثُّهُ فَيُوَائِلُ (٤)
فَمَا بَالُ أَهْلِ الدَّارِ لَمْ يَتَصَدَّعُوا
وَقَدْ بَانَ مِنْهَا اللَّوْذَعِيُّ الْحُلَاحِلُ (٥)
فَأُقْسِمُ لَوْ لَاقَيْتَهُ غَيْرَ مُوثَقٍ
لَآبَكَ بِالنَّعْفِ الضِّبَاعُ الْجَيَائِلُ (٦)

---

(١) الجيدر ـ بالجيم ـ القصير

(٢) الجود هنا الجوع كما قال الخشنى ، ويحتمل أن يكون باقيا على أصله . أزلقته : أدركته وحددت ناظره ، والشمائل : جمع شمال وهو الطبع

(٣) الضريك : الفقير ، والمستنبح : الذى يضل بالليل ويتحير فينبح فتجيبه الكلاب فيقصدها ، والدريس : الثوب الخلق ، وأراد بالدريسين إزاره ورداءه ، والعائل : الفقير

(٤) المقرور : الذى أصابه القر ، وهو البرد ، والحدب : الارتفاع ، وتحته : تسوقه سوقا سريعا ، ويروى « تجته » بالجيم مكان المهملة – ومعناه تقتلعه من الأرض ، ويوائل : يطلب موئلا وهو الملجأ

(٥) لم يتصدعوا : لم يتفرقوا ، وبان : بعد ، واللوذعى : الذكى ، والحلاحل : السيد

(٦) لآبك : رجع إليك وزارك ، والنعف : أسفل الجبل ، والضباع : نوع من السباع ، والجيائل : جمع جيأل ، وهو من أسماء الضبع

وَإِنَّكَ لَوْ وَاجَهْتَهُ أَوْ لَقِيتَهُ فَنَازَلْتَهُ أَوْ كُنْتَ مِمَّنْ يُنَازِلُ

لَظَلَّ جَمِيلٌ أَفْحَشَ الْقَوْمِ صِرْعَةً
وَلَـكِنَّ قِرْنَ الظَّهْرِ لِلْمَرْءِ شَاغِلُ (١)

فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَاأُمَّ ثَابِتٍ
وَلَـكِنْ أَحَاطَتْ بِالرِّقَابِ السَّلَاسِلُ

وَعَادَ الْفَتَى كَالشَّيْخِ لَيْسَ بِفَاعِلٍ
سِوَى الْحَقِّ شَيْئًا وَاسْتَرَاحَ الْعَوَاذِلُ (٢)

وَأَصْبَحَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ كَأَنَّمَا
أَهَالَ عَلَيْهِمْ جَانِبَ التُّرْبِ هَائِلُ (٣)

فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي نَسِيتُ لَيَالِيًا
بِمَكَّةَ إِذْ لَمْ نَعْدُ عَمَّا نُحَاوِلُ (٤)

إِذِ النَّاسُ نَاسٌ وَالْبِلَادُ بِعِزَّةٍ
وَإِذْ نَحْنُ لَا تُثْنَى عَلَيْنَا الْمَدَاخِلُ (٥)

---

(١) صرعة — بكسر فسكون ـ اسم هيئة من الصرع ، وقرن الظهر : هو الذى يأتيه من وراء ظهره من حيث لا يراه

(٢) العواذل : اللوائم ، واحدهن عاذلة

(٣) أهال : دو فى التراب مثل صب فى الماء

(٤) نعد : نشتغل ونمتنع

(٥) بعزة ـ بالعين المهملة والزاى ـ كذا وقع فى نسختين ، وفى نسخة أبو ذر « بغرة » بغين معجمة وراء مهملة ، وهى الغفلة ، ولا تثنى : تعطف ويروى فى مكانه « لا تبنى » مبنيا للمعلوم

قال ابن إسحق : وقال مالك بن عوف ، وهو يعتذر يومئذ من فراره : —

قصيدة لمالك بن عوف يعتذر عن فراره

مَنَعَ الرُّقَادَ فَمَا أُغَمِّضُ سَاعَةً
نَعَمٌ بِأَجْزَاعِ الطَّرِيقِ مُخَضْرَمُ (١)
سَائِلْ هَوَازِنَ هَلْ أَضُرُّ عَدُوَّهَا
وَأُعِينُ غَارِمَهَا إِذَا مَا يَغْرَمُ
وَكَتِيبَةٍ لَبَّسْتُهَا بِكَتِيبَةٍ ... فِئَتَيْنِ مِنْهَا حَاسِرٌ وَمُلَأَّمُ (٢)
وَمُقَدَّمٍ تَعْيَا النُّفُوسُ لِضِيقِهِ ... قَدَّمْتُهُ وَشُهُودُ قَوْمِي أَعْلَمُ (٣)
فَوَرَدْتُهُ وَتَرَكْتُ إِخْوَانًا لَهُ ... يَرِدُونَ غَمْرَتَهُ وَغَمْرَتُهُ الدَّمُ (٤)
فَإِذَا انْجَلَتْ غَمَرَاتُهُ أَوْرَثْنَنِي
مَجْدَ الْحَيَاةِ وَمَجْدَ غُنْمٍ يُقْسَمُ (٥)
كَلَّفْتُمُونِي ذَنْبَ آلِ مُحَمَّدٍ ... وَاللهُ أَعْلَمُ مَنْ أَعَقُّ وَأَظْلَمُ
وَخَذَلْتُمُونِي إِذْ أُقَاتِلُ وَاحِدًا ... وَخَذَلْتُمُونِي إِذْ تُقَاتِلُ خَثْعَمُ

---

(١) النعم — بفتحتين — الابل ، ويقال : كل ماشية أكثرها إبل فهي نعم ، وأجزاع الطريق : ما انعطف منه ، ومخضرم : قد قطع من آذانه ليكون ذلك علامة له

(٢) الكتيبة : الجيش ، سميت بذلك لاجتماعها ، والحاسر : الذى لادرع له ، والملأم : الذى لبس اللأمة ، وهى الدرع

(٣) مقدم — بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال المهملة مفتوحة — الموضع الذى لا يتقدم فيه إلا الشجعان ، وهو اسم مكان من قدم — بتضعيف حشوه

(٤) غمرته : معظمه

(٥) المجد : الشرف

وَإِذَا بَنَيْتُ الْمَجْدَ يَهْدِمُ بَعْضُكُمْ
لاَ يَسْتَوِى بَانٍ وَآخَرُ يَهْدِمُ
وَأَقَبَّ مِخْمَاصِ الشِّتَاءِ مُسَارِعٍ
فِي الْمَجْدِ يُنْمَى لِلْعُلاَ مُتَكَرِّمِ (١)
أَكْرَهْتُ فِيهِ أَلَّةً يَزَنِيَّةً
سَحْمَاءَ يَقْدُمُهَا سِنَانٌ سَلْجَمُ (٢)
وَتَرَكْتُ حَنَّتَهُ تَرُدُّ وَلِيَّهُ
وَتَقُولُ : لَيْسَ عَلَى فُلاَنَةَ مَقْدَمُ (٣)
وَنَصَبْتُ نَفْسِي لِلرِّمَاحِ مُدَجَّجًا
مِثْلَ الدَّرِيَّةِ تُسْتَحَلُّ وَتُشْرَمُ (٤)

كلمة لبعض هوازن

قال ابن إسحق : وقال قائل من هوازن أيضا ، يذكر مسيرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مالك بن عوف ، بعد إسلامه : —

---

(١) أقب : ضامر الخصر ، ومخماص : ضامر البطن

(٢) الألة ـ بفتح الهمزة وتشديد اللام مفتوحة ـ الحربة ، ويزنية : منسوبة إلى ذى يزن ، وهو أحد ملوك حمير ، وسحماء : سوداء العصا ، وسنان سلجم : أى طويل

(٣) حنته : زوجته ، سميت بذلك لأنها تحن إليه ويحن هو إليها

(٤) مدججا : كامل السلاح ، والدرية : حلقة تنصب ليتعلم الطعن فيها وأصلها دريئة ، خفف الهمزة بقلبها ياء ثم أدغم الياء فى الياء ، وتشرم : تقطع ، وهو مبنى للمجهول

أَذْكُرْ مَسِيرَهُمُ لِلنَّاسِ إِذْ جُمِعُوا
وَمَالِكٌ فَوْقَهُ الرَّايَاتُ تَخْتَفِقُ
وَمَالِكٌ مَالِكٌ مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ
يَوْمَ حُنَيْنٍ عَلَيْهِ التَّاجُ يَأْتَلِقُ (١)
حَتَّى لَقُوا الْبَأْسَ حِينَ الْبَأْسُ يَقْدُمُهُمْ
عَلَيْهِمُ الْبِيضُ وَالْأَبْدَانُ وَالدَّرَقُ (٢)
فَضَارَبُوا النَّاسَ حَتَّى لَمْ يَرَوْا أَحَدًا
حَوْلَ النَّبِيِّ وَحَتَّى جَنَّهُ الْغَسَقُ (٣)
ثُمَّتَ نُزِّلَ جِبْرِيلٌ بِنَصْرِهِمُ
مِنَ السَّمَاءِ فَمَهْزُومٌ وَمُعْتَنَقُ
مِنَّا ، وَلَوْ غَيْرَ جِبْرِيلٍ يُقَاتِلُنَا
لَمَنَعَتْنَا إِذًا أَسْيَافُنَا الْعُتُقُ (٤)
وَفَاتَنَا عُمَرُ الْفَارُوقُ إِذْ هُزِمُوا
بِطَعْنَةٍ بَلَّ مِنْهَا سَرْجَهُ الْعَلَقُ (٥)

أبيات لامرأة من بنى جشم

وقالت امرأة من بنى جُشَم ، ترثى أخوين لها أصيبا يوم حنين (٦) : —

---

(١) يأتلق : يلمع

(٢) البيض : جمع بيضة الحديد ، والأبدان : الدروع ، والدرق : جمع درقة

(٣) جنه : ستره وأخفاه ، والغسق : الظلمة ، وأراد بها ظلمة الغبار

(٤) العتق : القديمة ، واحدها عتيق ، مثل رغيف ورغف

(٥) العلق : الدم ، ووقع صدر البيت فى بعض النسخ « وفاتنى . . . »

(٦) انظر (ص ٩٠ من هذا الجزء)

أعَيْنَىَّ جُودَا عَلَى مَالِكٍ مَعًا وَالْعَلَاءِ وَلَا تَجْمُدَا
هُمَا الْقَاتِلَانِ أَبَا عَامِرٍ وَقَدْ كَانَ ذَاهِبَةً أَرْبَدَا
هُمَا تَرَكَاهُ لَدَى مُجْسَدٍ يَنُوءُ نَزِيفًا وَمَا وُسِّدَا (١)

كلمة لأبى ثواب زيد بن صحار

وقال أبو ثَوَاب زيدُ بن صُحَار أحد بنى سعد بن بكر : —

أَلَا هَلْ أَتَاكَ أَنْ غَلَبَتْ قُرَيْشٌ هَوَازِنَ وَالْخُطُوبُ لَهَا شُرُوطُ
وَكُنَّا يَاقُرَيْشُ إِذَا غَضِبْنَا يَجِيءُ مِنَ الْغِضَابِ دَمٌ عَبِيطُ (٢)
وَكُنَّا يَا قُرَيْشُ إِذَا غَضِبْنَا كَأَنَّ أُنُوفَنَا فِيهَا سَعُوطُ (٣)
فَأَصْبَحْنَا تُسَوِّقُنَا قُرَيْشٌ سِيَاقَ الْعِيرِ يَحْدُوهَا النَّبِيطُ (٤)
فَلَا أَنَا إِنْ سُئِلْتُ الْخَسْفَ آبٍ وَلَا أَنَا أَنْ أُلِينَ لَهُمْ نَشِيطُ (٥)
سَيُنْقَلُ لَحْمُهَا فِى كُلِّ فَجٍّ وَتُكْتَبُ فِى مَسَامِعِهَا الْقُطُوطُ

[ويروى «الخطوط» وهذا البيت فى رواية ابن سعد (٦)]

قال ابن هشام : ويقال : أبو ثواب زياد بن ثواب ، وأنشدنى خَلَفٌ الأحمر قوله : —

---

(١) ينوء : ينهض متثاقلا ، والنزيف : الذى سال دمه حتى ضعف
(٢) الدم العبيط : الطرى
(٣) السعوط : مايجعل فى الأنف
(٤) النبيط : قوم من العجم كانوا يسكنون سواد العراق
(٥) الخسف : الذل والهوان ، وآب : ممتنع
(٦) سقطت هذه العبارة من أكثر النسخ ، والذى نعتقده أنها من حشو بعض النساخ ، وليست من أصل الكتاب ، فان ابن سعد متأخر الوفاة عن ابن هشام

يَجِيءُ مِنَ الْغِضَابِ دَمٌ عَبِيطُ

وآخرها بيتاً عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : فأجابه عبد الله بن وهب ، رجل من بنى تميم ثم من بنى أُسَيِّد ، فقال : —

عبد الله بن وهب يجيب أبا ثواب

بِشَرْطِ اللهِ نَضْرِبُ مَنْ لَقِينَا كَأَفْضَلِ مَا رَأَيْتَ مِنَ الشُّرُوطِ
وَكُنَّا يَا هَوَازِنُ حِينَ نَلْقَى نَبُلُّ الْهَامَ مِنْ عَلَقٍ عَبِيطِ (١)
بِجَمْعِكُمُ وَجَمْعِ بَنِي قَسِيٍّ نَحُكُّ الْبَرْكَ كَالْوَرَقِ الْخَبِيطِ (٢)
أَصَبْنَا مِنْ سَرَاتِكُمُ ومِنَّا نُقَتِّلُ فِى الْمُبَايِنِ وَالْخَلِيطِ
بِهِ الْمُلْتَاثُ مُفْتَرِشٌ يَدَيْهِ
يَمُجُّ الْمَوْتَ كَالْبَكْرِ النَّحِيطِ (٣)
فَإِنْ تَكُ قَيْسُ عَيْلَانٍ غِضَاباً فَلَا يَنْفَكُّ يُرْغِمُهُمْ سَعُوطِى

أبيات لخديج ابن العوجاء النصرى

وقال خَدِيج بن الْعَوْجاء النَّصْرِىّ :—

لَمَّا دَنَوْنَا مِنْ حُنَيْنٍ وَمَائِهِ
رَأَيْنَا سَوَاداً مُنْكَرَ اللَّوْنِ أَخْصَفَا (٤)

---

(١) الهام : الرءوس ، والعلق : الدم ، والعبيط : الطرى ، يريد أنهم يقتلون من يحاربونهم

(٢) بنو قسى : هم ثقيف ، والبرك : الصدر ، والورق الخبيط : هو الذى يخبط بالعصا ليسقط فتأكله الماشية

(٣) الملتاث : اسم رجل فى هذا الموضع ، والبكر : الفتى من الإبل ، والنحيط : هو الذى يردد النفس فى صدره حتى يسمع له دوى ، وذلك إذا ذبح ، يريد أنه قتل

(٤) السواد : أراد به أشخاصا ظهروا من بعيد ، والأخصف : الذى فيه ألوان

بِمَلْمُومَةٍ شَهْبَاءَ لَوْ قَذَفُوا بِهَا
شَمَارِيخَ مِنْ عُرْوَى إِذَنْ عَادَ صَفْصَفَا (١)
وَلَوْ أَنَّ قَوْمِي طَاوَعَتْنِي سَرَاتُهُمْ
إِذَنْ مَا لَقِينَا الْعَارِضَ الْمُتَكَشِّفَا (٢)
إِذَنْ مَا لَقِينَا جُنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ ثَمَانِينَ أَلْفًا وَاسْتَمَدُّوا بِخِنْدِفَا (٣)

ذكر غزوة الطائف بعد حُنين ، فى سنة ثمان

ولما قدم فَلُّ ثقيف الطائفَ أغلقوا عليهم أبواب مدينتها ، وَصنعوا الصنائع للقتال ، ولم يشهد حُنَيْناً ولا حصار الطائف عُرْوَةُ بن مسعود ، ولا غَيْلَانُ بن سَلَمَةَ ؛ كانا بجُرَشَ يتعلَّمان صَنْعةَ الدَّبَّابات والمجانيق وَالضُّبور (٤)

سير النبي إلى الطائف

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إِلَى الطائف — حين فرغ من حنين — فقال كعب بن مالك حين أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف : —

قصيدة لكعب بن مالك

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةَ كُلَّ رَيْبٍ وَخَيْبَرَ ثُمَّ أَجْمَمْنَا السُّيُوفَا (٥)
نُخَبِّرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعُهُنَّ دَوْساً أَوْ ثَقِيفَا

---

(١) ملمومة : كتيبة مجتمعة ، وشهباء : يريد أن لونها الشهبة من كثرة السلاح ، والشماريخ : أعالى الجبال ، واحدها شمراخ ، وعروى : اسم جبل ، ويروى بالدال المهملة وبالراء ، والصفصف : المستوى من الأرض

(٢) العارض : السحاب

(٣) خندف : اسم قبيلة ، سميت بأمها ، ولهذه التسمية قصة

(٤) الدبابات : آلات تصنع من خشب وتغشى بجلود ثم يدخل فيها الرجال

(٥) تهامة : ما انخفض من أرض الحجاز ، والريب : الشك ، وأجممنا : أرحنا

فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ إنْ لَمْ تَرَوْهَا بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِنَّا أُلُوفَا (١)
وَنَنْتَزِعُ الْعُرُوشَ بِبَطْنِ وَجٍّ
وَتُصْبِحُ دُورُكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفَا (٢)
وَيَأْتِيكُمْ لَنَا سَرْعَانُ خَيْلٍ يُغَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعاً كَثِيفَا (٣)
إِذَا نَزَلُوا بِسَاحَتِكُمْ سَمِعْتُمْ لَهَا مِمَّا أَنَاخَ بِهَا رَجِيفَا (٤)
بِأَيْدِيهِمْ قَوَاضِبُ مُرْهَفَاتٌ يُزِرْنَ الْمُصْطَلِينَ بِهَا الْحُتُوفَا (٥)
كَأَمْثَالِ الْعَقَائِقِ أَخْلَصَتْهَا قُيُونُ الْهِنْدِ لَمْ تُضْرَبْ كَتِيفَا (٦)
تَخَالُ جَدِيَّةَ الْأَبْطَالِ فِيهَا غَدَاةَ الزَّحْفِ جَادِيًّا مَدُوفَا (٧)

---

(١) الحاضن : المرأة التى تحضن ولدها ، وساحة الدار : وسطها ، ويقال : الساحة الفناء

(٢) العروش هنا : سقف البيوت ، ووج : موضع ، والخلوف : الغائبون هنا

(٣) السرعان : المتقدمون السابقون ، وكثيفا : أراد كثيرا ، وأصله الملتف بعضه ببعض ، ويروى فى مكانه « كشيفا » بالشين المعجمة فى مكان الثاء ـ وهو الظاهر

(٤) الرجيف : هو الصوت الشديد مع زلزال ، وهو من الرجفة ، ويروى « وجيفا » بالواو فى مكان الراء ـ وهو السريع ، يريد تسمعون صوته بسرعة

(٥) القواضب : السيوف ، والمرهفات : المحددة أو القاطعة ، والمصطلون بها : المباشرون لها ، يريد أعداءهم الذين يضربونهم بها

(٦) العقائق : جمع عقيقة ، وهى هنا شعاع البرق ، والكتيف ـ بالتاء المثناة ـ جمع كتيفة ، وهى صفائح الحديد التى تضرب للأبواب وغيرها

(٧) الجدية : الطريقة من الدم ، و « غداة الزحف » أى دنو بعض

أَجِدَّهُمُ أَلَيْسَ لَهُمْ نَصِيحٌ مِنَ الْأَقْوَامِ كَانَ بِنَا عَرِيفَا (١)
يُخَبِّرُهُمْ بِأَنَّا قَدْ جَمَعْنَا عِتَاقَ الْخَيْلِ وَالنُّجُبَ الطُّرُوفَا (٢)
وَأَنَّا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِزَحْفٍ يُحِيطُ بِسُورِ حِصْنِهِمُ صُفُوفَا
رَئِيسُهُمُ النَّبِيُّ وَكَانَ صُلْبًا نَقِيَّ الْقَلْبِ مُصْطَبِرًا عَزُوفَا (٣)
رَشِيدَ الْأَمْرِ ذَا حُكْمٍ وَعِلْمٍ وَحِلْمٍ لَمْ يَكُنْ نَزِقًا خَفِيفَا (٤)
نُطِيعُ نَبِيَّنَا وَنُطِيعُ رَبًّا هُوَ الرَّحْمٰنُ كَانَ بِنَا رَؤُوفَا
فَإِنْ تُلْقُوا إِلَيْنَا السِّلْمَ نَقْبَلْ
وَنَجْعَلْكُمْ لَنَا عَضُدًا وَرِيفَا (٥)
وَإِنْ تَأْبَوْا نُجَاهِدْكُمْ وَنَصْبِرْ
وَلَا يَكُ أَمْرُنَا رَعِشًا ضَعِيفَا (٦)
نُجَالِدُ مَا بَقِينَا أَوْ تُنِيبُوا إِلَى الْإِسْلَامِ إِذْعَانًا مُضِيفَا (٧)

الناس من بعض ، وأراد يوم القتال والحرب ، ويروى « غداة الروع » أى يوم الفزع ، وهو يوم القتال أيضا ، والجادى - بتشديد الياء - هو الزعفران ، والمدوف : المختلط ، وهو اسم مفعول من داف الطيب ونحوه يدوفه

(١) العريف هنا : العارف

(٢) النجب : جمع نجيب ، وهو العتيق الكريم ، والطروف : جمع طرف - بكسر فسكون - وهو الكريم من الخيل أيضا

(٣) العزوف عن الشىء : الصابر عليه المنصرف عنه ، وأراد أنه عزوف عن كل ما يشين الرجال

(٤) النزق - مثل فرح - الكثير الطيش

(٥) الريف : الموضع المخصب على الماء

(٦) الرعش : المتقلب غير الثابت

(٧) الاذعان : الانقياد فى ذل ، والمضيف : الذى يشفق منه ويخاف

مُجَاهِدُ لاَ نُبَالِى مَنْ لَقِينَا ... أأهْلَكْنَا التِّلاَدَ أمِ الطَّرِيفَا (١)
وَكَمْ مِنْ مَعْشَرٍ ألبُوا عَلَيْنَا ... صَمِيمَ الجِذْمِ مِنْهُمْ وَالحَلِيفَا (٢)
أتَوْنَا لاَ يَرَوْنَ لَهُمْ لِمَةً ... فَجَدَّعْنَا المَسَامِعَ وَالأنُوفَا (٣)
بِكُلِّ مُهَنَّدٍ لَيْنٍ صَقِيلٍ ... نَسُوقُهُمُ بِهَا سَوْقًا عَنِيفَا (٤)
لِأَمْرِ اللهِ وَالإِسْلاَمِ حَتَّى ... يَقُومَ الدِّينُ مُعْتَدِلاً حَنِيفَا
وَتُنْسَى اللَّاتُ وَالعُزَّى وَوَدٌّ ... وَنَسْلُبُهَا القَلاَئِدَ وَالشُّنُوفَا (٥)
فَأَمْسَوْا قَدْ أقَرُّوا وَاطْمَأَنُّوا ... وَمَنْ لاَ يَمْتَنِعْ يَقْبَلْ خُسُوفَا (٦)

كلمة لكنانة بن عبد ياليل يجيب فيها كعب بن مالك

فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عُمَير، فقال: —

مَنْ كَانَ يَبْغِينَا يُرِيدُ قِتَالَنَا ... فَإِنَّا بِدَارٍ مَعْلَمٍ لاَ نَرِيمُهَا (٧)
وَجَدْنَا بِهَا الآبَاءَ مِنْ قَبْلِ مَا تَرَى ... وَكَانَتْ لَنَا أطْوَاؤُهَا وَكُرُومُهَا (٨)

---

(١) التليد: المال القديم، والطريف: المال المحدث

(٢) ألبوا علينا: جمعوا علينا الناس، والجذم - بكسر فسكون - الأصل

(٣) جدعنا: قطعنا، وأكثر استعمال هذا اللفظ فى قطع الآنف خاصة

(٤) لين - بفتح فسكون - مخفف لين - بتشديد الياء مكسورة - وعنيف: ليس فيه رفق

(٥) الشنوف: جمع شنف، وهو القرط الذى يلبس فى الأذن

(٦) الخسوف هنا: الذل والمهانة

(٧) دار معلم: مشهورة معروفة، ولا نريمها: لا نبرحها ولا نزول عنها

(٨) أطواء: جمع طوى، وهى البئر؛ ويروى «أطوادها» بالدال - وهو جمع طود، وهو الجبل

وَقَدْ جَرَّبَتْنَا قَبْلُ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ فَأَخْبَرَهَا ذُورَأْيِهَا وَحَلِيمُهَا
وَقَدْ عَلِمَتْ إِنْ قَالَتِ الْحَقَّ أَنَّنَا
إِذَا مَا أَبَتْ صُعْرُ الْخُدُودِ نُقِيمُهَا (١)
نُقَوِّمُهَا حَتَّى يَلِينَ شَرِيسُهَا وَيُعْرَفَ لِلْحَقِّ الْمُبِينِ ظَلُومُهَا (٢)
عَلَيْنَا دِلَاصٌ مِنْ تُرَاثِ مُحَرِّقٍ كَلَوْنِ السَّمَاءِ زَيَّنَتْهَا نُجُومُهَا (٣)
نُرَفِّعُهَا عَنَّا بِبِيضٍ صَوَارِمٍ
إِذَا جُرِّدَتْ فِي غَمْرَةٍ لَا نَشِيمُهَا (٤)

أبيات شداد بن عارض الجشمى

قال ابن إسحق : وقال شداد بن عارض الْجُشَمِى فى مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف :ـ

لَا تَنْصُرُوا اللَّاتَ إِنَّ اللهَ مُهْلِكُهَا
وَكَيْفَ يُنْصَرُ مَنْ هُوَ لَيْسَ يَنْتَصِرُ
إِنَّ الَّتِي حُرِّقَتْ بِالسُّدِّ فَاشْتَعَلَتْ وَلَمْ تُقَاتِلْ لَدَى أَحْجَارِهَا هَدَرُ (٥)
إِنَّ الرَّسُولَ مَتَى يَنْزِلْ بِلَادَكُمُ يَظْعَنْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا بَشَرُ

طريق رسول الله

قال ابن إسحق : فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على نَخْلَةَ اليمانية ، ثم على قَرْن ، ثم على الْمُلَيْح ، ثم على بَحْرَةِ الرُّغَاءِ من لِيَّة ، فابتنى بها مسجدا فصلى فيه .

---

(١) صعر الخدود : هى المائلة إلى جهة من الكبر والعجب
(٢) الشريس : الشديد الصعب الانقياد
(٣) دلاص : هى الدروع اللينة ، ومحرق : هو عمرو بن عامر ، وهو أول من حرق بالنار من العرب
(٤) لانشيمها : أراد هنا لانغمدها فى قربها ، ويقال : شمت السيف ، إذا أغمدته ، ويقال : شمته ، إذا سللته ، فهو من الأضداد
(٥) الهدر : الباطل الذى لايؤخذ بثأره

قال ابن إسحق : فحدثنى عَمْرو بن شعيب أنه أقاد يومئذ ببَحْرَة الرُّغاء حين نزلها بدم ، وهو أول دم اقيد به فى الإسلام ، رجلٌ من بنى ليث قَتَلَ رجلا من هُذَيل ، فقتله به ، أول دم اقاده به رسول الله

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو بِلِيَّةَ — بحِصْنِ مالك ابن عَوْف فهُدِم ،

ثم سلك فى طريق يقال لها الضَّيْقة ، فلما توجَّه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عن اسمها ، فقال : « مَا اسْمُ هٰذِهِ الطَّرِيق » ؟ فقيل له : الضَيقة . فقال : « بَلْ هِيَ الْيُسْرَى » ثم خرج منها على نَخِب حتى نزل تحت سِدْرَة يقال لها الصَّادِرة ، قريبا من مال رجل من ثقيف ، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إمَّا أَنْ تَخْرُجْ ، وَإمَّا أَنْ نُخَرِّبَ عَلَيْكَ حَائِطَكَ » فأبى أن يخرج ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخرابه ، رسول الله يأمر بأخراب حائط لرجل من ثقيف ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريبا من الطائف فضرب به عسكره ، فقُتِل نَاسٌ من أصحابه بالنَّبْل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، فكانت النبل تنالهم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم ، فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذى بالطائف اليوم ، فحاصرهم بِضْعًا وعشرين ليلة .

قال ابن هشام : ويقال : سَبْعَ عَشْرَةَ ليلة

قال ابن إسحق : ومعه امرأتان من نسائه إحداهما أمُّ سَلَمَةَ ابنة أبى أمَيَّة فضرب لهما قُبَّتَيْن ، ثم صلى بين القبتين ، ثم أقام ، فلما أسلمت ثقيف بنى على مُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم عَمْرُو بن أمية بن وَهْب بن مُعَتِّب بن مالك مسجدا ، وكانت فى ذلك المسجد سارية — فيما يزعمون — لا تطلع

الشمس عليها يوما من الدهر إلا سمع لها نقيض (١) ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقاتلهم قتالا شديداً وَتَرَامَوْا بالنَّبْل

رسول الله أول من رمى بالمنجنيق فى الاسلام

قال ابن هشام : ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق ، حدثنى من أثق به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رمى فى الإسلام بالْمَنْجَنِيق : رمى أهل الطائف

أهل ثقيف وشأنهم مع أبى سفيان والمغيرة

قال ابن إسحق : حتى إذا كان يوم الشدْخَة ، عند جدار الطائف دخل نفرٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دَبَّابة ، ثم زَحَفُوا بها إلى جدار الطائف ليَخْرِقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف سكَكَ الحديد مُحْمَاةً بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، فقتلوا منهم رجالا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقَطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون ، وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف فناديا ثقيفا أن أمنونا حتى نكلمكم ، فأمنوهما ، فدَعَوَا نساء من نساء قريش و بنى كنانة ليخرجن إليهما وهما يخافان عليهنّ السباء ، فأَبَيْنَ ، منهن آمنة بنت أبى سفيان ، كانت عند عروة بن مسعود ، له منها داود بن عروة .

قال ابن هشام : ويقال : إن أم داود ميمونة بنت أبى سفيان ، وكانت عند أبى مرة بن عروة بن مسعود فولدت له داود بن أبى مرة .

قال ابن إسحق : وَالْفِرَاسِيَّةُ بنت سُوَيْدِ بن عمرو بن ثعلبة ، لها عبد الرحمن بن قارب ، وَالْفُقَيْمِيَّةُ أُمَيْمَةُ بنت الناسىء أُمَيَّة بن قَلْع ؛ فلما أَبَيْن عليهما قال لهما ابن الأسود بن مسعود : يا أبا سفيان وَيامغيرة ، ألا

---

(١) النقيض : الصوت

أدلكما على خير مما جئتما له ؟ إن مال بنى الأسود بن مسعود حيث قد علمتما ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين الطائف نازلا بوادٍ يقال له العقيق ، إنه ليس بالطائف مال أبعد رِشاء ولا أشدُّ مؤونة ولا أبعد عِمارَةً من مال بنى الأسود ، وإن محمدا إن قطعه لم يَعْمُرْ أبدا ، فكلّماه فليأخذه لنفسه أو لِيَدَعْه لله والرحم ، فان بيننا وبينه من القرابة مالا يجهل ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم

وقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر الصديق وهو محاصر ثقيفا : « ياأبا بكر ، إنى رأيت أنى أُهْدِيَتْ لى قَعْبَةٌ (١) مملوءة [زُبْدًا] فنقرها ديكٌ فَهَرَاقَ مافيها » فقال أبو بكر : ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ماتريد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأنا لاأرى ذلك » .

ثم إن خُوَيْلَةَ ابنة حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السُّلَمية وهى امرأة عثمان بن مَظْعون ، قالت : يارسول الله أعطنى إن فتح الله عليك الطائفَ حُلِيَّ بادية ابنة غَيْلان بن سَلَمَة ، أو حُلِيَّ الفَارعة بنت عَقيل ، وكانتا من أحلى نساء ثقيف ، فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها « وإن كانَ لَمْ يُؤْذَن لى فى ثقيفٍ ياخُوَيْلة » فخرجت خويلة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : [يارسول الله] ما حديثٌ حدَّثَتْنيه خُوَيْلة ، زعمت أنك قلته ؟ قال : « قَدْ قلته » قال : أوماأذِن لك فيهم يارسول الله ؟ قال « لا » قال : أفلا أُؤَذِّن بالرحيل ؟ قال : « بلى » قال : فأذَّن عمر بالرحيل ، فلما استقل الناس نادى سعيد بن عُبَيْد بن أسيد بن أبى عمرو بن علاج : ألا إن الحىَّ مقيم ، قال : يقول عيينة

(١) القعبة - بفتح فسكون - القدح

ابن حصن : أجَلْ والله مَجْدَةً كِرَامًا ، فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله ياعيينة ! ! أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جئت تنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : إنى والله ماجئت لأقاتل ثقيفا معكم ، ولكنى أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أتَّطِئُهَا لعلها تلد لى رجلا ، فان ثقيفا قوم مناكير

ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى إقامته ، ممن كان محاصراً بالطائف عَبِيدٌ ، فأسلموا ، فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مُكَدَّمٍ ، عن رجال من ثقيف ، قالوا : لما أسلم أهل الطائف تكلَّم نفر منهم فى أولئك العبيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لاَ ، أُولَئِكَ عُتَقَاءُ اللهِ » وكان ممن تكلم فيهم الحرث بن كَلَدَةَ

قال ابن هشام : وقد سمى ابن إسحق من نزل من أولئك العبيد

قال ابن إسحق : وقد كانت ثقيف أصابت أهلاً لمروان بن قيس الدَّوْسِيِّ ، وكان قد أسلم وظَاهَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثقيف ، فزعمت ثقيف — وهو الذى تزعم به ثقيف أنها من قيس — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمروان بن قيس : « خُذْ يَامَرْوَانُ بِأَهْلِكَ أولَ رَجُلٍ تَلْقَاهُ مِنْ قَيْسٍ » فلقى أُبَيَّ بن مالك القُشَيْرِيَّ فأخذه حتى يؤدوا إليه أهله ، فقام فى ذلك الضَّحَّاك بن سُفْيان الكِلَابِىُّ . فكلم ثقيفا حتى أرسلوا أهل مروان وأطلق لهم أُبَيَّ بن مالك ، فقال الضحاك بن سفيان فى شىء كان بينه و بين أُبَيِّ بن مالك : —

أَتَنْسَى بَلَائِي يَا أُبَيَّ بْنَ مَالِكٍ
غَدَاةَ الرَّسُولُ مُعْرِضٌ عَنْكَ أَشْوَسُ (١)

يَقُودُكَ مَرْوَانُ بْنُ قَيْسٍ بِحَبْلِهِ
ذَلِيلاً كَمَا قِيدَ الذَّلُولُ الْمُخَيَّسُ (٢)

فَعَادَتْ عَلَيْكَ مِنْ ثَقِيفٍ عِصَابَةٌ
مَتَى يَأْتِهِمْ مُسْتَقْبِسُ الشَّرِّ يُقْبِسُوا (٣)

فَكَانُوا هُمُ الْمَوْلَى فَعَادَتْ حُلُومُهُمْ
عَلَيْكَ وَقَدْ كَادَتْ بِكَ النَّفْسُ تَيْأَسُ (٤)

قال ابن هشام «يُقْبِسُوا» عن غير ابن إسحق

تسمية شهداء يوم الطائف

قال ابن إسحق: وهذه تسمية من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف

من قريش، ثم من بنى أُمَيَّةَ بن عبد شمس: سَعِيدُ بن سعيد بن العاص بن أمية، وعُرْفُطَةَ بن جَنَّاب حليف لهم من الأسْد بن الغوث

قال ابن هشام: ويقال ابن حُبَاب

قال ابن إسحق: ومن بنى تَيْم بن مُرَّةَ: عبد الله بن أبى بكر الصديق، رُمِىَ بسهم فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) البلاء هنا: النعمة، والأشوس: الذى يعرض بنظره إلى جهة أخرى

(٢) الذلول: الذى تروضه حتى يذل وينقاد، ووقع فى بعض النسخ «الذليل» والمخيس: المذلل

(٣) مستقبس الشر: الذى يطلبه، وأصل المستقبس الذى يطلب قبساً من النار، وقوله «يقبسوا» معناه يعطوه مايطلبه

(٤) الحلوم: العقول

ومن بنى مَخْزُوم : عبدُ الله بن أبى أمية بن المغيرة ، من رَمْيَةٍ رُمِيَهَا يومئذ .

ومن بنى عَدِىِّ بن كعب : عبدُ الله بن عامر بن ربيعة ، حليف لهم

ومن بنى سَهْم بن عَمْرو : السائب بن الحرث بن قيس بن عدى ، وأخوه عبدالله بن الحرث

ومن بنى سعد بن لَيْث : جُلَيْحَة (١) بن عبد الله

واستشهد من الأنصار : من بنى سلمة : ثابتُ بن الجِذْعِ ، ومن بنى مازن بن النجار : الحرثُ بن سَهْلِ بن أبى صَعْصَعَة ، ومن بنى ساعدة : المنذرُ بن عبد الله ، ومن الأوس : رُقَيْمُ بن ثابت بن ثعلبة بن زيد ابن لَوْذَان بن معاوية

فجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناعشر رجلا : سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من بنى ليث

فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف بعد القتال والحصار قال بُجَيْر بن زُهَيْر بن أبى سُلْمى يذكر حُنَيْنًا والطائف :

كلمة لبجير بن زهير فى حنين والطائف

كَانَتْ عُلَالَةُ يَوْمَ بَطْنِ حُنَيْنٍ
وَغَدَاةَ أَوْطَاسٍ وَيَوْمَ الأَبْرَقِ (٢)

---

(١) جليحة ـ بالجيم بعدها لام وبعدالياء حاء مهملة ـ هذا هو الصواب فى اسمه ، وهو المذكور فى أكثر أصول الكتاب وفى الاصابة للحافظ بن حجر ، ووقع عند أبى ذر « حليمة » قال : «ومن بنى سعد بن بكر حليمة بن عبد الله ، يروى بالحاء المهملة ، ويروى أيضا جليحة بالجيم فى الأول والحاء المهملة فى الثانى وهكذا ذكره أبو عمرو » اه

(٢) العلالة هنا : التكرار ، وأصله الشرب بعد الشرب ، وحنين ـ بتشديد

جَمَعَتْ بِإِغْوَاءٍ هَوَازِنُ جَمْعَهَا فَتَبَدَّدُوا كَالطَّائِرِ الْمُتَمَزِّقِ (١)
لَمْ يَمْنَعُوا مِنَّا مَقَامًا وَاحِدًا إِلاَّ جِدَارَهُمُ وَبَطْنَ الْخَنْدَقِ
وَلَقَدْ تَعَرَّضْنَا لِكَيْمَا يَخْرُجُوا فَتَحَصَّنُوا مِنَّا بِبَابٍ مُغْلَقِ
تَرْتَدُّ حَسْرَانًا إِلَى رَجْرَاجَةٍ شَهْبَاءَ تَلْمَعُ بِالْمَنَايَا فَيْلَقِ (٢)
مَلْمُومَةٍ خَضْرَاءَ لَوْ قَذَفُوا بِهَا حِضْنًا لَظَلَّ كَأَنَّهُ لَمْ يُخْلَقِ (٣)
مَشْيَ الضِّرَاءِ عَلَى الْهِرَاسِ كَأَنَّنَا قُدُرٌ تَفَرَّقُ فِي الْقِيَادِ وَتَلْتَقِي (٤)
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ إِذَا مَا اسْتَحْصَنَتْ
كَالنِّهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ الْمُتَرَقْرِقِ (٥)
جُدْلٌ تَمَسُّ فُضُولُهُنَّ نِعَالَنَا مِنْ نَسْجِ دَاوُدٍ وَآلِ مُحَرِّقِ (٦)

الياء مكسورة ـ تصغير حنين ، وأوطاس : اسم موضع (انظر : ﻫ ١ ص ٦٥ من هذا الجزء) والأبرق فى الأصل : الجبل الذى فيه ألوان من الحجارة ، وهو ههنا موضع بعينه

(١) الاغواء : مصدر أغوى إذا حرض على الغى وهو ضد الرشد ،

(٢) حسرانا : الحسرى : جمع حاسر ، وهو الذى لادرع له ، أو هو جمع حسير وهو المعي ، والرجراجة : الكتيبة التى يموج بعضها فى بعض ، وشهباء : يروى فى مكانه « خضراء » والفيلق : الجيش الكثير

(٣) حصنا : يروى فى مكانه « حضرا » بالحاء المهملة والضاد ـ اسم جبل

(٤) الضراء : جمع ضار ، وهو الأسد المفترس ، والهراس : نبات له شوك ، وقدر : يروى بالفاء وبالقاف ؛ فأما من رواه بالفاء فهو جمع فادر ، وهو الوعل (تيس الجبل) وأما من رواه بالقاف فانما عنى بها الخيل التى تضع أرجلها فى مواضع أيديها إذا مشت

(٥) السابغة : الدرع الكاملة ، والنهى ـ بكسر فسكون أو فتح فسكون ـ لغدير من الماء ، والمترقرق : المتحرك المضطرب

(٦) الجدل : جمع جدلاء ، وهى الدرع الجيدة النسج

أمر أموال هوازن وسباياها ، وعطايا المؤلفة قلوبهم منها ، وإنعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف على دُحْنَا حتى نزل الجِعْرَانة فيمن معه من الناس ، ومعه من هوازن سَبْيٌ كثير ، وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف : يارسول الله ، ادعُ عليهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفاً وَائْتِ بِهِمْ » .

ثم أتاه وَفْدُ هوازن بالجِعْرَانة ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سَبْي هوازن ستةُ آلافٍ من الذَّرَارى والنساء ، ومن الإبل والشاء مالايدرى ماعِدَّتُه

قال ابن إسحق : فحدثنى عمرو بن شُعَيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله ابن عمرو ، أن وَفْدَ هوازن أتَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أسلموا ، فقالوا : يارسول الله ، إنا أصْلٌ وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء مالم يَخْفَ عليك ، فَامْنُنْ علينا مَنَّ الله عليك ، قال : وقام رجل من هوازن ، ثم أحد بنى سعد بن بكر يقال له زهير، يكنى أبا صُرَد ، فقال : يارسول الله ، إنما فى الحَظَائِرِ (١) عَمَّاتُكَ وَخَالَاتُكَ وحَوَاضِنك (٢) اللاتى

---

(١) الحظائر : جمع حظيرة ، وأصلها مايصنع للابل والغنم ليكفها ويمنعها الانفلات

(٢) حواضنك : يريد النساء اللاتى أرضعنك ، لأن حاضنة رسول الله من بنى سعد وهم من هوازن

كُنَّ يَكْفُلْنَكَ ، ولو أنا مَلَحْنَا (١) للحرث ابن أبى شمر أو للنُّعمَان بن المنذر ، ثم نزل منَّا بمثل الذى نزلتَ به رَجَوْنَا عَطْفَهُ وعائدته (٢) علينا ، وأنت خَيْرُ المكفولين

قال ابن هشام : ويروى: ولو أنا مَالَحْنَا الحرثَ بن أبى شمر أو النعمان ابن المنذر

رسول الله يرد على هوازن السبايا

قال ابن إسحق : فحدثنى عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو ، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أَمْ أَمْوَالُكُمْ » ؟ فقالوا : يارسول الله ، خَيَّرْتَنَا بين أموالنا وأحسابنا ، بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب إلينا ، فقال لهم : « أَمَّا مَا كَانَ لِى وَلِبَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ ، وَإِذَا مَا أَنَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ بِالنَّاسِ فَقُومُوا فَقُولُوا إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَبِالْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] فِى أَبْنَائِنَا وَنِسَائِنَا فَسَأُعْطِيكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَسْأَلُ لَكُمْ »

المهاجرون والانصار يردون السبايا

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به [رسول الله صلى الله عليه وسلم] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمَّا مَا كَانَ لِى وَلِبَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ » فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الأَقْرَعُ بن حَابِسٍ : أما أنا وبنو تميم فلا ، وقال عُيَيْنَةُ بن حِصْنٍ : أما أنا وبنو فزارة فلا ، وقال عَبَّاسُ بن مِرْدَاسٍ : أما أنا وبنو سليم فلا ، فقالت بنو سليم : بَلَى ،

(٣) ملحنا : أرضعنا ، والملح : الرضاع

(٤) عائدته : فضله

ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يقول عَبَّاس بن مِرْدَاس لبنى سُلَيم : وهَّنْتُمُونى[1] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أمَّا مَنْ تَمَسَّكَ مِنْـكُمْ بِحَقِّهِ مِنْ هٰذَا السَّبْى فَلَهُ بِكُلِّ إِنْسَانٍ سِتُّ فَرَائِضَ مِنْ أَوَّلِ سَبْيٍ أُصِيبُهُ » فَرَدُّوا إِلَى النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ ونساءهم

قال ابن إسحق : وحدثنى أبو وَجْزَةَ يزيدُ بن عبيد السعدى ، أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم أعطى على بن أبى طالب رضى الله عنه جارِيةً يقال لها رَيْطَةَ بنت هِلاَل بن حَيَّان بن عُمَيْرة بن هِلاَل بن ناصرة[2] بن قُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر ، وأعطى عثمان بن عفان جارِيةً يقال لها زينب بنت حَيَّان بن عمرو بن حَيَّان ، وأعطى عُمَرَ بن الخطاب جارِيةً فوهبها لعبد الله بن عُمَرَ ابنه

قال ابن إسحق : فحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، قال : بعثت بها إلى أخوالى من بنى جُمَح ليصلحوا لى منها ويُهَيِّؤها حتى أطُوفَ بالبيت ثم آتيهم ، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها ، قال : فخرجت من المسجد — حين فرغت — فاذا الناس يَشْتَدُّون ، فقلت : ماشأنكم ؟ قالوا : ردَّ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءنا وأبناءنا ، فقلت : تِلْـكُمْ صاحبتكم فى بنى جُمَح فاذهبوا فخذوها ، فذهبوا إليها فأخذوها

قال ابن إسحق : وأما عُيَيْنَة بن حِصْنٍ فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن

---

(١) وهنتمونى : أضعفتمونى بمخالفتكم إياى

(٢) قال أبو ذر : « قوله فى نسب ريطة : ابن ناصرة بن قصية ، كذا وقع هنا بفتح القاف وضمها ، وقصية - بالقاف المضمومة - ذكره ابن دريد ، وقال : هو تصغير قصاة » اه

وقال حين أخذها : أرى عجوزاً ، إني لأحسب لها في الحيِّ نَسَباً ، وعسى أن يَعْظُم فداؤها ، فلما رَدَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم السبايا بِستٍّ فرائض أبى أن يردها ، فقال له زهير أبو صُرَد : خذها عنك فوالله مافوها ببارد ، ولا ثَدْيُها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد (١) ، ولا دَرُّها بماكد (٢) فردها بست فرائض حين قال له زهير ماقال ، فزعموا أن عيينة لقي الأقرع بن حابس فشكا إليه ذلك ، فقال : إنك والله ماأخذتها بيضاء غَرِيرَةً (٣) ولا نَصَفًا وَثِيرَةً (٤)

إسلام مالك بن عوف النصرى

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن وسألهم عن مالك ابن عوف ، مافعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أَخْبِرُوا مَالِكاً أَنَّهُ إِنْ أَتَانِي مُسْلِماً رَدَدْتُ إِلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ وَأَعْطَيْتُهُ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ» فأتى مالك بذلك ، فخرج إليه من الطائف ، وقد كان مالك خاف ثقيفاً على نفسه أن يَعْلَموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ما قال فيحبسوه ، فأمر براحلته فَهُيِّئَتْ له ، وأمر بفرس له فأُتي به إلى [الطائف] ، فخرج ليلا ، فجلس على فرسه فرَكَضَه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس فركبها فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدركه بالجِعْرَانة ، أو بمكة ، فردَّ عليه أهله وماله ، وأعطاه مائة من الابل ، وأسلم فحسن إسلامه ، فقال مالك بن عَوْف حين أسلم : —

---

(١) ولا زوجها بواجد : يريد أن زوجها لا يحزن عليها لأنها عجوز كبيرة

(٢) ولا درها بماكد : الدر اللبن ، والماكد هنا : الغزير

(٣) الغريرة : المتوسطة في السن من النساء

(٤) الوثيرة : السمينة اللينة الرطبة ، من قولهم : فراش وثير ، إذا كان لينا رطبا

أبيات مالك بن عوف حين أسلم

مَا إنْ رَأَيْتُ وَلاَ سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ   فِى النَّاسِ كُلِّهِمِ بِمِثْلِ مُحَمَّدِ
أَوْفَى وَأَعْطَى لِلْجَزِيلِ إِذَا اجْتُدِى
وَمَتَى تَشَأْ يُخْبِرْكَ عَمَّا فِى غَدِ (١)
وَإِذَا الْكَتِيبَةُ عَرَّدَتْ أَنْيَابُهَا
بِالسَّمْهَرِىِّ وَضَرْبِ كُلِّ مُهَنَّدِ (٢)
فَكَأَنَّهُ لَيْثٌ عَلَى أَشْبَالِهِ   وَسْطَ الْهَبَاءَةِ خَادِرٌ فِى مَرْصَدِ (٣)

فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ، وتلك القبائل ثُمَالَة وَسَلِمَة وَفَهْم ، فكان يقاتل بهم ثقيفا ، لا يخرج لهم سَرْحٌ إلا أغار عليه ، حتى ضَيَّقَ عليهم ، فقال أبو مِحْجَن بن حبيب بن عمرو بن عُمَيْر الثَّقَفِيّ :ـ

هَابَتِ الْأَعْدَاءُ جَانِبَنَا   ثُمَّ تَغْزُونَا بَنُو سَلَمَهْ
وَأَتَانَا مَالِكٌ بِهِمُ   نَاقِضًا لِلْعَهْدِ وَالْحُرُمَهْ
وَأَتَوْنَا فِى مَنَازِلِنَا   وَلَقَدْ كُنَّا أُولِى نِقِمَهْ

قسم فى هوازن

قال ابن إسحق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد سبايا حنين إلى أهلها ركب ، واتبعه الناس يقولون : يارسول الله ، أقسم علينا فَيْأَنَا من الابل والغنم ، حتى ألجؤه إلى شجرة فاختطفت عنه رداءه ، فقال :

---

(١) اجتدى : طلبت منه الجدوى ، وهى العطية

(٢) عردت : عرجت ومالت . والسمهرى : الرمح ، والمهند : السيف

(٣) الأشبال : جمع شبل ، وهو ولد الأسد ، والهباءة أيضا : الغبرة ، والخادر : الداخل فى خدره ، والخدر : غابة الأسد ، والمرصد : الموضع الذى يرصد منه ويرقب

« رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي أَيُّهَا النَّاسُ فَوَ اللهِ أَنْ لَوْ كَانَ لَكُمْ بِعَدَدِ شَجَرِ تِهَامَةَ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ عَلَيْكُمْ ثُمَّ مَا أَلْفَيْتُمُونِي بَخِيلاً وَلاَ جَبَانًا وَلاَ كَذُوبًا » ثم قام إلى جنب بعير فأخذ وَبَرَةً من سنامه (١) بين أصبعيه ثم رفعها ، ثم قال: « أَيُّهَا النَّاس وَاللهِ مَالِي مِنْ فَيْئِكُمْ وَلاَ هٰذِهِ الْوَبَرَةُ إِلاَّ الْخُمُسُ ، وَالْخُمُسُ مَرْدُود عَلَيْكُمْ ؛ فَأَدُّوا الْخِيَاطَ (٢) وَالْمِخْيَطَ فَإِنَّ الْغُلُولَ يَكُونُ عَلَى أَهْلِهِ عاراً وَناراً وَشَنَاراً (٣) يَوْمَ الْقِيَامَةِ » قال : فجاء رجل من الأنصار بكُبَّة من خيوط شعر ، فقال : يارسول الله ، أخذتُ هذه الكُبَّة أعمل بها بَرْذَعَةَ بعيرٍ لى دَبِرٍ ، فقال : « أَمَّا نَصِيبِي مِنْهَا فَلَكَ » قال : أمَّا إذ بلغتْ هذا فلا حاجة لى بها ، ثم طرحها من يده

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن أبيه ، أن عقيل بن أبى طالب دخل يوم حُنَيْن على امرأته فاطمة ابنة شيبة بن ربيعة وسيفه متَلَطِّخ دمًا ، فقالت : إنى قد عرفت أنك قد قاتلت ، فماذا أصبت من غنائم المشركين ؟ فقال : دونك هذه الابرة تخيطين بها ثيابك ، فدفعها إليها ، فسمع منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مَنْ أخذَ شيئا فَلْيَرُدَّهُ حتى الخِيَاطَ وَالْمِخْيَطَ ، فرجع عقيل فقال : ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت فأخذها فألقاها فى الغنائم

المؤلفة قلوبهم وأعطياتهم

قال ابن إسحق : وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الْمُؤَلَّفَةَ قلوبهم ، وكانوا أشرافا من أشراف الناس ، يتألَّفُهُمْ ويتألَّفُ بهم قومهم ؛

---

(١) السنام - بزنة سحاب - أعلى ظهر البعير

(٢) الخياط - بزنة كتاب - هو الخيط ، والمخيط - بزنة منبر - الابرة

(٣) الشنار : أقبح العار

فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير ، وأعطى الحرث بن الحرث بن كَلَدَة أخا بنى عبد الدار مائة بعير

قال ابن هشام : نُصَيْر بن الحرث بن كَلَدَة ، ويجوز أن يكون اسمه الحرث أيضا .

قال ابن إسحق : وأعطى الحرث بن هشام مائة بعير ، وأعطى سهيل بن عمرو مائة بعير ، وأعطى حُوَيْطِب بن عبد العزى بن أبى قيس مائة بعير ، وأعطى العَلاء بن جارية الثقفى حليف بنى زهرة مائة بعير ، وأعطى عُيَيْنَةَ بن حِصْن بن حُذَيفة بن بدر مائة بعير ، وأعطى الأقرع بن حابس التميمى مائة بعير ، وأعطى مالك بن عَوْفٍ النَّصْرِى مائة بعير ، وأعطى صَفوان بن أمية مائة بعير ، فهؤلاء أصحاب المئين ، وأعطى دون المائة رجالا من قريش : منهم مَخْرَمَةُ بن نوفل الزُّهْرى ، وعمير بن وَهْب الُجمَحِى ، وهشامُ بن عمرو أخو بنى عامر بن لؤى ، لا أحفظ ما أعطاهم ، وقد عرفت أنها دون المائة ، وأعطى سعيد بن يَرْبُوع بن عَنْكَثَة ابن عامر بن مخزوم خمسين من الابل ، وأعطى السَّهْمِىَّ خمسين من الابل .

قال ابن هشام : واسمه عدىّ بن قيس

عباس بن مرداس يسخط عطاءه يعاتب النبي فيه

قال ابن إسحق : وأعطى عَبَّاسَ بن مِرْدَاس أباعِرَ فَسَخِطَهَا فعاتب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عباس بن مرداس يعاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم : —

كَانَتْ نِهَابًا تَلَافَيْتُهَا
بِكَرِّى عَلَى الْمُهْرِ فِى الأَجْرَعِ (١)

---

(١) الضمير المستتر فى « كانت » يعود إلى الابل والماشية ، والنهاب :

وَإِيقَاظِيَ الْقَوْمَ أَنْ يَرْقُدُوا ... إِذَا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ أَهْجَعِ (١)
فَأَصْبَحَ نَهْبِي وَنَهْبُ الْعُبَيْـ ... ـدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ (٢)
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذَا تُدْرَإٍ ... فَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا وَلَمْ أُمْنَعِ (٣)
إِلَّا أَفَائِلَ أُعْطِيتُهَا ... عَدِيدَ قَوَائِمِهَا الْأَرْبَعِ (٤)
وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ ... يَفُوقَانِ شَيْخَيَّ فِي الْمَجْمَعِ (٥)
وَمَا كُنْتُ دُونَ امْرِئٍ مِنْهُمَا ... وَمَنْ تَضَعِ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ

قال ابن هشام : أنشدنى يونس النحوى :

فَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ ... يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ

قال ابن إسحق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذْهَبُوا بِهِ فَاقْطَعُوا عَنِّي لِسَانَهُ » فأَعْطَوْه حتى رضى ، فكان ذلك قطع لسانه الذى أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم

جمع نهب ، وهو ماينهب ويغنم ، والأجرع : المكان السهل

(١) هجع : نام

(٢) العبيد : اسم فرس العباس بن مرداس

(٣) تدرأ ـ بضم فسكون ففتح ـ يريد ذا دفع وصد لغارات الأعداء ، من قولك: دراه ، إذا دفعه ومنعه

(٤) أفائل : جمع أفيل ، وهو الصغير من الابل

(٥) حصن : هو أبو عيينة ، وحابس : هو أبو الأقرع ، وأراد بشيخه أباه ، ويروى شيخى بتشديد الياء ـ على أنه مثنى شيخ ، وأراد بهما أباه وجده ، ورواه ابن هشام « يفوقان مرداس » على ما ذكره ابن هشام عن يونس شيخ سيبويه ، واستدلوا بهذه الرواية على أن الشاعر إذا اضطر ساغ له أن يترك صرف الاسم المنصرف

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن عباس بن مرداس أتى رسول‌الله صلى الله عليه‌وسلم فقال له رسول‌الله صلى الله عليه‌وسلم : « أَنْتَ الْقَائِلُ فَأَصْبَحَ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعُبَيْدِ بَيْنَ الْأَقْرَعِ وَعُيَيْنَةَ » فقال أبو بكر الصديق : بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هُمَا وَاحِدٌ» فقال أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله (٣٦: ٦٩):(وما عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ)

أعطى رسول الله رجالا من قريش وغيرهم

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم فى إسناد له عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم فأعطاهم يوم الجِعْرَانة من غنائم حُنَين

من بنى أمية بن عبد شمس : أبو سفيان بن حرب بن أمية ، وطليق ابن سفيان بن أمية ، وخالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية .

ومن بنى عبدالدار بن قُصَى : شَيْبَةَ بن عُثْمَان بن أبى طلحة بن عبدالعُزَّى ابن عثمان بن عبدالدار ، وأبو السَّنَابل بن بَعْكَكَ بن الحرث بن عُمَيْلة بن السَّبَّاق بن عبد الدار ، وعِكْرِمَة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار .

ومن بنى مَخْزُوم بن يَقَظَة : زهيرُ بن أبى أمية بن المغيرة ، والحرث بن هشام بن المغيرة ، وخالد بن هشام بن المغيرة ، وهشام بن الوليد بن المغيرة ، وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم ، والسائب بن أبى السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بنى عدى بن كعب : مطيعُ بن الأسود بن حارثة بن نَضْلة ، وأبو جَهْم بن حُذَيفة بن غانم .

ومن بنى جُمَح بن عمرو : صفوانُ بن أميَّة بن خلف ، وأُحَيْحَةُ بن أميَّة بن خلف ، وعُمَيْر بن وهب بن خلف

ومن بنى سَهْم : عدىُّ بن قَيْس بن حُذَافة

ومن بنى عامر بن لؤى : حُوَيطب بن عبد العُزَّى بن أبى قيس بن عبد ود ، وهشام بن عمرو بن ربيعة بن الحرث بن حبيب

ومن أفْنَاء القبائل : من بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة : نوفلُ ابن معاوية بن عُرْوَة بن صَخْر بن رَزْن بن يَعْمَر بن نُفَاثة بن عدى بن الدِّيل ؛ ومن بنى قَيْس ، ثم من بنى عامر بن صَعْصَعَة ، ثم من بنى كلاب ابن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة : علقمةُ بن عُلاَثة بن عَوْف بن الأحوص ابن جعفر بن كلاب ، ولَبِيدُ بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب ؛ ومن بنى عامر بن ربيعة : خالدُ بن هَوْذَة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة ، وحَرْمَلة بن هَوْذَة بن ربيعة بن عمرو ؛ ومن بنى نَصْر ابن معاوية : مالكُ بن عَوف بن سعيد بن يَرْبُوع ؛ ومن بنى سُلَيم ابن منصور : عَبَّاس بن مِرْدَاس بن أبى عامر ، أخو بنى الحرث بن بُهْثَة ابن سُلَيم ؛ ومن بنى غَطَفَان ، ثم من بنى فَزَارَة : عُيَيْنَةُ بن حِصْن بن حُذَيفة ابن بدر ؛ ومن بنى تميم ، ثم من بنى حَنْظَلة : الأقرع بن حابس بن عِقَال ، من بنى مجاشع بن دارم

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحرث التَّيْمِى ، أن قائلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه : يارسول الله ، أعْطَيْتَ عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ وَالأَقْرَعَ بن حابس مائةً مائةً وَتَرَكْتَ جُعَيل ابن سُرَاقة الضَّمْرِىَّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمَا وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَجُعَيْلُ بْنُ سُرَاقَةَ خَيْرٌ مِنْ طِلاَعِ الأَرْضِ كُلِّهِمْ

مِثْلُ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ وَالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ وَلَكِنِّي تَأَلَّفْتُهُمَا لِيُسْلِمَا وَوَكَلْتُ جُعَيْلَ بْنَ سُرَاقَةَ إِلَى إِسْلَامِهِ »

شأن ذى الخويصرة التميمى

قال ابن إسحق : وحدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر ، عن مِقْسَمٍ أبى القاسم مولى عبد الله بن الحرث بن نوفل ، قال : خرجتُ أنا وتَليدُ بن كلاب الليثى حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو يطوف بالبيت مُعَلِّقًا نعله بيده ، فقلنا له : هل حَضَرْتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين كَلَّمه التميمى يوم حُنَيْن ؟ قال : نعم ، جاء رجل من بنى تميم يقال له ذوالْخُوَيْصِرَة ، فوقف عليه وهو يعطى الناس ، فقال : يامحمد ، قد رأيتُ ماصنعْتَ فى هذا اليوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَجَلْ فَكَيْفَ رَأَيْتَ » ؟ فقال : لم أَرَكَ عَدَلْتَ ، قال : فغضب النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال « وَيْحَكَ ! ! إِذَا لَمْ يَكُنِ الْعَدْلُ عِنْدِي فَعِنْدَ مَنْ يَكُونُ » ؟ فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله ألا أقتله ؟ فقال : « لاَ ، دَعْهُ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شِيعَةٌ يَتَعَمَّقُونَ فِى الدِّينِ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهُ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ يُنْظَرُ فِى النَّصْلِ فَلاَ يُوجَدُ شَىْءٌ ثم فِى الْقِدْحِ فَلاَ يُوجَدُ شَىْءٌ ثُمَّ فِى الْفُوقِ فَلاَ يُوجَدُ شَىْءٌ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ »

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن على بن الحسين أبو جعفر ، بمثل حديث أبى عبيدة ، وسماه ذا الخويصرة

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن أبيه ، بمثل ذلك

قال ابن هشام : ولما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى

فى قريش وقبائل العرب ولم يُعْطِ الأنصار شيئا ، قال حسان بن ثابت يعاتبه فى ذلك :

قصيدة لحسان فى غضبه لعدم عطاء الانصار

زَادَ الْهُمُومُ فَمَاءُ الْعَيْنِ مُنْحَدِرُ ... سَحًّا إذَا حَفَلَتْهُ عَبْرَةٌ دِرَرُ (١)

وَجْداً بِشَمَّاءَ إذْ شَمَّاءُ بَهْكَنَةٌ ... هَيْفَاءُ لاَ دَنَسٌ فِيهَا وَلاَ خَوَرُ (٢)

دَعْ عَنْكَ شَمَّاءَ إذْ كَانَتْ مَوَدَّتُهَا
نَزْرًا وَشَرُّ وِصَالِ الْوَاصِلِ النَّزِرُ (٣)

وَائْتِ الرَّسُولَ فَقُلْ يَاخَيْرَ مُؤْتَمَنٍ
لِلْمُؤْمِنِينَ إذَا مَاعُدِّدَ الْبَشَرُ

عَلاَمَ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهْيَ نَازِحَةٌ
قُدَّامَ قَوْمٍ هُمُ آوَوْا وَهُمْ نَصَرُوا (٤)

سَمَّاهُمُ اللهُ أَنْصَارًا بِنَصْرِهِمُ
دِينَ الْهُدَى وَعَوَانُ الْحَرْبِ تَسْتَعِرُ (٥)

---

(١) السح : الصب ، تقول : سح المطر ، إذا صب ماءه صبا ، وحفلته : جمعته ، ومنه قيل لمجتمع الناس محفل ، والعبرة : الدمعة ، ودرر : أى سائلة

(٢) الوجد : الحزن ، وشماء : اسم امرأة ، وبهكنة : كثيرة اللحم ، وهيفاء : ضامرة البطن ، وقوله « لادنس » تروى هذه الكلمة بثلاث روايات ، هذه إحداها ، وهى ظاهرة ، والثانية « لادنن » بالدال المهملة وبنونين بعدها ، والدنن : غؤور الصدر وتطامنه ، والرواية الثالثة « لاذنن » بذال معجمة ونونين ، والذنن : القذر ، ومنه الذنين ، وهو ما يسيل من الأنف ، والخور : الضعف

(٣) نزرا : قليلة

(٤) نازحة : بعيدة ، وقدام : أمام ، وأراد بالقوم الذين آووا قومه الأنصار

(٥) عوان الحرب : التى قوتل فيها المرة بعد المرة ، وتستعر : تلتهب وتشتعل

وَسَارَعُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْتَرَفُوا
لِلنَّائِبَاتِ وَمَا خَامُوا وَمَا ضَجِرُوا (١)
وَالنَّاسُ أَلْبٌ عَلَيْنَا فِيكَ لَيْسَ لَنَا
إِلاَّ السُّيُوفَ وَأَطْرَافَ الْقَنَا وَزَرُ (٢)
نُجَالِدُ النَّاسَ لَانُبْقِي عَلَى أَحَدٍ وَلَا نُضَيِّعُ مَاتُوحِي بِهِ السُّوَرُ
وَلَا تُهِرُّ جُنَاةُ الْحَرْبِ نَادِيَنَا وَنَحْنُ حِينَ تَلَظَّى نَارُهَا سُعُرُ (٣)
كَمَا رَدَدْنَا بِبَدْرٍ دُونَ مَاطَلَبُوا أَهْلَ النِّفَاقِ وَفِينَا يَنْزِلُ الظَّفَرُ
وَنَحْنُ جُنْدُكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ أُحُدٍ
إِذْ حَزَّبَتْ بَطَراً أَحْزَابَهَا مُضَرُ (٤)
فَمَا وَنَيْنَا وَمَا خِمْنَا وَمَا خَبَرُوا
مِنَّا عِثَارًا وَكُلُّ النَّاسِ قَدْ عَثَرُوا (٥)

قال ابن هشام : حدثني زياد بن عبد الله ، قال : حدثنا ابن إسحق ، قال : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبي سعيد الخُدْري ، قال : لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ،

مقالة الأنصار وخطبة رسول الله فيهم

(١) اعترفوا : أراد صبروا ، وما خاموا : أي ما جبنوا ، وما ضجروا : يريد ما أصابهم ضجر ولا قلق

(٢) ألب : متألبون مجتمعون علينا ، والوزر : الملجأ

(٣) لاتهر : لاتكره ، والنادى : المجلس ، وسعر : جمع سعير ، وهو توقد الحرب واشتعالها ، شبه أنفسهم به في الحدة والمضاء.

(٤) النعف : أسفل الجبل ، وحزبت : جمعت وأعان بعضها بعضا

(٥) ونينا : فترنا وضعفنا

وَجدَ هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت منهم القَالَة (١) ، حتى قال قائلهم : لقى والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ، فدخل عليه سَعْد ابن عُبَادة ، فقال : يارسول الله ، إن هذا الحي من الأنصار قد وَجَدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبتَ ، قَسَّمْتَ في قومك وأعطيت عطايا عِظَاماً في قبائل العرب ، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء ، قال : « فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَاسَعْدُ » ؟ قال : يارسول الله ، ماأنا إلا من قومي ، قال : « فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هٰذِهِ الْحَظِيرَةِ » (٢) قال : فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة ، قال : فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم ، فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « يَامَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ (١) بلغتني عَنْكُم؟ وَجِدَةٌ (٣) وَجَدْتُمُوهَا عَلَيَّ فِي أَنْفُسِكُمْ ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالاً فَهَدَاكُمُ اللهُ (٤) وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُم » قالوا : بلى ، الله ورسوله أَمَنُّ وَأَفْضَلُ (٥) ، ثم قال: « أَلاَ تُجِيبُونَنِي يَامَعْشَرَ الْأَنْصَارِ » ؟ قالوا : بماذا نجيبك يارسول الله ؟

---

(١) القالة : الكلام الردىء

(٢) الحظيرة : هي في الأصل مكان يتخذ للابل والغنم يمنعها الانفلات ويمنعها هجمات اللصوص والوحوش

(٣) الجدة - بكسر الجيم وفتح الدال - أراد بها الموجدة ، وهي العقاب وأكثر ما تستعمل الجدة في المال

(٤) العالة : الفقراء

(٥) أمن : هو أفعل تفضيل من المنة ، وهي النعمة

لله ورسوله المنُّ والفضل ، قال صلى الله عليه وسلم : « أمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدِّقْتُمْ : أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ وَمَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ وَعَائِلاً فَآسَيْنَاكَ (١) أَوَجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ (٢) مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلاَمِكُمْ أَلاَ تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللهِ إِلَى رِحَالِكُمْ ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا (٣) وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ » قال : فبكى القوم حتى أَخْضَلُوا لحاهم (٤) ، وقالوا : رضينا برسول الله قَسْمًا وَحَظًّا ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرقوا .

عُمْرَةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من الجِعْرَانَةِ

واستخلافه عَتَّابَ بن أسيد على مكة ، وَحَجُّ عَتَّاب بالمسلمين ، سنة ثمان

قال ابن إسحق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجِعْرَانة معتمرا ، وأمر ببقايا الْفَيْءِ فحُبِسَ بِمَجَنَّة بناحية مَرِّ الظَّهْرَان ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عُمْرَته انصرف راجعا إلى المدينة واستخلف عَتَّاب بن أسيد على مكة ، وَخَلَّفَ معه مُعَاذ بن جَبَل يُفَقِّه

(١) آسيناك : أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا

(٢) اللعاعة : بقلة خضراء ناعمة ، شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها

(٣) الشعب ـ بكسر فسكون ـ الطريق بين جبلين

(٤) أخضلوا لحاهم : بلوها بالدموع ، والغصن الخضل : هو الذى بلّه المطر

الناس فى الدين ويعلمهم القرآن ، واتّبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقايا الفيء

رسول الله يرزق عاملة كل يوم درهما

قال ابن هشام : وبلغنى عن زيد بن أسلم أنه : قال لما استعمل النبى صلى الله عليه وسلم عتَّاب بن أسيد على مكة رَزَقه كلَّ يوم دِرْهَمًا ، فقام ، فخطب الناس ، فقال : أيها الناس ، أجاعَ الله كبد من جاعَ على درهم ، فقد رزقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما كلَّ يوم ، فليست بى حاجة إلى أحد

وقت عمرة رسول الله

قال ابن إسحق : وكانت عُمْرَةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى بقية ذى القعدة ، أو فى أول ذى الحجة

قال ابن هشام : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لست ليال بَقِينَ من ذى القعدة ، فيما قال أبو عمرو المدنى

قال ابن إسحق : وَحَجَّ الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه ، وحج بالمسلمين تلك السنة عتَّاب بن أسيد ، وهى سنة ثمان ، وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم فى طائفهم ، ما بين ذى القعدة إذ انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شهر رمضان من سنة تسع

أمر كَعْب بن زُهَيْر ، بعد الانصراف عن الطائف

نصيحة بجير لاخيه كعب

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مُنْصَرَفه عن الطائف كتب بُجَيْرُ بن زُهَيْر بن أبى سُلْمَى إلى أخيه كَعْب بن زُهَيْر يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وأن من بقى من شعراء قريش ابنَ الزِّبَعْرَى وهُبَيْرَةَ بن أبى وهب قد هربوا فى كل وَجْه ، فان كانت لك فى نفسك حاجة فَطِرْ إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فانه لايقتل أحدا جاءه تائبا ، وإن أنت لم تفعل فانجُ إلى نجائك من الأرض ، وكان كعب [بن زهير] قد قال : —

أَلاَ أَبْلِغَا عَنِّىَ بُجَيْرًا رِسَالَةً
فَهَلْ لَكَ فِيماَ قُلْتُ وَيْحَكَ هَلْ لَكاَ
فَبيِّنْ لَنَا إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفَاعِلٍ
عَلَى أىِّ شَىْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ دَلَّكَا
عَلَى خُلُقٍ لَمْ أُلْفِ يَوْمًا أَبَالَهُ عَلَيْهِ وَمَا تُلْفِى عَلَيْهِ أَبًا لَكَا
فَإِنْ أَنتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِآسِفٍ
وَلاَ قَائِلٍ إِمَّا عَثَرْتَ لَعًا لَكَا (١)
سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأْسًا رَوِيَّةً
فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَا (٢)

قال ابن هشام : ويروى « المأمور » وقوله « فبين لنا » عن غير ابن إسحق ، وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر ، وحديثه :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى بُجَيْرًا رِسَالَةً
فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتُ بِالْخَيْفِ هَلْ لَكَا
شَرِبْتَ مَعَ الْمَأْمُونِ كَأْسًا رَوِيَّةً
فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وعَلَّكَا (٢)

(١) بآسف : أراد لست بنادم ، وقوله « لعالك » هذه كلمة تقال للعاثر ، يدعى له بها ، ومعناها قم وانتعش

(٢) أنهلك : سقاك النهل ، وهو الشرب الأول ، وعلك : سقاك العلل ، والعلل : الشرب الثانى

وَخَالَفْتَ أَسْبَابَ الْهُدَى وَاتَّبَعْتَهُ
عَلَى أَيِّ شَيْءٍ وَيْبَ غَيْرِكَ دَلَّكَا
عَلَى خُلُقٍ لَمْ تُلْفِ أُمًّا وَلاَ أَبًا عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَخًا لَكَا
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِآسِفٍ
وَلاَ قَائِلٍ إِمَّا عَثَرْتَ لَعًا لَكَا

قال: وبعث بها إلى بُجَير، فلما أتت بُجيرا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنشده إياها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع «سَقَاكَ بِهَا الْمَأمون»: «صَدَقَ وَإِنَّهُ لَكَذُوبٌ، أنا المأمون» ولما سمع «عَلَى خُلُقٍ لم تلف أما ولا أبا عليه» قال: «أَجَلْ لَمْ يُلْفِ عَلَيْهِ أَبَاهُ وَلاَ أمه» ثم قال بجير لكعب: —

مَنْ مُبْلِغٌ كَعْبًا فَهَلْ لَكَ فِي الَّتِي
تَلُومُ عَلَيْهَا بَاطِلاً وَهِيَ أَحْزَمُ
إِلَى اللهِ، لاَ الْعُزَّى وَلاَ اللاَّتِ، وَحْدَهُ
فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النَّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لَدَى يَوْمِ لاَ يَنْجُو وَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ
مِنَ النَّاسِ إِلاَّ طَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ
فَدِينُ زُهَيْرٍ وَهْوَ لاَ شَيْءَ دِينُهُ وَدِينُ أَبِي سُلْمَى عَلَيَّ مُحَرَّمُ

قال ابن إسحق: وإنما يقول كعب «المأمون» (ويقال «المأمور» في قول ابن هشام) لقول قريش الذي كانت تقوله في رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق: فلما بلغ كعباً الكتابُ ضاقت به الأرض،

خوف كعب وعته المدينة

وأشفق على نفسه ، وأرجف به من كان فى حاضره من عدوه ، فقالوا : هو مقتول ، فلما لم يجد من شىء بُدًّا قال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فيها خوفه و إرجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه و بينه معرفة من جهينة ، كما ذكر لى ، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح ، فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه ، فذُكِر لى أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس إليه ، فوضع يده فى يده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه ، فقال : يارسول الله ، إن كعب ابن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلما ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم » قال : أنا يارسول الله كعب بن زهير

قال ابن إسحق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من الأنصار ، فقال : يارسول الله ، دَعْنِي وَعَدُوَّ الله أضرب عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دَعْهُ عَنْكَ فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ تَائِبًا نَازِعًا عَمَّا كَانَ عليه » قال : فغضب كعب على هذا الحى من الأنصار لما صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال قصيدته التى قال حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم : —

قصيدة كعب فى مدح النبى وهى البردة

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ   مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ (١)

---

(١) البين : الفراق ، وبانت : ذهبت وفارقت ، وسعاد : اسم امرأة ، ومتبول : هالك ، من التبل — بفتح فسكون — وهو الهلاك وطلب الثأر ، ومتيم : معبد مذلل ، ومنه سموا تيم اللات : أى عبدها ، ويروى « متيم عندها لم يجز »

وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا
إلاَّ أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ (١)

[هَيْفَاءُ مُقْبِلَةً عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً
لاَ يُشْتَكَى قِصَرٌ مِنهاَ وَلاَ طُولُ (٢)]

تَجْلُو عَوَارِضَ ذِى ظَلْمٍ إذا ابْتَسَمَتْ
كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ (٣)

شُجَّتْ بِذِى شَبَمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ
صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وَهْوَ مَشْمُولُ (٤)

تَنْفِى الرِّيَاحُ الْقَذَى عَنْهُ وَأَفْرَطَهُ
مِنْ صَوْبِ غَادِيَةٍ بِيضٌ يَعَالِيلُ (٥)

---

(١) الأغن : الصبى الصغير الذى فى صوته غنة ، والغنة : الصوت الذى يخرج من الخياشيم ، ومعنى غضيض الطرف فاتر الجفن

(٢) الهيفاء : ضامرة البطن والخصر ، والعجزاء : عظيمة العجزة ، وهى الردف

(٣) تجلو : تصقل ، والعوارض : الأسنان ، و « ذى ظلم » هوالفم ، والظلم ـ بفتح فسكون ـ ماء الأسنان وبريقها ، ومنهل : اسم مفعول منأنهله إذا سقاه نهلا ، والراح : اسم من أسماء الخمر ، ومعلول : اسم مفعول من عله إذا سقاه عللا

(٤) شجت : مزجت ، وأراد بذى شبم الماء البارد ، والشبم ـ بفتحتين ـ البرد ، والمحنية : منتهى الوادى ، ويقال : هوما انعطف منه ، والأبطح : الموضع السهل ، ومشمول : هبت عليه ريح الشمال ، وهى عندهم ريح باردة إذا هبت

(٥) أراد بالقذى مايقع فى الماء من تبن أو عود أو غيره ، وأفرطه :

فَيَالَهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ
بِوَعْدِهَا أَوْ لَوَ أَنَّ النُّصحَ مَقْبُولُ (١)
لَـكِنَّهَا خُلَّةٌ قَدْ سِيطَ مِنْ دَمِهَا
فَجْعٌ وَوَلْعٌ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلُ (٢)
فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا كَمَا تَلَوَّنُ فِي أَثْوابِهَا الْغُولُ (٣)
وَمَا تَمَسَّكُ بِالْعَهْدِ الَّذِى زَعَمَتْ إِلاَّ كَمَا يُمْسِكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ
فَلاَ يَغُرَّنْكَ مَامَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَحْلاَمَ تَضْلِيلُ
كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلاً وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلاَّ الْأَبَاطِيلُ (٤)
أَرْجُو وَآمُلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتُهَا
وَمَا إِخَالُ لَدَيْنَا مِنْكِ تَنْوِيلُ (٥)

سبق إليه وملأه ، والصوب : المطر ، والغادية : السحابة التى تمطر بالغدو ، واليعاليل : الحباب الذى يعلو وجه الماء ، وهو رغوة الماء

(١) الخلة هنا : الصديقة ، يقال : هى خلتى ، بمعنى صديقتى وصاحبتى ، ويقال للرجل خلة أيضا ، قال شاعر الحماسة :ـ

أَلاَ أَبْلِغَا خُلَّتِى رَاشِدًا وَصِنْوِى قَدِيمًا إِذا مَا نَصِلْ

(٢) سيط : تروى هذه الكلمة بالسين المهملة وبالشين المعجمة ، فأما من رواها بالسين المهملة فقد عنى أنه خلط بدمها ما يذكر بعد ذلك من الصفات ، تقول : سطت الشىء أسوطه ، إذا خلطته ، وأما من رواها بالشين المعجمة فقد أراد معنى غلى وارتفع وعلا ، والولع ـ بفتح فسكون ـ الكذب

(٣) الغول : ساحرة الجن

(٤) عرقوب : اسم رجل يضرب به المثل فى خلف الوعد

(٥) إخال ـ بكسر الهمزة ـ فعل مضارع بمعنى الظن ، وكسر همزة المضارعة فى هذا الفعل خاصه لغة تميم من بين العرب

أَمْسَتْ سُعَادُ بِأَرْضٍ لَايُبَلِّغُهَا
إلاَّ الْعِتَاقُ النَّجِيبَاتُ الْمَرَاسِيلُ (١)

وَلَنْ يُبَلِّغَهَا إلاَّ عُذَافِرَةٌ لَهَا عَلَى الأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ (٢)

مِنْ كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرَى إِذَا عَرِقَتْ
عُرْضَتُهَا طَامِسُ الْأَعْلَامِ مَجْهُولُ (٣)

تَرْمِى الْغُيُوبَ بِعَيْنَىْ مُفْرَدٍ لَهَقٍ إِذَا تَوَقَّدَتِ الْحِزَّانُ وَالْمِيلُ (٤)

ضَخْمٌ مُقَلَّدُهَا فَعْمٌ مُقَيَّدُهَا
فِى خَلْقِهَا عَنْ بَنَاتِ الْفَحْلِ تَفْضِيلُ (٥)

---

(١) المراسيل : السريعة

(٢) العذافرة ـ بضم العين وبعد الألف فاء مكسورة ـ الناقة الضخمة ، والأين : الفتور والاعياء ، والارقال : مصدر أرقل ، وهو ضرب من السير ، ومثله التبغيل

(٣) نضاحة : تروى هذه الكلمة بالحاء المهملة وبالخاء المعجمة ، وهى التى يرشح عرقها ، وبعض أهل اللغة يجعل النضخ بالمعجمة أكثر من النضح بالمهملة والذفرى ـ بكسر الذال وسكون الفاء ـ عظم فى أصل الأذن ، ويقال : هى نقرة خلف الأذن ، وهى أول مايعرق من البعير ، وعرضتها : همتها ، وهو من قولهم : بعير عرضة للسفر : أى جلد عليه قوى ، وطامس : متغير ، والأعلام : العلامات التى تكون فى الطرق يهتدى بها ، وأراد أنه ليس بها علم

(٤) الغيوب : جمع غائب ، مثل شاهد وشهود ، وحاضر وحضور ، ويروى فى مكانه « النجاد » وهو جمع نجد ، وهو ماارتفع وعلا ، وقوله « بعينى مفرد » أراد بعينين مثل عينى ثور مفرد وهو الذى انفرد فى الصحراء ولهق : هو الشديد البياض ، وهو بفتح اللام وهاؤه مكسورة أومفتوحة ، مثل أبيض يقق ويقق ، والحزان : جمع حزيز ، وهو المكان الغليظ الصلب ، والميل : جمع أميل أو ميلاء ، ويقال : الميل هو العلم الذى يبنى على الطريق

(٥) المقلد : مكان التقليد ، وهو العنق ، وفعم : أى ممتلىء ، ومقيدها : موضع التقييد منها ، وأراد به الرجل

غَلْبَاءُ وَجْنَاءُ عُلْكُومٌ مُذَكَّرَةٌ   فِي دَفِّهَا سَعَةٌ قُدَّامَهَا مِيلُ (١)

وَجِلْدُهَا مِن أَطُومٍ مَا يُؤَيِّسُهُ   طِلْحٌ بِضَاحِيَةِ الْمَتْنَيْنِ مَهْزُولُ (٢)

حَرْفٌ أَخُوهَا أَبُوهَا مِنْ مُهَجَّنَةٍ   وَعَمُّهَا خَالُهَا قَوْدَاءُ شِمْلِيلُ (٣)

يَمْشِي الْقُرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزْلِقُهُ   مِنْهَا لَبَانٌ وَأَقْرَابٌ زَهَالِيلُ (٤)

---

(١) الغلباء : الغليظة الرقبة ، والوجناء : عظيمة الوجنتين ، والعلكوم : الشديدة ، ومذكرة : يريد أنها فى عظم خلقها تشبه الذكر من الأباعر ، والدف - بفتح الدال وتشديد الفاء - الجنب ، وقد أقام هنا الواحد عن المثنى ، فهما جنبان ، وقوله « قدامها ميل » وصف لها بطول العنق

(٢) يريد أن جلدها قوى شديد الملاسة لسمنها وضخامتها فالقراد المهزول من الجوع لايثبت عليها ولا يلزق بها ، والأطوم : هى الزرافة أو السلحفاة البرية ، شبهها بأحداهما فى الملاسة ، ويؤيسه : يذلله ويؤثر فيه ، والطلح - بكسر الطاء وسكون اللام - القراد ، والضاحية : البارزة الظاهرة ، وأراد بالمتنين ما اكتنف صلبها عن يمين وشمال من عصب ولحم ، ومهزول : صفة لطلح

(٣) الحرف فى الأصل حرف الجبل ، وهو القطعة الخارجة منه ، شبه الناقة به فى الصلابة ، أو الحرف هو حرف الخط وشبه به الناقة فى الهزال والضمور ، فهذه الكلمة تحتمل هذين المعنيين ، وأبوها أخوها ، وعمها خالها يريد بهذه العبارة أنها مداخلة النسب فى الكرم فلم يدخل فى نسبها أجنبى ، والمهجنة - بضم فسكون - هنا - غلظ الخلق كغلظ البراذين ، والناقة مهجنة : أى كريمة ، والهجين : الكريم من الابل ، وجمعه هجائن ، والقوداء : الطويلة الظهر والعنق ، والشمليل - بكسر فسكون - السريعة

(٤) هذا البيت فى معناه تأكيد لقوله فيما سبق « وجلدها من أطوم » واللبان - بفتح اللام - الصدر ، والأقراب : الخواصر ، واحدها قرب - بزنة

عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ بِالنَّحْضِ عَنْ عُرُضٍ
مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَفْتُولُ (١)

كَأَنَّمَا فَاتَ عَيْنَيْهَا وَمَذْبَحَهَا
مِنْ خَطْمِهَا وَمِنَ اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيلُ (٢)

تَمُرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ
فِي غَارِزٍ لَمْ تُخَوِّنْهُ الْأَحَالِيلُ (٣)

ثقل وجمل ـ وزهاليل : صفة لأقراب ولبان معا ، وهو جمع زهلول ، وهو بزنة عصفور : الأملس الناعم

(١) عيرانة : يريد أنها تشبه العير فى شدته ونشاطه ، والعير : حمار الوحش ، والنحض ـ بفتح فسكون ـ اللحم ، وأراد من أنها قذفت به أنها عبلة الجسم منه ، ويقال : امرأة نحيضة ، إذا كانت عبلة ضخمة كثيرة اللحم ، والعرض ـ بضم العين المهملة والراء ـ الجانب والناحية ، والزور ـ بفتح فسكون ـ الصدر أو وسطه أو أعلاه ، وبنات الزور : ما حوله وما يتصل به من الأضلاع ، ومفتول : مدمج محكم

(٢) وقع هذا البيت متأخرا فى بعض النسخ عن البيتين التاليين له ، وآثرنا ترتيب هذه النسخة لموافقتها لرواية ابن هشام الأنصارى فى شرحه لهذه اللامية ، وفات : تقدم ، ومذبحها : منحرها ، وهو مكان الذبح ، والخطم ـ بفتح فسكون ـ الأنف ، واللحيان ـ بفتح فسكون ـ مثنى لحى ، وهو الحنك ، والبرطيل ـ بكسر فسكون ـ معول من حديد ، وهو أيضاً حجر مستطيل ؛ يصفها بكبر الرأس

(٣) عسيب النخل : جريده الذى لم ينبت عليه الخوص ، فان نبت عليه سمى سعفا ، والخصل ـ بضم ففتح ـ جمع خصلة ـ بضم فسكون ـ وهى اللفافة من الشعر ، وأراد بمثل العسيب ذنبها ، والغارز : أراد به ضرعها ، وتخونه : تنتقصه ، والأحاليل : جمع إحليل ، وهو بزنة قنديل مخرج البول،

قَنْوَاءُ فِي حُرَّتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا
عِتْقٌ مُبِينٌ وَفِي الْخَدَّيْنِ تَسْهِيلُ (١)

تَخْدِي عَلَى يَسَرَاتٍ وَهْيَ لَاحِقَةٌ
ذَوَابِلٍ مَسُّهُنَّ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ (٢)

سُمْرِ الْعُجَايَاتِ يَتْرُكْنَ الْحَصَا زِيَمًا
لَمْ يَقِهِنَّ رُؤُسَ الْأُكْمِ تَنْعِيلُ (٣)

ومخرج اللبن من الثدى ، يريد أنها حائل لا تحلب وذلك أقوى لها على السير وأنفى للضعف عنها

(١) القنواء : المحدودبة الأنف ، والحرتان : الأذنان ، ويروى بدل قنواء « وجناء » وهى صلبة الوجنة ، ومعنى « فى حرتيها للبصير بها عتق » أن من رأى أذنيها عرف عتقها وكرمها ، وقد وقع هذا البيت متقدما على البيتين قبله مع أن البيت الذى أوله « تمر » متأخر عن البيت الذى أوله « كأنما فات ـ الخ »

(٢) تخدى : تسرع ، وروى فى مكانه « تهوى » والمعنى واحد ، واليسرات : قوائمها ، يريد أنها تحسن السير بها كلها ، واللاحقة : الضامرة الخفيفة اللحم ، وذوابل : جمع ذابل ، وهو اليابس ، وإذا كانت القوائم قليلة اللحم لم تكن رهلة ولا مسترخية وذلك أنشط لها وأقوى لسيرها ، وقوله « مسهن الأرض تحليل » إشارة إلى سرعة رفعها قوائمها ، يعنى أنها إنما تمس بقوائمها الأرض قليلا كمن يتحلل من يمين

(٣) العجايات ـ بضم العين المهملة ـ ومثله العجاوات : جمع عجاية أوعجاوة ، وهى لحمة متصلة بالعصب المنحدر من ركبة البعير إلى الفرسن ، وزيم ـ بكسر الزاى وفتح الياء ـ هو المتفرق ، يريد أنها لشدة وطئها الأرض تفرق الحصى ، والأكم ـ بضم الهمزة وسكون الكاف ـ مخفف من الأكم ـ بضم الهمزة والكاف جميعا ـ والأكم : جمع إكام ـ بزنة كتاب وكتب ـ

كانَّ أوْبَ ذِرَاعَيْهَا إذَا عَرِقَتْ وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ (١)

يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الْحِرْبَاءُ مُصْطَخِداً كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ مَمْلُولُ (٢)

وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيهِمْ وَقَدْ جَعَلَتْ

وُرْقُ الْجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الْحَصَا: قِيلُوا (٣)

والاكام: جمع أكم - بزنة جبل وجبال - والأكم: جمع أكمة، وهى ما ارتفع من الأرض

(١) وقع هذا البيت فى بعض النسخ متأخراً عن البيتين التاليين له هنا، وآثرنا ترتيب هذه النسخة لما ذكرنا قريباً، والأوب: مصدر آب بمعنى رجع، وتلفع: التحف، والقور: جمع قارة، وهى الجبل الصغير، والعساقيل: السراب، قال الجوهرى: لم أسمع بواحده، يريد أن يشبه رجوع ذراعى ناقته فى وقت الهاجرة، عند اشتداد الحر وانتشار السراب فوق صغار الجبال، بذراعى عيطل، وسيأتى بيان المشبه به فى بيت آخر، وهو خبر كأن الواقع فى صدر هذا البيت

(٢) الحرباء - بكسر فسكون - ضرب من العظاء، وهو حيوان برى له سنام كسنام الجمل يستقبل الشمس ويدور معها حيث دارت ويتلون ألوانا ويقال: هى أم حبيش، وقوله « مصطخدا » أى مصطليا بحر الشمس، ويروى فى مكانه « مرتبئا » أى مرتفعا، وضاحيه: ما برز منه للشمس وظهر، ومملول: محروق، وأصله من الخبز المليل أو المملول، وهو المصنوع فى الملة، وهى بفتح الميم وتشديد اللام الرماد الحار

(٣) الحادى: الذى يسوق الابل، والورق: جمع أورق، وهو الأخضر إلى سواد، ويروى فى مكانه « بقع » وهو جمع أبقع، والأبقع: الذى فيه ألوان، ومثله الأرقط، والجنادب: جمع جندب، وهو ذكر الجراد، ويركضن الحصى: يدفعنه، وقيلوا: فعل أمر من قال يقيل إذا استراح وقت القيلولة، وهو مقول القول الذى فى أول البيت

شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعَا عَيْطَلٍ نَصَفٍ قَامَتْ فَجَاوَبَهَا نُكْدٌ مَثَاكِيلُ (١)
نَوَّاحَةٌ رِخْوَةُ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَهَا لَمَّا نَعَى بِكْرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ (٢)
تَفْرِى اللَّبَانَ بِكَفَّيْهَا وَمِدْرَعُهَا مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيهَا رَعَابِيلُ (٣)
تَسْعَى الْغُوَاةُ جَنَابَيْهَا وَقَوْلُهُمُ: إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِى سُلْمَى لَمَقْتُولُ (٤)

---

(١) شد النهار: ارتفاعه وهو منصوب على الظرفية، كما تقول: وسط النهار، وقوله «ذراعا عيطل» هو خبر كأن الواقع فى صدر بيت سابق، والعيطل: الطويلة، ومثله العيطلة، والنصف – بفتح النون والصاد جميعا – التى بين الشابة والكهلة، والنكد: جمع نكدى، وهى الناقة التى لا يعيش لها ولد، والمثاكيل: جمع مثكال، وهى الكثيرة الثكل، والثكل: فقد الأولاد

(٢) نواحة: مبالغة فى نائحة، والنائحة: التى تبكى ولدها، ورخوة: مسترخية، والضبعين: مثنى ضبع – بفتح فسكون – وهو العضد، والبكر – بكسر فسكون – أول أولادها، والناعون: جمع ناع، وهو الذى يخبر بالموت، والمعقول: العقل

(٣) تفرى: تقطع، واللبان – بفتح اللام – الصدر، والمدرع – بكسر الميم وسكون الدال وفتح الراء – قميصها، ويقال له درع أيضا، ومشقق: أراد به شقوق كثيرة، والتراقى: جمع ترقوة – بفتح فسكون وضم القاف – وهى عظام الصدر التى تقع عليها القلادة، ورعابيل: قطع، تقول: رعبلت اللحم، إذا قطعته، ويقال: ثوب رعابيل، وتقول: جاء فلان فى رعابيل، تريد أنه جاء فى ثياب أخلاق، وقولهم «ثوب رعابيل» وصفوا فيه المفرد بالجمع، كما وصفوه به فى قولهم: ثوب أخلاق، ومنه قول الراجز: –

* جَاءَ الشِّتَاءُ وَقَمِيصِى أَخْلَاقْ *

(٤) تسعى الوشاة: هو من قولهم: سعى به عند السلطان، إذا وشى به عنده، والوشاة: جمع واش، وهو الذى ينقل إليك الحديث على جهة الافساد، وإنما سمى الواشى واشيا لأنه يشى الحديث: أى يزينه وينمقه،

وَقَالَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنْتُ آمُلُهُ لاأُلْهِيَنَّكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ (١)

فَقُلْتُ : خَلُّوا سَبِيلِي لاَ أَبَالَـكُمُ فَـكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمنُ مَفْعُولُ (٢)

كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلاَمَتُهُ

يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ (٣)

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِي وَالعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ (٤)

وجنابيها : ناحيتها ، وهو بفتح الجيم ؛ ويقال : الجناب ـ بزنة سحاب كما قلنا ـ فناء الدار وما قرب من محلة القوم ، وانتصاب جنابيها على أنه ظرف مكان ؛ وابن أبي سلمى : أراد به نفسه ، ونسب نفسه إلى جده ؛ فهو كعب ابن زهير بن أبي سلمى ، وسلمى : بضم السين وسكون اللام ، وليس في العرب بهذا الضبط سواه

(١) لما سمع مقالة الوشاة التي ذكرها في البيت السابق التجأ إلى إخوانه الذين كانوا موضع آماله ومحط رجائه فتبرؤا منه يأسا من سلامته وخوفا من غضب النبي صلى الله عليه وسلم ، وقوله « آمله » إنما أراد آمل خيره أو آمل معونته أو نحو ذلك ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، وقوله « لاألهينك » معناه لا أشغلك عما أنت فيه بأن أسهله عليك وأسليك عنه فاعمل لنفسك فاني لا أغني عنك شيئا

(٢) لما يئس من نصرة خلانه أمرهم أن يخلوا طريقه ولا يحبسوه عن المثول بنفسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمضي فيه حكمه ؛ فان نفسه قد أيقنت أن كل شيء قدره الله تعالى واقع لا محالة ، وخلوا : اتركوا وصيروه خاليا ، والسبيل : الطريق ، ويروى « خلوا طريقي »

(٣) يقول : إذا كان كل إنسان ولدته أنثى وإن عاش زمانا طويلا سالما من النوائب فانه واقع بين مخالب الموت فليس هناك ما يبيح الجزع ، وليس هناك ما يفرح الشامتين ، والآلة الحدباء : قيل : هي النعش الذي يحمل عليه الموتى ، وقيل : المراد الداهية

(٤) بدأ ههنا يذكر مقصده الذي مهد له بما سبق من الغزل والوصف

مَهْلاً هَدَاكَ الَّذِى أعْطَاكَ نَافِلَةَ الْـ ... قُرْآنِ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ

لاَ تَأْخُذَنِّى بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ ... أُذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِىَّ الْأَقَاوِيلُ

لَقَدْ أَقُومُ مَقَاماً لَوْ يَقُومُ بِهِ

يَرَى وَيَسْمَعُ مَا قَدْ أَسْمَعُ الْفِيلُ (١)

لَظَلَّ يُرْعَدُ إلاَّ أنْ يَكُونَ لَهُ

مِنَ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللهِ تَنْوِيلُ (٢)

مَازِلْتُ أَقْتَطِعُ الْبَيْدَاءَ مُدَّرِعًا

جُنْحَ الظَّلاَمِ وَثَوْبُ اللَّيْلِ مَسْدُولُ (٣)

وقد شرع من هذا البيت فى التنصل مما اتهم به ، والاستعطاف ، وأنبئت ـ بالبناء للمجهول ـ أخبرت . والنبأ : الخبر ، مستويان فى الوزن والمعنى ، وبعض أهل اللغة يخص النبأ بالخبر العظيم . ويبعده وصفه بالعظيم فى قوله تعالى : (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) ، وقوله «أو عدنى» معناه تهددنى وذكر أنه ينالنى بشر ، يقول : إنه قد ثبت لى وتواتر عندى أن رسول الله يغفر الذنب ويعفو عن المسىء .

(١) وقع عجز هذا البيت فى شرح ابن هشام الأنصارى وفى بعض نسخ الأصل هكذا :ـ

* أرَى وَأَسْمَعُ مَالَوْ يَسْمَعُ الْفِيلُ *

(٢) وقع فى بعض النسخ صدر هذا البيت هكذا :ـ

* لَظَلَّ تُرْعَدُ مِنْ وَجْدٍ بَوَادِرُهُ *

والبوادر : اللحم الذى بين العنق والكتف

(٣) سقط هذا البيت من بعض نسخ الأصل ، ويروى فى بعض النسخ عجزه « وثوب الليل مسبول »

حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أُنَازِعُهَا
فِي كَفِّ ذِي نَقَمَاتٍ قِيلُهُ الْقِيلُ (١)
فَلَهُوْ أَخْوَفُ عِنْدِي إِذْ أُكَلِّمُهُ وَقِيلَ إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْؤُلُ (٢)
مِنْ ضَيْغَمٍ بِضَرَاءِ الْأَرْضِ مَخْدَرُهُ
فِي بَطْنِ عَثَّرَ غِيلٌ دُونَهُ غِيلُ (٣)
يَغْدُو فَيُلْحِمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا
لَحْمٌ مِنَ النَّاسِ مَعْفُورٌ خَرَادِيلُ (٤)
إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا لَا يَحِلُّ لَهُ
أَنْ يَتْرُكَ الْقِرْنَ إِلَّا وَهْوَ مَغْلُولُ (٥)

---

(١) وقع فى بعض الأصول « حتى وضعت يمينى ما أنازعه » والضمير المنصوب عائد على ذى نقمات

(٢) وقع فى نسخة ابن هشام الأنصارى صدر هذا البيت هكذا :ـ

* لَذَاكَ أَهْيَبُ عِنْدِي إِذْ أُكَلِّمُهُ *

(٣) الضيغم : الأسد ، ووقع فى نسخة ابن هشام الأنصارى « من خادر من ليوث الأسد مسكنه » وأراد به الأسد أيضا ، والخادر : الداخل فى الخدر ، والخدر : الأجمة وموطن الأسد ، وضراء الأرض : ماوارك من الشجر ، ومخدر الأسد : غابته وأجمته ، وعثر ـ بفتح العين وتشديد الثاء المثلثه ـ موضع تنسب إليه الأسود ، والغيل : الأجمة أيضا

(٤) يغدو : يذهب فى أول النهار ، ويلحم : يطعم اللحم ، وماضيه ثلاثى فياء المضارعة مفتوحة أو كأكرم فياء المضارعة مضمومة ، والضرغامين : أراد بهما أسدين من أشباله ، ومعفور : ممرغ فى العفر وهو بزنة جبل التراب ، والخراديل : القطع ، تقول : خردلت اللحم ، إذا قطعته قطعا صغارا

(٥) يساور : يواثب ، تقول : ساوره ، إذا واثبه ، والقرن ـ بكسر

مِنْهُ تَظَلُّ سِبَاعُ الْجَوِّ نَافِرَةً وَلاَ تَمَشَّى بِوَادِيهِ الْأَرَاجِيلُ (١)

وَلاَ يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ مُضَرَّجُ الْبَزِّ وَالدِّرْسَانِ مَأْكُولُ (٢)

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ (٣)

فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ

بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا : زُولُوا (٤)

زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلاَ كُشُفٌ

عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلاَ مِيلٌ مَعَازِيلُ (٥)

فسكون - الذى يقاومك فى الشجاعة - ومغلول : أى قد أثر فيه ، ويروى فى مكانه « بجدول » وهو المطروح على الجدالة ، وهى الأرض

(١) الجو هنا : اسم موضع ، قاله أبو ذر ، وقال ابن هشام الأنصارى : هو البر الواسع ، وأخطأ من فسره بما بين السماء والأرض ، ونافرة : يروى فى مكانه « ضامزة » بالضاد والزاى المعجمتين - وتقول : ضمز الرجل يضمز ضمزا - من باب نصر - إذا سكت ، وكل ساكت فهو ضامز وضموز ، والأراجيل : الجماعات من الرجال

(٢) مضرج : مخضب بالدماء ، وفى رواية ابن هشام الأنصارى « مطرح » بالطاء والحاء المهملتين - والبز : السلاح ، والدرسان - بكسر الدال وسكون الراء - جمع درس ، وهو الثوب الخلق البالى ، ووزنه كصنو وصنوان وقنو وقنوان ، والدرسان : معطوف على البز ، ومأكول : صفة ثانية لقوله أخو ثقة

(٣) روى « إن الرسول لسيف يستضاء به » وسيوف الهند أفضل السيوف ، ويستضاء به : أى يهتدى به إلى الحق

(٤) « فى عصبة » يروى فى مكانه « فى فتية » ، وزولوا : انتقلوا من مكان إلى مكان ، ويقصد الهجرة

(٥) أنكاس : جمع نكس - بكسر فسكون - وهو الرجل الضعيف

شُمُّ الْعَرَانِينِ أَبْطَالٌ لَبُوسُهُمُ
مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ (١)
بِيضٌ سَوَابِغُ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ
كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ (٢)

سمى بذلك تشبيها بالنكس من السهام وهو الذى انكسر فوقه ، والكشف — بضم الكاف والشين المعجمة — جمع أكشف ، وهوالذى لاترس معه فى الحرب ، والميل : جمع أميل ، وهو الذى لاسيف معه أوهوالذى لايحسن ركوب الخيل ولا يستقر على السرج ، وقال جرير :

لَمْ يَرْكَبُوا الْخَيْلَ إلاَّ بَعْدَ مَاهَرِمُوا
فَهُمْ ثِقَالٌ عَلَى أَكْفَالِهَا مِيلُ

والمعازيل : جمع معزال ، وهو الذى لا سلاح معه ، والمشهور فى هذا المعنى أن يقال : رجل أعزل

(١) الشم : جمع أشم ، وهو الذى فى قصبة أنفه علو مع استواء أعلاه ، وذلك من علامات السيادة والكرم عندهم ، والعرانين : جمع عرنين ، وهو الأنف ، والأبطال : جمع بطل ، وهو الرجل الشجاع ، وسمى بذلك لأنه تبطل عنده الدماء وتهدر ولا ينال منه ثأر ؛ و « لبوسهم من نسج داود » أراد لبوسهم الدروع ، والهيجا : الحرب ، وأصله ممدود فقصره للضرورة ، والسرابيل : جمع سربال ، وقوله « فى الهيجا » متعلق بمحذوف حال من سرابيل

(٢) بيض : جمع أبيض ، وسوابغ : جمع سابغ ، وهوالطويل التام ؛ وهذان وصفان للسرابيل فى البيت السابق ، وشكت : أراد نسجت ، وأصل الشك إدخال الشىء فى الشىء ، ويروى « سكت » بالسين المهملة ، ومعناه ضيقت ، ومنه قولهم : أذن سكاء ، إذا كانت ضيقة ، والحلق — بفتح الحاء واللام — جمع حلقة — بفتح فسكون — وحكى الأصمعى أن الجمع بكسر الحاء وفتح اللام

لَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمُ
قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نِيلُوا (١)

يَمْشُونَ مَشْىَ الْجِمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ
ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ (٢)

لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِى نُحُورِهِمُ
وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ (٣)

قال ابن هشام : قال كعب هذه القصيدة بعد قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وبيته « حَرْفٌ أَخُوهَا أَبُوهَا » وبيته « يَمْشِى الْقُرَادُ » وبيته « عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ » وبيته « تُمِرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ » وبيته « تَفْرِى اللَّبَانَ » وبيته « إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا » وبيته « وَلَا يَزَالُ بِوَادِيهِ » عن غير ابن إسحق

كبدرة وبدر وقصعة وقصع ، والقفعاء - بفتح القاف وسكون الفاء بعدها عين مهملة - شجر ينبسط على وجه الأرض يشبه حلق الدروع ، ومجدول : محكم الصنعة

(١) مفاريح : جمع مفراح ، ومجازيع : جمع مجزاع ، وكلاهما صيغة مبالغة : الأول من الفرح والثانى من الجزع ، يريد أنهم إذا تغلبوا على عدوهم لم يفرحوا لذلك لأن هذا شيء قد تعودوه ، وإذا غلبهم أحدلم يجزعوا لأنهم يعلمون أن الأمور بيد الله وأنهم منتصرون عليه فى المستقبل

(٢) الزهر : جمع أزهر ، وهو الأبيض ، وعرد - بفتح العين وتشديد الراء - نكب عن قرنه وهرب منه ، والتنابيل : جمع تنبال - بكسر فسكون - وهو القصير

(٣) وصفهم بأنهم لاينهزمون فيقع الطعن فى ظهورهم ، بل من شأنهم الاقدام على أعدائهم فيقع الطعن فى نحورهم وصدورهم ، وتهليل : فرار ، تقول : هلل عن قرنه تهليلا ، إذا فر ، وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم حين سمع هذا البيت التفت إلى من كان بحضرته من قريش ، كأنه يومىء إليهم أن اسمعوا

قال ابن إسحق : وقال عاصم بن عمر بن قتادة : فلما قال كعب « إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ » و إنما يريدنا معشر الأنصار لما كان صاحبنا صنع به ما صنع وخص المهاجرين من قريش من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمَدْحَتِهِ ، غَضِبَتْ عليه الأنصار ، فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ويذكر بلاءهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعهم من اليمن : —

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ (١)

وَرِثُوا الْمَكَارِمَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ

إِنَّ الْخِيَارَ هُمُ بَنُو الْأَخْيَارِ

الْمُكْرِهِينَ السَّمْهَرِيَّ بِأَذْرُعٍ كَسَوَالِفِ الْهِنْدِيِّ غَيْرِ قِصَارِ (٢)

وَالنَّاظِرِينَ بِأَعْيُنٍ مُحْمَرَّةٍ كَالْجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الْإِبْصَارِ

وَالْبَائِعِينَ نُفُوسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ لِلْمَوْتِ يَوْمَ تَعَانُقٍ وَكِرَارِ

[وَالذَّائِدِينَ النَّاسَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ بِالْمَشْرَفِيِّ وَبِالْقَنَا الْخَطَّارِ] (٣)

يَتَطَهَّرُونَ يَرَوْنَهُ نُسُكاً لَهُمْ بِدِمَاءِ مَنْ عَلِقُوا مِنَ الْكُفَّارِ

---

(١) أصل المقنب ـ بزنة منبر ـ الجماعة من الخيل ، وجمعه المقانب

(٢) السمهرى : الرمح ، والأذرع : جمع ذراع ، وقوله « كسوالف الهندى » يريد به حواشى السيوف ، وقد يجوز أن يكون أراد الرماح ، لأن الرماح قد تنسب إلى الهند ، كما تنسب إلى الخط

(٣) سقط هذا البيت من بعض نسخ الأصل ، وهو ثابت فى شرح أبى ذر وفى غيره من الأصول ، والذائدين : المانعين والدافعين ، وقد وقع فى نسخة « والقائدين » والمشرفى : السيف ، والخطار : المهتز

دَرِبُوا كَمَا دَرِبَتْ بِبَطْنِ خَفِيَّةٍ
غُلْبُ الرِّقَابِ مِنَ الْأُسُودِ ضَوَارِى (١)
وَإِذَا حَلَلْتَ . لِيَمْنَعُوكَ إِلَيْهِمُ أَصْبَحْتَ عِنْدَ مَعَاقِلِ الْأَغْفَارِ (٢)
ضَرَبُوا عَلِيًّا يَوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً دَانَتْ لِوَقْعَتِهَا جَمِيعُ نِزَارِ (٣)
لَوْ يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ عِلْمِىَ كُلَّهُ فِيهِمْ لَصَدَّقَنِى الَّذِينَ أُمَارِى (٤)
قَوْمٌ إِذَا خَوَتِ النُّجُومُ فَإِنَّهُمْ لِلطَّارِقِينَ النَّازِلِينَ مَقَارِى (٥)
[فِى الْغُرِّ مِنْ غَسَّانَ مِنْ جُرْثُومَةٍ
أَعْيَتْ مَحَافِرُهَا عَلَى المنقار] (٦)

---

(١) دربوا : تعودوا ، وخفية : موضع تنسب إليه الأسود ، وغلب الرقاب : غلاظها ، وضوار : متعودة

(٢) معاقل : جمع معقل ، وهو الموضع الذى يمتنع فيه من احتله ، والأغفار : جمع غفر ، وهو ولد الوعل

(٣) عليا : أراد به على بن مسعود بن مازن الغسانى ، وإليه تنسب بنو كنانة ، لأنه كفل ولد أخيه عبد مناة بن كنانة بعد وفاته فنسبوا إليه

(٤) أمارى : أجادل

(٥) خوت النجوم : غربت فلم يكن لها تأثير على زعمهم ، والطارقين : الذين يأتون ليلا ، والمقارى : جمع مقراة ، وهى الجفنة التى يصنع فيها الطعام للأضياف

(٦) سقط هذا البيت من بعض نسخ الأصل ، وقد وجد بهامش بعض النسخ قبل البيت الأخير

الْمُطْعِمِينَ الضَّيْفَ حِينَ يَنُوبُهُمْ مِنْ لَحْمِ كُومٍ كَالْهِضَابِ عِشَارِ
وَالْمُنْعِمُونَ الْمُفْضِلُونَ إِذَا شَتَوْا وَالضَّارِبُونَ عَلَاوَةَ الْجَبَّارِ

قال ابن هشام : ويقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنشده

* بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ *

« لَوْلاَ ذَكَرْتَ الأَنْصَارَ بِخَيْرٍ فَإِنَّهُمْ لِذَلِكَ أَهْلٌ » فقال كعب هذه الأبيات وهى فى قصيدة له

قال ابن هشام : وذُكر لى عن على بن زيد بن جُدْعان أنه قال : أنشد كعب بن زهير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد

* بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ *

غَزْوة تَبُوكَ فى رجب سنة تسع

[قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد ابن عبد الله الْبَكَّائى ، عن محمد بن إسحق الْمُطَّلِبى] قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة مابين ذى الحجة إلى رجب ، ثم أمر الناس بِالتَّهَيُّؤ لغزو الروم ، وقد ذكر لنا الزُّهْرِىُّ ويزيد بن رُومَانَ وعبد الله بن أَبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم من علمائنا ، كُلٌّ حَدَّث فى غزوة تَبُوكَ مابلغه عنها ، وبعض القوم يُحَدِّث مالا يحدث بعضٌ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك فى زمن عُسْرَةٍ من الناس ، وَشِدَّةٍ من الحر ، وجَدْب من البلاء ، وحين طابت الثمار ، والناس يُحِبُّون الْمُقَام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون

بِالْمُرْهَفَاتِ كَأَنَّ لَمْعَ ظُبَاتِهَا لَمْعُ الْبَوَارِقِ فِى الصنبر النَّارِى
لاَ يَشْتَكُونَ الْمَوْتَ إِنْ نَزَلَتْ بِهِمْ شَهْبَاءُ ذَاتُ مَعَاقِمٍ وَأُوَارِ

الشُّخُوص على الحال من الزمان الذى هم عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قَلَّما يخرج فى غَزْوَة إلا كَنَى عنها ، وأخبر أنه يريد غَيْرَ الوجه الذى يَصْمُدُ له [(١)] ، إلا ما كان من غزوة تبوك ؛ فانه بَيَّنَهَا للناس لبعد الشقة [(٢)] وشدة الزمان وكثرة العدو الذى يَصْمُدُ له ؛ ليتأهَّبَ النَّاسُ لذلك أُهْبَتَهُ ، فأمر الناسَ بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجَدِّ بن قَيْسٍ أحدِ بنى سَلَمة: « يَا جَدُّ هَلْ لَكَ الْعَامَ فِى جِلَادِ بَنِى [(٣)] الْأَصْفَرِ » ؟ فقال : يارسول الله ، أو تأذن لى ولا تَفْتِنِّى فوالله لقد عرف قومى أنه ما من رجل بأشدَّ عُجْبًا بالنساء منى ، وإنى أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال: «قدْ أَذِنْتُ لَكَ »ففى الجد بن قيس نزلت هذه الآية (٩ : ٤٩) : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِى وَلَا تَفْتِنِّى أَلَا فِى الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) أى : إن كان إنما خشى الفتنة من نساء بنى الأصفر ، وليس ذلك به ، فما سقط فيه من الفتنة أكبر بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرغبة بنفسه عن نفسه ، يقول : وَإِنَّ جَهَنَّمَ لمن ورائه ، وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لاتنفروا فى الحر؛ زَهَادَةً فى الجهاد وَشَكًّا فى الحق وَإِرْجَافًا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم(٩ : ٨١—٨٢) : (وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

---

(١) يصمد إليه : يقصده ، تقول : صمدت إليه ، إذا قصدته وكانت نيتك متوجهة إليه

(٢) الشقة : بعد المسير

(٣) بنى الأصفر : الروم

رسول الله يأمر بتحريق بيت يجتمع فيه المنافقون

قال ابن هشام : وحدثني الثقة ، عمن حدثه ، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن ، عن إسحق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناسا من المنافقين يجتمعون فى بيت سُوَيْلم اليهودىّ ، وكان بيته عند جَاسُوم (١) ، يُثَبِّطُونَ الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تَبُوك ، فبعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم طَلْحَةَ بن عبيد الله فى نفر من أصحابه ، وأمره أن يُحَرِّقَ عليهم بيت سُوَيلم ، ففعل طلحة ، فاقتحم الضَّحَّاكُ بن خليفة من ظهر البيت ، فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه فأفلتوا ، فقال الضحاك فى ذلك : —

كَادَتْ وَبَيْتِ اللهِ نَارُ مُحَمَّدٍ
يَشِيطُ بِهَا الضَّحَّاكُ وَابْنُ أُبَيْرِقِ (٢)
وَظَلْتُ وَقَدْ طَبَقْتُ كِبْسَ سُوَيْلِمٍ
أَنُوءُ عَلَى رِجْلِي كَسِيراً وَمِرْفَقِي (٣)
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا أَخَافُ وَمَنْ تَشْمَلْ بِهِ النَّارُ يُحْرَقِ

قال ابن إسحق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جَدَّ فى

---

(١) جاسوم : اسم موضع قاله أبو ذر ، ولم يذكره ياقوت فى معجم البلدان ، ولم يتفق لى العثور عليه فى كتب السير ، ولم يذكره المجد فيما يذكره من الأماكن والبقاع

(٢) يشيط : يحترق ، تقول : شاط يشيط ، إذا التهب واحترق

(٣) طبقت : علوت ، والكبس — بفتح فسكون — هو البيت الصغير ، ووقع فى بعض النسخ « كيس » بالياء المثناة ، ووقع فى بعضها « كبش » بياء موحدة وشين معجمة — والصواب هو ما قدمناه بالباء الموحدة والسين المهملة

سفره ، وأمر الناس بالجهاز والانكماش ، وحضّ أهل الغنى على النفقة والحملان فى سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الغنى ، واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان فى ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها

نفقة عثمان بن عفان

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به أن عثمان بن عَفّان أنفق فى جيش العُسْرة فى غزوة تبوك ألف دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهُمَّ ارْضَ عَنْ عُثْمَانَ ، فَإِنِّى عَنْهُ رَاضٍ »

شأن البكائين

قال ابن إسحق : ثم إن رجالا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهم البكاؤن ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم : من بنى عمرو بن عوف : سالمُ بنُ عمير ، وعُلْبة بن زيد أخو بنى حارثة ، وأبو لَيْلَى عبدُ الرحمن ابن كعب أخو بنى مازن بن النَّجّار ، وعمرو بن حُمَام بن الجَمُوح أخو بنى سَلَمَة ، وعبد الله بن المُغَفَّل المُزَنى ، و بعض الناس يقول : بل هو عبدالله ابن عمرو المزنى ، وهَرَمِىُّ بن عبد الله أخو بنى وَاقف ، وعِرْبَاض بن سَارِيَةَ الفزارى — فاستحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أهل حاجة ، فقال : « لا أجد ما أحملكم عليه » ، فَتَوَلَّوا وأعْيُنُهُمْ تَفِيض من الدمع حَزَناً ألا يجدوا ما ينفقون

[قال ابن إسحق] : فبلغنى أن ابن يامين بن عمير بن كعب النَّضْرى لقى أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل ، وهما يبكيان ، فقال : مايبكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه ، فأعطاهما نَاضِحًا له (١) ، فارتحلاه ، وَزَوَّدَهُما شيئا من تمر ، فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الناضح : الجمل الذى يستقى عليه الماء .

قال ابن إسحق : وجاءه الْمُعَذِّرونَ من الأعراب ، فاعتذروا إليه ، فلم يَعْذِرهم الله تعالى ، وقد ذُكِر لى أنهم نفر من بنى غِفار

تخلف بعض المسلمين

ثم استَتَبَّ(١) برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره ، وأَجْمَعَ السَّيْرَ ، وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النِّيَّةُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تخلَّفوا عنه ، عن غير شك ولا ارتياب ، منهم كَعْبُ بن مالك بن أبى كعب أخو بنى سلمة ، ومُرَارة بن ربيع أخو بنى عَمْرو بن عَوْف ، وهلالُ بن أُمَيَّةَ أخو بنى واقف ، وأبو خيثمة أخو بنى سالم بن عوف ، وكانوا نَفَرَ صِدْقٍ لا يُتَّهَمُونَ فى إسلامهم ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثَنِيَّةِ الْوَدَاع

عامل رسول الله

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة محمدَ بن مَسْلمة الأنصارىَّ ، وذكر عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدِىُّ (٢) عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل على المدينة مَخْرَجَهُ إلى تبوك سِبَاعَ بن عُرْفُطَةَ

تخلف المنافقين

قال ابن إسحق : وضرب عبدُ الله بن أُبَىّ معه على حِدَة عَسْكَرَهُ أسفَلَ منه نحو ذُبَاب(٣) وكان فيما يزعمون ليس بأقلّ العسكرين ، فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلَّفَ عنه عبدُ الله بن أبى فيمن تخلف من المنافقين وأهل الرَّيْب ، وخَلَّفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن

---

(١) استتب : تتابع واستمر

(٢) هذا هو الأصح فى نسبه ، وقد نسبه بعضهم كما وقع فى بعض نسخ الأصل « الأندراوردى »

(٣) ذباب : اسم موضع ، قال ياقوت : « ذكره الحازمى بكسر أوله وبابين ، وقال : جبل بالمدينة له ذكر فى المغازى والأخبار ، وعن العمرانى ذباب بوزن الذباب الطائر : جبل بالمدينة ، وروضات الذباب : موضع آخر » اه كلامه

شأن على بن أبى طالب

أبى طالب رضوان الله عليه على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ماخلفه إلا استثقالاً له وتخففاً منه ، فلما قال ذلك المنافقون أخذ على بن أبى طالب رضوان الله عليه سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو نازل (١) بالجُرُف ، فقال: يانبىَّ الله ، زعم المنافقون أنك إنما خلّفتنى أنك استثقلتنى وتخففت منى ، فقال : « كَذَبوا ، ولكننى خلّفتك لمَا تركتُ ورائى فارجِعْ فاخلُفنى فى أهلى وأهلك أفلا ترضى يا علىُّ أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لانبىَّ بعدى » فرجع علىٌّ إلى المدينة ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ، عن إبراهيم بن سعد بن أبى وقّاص ، عن أبيه سعد ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلى هذه المقالة

قال ابن إسحق : ثم رجع علىٌّ إلى المدينة ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره

شأن أبى خيثمة

ثم إن أبا خَيْثَمَة رجع بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياماً إلى أهله فى يوم حارّ ، فوجد امرأتين له فى عَرِيشَيْن (٢) لهما فى حائطه ، قد رشّتْ كلٌّ واحدة منهما عريشها ، وبرّدتْ له فيه ماء ، وهيّأت له فيه

---

(١) الجرف ـ بضم فسكون ـ موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام ، به كانت أموال لعمر بن الخطاب ولأهل المدينة ، وفيه بئر جشم ، قالوا : سمى الجرف لأن تبعا مر به فقال : هذا جرف الأرض ، وكان يسمى العرض . قاله ياقوت

(٢) العريش : شبيه بالخيمة ، يظلل فيكون أبرد الأخبية والبيوت

طعاما . فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتاله فقال : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الضِّحِّ [(١)] والريح وَالحَرِّ ، وأبو خيثمة فى ظلٍّ بارد وطعام مُهيَّأ وامرأة حسناء فى ماله مقيم ؟ ! ! ماهذا بالنصف ثم قال : والله لا أدخل عريشَ واحدةٍ منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم . فهيِّئا لى زادًا . ففعلتا ، ثم قدّم ناضحه فارتحله . ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك ، وقد كان أدرك أبا خيثمة عُميرُ بن وَهْبٍ الجُمَحِىُّ فى الطريق يطلبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترافقا ، حتى إذا دَنَوَا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لى ذَنْباً فلا عليك أن تَخَلَّفَ عنى حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل . حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك قال الناس : هذا راكب على الطريق مُقْبِلٌ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ » فقالوا : يارسول الله ، هو والله أبو خيثمة ، فلما أناخ أقبل فَسَلَّمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أَوْلَى لَكَ يَا أَبَا خَيْثَمَةَ [(٢)] »ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير

قال ابن هشام : وقال أبو خيثمة فى ذلك شعراً ، واسمه مالك بن قَيْس : —

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِى الدِّينِ نَافَقُوا   أَتَيْتُ الَّتِى كَانَتْ أَعَفَّ وَأَكْرَمَا
وَبَايَعْتُ بِالْيُمْنَى يَدِى لِمُحَمَّدٍ   فَلَمْ أَكْتَسِبْ إِثْمًا وَلَمْ أَغْشَ مَحْرَمَا

---

(١) الضح : الشمس

(٢) أولى لك : كلمة فيها معنى التهديد ، وهى اسم سمى به الفعل ، ومعناها فيما قال المفسرون دنوت من الهلكة

تَرَكْتُ خَضِيبًا فِي الْعَرِيشِ وَصِرْمَةً
صَفَايَا كِرَامًا بُسْرُهَا قَدْ تَحَمَّمَا (١)
وَكُنْتُ إِذَا شَكَّ الْمُنَافِقُ أَسْمَحَتْ
إِلَى الدِّينِ نَفْسِي شَطْرَهُ حَيْثُ يُمِّمَا

مرور النبي وأصحابه بالحجر وشأنهم فيه

قال ابن إسحق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مَرَّ بِالْحِجْرِ نزلها واستقى الناس من بئرها ، فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاَ تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا وَلاَ تَتَوَضَّؤُا مِنْهُ لِلصَّلَاةِ وَمَا كَانَ مِنْ عَجِينٍ عَجَنْتُمُوهُ فَاعْلِفُوهُ الْإِبِلَ وَلاَ تَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا وَلاَ يَخْرُجَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ إِلاَّ وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ » ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعير له ، فأما الذي ذهب لحاجته فانه خُنِقَ على مذهبه ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلَيْ طيء ، فَأُخْبِرَ بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ وَمَعَهُ صَاحِبُهُ » ؟ ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للذي أصيب على مذهبه فشفي ، وأما الآخر الذي وقع بجبلَيْ طيئ فان طيئاً أهدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة ، والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عباس ابن سَهْل بن سَعْدٍ السَّاعِدِي ، وقد حدثني عبدُ الله بن أبي بكر أن قد

(١) الخضيب : المخضوبة ، أراد امرأة قد خضبت يديها بالحناء ، والصرمة : جماعة النخل ، وصفايا : كثيرة الحمل ، وأصله في الابل ، يقال : ناقة صفي ، إذا كانت غزيرة اللبن ، والبسر : التمر قبل أن يطيب ، وتحمم : أخذ في الأرطاب فاسود

سمى له العباس الرجلين ، ولـكنه استودعه إياهما ، فأبى عبد الله أن يسميهما لى

قال ابن هشام : بلغنى عن الزُّهْرِىّ أنه قال : لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحِجْرِ سَجَّى ثَوْبَهُ (١) على وجهه ، وَاسْتَحَثَّ (٢) راحلته ، ثم قال: «لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ الَّذِينَ ظَلَمُوا إلاَّ وَأَنْتُمْ بَاكُونَ خَوْفًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ »

قال ابن إسحق : فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شَكَوْا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله سبحانه سحابةً فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء

قال ابن إسحق : فحدثنى عاصم بن عُمَرَ بن قَتَادَة ، عن محمود بن لَبيد ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، قال : قلت لمحمود : هل كان الناس يَعْرِفون النفاق فيهم ؟ قال : نعم ، والله إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفى عشيرته ، ثم يَلْبَسُ بعضُهُمْ بعضاً على ذلك ، ثم قال محمود : لقد أخبرنى رجال من قومى ، عن رجل من المنافقين معروف نفاقه كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ، فلما كان من أمر الناس بالحِجْر ما كان ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعا فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس قالوا . أقبَلْنَا عليه نقول : وَيْحَكَ ! ! هل بعد هذا شىء ؟ قال : سحابةٌ مارة .

ناقة النبى تضل فيتقول المنافقون

قال ابن إسحق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلَّت ناقته ، فخرج أصحابه فى طلبها ، وعند رسول

---

(١) سجى ثوبه : غطاه على وجهه

(٢) استحث راحلته : استعجلها

الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه يقال له عُمَارة بن حَزْم ، وكان عَقَبِيًّا بَدْرِيًّا ، وهو عم بنى عَمْرو بن حزم ، وكان فى رَحْله زيدُ بن اللصَيْت القَيْنُقَاعِىّ ، وكان منافقا

قال ابن هشام : ويقال ابن لُصَيْب ، بالباء

[قال ابن إسحق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، قالوا :] فقال زيد بن اللُّصَيْت وهو فى رَحْل عُمَارة ، وعُمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَلَيْسَ محمد يَزْعُمُ أنه نبى ويُخبركم عن خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقتــه ؟!! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده : « إنَّ رَجُلاً قَالَ هَذَا مُحَمَّدٌ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِىٌّ وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يُخْبِرُكُمْ بِأَمْرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لاَ يَدْرِى أَيْنَ نَاقَتُهُ ، وَإِنِّى وَاللهِ مَا أَعْلَمُ إلاَّ مَا عَلَّمَنِى الله ، وَقَدْ دَلَّنِى الله عَلَيْهَا ، وَهِىَ فِى هَذَا الْوَادِى فِى شِعْبِ كَذَا وَكَذَا قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا ، فَانْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُونِى بِهَا » فذهبوا فجاءوا بها ، فرجع عُمَارة بن حزم إلى رحله ، فقال : والله لَعَجَب من شىء حدَّثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفاً عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا ، للذى قال زيد بن لُصَيْت ، فقال رجل ممن كان فى رحل عُمَارة ولم يحضر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : زَيْدٌ والله قال هذه المقالة قبل أن تأتى ، فأقبل عمارة على زيد يَجَأُ فى عُنُقِهُ ويقول : إلَىَّ عِبَادَ الله ، إن فى رَحْلى لداهيةً وما أشعر ، اخْرُجْ أىْ عَدُوَّ الله من رحلى فلا تَصْحَبْنِى

قال ابن إسحق : فزعم بعضُ الناس أن زيداً تاب بعد ذلك ، وقال بعض الناس : لم يزل متَّهمًا بشر حتى هلك

شأن أبى ذر

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائراً ، فجعل : يتخلَّفُ عنه الرجل ، فيقولون: يارسول الله، تخلَّف فلان ، فيقول : « دَعُوهُ فَإِنْ يَكُ

فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقهُ اللهُ تَعَالَى بِكُمْ وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللهُ مِنْهُ » حتى قيل : يارسول الله ، قد تخلَّف أبو ذر ، وأبطأ به بعيره ، فقال : «دَعُوهُ فَإِنْ يَكُ فيه خير فسَيُلْحِقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أرَاحكُم الله منه » وتَلَوَّم أبو ذر على بعيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً ، ونزل رسول الله فى بعض منازله ، فنظر ناظر من المسلمين فقال : يارسول الله ، إن هذا لرجل يمشى على الطريق وحده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُنْ أَبَا ذَرٍّ » فلما تأمله القوم قالوا : يارسول الله ، هو والله أبو ذر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللهُ أَبَا ذَرٍّ يَمْشِي وَحْدَهُ وَيَمُوتُ وَحْدَهُ وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ »

قال ابن إسحق : فحدثنى بُرَيْدَة بن سُفْيان الأسلمى ، عن محمد بن كَعْب القُرَظِي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لما نَفَى عثمان أبا ذَرّ إلى الرَّبَذَة ، وأصابه بها قدره ، لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه ، فأوصاهما أن اغسِلاَنِي وَكَفِّنَانِى ، ثم ضعانى على قارعة الطريق ، فأوَّلُ رَكْبٍ يَمُرُّ بكم فقولوا : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه ، فلما مات فعلا ذلك به ، ثم وَضَعَاه على قارعة الطريق ، وأقبل عبدالله بن مسعود فى رَهْط من أهل العراق عُمَّار ، فلم يَرُعْهُم إلا بالجنازة على ظهر الطريق قد كادت الإبل تَطَؤها ، وقام إليهم الغلام ، فقال : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه ، قال : فاستَهَلَّ عبدُ الله بن مسعود يبكى ، ويقول : صدَق رسول الله صلى الله عليه وسلم تَمْشِي وحدك ، وتموت وحدك ، وَتُبْعَثُ وحدك ، ثم نزل هو وأصحابه فوَارَوْه ، ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه وما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسيره إلى تبوك

رسول الله يخبر عن مقالة المنافقين

قال ابن إسحق : وقد كان رَهْطٌ من المنافقين منهم وَديعة بن ثابت أخو بنى عمْرو بن عوف ؛ ومنهم رجل من أَشْجَع حليف لبنى سلمة يقال له مُخَشِّن بن حُمَيِّر (قال ابن هشام : ويقال : مَخْشِيّ) يشيرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منْطَلَق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أَتحْسِبون جلادَ بنى الأصفر كقِتال العرب بَعْضِهم بعضا ؟ والله لكأنَّا بكم غداً مُقرَّنين فى الحبال ؛ إرْجَافاً وترْهِيباً للمؤمنين، فقال مُخَشِّنُ بن حُمَيِّر : والله لوَدِدْتُ أنى أقاضى على أن يُضْرَبَ كل [رجل] منا مائة جلدة و أنا ننفلتُ أن يَنزل فينا قرآن لمقالتكم هذه ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — لعمار بن ياسر : « أَدْرِكِ الْقَوْمَ فَإِنَّهُمْ قَدِ احْتَرَقُوا فَسَلْهُمْ عَمَّا قَالُوا فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ بَلَى قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا » فانطلق إليهم عمار ، فقال ذلك لهم ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه ، فقال وديعة بن ثابت ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته فجعل يقول وهو آخذ بحَقَبِها[1] : يارسول الله، إنما كان نَخُوضُ ونلعب ، فأنزل الله عز وجل (٩ : ٦٥) :(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) وقال مُخَشِّن بن حُمَيِّر : يارسول الله ، قَعَدَ بى اسمى واسمُ أبى ، وكان الذى عُفِيَ عنه فى هذه الآية مُخَشِّن ابن حُمَيِّر ، فتسمَّى عبد الرحمن ، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيداً لا يعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة ، فلم يوجد له أثر

رسول الله يكتب أمانا لأهل أيلة

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تَبُوك أتاه يُحَنَّةُ بن رُؤْبَةَ صاحبُ أَيْلَةَ ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جَرْباء وَأَذْرُحٍ فأعطَوْه الجِزْية ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كتابا ، فهو عندهم ، فكتب ليُحَنَّةَ بن رؤبة : « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

---

(١) الحقب : حبل يشد على بطن البعير سوى الحزام الذى يشد فيه الرحل

هٰذِهِ أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ وَمُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللهِ لِيُحَنَّةَ بْنِ رُؤْبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةَ سُفُنِهِمْ وَسَيَّارَتِهِمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، لَهُمْ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْبَحْرِ فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا فَإِنَّهُ لاَ يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ طَيِّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ أَنْ يُمْنَعُوا مَاءً يَرِدُونَهُ وَلاَ طَرِيقاً يُرِيدُونَهُ مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ »

بَعْثُ رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بْنَ الوليد
إلى أُكَيْدِرِ دُومَةَ

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد، فبعثه إلى أُكَيْدِرِ دُومَةَ، وَهو أُكَيْدِرُ بن عَبد الملك، رجل من كِنْدَةَ كان مَلِكاً عليها، وكان عليها، وكان نَصْرَانِياً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد: « إنَّك سَتجِدُهُ يَصيدُ الْبَقَرَ » فخرج خالد حتى إذا كان من حِصنه بمَنْظَرِ العين وفى ليلة مُقْمِرة صائفة، وهو على سطح له ومعه امرأته، فباتت البقر تَحُكُّ بِقُرُونِهَا بابَ الْقَصْر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قطُّ؟ قال: لا والله، قالت: فمن يَتْرُك هذه؟ قال: لا أحد، فنزل فأمر بفرسه فَأُسْرِج له، وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له حَسَّان، فركب وخرجوا معه بِمَطَارِدِهم، فلما خرجوا تَلَقَّتْهُمْ خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته، وقتلوا أخاه، وقد كان عليه قَبَاءٌ من دِيبَاج مُخَوَّصٌ بالذهب، فاستلبه خالد، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه به عليه.

قال ابن إسحق: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن أنس بن مالك، قال: رأيت قَبَاءَ أُكَيْدِرِ حين قدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل المسلمون يَلْمَسُونه بأيديهم وَيَتَعَجَّبُونَ منه، فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « أَتَعْجَبُونَ مِنْ هٰذَا فَوَ الَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِى الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هٰذَا »

قال ابن إسحق : ثم إن خالدا قدم بأُكَيْدِر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَحَقَنَ له دمه وصالحه على الجزية ، ثم خَلَّىَ سبيله ، فرجع إلى قريته ، فقال رجل من طيىء يقال له بُجَير بن بُجْرة يذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد « إنك ستجده يصيد البقر » : وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته ؟ لتصديق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : —

تَبَارَكَ سَائِقُ الْبَقَرَاتِ إِنِّى ... رَأَيْتُ اللهَ يَهْدِى كُلَّ هَادِ
فَمَنْ يَكُ حَائِدًا عَنْ ذِى تَبُوكٍ ... فَإِنَّا قَدْ أُمِرْنَا بِالْجِهَادِ

انبثاق الماء فى الوادى لرسول الله

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بِضْعَ عَشْرَةَ ليلةً لم يُجَاوِزها ، ثم انصرف قافلا إلى المدينة ، وكان فى الطريق ماء يخرج من وَشَلٍ[1] ما يُرْوِى الراكب والراكبين والثلاثة ، بوادٍ يقال له وَادِى الْمُشَقَّق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَبَقَنَا إِلَى ذَلِكَ الْوَادِى فَلَا يَسْتَقِيَنَّ مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيه » قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاسْتَقَوْا مافيه ، فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وَقَفَ عليه ، فلم يرَ فيه شيئاً ، فقال : « مَنْ سَبَقَنَا إِلَى هٰذَا الْمَاء » ؟ فقيل له : يارسول الله ، فلان وفلان ؛ فقال : « أَوَلَمْ أَنْهَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى آتيه » ؟ ثم لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا عليهم ، ثم نزل فوضع يده تحت الْوَشَل ، فجعل يَصُبُّ فى يده ماشاء الله أن يصب ، ثم نَضَحَه به ، ومسح

(١) الوشل : بفتح الواو والشين ـ حجر أو جبل يقطر منه قليلا قليلا ، والوشل أيضا : القليل من الماء .

بيده ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شاء الله أن يدعو به ، فانخرق من الماء كما يقول من سمعه ما إنَّ لَهُ حِسًّا كحس الصَّوَاعق ، فشرب الناس ، وَاسْتَقَوْا حاجتهم منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَئِنْ بَقِيتُمْ أَوْ مَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ لَتَسْمَعُنَّ بِهَذَا الْوَادِي وَهُوَ أَخْصَبُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَا خَلْفَهُ »

وفاة عبد الله المزنى ذى البجادين

قال : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحرث التَّيْمى ، أن عبد الله بن مسعود كان يحدث ، قال : قمتُ من جَوْف الليل ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، قال : فرأيت شُعْلَةً من نار فى ناحية العسكر ، قال : فأتبعتها أنظر إليها ، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو الْبِجَادَيْنِ المزنى قد مات ، وإذا هم قد حَفَرُوا له ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته ، وأبو بكر وعمر يُدَلِّيَانه إليه ، وهو يقول : « أَدْنِيَا إِلَيَّ أَخَاكُمَا » فدلياه إليه ، فلما هيأه لشقه قال : « اللَّهُمَّ إِنِّى قَدْ أَمْسَيْتُ رَاضِيًا عَنْهُ فَارْضَ عَنْهُ » قال : يقول عبد الله بن مسعود : ياليتنى كنت صاحب الحفرة

قال ابن هشام : وإنما سُمِّى ذا الْبِجَادين لأنه كان يُنازع إلى الإسلام فيمنَعه قومُه من ذلك ويُضَيِّقُون عليه ، حتى تركوه فى بِجادٍ ليس عليه غيره ، والْبِجَاد : الكساء الغليظ الجافى ، فهرب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان قريبا منه شَقَّ بِجَادَهُ باثنين ، فاتَّزَرَ بواحد ، واشتمل بالآخر ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : ذو البجادين ، لذلك ، والبجاد أيضا : الْمِسْحُ

قال ابن هشام : قال امرؤ القيس : —

كأَنَّ أَبَانًا فِي عَرَانِينِ وَدْقِهِ ... كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ

شأن أبى رهم

قال ابن إسحق : وذكر ابن شهاب الزُّهْرِىُّ ، عن ابن أُ كَيْمَةَ اللَّيثى ، عن ابن أخى أبى رُهْم الغِفَارِى ، أنه سمع أبَارُهْم كُلْثُومَ بن الْحُصَيْن ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بايعوا تحت الشجرة ، يقول : غَزَوْتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غَزْوَةَ تَبُوكَ ، فسِرْتُ ذات ليلة معه ونحن بالأخضر قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وألقى الله علينا النُّعَاسَ ، فطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتى من راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فَيُفْزِعُنِى دُنُوُّهَا منه مخافةَ أن أصيب رجله فى الغَرْز(١) فطفقت أَحُوزُ راحلتى عنه ، حتى غلبتنى عينى فى بعض الطريق ونحن فى بعض الليل ، فزاحَمَتْ راحلتى راحلةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورِجْلُهُ فى الغَرْز ، فما استيقظتُ إلا بقوله « حَسِّ » ، فقلت : يارسول الله ، استغفر لى(٢) فقال « سِرْ » فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألنى عمن تَخَلَّفَ من بنى غفار فأخبره به ، فقال وهو يسألنى : « ما فَعَلَ النفَرُ الْحُمْرُ الطِّوَالُ الثِّطَاطُ(٣) » فحدثته بتخلفهم ، قال : « فما فَعَلَ النفَرُ السُّودُ الْجِعَادُ القِصَارُ » قال : قلت : والله ما أعرف هؤلاء منا ، قال : « بَلَى الَّذِينَ لَهُمْ نَعَمٌ بِشَبَكَةِ شَدْخٍ » فتذكرتهم فى بنى غفار ، ولم أذكرهم حتى ذكرت أنهم رَهْطٌ من أسلم كانوا حلفاء فينا ، فقلت : يارسول الله ، أولئك رَهْطٌ من أسلم كانوا حلفاء فينا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مامَنَعَ أَحَد

---

(١) الغرز للرحل بمنزلة الركاب للسرج

(٢) حس : كلمة معناها أتألم ، يقولها الانسان إذا أصيب بشىء ، وهى بمعنى أوه عند الأصمعى

(٣) الثطاط ـ بالثاء المثلثة مكسورة ـ جمع ثط ، وهو القليل شعر اللحية والحاجبين ، ووقع فى أكثر الأصول « الشطاط » بالشين المعجمة ، وهو تحريف

أُولَئِكَ حِينَ تَخَلَّفَ أَنْ يَحْمِلَ عَلَى بَعِيرٍ مِنْ إِبِلِهِ امْرَأً نَشِيطًا فِي سَبِيلِ اللهِ إِنَّ أَعَزَّ أَهْلِي عَلَيَّ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنِّي الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ وَالأَنْصَارُ وَغِفَارٍ وَأَسْلَمُ » .

أمر مسجد الضِّرار عند القُفُولِ من غَزْوَة تَبُوك

قال ابن إسحق : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذى أَوَان [1] بلد بينه و بين المدينة ساعةٌ من نهار ، وكان أصحاب مسجد الضِّرَار قد كانوا أَتَوْهُ وهو يتجهَّز إلى تبوك ، فقالوا : يارسول الله ، إنا قد بَنَيْنَا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المَطِيرَةِ والليلة الشاتية ، و إنَّا نُحِبُّ أن تأتينا فتصلى لنا فيه ، فقال : « إِنِّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ وَحَالِ شُغُلٍ » أو كما قال صلى الله عليه وسلم « وَلَوْ قَدْ قَدِمْنَا إِنْ شَاءَ اللهُ لَأَتَيْنَاكُمْ فَصَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ » فلما نزل بذى أَوَان [1] أتاه خبر المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدُّخْشُمِ أخا بنى سالم بن عوف و مَعْنَ ابن عدى ، أو أخاه عاصم بن عدى ، أخا بنى العجلان ، فقال: « انْطَلِقَا إِلَى هٰذَا الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ فَاهْدِمَاهُ وَحَرِّقَاهُ » فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدُّخْشُم ، فقال مالك لمعن : أَنْظِرْنِي حتى أخرج إليك بنار من أهلى ، فدخل إلى أهله ، فأخذ سَعَفًا من النخل فأشعل فيه نارا ، ثم خرجا يَشْتَدَّانِ حتى دخلاه وفيه أهله ، فحرَّقاهُ وهدماه ، وتفرقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل (٩:١٠٧) : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) إلى آخر القصة

---

(١) قال أبو ذر : « وقع فى الأصل بفتح الهمزة ، والخشنى يرويه بضم الهمزة حيث وقع » اه

الذين بنوا مسجد الضرار

وكان الذين بنوه اثناعشر رجلا ، خِذَامُ بن خالد من بنى عبيد بن زيد أحد بنى عمرو بن عوف ، ومن داره أُخْرِجَ مَسْجدُ الشقاق ، وثَعْلَبَةُ ابن حاطب من بنى أمية بن زيد ، ومُعَتِّبُ بن قُشَيْر من بنى ضُبَيْعَةَ بن زيد ، وأبو حبيبة بن الْأزعر من بنىّ ضُبَيْعَة بن زيد ، وعَبَّادُ بن حُنَيْف أخو سَهْل بن حُنَيْف من بنى عمرو بن عوف، وجارِيَةُ بن عامر ، وابناه : مُجَمِّعُ ابن جارِيَةَ ، وزَيْد بن جارية ، ونَبْتَلُ بن الحرث من بنى ضبيعة ، وبَحْزَجُ من بنى ضبيعة وبِجَادُ [1] بن عثمان من بنى ضبيعة ، ووديعة بن ثابت ، وهو من بنى أمية بن زيد رهط أبى لبابة بن عبد المنذر

مساجد رسول الله

وكانت مساجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين المدينة إلى تبوك معلومةً مُسَمَّاةً : مسجد بتبوك ، ومسجد بِثَنِيَةِ مِدْرَان ، ومسجد بذات الزِّرَاب ، ومسجد بالأخضر ، ومسجد بذات الخِطْمِىّ ، ومسجد بألاء ، ومسجد بطرف الْبَتْرَاء من ذَنَب كواكب ، ومسجد بِالشِّقّ شق تَارَا ، ومسجد بذى الجِيفَةِ ، ومسجد بصَدْر حَوْضَى ، ومسجد بالحِجْر ، ومسجد بالصعيد ، ومسجد بالوادى ، اليوم وادى القرى ، ومسجد بالرُّقْعَة من الشقّة شقّة بنى عُذْرة ، ومسجد بذى المَرْوَة ، ومسجد بالفَيْفَاء ، ومسجد بذى خُشُب

أمر الثلاثة الذين خُلّفوا ، وأمر المعذّرين فى غزوة تبوك

النبى يأمر باعتزال النفر الثلاثة

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد كان تَخَلَّفَ عنه رهط من المنافقين ، وتَخَلَّفَ أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق: كَعْبُ بن مالك ، ومُرَارة بن الربيع ، وهِلاَلُ بن أمية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « لاَ تُكَلِّمُنَّ أحَدًا مِنْ هؤُلاَءِ الثَّلاَثَةِ »

---

(١) قال أبو ذر : « بجاد بن عثمان ، روى هنا بالباء والنون ، وبجاد بالباء قيده الدار قطنى »

وأتاه من تخلَّف عنه من المنافقين فجعلوا يَحْلفون له ويعتذرون ، فصفح عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعذرهم الله ولا رسوله ، واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة

شأن كعب بن مالك أحد الثلاثة

قال ابن إسحق : فذكر الزُّهْرِيُّ محمد بن مسلم بن شهاب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن أباه عبد الله ، وكان قائد أبيه حين أصيب بصره ، قال: سمعت أبي كَعْبَ بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، وحديث صاحبيه ، قال : ما تَخَلَّفْتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غَزْوَةً غزاها قَطُّ ، غير أنى كنْتُ قد تخلَّفْتُ عنه فى غزوة بدر ، وكانت غزوةً لم يعاتب الله ولا رسوله أحدا تخلف عنها ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج يريد عِيرَ قُرَيْشٍ حتى جمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة حين تَوَاثَقْنَا على الإسلام ، وما أحب أن لى بها مَشْهَدَ بدر ، وإن كانت غزوة بدر هى أذْكَرَ فى الناس منها

قال : كان من خبرى — حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك — أنى لم أكن قَطُّ أقوى ولا أَيْسَرَ منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة ، والله ما اجتمعت لى راحلتان قط حتى اجْتَمَعَتَا فى تلك الغزوة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قَلَّمَا يريد غزوة يغزوها إلا وَرَّى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد ؛ واستقبل سَفَراً بعيداً ، واستقبل غَزْوَ عدو كثير ، فَجَلَّى للناس أمرهم لِيَتَأَهَّبُوا لذلك أُهْبَتَه ، وأخبرهم خبره بوَجْهه الذى يريد ، والمسلمون مَنْ تَبِعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ ، يعنى بذلك الديوان ، يقول : لا يجمعهم ديوان مكتوب

قال كعب : فَقَلّ رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سَيَخْفى له ذلك ، مالم ينزل فيه وحى من الله ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة ـ حين طابت الثمار ، وَأُحِبَّت الظِّلال ـ فالناس إليها صُعْر (١) فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجهز المسلمون معه ، وجعلتُ أغدُو لأتجهز معهم فأرجع ولم أقض حاجة ، فأقول فى نفسى : أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى شَمَّرَ بالناس الجِدُّ فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض من جهازى شيئا ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحق بهم ، فغدوت بعد أن فَصَلُوا لأتجهَّزَ ، فرجعت ولم أقض شيئا ، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى أسرعوا وَتَفَرَّطَ (٢) الغَزْوُ ، فهممت أن أرتحل فأدركهم وليتنى فعلت ، فلم أفعل ، وجعلت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفْتُ فيهم يُحْزننى أنى لا أرى إلا رجلاً مَغْمُوصاً عليه (٣) فى النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : « مَا فَعَلَ كَعْبُ ابْنُ مَالِكٍ » فقال رجل من بنى سلمة : يارسول الله ، حبسه بُرْدَاه وَالنَّظَرُ فى عِطْفَيْهِ ، فقال له معاذ بن جبل : بئس ماقلت ، والله يارسول الله ماعلمنا منه

---

(١) صعر ـ بضم فسكون ـ جمع أصعر ، وهو المائل ، ومنه قوله تعالى : (ولا تصعر خدك للناس) أى : لاتعرض عنهم ولا تمل وجهك إلى جهة أخرى .

(٢) تفرط الغزو : فات وسبقنى ، والفارط والفرط ـ كبطل ـ السابق المتقدم ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « أنا فرطكم على الحوض »

(٣) مغموصا عليه : مطعونا عليه ، تقول : غمصت الرجل ، إذا طعنت عليه

إلا خيرا ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجَّه قافلا من تبوك حضرنى بَثِّى [١] فجعلت أتذكر الكذب ، وأقول : بماذا أخرج من سَخْطَة رسول الله صلى الله عليه وسلم غدًا ؟ وأستعين على ذلك كل ذى رأى من أهلى ؛ فلما قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظَلَّ [٢] قادما زاح عنى الباطل [٣] وعرفت أنى لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجمعت أن أصْدُقَه ، وَصَبَّح رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلَّفون فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فيقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وأيمانهم ويستغفر لهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى ، حتى جئت فَسَلَّمْتُ عليه ، فتبسَّم تبسُّمَ المُغْضَبِ ، ثم قال لى : « تَعَالَهْ » فجئت أمشى حتى جلست بين يديه ، فقال لى : « مَاخَلَّفَكَ أَلَمْ تَكُن ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ » ؟ قال : قلت : إنى يارسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سَخَطه بعُذْر ، لقد أُعْطِيتُ جَدَلاً ، ولكن والله لقد علمت لئن حَدَّثْتُكَ اليوم حديثا كَذِبًا لَتَرْضَيَنَّ عنى وليُوشِكن الله أن يسخطك على ، ولئن حدثتك حديثا صدقا تَجِدُ على فيه إنى لأرجو عُقْبَاىَ من الله فيه ، ولا والله ما كان لى عذر ، والله ما كنت قَط أقوى ولا أيْسَرَ منى حين تخلفت عنك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمَّا هٰذَا فَقَدْ صَدَقْتَ فِيهِ ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ » فقمت وثار معى رجال من

---

(١) البث : الحزن ، ووقع فى بعض الأصول « بنى » بالنون ـ وهو تصحيف

(٢) أظل : أشرف وقرب

(٣) زاح عنى الباطل : ذهب وزال

بنى سَلِمَةَ ، فاتبعونى ، فقالوا لى : والله ماعلمناك كُنْتَ أذْنَبْتَ ذنبا قبل هذا ، ولقد عجزتَ أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به إليه المخلَّفون ، قد كان كافيك ذنبك استغفارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ، فوالله مازالوا بى حتى أردت أن أرْجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُكذب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لقى هذا أحد غيرى ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل مقالتك وقيل لهما مثل ماقيل لك ، قال : قلت : مَنْ هُما ؟ قالوا : مُرَارة ابن الربيع العَمْرِى من بنى عمرو بن عوف ، وهِلاَلُ بن أمية الواقفى ، فذكروا لى رجلين صالحين فيهما أسوة ، فَصَمَتُّ حين ذكروهما لى ، ونَهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناسُ وتَغَيَّرُوا لنا ، حتى تَنَكَّرَتْ لى نفسى والأرضُ فما هى بالأرض التى كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاسْتَكَانَا وقعدا فى بيوتهما ، وأما أنا فكنت أشَبَّ القوم وأجْلَدَهُم ، فكنت أخرج وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق ، ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى : هل حَرَّكَ شفتيه برد السلام على أم لا ؟ ثم أصلى قريبا منه ، فأسارقه النظر ، فاذا أقبلْتُ على صلاتى نظر إلىَّ ، وإذا التفتُّ نحوه أعرض عنى ، حتى إذا طال ذلك علىَّ من جَفْوَة المسلمين مَشَيْتُ حتى تَسَوَّرْتُ (١) جدار حائط أبى قتادة ، وهو ابن عمى وأحب الناسِ إلى فسلَّمْتُ عليه ، فوالله ماردَّ علىَّ السلام ، فقلت : ياأبا قتادة ، أنشدك الله هل تعلم أنى أحِبُّ الله ورسوله ؟ فسكت ، فَعُدْتُ فناشدته ، فسكت عنى ، فعدت فناشدته ، فسكت عنى ، فعدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى ، ووَثَبْتُ فَتَسَوَّرْتُ الحائط ، ثم غدوت إلى

---

(١) تسورت : علوت ، وفى كتاب الله تعالى : (إذ تسوروا المحراب)

السوق ، فبينا أنا أمشى بالسوق وإذا نَبَطِيٌّ(١) يسأل عنى من نبط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة ، يقول : من يدل على كَعْب بن مالك ؟ قال : فجعل الناس يشيرون له إلى ، حتى جاءنى فدفع إلى كتابا من ملك غَسَّان وكتب كتابا فى سَرَقَةٍ (٢) من حرير ، فاذا فيه : أما بعـد ، فانه قد بلغنا أن صاحبك قد جفَاكَ ولم يجعلك اللَّهُ بدار هَوَان ولا مَضْيَعَة ، فالْحَقْ بنا نُوَاسِك ، قال : قلت — حين قرأتها — : وهذا من البلاء أيضا ، قد بلغ بى ماوقعت فيه أن طمع فىَّ رجلٌ من أهل الشرك ، قال : فعمدت بها إلى تَنُّور فَسَجَرْتُه (٣) بها

فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله يأتينى ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك قال : قلت : أطلقها أم ماذا؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقرَبْها ، وأرسل إلى صاحبىَّ بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الْحَقِى بأهلك ، فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ماهو قاض

قال : وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت له : يارسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لاخادم له ، أفتكره أن أخدمه ؟ قال : « لاَ وَلٰـكِنْ لاَ يَقْرَبَنَّكِ » قالت : والله يارسول الله مابه من حركة إلىَّ ، والله مازال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، ولقد تَخَوَّفْتُ على بصره ، قال : فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله لامرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه ، قال : قلت :

---

(١) النبطى : واحد النبط ، وهم قوم من الأعاجم
(٢) السرقة : شقة من الحرير ، ويقال : السرق : أحسن الحرير وأجوده
(٣) سجرته بها : أى أحرقتها وألهبت بها التنور

والله لا أستأذنه فيها ، ما أدرى مايقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لى فى ذلك إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب

قال : فلبثنا بعد ذلك عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ، ثم صليت الصبح صُبْحَ خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا على الحال التى ذكر الله منا : قد ضاقت علينا الأرض بما رَحُبَتْ وضاقت عَلَىَّ نفسى ، وقد كنت ابتنيت خَيْمَةً فى ظهر سَلْعٍ فكنت أكون فيها ، إذ سمعت صوت صارخ أَوْفَى على ظهر سَلع ، يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أَبْشِرْ ، قال : فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء الفرج ، قال : وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بتوبة الله علينا حين صلى الفجر ، فذهب الناس يُبَشِّرُونَنَا ، وذهب نحو صاحبىَّ مبشرون وركض رجل إلىَّ فرساً ، وسعى ساع من أَسْلَمَ حتى أَوْفَى على الجبل ، فكان الصوت أَسْرَعَ من الفرس ، فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت ثوبَىَّ فكسوتهما إياه بشارة ، و والله ماأملك يومئذ غيرهما ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أَتَيَمَّمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَتلقَّانى النَّاسُ يُبَشِّرُوننى بالتوبة ، ويقولون : لِتَهْنِكَ توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام إلىَّ طلحةُ بن عبيد الله يُحَيِّانى وَهَنَّأنى ، ووالله ماقام إلى رجل من المهاجرين غيره . قال : فكان كعب ابن مالك لاينساها لطلحة ، قال كعب : فلما سَلَّمْتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى و وجهه يَبْرُق من السرور : « أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ » قال : قلت : أَمِنْ عندك يارسول الله أم من عند الله ؟ قال : « بَلْ مِنْ عند اللهِ » قال : وكان رسول الله

الله عليه وسلم إذا استبشر كأنَّ وجهه قِطعةُ قمر ، قال: وكنا نعرف ذلك منه ، قال : فلما جلست بين يديه قلت : يارسول الله ، إن من توبتى إلى الله عز وجل أن أنخلع من مالى صدقةً إلى الله و إلى رسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » قال : قلت : إنى ممسك سهمى الذى بخيبر ، وقلت : يارسول الله ، إن الله قد نجانى بالصدق ، و إن من توبتى إلى الله أن لا أُحَدِّثَ إلا صِدْقًا ما حَيِيت ، والله ماأعلم أحداً من الناس أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أفضل مما أبلانى ، والله ماتعمدت من كَذْبَةٍ منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ، و إنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقى ، وأنزل الله تعالى (٩:١١٧-١١٩) : (لَقَدْ تَابَ اللهَ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) إلى قوله (وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال كعب : فوالله ما أنعم الله على نعمة قط — بعد أن هدانى للاسلام — كانت أعظم فى نفسى من صدقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه ؛ فان الله تبارك وتعالى قال فى الذين كذبوه حين أنزل الوحى شرما قال لأحد ، قال(٩:٩٥-٩٦) : (سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) قال : وكنا خُلِّفْنَا أيها الثلاثة عن أمر هؤلاء الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فعذرهم واستغفر لهم ، وأرجأ

رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه ما قضى ؛ فبذلك قال الله تعالى(٩:١١٨) : (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) وليس الذى ذكر الله من تخليفنا لتخلّفنا عن الغزوة ، ولكن لتخليفه إيانا وإرجائه أمرنا عمّن حَلَفَ له واعتذر إليه فقبل منه

أمر وَفْدِ ثقيف وإسلامها ، فى شهر رمضان سنة تسع

أمر عروة ابن مسعود الثقفى

قال ابن إسحق : وقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ من تَبُوكَ فى رمضان ، وقدم عليه فى ذلك الشهر وَفْدُ ثَقِيف ، وكان من حديثهم أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم اتَّبَعَ أَثَرَهُ عُرْوَةُ بن مَسْعُود [الثَّقَفِيُّ] حتى أدركه قبل أن يصلَ إلى المدينة ، فأسلم ، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يتحدث قومه : « إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ » وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فيهم نَخْوَةَ الامتناع الذى كان منهم ، فقال عروة : يارسول الله ، أنا أحبُّ إليهم من أبكارهم

قال ابن هشام : ويقال : من أَبْصَارِهِم

قال ابن إسحق : وكان فيهم كذلك مُحَبَّبًا مطاعا ، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام ؛ رجاء أن لا يخالفوه لمنزلته فيهم ، فلما أشرف لهم على عِلِّيَّةٍ له ، وقد دعاهم إلى الاسلام ، وأظهر لهم دينه ؛ رَمَوْهُ بالنَّبْل من كل وجه ، فأصابه سَهْمٌ فقتله ، فتزعم بنو مالك أنه قتله رجل منهم يقال له : أَوْسُ بن عَوْف أخو بنى سالم بن مالك ، وتزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم من بنى عَتَّاب بن مالك يقال له : وهب بن جابر ، فقيل لعروة : ماترى فى دمك ؟ قال : كَرَامَةٌ أكرمنى الله بها وشهادةٌ ساقها الله إلىّ ؛ فليس فىّ إلاّ مافى الشُّهَدَاء الذين قُتِلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن

يرتحل عنكم ، فادفنونى معهم ، فدفنوه معهم ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : « إِنَّ مَثَلَهُ فِي قَوْمِهِ لَكَمَثَلِ صَاحِبِ يٰسۤ فِي قَوْمِهِ » .

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عُرْوَةَ أشهرا ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحَرْب مَنْ حَوْلَهُمْ من العرب ، وقد بايعوا وأسلموا

اتفاق ثقيف على الدخول فى الإسلام

حدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخْنَس ، أن عَمْرَو بن أُمَيَّةَ أخا بنى عِلَاج كان مهاجرا لِعَبْدِ يَالِيل بن عمرو ، الذى بينهما سَيِّءٌ[(١)] وكان عمرو بن أمية من أدْهَى العرب ، فمشى إلى عَبْدِ يَالِيل بن عمرو حتى دخل داره ، ثم أرسل إليه إن عمرو بن أمية يقول لك : اخرج إلى ، قال : فقال عبد ياليل للرسول : ويلك !! أعَمْرٌو أرسلك إلى ؟ قال : نعم ، وهاهو ذا واقفا فى دارك ، فقال : إن هذا لَشَيْءٌ ما كنت أظنه [بعمرو] ، لَعَمْرٌو كان أمنع فى نفسه من ذلك ، فخرج إليه ، فلما رآه رَحَّبَ به ، فقال له عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هِجْرَة ، إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، وقد أسْلَمَت العرب كلها ، وليست لكم بحربهم طاقة فانظروا فى أمركم ، فعند ذلك ائْتَمَرَتْ ثقيف بينها ، وقال بعضهم لبعض : أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سِرْبٌ[(٢)] ولا يخرج منكم أحد إلا اقْتُطِع ، فأتمروا بينهم ، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ، كما أرسلوا عُرْوَةَ ، فكلموا عَبْدَ ياليل بن عمرو بن عمير ، وكان سِنَّ عُرْوَةَ بن مسعود ، وعرضوا ذلك [عليه] فأبى أن يفعل ، وخَشِيَ أن يُصْنَعَ به — إذا رجع — كما صُنِعَ

(١) « الذى بينهما سىء » هذا تفسير لقوله « كان مهاجرا لعبد ياليل » وفى بعض النسخ « لشىء كان بينهما »

(٢) السرب : المال الراعى ، وهو أيضا الطريق

ثقيف ترسل عبد ياليل بن عمير على رأس وفد

بعروة ، فقال : لست فاعلا حتى تُرْسِلوا معي رجالا ، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بنى مالك ؛ فيكونوا ستة ؛ فبعثوا مع عبد ياليل الحَكَمَ بن عمرو بن وهب بن مُعَتِّب، وَشُرَحْبِيلَ بن غيلان ابن سلمة بن مُعَتِّب ؛ ومن بنى مالك : عثمانَ بن أبى العاص بن بِشر بن عبد دُهْمَانَ أخا بنى يَسَار ، وَأَوْسَ بن عَوْف أخا بنى سالم ، وَنُمَيْرَ ابن خَرَشَةَ بن ربيعة أخا بنى الحرث ، فخرج بهم عبدياليل ، وهو نَابُ القوم (١) وصاحب أمرهم ، ولم يخرج بهم إلا خَشْيَةً من مثل مَاصُنع بعروة ابن مسعود ، لكى يَشْغَلَ كلَّ رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رَهْطَهُ

فلما دنوا من المدينة ونزلوا قَنَاةَ أَلْفَوْا بها المغيرة بن شُعْبَةَ يَرْعَى فى نوبته رِكابَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت رِعْيَتُهَا نُوَبًا على أصحابه صلى الله عليه وسلم ، فلما رآهم ترك الركاب عند الثقفيين وَضَبَرَ يشتد (٢) ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه ، فلقيه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره عن رَكْب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والاسلام بأن يَشْرِطَ لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شُرُوطًا ويكتتبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم كِتَابًا فى قومهم و بلادهم وأموالهم ، فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك بالله لا تَسْبِقْنِي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكون أنا أحدثه ، ففعل المغيرة ، فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بقدومهم عليه ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فَرَوَّحَ الظَّهْرَ معهم ، وعلمهم كيف يُحَيُّونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا

---

(١) ناب القوم : أى سيدهم والمدافع عنهم

(٢) ضبر يشتد : أى وثب ، يقال : ضبر الفرس ، إذا جمع قوائمه ووثب

بتحية الجاهلية ، ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبة فى ناحية مسجده ، كما يزعمون ، فكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اكتتبوا كتابهم ، وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يَطْعَمُونَ طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد ، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم ، وقد كان فيما سألوه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية وهى اللَّاتُ لا يهدمها ثلاث سنين . فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم ، فما برحوا يسألونه سنة سنة و يأبى عليهم حتى سألوا شهراً واحداً بعد مَقْدَمِهِمْ ، فأبى عليهم أن يدعها شيئا مُسَمًّى ، و إنما يريدون بذلك ، فيما يُظْهِرُونَ ، أن يَتَسَلَّمُوا بتركها من سُفَهائهم ونسائهم وَذَرَارِيهم ، و يكرهون أن يُرَوِّعوا قومهم بهَدْمِهَا حتى يدخلهم الاسلام ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم إلا أن يَبْعَثَ أبا سُفْيان بن حرب والْمُغيرة بن شُعْبة فيهدماها ، وقد كانوا سألوه — مع تَرْكِ الطاغية — أن يُعْفيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمَّا كَسْرُ أَوْثَانِكُمْ بِأَيْدِيكُمْ فَسَنُعْفِيكُمْ مِنْهُ وَأَمَّا الصَّلَاةُ فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِى دِينٍ لَا صَلَاةَ فِيهِ » فقالوا : يا محمد ، فَسَنُؤْتِيكَهَا وَإِن كانت دَنَاءَةً

رسول الله يؤمر عليهم عثمان بن أبى العاص

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم أَمَّرَ عليهم عثمان بن أبى العاص ، وكان من أحدثهم سِناً ، وذلك أنه كان أحْرَصَهُم على التَّفَقُّهِ فى الاسلام وتَعلُّم القرآن ، فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، إنى قد رأيت هذا الغلام منهم مِنْ أحْرَصِهِمْ على التفقُّه فى الاسلام وتعلُّم القرآن

فطر رسول الله وسحوره

قال ابن إسحق : وحدثنى عيسى بن عبد الله ، عن عطية بن سفيان ابن ربيعة الثَّقَفِى ، عن بعض وَفْدهم ، قال : كان بِلَالٌ يأتينا — حين أسلمنا وَصُمْنَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقى من رمضان — بفِطْرِنَا وسَحُورنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأتينا بالسَّحُور وإنا لنقول : إنا لَنُرَى الفجر قدطلع ، فيقول : قد تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَتَسَحَّر ، لتأخير السَّحُور ، ويأتينا بفِطْرِنا وإنا لنقول : ما نُرَى الشمس ذَهَبَتْ كُلُّها بعدُ . فيقول : ما جئتكم حتي أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يَضَعُ يده فى الجَفْنَة فيلتقم منها .

قال ابن هشام : بفطورنا وسحورنا

قال ابن إسحق : وحدثنى سعيد بن أبى هند ، عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير ، عن عثمان بن أبى العاص ، قال : كان من آخر ما عَهِدَ إلىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين بعثنى على ثقيف — أن قال : « يَا عُثْمَانُ تجاوَزْ فِى الصَّلَاةِ وَاْقْدُرِ النَّاسَ بِأَضْعَفِهِمْ فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ وَالضَّعِيفَ وذَا الحَاجَةِ »

هدم الطاغية اللات

قال ابن إسحق : فلما فرغوا من أمرهم وتوجَّهوا إلى بلادهم راجعين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سُفْيَان بن حرب والمغيرة بن شُعْبَة فى هَدْم الطاغية ، فخرجا مع القوم ، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة [بن شعبة] أن يُقَدِّمَ أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : ادخل أنت على قومك ، وأقام أبو سفيان بماله بذى الهدم ، فلما دخل المغيرة بن شعبة عَلَاهَا يضربها بالمِعْوَلِ ، وقام قومه دونه بنو مُعَتِّب خَشْيَةَ أن

يُرْمَي أو يصاب كما أصيب عُرْوَةُ ، وخرج نساء ثقيف حُسَّراً (١) يَبْكِينَ عليها ، وَيَقُلْنَ : —

لَتُبْكَيَنَّ دَفَّاعْ (٢) أَسْلَمَهَا الرُّضَّاعْ (٣)

* لَمْ يُحْسِنُوا الْمِصَاعْ (٤) *

قال ابن هشام : « لَتُبْكَيَنَّ » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفاس : واهًا لَكِ (٥) آهًا لَكِ ، فلما هدمها المغيرةُ وأخذ مالها وَحُلِيَّهَا أرسل إلى أبي سفيان وحُلِيُّهَا مجموعٌ وَمَالُهَا من الذهب والجَزْع ، وقد كان أبو مليح ابن عروة وقاربُ بن الأسود قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفد ثقيف — حين قتل عروة — يريدان فراقَ ثقيفٍ ، وأن لا يُجَامِعَاهُم على شيء أبدا ، فأسلما ، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَوَلَّيَا مَنْ شِئْتُمَا » فقالا : نتولى الله ورسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَخَالَكُمَا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ » فقالا : وَخَالَنَا أبا سفيان ، فلما أسلم أهل الطائف ووَجَّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أَبُو مُلَيْحِ بْنُ عروة أن يَقْضِيَ عن أبيه عُرْوَةَ دَيْناً كان عليه من مال الطاغية ، فقال له

---

(١) حسرا ـ بضم الحاء وتشديد السين مفتوحة ـ جمع حاسرة ، وهي المكشوفة الوجه

(٢) دفاع : هو صيغة مبالغة من الدفع ، وإنما سموا طاغيتهم دفاعا لأنهم كانوا يعتقدون أن الأصنام تدافع عنهم أعداءهم وتدفع عنهم البلاء

(٣) الرضاع : جمع راضع ، وأردن بهم اللئام ، من قولهم : لئيم راضع ، يردن لم يدافعوا عن طاغيتهم وتركوها للمغيرة يهدمها

(٤) المصاع ـ بكسر الميم ـ المجالدة والمضاربة بالسيوف

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَعَمْ » فقال له قارب بن الأسود : وعن الأسود يارسول الله فاقضه ، وَعُرْوَةُ والأسود أخوان لأب وأم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْأَسْوَدَ مَاتَ مُشْرِكاً » فقال قارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، لكن تَصِلُ مسلما ذا قرابة ، يعنى نفسه ، إنما الدَّيْنُ عَلَيَّ ، وإنما أنا الذى أُطْلَبُ به ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضىَ دَيْنَ عروة والأسود من مال الطاغية

فلما جمع المغيرة مالها قال لأبى سفيان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمَرَكَ أن تقضىَ عن عروة والأسود دَيْنَهُمَا ، فقضى عنهما

كتاب رسول الله

وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لهم « بسم الله الرحمن الرحيم ، مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللهِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ عِضَاهَ(١) وَجٍّ وَصَيْدَهُ لاَ يُعْضَدُ(٢) مَنْ وُجِدَ يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذٰلِكَ فَإِنَّهُ يُجْلَدُ وَتُنْزَعُ ثِيَابُهُ فَإِنْ تَعَدَّى ذٰلِكَ فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ فَيُبْلَغُ بِهِ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا وَإِنَّ هٰذَا أَمْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فَلاَ يَتَعَدَّهُ أَحَدٌ فَيَظْلِمَ نَفْسَهُ فِيمَا أَمَرَه بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم »

حَجُّ أبى بكر رضى الله عنه بالناس ، سنة تسع

واختصاص النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضوان الله عليه بتأدية أول براءة عنه ، وذكر براءة ، وَالْقَصَص فى تفسيرها

---

(١) العضاه : شجر له شوك ، واحدته عضاهة ، وهو أنواع ، ووج : اسم موضع بالطائف ، وهو بفتح الواو وتشديد الجيم

(٢) يعضد : يقطع ، تقول : عضدت الشجرة ، إذا قطعتها

قال ابن إسحق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شهر رمضان وشوالا وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكر أميرا على الحج من سنة تسع ؛ ليقيم للمسلمين حَجَّهم ، والناسُ مِنْ أهل الشرك على منازلهم من حَجِّهم ؛ فخرج أبو بكر رضى الله عنه ومن معه من المسلمين ، ونزلت براءة فى نَقْضِ ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم : أن لايُصَدَّ عن البيت أحَدٌ جاءه ، ولا يُخَافَ أحَدٌ فى الشهر الحرام ، وكان ذلك عهدا عامًّا بينه وبين الناس من أهل الشرك ، وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص إلى آجال مُسَمَّاة ، فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عنه فى تَبُوك ، وفى قول من قال منهم ، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يَسْتَخْفُون بغير مَا يُظْهِرُون : منهم من سُمِّيَ لنا ، ومنهم مَنْ لَمْ يُسَمَّ لنا فقال عز وجل (٩ : ١ . . . .) (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) أى : لأهل العهد العام من أهل الشرك (فَسِيحُوا فِى الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللهِ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِى الْكَافِرِينَ وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِىءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) أى . بعد هذه الحجة (فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)أى : العهد الخاص إلى الأجل المسمى(ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ) يعنى : الأربعة التى ضرب لهم أجلا (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ

وَاحصُرُوهُمْ وَاقعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) أى: من هؤلاء الذين أمرتك بقتلهم (اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ) ثم قال: (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ) الَّذِينَ كانوا هم وأنتم على العهد العام أن لا يخيفوكم ولا تخيفوهم فى الحرمة ولا فى الشهر الحرام (عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) وهى قبائل من بنى بكر الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية إلى المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش فلم يكن نقضها إلا هذا الحى من قريش و بنو الديل من بنى بكر بن وائل الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بنى بكر إلى مدته (فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) ثم قال تعالى: (كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) أى: المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل الشرك العام (لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً)

قال ابن هشام: الإِلُّ: الحِلْفُ، قال أَوْسُ بن حَجَرٍ أحد بنى أسيد ابن عمرو بن تميم: —

لَوْلاَ بَنُو مَالِكٍ وَالإِلُّ مَرْقَبَةٌ

وَمَالِكٌ فِيهِمُ الْآلاَءُ وَالشَّرَفُ (١)

وهذا البيت فى قصيدة له، وجمعه آلالٌ، قال الشاعر: —

فَلاَ إِلٌّ مِنَ الْآلاَلِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمُ فَلاَ تَأْلُنَّ جَهْدَا

(١) الال: الحلف، ومرقبة: اسم مكان من رقبه يرقبه، و الآلاء: النعم

والذمة : العهد ، قال الأجدع بن مالك الهمدانى ، وهو أبو مسروق ابن الأجدع الفقيه : —

وَكَانَ عَلَيْنَا ذِمَّةٌ أَنْ تُجَاوِزُوا
مِنَ الْأَرْضِ مَعْرُوفاً إِلَيْنَا وَمُنْكَرَا

وهذا البيت فى ثلاثة أبيات له ، وجمعها ذِمَم

(يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ) أى : قد اعتَدَوْا عليكم (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)

قال ابن إسحق : وحدثنى حكيم بن حكيم بن عبَّاد بن حُنَيْف ، عن أبى جعفر محمد بن على رضوان الله عليه ، أنه قال : لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضى الله عنه ليقيم للناس الحج ، قيل له : يارسول الله ، لو بعثت بها إلى أبى بكر ، فقال : « لا يُؤَدِّى عَنِّى إلا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِى » ثم دعا على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال له : « اخْرُجْ بِهٰذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ صَدْرِ بَرَاءَةَ وَأَذِّنْ فِى النَّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ إِذَا اجْتَمَعُوا بِمِنًى أَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ كَافِرٌ وَلاَ يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلاَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ وَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدٌ فَهُوَ لَهُ إِلَى مُدَّتِهِ » فخرج على بن أبى طالب رضوان الله عليه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العَضْبَاء حتى أدرك أبا بكر بالطريق ، فلما رآه أبو بكر بالطريق قال : أمير أو مأمور ؟ فقال : بل مأمور ، ثم مضيا ، فأقام أبو بكر للناس الحجَّ والعربُ إذ ذاكَ فى تلك

السنة على منازلهم من الحج التى كانوا عليها فى الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر قام على بن أبى طالب رضى الله عنه فأذَّنَ فى الناس بالذى أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيها الناس ، إنه لايدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ، ولايطوف بالبيت عُرْيَان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عَهْدٌ فهو له إلى مُدَّته ، وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذَّنَ فيهم ليرجع كلُّ قوم إلى مأمنهم أو بلادهم ، ثم لا عَهْدَ لمشرك ولا ذمة ، إلا أحَدًا كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة فهو له إلى مدته ، فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان ، ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة إلى الأجل المسمى

قال ابن إسحق : ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد أهل الشرك ممن نقض من أهل العهد الخاص ومن كان من أهل العهد العام بعد الأربعة الأشهر التى ضرب لهم أجلا إلا أن يعدُوَ فيها عادٍ منهم فيقتل بعدائه ، فقال : (أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللهُ) أى : من بعد ذلك (عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)

قال ابن هشام : وليجة دخيل ، وجمعها ولائج ، وهو من وَلَجَ يلج : أى دخل يدخل ، وفى كتاب الله عز وجل (٧ : ٤٠) (حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِى سَمِّ الخِيَاطِ) أى : يدخل ، يقول : لم يتخذوا دخيلا من دونه يُسِرُّون إليه غير مايظهرون ، نحو مايصنع المنافقون : يظهرون الايمان للذين آمنوا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ، قال الشاعر : ــ

وَاعْـلمْ بِأَنَّكَ قَدْ جُعِلْتَ وَلِيجَةً
سَاقُوا إِلَيْكَ الْحَتْفَ غَيْرَ مَشُوبِ (١)

قال ابن إسحق : ثم ذكر قول قريش : إنا أهل الحرم وسقاة الحاج ، وعُمَّار هـذا البيت ، فلا أحد أفضـل منا فقال : (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) أى : إن عِمَارتكم ليست على ذلك ، وإنما يعمر مساجد الله : أى من عمرها بحقها ، من آمن بالله واليوم الآخر (وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ) أى : فأولئك عُمَّارها (فَعَسَى أُولٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) و « عسى » من الله حق ، ثم قال تعالى : (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِى سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ) ثم القصة حتى انتهى إلى ذكر حنين وما كان فيه وتوليهم عن عدوهم وما أنزل الله تعالى من نصره بعد تخاذ لهم ، ثم قال تعالى : (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً) وذلك أن الناس قالوا : لتنقطعن عنا الأسواق فتهلكن التجارة وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق ، فقال الله عز وجل : (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ

---

(١) الحتف : الهلاك والموت ، وغير مشوب : أى غير مخلوط بشىء ، تقول : شبت الشىء أشوبه ـ مثل قلت أقول ـ إذا خلطته ، فهو مشوب : أى مخلوط

مِنْ فَضْلِهِ) أى : من وجه غير ذلك (إِنْ شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُون) أى : فى هذا عِوَضٌ مما تخوفتم من قطع الأسواق ؛ فعوَّضهم الله مما قطع عنهم بأمر الشرك ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب من الجزية ، ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشر والفرية عليه ، حتى انتهى إلى قوله تعالى : (إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) ثم ذكر النسىء وما كانت العرب أحدثت فيه ، والنسىء : ما كان يُحَلُّ مما حرم الله تعالى من الشهور ، ويُحَرَّمُ مما أحل الله منها ، فقال : (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) أى : لا تجعلوا حرامها حلالا ، ولا حلالها حراما ، أى : كما فعل أهل الشرك وَ(إِنَّمَا النَّسِيءُ) الذى كانوا يصنعون (زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)

ثم ذكر تَبُوكَ وما كان فيها من تثاقل المسلمين عنها ، وما أعظموا من غزو الروم حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جهادهم ، ونفاق من نافق من المنافقين حين دعوا إلى ما دعوا إليه من الجهاد ، ثم ما نَعَى(١)

---

(١) نعى عليهم : عابهم وعتب عليهم فيه

عليهم من إحد أبهم فى الاسلام ، فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ) ثم القصة إلى قوله تعالى : (يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) إلى قوله تعالى : (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ) ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر أهل النفاق : (لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) أى : إنهم يستطيعون (عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ) إلى قوله : (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ)

قال ابن هشام : أوضعوا خلالكم : ساروا بين أضعافكم ، الإيضاع : ضرب من السير أسرع من المشى ، قال الأجدع بن مالك الهمدانى : —

يَصْطَادُكَ الْوَحَدُ الْمُدِلُّ بِشَأْوِهِ

بِشَرِيجِ بَيْنَ الشَّدِّ وَالْإِيضَاعِ (١)

---

(١) الوحد — بفتح الواو والحاء المهملة ، أو بفتح الواو وكسر الحاء — المنفرد ، ويعنى به فرسا ، المدل — بضم الميم وكسر الدال وتشديد اللام — اسم فاعل من أدل إذا تاه وتكبر ، والشأو : السبق ، والشريج : النوع ، والشد : الجرى ، والايضاع : فسره ابن هشام ، وقوله «بين الشد والايضاع» صفة لشريج ، وكان من حقه أن ينون شريجا ، لكنه حذف منه التنوين حين اضطر إلى إقامة الوزن ، يخاطب صيداً بأن فرسه التياه سيصطاده بنوع من السير بين الشد والايضاع

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن إسحق : وكان الذين استأذنوه من ذوى الشرف ، فيما بلغنى ، منهم عبدُ الله بن أُبَىٍّ ابنُ سلولَ ، وَالْجَدُّ بن قَيْس ، وكانوا أشرافاً فى قومهم فَثَبَّطَهُمْ الله لعلمه أنهم إن يخرجوا معه يُفْسِدوا عليه جُنْدَه ، وكان فى جنده قومٌ أهل محبةٍ لهم ، وطاعةٍ فيما يدعونهم إليه لشرفهم فيهم ، فقال تعالى : (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ) أى : من قبل أن يستأذنوك (وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ) أى : ليُخَذِّلوا عنك أصحابك ، ويَرُدُّوا عليك أمرك (حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا) وكان الذى قال ذلك ، فيما سُمِّىَ لنا ، الْجَدُّ بن قيس أخو بنى سَلِمَةَ حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جهاد الروم ثم كانت القصة إلى قوله تعالى : (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ) أى إنما نيتهم ورضاهم وسخطهم لدنياهم .

ثم بين الصدقات لمن هى وسمى أهلها فقال : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

ثم ذكر غشهم وأذاهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) وكان الذى يقول تلك المقالة ، فيما بلغنى ، نَبْتَلُ

ابن الحرث أخو بنى عمرو بن عوف ، وفيه نزلت هذه الآية ، وذلك أنه كان يقول : إنما محمد أُذُن مَنْ حَدَّثه شيئًا صدّقه ، يقول الله تعالى : (قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ) أى : يسمع الخير ويصدّق به

ثم قال تعالى : (يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِين) ثم قال : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ) إلى قوله تعالى : (إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً) وَكَانَ الذى قال هذه المقالة وَدِيعة بن ثابت أخو بنى أُمَيَّة بن زيد من بنى عمرو ابن عوف ، وكان الذى عُفِىَ عنه ، فيما بلغنى ، مُخَشِّنُ بن حُمَيِّر الأشجعى حليف بنى سلمة ، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع منهم ، ثم القصة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) [يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ] إلى قوله : (مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِير) وكان الذى قال تلك المقالة الْجُلَاسُ بن سُوَيْد بن صامت ، فرفعها عليه رجل كان فى حِجْره يقال له : عمير بن سعد ، فأنكرها وحلف بالله ما قالها ، فلما نزل فيهم القرآن تاب وَنَزَعَ وَحَسُنَتْ حاله وتوبته ، فيما بلغنى ، ثم قال تعالى : (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ) وكان الذى عاهد الله منهم ثَعْلَبة بن حاطب وَمُعَتِّب بن قُشَيْر ، وهما من بنى عمرو بن عوف ، ثم قال : (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِى الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) وكان

المطوعون[من المؤمنين] فى الصدقات عَبْدَ الرحمن بن عَوْف، وعاصم بن عدى أخابنى العَجْلان، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رَغَّب فى الصدقة وَحَضَّ عليها، فقام عبدالرحمن بن عوف فتصدق بأربعة آلاف درهم، وقام عاصم بن عدى فتصدق بمائة وَسْقٍ من تمر، فلمزوهما وقالوا: ماهذا إلا رياء، وكان الذى تصدق بجُهْدِهِ أبو عَقيل أخو بنى أُنيفٍ: أتى بصاع من تمر فأفرغها فى الصدقة، فتضاحكوا به، وقالوا: إن الله لَغَنِىٌّ عن صاع أبى عقيل، ثم ذكر قول بعضهم لبعض حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وأمر بالسير إلى تبوك على شدة الحر وجدب البلاد، فقال تعالى: (وَقَالُوا لاَ تَنفِرُوا فِى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً) إلى قوله: ([وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ] وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ)

قال ابن إسحق: حدثنى الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: لما توفى عبد الله بن أبىٍّ دُعِىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه، فقام إليه، فلما وقف عليه يريد الصلاة تَحَوَّلْتُ حتى قمت فى صدره، فقلت: يارسول الله، أتصلى على عدو الله عبد الله بن أبى ابن سلول القائل كذا يوم كذا والقائل كذا يوم كذا؟ أُعَدِّدُ أيّامه [له]، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يَتَبَسَّم، حتى إذا أكثرت قال: «يَا عُمَرُ أَخِّرْ عَنِّى إِنِّى قَدْ خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، قَدْ قِيلَ لِى اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ فَلَوْ أَعْلَمُ أَنِّى إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ غُفِرَ لَهُ لَزِدْتُ» قال: ثم صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومشى معه حتى قام على قبره حتى فُرِغَ منه، قال: فعجبتُ لى ولجراءتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله ورسوله أعلم، فوالله ماكان إلا يسيرًا حتى نزلت هاتان الآيتان: (وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ

صلاة رسول الله على عبد الله بن أبى وكراهية عمر لذلك

أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق حتى قبضه الله

قال ابن إسحق : ثم قال تعالى : (وإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ) وكان ابن أبي من أولئك ؛ فنعى الله ذلك عليه وذكره منه ، ثم قال تعالى: (لَـٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ]وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ)إلى آخر القصة ، وكان المعذرون ، فيما بلغني ، نفرًا من بني غفار : منهم خُفَاف بن أَيْمَاء بن رَحضَةَ ، ثم كانت القصة لأهل العذر حتى انتهى إلى قوله : (وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) وهم البكاءون ، ثم قال تعالى : (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) والخوالف : النساء ، ثم ذكر حلفهم للمسلمين واعتذارهم . فقال : (فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ) إلى قوله تعالى : (فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربّصهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين ، فقال : (وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ) أي : من صدقة أو نفقة في سبيل الله (مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم ، فقال : (وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ

وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلاَ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُم) ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وفضلهم ، وما وعدهم الله من حسن ثوابه إياهم ، ثم ألحق بهم التابعين لهم باحسان ، فقال : (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) ثم قال تعالى : (وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ) أى : لجّوا فيه وأبوا غيره (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) والعذاب الذى أوعدهم الله تعالى مرتين ، فيما بلغنى ، غمُّهم بما هم فيه من أمر الاسلام وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ، ثم عذابهم فى القبور إذا صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذى يُرَدُّون إليه عذابُ النار والخلد فيه ، ثم قال تعالى : (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ثم قال تعالى : (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) إلى آخر القصة ، ثم قال تعالى : (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) وهم الثلاثة الذين خُلِّفوا وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم حتى أتت من الله توبتهم ، ثم قال تعالى : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا) إلى آخر القصة ، ثم قال تعالى : (إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ) ثم كان قصة الخبر عن تبوك وما كان فيها إلى آخر السورة

وكانت براءة تسمى فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وبعده المُبَعْثِرَةَ لما كشفت من سرائر الناس

وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال حسان بن ثابت : يعدّد أيام الأنصار مع النبى صلى الله عليه وسلم ويذكر مواطنهم معه فى أيام غزوه

قصيدة لحسان بن ثابت أو لابنه عبد الرحمن يعدد فيها المغازى

قال ابن هشام : وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعَدٍّ كُلِّهَا نَفَرًا
وَمَعْشَرًا إِنْ هُمُ عُمُّوا وَ إِنْ حُصِلُوا (١)

قَوْمٌ هُمُ شَهِدُوا بَدْرًا بِأَجْمَعِهِمْ
مَعَ الرَّسُولِ فَمَا أَلَوْا وَمَا خَذَلُوا (٢)

وَبَايَعُوهُ فَلَمْ يَنْكُثْ بِهِ أَحَدٌ
مِنْهُمْ وَلَمْ يَكُ فِي إِيمَانِهِمْ دَخَلُ (٣)

وَيَوْمَ صَبَّحَهُمْ فِي الشِّعْبِ مِنْ أُحُدٍ
ضَرْبٌ رَصِينٌ كَحَرِّ النَّارِ مُشْتَعِلُ (٤)

وَيَوْمَ ذِي قَرَدٍ يَوْمَ اسْتَثَارَ بِهِمْ
عَلَى الْجِيَادِ فَمَا خَامُوا وَمَا نَكَلُوا (٥)

---

(١) حصلوا ـ بالبناء للمجهول ـ أى جمعوا كلهم ، وأراد حصلوا بتشديد الصاد ، فلما لم يستقم له الوزن على التشديد خففه ضرورة ، ومن الناس من يرويه بالبناء للمعلوم ، أى إن جمعوا أنفسهم وحصلوها

(٢) ألوا بفتح اللام أو بتشديدها ، وبهما يروى ـ أى قصروا ، تقول : ماألوت فى كذا ، إذا لم تقصر فيه ، ويروى « آلوا » بمد الهمزة ، ومعناه ماأبطئوا ، قال ابن الأعرابى : يقال : آلى الرجل ، إذا أبطأ وتوانى ، وخذلوا : تركوا

(٣) دخل ـ بفتح الدال والخاء ـ أى فساد

(٤) ضرب رصين : محكم ثابت

(٥) خاموا : رجعوا ، ونكلوا : رجعوا رجوع هيبة وفزع

وَذَا الْعُشَيْرَةِ جَاسُوهَا بِخَيْلِهِمْ
مَعَ الرَّسُولِ عَلَيْهَا الْبِيضُ وَالْأَسَلُ (١)
وَيَوْمَ وَدَّانَ أَجْلَوْا أَهْلَهُ رَقَصًا
بِالْخَيْلِ حَتَّى نَهَانَا الْحَزْنُ وَالْجَبَلُ (٢)
وَلَيْلَةَ طَلَبُوا فِيهَا عَدُوَّهُمُ   لِلَّهِ وَاللَّهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا
وَغَزْوَةَ يَوْمَ نَجْدٍ ثُمَّ كَانَ لَهُمْ
مَعَ الرَّسُولِ بِهَا الْأَسْلَابُ وَالنَّفَلُ
وَلَيْلَةَ بِحُنَيْنٍ جَالَدُوا مَعَهُ
فِيهَا يَعُلُّهُمُ بِالْحَرْبِ إِذْ نَهِلُوا (٣)
وَغَزْوَةَ الْقَاعِ فَرَّقْنَا الْعَدُوَّ بِهِ
كَمَا تَفَرَّقَ دُونَ الْمَشْرَبِ الرَّسَلُ (٤)
وَيَوْمَ بُويِعَ كَانُوا أَهْلَ بَيْعَتِهِ   عَلَى الْجِلَادِ فَآسَوْهُ وَمَا عَدَلُوا
وَغَزْوَةَ الْفَتْحِ كَانُوا فِي سَرِيَّتِهِ
مُرَابِطِينَ فَمَا طَاشُوا وَمَا عَجِلُوا

---

(١) جاسوها : مروا خلالها ، ويروى « داسوها » أى وطئوها ، والأسل : الرماح

(٢) الرقص - بفتح الراء والصاد - ضرب من المشى ، والحزن : ما ارتفع وغلظ من الأرض

(٣) يعلهم : أراد يكرر عليهم ، وأصل العل السقى الثانى ، ونهلوا : شربوا أولا

(٤) الرسل - بفتح الراء والسين - الإبل المرسلة

وَيَوْمَ خَيْبَرَ كَانُوا فِي كَتِيبَتِهِ
يَمْشُونَ كُلُّهُمُ مُسْتَبْسِلٌ بَطَلُ (١)

بِالْبِيضِ تُرْعَشُ فِي الْأَيْمَانِ عَارِيَةً
تَعْوَجُّ فِي الضَّرْبِ أَحْيَانًا وَتَعْتَدِلُ

وَيَوْمَ سَارَ رَسُولُ اللهِ مُحْتَسِبًا إِلَى تَبُوكَ وَهُمْ رَايَاتُهُ الْأُوَلُ

وَسَاسَةُ الْحَرْبِ إِنْ حَرْبٌ بَدَتْ لَهُمُ
حَتَّى بَدَا لَهُمُ الْإِقْبَالُ وَالْقَفَلُ (٢)

أُولَئِكَ الْقَوْمُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ وَهُمْ
قَوْمِي أَصِيرُ إِلَيْهِمْ حِينَ أَتَّصِلُ (٣)

مَاتُوا كِرَامًا وَلَمْ تُنْكَثْ عُهُودُهُمُ
وَقَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ إِذْ قُتِلُوا

قال ابن هشام : عجز آخرها بيتا عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت أيضاً : —

قصيدة اخرى لحسان بن ثابت

كُنَّا مُلُوكَ النَّاسِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ
فَلَمَّا أَتَى الْإِسْلَامُ كَانَ لَنَا الْفَضْلُ

---

(١) المستبسل : الذى وطن نفسه على الموت

(٢) القفل : الرجوع والأوبة

(٣) حين أتصل : أى حين انتسب ، تقول : فلان يتصل بقبيلة كذا ، إذا كان ينتسب إليها ، قال شاعر الحماسة : —

أَلَا أَبْلِغَا خُلَّتِي رَاشِداً وَصِنْوِي قَدِيماً إِذَا مَا اتَّصَلْ

وأَكْرَمَنَا اللهُ الَّذِى لَيْسَ غَيْرَهُ
إِلٰهٌ بِأَيَّامٍ مَضَتْ مَا لَهَا شَكْلُ (١)

بِنَصْرِ الإِلٰهِ وَالرَّسُولِ وَدِينِهِ
وَأَلْبَسَنَاهُ اسْماً مَضَى مَا لَهُ مِثْلُ (٢)

أُولٰئِكَ قَوْمِى خَيْرُ قَوْمٍ بِأَسْرِهِمْ
فَمَا عُدَّ مِنْ خَيْرٍ فَقَوْمِى لَهُ أَهْلُ (٣)

يَرُبُّونَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفَ مَنْ مَضَى
وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ دُونَ مَعْرُوفِهِمْ قُفْلُ (٤)

إِذَا اخْتُبِطُوا لَمْ يُفْحِشُوا فِى نَدِيِّهِمْ
وَلَيْسَ عَلَى سُؤَّالِهِمْ عِنْدَهُمْ بُخْلُ (٥)

وَإِنْ حَارَبُوا أَوْ سَالَمُوا لَمْ يُشَبَّهُوا
فَحَرْبُهُمُ حَتْفٌ وَسِلْمُهُمُ سَهْلُ

---

(١) شكل الشىء : مثله ، والمشاكلة والمماثلة والمشابهة والمشاكهة والمحاكاة ، كل ذلك بمعنى واحد ، يريد مالأيامنا التى أكرمنا الله فيها باكرامنا رسوله مثل بين أيام الناس التى يفاخرون بها

(٢) يريد بالاسم الذى ألبسهم الله إياه « الأنصار » فان هذا اسم ينطوى تحته من دلائل الفخار مالا يحصيه محص ولا يأتى على تعداده حاسب

(٣) أسرهم : كلهم

(٤) يربون : يصلحون

(٥) اختبطوا : قصدهم قاصد طلباً لنائلهم ، والمختبط : الذى يقصدك طالباً لمعروفك ، قال الشاعر : —

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ

وَجَارُهُمُ مُوفٍ بِعَلْيَاءَ بَيْتُهُ
لَهُ مَا ثَوَى فِينَا الْكَرَامَةُ وَالْبَذْلُ (١)

وَحَامِلُهُمْ مُوفٍ بِكُلِّ حَمَالَةٍ
تَحَمَّلَ لَا غُرْمٌ عَلَيْهِ وَلَا خَذْلُ (٢)

وَقَائِلُهُمْ بِالْحَقِّ إِنْ قَالَ قَائِلٌ
وَحِلْمُهُمُ عَوْدٌ وَحُكْمُهُمُ عَدْلُ (٣)

وَمِنَّا أَمِينُ الْمُسْلِمِينَ حَيَاتَهُ
وَمَنْ غَسَّلَتْهُ مِنْ جَنَابَتِهِ الرُّسْلُ (٤)

قال ابن هشام : وقوله « وَأَلْبَسْنَاهُ اسْمًا » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت أيضاً : —

قصيدة أخرى لحسان بن ثابت

قَوْمِي أُولَئِكَ إِنْ تَسْأَلِي كِرَامٌ إِذَا الضَّيْفُ يَوْمًا أَلَمْ (٥)

وقد روى بعض الناس هذه الكلمة « اختطبوا » بتقديم الطاء على الباء — وهو من الخطبة ، ونديهم : مجلسهم

(١) العلياء : المكان المرتفع ، وثوى : أقام ، والبذل : الاعطاء

(٢) الحمالة : ما يحمله الانسان من غرم فى دية ، والخذل : الخذلان ، وهو ضد المناصرة

(٣) عود : قديم ، والعود أيضاً : الذى يتكرر ، وكلاهما يصلح هنا ، ويصلح إرادة المعنيين جميعا

(٤) أمين المسلمين : يريد به سعد بن معاذ رضى الله عنه ، ومن غسلته الرسل : يريد به حنظلة الذى استشهد يوم أحد فغسلته الملائكة

(٥) ألم : نزل

عِظَامُ الْقُدُورِ لِأَيْسَارِهِمْ يَكُبُّونَ فِيهَا الْمُسِنَّ السَّنِمْ (١)
يُوَاسُونَ جَارَهُمُ فِى الْغِنَى وَيَحْمُونَ مَوْلَاهُمُ إِنْ ظُلِمْ
فَكَانُوا مُلُوكاً بِأَرْضِيهِمُ يُنَادُونَ غُضْباً بِأَمْرٍ غَشَمْ (٢)
مُلُوكاً عَلَى النَّاسِ لَمْ يُمْلَكُوا مِنَ الدَّهْرِ يَوْماً كَحِلِّ الْقَسَمْ
فَأَنْبُوا بِعَادٍ وَأَشْيَاعِهَا ثَمُودَ وَبَعْضِ بَقَايَا إِرَمْ (٣)
بِيَثْرِبَ قَدْ شَيَّدُوا فِى النَّخِيلِ حُصُوناً وَدُجِّنَ فِيهَا النَّعَمْ (٤)
نَوَاضِحَ قَدْ عَلَّمَتْهَا الْيَهُو
دُ «عَلّ» «إِلَيْكَ» وَقَوْلاً «هَلُمّ» (٥)
وَفِيمَا اشْتَهَوْا مِنْ عَصِيرِ الْقِطَا
فِ وَالْعَيْشِ رِخْواً عَلَى غَيْرِ هَمْ (٦)

---

(١) الأيسار : جمع يسر - بفتح الياء والسين جميعا - وهو الذى يدخل فى الميسر ، والمسن : الكبير ، والسنم : العظيم السنام وهو أعلى الظهر

(٢) أمر غشم : هو ما كان فيه أسوأ الظلم

(٣) أنبوا : أراد أنبئوا خفف الهمزة بقلبها ياء ثم حذفها ، وإرم : عاد الأولى

(٤) دجن : أسكن واتخذ فى البيوت ، تقول : دجن بالمكان دجونا - مثل قعد قعودا - إذا أقام ، والداجن : كل ما ألف الناس كالحمام والدجاج ونحو ذلك ، والنعم : الابل

(٥) النواضح : جمع ناضح ، وهو البعير الذى يستقى عليه ، وعل : كلمة تزجر بها الابل ، وهلم : أى أقبل

(٦) القطاف - بكسر القاف - ما يقطف من العنب وغيره

فَسِرْنَا إِلَيْهِمْ بِأَثْقَالِنَــــا
عَلَى كُلِّ فَحْلٍ هِجَانٍ قَطِمْ (١)
جَنَبْنَا بِهِنَّ جِيَادَ الْخُيُو ل قَدْ جَلَّلُوهَا جِلَالَ الْأَدَمْ (٢)
فَلَمَّا أَنَاخُوا بِجَنْبَيْ صِرَارٍ وَشَدُّوا السُّرُوجَ بِلَيِّ الْحُزُمْ
فَمَا رَاعَهُمْ غَيْرُ مَعْجِ الْخُيُو
لِ وَالزَّحْفُ مِنْ خَلْفِهِمْ قَدْ دَهِمْ (٣)
فَطَارُوا سِرَاعًا وَقَدْ أُفْزِعُوا وَجِئْنَا إِلَيْهِمْ كَأُسْدِ الْأَجَمْ
عَلَى كُلِّ سَلْهَبَةٍ فِي الصِّيَا نِ لَا يَشْتَكِينَ نُحُولَ السَّأَمْ (٤)
وَكُلِّ كُمَيْتٍ مُطَارِ الْفُؤَادِ أَمِينِ الْفُصُوصِ كَمِثْلِ الزُّلَمْ (٥)
عَلَيْهَا فَوَارِسُ قَدْ عُوِّدُوا قِرَاعَ الْكُمَاةِ وَضَرْبَ الْبُهَمْ (٦)
مُلُوكٌ إِذَا غَشَمُوا فِي الْبِلَا دِ لَا يَنْكُلُونَ وَلَكِنْ قُدُمْ (٧)

---

(١) الهجان : الأبيض ، وهي من أكرم الإبل عليهم ، والقطم : الشهوان الهائج للضراب

(٢) جنبنا : أراد قدنا ، وجللوها : غطوها ، والجلال : جمع جل ، والأدم - بفتحتين - الجلد

(٣) معج الخيول : سرعتها ، ودهم : جاء على غفلة

(٤) السلهبة : الفرس الطويلة ، والصيان ككتاب : أصله ما يصان فيه الحلى ، ومثله الصوان كغراب ، والسأم - بفتحتين - الملل

(٥) مطار الفؤاد : أراد ذكى الفؤاد ، والفصوص : مفاصل العظام ، والزلم : القدح

(٦) الكماة : الشجعان ، واحدهم كمى ، والبهم : الشجعان أيضا ، واحدهم بهمة

(٧) غشموا : جاروا واشتد ظلمهم ، ولا ينكلون : أى لا يرجعون من هيبة أو فزع

فَأُبْنَا بِسَادَاتِهِمْ وَالنِّسَاءِ وَأَوْلَادُهُمْ فِيهِمُ تُقْتَسَمْ (١)

وَرِثْنَا مَسَاكِنَهُمْ بَعْدَهُمْ وَكُنَّا مُلُوكًا بِهَا لَمْ نَرِمْ (٢)

فَلَمَّا أَتَانَا الرَّسُولُ الرَّشِيدُ بِالْحَقِّ وَالنُّورِ بَعْدَ الظُّلَمْ

فَقُلْنَا صَدَقْتَ رَسُولَ الْمَلِيكِ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَفِينَا أَقِمْ

فَنَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُ الْإِلَهِ أُرْسِلْتَ نُورًا بِدِينٍ قِيَمْ (٣)

فَإِنَّا وَأَوْلَادَنَا جُنَّةٌ نَقِيكَ وَفِي مَالِنَا فَاحْتَكِمْ

فَنَحْنُ أُولَئِكَ إِنْ كَذَّبُوكَ فَنَادِ نِدَاءً وَلَا تَحْتَشِمْ (٤)

وَنَادِ بِمَا كُنْتَ أَخْفَيْتَهُ نِدَاءً جِهَارًا وَلَا تَكْتَتِمْ

فَسَارَ الْغُوَاةُ بِأَسْيَافِهِمْ إِلَيْهِ يَظُنُّونَ أَنْ يُخْتَرَمْ (٥)

فَقُمْنَا إِلَيْهِمْ بِأَسْيَافِنَا نُجَالِدُ عَنْهُ بُغَاةَ الْأُمَمْ (٦)

بِكُلِّ صَقِيلٍ لَهُ مَيْعَةٌ رَقِيقِ الذُّبَابِ عَضُوضٍ خَذِمْ (٧)

---

(١) أبنا : رجعنا

(٢) لم نرم : لم نبرح ولم نفارق مكاننا ولم نزايله

(٣) بدين قيم : لااعوجاج فيه ، ومنه قوله تعالى (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما) وقال تعالى : (دينا قيما ملة إبراهيم)

(٤) لاتحتشم : لا تنقبض ، تقول : احتشمت من فلان ، إذا انقبضت منه

(٥) يخترم ـ بالبناء للمجهول ـ يقتل

(٦) البغاة : جمع باغ

(٧) له ميعة : يريد أنه مصقول تمام الصقل فهو يشبه الماء فى صفائه ، والذباب : حد أطراف السيف ، والخذم ـ بالذال المعجمة ـ القاطع

إِذَا مَا يُصَادِفُ صُمَّ الْعِظَا مِ لَمْ يَنْبُ عَنهَا وَلَمْ يَنْثَلِمْ (١)
فَذَلِكَ مَا وَرَّثَتْنَا الْقُرُو مُ مَجْدًا تَلِيدًا وَعِزًّا أَشَمّْ (٢)
إِذَا مَرَّ نَسْلٌ كَفَى نَسْلَهُ وَغَادَرَ نَسْلًا إِذَا مَا انْفَصَمْ (٣)
فَمَا إِنْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا لَنَا عَلَيْهِ وَإِنْ خَاسَ فَضْلُ النِّعَمْ (٤)

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى بيته : ـ

فَكَانُوا مُلُوكًا بِأَرْضِيهِمُ يُنَادُونَ غُضْبًا بِأَمْرٍ غَشَمْ

وأنشدنى :

بِيَثْرِبَ قَدْ شَيَّدُوا فِى النَّخِيلِ حُصُونًا وَدُجِّنَ فِيهَا النَّعَمْ

و بيته « وَكُلُّ كُمَيْتٍ مُطَارِ الْفُؤَادِ » عنه

ذكر سنة تسع ، وتسميتها سنة الوفود ، ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحق : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسلمت ثقيف ، وبايعت ؛ ضَرَبَتْ إليه وفود العرب من كل وَجْه

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة ، أن ذلك فى سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود

(١) لم ينب : لم يرتفع عنها ولم يرجع
(٢) القروم : السادة ، واحدهم قرم ، والمجد التليد : الشرف القديم ، وأشم : أى مرتفع
(٣) انفصم : انقطع وانقرض
(٤) خاس : غدر ، تقول : خاس فلان بعهده ، إذا غدر ولم يف لك

قال ابن إسحق : وإنما كانت العرب تَرَبَّصُ بالاسلام أمر هذا الحى من قريش ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن قريشا كانوا إمام الناس وهاديهم ، وأهل البيت والحرم ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم ، عليهما السلام ، وقَادَةَ العرب ، لايُنْكِرُونَ ذلك ، وكانت قريش هى التى نَصَبَتْ لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه ، فلما افْتُتِحَتْ مكة ودانت له قريش وَدَوَّخَهَا [1] الاسلام عَرَفَت العرب أنه لاطاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا فى دين الله ، كما قال الله عز وجل أفْوَاجًا يضربون إليه من كل وَجه ، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (١١٠ : ١ ـ ٣) : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) أى : فاحمد الله على ما أظهر من دينك واستغفره إنه كان توابا

قدوم وفد بنى تميم ، ونزول سورة الْحُجُرَات

فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود العرب ، فقدم عليه عُطَارِد بن حاجب بن زُرَارة بن عُدُس التميمى فى أشراف بنى تميم : منهم الأقْرَعُ بن حابس [التميمى] ، والزِّبْرِقَانُ بن بدر التميمى أحد بنى سعد ، وَعَمْرُو بن الأهْتَم ، والحبحاب بن يزيد [2] (قال ابن هشام : الْحُتَات ، وهو الذى آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاوية بن أبى

---

(١) دوخها الاسلام : ذللها وأخضعها

(٢) وقع فى نسخه أوربة « وعمرو بن الأهتم الحبحاب » فجعلهما واحدا ووقع فى سائر النسخ « والحبحاب بن زيد » وفى الاصابة للحافظ بن حجر أن الحبحاب بن يزيد ، وهو كذلك فيما يأتى من الكلام فى أصول الكتاب كلها ، وقد وقع فيما يأتى أيضا ذكرهما اثنين ، فتأمل

سفيان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آخى بين نفر من أصحابه من المهاجرين : بين أبى بكر وعمر ، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف ، وبين طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، وَبين أبى ذر الغفارى وَالمقداد بن عمرو البهرانى ، وبين معاوية بن أبى سفيان وَالحتات بن يزيد المجاشعى ، فمات الحتات عند معاوية فى خلافته ، فأخذ معاوية ماترك وراثة بهذه الأخوة ، فقال الفرزدق لمعاوية :ـ

أَبُوكَ وَعَمِّى يَامُعَاوِىَ أورثَا ۞ تُرَاثًا فَيَحْتَازُ التُّرَاثَ أَقَارِبُهْ

فَمَا بَالُ مِيرَاثِ الْحُتَاتِ أَكَلْتَهُ ۞ وَمِيرَاثُ حَرْبٍ جَامِدٌ لَكَ ذَائِبُه

وهذان البيتان فى أبيات له)

قال ابن إسحق : وفى وفد بنى تميم : نُعَيْم بن يزيد ، وقيس بن الحرث وقيس بن عاصم أخو بنى سعد ، فى وفد عظيم من بنى تميم

قال ابن هشام : وعُطَارد بن حاجب أحَدُ بنى دارم بن مالك بن حَنْظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم ، والأقرع بن حابس أحد بنى مالك بن دارم ابن مالك ، وأُلْحتات بن يزيد أحد بنى دارم بن مالك ، والزبرقان بن بدر أحد بنى بَهْدَلَةَ بن عَوْف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعمرو ابن الأهتم أحد بنى مِنقَر بن عبيد بن الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وقيس بن عاصم أحد بنى مِنقَر بن عبيد [بن الحرث]

قال ابن إسحق : ومعهم عُيَيْنَةُ بن حِصْن بن حُذَيفَةَ بن بَدْر الفَزَارى وقد كان الأقرع بن حابس وعُيَينة بن حصن شَهِدَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحُنَيْناً والطائف ، فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم ، فلما دخل وفد بنى تميم المسجد نَادَوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حُجُراته : أنِ اُخْرج إلينا يامحمد ، فآذى ذلك رسول الله صلى الله عليه

وسلم من صياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يامحمد ، جئناك نفاخرك فأْذَنْ لشاعرنا وخطيبنا ، قال : « قَدْ أَذِنْتُ لِخطِيبِكُمْ فَلْيَقُلْ » فقام عُطارد بن حاجب ، فقال :

خطبة تميم

الحمدلله الذى له علينا الفضلُ [والمَنّ] ، وهو أهله ، الذى جعلنا مُلوكا ، ووهب لنا أموالا عِظَامًا نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق ، وأكثره عَدَدًا ، وأيْسَرَهُ عُدَّةً ، فمن مثلنا فى الناس ؟ ألسنا برؤس الناس وأُولى فضلهم ؟ فمن فَاخَرَنَا فلْيَعْدُدْ مثلَ ماعددنا ، وإنا لونشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنَّا نحيا من الاكثار فيما أعطانا ، وإنا نُعْرَف بذلك ، أقول هذه لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمْرٍ أفْضَلَ من أمرنا ، ثم جلس

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشماس أخى بنى الحرث بن الخزرج : « قُمْ فَأجِبِ الرَّجُلَ فى خُطْبَتِهِ » فقام ثابت ، فقال :

خطبة ثابت بن قيس

الحمد لله الذى السموات والأرض خَلْقه ، قَضَى فيهن أَمْرَهُ ، ووَسِعَ كرسيُّهُ علمه ، ولم يك شيء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا ، واصْطَفَى من خير خلقه رَسُولاً أكرمه نسباً ، وأصْدَقَهُ حديثا ، وأفضله حسبا . فأنزل عليه كتابه ، وائتمنه على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناسَ إلى الإيمان به فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرمُ الناس حَسَبًا ، وأحسن الناس وجوها ، وخيرُ الناس فَعَالاً ، ثم كان أول الخلق إجابة واستجاب لله حين دعاه رسول الله نحن ، فنحن أنصار الله ، ووزراء رسوله ؛ نقاتل الناس حتى يؤمنوا

بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع [منا] ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً ، وكان قتله علينا يسيراً ، أقول [قولي] هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم

فقام الزبرقان بن بدر ، فقال : —

نَحْنُ الْكِرَامُ فَلَا حَىٌّ يُعَادِلُنَا
مِنَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ الْبِيَعُ (١)

وَكَمْ قَسَرْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمُ عِنْدَ النِّهَابِ وَفَضْلُ الْعِزِّ يُتَّبَعُ

وَنَحْنُ نُطْعِمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مُطْعَمَنَا
مِنَ الشِّوَاءِ إِذَا لَمْ يُؤْنَسِ الْقَزَعُ (٢)

بِمَا تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا سَرَاتُهُمُ
مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هُوِيًّا ثُمَّ نَصْطَنِعُ (٣)

فَنَنْحَرُ الْكُومَ عُبْطاً فِى أَرُومَتِنَا
لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أُنْزِلُوا شَبِعُوا (٤)

---

(١) البيع : مواضع الصلوات والعبادات ، واحدتها بيعة ، ومنه قوله تعالى : (لهدمت صوامع وبيع)

(٢) القزع : سحاب رقيق يكون في الخريف ، واحدته قزعة ، بفتح القاف والزاي فيهما .

(٣) هويا : سراعا

(٤) الكوم : جمع كوماء ، وهي الناقة العظيمة السنام ، وعبطا : أي من غير علة ، تقول : مات فلان عبطة ، واعتبط فلان — بالبناء للمجهول — إذا مات شاباً أو من غير علة ، والأرومة : الأصل

فلا تَرانَا إِلَى حَيٍّ نُفَاخِرُهُمْ
إلاَّ اسْتَقَادُوا فَكَانُوا الرَّأْسَ يُقْتَطَعُ
فَمَنْ يُفَاخِرُنَا فِى ذَاكَ نَعْرِفُهُ
فَيَرْجِعُ الْقَوْمُ وَالْأَخْبَارُ تُسْتَمَعُ
إِنَّا أَبَيْنَا وَلَا يَأْبَى لَنَا أَحَدٌ إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَرْتَفِعُ

قال ابن هشام : يروى «منا الملوك وفينا تقسم الرِّبَعُ»(١) ويروى «مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هَوَانَا ثُمَّ مُتَّبَعُ» رواه لى بعض بنى تميم ، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها للزبرقان

قال ابن إسحق : وكان حسان غائبا ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال حسان : جاءنى رسوله فأخبرنى أنه إنما دعانى لأجيب شاعر بنى تميم ، فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :—(٢)

مَنَعْنَا رَسُولَ اللهِ إِذْ حَلَّ وَسْطَنَا عَلَى أَنْفِ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغِمِ
مَنَعْنَاهُ لَمَّا حَلَّ بَيْنَ بُيُوتِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ
بِبَيْتٍ حَرِيدٍ عِزُّهُ وَثَرَاؤُهُ بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ وَسْطَ الْأَعَاجِمِ
هَلِ الْمَجْدُ إِلاَّ السُّودَدُ الْعَوْدُ وَالنَّدَى
وَجَاهُ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالُ الْعَظَائِمِ ؟

قال : فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام شاعر القوم فقال ماقال عرضت فى قوله ، وقلت على نحو ماقال ، فلما فرغ الزبرقان قال

(١) كان من عادتهم فى الجاهلية إذا غنموا أن يعطوا الرئيس ربع الغنيمة ويسمى المرباع ، والربع أيضا ، وهذا كناية عن أنهم الرؤساء والسادة
(٢) سنشرح هذه الأبيات حين تجىء فى الرواية الثانية مع أخواتها .

رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : «قُمْ يَاحَسَّانُ فَأَجِبِ الرَّجُلَ فِيمَا قَالَ» قال : فقام حسان ، فقال : —

إِنَّ الذَّوَائِبَ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتَهُمْ قَدْ بَيَّنُوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ (١)

يَرْضَى بِهِمْ كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ
تَقْوَى الْإِلٰهِ وَكُلَّ الْخَيْرَ يَصْطَنِعُ

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا

سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحْدَثَةٍ إِنَّ الْخَلاَئِقَ فَاعْلَمْ شَرُّهَا الْبِدَعُ (٢)

إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمُ
فَكُلُّ سَبْقٍ لِأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعُ

لاَ يَرْقَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكُفُّهُمُ
عِنْدَ الدِّفَاعِ وَلاَ يُوهُونَ مَا رَقَعُوا (٣)

إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْقُهُمُ
أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالنَّدَى مَتَعُوا (٤)

أَعِفَّةٌ ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عِفَّتُهُمْ
لاَ يَطْبَعُونَ وَلاَ يُرْدِيهِمُ طَمَعُ (٥)

---

(١) الذوائب : الأعالى ، واحدتها ذؤابة ، وأراد هنا السادة

(٢) السجية : الطبيعة والخليقة

(٣) أوهت : أضعفت وهدمت

(٤) متعوا : زادوا وظهروا عليهم ، تقول : متع النهار ، إذا ارتفع

(٥) لايطبعون : أى لا يتدنسون

لاَ يَبْخَلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمُ
وَلاَ يَمَسُّهُمُ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ (١)
اذَا نَصَبْنَا لِحَيٍّ لَمْ نَدِبَّ لَهُمْ
كَمَا يَدِبُّ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرَعُ (٢)
نَسْمُو إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنَا مَخَالِبُهَا
إِذَا الزَّعَانِفُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا (٣)
لاَ يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمُ
وَإِنْ أُصِيبُوا فَلاَ خُورٌ وَلاَ هُلُعُ (٤)
كَأَنَّهُمْ فِي الْوَغَى وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعٌ
أُسْدٌ بِحَلْيَةَ فِي أَرْسَاغِهَا فَدَعُ (٥)

---

(١) الطبع - بفتح الطاء المهملة والباء جميعا - الدنس

(٢) نصبنا : أظهرنا لهم العداوة ولم نسرها فى أنفسنا ، والذرع - بفتحتين - ولد البقرة الوحشية .

(٣) الزعانف : أطراف الناس وأتباعهم ، وخشعوا : خضعوا وتذللوا

(٤) الخور : جمع : أخور ، وهو الضعيف ، والهلع : جمع هلوع ، وهو الجبان الخائف .

(٥) الموت مكتنع : دان قريب ، تقول : اكتنع منه ، إذا دنا ، وحلية : اسم موضع تنسب إليه الأسود ، قال أبو ذر : « يروى بالباء المنقوطة بواحدة من أسفل ، ويروى بالياء المنقوطة باثنتين من أسفل وهو الصواب » اه وقال ياقوت : «حلية - بالفتح ثم السكون وياء خفيفة وهاء : مأسدة بناحية اليمن ، قال بعضهم :-

كَأَنَّهُمُ يَخْشَوْنَ مِنْكَ مُدَرَّبًا ... بِحَلْيَةَ مَشْبُوحَ الذِّرَاعَيْنِ مِهْزَعَا

خُـذْ مِنْهُمُ مَا أَتَى عَفْوًا إِذَا غَضِبُوا
وَلاَ يَـكُنْ هَمُّكَ الأَمْرَ الَّذِى مَنَعُوا (١)

فَإِنَّ فِى حَرْبِهِمْ فَاتْرُكْ عَدَاوَتَهُمْ
شَرًّا يُخَاضُ عَلَيْهِ السُّمُّ وَالسَّلَعُ (٢)

أَكْرِمْ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللهِ شِيعَتُهُمْ
إِذَا تَفَاوَتَتِ الأَهْوَاءُ وَالشِّيَعُ

أَهْدَى لَهُمْ مِدْحَتِى قَلْبٌ يُوَازِرُهُ
فِيمَا أُحِبُّ لِسَانٌ حَائِكٌ صَنَعُ (٣)

فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الأَحْيَاءِ كُلِّهِمُ
إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا (٤)

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد : —

يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ
تَقْوَى الإِلٰهِ وَبِالأَمْرِ الَّذِى شَرَعُوا

وقيل : حلية : واديين أعيار وعليب ... وقيل : هو من أرض اليمن ، وقيل : موضع بنواحى الطائف » اه ، والأرساغ : جمع رسغ ، وهو موضع مربط القيد ، وفدع : اعوجاج إلى ناحية

(١) عفوا : أى من غير طلب ولا مشقة

(٢) السلع . نبات مسموم

(٣) صنع ـ بفتح الصاد والنون جميعا ـ صانع ماهر يتقن ما يصنعه ويحسن عمله

(٤) شمعوا : هزلوا ، وأصل الشمع الطرب واللهو ، ومنه قولهم : جارية شموع ؛ إذا كانت كثيرة الطرب

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم بالشعر من بنى تميم أن الزبرقان ابن بدر لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم قام فقال : —

أَتَيْنَاكَ كَيْمَا يَعْلَمُ النَّاسُ فَضْلَنَا
إِذَا احْتَفَلُوا عِنْدَ احْتِضَارِ الْمَوَاسِمِ (١)

بِأَنَا فُرُوعُ النَّاسِ فِى كُلِّ مَوْطِنٍ
وَأَنْ لَيْسَ فِى أَرْضِ الْحِجَازِ كَدَارِمِ (٢)

وَأَنَّا نَذُودُ الْمُعْلَمِينَ إِذَا انْتَخَوْا
وَنَضْرِبُ رَأْسَ الْأَصْيَدِ الْمُتَفَاقِمِ (٣)

وَأَنَّ لَنَا الْمِرْبَاعَ فِى كُلِّ غَارَةٍ
نُغِيرُ بِنَجْدٍ أَوْ بِأَرْضِ الْأَعَاجِمِ (٤)

فقام حسان بن ثابت فأجابه فقال : —

---

(١) المواسم : جمع موسم ، وهو المكان الذى يجتمع فيه الناس مرة كل سنة ، مثل موسم الحج ، ومثل اجتماعهم فى أسواق الجاهليه كعكاظ وذى المجاز ونحو ذلك

(٢) دارم : من بنى تميم

(٣) المعلمين : الذين يعلمون أنفسهم بعلامة يعرفون بها ليطلع الناس على بلائهم فى الحرب ، ويروى فى مكانه « العالمين » ، وانتخوا : تكبروا وأعجبوا بأنفسهم ، والأصيد : المتكبر الذى يلوى عنقه يمينا وشمالا ، والمتفاقم : المتعاظم ، وقد قالوا : تفاقم الخطب ، إذا اشتد وعظم وصعب الخلاص منه

(٤) المرباع : ربع الغنيمة ، وهو حظ الرئيس على ما قدمنا (انظر ٥ ١ ص ٢٢٦) ويكنى بذلك عن أنهم رؤساء ، ونجد : أراد به ما ارتفع وعلا من الأرض

هَلِ الْمَجْدُ إلاَّ السُّؤْدَدُ الْعَوْدُ وَالنَّدَى
وَجَاهُ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالُ الْعَظَائِمِ (١)

نَصَرْنَا وَآوَيْنَا النَّبِيَّ مُحَمَّدًا عَلَى أَنْفِ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغِمِ

بِحَيٍّ حَرِيدٍ أَصْلُهُ وَثَرَاؤُهُ
بِجَابِيَةِ الْجَوْلاَنِ وَسْطَ الْأَعَاجِمِ (٢)

نَصَرْنَاهُ لَمَّا حَلَّ وَسْطَ دِيَارِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ

جَعَلْنَا بَنِينَا دُونَهُ وَبنَاتِنَا وَطِبْنَا لَهُ نَفْساً بِفَيْءِ الْمَغَانِمِ

وَنَحْنُ ضَرَبْنَا النَّاسَ حَتَّى تَتَابَعُوا
عَلَى دِينِهِ بِالْمُرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ (٣)

وَنَحْنُ وَلَدْنَا مِنْ قُرَيْشٍ عَظِيمَهَا
وَلَدْنَا نَبِيَّ الْخَيْرِ مِنْ آلِ هَاشِمِ (٤)

بَنِي دَارِمٍ لاَ تَفْخَرُوا إِنَّ فَخْرَكُمْ
يَعُودُ وَبَالاً عِنْدَ ذِكْرِ الْمَكَارِمِ (٥)

---

(١) العود : القديم ، والذى يتكرر على الزمان ، والندى : الكرم والعطاء ، والعظائم : جمع عظيمة

(٢) حى حريد ـ بالحاء المهملة ـ منفرد لا يختلط بغيره لعزته ، وجابية الجولان : موضع بالشأم ، وأصل الجابية الحوض الكبير وهو الذى يسميه الناس الصهريج

(٣) المرهفات الصرارم : أراد السيوف المحددة القاطعة

(٤) ولدنا نبي الخير ، ذلك لأن أم عبد المطلب بن هاشم جد النبى صلى الله عليه وسلم كانت من بنى النجار

(٥) الوبال : الهلاك

هَبِلْتُمْ عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمُ لَنَا خَوَلٌ مَا بَيْنَ ظِئْرٍ وَخَادِمِ (١)
فَإِنْ كُنْتُمُ جِئْتُمْ لِحَقْنِ دِمَائِكُمْ
وَأَمْوَالِكُمْ أَنْ تُقْسَمُوا فِي الْمَقَاسِمِ
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نِدًّا وَأَسْلِمُوا
وَلَا تَلْبَسُوا زِيًّا كَزِيِّ الْأَعَاجِمِ (٢)

قال ابن إسحق : فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله قال الأقرع بن حابس : وأبي إن هذا الرجل لمؤتّى له (٣) لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا

فلما فرغ القوم أسلموا ، وَجَوَّزَهم رسول الله صلى الله علية وسلم فأحسن جوائزهم (٤)

وكان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم فى ظَهْرِهم (٥) ، وكان أصغرهم سنًّا فقال قيس بن عاصم ، وكان يبغض عمرو بن الأهتم : يارسول الله ، إنه قد كان رجل منّا فى رحالنا ، وهو غلام حَدَثٌ ، وَأَزْرَى به ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأهتم — حين بلغه أن قيسا قال ذلك — يهجوه : —

(١) هبلتم : فقدتم ، وتقول : هبلته أمه ، تريد الدعاء عليه بالفقدان ، والظئر - بكسر فسكون - التى ترضع ولد غيرها وهى تأخذ على ذلك أجرا ، وأصله الناقة التى تعطف على ولد غيرها ، والخادم : يقال للذكر والأنثى

(٢) الند - ومثله النديد - هو المثل والشبيه

(٣) لمؤتى له - بضم الميم وفتح الهمزة وتشديد التاء - أى : أنه موفق ، وتقول أيضا : آتاه الشىء ، إذا وافقه

(٤) الجوائز : العطايا ، واحدتها جائزة

(٥) ظهرهم : إبلهم

خَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتِمُنِى
عِنْدَ الرَّسُولِ فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصِبِ (١)
سِدْنَا كُمْ سُودَدًا رَهْوًا وَسُودَدُكُمْ
بَادٍ نَوَاجِذُهُ مُقْعٍ عَلَى الذَّنَبِ (٢)

قال ابن هشام : بقى بيت واحد تركناه لأنه أقذع فيه

قال ابن إسحق : وفيهم نزل من القرآن (٤٩ : ٤) : (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس فى الوفادة عن بنى عامر

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى عامر ، فيهم عامر بن الطُّفَيْل ، وأربد بن قَيْس بن جَزْء (٣) بن خالد بن جعفر ، وجَبَّار بن سَلْمى (٤) ابن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم ، وشياطينهم ، فقدم عامرُ ابن الطفيل عَدُوُّ الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يريد الْغَدْرَ به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن الناس قد أسلموا فأسلم ، قال : والله لقد كنت آليت أن لا أنتهى حتى تَتْبَعَ العربُ عَقِبِى أَفَأَنا أتبع عَقِبَ هذا الفتى من

(١) الهلب والهلباء : شعر الذنب ، وقد استعاره هنا للانسان

(٢) رهوا ـ بالراء المهملة ـ متسعا ، والنواجذ : الأسنان ، واحدها ناجذ ، قال الحماسى :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذَيْهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا

ومقع على الذنب : هو من قولهم : أقعى الكلب ، إذا جلس على أليتيه وضم ساقيه وأمر ذنبه خلفه

(٣) يروى هنا فى بعض النسخ « بن جزى » والصواب ما ذكرناه

(٤) من الناس من يرويه بفتح السين ، ومنهم من يرويه بضمها ، والصواب الفتح

قريش ؟ ثم قال : لأَرْبَدَ : إذا قدمنا على الرجل فإنى سأشغل عَنْكَ وجهه ، فإذا فعلتُ ذلك فَاعْلُه بالسيف [١] ، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل : يا محمد ، خَالِّنى [٢] ، قال : « لاَ وَاللهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللهِ وَحْدَه » قال : يا محمد ، خَالِّنِي [٢] ، وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به ، فجعل أَرْبَدُ لا يُحِيرُ شيئاً ، فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال : يا محمد خَالِّنِي [٢] ، قال : « لاَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَه » فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله لأَمْلأَنَّهَا عليك خَيْـلاً ورجالا ، فلما وَلَّى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ اكْفِنِي عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ » فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لأربد : ويلك يا أربد ! ! أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أَخْوَفُ عندى على نفسى منك ، وَايْم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا ، قال : لا أبالك ، لاَ تَعْجَلْ عليَّ ، والله ما هَمَمْتُ بالذى أمرتنى به من أمره إلاَّ دَخَلْتَ بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضرب بك بالسيف ؟ وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بَعَثَ الله على عامر بن الطفيل الطاعُونَ فى عنقه ، فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سَلُول ، فجعل يقول : يا بَنِى عامر ، أغُدَّةً كَغُدَّةِ [٣] الْبَكْرِ فى بيت امرأة من بنى سَلول .

---

(١) فاعله بالسيف : يريد اقتله ، ويروى « فاغله بالسيف » بالغين المعجمة ، وهو من الغيلة ، وهى القتل خديعة وخفية

(٢) خالنى : يروى بكسر اللام مخففة وبتشديدها مكسورة ، فالأول معناه تفرد لى خاليا حتى أحدثك على انفراد ، والثانى معناه اتخذنى خليلا ، من المخالة ، وهى الصداقة

(٣) الغدة : داء يصيب البعير فى حلقه فيموت منه ، وهو شبيه بالذبحة

قال ابن هشام : ويقال : أَغُدَّةً كَغُدَّةِ الإبل وَمَوْتاً فى بيت سَلُولية

قال ابن إسحق : ثم خرج أصحابه حين وَارَوْهُ حتى قدموا أرض بنى عامر شاتِّين ، فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا : مَاوَرَاءكَ يا أربد ؟ قال : لاشيء ، والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لَوَددْتُ أنه عندى الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله ، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقةً فأحرقتهما ، وكان أرْبَدُ بن قيس أخالَبيد ابن ربيعة لأمه

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسْلَمَ ، عن عطاء بن يَسَار ، عن ابن عباس قال : وأنزل الله عز وجل فى عامر وأربد (١٣ : ٨ — ١٣) : (اللهُ يَعْلَمُ مَاتَحْمِلُ كلُّ أُنْثَى) إلى قوله (وَمَالَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) قال : والمُعَقِّبَاتُ هى من أمر الله يحفظون محمداً ، ثم ذكر أربد وماقتله الله به فقال : (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ) إلى قوله (شَدِيدُ الِمحَالِ)

قال ابن إسحق : فقال لبيد يبكى أرْبدَ : —

مَا إنْ تُعَدِّى المَنُونُ مِنْ أَحَدِ ... لاَ والِدٍ مُشْفِقٍ وَلاَ وَلَدِ (١)

أَخْشَى عَلَى أَرْبَدَ الحُتُوفَ وَلاَ ... أَرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ وَالأَسَدِ

فَعَيْنِ هَلَّا بَكَيْتِ أَرْبَدَ إِذْ ... قُمْنَا وَقَامَ النِّسَاءُ فِى كَبَدِ (٢)

التى تصيب الانسان ، والبكر : الفتى من الابل ، وسلول — بفتح السين المهملة — قوم يصفهم العرب باللؤم والدناءة ، قال السموءل : —

وَإِنَّا أُنَاسٌ لاَ نَرَى القَتْلَ سُبَّةً ... إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ

(١) تعدى : أراد به تترك وتتجاوز

(٢) الكبد — بفتح الكاف والباء — الجهد والمشقة ، قال الله تعالى : (لقد خلقنا الانسان فى كبد)

إنْ يَشْغَبُوا لاَ يُبَالِ شَغْبَهُمُ أوْ يَقْصِدُوا فِي الْحُكُومِ يَقْتَصِدِ
حُلْوٌ أَرِيبٌ وَفِي حَلاَوَتِهِ مُرٌّ لَطِيفُ الأَحْشَاءِ وَالْكَبِدِ (١)
وَعَيْنِ هَلاَّ بَكَيْتِ أَرْبَدَ إِذْ أَلْوَتْ رِيَاحُ الشِّتَاءِ بِالْعَضُدِ
وَأَصْبَحَتْ لاَ قِحًا مُصَرَّمَةً حِينَ تَجَلَّتْ غَوَابِرُ الْمُدَدِ (٢)
أَشْجَعُ مِنْ لَيْثِ غَابَةٍ لَحِمٍ ذُو نَهْمَةٍ فِي الْعُلاَ وَمُنْتَقَدِ (٣)
لاَ تَبْلُغُ الْعَيْنُ كُلَّ نَهْمَتِهَا لَيْلَةَ تُمْسِي الْجِيَادُ كَالْقِدَدِ (٤)
الْبَاعِثُ النَّوْحَ فِي مَآتِمِهِ مِثْلَ الظِّبَاءِ الأَبْكَارِ بِالْجَرَدِ (٥)
فَجَعَنِي الْبَرْقُ وَالصَّوَاعِقُ بِالْـ فَارِسِ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ النَّجُدِ (٦)
وَالْحَارِبِ الْجَابِرِ الْحَرِيبَ إِذَا جَاءَ نَكِيبًا وَإِنْ يَعُدْ يَعُدِ (٧)

---

(١) الأريب : العاقل

(٢) المصرمة : التى لا لبن لها ، والغوابر : البقايا ، واحدتها غابرة

(٣) لحم - بفتح فكسر - كثير الأكل للحم ، وذو نهمة : أى له ولوع وحب فى بلوغ غاية الشىء ، ويروى « ذو نهية » بالياء المثناة ، وهى العقل وجمعها نهى ، ومنه قوله تعالى : (إن فى ذلك لآيات لأولى النهى)

(٤) القدد - بكسر ففتح - جمع قدة ، وهى الشراك الذى يقطع من الجـــلد

(٥) المآتم : جمع مأتم ، وهو جماعة النساء يجتمعن فى خير أو شر ، والجرد : الأرض التى لا نبات فيها

(٦) النجد - بفتح فضم - الشجاع

(٧) الحارب : السالب ، والحريب : المسلوب ، فعيل بمعنى مفعول ، والنكيب : المنكوب الذى أصابته نكبة

يَعْفُو عَلَى الجَهْدِ وَالسُّؤَالِ كَمَا
يَنْبُتُ غَيْثُ الرَّبِيعِ ذُو الرَّصَدِ [(١)]
كُلُّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرُهُمُ
قُلٌّ، وَإِنْ أَكْثَرَتْ مِنَ الْعَدَدِ [(٢)]
إِنْ يُغْبَطُوا يَهْبِطُوا وَإِنْ أَمِرُوا يَوْمًا فَهُمْ لِلْهَلَاكِ وَالنَّفَدِ [(٣)]

قال ابن هشام بيته « وَالْحَارِبُ الْجَابِرُ الْحَرِيبَ » عن أبي عبيدة ، وبيته « يَعْفُو عَلَى الْجُهْدِ » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال لبيد أيضا يبكي أَرْبَدَ : —

أَلَا ذَهَبَ الْمُحَافِظُ وَالْمُحَامِي وَمَانِعُ ضَيْمِهَا يَوْمَ الْخِصَامِ [(٤)]
وَأَيْقَنْتُ التَّفَرُّقَ يَوْمَ قَالُوا تُقُسِّمَ مَالُ أَرْبَدَ بِالسِّهَامِ
تَطِيرُ عَدَائِدُ الْإِشْرَاكِ شَفْعًا وَوَتْرًا وَالزَّعَامَةُ لِلْغُلَامِ [(٥)]
فَوَدِّعْ بِالسَّلَامِ أَبَا حَرِيزٍ وَقَلَّ وَدَاعُ أَرْبَدَ بِالسَّلَامِ

---

(١) الجهد : المشقة ، يريد أنه يعطي ويكثر عطاؤه مع المشقة ، والرصد : الكلأ القليل

(٢) قل – بضم القاف – أي قليل

(٣) يغبطوا : هو من الغبطة ، وهو كناية عن حسن حالهم حتى يغبطهم الناس ، ويهبطوا : تغير أحوالهم ، من قولهم : هبط المرض ، إذا تغيرت حاله ، وأمروا – بكسر الميم – كثروا ، تقول : أمر الناس ، وأمر الزرع ، إذا كثر ، والنفد : انقطاع الشيء وزواله ، قال الله تعالى : (ما عندكم ينفد وما عند الله باق)

(٤) الضيم : الذل

(٥) الزعامة : أفضل المال المورث

وَكُنْتَ إِمَامَنَا وَلَنَا نِظَامًا ... وَكَانَ الْجَزْعُ يُحْفَظُ بِالنِّظَامِ (١)
وَأَرْبَدُ فَارِسُ الْهَيْجَا إِذَا مَا ... تَقَعَّرَتِ الْمَشَاجِرُ بِالْفِئَامِ (٢)
إِذَا بَكَرَ النِّسَاءُ مُرَدَّفَاتٍ ... حَوَاسِرَ لَا يُجِئْنَ عَلَى الْخِدَامِ (٣)
فَوَاءَلَ يَوْمَ ذَلِكَ مَنْ أَتَاهُ ... كَمَا وَأَلَ الْمُحِلُّ إِلَى الْحَرَامِ
وَيَحْمَدُ قِدْرَ أَرْبَدَ مَنْ عَرَاهَا ... إِذَا مَا ذُمَّ أَرْبَابُ اللِّحَامِ (٤)
وَجَارَتُهُ إِذَا حَلَّتْ لَدَيْهِ ... لَهَا نَفَلٌ وَحَظٌّ مِنْ سَنَامِ (٥)
فَإِنْ تَقْعُدْ فَمُكْرَمَةٌ حَصَانٌ ... وَإِنْ تَظْعَنْ فَمُحْسِنَةُ الْكَلَامِ (٦)
وَهَلْ حُدِّثْتَ عَنْ أَخَوَيْنِ دَامَا ... عَلَى الْأَيَّامِ إِلَّا ابْنَيْ شَمَامِ (٧)
وَإِلَّا الْفَرْقَدَيْنِ وَآلَ نَعْشٍ ... خَوَالِدَ مَا تُحَدَّثُ بِانْهِدَامِ (٨)

---

(١) الجزع : الخرز اليمانى

(٢) الهيجا : من أسماء الحرب ، أصله المد وقد يقصر كما هنا ، وتقعرت سقطت من أصلها كما تتقعر النخلة ، والمشاجر : ضرب من الهوادج

(٣) حواسر : كاشفات عن وجوههن ، الواحدة حاسرة ، ويروى فى مكانه « جوائر » وقوله « لايجئن » هو من قولهم : أجأت على ثوبى ، إذا غطيته ، ويروى فى مكانه « لا يجن » ومعنى هاتين الروايتين كمعنى السابقة .

(٤) اللحام : جمع لحم

(٥) النفل : العطية ، والسنام : أعلى ظهر البعير

(٦) الحصان ـ بفتح الحاء المهملة ـ العفيفة التى لا يتعرض لها ، وتظعن : ترحل

(٧) ابنا شمام : جبلان

(٨) الفرقدان وآل نعش : من النجوم

قال ابن هشام وهى فى قصيدة له

قال ابن إسحق : وقال لبيد أيضا يبكى أربد : —

أنعَ الكَرِيمَ لِلْكَرِيمِ أَرْبَدَا أَنعَ الرَّئِيسَ وَاللَّطِيفَ كَبِدَا (١)

يُحْذِى وَيُعْطِى مَالَهُ لِيُحْمَدَا أُدْمًا يُشَبَّهْنَ صِوَارًا أُبَّدَا (٢)

السَّائِلُ الْفَضْلِ إِذَا مَا عُدِّدَا وَيَمْلأُ الْجَفْنَةَ مِلْئًا مَدَدَا

رِفْهاً إِذَا يَأْتِى ضَرِيكٌ وَرَدَا مِثْلُ الَّذِى فِى الْغِيلِ يَقْرُو جُمُدَا (٣)

يَزْدَادُ قُرْبًا مِنْهُمُ أَنْ يُوعَدَا أَوْرَثْتَنَا تُرَاثَ غَيْرِ أَنْكَدَا (٤)

غِبًّا وَمَالاً طَارِفًا وَوَلَدَا شَرْخًا صُقُورًا يَافِعًا وَأَمْرَدَا (٥)

وقال لبيد أيضا : —

لَنْ تُفْنِيَا خَيْرَاتِ أَرْ بَدَ فَابْكِيَا حَتَّى يَعُودَا

قُولَا هُوَ الْبَطَلُ الْمُحَا مِى حِينَ يُكْسَوْنَ الْحَدِيدَا

---

(١) النعى ـ بفتح فسكون ـ الاخبار بالموت ، والنعى ـ بفتح فكسر والياء مشددة ـ الذى يخبر به ، فعيل بمعنى فاعل

(٢) يحذى : يعطى ، ويروى « يجدى » بالجيم والدال المهملة ، وهو بمعناه ، والأدم : الابل البيض ، والصوار ـ كغراب ـ جماعة بقر الوحش ، والأبد : المستوحشة ، واحدها آبد

(٣) رفها : أى يفعل ذلك دائما كل يوم ، والضريك : الفقير ، والذى فى الغيل : هو الأسد ، ويقرو : يتتبع ، وجمدا : اسم جبل ، ويروى فى مكانه « جهدا » والجهد : الطاقة والمشقة

(٤) يوعد : يهدد ، والتراث : الميراث

(٥) الطارف : المال المحدث ، والشرخ : الشباب ، واليافع : الذى قارب الحلم

وَيَصُدّ عَنَّا الظَّالِمِـــينَ إِذَا لَقِينَا الْقَوْمَ صِيدا(١)
فَاعْتَاقَهُ رَبُّ الْبَرِيَّـــةِ إِذْ رَأَى أَنْ لا خُلُودَا(٢)
فَثَوَى وَلَمْ يُوجَعْ وَلَمْ يُوصَبْ وَكَانَ هُوَ الْفَقِيدَا(٣)

وقال لبيد أيضا : —

يُذَكِّرُنِي بِأَرْبَدَ كُلُّ خَصْمٍ أَلَدَّ تَخَالُ خُطَّتَهُ ضِرَارَا(٤)
إِذَا اقْتَصَدُوا فَمُقْتَصِدٌ كَرِيمٌ وَإِنْ جَارُوا سَوَاءَ الْحَقِّ جَارَا
وَيَهْدِي الْقَوْمَ مُطَّلِعًا إِذَا مَا دَلِيلُ الْقَوْمِ بِالْمَوْمَاةِ حَارَا(٥)

قال ابن هشام : وآخرها بيتا عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال لبيد أيضاً : —

أَصْبَحْتُ أَمْشِي بَعْدَ سَلْمَى بْنِ مَالِكٍ
وَبَعْدَ أَبِي قَيْسٍ وَعُرْوَةَ كَالأَجَبّْ(٦)
إِذَا مَا رَأَى ظِلَّ الْغُرَابِ أَضَجَّهُ
حِذَاراً عَلَى بَاقِي السَّنَاسِنِ وَالْعَصَبْ(٧)

---

(١) الصيد : جمع أصيد ، وهو المتكبر

(٢) اعتاقه — بالقاف — منعه من بلوغ أمله ، ويروى « فاعتافه » ومعناه قصده

(٣) لم يوصب : أي لم يصبه وصب ، وهو بفتح الواو والصاد الألم

(٤) الضرار — مثل قتال — هو الضر

(٥) الموماة — بفتح الميم وسكون الواو — القفر

(٦) الأجب — بالجيم وتشديد الباء — البعير المقطوع السنام

(٧) أضجه : جعله يضج . والضجيج : الصياح ، والسناسن : عظام الظهر وهي فقاره

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى أبيات له

قدوم ضِمَام بن ثعلبة ، وافدا عن بنى سعد بن بكر

قال ابن إسحق : و بعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم يقال له ضِمَام بن ثعلبة

قال ابن إسحق : فحدثنى محمد بن الوليد بن نُوَيْفِع ، عن كُرَيْب مولى عبد الله بن عباس، عن ابن عباس ، قال : بَعَثَتْ بنو سعد بن بكر ضِمَام ابن ثعلبة وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم عليه ، وأناخ بعيره على باب المسجد ، ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه ، وكان ضِمَامٌ رجلا جَلْداً أشْعَرَ ذا غديرتين،[1] فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبدالمطلب ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِب » قال : أمحمد ؟ قال : « نعم » قال : ياابن عبد المطلب ، إنى سائلك ومُغْلِظٌ عليك فى المسألة فلا تجِدَنَّ [بها علىَّ] فى نفسك ، قال : «لاَ أجِدُ فِي نَفْسِي فَسَلْ عَمَّا بَدَالَكَ» قال : أنشدك الله إلٰهَكَ و إلٰه من كان قبلك و إلٰه من هو كائن بعدك ، آلله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : « اللَّهُمَّ نعم » قال: فأنشدك الله إلٰهَكَ و إلٰهَ من كان قبلك و إلٰهَ من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئا وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : « اللَّهُمَّ نَعَمْ » قال: فأنشدك الله إلٰهَكَ و إلٰه من كان قبلك و إلٰه من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن نُصَلِّىَ هذه الصلاة

(١) الغديرتان : الذؤابتان من شعر ، والعقيصتان : المضفورتان من الشعر أيضا ، وقد سماه النبى صلى الله عليه وسلم « ذا العقيصتين » كما سيأتى فى آخر القصة

الخمس ؟ قال : « [اللهم] نعم » قال : ثم جعل يذكر فرائض الاسلام فريضة فريضة : الزكاة ، والصيام ، والحج ، وشرائع الاسلام كلها ، يَنْشُدُه عند كل فريضة [منها] كما ينشده فى التى قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فانى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وسأؤدى هـذه الفرائض ، وأجتنب مانهيتنى عنه ، ثم لاأزيد ولاأنقص ، ثم انصرف إلى بعيره راجعا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنْ صَدَقَ ذُو العَقِيصَتَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ » قال : فأتى بعيره فأطلق عِقَالَهُ ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه ، فكان أول ماتكلم به أن قال : بِاسْتِ اللَّاتِ وَالْعُزَّى ، قالوا : مَهْ ياضِمام ، اتَّقِ الْبَرَصَ ، اتَّقِ الْجُذَامَ ، اتق الجنون ، قال : ويلكم إنهما والله لايضرّان ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا اسْتَنْقَذَكم به مما كنتم فيه ، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه ، قال : فوالله ماأمسى من ذلك اليوم فى حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلما ، قال : يقول عبد الله بن عباس : فما سمعنا بوافد قوم كان أفْضَلَ من ضِمَام بن ثعلبة

قُدُوم الجَارُودِ فى وَفدِ عبد القيس

قال ابن إسحق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجَارُودُ ابن عمرو بن حَنَش أخو عبد القيس

قال ابن هشام : الجارود : ابن بشر بن المعلى فى وفد عبد القيس ، وكان نصرانيا

قال ابن إسحق : حدثنى من لاأتهم ، عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كَلَّمه ، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغَّبه فيه ، فقال : يامحمد ، إنى قد كنت

على   ، وإنى تارك دينى لدينك ، أفتضمن لى دينى ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَعَمْ أنا ضَامِنٌ [لكَ] أنْ قَدْ هَدَاكَ الله إلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ » قال : فأسلم وأسلم أصحابه ، ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الْحُمْلاَنَ ، فقال : « وَاللهِ مَا عِنْدِى مَا أحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ » قال : يارسول الله ، فان بيننا و بين بلادنا ضَوَالَّ من ضَوَالِّ الناس أفنتبلغ عليها إلى بلادنا ؟ قال : « لا ، إيَّاكَ وَإيَّاهَا فَإنَّمَا تِلْكَ حَرَقُ النَّارِ » فخرج من عنده الجارود راجعاً إلى قومه ، وكان حسن الاسلام صُلْبًا على دينه حتى هلك ، وقد أدرك الردة

فلما رجع من قَوْمِهِ مَنْ كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الْغَرُور ابن المنذر بن النعمان بن المنذر قام الجارود [فتكلم] فتشهدَ شهادة الحق ، ودعا إلى الاسلام ، فقال : أيها الناس ، إنى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأُكَفِّر من لم يشهد

قال ابن هشام : و يروى وأكفى من لم يشهد

قال ابن إسحق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء ابن الحضرمى قبل فتح مكة إلى المنذر بن سَاوَى الْعَبْدِى ، فأسلم فحسن إسلامه ، ثم هلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل رِدَّة أهل البحرين والعلاء عنده أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين

قدوم بنى حنيفة ، ومعهم مُسَيْلِمَةُ الكذَّاب

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وَفْدُ بنى حنيفة ، فيهم مُسَيْلمةُ بْن حبيب [الحنفى] الكذاب

قال ابن هشام : مسيلمة ابن ثمامة ، ويكنى أبا ثمامة

قال ابن إسحق : فكان منزلهم فى دار بنت الحرث [1] امرأةٍ من الأنصار، ثم من بنى النجار ؛ فحدثنى بعض علمائنا من أهل المدينة أن بنى حنيفة أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم تَستُرُهُ بالثياب ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه معه عَسِيبٌ [2] من سَعَف النخل فى رأسه خُوصَات ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كَلَّمه وسأله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ سَأَلْتَنِي هٰذَا الْعَسِيبَ مَا أَعْطَيْتُكَهُ »

قال ابن إسحق : و [قد] حدثنى شيخ من بنى حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا ، زعم أن وفد بنى حنيفة أَتَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَخَلَّفُوا مُسَيْلِمة فى رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا : يارسول الله ، إنا قد خَلَّفْنَا صاحبا لنا فى رحالنا وفى ركابنا يحفظها لنا ، قال : فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به للقوم ، وقال : « أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بِشَرِّكُم مَكَانًا » أى : لحفظه ضيعة أصحابه ، ذلك الذى يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاؤا بما أعطاه ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارْتَدَّ عَدُوُّ الله ، وتنبأ ، وتكذب لهم ، وقال : إنى قَدْ أُشْرِكْتُ فى الأمر معه ، وقال لوفده الذى كان معه : ألم يقل لكم حين ذكرتمونى له : « أما إنه ليس بشركم مكانا » ماذاك إلا لما كان يعلم أنه قد أُشْرِكْتُ فى الأمر معه ، ثم جعل يَسْجَعُ لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن : لَقَدْ أنعم الله على

---

(١) قال أبو ذر : « يقال : إن هذه المرأة اسمها كبشة بنت الحرث »

(٢) العسيب : جريد النخل ، والسعف - بفتحتين - أغصان النخلة ، والخوصات : جمع خوصة ، وهى ورق النخل والدوم

الحُبْلَى ، أخْرَجَ منها نَسَمَةً تَسْعَى ، من بين صِفَاقٍ وَحَشَا . وأحل لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبي ، فأصفقت معه حنيفة على ذلك ، فالله أعلم أى ذلك كان

قدوم زيد الخيل فى وفد طيء

قال ابن إسحق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وَفْدُ طَيِّءٍ ، فيهم زَيْدُ الْخَيْلِ ، وهو سيدهم ، فلما انْتَهَوْا إليه كَلَّمهم وعرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، فأسلموا ، فحسن إسلامهم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما حدثنى من لا أتهم من رجال طيء —: « مَاذُكِرَ لِي رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ بِفَضْلٍ ثُمَّ جَاءَنِي إِلاَّ رَأَيْتُهُ دُونَ مَا يُقَالُ فِيهِ إِلاَّ زَيْدَ الْخَيْلِ فَإِنَّهُ لَمْ يُبْلَغْ كُلُّ مَا فِيهِ » ، ثم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زَيْدَ الخير ، وقطع له فَيْدًا[1] وَأَرَضِينَ معه وكتب له بذلك ؛ فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى قومه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ يَنْجُ زَيْدٌ مِنْ حُمَّى الْمَدِينَةِ فَإِنَّهُ » قال : قد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم غير الحمى ، وغير أُمِّ مَلْدَمٍ[2] فلم يُثْبِتْهُ ، فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه يقال له فَرْدَةَ أصابته الحمى بها فمات ، ولما أحس زيد بالموت قال : —

أَمُرْتَحِلٌ قَوْمِي الْمَشَارِقَ غُدْوَةً ... وَأُتْرَكُ فِي بَيْتٍ بِفَرْدَةَ مُنْجِدِ[3]

أَلاَ رُبَّ يَوْمٍ لَوْ مَرِضْتُ لَعَادَنِي ... عَوَائِدُ مَنْ لَمْ يَبْرَ مِنْهُنَّ يَجْهَدِ

(١) فيد ـ بفتح فسكون ـ اسم أرض

(٢) أم ملدم : اسم من أسماء الحمى

(٣) منجد بيت : أى فى أرض نجد ، ونجد : أعلى الحجاز

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه التى قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم فحرقتها بالنار

أمر عَدىّ بن حاتم

وأما عَدىُّ بن حاتم فكان يقول — فيما بلغنى — : مامن رجل من العرب كان أشدَّ كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به منى، أما أنا فكنت امرأ شريفا، وكنت نصرانيا، وكنت أسير فى قومى بالمِرْباع، فكنت فى نفسى على دين، وكنتُ ملكاً فى قومى لما كان يصنع بى، فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرِهْتُهُ، فقلت لغلام كان لى عربى وكان راعيا لإبلى: لاأبالك، أَعْدِدْ لى من إبلى أجمالا ذُلُلاً (١) سِمَاناً فاْحتَبِسْهَا قريبامنى، فاذاسمعتَ بجيش لمحمدقدوطىء هذه البلاد فآذِنِّى، ففعل، ثم [انه] أتانى ذات غداةٍ فقال: ياعدى، ما كنت صانعاً إذا غَشِيَتْكَ خيلُ محمد فاصنعه الآن، فانى قد رأيت راياتٍ، فسألتُ عنها، فقالوا: هذه جيوش محمد، قال: فقلت: فَقَرِّبْ إلىّ أجمالى، فقرَّبها، فاحتملت بأهلى وولدى، ثم قلت: ألحق بأهل دينى من النصارى بالشام، فسلكت الُجوشِيّة (٢) (ويقال: الُحوشية، فيما قال ابن هشام) وخَلَّفْتُ بنتاً لحاتم

---

(١) ذللا: جمع ذلول، وهو الجمل السهل الذى قد ارتاض

(٢) وقع فى بعض نسخ الأصل «حوشية» بالحاء المهملة والشين المعجمة، ووقع فى بعضها «جوشية» بالجيم والشين المعجمة، وقال ياقوت: «بالضم ثم السكون وكسر السين المهملة وياء خفيفة: قريه من قرى حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق بين جبل لبنان وجبل سنير، وقال الحازى: جوشية بعد الجيم المضمومة واو ساكنة ثم شين معجمة مكسورة بعدها ياء تحتها نقطتان مشددة مفتوحة، موضع بين نجد والشام سلك عليها

فى الحاضر ، فلما قدمت الشام أقمت بها ، وتُخالفنى خيلٌ لرسول الله صلى الله عليه وَسلم فتصيب ابنة حاتم فيمن أصابت ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبايا من طيىء ، وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربى إلى الشام ، قال : سُفَّانَةُ بنت حاتم فى حظيرة بباب المسجد ، كانت السبايا تُحْبَسُ فيها ، فمرَّ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جَزْلَةً ، فقالت : يارسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن علىَّ مَنَّ الله عليك ، قال : « وَمَنْ وَافِدُكِ » ؟ قالت : عَدِىُّ بن حاتم ، قال : « الْفَارُّ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ » ؟ قالت : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركنى ، حتى إذا كان من الغد مَرَّ بى ، فقلت له مثل ذلك . وقال لى مثل ماقال بالأمس ، قالت : حتى إذا كان بعد الغد مَرَّ بى ، وقد يئست منه ، فأشار إلىَّ رَجُلٌ من خلفه : أنْ قُومِى فكاميه ، قالت : فقمت إليه ، فقلت : يارسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامْنُنْ علىَّ مَنَّ الله عليك ، فقال صلى الله عليه وسلم : « قَدْ فَعَلْتُ فَلا تَعْجَلِي بِخُرُوجٍ حَتَّي تَجِدِى من قَوْمِكِ مَنْ يَكُونُ لَكِ ثِقَةً حَتَّى يُبلِّغَكِ إلىَ بِلادِكِ ثُمَّ آذِنِينِى » فسألت عن الرجل الذى أشار إلى أن أكلمه ، فقيل : على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأقمت حتى قدم ركب من بَلِيّ أو قُضَاعة ، قالت : وإنما أريد أن آتى أخى بالشام ، قالت : فجئت رَسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يارسول الله ، قد قدم رَهطٌ من قومى لى فيهم ثقة وبَلاَغ ، قالت : فكسانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملنى ، وأعطانى نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام ، قال عدى : فوالله إنّى لَقَاعِد فى

عدى بن حاتم حين قصد الشام هاربا من خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وطئت بلاد طيء ، قاله ابن إسحاق ، ووجدته مقيدا مضبوطا كذلك بخط أبى الحسن بن الفرات »

أهلى إذ نظرت إلى ظَعينةٍ(١) تَصُوبُ إِلَيَّ تؤُمُّنا ، قال : فقلت : ابنة حاتم ؟ قال : فاذا هى هى ، فلما وقفتْ علىَّ انْسحَلَتْ(٢) تقول : القاطع ، الظالم ، احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك عَوْرَتكَ ، قال : قلت : أىْ أُخَيَّةُ لاتقولى إلا خيرا ، فوالله مالي من عُذْرٍ ، لقد صنعتُ ماذ كرتِ ، قال : ثم نزلت ، فأقامت عندى ، فقلت لها وكانت امرأة حازمة : ماذا تَرَيْنَ فى أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تَلْحَقَ به سريعا ، فان يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملكا فلن تَذِلَّ فى عزِّ الْيَمَنِ وَأنت أنت ، قال : قلت: والله إن هذا للرَّأى ، قال : فخرجت حتى أقدَمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلت عليه وهو فى مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : « مَنِ الرَّجُلُ » ؟ فقلت : عدى بن حاتم ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامدٌ بى إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها ، قال : قلت فى نفسى : والله ماهذا بملك ، قال : ثم مضى بى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى [إذا] دخل بى بيته تناول وِسَادَةً من أدَمٍ مَحْشُوَّةً ليفا ، فقذفها إلى ، فقال : « اجْلِسْ عَلَى هٰذِهِ » قال : قلت : بل أنت فاجلس عليها ، فقال : « بَلْ أَنْتَ » فجلست عليها ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ، قال : قلت فى نفسى : والله ماهذا بأمر ملك ، ثم قال : « إيهٍ ياعَدِىُّ بْنَ حَاتِمٍ أَلَمْ تَكُ

---

(١) الظعينة : المرأة فى هودجها ، وقد يقال لها : ظعينة وإن لم تكن فى الهودج ، وتصوب إلى : تقبل نحوى ، وتؤمنا : تقصدنا

(٢) انسحلت : لامت وسخطت ، تقول : سحلته بلسانى ، إذا لمته وأظهرت سخطك عليه

رَكُوسِيًّا » ؟ قال : (١) قلت : بلى ، قال : « أَوَ لَمْ تَكُنْ تَسِيرُ فِي قَوْمِكَ (٢) بِالْمِرْبَاعِ » قال : قلت : بلى ، قال : « فإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ » قال : قلت : أجل (٣) والله ، وعرفت أنه نبي مرسل يعلم مايجهل ، ثم قال : « لَعَلَّكَ يَاعَدِيُّ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولٍ فى هذا الدين ماترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لايوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من دخولٍ فيه ماترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها [حتى] تَزُور هذا البيت لاتخاف ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم ، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم » قال : فأسلمت ، وكان عدى يقول : قد مضت اثنتان ، و بقيت الثالثة ، ووالله لتكونن : قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لاتخاف حتى تحج هذا البيت ، وايم الله لتكونَنَّ الثالثة : لَيَفِيضَنَّ المال حتى لايوجد من يأخذه

قدوم فَرْوَة بن مُسَيْك الْمُرَادِيّ

قال ابن إسحق : وقدم فَرْوَةُ بن مُسَيْكٍ الْمُرَادِيُّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم : مُفَارِقاً لملوك كِنْدَة ، ومباعداً لهم ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان قبيل الإسلام بين مُرَاد وَهَمْدَان وَقْعَةٌ أصابت

---

(١) الركوسية : قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين

(٢) المرباع : ربع الغنيمة ، وتقدم ذكره

(٣) أجل : حرف جواب بمعنى نعم

فيها همدان من مرادٍ ماأرادوا ، حتى أثْخَنُوهم [١] فى يوم كان يقال له يوم الرَّدْم ، فكان الذى قاد هَمْدَان إلى مراد الأجدع بن مالك فى ذلك اليوم

قال ابن هشام : الذى قاد همدان فى ذلك اليوم مالك بن حَرِيم [٢] الهمدانى

قال ابن إسحق : وفى ذلك اليوم يقول فَرْوَةُ بن مُسَيْك : —

مَرَرْنَ عَلَى لِفَاتَ وَهُنَّ خُوصٌ   يُنَازِعْنَ الأَعِنَّةَ يَنْتَحِينَا [٣]
فَإِنْ نَغْلِبْ فَغَلَّابُونَ قِدْمًا   وَإِنْ نُغْلَبْ فَغَيْرُ مُغَلَّبِينَا
وَمَا إِنْ طِبُّنَا جُبْنٌ وَلٰكِنْ   مَنَايَانَا وَطُعْمَةُ آخَرِينَا [٤]
كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سِجَالٌ   تَكُرُّ صُرُوفُهُ حِينًا فَحِينَا [٥]
فَبَيْنَا مَا نُسَرُّ بِهِ وَنَرْضَى   وَلَوْ لُبِسَتْ غَضَارَتُهُ سِنِينَا [٦]
إِذِ انْقَلَبَتْ بِهِ كَرَّاتُ دَهْرٍ   فَأَلْفَيْتَ الأُلَى غُبِطُوا طَحِينَا [٧]
فَمَنْ يُغْبَطْ بِرَيْبِ الدَّهْرِ مِنْهُمْ   يَجِدْ رَيْبَ الزَّمَانِ لَهُ خَؤُونَا

(١) أثخنوهم : أكثروا فيهم القتل

(٢) قال أبو ذر : « يروى بفتح الحاء المهملة ، ويروى أيضا خريم بضم الخاء المعجمة ، وحريم بفتح المهملة هو الصواب »

(٣) لفات ـ بزنة كتاب وسحاب ـ اسم موضع ، وخوص جمع خوصاء وهى الغائرة العين ، وينتحين : يعترضن

(٤) الطب هنا : العادة ، يقول : ليست عادتنا الجبن والفزع ، ويروى عجز البيت « منايانا ودولة آخرينا »

(٥) دولته سجال : أى تكون تارة للانسان وتارة عليه ، وأصله من المساجلة ، وهى أن يفعل مثل مايفعل صاحبه

(٦) غضارة الشىء : طراوته ونعمته

(٧) الألى : أى الذين ، وغبطوا : استحسنت حالهم

فَلَوْ خَلَدَ الْمُلُوكُ إِذَنْ خَلَدْنَا وَلَوْ بَقِيَ الْكِرَامُ إِذًا بَقِينَا
فَأَفْنَى ذَلِكُمْ سَرَوَاتِ قَوْمِي كَمَا أَفْنَى الْقُرُونَ الْأَوَّلِينَا (١)

قال ابن هشـام : أول بيت منها ، وقوله « فان نُغْلَبْ » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : ولما توجه فَرْوَةُ بن مُسَيْكٍ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقا لملوك كندة قال : —

لَمَّا رَأَيْتُ مُلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضَتْ
كَالرِّجْلِ خَانَ الرِّجْلَ عِرْقُ نسَائِهَا (٢)
قَرَّبْتُ رَاحِلَتِي أَؤُمُّ مُحَمَّدًا أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَرَائِهَا (٣)

قال ابن هشام : أنشدني أبوعبيدة « أرجو فواضله وحسن ثنائها »

قال ابن إسحق : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني « يافَرْوَةُ ، هَلْ سَاءَكَ مَاأَصَابَ قَوْمَكَ يَوْمَ الرَّدْمِ » ؟ قال : يارسول الله ، من ذا يصيب قَوْمَه مثلُ ما أصاب قومي يوم الرَّدْم لا يسوءه ذلك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له : « أما إنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزِدْ قَومَكَ فِي الإِسْلَامِ إلاَّ خَيْراً » واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على مُراد وزُبَيْد ومَذْحِـج كلها ، و بعث معه خالد ابن سعيد بن العاص على الصدقة ، فـكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سروات القوم : أشرافهم

(٢) النسا : عرق مستبطن فى الفخذ ، وهـو مقصور غير ممدود ، فان مد فى شعر فلضرورة ، وقد روى فى هذا البيت ممدودا

(٣) أؤم : أقصد ، و « ثنائها » هو الذى يتحدث به الرجل من خير أوشر ، ويروى فى مكانه « ثرائها » ويعنى به على هذه الرواية الجود والعطية

قدوم عَمْرو بن مَعْدِيكَرِب فى أناس من بنى زُبَيْد

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عَمْرُو بن مَعْدِ يكرب فى أناس من بنى زُبَيْد، فأسلم ، وكان عَمْرٌو قد قال لقيس بن مَكْشُوح الْمُرَادِيّ — حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم — : يا قَيْسُ ، إنك سيد قومك ، وقد ذُكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول : إنه نبى ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ، فان كان نبياً كما يقول فانه لن يَخْفَى عليك ، إذا لقيناه اتبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قَيْسٌ ذلك ، وسَفَّه رأيه ، فركب عمرو بن معد يكرب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، وصَدَّقه ، وآمن به ، فلما بلغ ذلك قَيْسَ بن مَكْشُوح أوعد عَمْراً وتَحَطَّمَ عليه ، وقال : خالفنى وترك رأيى ، فقال عمرو بن معد يكرب فى ذلك : —

أَمَرْتُكَ يَوْمَ ذِى صَنْعَا ءَ أمرًا بَادِيًا رَشَدُهُ (١)
أَمَرْتُكَ بِاتِّقَاءِ اللهِ وَالْمَعْرُوفِ تَتَّعِدُهْ
خَرَجْتَ مِنَ الْمُنَى مِثْلَ الْـحُمَيِّرِ غَرَّهُ وَتِدُهْ
تَمَنَّانِى عَلَى فَرَسٍ عَلَيْهِ جَالِسًا أَسَدُهْ
عَلَىَّ مُفَاضَةٌ كَالنَّهْـ ىِ أَخْلَصَ مَاءَهُ جَدَدُهْ (٢)
تَرُدُّ الرُّمْحَ مُنْثَنِىَ الـسِّنَانِ عَوَائِرًا قِصَدُهْ (٣)

---

(١) ذو صنعاء : اسم موضع

(٢) المفاضة : الدرع الواسعة ، والنهى : الغدير ، والجدد : الأرض الصلبة .

(٣) عوائر : أى متطايرة ، والقصد — بكسر القاف وفتح الصاد — جمع قصدة ، وهو ما تكسر من الرمح .

فَلَوْ لَاقَيْتَنِي لَاقَيْـ ... تَ لَيْثًا فَوْقَهُ لِبَدُهْ (١)
تُلَاقِي شَنْبَثًا شَثْنَ الْـ ... بَرَاثِنِ نَاشِزًا كَتَدُهْ (٢)
يُسَامِي الْقِرْنَ إِنْ قِرْنٌ ... تَيَمَّمَهُ فَيَعْتَضِدُهْ (٣)
فَيَأْخُذُهُ فَيَرْفَعُهُ ... فَيَخْفِضُهُ فَيَقْتَصِدُهْ (٤)
فَيَدْمَغُهُ فَيَحْطِمُهُ ... فَيَخْضِمُهُ فَيَزْدَرِدُهْ (٥)
ظَلُومُ الشِّرْكِ فِيمَا أَحْـ ... رَزَتْ أَنْيَابُهُ وَيَدُهْ

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة : ـ

أَمَرْتُكَ يَوْمَ ذِي صَنْعَا ... ءَ أَمْرًا بَيِّنًا رَشَدُهْ
أَمَرْتُكَ بِاتِّقَاءِ اللَّـ ... ـهِ تَأْتِيهِ وَتَتَّعِدُهْ
فَكُنْتَ كَذِي الْحُمَيِّرِ غَـ ... ـرَّهُ مِمَّا بِهِ وَتِدُهْ

ولم يعرف سائرها

قال ابن إسحق : فأقام عمرو بن معد يكرب فى قومه من بنى زُبَيْد ، وعليهم فَرْوَة بن مُسَيْك ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدّ عَمْرو بن معد يكرب ، وقال حين ارتد : —

---

(١) اللبد ـ بكسر ففتح ـ جمع لبدة ، وهى ماعلى كتفى الأسد من الشعر

(٢) الشنبث ـ بزنة جعفر ـ الذى يتعلق بقرنه ولا يزايله ، وشثن : أى غليظ الأصابع ، والبراثن : جمع برثن ، وهو للسبع بمنزلة الأصبع للانسان ، وناشزا : مرتفعا ، والكتد : مابين الكتفين .

(٣) يسامى القرن : يعلوه ويرتفع عليه ، والقرن ـ بكسر فسكون ـ الذى ينازلك فى الشجاعة ، وتيممه : قصده ، ويعتضده : يجعله تحت عضده ، أى يفوقه ويتغلب عليه .

(٤) يقتصده : يقتله .

(٥) يدمغه : يخرج دماغه ، ويحطمه : يكسره ، ويخضمه : يأكله ، ويزدرده : يبتلعه

وَجَدْنَا مُلْكَ فَرْوَةَ شَرَّمُلْكٍ حِمَارًا سَافَ مَنْخِرُهُ بِثَفْرِ (١)
وَكُنْتَ إِذَا رَأَيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ
تَرَى الْحُوَلَاءَ مِنْ خُبْثٍ وَغَدْرِ (٢)

قال ابن هشام : قوله « بثفر » عن أبى عبيدة

قدوم الأشْعَث بن قَيْس فى وفد كِنْدَة

قال ابن إسحق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعثُ ابن قيس فى وفد كِنْدَة

فحدثنى الزُّهْرِىُّ ابن شهاب أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثمانين راكبا من كِنْدَة ، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده وقد رَجَّلُوا جُمَمَهُمْ (٣) ، وتكحَّلوا ، عليهم جُبَبُ (٤) الْحِبَرَة ، وقد كَفَّفُوها بالحرير (٥) ، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَلَمْ تُسْلِمُوا » قالوا : بلى ، قال : « فَمَا [بَالُ] هٰذَا الْحَرِيرِ فِى أَعْنَاقِكُمْ » قال : فشقوه منها ، فألقوه ، ثم قال له الأشعث بن قيس : يارسول الله ، نحن بنو آكل الْمُرَار ، وَأنت ابن آكل الْمُرار ، قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : « نَاسِبُوا بِهٰذَا النَّسَبِ الْعَبَّاسَ ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِب وَرَبِيعَةَ بْنَ الْحَرِث » وكان العباس وربيعة رجلين

(١) ساف : شم ، والثفر فى البهائم بمنزلة الرحم فى الانسان .

(٢) الحولاء . الجلدة التى يخرج فيها ولد الناقه .

(٣) رجلوا جممهم : يريد مشطوا شعورهم وسرحوها ،تقول : رجل الرجل شعره ، إذا مشطه وسرحه ، والجمم - بضم الجيم - جمع جمة

(٤) الجبب : جمع جبة ، وهى ضرب من الثياب ، والحبرة : ضرب من برود اليمن ذو خطوط .

(٥) كففوها : أى جعلوا لها طرازا .

تاجرين ، وكانا إذا شاعا (١) فى بعض العرب فسئلا مِمَّنْ هُمَا قالا : نحن بنو آكل المرار ، يَتَعَزَّزان بذلك ، وذلك أن كندة كانوا ملوكا ، ثم قال لهم : « لا ، بَلْ نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ لاَ نَقْفُو (٢) أُمَّنَا وَلاَ نَنْتَفِى مِنْ أَبِينَا » فقال الأشعث بن قيس : هل فرغتم يامعشر كندة ، والله لاأسمع رَجُلاً يقولها إلا ضربته ثمانين .

قال ابن هشام : الأشعث [بن قيس] من ولد آكل المرار من قبل النساء، وآكل المرار : الْحرثُ بن عمرو بن حُجْر بن عمرو بن معاوية بن الحرث بن معاوية بن ثور بن مُرَتِّع بن معاوية بن كِنْدِىّ ، ويقال : كندة ، وإنما سمى آكل المرار لأن عمرو بن الْهَبُولَة الْغَسَّانى أغار عليهم ، وكان الحرث غائبا ، فغنم وسبى ، وكان فيمن سبى أم أناس بنت عَوْف بن مُحَلِّم الشَّيْبَانى امرأة الحرث بن عمرو ، فقالت لعمرو فى مسيره : لَكَأَنِّى برجل أَدْلَمَ (٣) أسود كأَنَّ مَشَافِرَه مَشَافِرُ بعير آكلِ مُرَارٍ (٤) قَدْأخذ برقبتك ، تعنى الحرث ، فسمى آكل الْمُرَار ، والْمُرَار : شجر ، ثم تَبِعه الحرثُ فى بنى بكر بن وائل فلحقه فقتله ، واستنقذ امرأته ، وما كان أصاب ، فقال الحرث بن حِلِّزَةَ الْيَشْكُرِىُّ لعمرو بن المنذر — وهو عمرو ابن هند اللَّخْمِىُّ — :

وَأَقَدْنَاكَ رَبَّ غَسَّانَ بِالْمُنْـ ... ـذِرِ كَرْهًا إِذْ لاَ تُكَالُ الدِّمَاءُ

(١) إذا شاعا : بعدا ، ومنه الأخبار الشائعة ، وهى التى انتشرت وبعدت عن مصدرها .

(٢) لانقفو أمنا : لانتبعها فى نسبها لأن نسب الرجل إلى أبيه لا إلى أمه

(٣) الأدلم : المسترخى الشفتين

(٤) المشافر : جمع مشفر ، وهو للبعير كالشفة للانسان ، والمراد - بزنة غراب - نبات إذا أكلته الابل ارتفعت مشافرها وتقبضت لمرارة هذا النبات

لأن الحرث الأعرج الْغَسَّانى قَتَلَ المنذر أباه ، وهذا البيت فى قصيدة له ، وهذا الحديث أطول مما ذكرت ، وإنما منعنى من استقصائه ماذكرت من الْقَطْع ، ويقال : بل آكل الْمُرَار حُجْرُ بن عَمْرو بن معاوية ، وهو صاحب هذا الحديث ، وإنما سمى آكل المرار لأنه أَكَلَ هو وأصحابه فى تلك الْغَزْوَة شجَرًا يقال له الْمُرَار .

قدوم صُرَد بن عبد الله الأَزْدِىّ

قال ابن إسحق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم صُرَدُ بن عبد الله الأزدى ، فأسلم وحسن إسلامه ، فى وَفْدٍ من الأزد ، فأمَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بمن أسلم مَنْ كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن . فخرج صُرَد ابن عبد الله يسيرُ بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بِجُرَش ، وهى يومئذ مدينة مُغْلَقَةٌ وبها قبائل من قبائل اليمن ، وقد ضَوَتْ إليهم [1] خَثْعَمُ ، فدخلوها معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريبا من شهر ، وامتنعوا فيها منه ، ثم إنه رجع عنهم قافلا ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شَكَرَ ظن أهل جُرَش أنه إنما وَلَّى عنهم مُنْهَزِما ، فخرجوا فى طلبه ، حتى إذا أدركوه عَطَفَ عليهم فقتلهم قتلا شديدا ، وقد كان أهل جُرَشَ بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يَرْتَادَان وينظران ، فبيناهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيةً بعد صلاة العصر إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بِأَىِّ بِلَادِ اللهِ شَكَرُ » فقام الْجُرَشِيَان فقالا : يارسول الله ببلادنا جَبَلٌ يقال له كَشَر ، وكذلك يسميه أهل جُرَش

---

(١) ضوت : انضمت ولجأت واتصلت بهم .

فقال: «إِنَّهُ لَيْسَ بِكَشَر وَلٰكِنَّهُ شَكَر» قال: فما شأنه يارسول الله؟ قال: «إنَّ بُدْنَ اللهِ لَتُنْحَرُ عِنْدَهُ الآن» قال: فجلس الرجلان إلى أبى بكر، أو إلى عثمان، فقال لهما: ويحكما!! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن لَيَنْعَى لكما قومكما، فقوما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما، فقاما إليه فسألاه ذلك، فقال: «اللَّهُمَّ ارْفَعْ عَنْهُمْ» فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما [قد] أصيبوا يوم أصابهم صُرَد بن عبد الله فى اليوم الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال، وفى الساعة التى ذكر فيها ما ذكر، وخرج وَفْدُ جُرَشَ حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلموا، وَحَمَى لهم حِمًى حول قريتهم على أعلام معلومة للفَرَس والراحلة وللمُثِيرة [1] بَقَرَة الحَرْث فمن رعاه من الناس فَمَالُهُ [2] سُحْتٌ، فقال فى تلك الغزوة رجل من الأزد — وكانت خَثْعَمٌ تصيب من الأزد فى الجاهلية، وكانوا يَعْدُونَ فى الشهر الحرام —:

رسول الله يخبر بالمدينة عن وقعة صرد عند جبل شكر

يَا غَزْوَةً، مَاغَزَوْنَا، غَيْرَ خَائِبَةٍ ... فِيهَا الْبِغَالُ، وَفِيهَا الْخَيْلُ وَالْحُمُرُ

حَتَّى أَتَيْنَا حُمَيْرًا فِى مَصَانِعِهَا ... وَجَمْعَ خَثْعَمَ قَدْ شَاعَتْ لَهَا النُّذُرُ [3]

---

(١) المثيرة: اسم فاعل من أثار الأرض، إذا قلبها، وتسمى البقرة بذلك لأنها تقلب الأرض، قال الله تعالى: (تثير الأرض ولا تسقى الحرث) وذلك فى وصف بقرة بنى إسرائيل

(٢) ماله سحت: حرام لا يحل له أن يأكله

(٣) حميرا: هو بضم الحاء المهملة وفتح الميم وسكون الياء، وأراد تصغير حمير، وكان حقه أن يشدد الياء، ولكنه خففها حين اضطر لاقامة الوزن، ويروى «خميرا» بالخاء المعجمة، ولامعنى له، بل هو تصحيف، والمصانع:

إِذَا وَضَعْتُ غَلِيلاً كُنْتُ أَحمِلُهُ   فَمَا أُبَالِى أَدَانُوا بَعْدُ أَمْ كَفَرُوا (١)

قدوم رسول (٢) ملوك حمير بكتابهم

رسل ملوك حمير

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابُ ملوكِ حِمْيَر، مَقْدَمَه من تَبُوك، وَرَسُولُهُمْ (٢) إليه بإسلامهم: الحرثُ بن عبد كُلَال، وَنُعَيم بن عبد كُلَال، وَالنُّعْمَان قَيْلُ ذِى رُعَيْن (٣) وَمَعَافر وَهَمْدان، وَبعث إليه زُرْعَةُ ذُو يَزَن مالك بن مُرَّةَ الرَّهَاوِى بإسلامهم، ومفارقتهم الشرك وأهله، فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله النبى، إلى الحَـارِث بْنِ عَبْدِ كُلَال، وإلى نُعَيْمِ بن عبد كُلَال، وإلى النُّعْمَانِ قَيْلِ ذِى رُعَيْنٍ وَمَعَافر وهَمْدان، أما بَعْدَ ذلكم؛ فإنى أَحْمَدُ إِلَيْكُمُ اللهَ الَّذِى لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ، أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ وَقَعَ بِنَا رَسُولُكُمْ مُنْقَلَبَنَا مِنْ أَرْضِ الرُّومِ، فَلَقِينَا بِالْمَدِينَةِ، فَبَلَّغَ مَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ، وَخَبَّرَ مَا قِبَلَكُمْ وَأَنْبَأَنَا بِإِسْلَامِكُمْ وَقَتْلِكُمُ الْمُشْرِكِينَ وَأَنَّ اللهَ قَدْ هَدَاكُمْ بِهُدَاهُ

كتاب رسول الله إلى ملوك حمير

مواضع تصنع بالحجارة لحبس الماء، وشاعت: انتشرت، ويروى فى مكانه « ساغت » بالسين المهملة والغين المعجمة — ومعناه سهلت، حكى ذلك أبو ذر. والنذر: جمع نذير.

(١) الغليل: حرارة الجوف، وأصله حرارة العطش، ويستعمل فى الحرقة الناشئة عن الثأر.

(٢) فى بعض النسخ « رسل ملوك » بصيغة الجمع، و « رسلهم إليه » كذلك.

(٣) القيل — بفتح فسكون — مخفف قيل — بفتح القاف وتشديد الياء — مثل سيد وميت وهين ولين، وأصله فيعل من القول، فأصله قيول، ثم قلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء، ثم خفف بحذف إحدى الياءين، والقيل: يقال: هو الملك، ويقال: بل هو الذى دون الملك الأعلى، وهذا هو الأكثر وسمى بذلك لأنه ذو القول، أى: الذى إذا قال لم يرد أحد قوله.

إِنْ أَصْلَحْتُمْ وَأَطَعْتُمُ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَأَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَعْطَيْتُمْ مِنَ الْمَغَانِمِ خُمُسَ اللهِ وَسَهْمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَفِيَّهُ (١) وَمَا كُتِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الصَّدَقَةِ مِنَ الْعَقَارِ (٢) عُشُرَ مَا سَقَتِ الْعَيْنُ وَسَقَتِ السَّمَاءُ ، وَعَلَى مَا سَقَى الْغَرْبُ (٣) نِصْفَ الْعُشْرِ ، إِنَّ فِى الْإِبِلِ الْأَرْبَعِينَ ابْنَةَ لَبُونٍ ، وَفِى ثَلَاثِينَ مِنَ الْإِبِلِ ابْنُ لَبُونٍ ذَكَرٌ وَفِى كُلِّ خَمْسٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاةٌ ، وَفِى كُلِّ عَشْرٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاتَانِ وَفِى كُلِّ أَرْبَعِينَ من البقر بَقَرَةٌ ، وفى كل ثلاثين من البقر تَبِيعٌ جَذَعٌ أوجَذَعَة ، وفى كل أربعين مِنَ الْغَنَمِ سَائِمَةٍ وَحْدَهَا شاةٌ ، وإنها فَرِيضَةُ الله التى فَرَضَ على المؤمنين فى الصَّدَقة ، فمن زادَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ له ، وَمَنْ أَدَّى ذٰلِكَ وَأَشْهَدَ عَلَى إسلامه وَظَاهَرَ المؤمنين (٤) عَلَى الْمُشْرِكين فَإِنَّهُ من المؤمنين : له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وله ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رسوله ، وإنه من أَسْلَمَ من يَهُودِىٍّ أَوْ نَصْرَانى فانه من المؤمنين : له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وَمَنْ كَانَ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ أَوْ نَصْرَانِيَّتِهِ فإنه لا يُرَدُّ عَنْهَا ، وعليه الجِزْيَة على كل حالم ذَكَرٍ أو أنثى حُرٍّ أو عبد دينارٌ وافٍ من قيمة الْمَعَافِر (٥) أو عِوَضُه ثيابا ، فَمَنْ أَدَّى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان له ذِمَّةَ الله وذمة رسوله ، ومن منعه فانه عدُو لله ولرسوله ؛

---

(١) الصفى : مايصطفيه الرئيس من الغنيمة قبل أن تقسم الغنائم ، وهو فعيل بمعنى مفعول .

(٢) العقار ـ بزنة سحاب ـ هو ههنا الأرض .

(٣) الغرب ـ بفتح فسكون ـ هى الدلو العظيمة .

(٤) ظاهر المؤمنين : عاونهم وقواهم وكان معهم على من سواهم

(٥) المعافر : ثياب من ثياب اليمن

أما بعد ؛فان رسول اللهِ مُحَمَّدًا النبيَّ أرسل إلى زُرْعَةَ ذِي يزن أنْ إذا أتَاكُمْ رُسُلِي فأُوصِيكُمْ بِهِمْ خَيْرًا : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَعَبْدُ الله بن زَيْد ، وَمَالِكُ بن عُبَادة ، وَعُقْبَةُ بن نَمِر ، ومالكُ بن مُرَّة ، وأصحابهم وأن اجْمَعُوا مَا عِنْدَكُمْ من الصَّدَقة وَالجِزْيَةِ من مَخَاليفكم ، وَأَبْلِغُوها رسلي ، وإن أميرهم مُعَاذُ بن جبل ، فلا يَنْقَلِبَنَّ إلا راضيا

أما بعد ؛ فان محمدا يَشْهَدُ أن لا إلَهَ إلا الله ، وأنه عبده ورسوله

ثم إنَّ مالك بن مُرَّةَ الرَّهاوى قَدْ حَدَّثنى أَنَّكَ أسلمت من أول حمير ، وقتلت المشركين ، فَأَبْشِرْ بخير ، وَآمُرُكَ بحمير خَيْرًا ، ولا تَخُونُوا ، وَلاَ تَخَاذَلُوا ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مَوْلَى غَنِيِّكم وَفَقِيرِكم ، وإن الصَّدَقَةَ لاتحل لمحمد ، ولا لأهل بيته ، إنما هى زكاةٌ يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل ، وإن مالكا [قد] بَلَّغ الخبر وَحَفِظَ الغَيْبَ وَآمُرُكُمْ به خيرا ، وإنى قد أرسلت إليكم من صَالِحِي أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم ، وآمركم بهم خيرا ؛ فانهم مَنْظُورٌ إليهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

وصية النبي لمعاذ ابن جبل حين بعثه الى اليمن

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أنه حُدِّث ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين بعث معاذا — أوصاه ؛ وعهد إليه ، ثم قال له : « يَسِّرْ وَلاَ تُعَسِّرْ وَبَشِّرْ ، وَلاَ تُنَفِّرْ وَإِنَّكَ سَتَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَسْئَلُونَكَ : مَا مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ ؟ فَقُلْ : شَهَادَةُ أَنْ لاَ إلَهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ »

فتوى معاذ فى حق الرجل على المرأة

قال : فخرج معاذ حتى إذا قدم اليمن قام بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتته امرأة من أهل اليمن ، فقالت : ياصاحب رسول الله ، ما حَقُّ زوج المرأة عليها ؟ قال : ويحك !! إن المرأة لاتقدر على أن تُؤَدِّيَ

حَقَّ زوجها ، فأجْهِدِى نَفْسَكِ فى أداء حقه مااستطعت ، قالت : والله لئن كنتَ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنَّكَ لتعلم ماحَقُّ الزوج [على المرأة] ، قال : ويحك ! لو رَجَعْتِ إليه فوَجَدْتِه تَنْثَعِبُ مَنْخِرَاه[1] قيحًا ودما فَمَصِصْتِ ذلك حتى تُذهبيه مَا أَدَّيْت حقه

إسلام فَرْوَةَ بن عَمْرو الْجُذَامِىّ

قال ابن إسحق : وبعث فَرْوَةُ بن عمرو بن النافرة الجذامى ، ثم النُّفاثى ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولاً بإسلامه ، وأهدى له بَغْلَةً بيضاء ، وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله مُعَان وما حولها من أرض الشام ، فلما بلغ الرومَ ذلك من إسلامه طَلَبوه حتى أخذوه ، فحبسوه عندهم ، فقال فى مَحْبسه ذلك : —

الروم يصلبون فروة و يقتلونه

طَرَقَتْ سُلَيْمَى مَوْهِنًا أَصْحَابِى ... وَالرُّومُ بَيْنَ الْبَابِ وَالْقِرْوانِ[2]
صَدَّ الْخَيَالُ وَسَاءَهُ مَا قَدْ رَأَى ... وَهَمَمْتُ أنْ أُغْفِى وَقَدْ أَبْكَانِى[3]
لاَ تَكْحُلِنَّ الْعَيْنَ بَعْدِىَ إِثْمِدًا ... سَلْمَى ، وَلاَ تَدْنِنَّ لِلْإِتْيَانِ[4]
وَلَقَدْ عَلِمْتَ ، أَبَا كُبَيْشَة ، أَنَّنِى ... وَسْطَ الْأَعِزَّةِ لا يُحَصُّ لِسَانِى[5]

---

(١) تنثعب منخراه : تسيل ، يقال : انثعب الوادى ، اذا تفجر وسال ، ويروى « تنبعث » وهو ظاهر ، والمعنى قريب

(٢) الموهن — بفتح فسكون فكسر الهاء — ما بعد الساعة من الليل ، والقروان — بكسر فسكون — الجماعة وهى كلمة فارسية فى الأصل فعربت

(٣) أغفى : نام نوما خفيفا .

(٤) الاثمد — بكسرتين بينهما سكون — ضرب من الكحل .

(٥) لايحص : أى لايقطع ، يريد أنه لايمنعه أحد الكلام ، ويروى « لايحس » وهو بمعناه.

فَلَئِنْ هَلَكْتُ لَتفقِدُنَّ أخَاكُمُ ‏ وَلَئِنْ بَقِيتُ لَتعرِفُنَّ مَكَانِى
وَلَقَدْ جَمَعْتُ أَجَلَّ مَا جَمَعَ الْفَتَى ‏ مِنْ جَوْدَةٍ وَشَجَاعَةٍ وَبَيَانِ

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماء لهم يقال له عَفرى بفلسطين قال :ـ

أَلاَ هَلْ أَتَى سَلْمَى بِأَنَّ حَلِيلَهَا
عَلَى مَاءِ عَفْرَى فَوْقَ إِحْدَى الرَّوَاحِلِ (١)
عَلَى نَاقَةٍ لَمْ يَضْرِبِ الْفَحْلُ أُمَّهَا ‏ مُشَذَّبَةٍ أَطْرَافُهَا بِالْمَنَاجِلِ (٢)

فزعم الزهرى ابن شهاب أنهم لما قدموه ليقتلوه قال : ـ

بَلِّغْ سَرَاةَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنَّنِى ‏ سِلْمٌ لِرَبِّى أَعْظُمِى وَمَقَامِى

ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الماء [يرحمه الله تعالى]

إسلام بنى الحرث بن كعب

على يدىْ خالد بن الوليد لما سار إليهم

بعث خالد وأمر النبى له

قال ابن إسحق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى شهر ربيع الآخر ، أوجمادى الأولى ، سنة عشر ، إلى بنى الحرث ابن كعب بنجْران ، وأمره أن يدعوهم إلى الاسلام قبل أن يقاتلهم ، ثلاثا ، فلن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يَفعلوا فقاتلهم

فخرج خالد حتى قدم عليهم ، فبعث الرُّكبانَ يَضربون فى كل وجه ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون: أيهاالناس ، أسْلمُوا تَسلمُوا ، فأسلم الناس ودخلوافيما دُعُوا إليه ، فأقام [فيهم] خالد يُعلِّمُهم الاسلام وكتابَ اللهوسنةَ نبيه

---

(١) الحليل ـ بالحاء المهملة ـ الزوج ، وإحدى الرواحل : أراد بها الخشبة التى صلب عليها

(٢) مشذبة : قد أزيلت أغصانها

صلى الله عليه وسلم ، وبذلك كان أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هم أسلموا ، ولم يقاتلوا

كتاب خالد إلى رسول الله

ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم ، لمحمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد ، السلامُ عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، فانى أحمد إليك الله الذى لاإله إلا هو ، أما بعد يارسول الله صلى الله عليك ، فانك بعثتنى إلى بنى الحرث بن كَعْب ، وأمرتنى إذا أتيتُهم أن لاأقاتلهم ثلاثةَ أيام ، وأن أدْعُوَهُم إلى الإسلام، فإن أسلموا [أقمتُ فيهم و] قبلت منهم وعلّمتهم معالم الاسلام وكتاب الله وسُنَّةَ نبيه ، وإن لم يُسْلموا قاتَلْتُهُمْ ، وإنى قدمْتُ عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثةَ أيام كما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعثتُ فيهم رُكبانا [قالوا] : يابنى الحرث ، أسْلِمُوا تَسْلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيمٌ بين أظهُرِهم آمُرُهم بما أمرهم الله به ، وأنهاهم عمانهاهم الله عنه ، وأُعلّمهم معالم الإسلام وسنةَ النبى صلى الله عليه وسلم حتى يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته

جواب رسول الله على كتاب خالد

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبى رسول الله ، إلى خالد بن الوليد ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فان كتابك جاءنى مع رسولك تخبر أن بنى الحرث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى مَا دَعَوْتَهُمْ إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لاإله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله ، وأنْ قَدْ هَدَاهم الله بهُداه ، فَبَشِّرْهُمْ وأنذرهم ، وأقْبِلْ وَلْيُقْبِلْ معك وَفْدُهُمْ ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته »

قدوم خالد بوفد بنى الحرث الى رسول الله

فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه وَفْدُ بنى الحرث بن كعب : منهم قَيْسُ بن الْحُصَيْن ذى الغصة (١) ، ويزيد بن عَبْد الْمَدَانِ ، ويزيد بن الْمُحَجَّل ، وعبد الله بن قُرَاد الزِّيَادِيّ (٢) ، وشَدَّاد بن عبد الله القَنَانى ، وعَمْرو بن عبد الله الضِّبابى ، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآهم قال : « مَنْ هؤلاء القوم الذين كأنهم رجالُ الهند » ؟ قيل : يارسول الله ، هؤلاء [رجال] بنى الحرث بن كعب ، فلما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سَلَّموا عليه ، وقالوا : نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنتم الذين اذا زُجِرُوا اسْتَقْدَمُوا » فسكتوا ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثالثة ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الرابعة ، فقال يزيد بن عبد الْمَدَان : نَعَمْ يارَسُولَ الله نَحْنُ الذين اذا زُجِرُوا اسْتَقْدَمُوا ، قالها أربع مرار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن خالدا لم يكتب إلى أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤسكم تحت أقدامكم » فقال يزيد بن عبد المدان : أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدا ، قال : « فَمَنْ حَمِدْتُمْ » ؟ قالوا : حمدنا الله عز وجل الذى هدانا بك يارسول الله . قال : « صدقتم » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بِمَ كُنْتُمْ

(١) قال ابن سراج : « سمى ذا الغصة لأنه كان إذا تكلم أصابه كالغصص » قال الشيخ أبو ذر : « والغصص : الاختناق » قال : « ووقع فى الرواية هنا ذو الغصة وذى الغصة بالرفع وبالخفض ، والصواب ذى الغصة بالخفض ؛ لأنه نعت للحصين لا لقيس » اهـ

(٢) قال أبو ذر : « وقع هنا بالزاى المفتوحة والباء المنقوطة بواحدة من أسفل ، ويروى أيضا الزيادى بالزاى المكسورة والياء المنقوطة باثنتين من تحتها ، وهو الصواب » اهـ

تَغْلِبُون مَنْ قَاتَلَكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّة » ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحدا ، قال : « بلى ، قَدْ كنتم تغلبون من قاتلكم » قالوا : كنا نغلب من قاتلنا يارسول الله أنا كنا نجتمع ولا نتفرق ، ولا نبدأ أحدا بظلم ، قال : « صدقتم » وأمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى الحرث بن كعب قَيْسَ بن الْحُصَيْن.

فرجع وفد بنى الحرث إلى قومهم فى بقية من شوال ، أو فى صدر ذى القعدة ، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحم وبارك ورضى وأنعم

عهد رسول الله الى عمرو بن حزم حين وجهه الى اليمن

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث إليهم بعد أن وَلّى وفدهم عَمْرَو بن حَزْم لِيُفَقِّهَهُم فى الدين ويعلمهم السنة ومعالم الاسلام ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتابا عهد إليه فيه عهده وأمره فيه بأمره « بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا بَيَانٌ من الله ورسوله ، ياأيها الذين آمنوا أَوْفُوا بِالْعُقُود ، عَهْدٌ من محمد النبى رسول الله لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله فى أمره كله ؛ فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله ، وأن يبشر الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم فيه ، وينهى الناس فلا يَمَسّ القرآن إنسان إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم والذى عليهم ، وَيَلين للناس فى الحق ، ويشتدُّ عليهم فى الظلم ، فان الله كَرِهَ الظلم ونهى عنه ، فقال : أَلَا لَعْنَةُ الله على الظالمين ، ويبشر الناس بالجنة وبعملها ، وينذر الناس النار وعملها ، ويَسْتَأْلِفُ الناس حتى يفقهوا فى الدين ، ويعلم الناس مَعَالِمَ الْحَجِّ وسنته وفريضته وما أمر الله به ، والحجُّ الأكبر الحجُّ الأكبر ، والحجُّ الأصغر هو العمرة ، ويَنْهَى الناس أن يصلى أحد فى ثوب واحد صغير إلا أن يكون ثوباً يَثْنِي طرفيه على عاتقيه ، ويَنْهَى الناس أن يَحْتَبِيَ أحد

فى ثوب واحد يفضى بفرجه إلى السماء ، وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه فى قفاه ، وَيَنْهَى – إذا كان بين الناس هَيْجٌ – عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وَلْيَكُن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لاشريك له ، فمن لم يَدْعُ إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطفوا بالسيف حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لاشريك له ، ويأمر الناس باسباغ الوضوء وُجُوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويَمْسَحُون برؤسهم كما أمرهم الله ، وأمر بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع [والسجود] والخشوع ، ويُغَلِّس بالصبح ، ويُهَجِّر بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصَلاَةُ العصر والشمسُ فى الأرض مُدْبِرة ، والمغرب حين يُقْبل الليل ، لا يُؤَخِّر حتى تبدو النجوم فى السماء ، والعشاءِ أوَّلَ الليل ، وأمر بالسعى إلى الجمعة إذا نودى لها ، والغسل عند الرَّوَاح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغانم خُمُسَ الله وما كتب على المؤمنين فى الصدقة من العَقَار عُشْرَ ماسقت العين وسقت السماء ، وعلى ماسقى الغَرْبُ نصف العشر ، وفى كل عَشْرٍ من الإبل شاتان ، وفى كل عشرين أرْبَعُ شياه ، وفى كل أربعين من البقر بَقَرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تَبِيع جَذَع أو جَذَعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمةوحدها شاةٌ ، فانها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له ، وإنه من أسْلَمَ من يَهُودِىٍّ أو نَصْرَانى إسلاما خالصا من نفسه ودان بدين الإسلام فانه من المؤمنين : له مثل مالهم ، وعليه مثل ماعليهم، ومن كان على نَصْرانيته أو يهوديته فإنه لا يُرَدُّ عنها ، وعلى كل حالم ذكر أو أنثى حُرٍّ أو عَبْد دينارٌ وافٍ أو عِوَضُه ثيابا ، فمن أدَّى ذلك فان له ذِمَّةَ الله وَذِمَّةَ رسوله ، ومن منع ذلك فانه عَدُوٌّ لله ولرسوله والمؤمنين جميعا ، صلوات الله على محمد ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته »

قُدُوم رِفَاعَةَ بن زَيْدٍ الْجُذَامِيّ

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هُدْنَة الْحُدَيْبِيَة قبل خَيْبَر رِفَاعَةُ بن زيد الْجُذَامِى ثم الضُّبَيْبِيُّ ، فأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما ، وأسلم ، فحسن إسلامه ، وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا إلى قومه ، وفى كتابه « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لرفاعة بن زيد ، إنى بَعَثْتُهُ إلى قومه عَامَّةً ومن دخل فيهم: يدعوهم إلى الله و إلى رسوله ، فمن أَقْبَلَ منهم ففى حزب الله وحزب رسوله ، ومَنْ أَدْبَرَ فله أمَانُ شَهْرَيْن » فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحَرَّةِ حَرَّةِ الرَّجْلَاء ، ونزلوها .

كتاب رسول الله لرفاعة بن زيد

[قدوم] وَفْد هَمْدَان

قال ابن هشام : وقدم وَفْدُ هَمْدَان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حدثنى من أثق به ، عن عمرو بن عبد الله بن أُذَيْنَةَ الْعَبْدِى ، عن أبى إسحق السبيعى[(١)] ، قال: قدم وَفْدُ هَمْدَان على رسول الله صلى الله عليه وسلم: منهم مَالِكُ بن نَمَط ، وأبو ثور ، وهو ذو الْمِشْعَار. ومَالِكُ بنُ أَيْفَعَ ، وَضِمَام بن مالك السلمانى ، وَعَمِيرَةُ بْنُ مالك الخارفى ، فَلَقُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

رجال الوفد

---

(١) وقع فى نسخة أوربة « عن ابن إسحق السبيعى » وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه وفاقا لسائر النسخ ، وأبو إسحق السبيعى هو عمرو بن عبد الله الهمدانى السبيعى أبو إسحق الكوفى ، أحد أعلام التابعين ، يروى عن جرير البجلى وعدى بن حاتم وجابر بن سمرة وزيد بن أرقم وطائفة ، ويروى عنه ابنه يونس وحفيده إسرائيل وسليمان التيمى وخلق آخرون ، قال عنه أبو حاتم : ثقة يشبه الزهرى فى الكثرة ، وقال الواقدى : مات سنة سبع وعشرين ومائة .

مَرْجِعَهُ من تَبُوك ، وعليهم مُقَطَّعَاتُ الحِبَرَات والعمائم العَدَنِيَّة برحال المَيْس على المُهْرِيَّة والأرْحَبِيَّة ، ومالكُ بن نَمَطٍ وَرَجُلٌ آخر يَرْتَجِزَانِ بالقوم : يقول أحدهما : —

هَمْدَانُ خَيْرُ سُوقَةٍ وَأَقْيَالْ ليْس لَهَا فِي العَالَمِينَ أَمْثَالْ (١)
مَحَلُّهَا الهَضْبُ وَمِنْهَا الأَبْطَالْ لَهَا أَطَابَاتٌ بِهَا وَآكَالْ (٢)

ويقول الآخر : —

إِلَيْكَ جَاوَزْنَ سَوَادَ الرِّيفِ
فِي هَبَوَاتِ الصَّيْفِ وَالخَرِيفِ (٣)
مُخَطَّمَاتٍ بِحِبَالِ اللِّيفِ (٤)

مالك بن نمط بين يدى النبى يخطب فى شأن قومه ومنزلتهم

فقام مالك بن نَمَطٍ بين يديه ، فقال : يارسول الله ، نصيَّةٌ (٥) من من هَمْدَان من كل حاضرٍ وَبَادٍ أَتَوْكَ على قُلُصٍ (٦) نَوَاجٍ متصلة

(١) السوقة : الذين دون الملوك من الناس ، والأقيال : جمع قيل ـ بفتح فسكون ، وأصله التشديد فخفف ـ والقيل : هو الملك ، ويقال : الأقيال هم الذين يلون الملك فى المنزلة

(٢) الهضب : الأمكنة المرتفعة ، واحدها هضبة ، والأبطال : جمع بطل والأطابات : الأموال الطيبة ، والآكال : ما يأخذه الملك من رعيته وظيفة له

(٣) السواد هنا : القرى الكثيرة الشجر والنخل ، والريف : هو الأرض القريبة من الأنهار والمياه الغزيرة ، والهبوات : جمع هبوة ، وهى الغبرة

(٤) مخطمات : قد جعل لها خطم ، وهى الحبال التى تشد فى رءوس الأبل على آنافها ، والليف : هو ليف النخل

(٥) النصية : خيار القوم

(٦) القلص ـ بضمتين ـ جمع قلوص ، وهو الفتى من الابل ، والنواجى : جمع ناج أو ناجية ، وهو السريع

بحبائل الإسلام ، لاتأخذهم فى الله لومة لائم ، من مِخْلافِ [1] خارفٍ ويامٍ وشاكرٍ ، أهل السود [2] والقود ، أجابوا دعوة الرسول ، وفارقوا الآلهات والأنصاب ، عَهْدُهم لا ينقض ما أقامت لَعْلَع ، وما جرى اليَعْفور بضَلَع [3] .

كتاب رسول الله الى همدان

فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ من رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم لِمخْلافِ خارفٍ وأهل جناب الهَضْب [4] وحِقَافِ الرمل مع وافدها ذى المشعار لمالك ابن نَمَط ومن أسْلَمَ من قومه ، على أن لهم فِرَاعَهَا [5] ووِهَاطَهَا ماأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، يأكلون علافَهَا [6] وَيَرْعَوْنَ عَافِيَهَا ، لهم بذلك عَهْدُ الله وذِمَامُ رسوله ، وشاهدهم المهاجرون والأنصار » فقال فى ذلك مالك بن نَمَط : —

---

(١) المخلاف - بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة - هو المدينة بلغة أهل اليمن ، وخارف ويام وشاكر : قبائل من اليمن

(٢) السود هنا : الابل ، والقود : الخيل

(٣) اليعفور : ولد الظبية ، وضلع : تروى بالضاد المعجمة وبالصاد المهملة ، أما من رواها بالضاد المعجمة فانما أراد القوة ، وذلك مأخوذ من أصل قولك رجل ضليع إذا كان قويا ، وأما من رواها بالصاد المهملة فرأى أنه اسم موضع

(٤) الجناب : الجانب ، والهضب : جمع هضبة ، وهى ما ارتفع من الأرض ، والحقاف - بكسر الحاء المهملة - جمع حقف - بكسر فسكون - وهو ما استدار من الرمل

(٥) الفراع - بكسر الفاء - أعالى الأرض ، والوهاط : المنخفض المطمئن منها ، واحدها وهط

(٦) العلاف : ثمر الطلح ، ومثله العلف ، والعافى : النبات الكثير ، تقول : عفا النبت ، إذا طال وكثر

قصيدة لمالك بن نمط فى مدح النبى ومجيئهم اليه

ذَكَرْتُ رَسُولَ اللهِ فِى فَحْمَةِ الدُّجَى
وَنَحْنُ بِأَعْلَى رَحْرَحَانَ وَصَلْدَدِ (١)

وَهُنَّ بِنَا خُوصٌ طَلَائِحُ تَغْتَلِى
بِرُكْبَانِهَا فِى لَاحِبٍ مُتَمَدِّدِ (٢)

عَلَى كُلِّ فَتْلَاءِ الذِّرَاعَيْنِ جَسْرَةٍ
تَمُرُّ بِنَا مَرَّ الْهِجَفِّ الْخَفَيْدَدِ (٣)

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مِنًى
صَوَادِرَ بِالرُّكْبَانِ مِنْ هَضْبِ قَرْدَدِ (٤)

بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ فِينَا مُصَدَّقٌ
رَسُولٌ أَتَى مِنْ عِنْدِ ذِى الْعَرْشِ مُهْتَدِ

فَمَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا
أَشَدَّ عَلَى أَعْدَائِهِ مِنْ مُحَمَّدِ

وَأَعْطَى إِذَا مَا طَالِبُ الْعُرْفِ جَاءَهُ
وَأَمْضَى بِحَدِّ الْمَشْرَفِىِّ الْمُهَنَّدِ

ذكر الكذابين: مُسَيْلِمَةَ الحنفى، والأسود العَنْسِى

قال ابن إسحق: وقد كان تَكَلَّمَ فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الفحمة ـ بفتح فسكون ـ سواد الليل، وقال بعض أصحاب الحديث: الفحمة لا تكون إلا فى أول الليل، والدجى: جمع دجية، وهى الظلمة، ورحرحان وصلدد: موضعان

(٢) هن: أراد بهن الابل، وخوص: جمع خوصاء، وهى الغائرة العين، وطلائح: جمع طليح، وهى المعيية، وتغتلى: تشتد فى سيرها، وهو بالغين المعجمة، واللاحب: الطريق الواضح

(٣) الجسرة ـ بفتح فسكون ـ الناقة القوية على السير، والهجف ـ بكسر ففتح ففاء مشددة ـ الذكر من النعام، والخفيدد: السريع هنا

(٤) الراقصات: أراد بها الابل، والرقص والرقصان: ضرب من السير فيه حركة، وصوادر: رواجع، الواحد صادر والأنثى بهاء، والقردد: ما ارتفع من الأرض

الكَذَّابان: مُسَيْلِمَةُ بن حَبِيب [الكَذَّاب] باليمامة في بني حَنِيفة، والأَسْوَدُ ابن كَعْب العَنْسِيُّ بِصَنْعَاء.

النبي يرى ليلة القدر ثم ينساها

قال ابن إسحق: حدثني يَزيد بن عبد الله بن قُسَيْط، عن عطاء ابن يَسَار، أو أخيه سليمان بن يسار، عن أبي سعيد الخُدْرِي، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس على مِنْبَرِه، وهو يقول: «أيها الناس، إِنِّي قد رَأَيْتُ ليلة القدر، ثم أُنْسِيتها، ورأيت في ذِرَاعَيَّ سِوَارَين من ذهب، فكرهتهما، فَنَفَخْتُهما. فطارا، فأوَّلْتُهُمَا هذين الكذابين صاحب اليمن وصاحب اليمامة».

قال ابن إسحق: وحدثني من لا أتهم، عن أبي هريرة، أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لاَتَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلاَثُونَ دَجَّالاً كُلُّهُمْ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ»

خروج الأُمَرَاء والعُمَّال على الصدقات

أسماء الامراء وعمال الصدقات على عهد النبي

قال ابن إسحق: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أُمَرَاءه وعُمَّالَهُ على الصَّدَقات إلى كل ما أوطأ الإسلام من البُلْدَان، فبعث المُهَاجِرَ بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء؛ فخرج عليه العَنْسِيُّ، وهو بها، وبعث زياد بن لبيد أخا بني بَيَاضة الأنصاري إلى حَضْرَمَوْت، وعلى صدقاتها، وبعث عَدِيَّ بن حاتم على طيء وصدقاتها، وعلى بني أسد، وبعث مالك ابن نُوَيْرة (قال ابن هشام: اليربوعي) على صَدَقات بني حنظلة، وفَرَّقَ صدقة بني سعد على رَجُلَين منهم: فبعث الزِّبْرِقَانَ ابن بَدْر على ناحية منها، وقَيْسَ بن عاصم على ناحية، وقد بعث العَلاَء ابن الحَضْرمي على البَحْرَيْن، وبعث عليَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى أهل نَجْرَان ليجمع صدقتهم وَيَقْدَمَ عليه بجِزْيَتِهم

كتاب مُسَيْلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والجواب عنه

كتاب مسيلمة إلى رسول الله

وقد كان مُسَيْلِمَةُ بن حَبيب قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مُسَيْلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، سلام عليك، أما بعد، فانى قد أُشْرِكْتُ فى الأمر معك، و إن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكنّ قُرَيْشًا قومٌ يعتدون؛ فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب

سؤال النبي لرسولى مسيلمة

قال ابن إسحق : فحدثنى شيخ من أشجع، عن سَلَمَة بن نُعَيم بن مسعود الأشجعى، عن أبيه نُعيم، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما حين قرأ كتابه : «فما تَقُولان أنتما» ؟ قالا : نقول كما قال، فقال «أما والله لولا أن الرُّسُلَ لاتُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أعناقَكُمَا»

جواب النبي على مسيلمة

ثم كتب إلى مُسَيْلمة : «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مُسيْلمة الكذاب، السلام على من اتَّبَعَ الهدى، أما بعد؛ فإن الأرض لله يُورِثُها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين» وذلك فى آخر سنة عشر

حَجَّةُ الْوَدَاع

وقت خروج النبى للحج

قال ابن إسحق : فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو القعدة تَجَهَّزَ للحج وأمر الناس بالجَهَازِ له، قال : فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم بن محمد، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحج لخمس ليالٍ بقين من ذى القعدة

عامل النبى على المدينة

قال ابن هشام : فاستعمل على المدينة أبا دُجَانَةَ السَّاعِدِىَّ ويقال : سِبَاع بن عُرْفُطَةَ الغفَارِىَّ

قال ابن إسحق : فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه [القاسم بن

محمد] ، عن عائشة ، قالت : لايذكر ولايذكر الناس إلا الحج حتى إذا كان بِسَرِفَ — وقد ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الهدى — وأشرف الناس[1] أمَرَ الناسَ أن يحِلُّوا بعُمْرَة إلامن سَاقَ الْهَدىَ ، قالت: وحِضْتُ ذلك اليوم ، فدخل على وأنا أبكى ، فقال : « مَالَكِ يَاعَائِشَةُ لَعَلَّكِ نُفِسْتِ »قالت : قلت : نعم ، والله لوددت أنى لم أخرج معكم عامى هذا فى هذا السفر ؛ فقال : «لاَ تَقُولِنَّ ذَلِكِ فإنَّكَ تَقْضِينَ كلَّ مَا يَقضى الْحَاجُّ إلاَّ أنَّكِ لَاتطُوفِينَ بِالْبَيْتِ »قالت : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكةَ فَحَلَّ كُلُّ من كان لاهَدْىَ معه ، وحل نساؤه بعمرة ، فلما كان يومُ النَّحْرِ أُتِيتُ بلَحْم بقرٍ كثير فطُرِحَ فى بيتى ، فقلت : ماهذا ؟ قالوا: ذَبَحَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه البقر ، حتى إذا كانت ليلة الْحَصْبَةَ بعث بى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مع أخى عبدالرحمن بن أبى بكر فأعمرنى من التَّنْعيم مكان عُمْرَتى التى فاتتنى

قال ابن إسحق : وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله ابن عمر ، عن حفصة ابنة عمر ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أن يَحْلِلْنَ بعُمْرة قلنا : فما يمنعك يارسول الله أن تحل معنا ؟ فقال : « إنِّى أَهْدَيْتُ وَلَبَّدْتُ فَلاَ أَحِلُّ حَتَّى أَنْحَرَ هَدْيِى »

مُوَافاة علىٍّ رضوان الله عليه فى قُفُوله من اليمن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الحج

قال ابن إسحق : وحدثنى عبدالله بن أبى نَجيح ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بَعَثَ عليا رضى الله عنه إلى نَجْران فلقيه بمكة وقد أحرم ، فدخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها ، فوجدها

(١) فى نسخة «وأشراف من أشراف الناس »

قد حَلَّتْ وَتَهَيَّأَت ، فقال : مالَكِ يابنتَ رسول الله ؟ قالت : أمَرَنَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن نحل بعمرة ، فحللنا ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من الخبر عن سفره ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انطَلِقْ فَطُفْ بِالْبَيْتِ وَحِلَّ كَمَا حَلَّ أَصْحَابُكَ » قال : يارسول الله ، إنى أهلَلْتُ كَمَا أهللتَ ، فقال : « ارْجِعْ فَاحْلِلْ كَمَا حَلَّ أَصْحَابُكَ » قال : يارسول الله ، إنى قلت حين أحرمت : اللهم إنى أُهِلُّ بما أَهَلَّ به نبيك وَعَبْدُك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : « فَهَلْ مَعَكَ مِنْ هَدْيٍ » ؟ قال : لا ، فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هَدْيه وثَبَتَ على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى فرغا من الحج ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الْهَدْيَ عنهما

رسول الله يهدى عن على بن أبى طالب

قال ابن إسحق : وحدثنى يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عمرة ، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ، قال : لما أقبل على رضى الله عنه من اليمن ليلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة تَعَجَّل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسْتَخْلَفَ على جُنْده الذين معه رَجُلاً من أصحابه ، فعمد ذلك الرجل فكَسَا كُلَّ رجل من القوم حُلَّةً من البز الذى كان مع على رضى الله عنه ، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فاذا عليهم الْحُلَل ، قال : ويلك !! ماهذا ؟ قال : كَسَوْتُ القوم ليتجَمَّلُوا به إذا قدموا فى الناس ، قال : ويلك انزع قبل أن تنتهى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فانتزع الْحُلَلَ من الناس فردَّها فى البز ، قال : وأظهر الجيشُ شَكْوَاه لما صنع بهم

جواب النبى لمن شكا عليا

قال ابن إسحق : فحدثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن مَعْمَر بن حزم ، عن سليمان بن محمد بن كعب بن عُجْرَة ، عن عمته زينب بنت كعب — وكانت عند أبى سعيد الخدرى — عن أبى سعيد الْخُدْرى ، قال : اشتكى

الناسُ عليًّا رضوان الله عليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا ، فسمعته يقول : « أيها الناس ، لا تَشْكُوا عليًّا ، فوالله إنه لأَخْشَنُ فى ذات الله » أو « فى سبيل الله [من أن يُشْكَى] »

قال ابن إسحق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حَجّه ، فأرى الناس مَنَاسكهم ، وأعلمهم سُنَن حَجّهم ، وخطب الناس خطبته التى بَينَ فيها ما بين ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيُّهَا النَاسُ ، اسمعوا قولى ، فانى لا أدرى لعَلّى لا ألقا كم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً ، أَيها الناس ، إنَّ دماءكم وأموَالكم عليكم حرام إلى أن تَلْقَوْا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم سَتَلْقَوْنَ ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بَلَّغْتُ ، فمن كانت عنده أمانة فَلْيُؤَدِّهَا إلى مَنِ ائتمنه عليها ، وإنَّ كل رِبًا مَوْضُوعٌ ، ولكن لكم رءوس أموالكم لا تَظْلِمُونَ ولا تُظْلَمُون ، قضى الله أنه لا ربا ، وإن رِبَا عَبّاس بن عبد المطلب مَوْضُوع كله ، وإن كُلّ دم كان فى الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضَعُ دَمُ ابن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته هذيل ، فهو أَوّلُ ما أبدأ به من دماء الجاهلية . أما بعد أيها الناس ، فان الشيطان قد يئس [من] أن يُعْبَدَ بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إنْ يُطَعْ فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس ، إن النسىء زيادةٌ فى الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا يُحِلُّونه عاماً ويُحَرِّمونه عاما ليواطئوا عِدَّةَ ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات وَالأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثْنَا عَشَرَ شهراً ، منها

خطبة الوداع

أربعة حرم : ثلاثة متوالية ، ورَجَبُ مضر [١] الذى بين جمادى وَشعبان ، أما بعد أيها الناس ، فان لـكم على نسائكم حَقًّا ، ولهنّ عليكم حقًّا ، لـكم عليهن أن لا يُوطئن فرشكم أحداً تـكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فان الله قد أذِنَ لـكم أن تَهْجُرُوهُنَّ فى الْمَضَاجع وتضربوهن ضربا غير مُبَرِّح [٢] فان انْتَهَيْنَ فلهن رزقهن وكُسْوَتُهُنَّ بالمعروف ، واسْتَوْصُوا بالنساء خيراً فانهن عندكم عَوَانٍ [٣] لا يَمْلِكْن لأنفسهن شيئاً ، وَإنكم إنما أَخَذْتُمُوهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قَوْلى ، فأنى قد بَلَّغْتُ ، وقد تَرَكْتُ فيكم ما إن اعْتَصَمْتُم به فلن تَضِلُّوا أبداً أمراً بَيِّناً كتابَ الله وسنة نبيه ، أيها الناس اسمعوا قولى واعْقِلُوه ، تَعَلَّمُنَّ أن كلَّ مسلم أخٌ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تَظْلِمُنَّ أنفسكم ، اللهم هل بَلَّغْت » فذكر لى أن الناس قالوا : اللهم نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ »

قال ابن إسحق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : كان الرجل الذى يَصْرُخ فى الناس بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعَرَفَة ربيعةُ بن أمية بن خَلَف ، قال : يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل : أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) إنما أضاف رجبا إلى مضر لأنها كانت تعظمه ، وما كان أحد من العرب يفعل ذلك سواها

(٢) غير مبرح : أى غير شديد ، تقول : برح به الأمر ، إذا اشتد عليه وشق

(٣) عوان : هو جمع عانية ، وهى الأسيرة ، ووقع فى بعض الروايات « عوار » بالراء المهملة ، جمع عارية

يقول : هَلْ تدرون أىّ شهر هذا» فيقوله لهم فيقولون: الشهر الحرام، فيقول له: «قل لهم: إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقَوْا ربكم كحرمة شهركم هذا » ثم يقول : «قل : ياأيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :هل تدرون أى بلد هذا » قال : فيصرخ به ،قال: فيقولون :البلد الحرام ،قال: فيقول «قل لهم: إن الله قد حرّمَ عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تَلقَوْا رَبَّكم كحُرْمة بلدكم هذا » قال : ثم يقول: «قل يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أى يوم هذا »قال : فيقوله لهم ، فيقولون : يوم الحج الأكبر ، قال : فيقول : « قل لهم : إن الله قَدْ حرّمَ عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تَلْقَوْا ربكم كحرمة يومكم هذا »

قال ابن إسحق : حدثنى لَيْثُ بن أبى سُلَيم ، عن شَهْر بن حَوْشَب الأشعرى ، عن عمرو بن خارجة ، قال : بعثنى عَتَّاب بن أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقفٌ بعرَفةَ ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن لُغَامَها (١) لَيقَعُ على رأسى ، فسمعته وهو يقول : « أيها الناس ، إن الله قد أدَّى إلى كل ذى حَقٍّ حَقَّهُ ، وإنه لا تجوز وَصيةٌ لوارث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غيْرَ مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صَرْفاً وَلا عَدْلاً »

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين وقف بعرفة — قال : « هذا الموقف (للجبل الذى هو عليه) وَكُلُّ عَرَفةَ مَوْقِفٌ » وقال — حين وقف على قُزَحَ

(١) اللغام - بزنة غراب - الرغوة التى تخرج من فم البعير

صبيحةَ المزدلفة — « هَذَا الْمَوْقِفُ وَكُلُّ الْمُزْدَلِفَةِ موقف » ثم لما نحر بالمنحر بمنى قال : « هَذَا الْمَنْحَرُ وَكُلُّ مِنًى مَنْحَرٌ » فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج وقد أراهم مناسكهم ، وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حَجِّهم من الموقف وَرَمْى الجمار وطواف البيت ، وما أحل لهم من حَجِّهم وما حَرَّم عليهم ؛ فكانت حجة البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحج بعدها

بَعْثُ أُسَامَةَ بن زَيْد إلى أرض فِلَسْطِين

قال ابن إسحق : ثم قَفَلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم وصفرا ، وضرب على الناس بَعْثًا إلى الشام ، وَأمَّرَ عليهم أُسَامَةَ بن زيد بن حارثة مولاه ، وأمره أن يوطىء الخيل تُخُومَ الْبَلْقَاء والداروم من أرض فِلَسْطِين ، فتجهَّزَ النَّاسُ ، وَأَوْعَبَ مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون

خروج رُسُل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك

قال ابن هشام : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعث إلى الملوك رُسُلاً من أصحابه ، وكتب معهم إليهم يَدْعوهم إلى الاسلام

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به ، عن أبى بكر الْهُذَلى ، قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه ذاتَ يوم بعد عُمْرَته التى صُدَّ عنها يوم الْحُدَيْبية فقال : « أيها الناس ، إن الله قد بعثنى رَحْمَةً وكافَّةً ؛ فلاتختلفوا علىَّ كما اختلف الْحَوَارِيُّون على عيسى بن مريم» فقال أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يارسول الله ؟ قال : « دَعَاهُم إلى الذى دعوتكم إليه ، فأما مَنْ بَعَثَهُ مَبعثاً قريباً فرضى وسلم ، وأما

من بَعَثَهُ مَبْعَثًا بعيدا فكره وَجْهَهُ وتثاقل ، فشكا ذلك عيسى إلى الله فأصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يَتَكَلَّم بلغة الأمة التى بُعِثَ إليها »

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتبا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام ، فبعث دِحْيَةَ ابن خليفة الكَلْبِيَّ إلى قيصر ملك الروم ، وَبَعَثَ عَبْدَ الله بن حُذَافة السَّهْمِيَّ إلى كسرى ملك فارس ، وبعث عَمْرَو بن أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ إلى النَّجَاشِيِّ ملك الحبشة ، وبعث حاطب بن أبى بَلْتَعَةَ إلى المُقَوْقِس ملك الإسكندرية ، وبعث عَمْرَو بن العاص السَّهْمِيَّ إلى جَيْفَر وعياذ ابنى الجُلَنْدَى الأزْدِيَّيْن مَلِكَيْ عُمَان ، وبعث سَلِيط بن عَمْرٍو أحد بنى عامر بن لؤى إلى ثُمَامة بن أثَال وهَوْذَةَ بن على الحَنَفِيَّيْن مَلِكَي اليمامة ، وبَعَثَ العَلاَء بن الحَضْرَمِي إلى المُنْذِرِ بن سَاوَى العَبْدِى ملك البَحْرَيْن ، وبعث شُجَاع بن وَهْب الأسَدِيَّ إلى الحرث بن أبى شمر الغَسَّانى ملك تخوم الشام . رسل رسول الله إلى الملوك

قال ابن هشام: بعث شُجَاع بن وهب إلى جَبَلة بن الأيهم الغَسَّانى، وبعث المُهَاجر بن أبى أُمَيَّة المَخْزُومى إلى الحرث بن عبد كُلاَل الحِمْيَرِيَّ ملك اليمن .

قال ابن هشام : أنا نَسَبْتُ سَلِيطا وَثُمَامة وَهَوْذة والمنذر .

قال ابن إسحق : حدثنى يزيد بن أبى حَبِيب المصرى أنه وجد كتابا فيه [ذكر] من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان وملوك العرب والعجم ، وما قال لأصحابه حين بعثهم ، قال : فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزُّهْرى ، فعرفه ، [و] فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال لهم : « إن الله بعثنى رحمةً وكافَّةً ؛ فأدُّوا عنى يرحمكم الله ،

ولا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم » قالوا : وكيف يارسول الله كان اختلافهم ؟ قال : « دعاهم لمثل مادعوتكم له ؛ فأما من قرّبَ به فأحَبَّ وسلم ، وأما من بَعُدَ به فكرهه وأبى ، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه إليهم » .

رسل عيسى ابن مريم

قال ابن إسحق : وكان مَنْ بعث عيسى بن مريم عليه السلام من الحواريين والأتباع الذين كانوا بعدهم فى الأرض بُطرس الحَوَارِى ، ومعه بُولس ، وكان بولس من الأتباع ولم يكن من الحواريين ، إلى رومية ، وَأَنْدَرَائِس وَمَنْتَا إلى الأرض التى يأكل أهلها الناس ، وتوماس إلى أرض بابل من أرض المشرق ، وفِيبُلِيس إلى قرطاجَنَّة ، وهى إفريقية ، وَيُحَنِّس إلى أفْسُوس قرية الفتية أصحاب الكهف ، وَيَعْقُوبُس إلى أورَاشَلِم ، وهى إيلياء قرية بيت المقدس ، وابن تَلْماء إلى الأعرابية ، وهى أرض الحجاز ، وَسِيمُنْ إلى أرض البربر ، ويهودا ولم يكن من الحواريين جعل مكانَ يُودِسْ.

ذكر جملة الْغَزَوَات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله الْبَكَّائى ، عن محمد بن إسحق المطلبى ، قال :

وكان جميع ماغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعاً وعشرين غزوة ، منها غزوة وَدَّان ، وهى غزوة الأبواء ، ثم غزوة بُوَاطَ من ناحية رَضْوَى ، ثم غزوة الْعُشَيْرَة من بطن يَنْبُعَ ، ثم غزوة بَدْر الأولى

يطلب كُرْزَ بن جابر ، ثم غزوة بدر [الكبرى] التى قتل الله فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بنى سُلَيْم حتى بلغ الكُدْر ، ثم غزوة السويق يطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غَطَفَان وهى غزوة ذى أَمَرّ ، ثم غزوة بحران مَعْدن بالحجاز ، ثم غزوة أُحُد ، ثم غزوة حَمْرَاء الأسد ، ثم غزوة بنى النَّضير ، ثم غزوة ذات الرِّقاع من نَخْل ، ثم غزوة بدر الآخرة ، ثم غزوة دُومَة الجندل ، ثم غزوة الخَنْدَق ، ثم غزوة بنى قُرَيْظَة ، ثم غزوة بنى لَحْيَان من هُذَيل ، ثم غزوة ذى قَرَد ، ثم غزوة بنى الْمُصْطَلَق من خُزَاعة ، ثم غزوة الْحُدَيْبة لا يريد قتالا فصَدَّه المشركون ، ثم غزوة خَيْبَر ، ثم عُمْرَة القضاء ، ثم غزوة الْفَتْح ، ثم غزوة حُنَيْن ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تَبُوك

قاتل منها فى تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقُرَيْظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف

ذكر جملة السرايا والْبُعُوث

وكانت بُعُوثه صلى الله عليه وسلم وسراياه ثمانيا وثلاثين بَيْنَ بَعْثٍ وسريَّة : غزوة عُبَيدة بن الحرث [إلى] أسفل من ثنية المرة ، ثم غزوة حمزة ابن عبدالمطلب [إلى] ساحل البحر من ناحية العيص ، و بعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة ، وغزوة سعد بن أبى وقاص الخَرَّارَ ، وغزوة عبد الله بن جَحْش نخلةَ ، وغزوة زيد بن حارثة القَرَدَة ، وغزوة محمد بن مسلمة كَعْبَ بن الأشرف ، وغزوة مَرْثَد بن أبى مَرْثَد الغَنَوِىّ الرَّجِيعَ ، وغزوة المنذر بن عمرو بئْرَ مَعُونَةَ ، وغزوَة أبى عبيدة بن الجَرَّاح ذَا القَصَّة من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب تُرْبَةَ من أرض بنى عامر ، وغزوة على بن أبى طالب اليَمَنَ ، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبى كلب ليثٍ الكديدَ فأصاب بنى الْمُلَوَّح

خبر غَزْوَة غالب بن عبدالله الليثى بنى الْمُلَوَّح

وكان من حديثها أن يَعْقُوبَ بن عُتْبَةَ بن الْمُغيرة بن الأخنس حدثنى عن مسلم بن عبد الله بن خُبَيْب الْجُهَنى [١] عن جُنْدب بن مُكَيْث الجهنى ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالبَ بن عبدالله الكلبى كلب بن عوف بن ليث ، فى سَرِيَّة كنتُ فيها ، وأمَرَهُ أن يَشُنَّ الغَارة على بنى الْمُلَوَّح ، وهم بالْكَدِيد ، فخرجنا حتى إذا كنا بقُدَيْد لقينا الحرث ابن مالك ، وهو ابن الْبَرْصَاء الليثى ، فأخذناه ، فقال : إنى جئت أريد الاسلام ، ماخرجت إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلنا له : إن تك مُسْلِما فلن يضيرك رِباطُ ليلة ، وإن تك على غير ذلك كُنَّا قد استوثقنا منك ، فَشَدَدْنَاه رباطا ، ثم خلفنا عليه رجلا من أصحابنا أسود ، وقلنا له : إن عَازَّكَ [٢] فاحْتَزَّ رأسه ، قال : ثم سرنا حتى أتينا الْكَدِيد عند غروب الشمس ، فَكُنَّا فى ناحية الوادى ، وبعثنى أصحابى رَبِيئَةً لهم ، فخرجت حتى آتى تَلاًّ [٣] مشرفا على الحاضر ، فأسْنَدْتُ [٤] فيه فَعَلَوْتُ فى رأسه ، فنظرت إلى الحاضر ، فوالله إنى لَمُنْبَطِح على التل إذ خرج رجلٌ منهم من خبائه ، فقال لامرأته : انى لأرى على التل سوادا مارأيته فى أول يومى ، فانظرى إلي أوعيتك هل تَفْقِدِين منها شيئاً ، لاتكون

---

(١) فى أكثر أصول الكتاب : « عن مسلم بن عبد الله بن خبيب ، عن المنذر عن جندب بن مكيث » بزيادة قوله « عن المنذر » وهو خطأ ، قال الخزرجى : « مسلم بن عبد الله بن خبيب بمعجمة مصغرا : عن جندب بن مكيث ، وعنه يعقوب بن عتبة الثقفى مجهول » اه

(٢) عازك : غالبك ، ومنه قوله تعالى : (وعزنى فى الخطاب) أى : غلبنى

(٣) التل : المرتفع من رمل وتراب ، والحاضر : الجماعة النازلون على الماء

(٤) أسندت : ارتفعت ، ووقع محرفا « فاستندت »

الـكلاب جرت بعضها ، قال : فنظرتْ فقالت : لا ، والله ماأفقد شيئا ، قال : فناولينى قَوْسى وسَهْمَين، فناولته ، قال : فأرسل سَهْمًا ، فوالله ماأخطأ جنبى،فأنْزِعُهُ فأضَعُه وثَبَتُّ مكانى ، قال:ثم أرسل الآخر فوضعه فى منكبى، فأنْزِعُهُ فأَضَعُهُ وثَبَتُّ مَكانِى ، فقال لامرأته : لوكان رِيئة[1] لقد تحرك ، لقدخالطه سَهْماىَ لاأبالكِ إذا أصْبَحْتِ فابتغيهما فَخُذِيهما لا تُمَضِّغُهما علىَّ الـكلاب ، قال : ثم دخل ، قال : وأمهلناهم حتى إذا اطمأنوا وناموا وكان فى وَجْـه السَّحَر شَنَنَّا[2] عليهم الغارة ، قال : فقتلنا واسْتَقْنَا النَّعَمَ، وخرج صَرِيخُ[3] القوم فجاءنا دَهْمٌ[4] لاقِبَلَ لنابه ، ومضينا بالنَّعَم، ومررنا بابن الْبَرْصاَء وصاحبه ، فاحتملناهما مَعَنَا ، قال : وَأَدْرَكَنَا الْقَوْمُ حتى قربوا منا ، قال : فما بيننا و بينهم إلا وادى قُدَيْد، فأرسل الله الوادى بالسَّيْل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سَحَابة نراها ولا مطر ، فجاء بشىء ليس لأحدٍ بهقوة ، ولا يقدر أحدأن يجاوزه ، فوقفوا ينظرون إلينا و إنا لنسوق نَعَمَهُم: مايستطيع منهم رجل أن يجيز إلينا ونحن نَحْدُوها سراعا حتى فُتْنَاهم ، فلم يقدروا على طلبنا ، قال: فقدمنا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم

شعار أصحاب رسول الله

قال ابن إسحق : وحدثنى رجل من أسلم عن رجل منهم أن شعار[5]

---

(١) الريئة: الطليعة الذى ينظر لأصحابه ، وقدوقع فى بعض الروايات « لو كان زائلة » يريد لو كان شيئا يزول عن مكانه إنسانا أو حيوانا لـكان ينبغى أن يتحرك

(٢) شننا عليهم الغارة : فرقناها عليهم ، يريد أتيناهم من كل ناحية

(٣) الصريخ : المستغيث ، وقد يكون الصريخ المغيث والاغاثة، قال الشاعر : ـ

كانَ الصَّرِيخَ لَهُ قَرْعُ الظَّنَابِيبِ

(٤) دهم : جمع كثيف

(٥) شعارهم : علامتهم التى يعرف بها بعضهم بعضا

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة « أَمِتْ أَمِتْ » فقال راجز من المسلمين وهو يحدوها : —

أَبَى أَبُو الْقَاسِمِ أَنْ تَعَزَّبِي[1] فِي خَضِلٍ نَبَاتُهُ مُغْلَوْلِبِ[2]

* صُفْرٍ أَعَالِيهِ كَلَوْنِ الْمُذْهَبِ

قال ابن هشام : ويروى « كلون الذَّهَبِ »

[تم خبر الغزاة ، وعدت إلى ذكر تفصيل السرايا والبعوث]

عود الى ذكر السرايا والبعوث

قال ابن إسحق : وغزوة على بن أبى طالب رضى الله عنه بنى عبدالله ابن سعد من أهل فَدَكَ ، وغزوة أبى الْعَوْجَاء السُّلَمِيِّ أرضَ بنى سُلَيم أصيب بها هو وأصحابه جميعا ، وغزوة عُكَّاشَةَ بن مِحْصَن الْغَمْرَةَ ، وغزوة أبى سَلَمَةَ بن عبد الأسد قَطَنًا ماء من مياه بنى أسد من ناحية نجد ، قُتِلَ بها مَسْعُود بن عروة ، وغزوة محمد بن مَسْلَمَةَ أخى بنى حارثة الْقُرَطَاء من هَوَازن ، وغزوة بَشِير بن سعد بن مُرَّة بفَدَكَ ، وغزوة بشير بن سعد ناحيةَ خيبر ، وغزوة زيد بن حارثة الْجَمُومَ من أرض بنى سُلَيم ، وغزوة زيد بن حارثة جُذَامَ من أرض خُشَيْنٍ

قال ابن هشام : عن نفسه ، والشافعى عن عمرو بن حبيب عن ابن إسحق : من أرض حِسْمَى

---

(١) تعربى : تروى بالراء المهملة وبالزاى ، فأما من رواه بالراء المهملة فمعناه أن تترددى المرة بعد المرة ، تقول : عربت عليه القول ، إذا رددته ، وأما من رواه بالزاى فمعناه أن تقيمى فى المرعى ، تقول : تعزب فى المرعى ، إذا أقام فيه ولم يرجع لأهله

(٢) الخضل : النبات الأخضر المبتل ، والمغلولب : الكثير الذى يغلب الماشية ، والبيت خطاب للنعم التى استاقوها

غزوة زيد بن حارثة إلى جُذَام

قال ابن إسحق : وكان من حديثها — كما حدثنى من لا أتهم ، عن رجال من جُذَام كانوا علماء بها — أن رفاعة بن زَيْد الجُذَامى لما قدم على قومه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الاسلام فاستَجَابُوا له ، [ثم] لم يلبث أن قدم دِحْيَةَ بن خَلِيفَة الكَلْبِىّ من عند قَيْصَر صاحب الروم حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ومعه تجارة له حتى إذا كانوا بوادٍ من أوديتهم يقال له شِنَار أغار على دِحْيَةَ بن خليفة الْهُنَيْدُ بن عُوص وابنه عُوصُ بن الهنيد الضُّلَعِيّانِ (وَالضُّلَيْع: بطن من جُذَام) فأصابا كل شىء كان معه ، فبلغ ذلك قَوْماً من الضُّبَيْب رهطِ رفاعةَ بن زيد ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الْهُنَيْدِ وابنه ، فيهم من بنى الضُّبَيْب: النُّعْمَانُ بن أبى جِعال ، حتى لقوهم ، فاقتتلوا ، وانتمى يومئذ قُرَّةُ بن أشقر الضِّفَارِى ثم الضُّلَعى ، فقال : أنا ابن لُبْنَى ، ورمى النعمان بن أبى جِعال بسهم ، فأصاب ركبته ، فقال حين أصابه : خذها وأنا ابن لُبْنَى ، وكانت له أم تدعى لُبْنَى ، وقد كان حَسَّان بن مِلَّة الضُّبَيْبِى قد صحب دِحْيَةَ بن خليفة قبل ذلك فعلمه أم الكتاب

قال ابن هشام : ويقال : قُرَّة بن أشقر الضِّفَارى وحَيَّان بن مِلَّة

قال ابن إسحق : حدثنى من لا أتهم ، عن رجال من جُذَام ، قال : فاستَنْقَذوا ما كان فى يد الْهُنَيْد وابنه ، فردُّوه على دِحْيَة ، فخرج دِحْيَةُ حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره خبره ، واستسقاه دم الْهُنَيْد وابنه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم زَيْدَ بن حارثة ،

وذلك الذى هَاجَ غَزْوَةَ زيدٍ جُذَامَ ، وبعث معه جَيْشاً ، وقد وَجَّهت غطفانُ من جُذَام ووَائل ومن كان من سلامان وسعد بن هُذَيم — حين جاءهم رفاعة بن زيد بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — حتى نزلوا الحَرَّةَ حَرَّةَ الرَّجلاء ، ورفاعة بن زيد بكُرَاع رِيَّةَ لم يعلم ، ومعه ناسٌ من بنى الضُّبيب ، وَسائرُ بنى الضُّبيب بوادى مَدَان من ناحية الحَرَّةِ مما يَسِيل مُشَرِّقاً ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأوْلاَج فأغار بالمَاقِصِ من قِبَل الحَرَّة ، فجمعوا ما وجـدوا من مال أو أُناس ، وقتلوا الهُنَيْدَ وابنه ورجلين من بنى الأخيف

قال ابن هشام : من بنى الأحنف (١)

قال ابن إسحق فى حديثه : ورَجُلًا من بنى خَصِيب ، فلما سمعت بذلك بنو الضُّبَيْب والجيشُ بفَيْفَاء مَدَان رَكِبَ نَفَرٌ منهم ، وكان فيمن ركب حَسَّان بن مِلَّة على فرس لسويد بن زيد يقال لها العَجَاجة ، وَأُنَيْفُ بن مِلَّة على فرس لملة يقال له رِغَال ، وأبو زيد بن عمرو على فرس له يقال لها شَمِرٌ ، فانطلقوا حتى إذا دَنَوْا من الجيش قال أبو زيد وحسان لأنيف بن مِلَّة : كُفَّ عَنَّا وانصرف ؛ فانا نخشى لسانك ، فوقف عنهما ، فلم يَبْعُدَا منه حتى جعلَتْ فرَسُهُ تَبْحَثُ بيديها وَتَوَثَّبُ ، فقال : لأنا أضَنُّ بالرجلين منك بالفَرَسين ، فأرخى لها حتى أدركهما ، فقالا له : أما إذْ فَعَلْتَ ما فعلت فَكُفَّ عنا لسانك ولا تَشْأَمْنَا اليوم ، فتَوَاصَوْا أن لا يتـكلم منهم إلا حسان بن مِلَّة ، وكانت بينهم كلمة فى الجاهلية قد عَرَفَهَا بعضهم من بعض : إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال :

(١) وقع فى بعض النسخ فى رواية ابن إسحق « بنى الأحنف » بالحاء المهملة والنون ، وفى رواية ابن هشام « بنى الأخنف » بالخاء المعجمة والنون

بورى ، أو نورى ، فلما بَرَزُوا على الجيش أقبل القومُ يبتدرونهم ، فقال لهم حسان : إنا قوم مُسْلمون، وكان أول من لقيهم رجلٌ على فرس أدْهَمَ، فأقبل يَسُوقهم ، فقال أُنَيفٌ : بورى ، فقال حسان : مَهْلاً ، فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسان : إنا قوم مسلمون ، فقال له زيد : فاقرأ أم الكتاب ، فقرأها حسان ، فقال زيد بن حارثة : نادوا فى الجيش إن الله قد حرَّمَ علينا ثُغْرَةَ القَوْمِ (١) التى جاءوا منها إلا من ختر (٢)

قال ابن إسحق : وإذا أُخْتُ حَسَّان بن مِلَّةَ — وهى امرأة أبى وَبْر ابن عدى بن أمية بن الضبيب — فى الأسارى ، فقال له زيد : خذها ، وأخذَتْ بِحَقْوَيه (٣) ، فقالت أم الفِزْرِ الضُّلَعية : أتنطلقون ببناتكم وتَذَرُونَ أمهاتكم ؟ فقال أَحدُ بنى الخَصِيب : إنها بنو الضُّبيب وسِحْرُ ألسنتهم سائر اليوم ، فسمعها بعض الجيش ، فأخبر بها زيد بن حارثة ، فأمر بأُخْتِ حَسَّان ففُكَّتْ يداها من حَقْوَيه (٣) ، وقال لها : اجلسى مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكُنَّ حُكْمَهُ ، فرجعوا ، وَنَهى الجيشَ أن يهبطوا إلى واديهم الذى جاءوا منه ، فأمْسَوْا فى أهليهم ، وَاسْتَعْتَمُوا ذَوْدًا (٤) لسُوَيد بن زيد ، فلما شربوا عَتَمَتَهُمْ ركبوا إلى رفاعة بن زيد ، وكان ممن ركب إلى رفاعة بن زيد تلك الليلةَ : أبو زيد بن عمرو ، وأبو شَمَّاس ابن عمرو ، وَسُوَيد بن زيد ، وَبَعْجَة بن زيد ، وبَرْذَعُ بن زيد ، وَثَعْلَبَة

---

(١) ثغرة القوم : ناحيتهم التى يحمونها

(٢) ختر : خاس ونقض العهد

(٣) الحقو - بفتح فسكون - الخصر

(٤) استعتموا : انتظروا به وقت العتمة ، والذود : ما بين الثلاث إلى العشر من الابل

ابن زيد[١] وَمُخَرِّبَة بن عَدِىّ، وَأُنَيْفُ بن مِلَّة، وَحَسَّان بن مِلَّة، حتى صَبَّحُوا رفاعةَ بن زيد بكُرَاعِ رِبَّةَ بِظَهْرِ الحَرَّة على بئر هنالك من حَرَّة لَيْلَى، فقال له حسان بن مِلَّة: إنك لجالس تَحْلُبُ المِعْزَى ونساء جُذَام أُسَارَى قد غرَّها كتابك الذى جئتَ به، فدعا رفاعةُ بن زيد بجمل له، فجعل يَشُدُّ عليه رَحْلَهُ وهو يقول: —

* هَلْ أَنْتَ حَىٌّ أَوْ تُنَادِى حَيًّا *

ثم غدا وهم معه بأمية بن ضَفَارة أخى الخُصَيبى المقتول مُبَكِّرِين من ظَهْرِ الحَرَّة، فساروا إلى جَوْف المدينة ثلاث ليال، فلما دخلوا المدينة وَانْتَهَوْا إلى المسجد نظر إليهم رجلٌ من الناس فقال: لا تُنِيخُوا إبلكم فَتُقَطَّعَ أَيديهنَّ، فنزلوا عنهن وَهُنَّ قيام، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم أَلاحَ إليهم[٢] بيده أن تَعَالَوْا من وراء الناس، فلما استفتح رفاعةُ بن زَيْدٍ المنطق قام رجل من الناس فقال: يارسول الله، إن هؤلاء قومٌ سَحَرَة، فردَّدها مرتين، فقال رفاعة بن زيد: رحِمَ الله من لم يَحْذُنا فى يومه هذا إلا خيرا[٣]، ثم دفع رفاعةُ [بن زيد] كتابه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان كتبه له فقال: دُونَكَ يارسول الله قَدِيماً كتابه حديثاً غَدْرُه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، « اقرَأْهُ يا غُلَامُ وَأَعْلِنْ » فلما قرأ كتابه استخبرهم، فأخبروه الخبر،

---

(١) فى نسختين من أصول الكتاب « بن عمرو »

(٢) ألاح لهم: أشار، ويقال: ألاح البرق، إذا تحرك واضطرب، وقد يجىء ألاح فى موضع آخر بمعنى أشفق

(٣) لم يحذنا إلا خيرا: يريد لم يعطنا من كلامه ومشورته إلا خيرا، والحذو: العطاء، والحذية: العطية

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَيْفَ أَصْنَعُ بِالْقَتْلَى » ثلاث مرار ، فقال رفاعة : أنت يارسول الله أعلم ، لا نُحَرِّم عليك حَلالاً ، ولا نحلُّ لك حراماً ، فقال أبو زيد بن عمرو : أَطْلِقْ لنا يارسول الله من كان حَيًّا ، ومن قُتِلَ فهو تحت قَدَمى هذه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « صَدَقَ أَبُو زَيْدٍ ، ارْكَبْ مَعَهُمْ يَا عَلِيّ » فقال على رضى الله عنه : إِنَّ زَيْداً لن يطيعنى يارسول الله ، قال : « خُذْ سَيْفِي هٰذَا » فأعطاه سيفه فقال على : ليس لى يارسول الله راحلة أركبها ، فحملوه على بعير لِثَعْلَبَةَ ابن عمرو يقال له مِكْحَال ، فخرجوا ، فاذا رسولٌ لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبى وَبْر يقال لها الشَّمِرُ ، فأنزلوه عنها ، فقال : ياعلى ، ماشأنى ؟ فقال : مَا لَهُمْ عَرَفُوه فأخذوه ، ثم ساروا فلقوا الجيشَ بِفَيْفَاءِ الْفَحْلَتَيْنِ ، فأخذوا مافى أيديهم ، [حتى] كانوا ينزعون لُبَيْدَ المرأة من تحت الرَّحْل ، فقال أبو جِعال حين فرغوا من شأنهم : —

وَعَاذِلَةٍ وَلَمْ تَعْذِلْ بِطِبٍّ وَلَوْلاَ نَحْنُ حُشَّ بِهَا السَّعِيرُ (١)
تُدَافِعُ فِي الْأَسَارَى بِابْنَتَيْهَا وَلاَ يُرْجَى لَهَا عِتْقٌ يَسِيرُ
وَلَوْ وُكِلَتْ إِلَى عُوصٍ وَأَوْسٍ
لَحَارَ بِهَا عَنِ الْعِتْقِ الْأُمُورُ (٢)
وَلَوْ شَهِدَتْ رَكَائِبَنَا بِعِصْرٍ تُحَاذِرُ أَنْ يُعَلَّ بِهَا الْمَسِيرُ (٣)

(١) العاذلة : اللائمة ، والطب هنا : الرفق ، وقوله « حش » بالبناء للمجهول ـ أى أوقد ، تقول : حششت النار ، إذا أوقدتها ، والسعير : تلهب النار

(٢) لحاربها : معنى حارهنا رجع ، ومنه قوله تعالى : (إنه ظن أن لن يحور)

(٣) يعل : يكرر ، وأصل العل ما يقابل النهل ، والنهل : الشرب أول مرة ، والعل : الشرب ثانيا

وَرَدْنَا مَاءَ يَثْرِبَ عَنْ حِفَاظٍ   لِرِبْعٍ إِنَّهُ قَرَبٌ ضَرِيرُ [١]
بِكُلِّ مُجَرَّبٍ كَالسِّيدِ نَهْدٍ   عَلَى أَقْتَادِ نَاجِيَةٍ ضَبُورِ [٢]
فِدًى لِأَبِي سُلَيْمَى كُلُّ جِبْسٍ   بِيَثْرِبَ إِذْ تَنَاطَحَتِ النُّحُورُ [٣]
غَدَاةَ تَرَى الْمُجَرَّبَ مُسْتَكِيناً   خِلَافَ الْقَوْمِ هَامَتُهُ تَدُورُ

قال ابن هشام : قوله « ولا يرجى لها عتق يسير » وقوله « عن العتق الأمور » عن غير ابن إسحق .

تمت الغزاة وعُدْنا إلى تفصيل ذكر السرايا والبعوث

عود الى ذكر السرايا والبعوث

قال ابن إسحق ، وغزوة زَيْدِ بن حارثة أيضا الطَّرَفَ من ناحية نَخْلٍ من طريق العراق

غزوة زَيْد بن حارثة بنى فَزَارَةَ ومُصَابُ أمِّ قِرْفَةَ

وغزوة زيد بن حارثة أيضا وَادِيَ القُرَى لقى به [بنى] فَزَارَةَ فأصيب بها ناسٌ من أصحابه وَارْتُثَّ [٤] زيد من بين القتلى ، وفيها أصيب وَرْدُ بن

---

(١) الحفاظ ـ بزنة كتاب ـ الغضب ، والربع : أن ترد الابل الماء لأربعة أيام ، والقرب : السير فى طلب الماء ، وضرير : هنا بمعنى ضار ، فعيل بمعنى فاعل

(٢) السيد ـ بكسر السين ـ الذئب ، ونهد ـ بفتح فسكون ـ أى غليظ والأقتاد : أداة الرحل ، والناجية ، السريعة ، وأراد بها ناقة ، وضبور تروى هذه الكلمة بالضاد المعجمة وتروى بالصاد المهملة ، فأما من رواها بالمعجمة فأراد أنها موثقة الخلق ، وهو من أوصاف الناجية ، فنى البيت إقواء ، وأما من رواه بالمهملة فهو صيغة مبالغة من الصبر

(٣) الجبس ـ بالجيم والباء والسين المهملة ـ الجبان اللئيم ، والنحور الصدور

(٤) ارتث زيد ـ بالبناء للمجهول ـ رفع من بين القتلى وبه بقية حياة

عمرو بن مَدَاش ، وكان أحد بنى سعد بن هُذَيل ، أصابه أحد بنى بدر

قال ابن هشام : سعد بن هُذَيم .

قال ابن إسحق : فلما قدم زيد بن حارثة آلى أن لا يَمَسَّ رَأْسَهُ غِسْلٌ من جنابة حتى يَغْزُوَ بنى فَزَارة ، فلما اسْتَبَلَّ من جراحه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى فزارة في جيش ، فَقَتَلَهُمْ بوادى القُرَى ، وأصاب فيهم ، وقتل قيسُ بن المُسَحَّر اليَعْمُرِىُّ مَسْعَدَةَ بن حَكَمَةَ بن مالك بن حُذَيفةَ بن بدر ، وأُسِرت أُمُّ قِرْفَةَ فاطمةُ بنت ربيعة بن بدر ، كانت عجوزا كبيرة عند مالك بن حذيفة بن بدر ، وبنتٌ لها ، وعَبْدُ الله بن مَسْعَدة . فأمر زيد بن حارثة قَيْس بن المسحَّر أن يقتل أُمَّ قِرْفة ، فقتلها قتلاً عنيفا ، ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنة أمِّ قرفة وبابن مسعدة ، وكانت بنتُ أم قرفة لِسَلَمَةَ بن عمرو بن الأكوع ، كان هو الذى أصابها ، وكانت فى بيت شَرَفٍ من قومها ، كانت العرب تقول : لَوْ كُنتَ أَعَزَّ مِنْ أُمِّ قِرْفَةَ مازدتَ ، فسألها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سَلَمَةُ ، فوهبها له ، فأهداها لخاله حَزْن بن أبى وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حزن . فقال قَيْسُ بن المُسَحَّر فى قتل مَسْعَدَةَ : —

سَعَيتُ بِوَرْدٍ مِثْلَ سَعْىِ ابْنِ أُمِّهِ
وَإِنِّى بِوَرْدٍ فِى الحَيَاةِ لَثَائِرُ (١)

---

(١) ورد : يجوز أن يكون اسم فرسه ، ويجوز أن يكون وصفا ، تقول : فرس ورد ، إذا كان بين الكميت والأشقر ، وهو بفتح الواو وسكون الراء ؛ وثائر : آخذ بالثأر

كَرَرْتُ عَلَيْهِ الْمُهْرَ لَمَّا رَأَيْتُهُ ... عَلَى بَطَلٍ مِنْ آلِ بَدْرٍ مُغَاوِرِ (١)
فَرَكَّبْتُ فِيهِ قَعْضَبِيًّا كَأَنَّهُ ... شِهَابٌ بِمَعْرَاةٍ يُذَكَّى لِنَاظِرِ (٢)

غزوة عبد الله بن رَوَاحة لقتل الْيُسَيْر بن رِزَام

وغزوة عبد الله بن رَوَاحة خَيْبَرَ مرتين : إحداهما التى أصاب فيها الْيُسَيْر بن رِزَام .

[قال ابن هشام : ويقال : ابن رازم].

وكان من حديث الْيُسَيْرِ بن رِزَام أنه كان بخيبر يجمع غَطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن رَوَاحة فى نفرٍ من أصحابه ، منهم عبدُ الله بن أُنَيْسٍ حليفُ بنى سَلِمَة ، فلما قدموا عليه كَلَّمُوهُ وَقَرَّبوا له ، وقالوا له : إنك إن قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك وأكرمك ، فلم يزالوا به حتى خرج معهم فى نفرٍ من يهود ، فحمله عبدُ الله بن أُنَيْس على بعيره ، حتى إذا كانوا بالْقَرْقَرة من خَيْبَر على ستة أميال ندم الْيُسَيْر بن رِزَام على مسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَفَطِن له عبد الله بن أنيس ، وهو يريد السيف ، فاقتحم به ، ثم ضربه بالسيف فقطع رجله ، وضربه الْيُسَيْرُ بِمِخْرَشٍ (٣)

---

(١) « على بطل » هذا بدل من قوله فى أول البيت « عليه » والبطل الشجاع ، والمغاور : الكثير الغارة على الأعداء.

(٢) القعضبي : السنان ، منسوب إلى قعضب - بزنة جعفر - وهو رجل كان يصنع الأسنة ، والمعراة : الموضع الذى لايستره شيء ، وهى بفتح الميم وسكون العين المهملة ، ويذكى : يوقد ، ووقع فى نسخه أوربة « بمعزاه » وكأنهم حسبوا أن هذه الهاء هاء الغائب ، وهو خطأ

(٣) المخرش - بزنة منبر - وفى بعض النسخ « بمخراش » بزنة منشار وهو اسم آلة من الخرش ، والخرش : الخدش ، تقول : خرشه خرشا ، إذا خدشه

فى يده من شَوْحَطٍ [1] فأمَّه [2] ، ومال كُلُّ رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله ، إلا رجلا واحدا أفلت على رجليه ، فلما قدم عبدُ الله بن أُنَيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم تَفَل [3] على شَجَّتِه فلم تَقِحْ [4] ولم تُؤْذِهِ

وغزوة عبد الله بن عتيك خيبر ، فأصاب بها أبا رافع بن أبى الحُقَيق

غزوة عبد الله بن أُنَيس لقتل خالد بن سفيان بن نُبَيح الهُذَلى

غزوة عبدالله بن أنيس خالداً الهذلى

وغَزوة عبد الله بن أنيس خَالدَ بن سفْيان بن نُبَيْح ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وهو بنَخْلَة أو بعُرَنَةَ يجمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم الناسَ ليغزوه فقتله

قال ابن إسحق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : قال عبدُ الله ابن أُنَيْسٍ : دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « إنَّهُ قَدْ بَلَغَنِى أنَّ ابْنَ سُفْيَانَ بْن نُبَيْحٍ الهُذَلِى يَجْمَعُ لِى النَّاسَ لِيَغْزُوَنِى وَهُوَ بنَخْلَةَ ، أوْ بعُرَنَةَ ، فَأْتِهِ فَاقْتُلْه » قلت : يارسول الله ، انْعتْه لى حتى أعرفه ، قال : « إنَّكَ إذَا رَأَيْتَهُ أَذْكَرَكَ الشَّيْطَانَ ، وَآيَةُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أنَّكَ إذَا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ قُشَعْرِيرَةً » [5] قال : فخرجت مُتَوَشِّحًا سيفى حتى دفعت إليه وهو فى ظُعُنٍ [6] يرتاد لهن [7] منزلا ،

---

(١) الشوحط - بزنة كوثر - شجر من أشجار النبع

(٢) أمه - مثل شده وشجه - جرحه فى رأسه

(٣) تفل : بصق بصاقا خفيفا

(٤) لم تقح : لم يتولد فيها قيح

(٥) القشعريرة - بزنة الطمأنينة - رعدة وارتعاش كارتعاش المحموم

(٦) الظعن - بضم الظاء والعين المهملة - جمع ظعينة ، وهى المرأة فى الهودج ، وقد يقال للمرأة ظعينة وإن لم تكن فى الهودج كما هنا

(٧) يرتاد : يطلب ، والمنزل : موضع النزول

وحيث كان وقت العصر ، فلما رأيته وجدت ما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القشعريرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تكون بينى و بينه مُحَاوَلَة تشغلنى عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشى نحوه أُومِئ برأسى ، فلما انتهيت إليه قال : مَنِ الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك و بجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك ، قال : أجَلْ [١] إنى لنى ذلك ، قال : فَمَشَيْت معه شيئاً ، حتى إذا أمكننى حملت عليه بالسيف ، فقتلته ، ثم خرجت وتركت ظعائنه مُنْكَبَّاتٍ عليه ، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآنى قال : « أَفْلَحَ الْوَجْهُ » قلت : قد قتلته يارسول الله ، قال : « صَدَقْتَ » ثم قام بى فأدخلنى بيته ، فأعطانى عَصًا ، فقال : « أَمْسِكْ هٰذِهِ الْعَصَا عِنْدَكَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ أُنَيْسٍ » قال : فخرجت بها على الناس فقالوا : ماهذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرنى أن أمسكها عندى ، قالوا : أفلا ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسأله لم ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله، لم أعطيتنى هذه العصا ؟ قال : « آيَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ أَقَلَّ النَّاسِ الْمُتَخَصِّرُونَ [٢] يَوْمَئِذٍ » قال : فقرنها عبد الله بن أُنَيْس بسيفه ، فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فضُمَّت فى كفنه ، ثم دفنا جميعا .

قال ابن هشام : وقال عبد الله بن أُنَيْس في ذلك : —

---

(١) أجل : كلمة جواب مثل نعم

(٢) المتخصرون : المتكئون على المخاصر ، وهى العصى ، واحدتها مخصرة — بزنة مكنسة —

تَرَكْتُ ابْنَ ثَوْرٍ كَالْحُوَارِ وَحَوْلَهُ
نَوَائِحُ تَفْرِى كُلَّ جَيْبٍ مُقَدَّدِ (١)
تَنَاوَلْتُهُ وَالظُّعْنُ خَلْفِى وَخَلْفَهُ
بِأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مُهَنَّدِ (٢)
عَجُومٍ لِهَامِ الدَّارِعِــينَ كَأَنَّه
شِهَابُ غَضًا مِنْ مُلْهَبٍ مُتَوَقِّدِ (٣)
أَقُولُ لَهُ وَالسَّيْفُ يَعْجُمُ رَأْسَهُ :
أَنَا ابْنُ أُنَيْسٍ فَارِساً غَيْرَ قُعْدَدِ (٤)
أَنَا ابْنُ الَّذِى لَمْ يُنْزِلِ الدَّهْرُ قِدْرَهُ
رَحِيبُ فِنَاءِ الدَّارِ غَيْرُ مُزَنَّدِ (٥)

---

(١) الحوار ـ بزنة غراب ـ ولد الناقة إذا كان صغيرا ، وتفرى: تقطع

(٢) بأبيض : يريدبه سيفا ، والمهند : المنسوب إلى الهند ، ويقولون : سيف هندى وهندوانى ومهند

(٣) عجوم : هو من صفات الأبيض ، وهذه صيغة مبالغة من العجم وهو العض وزنا ومعنى ، والهام هنا : الرؤس ، والشهاب ـ بزنة كتاب ـ القطعة من النار ، والغضا : شجر يشتد التهاب النار فيه ، والملهب : اسم مفعول من ألهبته إذا أوقدت فيه النار

(٤) القعدد : اللئيم الدنىء القاعد عن الحرب والمكارم ، وقال الشاعر :ـ

دَعَانِى أَخِى والْخَيْلُ بَيْنِى وَبَيْنَهُ   فَلَمَّا دَعَانِى لَمْ يَجِدْنِى بِقُعْدَدِ

(٥) رحيب : متسع ، وأصله من الرحب وهو الفضاء ، والمزند : الضيق البخيل

وَقُلْتُ لَهُ خُذْهَا بِضَرْبَةِ مَاجِدٍ
حَنِيفٍ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ (١)
وَكُنْتُ إِذَا هَمَّ النَّبِيُّ بِكَافِرٍ سَبَقْتُ إِلَيْهِ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ

[تمت الغزاة ، وعدنا إلى خبر البُعُوث]

عود الى ذكر السرايا والبعوث

قال ابن إسحق : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله ابن رَوَاحَةَ مُؤْتَةَ من أرض الشام ، فأصيبوا بها جميعا ، وغزوة كعب بن عُمَيْر الغِفَارِي ذاتَ أَطْلاَحٍ من أرض الشام ، أصيب بها هو وأصحابه جميعا ، وغزوة عُيَيْنَةَ بن حصن بن حذيفة بن بدر بني العنبر من بني تميم

غزوة عُيَيْنَةَ بن حصن بني العنبر من [بني] تميم

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليهم ، فأغار عليهم ، فأصاب منهم أناساً ، وسَبَى منهم أناسا .

فحدثني عاصم بن عُمَرَ بن قتادة ، أن عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، إن عليَّ رقبةً من ولد إسمعيل ، قال : « هذا سَبْيُ بَنِي الْعَنْبَرِ يَقْدَمُ الآنَ فَنُعْطِيكِ مِنْهُمْ إِنْسَانًا فَتُعْتِقِينَهُ »

قال ابن إسحق : فلما قُدِم بسبيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب فيهم وَفْدٌ من بني تميم حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم : منهم ربيعة بن رُفَيْع ، وسَبْرَة بن عَمْرو ، والْقَعْقَاع بن مَعْبَد ، ووَرْدَان بن مُحْرِز ، وقَيْسُ بن عاصم ، ومالك بن عمرو ، والأقرع بن حابس ، وفِرَاس ابن حابس ؛ فكلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، فأعتق بعضا ، وأفدى بعضا

---

(١) الماجد : الشريف ، والحنيف هنا : الذي نزع عن الشرك إلى دين الاسلام

وكان ممن قتل يومئذ من بنى العنبر عبدُ الله وأخوان له بنو وهب ، وشَدّاد بن فِرَاس ، وَحَنْظَلة بن دارم ، وكان ممن سُبى من نسائهم يومئذ أسماء بنت مالك ، وكأس بنتُ أرِىّ ، ونَجْوَة بنت نَهْد ، وجُمَيْعة بنت قيس ، وعَمْرَة بنت مَطَر ، فقالت فى ذلك اليوم سلمى بنت عَتّاب : —

لَعَمْرِى لَقَدْ لاَقَتْ عَدِىُّ بْنُ جُنْدَبٍ
مِنَ الشَّرِّ مَهْوَاةً شَدِيداً كَؤُودُهَا (١)
تَكَنَّفَهَا الْأَعْدَاء مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَغُيِّبَ عَنْهَا عِزُّهَا وَجُدُودُهَا (٢)

قال ابن هشام : وقال الفرزدق فى ذلك : —

وَعِنْدَ رَسُولِ اللهِ قَامَ ابْنُ حَابِسٍ
بِخُطَّةِ سَوَّارٍ إلَى الْمَجْدِ حَازِمِ (٣)
لَهُ أَطْلَقَ الْأَسْرَى الَّتِى فِى حِبَالِهِ
مُغَلَّلَةً أَعْنَاقُهَا فِى الشَّكَائِمِ
كَفَى أُمَّهَاتِ الْخَائِفِينَ عَلَيْهِمُ
غَلاَءَ الْمُفَادِى أَوْ سِهَامَ الْمُقَاسِمِ (٤)

(١) المهواة : المكان المنخفض بين جبلين ، وأصله اسم مكان من هوى والكئود : العقبة الصعبة

(٢) تكنفها : أحاط بها ، والجدود : جمع جد ، وهو هنا الحظ والبخت والسعد

(٣) الخطة : الخصلة ، والسوار : الذى يرتقى ويتسور ويثب ، والمجد : الشرف .

(٤) « أمهات الخائفين » وقع فى أكثر نسخ الأصل «أمهات الخالفين» وهم الذين تخلفوا فى أهلهم

وهذه الأبيات فى قصيدة له ، وعدى بن جُنْدَب : من بنى العنبر ، والعنبر : ابن عَمْرو بن تميم .

غزوة غالب بن عبد الله أرض بنى مُرَّةَ

قال ابن إسحق : وَغَزْوَة غالب بن عبد الله الكلبي كلب ليثٍ أرضَ بنى مرة ، فأصاب بها مِرْدَاسَ بن نَهيكٍ حليفاً لهم من الْحُرَقة من جُهَيْنَةَ، قتله أسامةُ بن زيد ورجلٌ من الأنصار

قال ابن هشام : الْحُرَقة : فيما حدثنى أبو عبيدة .

قال ابن إسحق : وكان من حديثه عن أسامة بن زيد ، قال : أدركته أنا ورجل من الأنصار ، فلما شَهَرْنَا عليه السلاح قال : أشهد أن لاإله إلا الله ، قال : فلم ننزع عنه حتى قتلناه ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبره ، فقال : « ياأُسَامَةُ مَنْ لَكَ بِلاَإِلَهَ إِلاَّ اللهُ » قال : قلت:يارسول الله ، إنه إنما قالها تَعَوُّذاً بها من القتل ، قال : « فَمَنْ لَكَ بِهَا يَاأُسَامَةُ » قال : فوالذى بعثه بالحق مازال يُرَدِّدها على حتى لوددت أن مامضى من إسلامى لم يكن ، وأنى كنت أسلمت يومئذ ، وأنى لم أقتله ، قال : قلت : أَنْظِرْنى يارسول الله ، إنى أعاهد الله أن لاأقتل رجلا يقول لاإِلَهَ إلا الله أبدا ، قال : « تَقُولُ بَعْدِى يَاأُسامة » قال : قُلْتُ بَعْدَكَ .

غزوةُ عَمْرِو بن العاص ذاتَ السَّلاَسل

وغزوة عمرو بن العاص ذَاتَ السَّلاَسِلِ من أرض بنى عُذْرَة ، وكان من حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه يَسْتَنْفِرُ العربَ إلى الشام ، وذلك أن أمّ العاص بن وائل كانت امرأة من بَلِيٍّ ، فبعثه رسول الله

صلّى الله عليه وسلم إليهم يَسْتَألِفهم لذلك، حتى إذا كان على ماء بأرض جُذَام يقال له السَّلْسَل، وبذلك سميت تلك الغزوة غَزْوَة ذات السلاسل، فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يَسْتَمِدُّه، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عُبَيْدَة بن الجَرّاح فى المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر وعمر، وقال لأبى عبيدة حين وَجَّهه: « لا تَخْتَلِفَا » فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو: إنما جئت مَدَداً لى، قال أبو عبيدة: لا، ولكنى على ما أنا عليه، وأنت على ما أنت عليه، وكان أبو عبيدة رجلاً لينا سَهْلاً هَيِّنًا عليه أمْرُ الدنيا، فقال له عمرو: بل أنت مَدَدٌ لى، فقال له أبو عبيدة: ياعمرو، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى لاتختلفا وإنك إن عَصَيْتَنِي أطعتك، قال: فإنى الأمير عليك وأنت مَدَدٌ لى، قال: فَدُونَكَ، فصلّى عَمْرٌو بالناس.

صحبة أبى بكر لرافع بن أبى رافع

قال: وكان من الحديث فى هذه الغَزَاة أن رافع بن أبى رافع الطائىّ، وهو رافع بن عميرة، كان يحدِّث — فيما بلغنى — عن نفسه، قال: كنت امرأ نصرانيا، وَسُمِّيتُ سَرْجِسَ، فكنت أدَلَّ الناس وأهداه بهذا الرمل، كنت أدْفِنُ الماء فى بَيْضِ النعام بنواحى الرمل فى الجاهلية، ثم أغِير على إبل الناس، فاذا أدْخَلْتُهَا الرَّمْلَ غلبتُ عليها، فلم يستطع أحد أن يطلبنى فيه، حتى أمر بذلك الماء الذى خَبَأْتُ فى بَيْض النعام فأستخرجه فأشرب منه، فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل.

قال: فقلت: والله لأخْتَارَنَّ لنفسى صاحبا، قال: فَصَحِبْتُ أبا بكر قال: فكنت معه فى رَحْله، قال: وكانت عليه عَبَاءة له (١) فَدَكِيَّة،

(١) العباءة: الكساء الغليظ، ويقال فيه عباية أيضا، وفدكية: منسوبة إلى فدك، وهو موضع

فكان إذا نَزَلْنَا بَسَطها ، وإذا ركبنا لَبِسَهَا ثم شَكَّهَا[1] عليه بخِلاَلٍ له ، قال : وذلك الذى له يقول أهل نجد — حين ارتدُّوا كفَّارا — : نَحْنُ نُبَايعُ ذا العَبَاءه ؟ قال : فلما دَنَوْنا من المدينة قافلين ، قال : قلت : ياأبابكر ، إنما صحبتك لينفعنى الله بك ، فانصحنى وعلمنى ، قال : لولم تَسأَلنِي ذلك لفعلت ، قال : آمُرُكَ أن تُوَحِّد الله ، ولاتشرك به شيئا ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتَحُجَّ هذا البيت ، وتَغْتَسِلَ من الجنابة ، ولاتتأمر على رجلين من المسلمين أبدا ، قال : قلت : ياأبا بكر ، أما أنا والله فانى أرجو أن لاأشرك بالله أبدا ، وأما الصلاة فلن أتركها أبدا إن شاء الله ، وأما الزكاة فان يك لى مال أُؤَدِّهَا إن شاء الله وأما رمضان فلن أتركه أبدا إن شاء الله ، وأما الحج فَإِنْ أَسْتَطِـعْ أَحُجَّ إن شاء الله تعالى ، وأما الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله، وأما الإمارة فانى رأيت الناس يا أبابكر لا يَشْرُفُون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس إلا بهـا فَلِمَ تَنْهَانِي عنها ، قال: إنك إنما اسْتَجْهَدْتَنِى لأَجْهَدَ لك ، وسأخبرك عن ذلك إن شاء الله ، إن الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الدين ، فَجَاهَدَ عليه حتى دخل الناس فيه طَوْعًا وَكَرْهًا ، فلما دخلوا فيه كانوا عُوَّاذَ الله وجيرانه وفى ذمته، فاياك أن تُخْفِرَ[2] الله فى جيرانه فيَتْبَعَكَ الله فى خُفْرَتهُ ، فان أحدكم يُخْفَرُ فى جاره فيظل نَاتِئًا عَضَلُهُ[3] غضبًا لجاره أنْ أُصِيبت له شاةٌ أو بعير، فالله أشدُّ غضبًا لجاره ، قال: ففارقته على ذلك ،

وصية أبى بكر لرافع بن أبى رافع

أبو بكر يبين مشاق الامارة على الناس

---

(١) شكها : أنفذ فيها الخلال الذى كان يخللها به

(٢) تخفر الله : أى تنقض عهده

(٣) ناتئا : مرتفعا ، والعضل : جمع عضلة ، وهى القطعة من اللحم الشديدة

قال : فلما قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأُمِّرَ أبو بكر على الناس ، قال : قَدِمْتُ عليه فقلت له : يا أبا بكر ، ألم تكُ نَهَيْتَنِي عن أن أتأمَّرَ على رجلين من المسلمين ؟ قال : بلى ، وأنا الآن أنهاك عن ذلك ، قال : فقلت له : فَمَا حَمَلَكَ على أن تلى أمر الناس ؟ قال : لا أجد من ذلك بُدًّا ، خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفُرْقَةَ

شأن عوف ابن مالك الأشجعي

قال ابن إسحق : أخبرنى يزيدُ بن أبى حبيب ، أنه حُدِّث عن عوف ابن مالك الأشجعى ، قال : كنت فى الغَزَاة التى بَعَثَ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عَمْرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، قال : فصحبت أبا بكر وعُمَرَ ، فمررت بقوم على جَزور لهم قد نَحَرُوهَا وهم لا يقدرون على أن يُعَضُّوها (١) ، قال : وكنت أمرأ لَبِقًا جَازِرًا (٢) ، قال : فقلت : أتعطوننى منها عَشِيرًا (٣) على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فأخذت الشفْرَتَين ، فَجزَّأتها مكانى ، وأخذت منها جزءا فحملته إلى أصحابى ، فأَطَّبَخْنَاه فأكلناه ، فقال لى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما : أنَّى لك هذا اللحم يا عوف ؟ قال : فأخبرتهما خبره ، فقالا : والله ما أَحْسَنْتَ حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يَتَقَيَّآن ما فى بطونهما من ذلك ، قال : فلما قَفَلَ الناسُ من ذلك السفر كنت أول قادم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فجئته وهو يصلى فى بيته ، قال : فقلت : السلام عليك يارسول الله ورحمة الله

---

(١) يعضوها : مضارع عضى ـ بتضعيف الضاد ـ ومعناه يقسموها ، والتعضية : القسمة

(٢) اللبق ـ بفتح اللام وكسر الباء ـ الحاذق الرفيق فى العمل ، والجازر : الذى يصطنع الجزر

(٣) العشير : النصيب ، وذلك لأنهم كانوا يقسمون الجزور على عشرة أجزاء ، فكل جزء عشير

وبركاته ، قال : « أَعَوْفُ بْنُ مَالِكٍ ؟ » قال : قلت : نعم بأبي أنت وأمي قال : « أَصَاحِبُ الْجَزُورِ » ؟ ولم يزدني رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك شيئاً [ولم يردّ عليّ السلام]

غزوة ابن أبي حَدْرَد بطنَ إضم ، وقَتْلُ عامر بن الأضبط [الأشْجَعِيّ]

غزوة ابن أبي حدرد بطن إضم

وغزوة ابن أبي حَدْرَد وأصحابه بطنَ إِضَمٍ وكانت قبل الفتح

قال ابن إسحق : حدثني يَزيد بن عبد الله بن قُسَيْط ، عن الْقَعْقَاع ابن عبد الله بن أبي حَدْرَد ، عن أبيه عبد الله بن أبي حَدْرَد ، قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضم في نفر من المسلمين ، منهم أبو قَتَادَةَ الحرثُ بن رِبْعِيّ ، ومُحَلِّمُ بن جَثَّامة بن قيس ، فخرجنا ، حتى إذا كنا ببطن إضم مَرَّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قَعُودٍ [١] له ومعه مُتَيِّع [٢] له ووَطْبٌ [٣] من لبن ، قال : فلما مر بنا سَلَّمَ علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه مُحَلِّمُ بن جَثَّامة فقتله ، لشيء كان بينه وبينه ، وأخذ بعيره وأخذ مُتَيِّعه ، قال : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر نزل فينا (٤ : ٩٣) (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ، وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) إلى آخر الآية

محلم بن جثامة يقتل ابن الأضبط

قال ابن هشام : قرأ أبو عَمْرو بن الْعَلاَءِ (وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا) لهذا الحديث

قال ابن إسحق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : سمعت زياد

---

(١) القعود ـ بفتح القاف ـ البعير المتخذ للركوب
(٢) متيع ـ بضم الميم وفتح التاء وتشديد الياء مكسورة ـ تصغير متاع
(٣) الوطب ـ بفتح الواو وسكون الطاء ـ وعاء اللبن

ابن ضُمَيْرَة [١] بن سَعْد السُّلَمى يحدث ، عن عُرْوَة بن الزبير ، عن أبيه ، عن جده ، وكانا شهدا حُنَيْنًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: صَلَّى بنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، ثم عَمَدَ إلى ظل شجرة فجلس تحتها ، وهو بحُنَيْن ، فقام إليه الأقرع بن حابس وعُيَيْنَةُ ابن حِصْن بن حُذَيْفة بن بدر يَختصِمان فى عامر بن الأضبط الأشجعى : عُيَيْنة يطلب بدم عامر ، وهو يومئذ رئيس غطفان ، والأقرع بن حابس يَدْفع عن مُحَلِّم بن جَثَّامةَ لمكانه من خِنْدِفَ ، فتَدَاولا الخُصُومةَ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نسمع ، فسمعنا عُيَيْنةَ بن حِصْن وهو يقول : والله يارسول الله لاأدعه حتى أُذِيقَ نساءه من الحرقة [٢] مثل ماأذاق نسائى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «بَلْ تَأْخُذُونَ الدِّيَةَ خَمْسِينَ فِى سَفَرِنَا هٰذَا وَخَمْسِينَ إِذَا رَجَعْنَا » وهو يأبى عليه ، إذ قام رجل من بنى ليث يقال له مُكَيْتِر قصير مجموع (قال ابن هشام : مُكَيْتِل) فقال : والله يارسول الله ماوَجَدْت لهذا القتيل شبها فى غُرَّة الإسلام [٣] إلا كغنم وَرَدَتْ فرُمِيَتْ أولاها فنَفَرَتْ أخراها ، اسْنُنِ اليوم [٤] وَغَيِّرْ غداً ، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، فقال : « بَلْ تَأْخُذُونَ الدِّيَةَ خَمْسِينَ فِى سَفَرِنَا هٰذَا وَخَمْسِينَ إِذَا رَجَعْنَا » قال : فقبلوا الدية ، قال : ثم قالوا : أين صاحبكم هذا يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : فقام رجل آدم

الاختلاف فى دم عامر بن الاضبط

---

(١) « زياد بن ضميرة » قال أبو ذر : « يروى أيضا ضبيرة بالباء ، والصواب ضميرة بالميم ، وكذلك ذكره البخارى فى تاريخه الكبير » اه

(٢) « من الحرقة » وقع فى نسخة أوربة « من الحر »

(٣) غرة الاسلام : أوله ، وغرة كل شىء : أوله

(٤) « اسنن اليوم وغير غدا » قال أبو ذر : « يريد احكم لنا اليوم بالدم فى أمرنا هذا واحكم غدا بالدية لمن شئت ، وغير : من الغيرة ، وهى

ضَرْبٌ [١] طويل عليه حُلَّة له قد كان تَهَيَّأَ فيها للقتل ، [حتى] جلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « ما اسْمُكَ ؟ » قال : أنا مُحَلِّم ابن جَثَّامة ، قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم قال : « اللَّهُمَّ لاَتَغْفِرْ لِمُحَلِّمِ بْنِ جَثَّامَةَ » ثلاثا ، قال : فقام وهو يتلقى دَمْعَه بفضل ردائه ، قال : فأما نحن فنقول فيما بيننا : إنا لنرجو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر له ، وأما ما ظهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا

دعاء النبى على محلم ابن جثامة

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم ، عن الحسن البصرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس بين يديه : « أَمَّنْتَهُ بِاللهِ ثُمَّ قَتَلْتَه » ثم قال له المقالة التى قال ، قال: فوالله ما مكث مُحَلِّم بن جَثَّامة إلا سَبْعًا حتى مات ، فلَفَظَتْهُ [٢] والذى نفس الحسن بيده — الأرضُ ، ثم عادوا له ، فلَفَظَتْه الأرضُ ، ثم عادوا له فلفظته الأرضُ ؛ فلما غُلِبَ قَوْمُه عمدوا إلى صُدَّيْن [٣] فَسَطَحوه بينهما ثم رَضَمُوا عليه الحجارة حتى وَارَوْه ، قال : فبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم شأنه ، فقال : « وَاللهِ إنَّ الْأَرْضَ لَتَطَّابَقُ عَلَى مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ ، وَلٰكِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يَعِظَكُمْ فِى حُرَمِ مَا بَيْنَكُمْ بِمَا أَرَاكُمْ مِنْهُ » .

الدية ههنا ، ومن رواه غبر - بالباء بواحدة من تحتها - فمعناه وأبق حكومة الدية إلى وقت آخر ، من قولك : غبر ، بمعنى بقى ، والغبر والغبراء : البقية» اه كلامه

(١) الضرب من الرجال : بفتح الضاد وسكون الراء المهملة - الخفيف

(٢) لفظته الأرض : ألقته على وجهها

(٣) الصد : الجبل ، وهو بضم الصاد وتضعيف الدال

قال ابن إسحق : وأخبرنا سالم أبو النَّضْر ، أنه حُدِّث ، أن عُيَيْنَةَ بن حِصْن وقَيْساً حين قال الأقرع بن حابس وَخَلاَ بهم : يامعشر قَيْس ، منعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قَتيلاً يَسْتَصْلح به الناسَ ، أفأمنتم أن يَلْعَنَكُمْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيلعنكم الله بلعنته ؟ أو أن يغضب عليكم فيغضب الله عليكم بغضبه ؟ والله الذى نفس الأقرع بيده لَتُسْلِمُنَّهُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فَلَيَصْنَعَنَّ فيه ماأراد أو لآتِيَنَّ بخَمْسِين رجلا من بنى تميم يَشْهَدُون بالله كلهم لَقُتِلَ صاحبكم كافرا ماصَلَّى قَطُّ فَلأَطُلَّنَّ دمه [1] ، فَ[لما سمعوا ذلك]قبلوا الدية .

قال ابن هشام : محلم فى هذا الحديث كله عن غير ابن إسحق ، وهو مُحَلِّم ابن جَثَّامَةَ بْنِ قَيْس اللَّيْثِىّ .

وقال ابن إسحق : ملجم ، فيما حدثناه زياد عنه .

غزوة ابن أبى حَدْرَد لقتل رفاعة بن قيس الْجُشَمِى

غزوة ابن أبى حدرد الغابة

قال ابن إسحق : وغزوة ابن أبى حَدْرَد الأَسلمى الْغَابَةَ

وكان من حديثها — فيما بلغنى عمن لا أتهم، عن ابن أبى حدرد — قال : تزوَّجْتُ امرأة من قومى ، وَأصْدَقْتُهَا مائتى درهم ، قال : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على نكاحى ، فقال :

النبى يستكثر مائتى درهم صداقا

« وَكَمْ أصْدَقْتَ » ؟ فقلت : مائتى درهم يارسول الله ، قال: « سُبْحَانَ الله !! لَوْ كُنْتُمْ تَأْخُذُونَ الدَّرَاهِمَ من بَطْنِ وَادٍ مَازِدْتُمْ ، وَاللهِ مَاعِنْدِى مَا أُعِينُكَ بِهِ »

---

(١) لأطلن دمه : أى لأبطلنه ، تقول : طل دم القتيل ، إذا أهدر ولم يؤخذ بثأره

رفاعة بن قيس يجمع لحرب النبى

قال : فلبثت أياما وأقبل رجل من بنى جُشَمَ بن معاوية يقال له : رفاعة بن قيس ، أو قيس بن رفاعة ، فى بطن[١] عظيم من بنى جُشَم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغَابَة يريد أن يجمع قيسا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذا اسم فى جُشَمَ وشرف

النبى يرسل لقتل رفاعة بن قيس

قال : فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين معى من المسلمين ، فقال : « اخرُجُوا إلَى هٰذَا الرَّجُلِ حَتَّى تَأْتُوا مِنْهُ بِخَبَرٍ وَعِلْمٍ » قال : وَقَدَّمَ لنا شَارِفًا عَجْفَاء[٢] ، فحمل عليها أحدنا ، فو الله ما قامت به ضعفا ، حتى دَعَمَهَا الرجال[٣] من خلفها بأيديهم ، حتى استقلت وما كادت ، ثم قال : « تبَلَّغُوا عَلَيْهَا وَاعْتَقِبُوهَا »[٤] قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من النَّبْلِ والسيوف ، حتى إذا جئنا قريبًا من الحاضر[٥] عُشَيْشِيَةً[٦] مع غروب الشمس ، قال : كنت فى ناحية ، وأمرت صاحبىَّ ، فكمنا فى ناحية أخرى من حاضرى القوم ، وقلت لهما : إذا سمعتمانى قد كَبَّرْتُ وشددت فى ناحية العسكر فكبرا وشُدَّا معى ، قال : فوالله إنا لكذلك ننتظر غِرَّةَ القوم[٧] ، أو أن نصيب منهم شيئا ، قال : وقد غشينا الليلُ

---

(١) البطن : أصغر من القبيلة ، والفخذ : أصغر من البطن

(٢) الشارف : الناقة المسنة ، والعجفاء : المهزولة

(٣) دعمها الرجال : قووها بأيديهم ، يريد أعانوها على النهوض

(٤) اعتقبوها : اركبوها واحداً بعد واحد

(٥) الحاضر : جماعة القوم النازلين على الماء

(٦) عشيشية : هو تصغير عشاء على غير القياس ، كتصغيرهم مغربا على مغيربان ، وليلة على لييلية

(٧) غرة القوم - بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء المهملة - غفلتهم

حتى ذهبت فَحْمَةُ العشاء (١) ، وقد كان لهم راعٍ [و] قد سرح فى ذلك البلد ، فأبطأ عليهم ، حتى تخوفوا عليه ، قال : فقام صاحبهم ذلك رفاعة ابن قيس فأخذ سيفه فجعله فى عنقه ، ثم قال : والله لأتبعَنَّ أثر راعينا هذا ، ولقد أصابه شر ، فقال [له] نفر ممن معه : والله لا تذهب ، نحن نكفيك ، قال : والله لا يذهب إلا أنا ، قالوا : فنحن معك ، قال : والله لا يتبعنى أحد منكم ، قال : وخرج حتى يمر بى ، قال : فلما أمكننى نَفَحْتُه بسَهْمِى (٢) فوضعته فى فؤاده ، قال : فو الله ما تكلم ، ووثبت إليه فاحتززت رأسه ، قال : وشددت فى ناحية العسكر وكَبَّرت ، وشَدَّ صاحباى وكبرا ، قال : فو الله ما كان إلا النجاء ممن فيه عِنْدَكَ عِنْدَكَ (٣) بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خَفَّ معهم من أموالهم ، قال : واسْتَقْنَا إبلا عظيمة وغنما كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وجئت برأسه أحمله معى ، قال : فأعاننى رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرا فى صداق ، فَجَمَعْتُ إلىّ أهلى .

غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دُومَة الجَنْدَل

إرسال العمامة خلف الرجل

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عطاء بن أبى رباح ، قال : سمعت رجلا من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن إرسال العِمَامَة من خَلْف الرَّجل إذا اعتم ، قال : فقال عبد الله : سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم ، كُنْتُ عاشر عَشَرَةِ رهطٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده : أبو بكر ،

(١) فحمة العشاء : أول ظلام الليل

(٢) نفحته بسهمى : رميته به ، تقول : نفحته بكذا ، إذا رميته به

(٣) عندك عندك : هما كلمتان يقولها الانسان عند الاغراء

وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وحذيفة بن اليمان ، وأبو سعيد الخدرى رضى الله عنهم ، وأنا ، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل فتًى من الأنصار ، فسلَّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جلس ، فقال : يا رسول الله صلى الله عليك ، أىُّ المؤمنين أفضل ؟ فقال : « أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا » قال : فأىُّ المؤمنين أكيَسُ ؟ قال : « أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ وَأَحْسَنُهُمْ اسْتِعْدَادًا لَهُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ ، أُولَئِكَ الأَكْيَاسُ » ثم سكت الفتى ، وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يَامَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ . خَمْسُ خِصَالٍ إِذَا نَزَلْنَ بِكُمْ وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ ، إِنَّهُ لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِى قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ ظَهَرَ فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِى لَمْ تَكُنْ فِى أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ ، وَلَمْ يَمْنَعُوا الزَّكَاةَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ فَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ مَا مُطِرُوا ، وَمَا نَقَضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَ . . . غَيْرِهِمْ فَأَخَذَ بَعْضَ مَا كَانَ فِى أَيْدِيهِمْ ، وَمَا لَمْ يَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ . . . اللهِ وَتَجَبَّرُوا (١) فِيمَا أَنْزَلَ اللهُ إِلاَّ جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ . . .

أى المؤمنين أفضل

عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها ، فأصبح وقد . . . بعمامة من كَرَابِيسَ (٢) سوداء ، فأدناه رسول الله صلى الله عليه و . . . ثم نقضها ، ثم عمَّمه بها ، وأرسل من خلفه أَرْبَعَ أصابع ، أو نحو . . . ثم قال : « هٰكَذَا يَا ابْنَ عَوْفٍ فَاعْتَمَّ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ وَأَعْرَفُ . . .

(١) فى نسخة « وتخيروا » ولعلها أحسن .

(٢) كرابيس : جمع كرباس ، مثل قرطاس وقراطيس ، والكرباس : القطن ، قال ابن الأثير

أمر بلالا أن يدفع إليه اللِّواء ، فدفعه إليه ، فحمد الله تعالى وصلى على نفسه [رسول الله صلى الله عليه وسلم] ثم قال : « خُذْهُ يَا ابْنَ عَوْفٍ فَاغْزُوا جَمِيعاً فِى سَبِيلِ اللهِ ؛ فَقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ ، لاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تُمَثِّلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيداً فَهَذَا عَهْدُ اللهِ وَسِيرَةُ نَبِيِّهِ فِيكُمْ »

فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء

قال ابن هشام : فخرج إلى دُومَةِ الْجَنْدَلِ

غزوة أبى عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاح إلى سيفِ الْبَحْرِ

غزوة أبى عبيدة سيف البحر

قال ابن إسحق : وحدثنى عُبَادَةُ بن الوليد بن عُبَادَة بن الصامت ، عن أبيه ، عن جده عُبَادة بن الصامت ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سَرِيَّةً إلى سيفِ الْبَحْرِ [1] عليهم أبو عُبَيدة بن الْجَرَّاح ، وَزَوَّدَهُمْ جِرَاباً من تمر [2] ، فجعل يَقُوتُهُمْ إياه ، حتى صار إلى أن يَعُدَّهُ عليهم عَدَدًا ، قال : ثم نَفِدَ التمر حتى كان يُعْطِى كلَّ رجل منهم كلَّ يوم تمرةً ، قال : فقسمها يوما بيننا ، قال : فنقصت تمرةٌ عن رجل ، فوجدنا فَقْدَهَا ذلك اليوم ، قال : فلما جَهَدَنا الجوع أخرج الله لنا دابة من البحر فأصَبْنا من لحمها وَوَدَكِها ، وأقمنا عليها عِشْرِين ليلةً حتى سَمِنَّا وَابْتَلَلْنَا [3] وأخذ أميرنا ضِلَعًا من أضلاعها فوضعها على طريقه ، ثم أمر بأَجْسَم بعير معنا فحمل عليه أَجْسَم رجل منا ، قال : فَجَلَسَ عليه ، قال : فخرج من تحتها وما مَسَّتْ رأسه ، قال : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

نفد زاد المسلمين فأخرج الله لهم من البحر دابة عظيمة

---

(١) سيف البحر : جانبه وساحله

(٢) الجراب ـ بكسر أوله ـ المزود

(٣) ابتللنا : أى أفقنا من ألم الجوع الذى كان بنا ، وهو من قولهم : بل المريض ، وأبل ، واستبل ، إذا أخذ فى الراحة والعافية

أخبرناه خبرها ، وسألناه عما صنعنا فى ذلك من أكلنا إياه ، فقال : « رِزْقٌ رَزَقَكُمُوهُ اللهُ »

بَعْثُ عَمْرو بن أمية الضَّمْرِى لقتال أبى سُفْيان بن حَرْب [وما صنع فى طريقه]

قال ابن هشام : ومما لم يذكره ابن إسحق من بُعُوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسَرَاياه بَعْثُ عَمْرو بن أمَيَّةَ الضَّمْرِى ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما حدثنى من أثق به من أهل العلم — بعد مقتل خُبَيْب بن عَدِىٍّ وأصحابه ، إلى مكةَ ، وَأَمَرَهُ أن يقتل أبا سفيان بن حرب ، وبعث معه جَبَّارَ بن صَخْر الأنصارى ، فخرجا حتى قدما مكة وحَبَسا جمليهما بشِعْبٍ من شعاب يَأْجَج [(١)] ثم دخلا مكة ليلا ، فقال جَبَّار لعمرو : لو أنا طُفْنَا بالبيت وصَلَّيْنَا ركعتين ، فقال عمرو : إن القوم إذا تَعَشَّوْا جلسوا بأفْنِيَتِهِمْ ، فقال : كلا إن شاء الله ، قال عمرو : فطُفْنَا بالبيت وَصَلَّيْنَا ، ثم خرجنا نريد أبا سفيان ، فوالله إنا لنمشى بمكة إذ نظر إلىَّ رجلٌ من أهل مكة فعرفنى ، فقال : عَمْرو بن أُمَيَّة ، والله إن قدمها إلا لشر ، فقلت لصاحبى : النَّجاء ، فخرجنا نَشْتَدُّ حتى أَصْعَدْنَا فى جبل ، وخرجوا فى طلبنا ، حتى إذا علونا الجبل يئسوا منا ، فرجعنا ، فدخلنا كَهْفًا فى الجبل فبتنا فيه وقد أخذنا حجارة فَرَضَمْنَاهَا [(٢)] دوننا ، فلما أصبحنا غدا رجلٌ من قريش يقود فرساله ويُخَلِّى عليها [(٣)] فغشينا ونحن فى الغار ، فقلت : إن

---

(١) الشعب ـ بكسر فسكون ـ الطريق الخفى بين جبلين ، ويأجج : اسم موضع

(٢) رضمناها دوننا : أى جعلنا بعضها فوق بعض لتكون حاجزا دوننا

(٣) يخلى عليها : أى يجمع لها الخلا ، وهو الربيع ، وإنما سمى الربيع خلا لأنه يخلى : أى يقتطع

رآنا صاح بنا فأُخِذْنَا فَقُتِلْنَا قال : ومعى خَنجَر قد أعْدَدْته لأبى سفيان ، فأخرج إليه فأضربه [به] على ثَدْيِهِ ضربةً ، وصاح صَيْحة أسمع أهل مكة ، وأرجع فأدخل مكانى ، وجاءه الناس يَشْتَدُّون وهو بآخر رَمَق ، فقالوا : مَنْ ضَرَبَكَ ؟ فقال : عمرو بن أمية ، وغلبه الموت فمات مكانه ، ولم يَدْلُلْ على مكاننا ، فاحتملوه ، فقلت لصاحبي لما أمسينا : النَّجَاء ، فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة ، فمررنا بالحَرَس وهم يحْرُسُون جيفَةَ خُبَيْب بن عَدِيٍّ ، فقال أحدهم : والله ما رأيت كالليلة أشبه بِمِشْيَةِ عَمْرو بن أمية ، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أمية ، قال : فلما حاذى الخشبة شَدَّ عليها [فأخذها] فاحتملها وخرجا شَدًّا وخرجوا وراءه حتى أتى جُرفًا بِمَهْبِطِ مسيل يأجَجَ ، ورمى بالخشبة فى الجُرف فغيبه الله عنهم ، فلم يقدروا عليه ، قال : وقلت لصاحبي : النَّجَاء [النجاء] حتى تأتى بعيركَ فَتَقْعُدَ عليه فانى سأشغل عنك القوم ، وكان الأنصارى لا رُجْلَةَ له [(1)] ، قال : ومضيت حتى أخرج على ضَجْنَانَ [(2)] ، ثم أوَيْتُ إلى جبل فأدخل كهفا ، فبينا أنا فيه [إذ] دخل على شيخٌ من بنى الدِّيل أعْوَرُ فى غُنَيْمَةَ له ، فقال : مَنِ الرجل ؟ فقلت : من بنى بكر ، فمن أنت ؟ قال : من بنى بكر ، فقلت : مَرْحَبًا ، فاضطجع ، ثم رفع عقيرته ، فقال : —

وَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ مَادُمْتُ حَيًّا وَلاَ دَانٍ بِدِينِ الْمُسْلِمِينَا

فقلت فى نفسى : ستعلم ، فأمهلته حتى إذا نام أخذت قَوْسى فجعلت سِيَتَهَا فى عينه الصحيحة ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ، ثم خرجت

---

(1) لا رجلة له : أى ليست به قدرة على أن يمشى على رجليه ، وتقول : فلان ذو رجلة ، إذا كان قويا قادراً على المشى

(2) ضجنان — بالضاد والجيم — اسم موضع

النَّجَاه حتى جئت العَرْجَ ، ثم سلكت رَكُوبَةَ ، حتى إذا هبطت النَّقيع إذا رجلان من قريش من المشركين كانت قريش بعثهما عينا إلى المدينة ينظران ويتجسسان فقلت : استأسرا ، فأبيا ، فأرمى أحدهما بِسَهْمٍ فأقتله واستأسر الآخر ، فأوثقتُه رِبَاطاً ، وقدمت به المدينة

سَرِيَّةُ زيد بن حارثة إلى مَدْيَنَ

قال ابن هشام : وسرية زيد بن حارثة إلى مَدْيَنَ

ذكر عبد الله بن حسن بن حسن(١) ، عن أمه فاطمة ابنة الحسين بن على رضوان الله عليهم ، أن رسول الله صلى الله عيه وسلم بَعَثَ زيد بن حارثة نحو مَدْيَنَ ومعه ضُمَيْرَة مَوْلى على بن أبي طالب رضوان الله عليه وأخ له ، قالت : فأصاب سَبْيًا من أهل مِينَاء ، وهى السواحل وفيها جُمَّاع من الناس ، فبيعوا ، فَفُرِّقَ بينهم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يَبْكُونَ ، فقال : « مالهم » ؟ فقيل : يارسول الله ، فُرِّق بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاَ تَبِيعُوهُمْ إِلاَّ جَمِيعًا »

قال ابن هشام : أراد الأمهات والأولاد

سرية سالم بن عُمَيْر لقتل أبي عَفَك

قال ابن إسحق : وغزوة سالم بن عُمَيْر [وهو أحد البَكَّائين] أبَا عفك أحَدَ بنى عَمْرو بن عوف ثم من [بنى] عُبَيْدة ، وكان قد نَجَمَ(٢)

---

(١) فى نسخة أوربة « عبد الله بن حسين » وليست بشىء ، وهو عبد الله ابن حسن بن حسن بن على بن أبي طالب أبو محمد المدنى ، وأمه فاطمة بنت الحسين بن على ، وهى ابنة عم أبيه ، وهو يروى عن أبيه وعن أمه ، ويروى عنه يزيد بن الهاد وليث بن أبي سليم ومالك والثورى ، وقد وثقه ابن معين وأبو حاتم ، ومات سنة خمس وأربعين ومائة

(٢) نجم نفاقه : ظهر وبدا

نفاقهُ حين قتل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الْحرثَ بن سُوَيْد بن صَامت ، فقال :

لَقَدْ عِشْتُ دَهْراً وَمَا إِنْ أَرَى مِنَ النَّاسِ دَاراً وَلاَ مَجْمَعَا
أَبَرَّ عُهُوداً وَأَوْفَى لِمَنْ يُعَاقِدُ فِيهِمْ إِذَا مَادَعَا
مِنَ أَوْلاَدِ قَيْلَةَ فِي جَمْعِهِمْ يَهُدُّ الْجِبَالَ وَلَنْ يَخْضَعَا
فَصَدَّعَهُمْ رَاكِبٌ جَاءَهُمْ حَلاَلٌ حَرَامٌ لَشَتَّي مَعَا
فَلَوْ أَنَّ بِالْعِزِّ صَدَّقْتُمُ أَوِ الْمُلْكِ تَابَعْتُمُ تُبَّعَا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لِي بِهٰذَا الْخَبِيث ؟ » فخرج سالم بن عمير أخو بني عَمْرو بن عوف ، وهو أحد البكائين ، فقتله ، فقالت أمامة الْمُزَيْرِيَّة في ذلك : —

تُكَذِّبُ دِينَ اللهِ وَالْمَرْءَ أَحْمَدَا
لَعَمْرُ الَّذِي أَمْنَاكَ أَنْ بِئْسَ مَا يُمْنِي (١)
حَبَاكَ حَنِيفٌ آخِرَ اللَّيْلِ طَعْنَةً
أَبَا عَفَكٍ خُذْهَا عَلَى كِبَرِ السِّنِّ (٢)

غزوة عُمَيْر بن عَدِيٍّ [الْخَطْمِيِّ] لقتل عَصْمَاء بنت مَرْوَان

وغزوة عُمَيْر بن عدى الْخَطْمِيّ عَصْمَاء بنتَ مروان ، وهي من بني أمية بن زيد ، فلما قُتِلَ أبو عَفَكٍ نافقت .

دواعي قتل عصماء بنت مروان

فذكر عبد الله بن الحرث بن الفُضَيْل ، عن أبيه ، قال : وكانت

(١) أمناك : أنساك ، قاله أبو ذر ، وعندنا أن خيرا من ذلك أن يكون أمناك بمعنى بلاك ، وقولها « مايمنى » في آخر البيت هو مضارع هذا الفعل

(٢) حباك : منحك وأعطاك ، وحنيف : مسلم ، وأصل الحنيف المائل فقيل للمسلم حنيف ، لأنه مال عن الشرك وسوء الأخلاق وانحرف

تحت رجل من بني خَطْمة يقال له : يزيد بن زيد ، فقالت تَعِيبُ الإسلام وأهله : —

بِاسْتِ بَنِي مَالِكٍ وَالنَّبِيتِ وَعَوْفٍ وَبِاسْتِ بَنِي الْخَزْرَجِ
أَطَعْتُمْ أَتَاوِيَّ مِنْ غَيْرِكُمْ فَلَا مِنْ مُرَادٍ وَلَا مَذْحِجِ (١)
تُرَجُّونَهُ بَعْدَ قَتْلِ الرُّؤُسِ كَمَا يُرْتَجَى مَرَقُ الْمُنْضِجِ (٢)
أَلَا أَنِفٌ يَبْتَغِي غِرَّةً فَيَقْطَعَ مِنْ أَمَلِ الْمُرْتَجِي (٣)

[قال :] فأجابها حسان بن ثابت ، فقال : —

بَنُو وَائِلٍ وَبَنُو وَاقِفٍ وَخَطْمَةَ دُونَ بَنِي الْخَزْرَجِ
مَتَى مَادَعَتْ سَفَهًا وَيْحَهَا بِعَوْلَتِهَا وَالْمَنَايَا تَجِي (٤)
فَهَزَّتْ فَتًى مَاجِدًا عِرْقُهُ كَرِيمَ الْمَدَاخِلِ وَالْمَخْرَجِ
فَضَرَّجَهَا مِنْ نَجِيعِ الدِّمَا ءِ بَعْدَ الْهُدُوِّ فَلَمْ يَحْرَجِ (٥)

رسول الله يأمر بقتل عصماء بنت مروان

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين بلغه ذلك — : « أَلَا آخِذٌ لِي مِنَ ابْنَةِ مَرْوَانَ » فسمع ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمَيْرُ بن عَدِيٍّ الْخَطْمِي ، وهو عنده ، فلما أمسى من تلك الليلة سَرَى عليها في بيتها ، فقتلها ، ثم أصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) الأتاوى : الغريب ، ومراد ومذحج : قبيلتان من قبائل اليمن

(٢) الرؤس : أشراف القوم

(٣) الأنف — بفتح الهمزة وكسر النون — الذي يترفع عن الشيء ويكبر نفسه عنه ، والغرة : الغفلة ، وقد روى « ألا أنف يبتغي عزة »

(٤) العولة — بفتح العين المهملة وسكون الواو — المرة من العويل ، وهو البكاء مع ارتفاع صوت ، وتجي في آخر البيت أصله تجيء بالهمز فخففه بحذفها

(٥) ضرجها : لطخها ، والنجيع هنا : الكثير ، وبعد الهدو : أي بعد ساعة من الليل ، وقوله « لم يحرج » هو من الحرج وهو الاثم

فقال : يارسول الله ، إنى قد قتلتها ، فقال : « نَصَرْتَ اللهَ وَرَسُولَهُ يَا عُمَيْرُ » فقال : هل علىَّ شىء من شأنها يارسول الله ؟ قال : « لاَ يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ [١] » فرجع عمير إلى قومه و بنو خَطْمَةَ يومئذ كثيرٌ مَوْجُهُمْ [٢] فى شأن بنت مروان ، ولها يومئذ بَنُونَ خَمْسَةَ رجال ، فلما جاءهم عُمَيْر بن عدىّ من عند رسول صلى الله عليه وسلم قال: يابنى خَطْمَةَ ، أنا قتلت ابنة مروان ، فكيدونى جميعا ثم لاتُنْظِرُون

كان قتل عصماء عزاً للاسلام بين بنى خطمة

فذلك اليوم أول ماعَزَّ الاسلام فى دار بنى خَطْمة ، وكان يستخفى باسلامه فيهم مَنْ أسلم ، وكان أول من أسلم من بنى خَطْمة عُمَيْرُ بن عَدِىّ ، وهو الذى يدعى القارىء ، وعبدالله بن أوس ، وخزيمة بن ثابت؛ وأسلم يوم قتلت ابنة مروان رجال من بنى خطمة لما رأوه من عِزّ الاسلام

أسر ثُمَامة بن أُثَال الحنفى ، و إسلامه [بعد امتنان رسول الله صلى الله عليه وسلم]

والسَّرِيّة التى أسرت ثُمَامة بن أُثَالٍ الحنفى

بلغنى عن أبى سعيد المَقْبُرِى ، عن أبى هريرة ، أنه قال : خَرَجَتْ خيلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت رجلا من بنى حنيفة لايَشْعُرون مَنْ هو ، حتى أَتَوْابه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أَتَدْرُونَ مَنْ أَخَذْتُمْ ؟ هٰذَا ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ الحَنَفِىُّ ، أَحْسِنُوا إِسَارَه »

إكرام النبى لثمامة ابن أثال وقد جىء به أسيرا

ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله فقال : « اجْمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ مِنْ طَعَامٍ فَابْعَثُوا بِهِ إليه » وأمر بِلِقْحَتِهِ أن يُغْدَى عليه بها

(١) وله صلى الله عليه وسلم « لاينتطح فيها عنزان » معناه أن شأن قتلها هين لايكون فيها طلب ثأر ولا اختلاف

(٢) كثير موجهم : أراد به اختلاط كلامهم .

ويراح ، فجعل لايقع من ثمامة موقعا ، ويأتيه رسول الله صلى عليه وسلم فيقول: « أَسْلِمْ يا ثُمَامَةُ » فيقول : إيهاً [1] يامحمد ، إنْ تَقْتُلْ تقتل ذا دَم وان تُرِدِ الْفِدَاءَ فَسَلْ ماشئت ، فمكث ماشاء الله أن يمكث ، ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم يوما : « أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ » فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع ، فتطهر فأحسن طهوره ، ثم أقبل فبايع النبى صلى الله عليه وسلم على الاسلام ، فلما أمسى جاؤه بما كانوا يأتونه به من الطعام فلم يَنَلْ منه إلا قليلا ، وباللِّقْحَة فلم يصب من حِلابها إلا يسيرا ، فعجب المسلمون من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك : « مِمَّ تَعْجَبُونَ ؟ أمِنْ رَجُلٍ أَكَلَ أَوَّلَ النَّهَارِ فِي مِعَي كَافِرٍ وَأَكَلَ آخِرَ النَّهَارِ فى مِعَي مُسْلِمٍ ؟ إنّ الْكَافِرَ يَأْكُلُ فى سَبْعَةِ أمْعَاء ، وَإنَّ الْمُسْلِمَ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ »

ثمامة بن أثال أول من دخل مكة يلبى

قال ابن هشام : فبلغنى أنه خرج مُعْتَمِرا حتى إذا كان ببطن مكة لَبَّى فكان أول من دخل مكة يلبى ، فأخذته قريش ، فقالوا : لقد اجترأت علينا ، فلما قدموه ليضربوا عنقه قال قائل منهم : دَعُوه فانكم تحتاجون إلى اليمامة لطعامكم ؛ فَخَلَّوْهُ ، فقال الحنفى فى ذلك : —

وَمِنَّا الَّذِى لَبَّى بِمَكَّةَ مُعْلِنًا

بِرَغْمِ أَبِي سُفْيَانَ فِى الْأَشْهُرِ الْحُرُمْ

وحُدِّثت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلّم حين أسلم : لقد كان وجهك أبْغَضَ الوجوه إلىَّ ، ولقد أصبح وهو أحَبُّ الوجوه إلى ، وقال فى الدين والبلاد مثل ذلك ، ثم خرج معتمرا ، فلما قدم مكة قالوا : أصبوتَ يا ثمام ؟ فقال : لاولكنى اتَّبَعْتُ خير الدين دينَ محمد ، ولا والله لاتصل

---

(١) إيها : قال الخليل هى كلمة بمعنى حسبك

إليكم حَبَّةٌ من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا ، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنك تأمر بِصِلَةِ الرَّحِم ، وإنك قد قَطَعْتَ أرحامنا [وقد قتلت الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع] فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه أن يُخَلِّى بينهم وبين الحَمْل

ثمامة يقطع عن أهل مكة الحب فيأمره النبي أن يخلي بينهم وبينه

سرية عَلْقَمَةَ بن مُجَزِّز [ولم يَلْقَ كَيْدًا]

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن مُجَزِّز لما قُتل وَقَّاص بن مُجَزِّز المُدْلِجِيُّ يوم ذى قرد ، سأل علقمة بن مُجَزِّز رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعثه فى آثار القوم ليدرك ثأره فيهم

فذكر عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن عمر ابن الحكم بن ثَوْبَان ، عن أبى سعيد الخُدْرى ، قال : بَعَثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عَلْقَمَةَ بن مُجَزِّز ، قال أبو سعيد الخدرى : وأنا فيهم ، حتى إذا بلغنا رأس غَزَاتنا ، أو كنا ببعض الطريق ، أذن لطائفة من الجيش ، واستعمل عليهم عبدَ الله بن حُذَافة السَّهْمِيَّ ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت فيه دُعَابة ، فلما كان ببعض الطريق أوقد ناراً ثم قال للقوم : أليس لى عليكم السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى ، قال : أفما أنا آمركم بشىء إلا فعلتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : فانى أعزم عليكم بحقى وطاعتى إلا تواثبتم فى هذه النار ، قال : فقام بَعْضُ القوم يَحْتَجِزُ حتى ظن أنهم واثبون فيها ، فقال لهم : اجلسوا ، فإنما كنت أضحك معكم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قدموا عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَمَرَكُمْ [منهم] بِمَعْصِيَةٍ فَلَا تُطِيعُوهُ »

وذكر محمد بن طلحة أن علقمة بن مُجَزِّز رجع هو وأصحابه ولم يلق كيداً

سرية كُرْز بن جابر لقتل الْبَجَلِيّين الذين قتلوا يَسَاراً

[وبعث كرز بن جابر]

حدثنى بعض أهل العلم ، عمن حدثه ، عن محمد بن طلحة ، عن عثمان ابن عبد الرحمن ، قال : أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة محارب و بنى ثعلبة عَبْدًا يقال له يسار ، فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى لِقَاحٍ له كانت تَرْعَى [فى] ناحية الْجَمَّاءِ (١) فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من قيس كُبَّةَ (٢) من بَجِيلة ، فاسْتَوْبَؤُا (٣) وطُحِلُوا (٤) فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ خَرَجْتُم إِلَى اللِّقَاحِ (٥) فَشَرِبْتُمْ مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا » فخرجوا إليها ، فلما صَحُّوا وانطوت بطونهم (٦) عَدَوْا على راعى

(١) وقع فى بعض نسخ الأصل « فى ناحية الحمى » والذى أثبتناه أوثق ، والجماء ـ بفتح الجيم وتشديد الميم وآخره همزة ـ جبيل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجرف ، وقال أبو القاسم محمود بن عمر : الجماء جبيل بالمدينة ، سميت بذلك لأن هناك جبلين هى أقصرهما فكأنها جماء ، وفى كتاب أبى الحسن المهلبى : الجماء اسم هضبة سوداء ، قال : وهما جماوان يعنى الهضبتين عن يمين الطريق للخارج من المدينة إلى مكة ، قال حسان بن ثابت :ـ

وَكَأَنَّ بِأَكْنَافِ الْعَقِيقِ وَبِيدِهِ يَحُطُّ مِنَ الْجَمَّاءِ رُكْنًا مُلَمْلَمَا

(٢) قيس كبة : قبيلة من بجيلة

(٣) استوبؤا : هو من الوباء ، وهو كثرة الأمراض

(٤) طحلوا ـ بالبناء للمجهول ـ أى أصابهم وجع الطحال وعظمه

(٥) اللقاح : الابل ذوات اللبن ، واحدها لقحة

(٦) انطوت بطونهم : صار فيها طرائق الشحم وعكنه

رسول الله صلى الله عليه يَسَارٍ فذبحوه،وغرزوا الشوك فى عينيه ، واستاقوا اللقاح ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثارهم كُرْزَ بن جابر ، فلحقهم ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرْجِعَهُ من غزوة ذى قرد، فقطع أيديهم وأرجلهم وَسَمَل أعْيُنَهُمْ (١)

غزوة على بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى اليمن

وغزوة على بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى اليمن ، غزاها مرتين

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب إلى اليمن و بعث خالد بن الوليد فى جند آخر ، وقال : « إنِ الْتَقَيْتُمَا فالأمير على بن أبى طالب» وقد ذكر ابن إسحق بَعْثَ خالد بن الوليد فى حديثه ، ولم يذكره فى عدة البعوث والسرايا ، فينبغى أن تكون العدة فى قوله تسعا وثلاثين

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فِلَسْطِين، وهو آخر البعوث

قال ابن إسحق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسَامَةَ بن زيد ابن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يوطىء الخيل تخُومَ الْبَلْقَاء وَالدَّارُومَ من أرض فِلَسْطين ، فتجهَّز الناس ، وأوْعَبَ مع أسامة المهاجرُون الأولون .

قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابتداء شَكْوَى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : فبينا الناس على ذلك ابْتُدِىء رسول الله صلى الله عليه وسلم بِشَكْوَاه الذى قَبَضَهُ الله فيه إلى ما أراد [به] من كرامته

---

(١) سمل عيونهم : فقأها

ورحمته ، فى ليال بَقِينَ من صفر ، أوفى أول شهر ربيع الأول ، فكان أول ما ابتدىء به من ذلك — فيما ذُكِر لى — أنه خرج إلى بَقيع الغَرْقد من جَوْف الليل فاستَغْفَرَ لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابْتُدِىء بوجعه من يومه ذلك .

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن عمر ، عن عُبَيدبن جُبَيْر مولى الحكم بن أبى العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبى مُوَيْهِبَةَ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جَوفِ الليل ، فقال : « يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ ، إِنِّى قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لأَهْلِ هٰذَا الْبَقِيعِ ، فَانْطَلِقْ مَعِى » فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ ، لِيَهْنِىءْ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهِ ، أَقْبَلَتِ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يَتْبَعُ آخِرُهَا أَوَّلَهَا ، الْآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الْأُولَى » ثم أقبل على فقال : « يا أبا مويهبة ، إنى قد أوتيتُ مفاتيحَ خزائن الدنيا والخلدَ فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة » قال : فقلت : بأبى أنت وأمى ؛ فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، قال : « لا ، والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربى والجنة » ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف ، فبدأ برسول الله صلى الله عليه وَجَعُهُ الذى قبضه الله فيه

خروج النبى ليلا إلى البقيع واستغفاره لأهله

قال ابن إسحق : وحدثنى يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع فوجدنى وأنا أجدُ صُدَاعًا فى رأسى ، وأنا أقول : وارأساه ، فقال : « بَلْ أَنَا وَاللهِ يَا عَائِشَةُ وَارَأْسَاه » قالت : ثم قال : « وما ضرك لو مُتِّ قَبْلِى فقُمْتُ عليك وكَفَّنْتُكِ وصليت عليك ودفنتك » قالت : قلت :

والله لكأنى بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتى فأعْرَسْت فيه ببعض نسائك ، قالت : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَتَتَامَّ به وجعه وهو يدور على نسائه ، حتى اسْتَعَزَّ به (١) وهو فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهن [فى] أن يمرض فى بيتى ، فأذِنَّ له

ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم [أمهات المؤمنين]

عدة أزواجه صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام : وكُنَّ تسعاً : عائشة بنت أبى بكر ، وحَفْصَة بنت عمر بن الخطاب ، وأمُّ حَبيبة بنت أبى سفيان بن حَرْب ، وأمُّ سَلَمَة بنت أبى أمية بن المغيرة ، وسَوْدَة بنت زَمْعَة بن قيس ، وزينب بنت جَحْش ابن رئاب ، وَمَيْمُونَة بنت الحرث بن حَزْن ، وجُوَيْرِية بنت الحرث بن أبى ضرار ، وَصَفِيَّة بنت حُيَيّ بن أخطب ، فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم ، وكان جميع من تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثَلَاثَ عَشْرَةَ

خديجة بنت خويلد

خَدِيجَةُ بنت خويلد : وهى أول من تَزَوَّج ، زَوَّجَهُ إياها أبوها خُوَيْلِد ابن أسد ، ويقال : أخوها عَمْرو بن خُوَيْلِد ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بَكْرَةً ، فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وَلَدَهُ كُلَّهُمْ ، إلا إبراهيم ، وكانت قبله عند أبى هَالَةَ بن مالك أحد بنى أُسَيد ابن عمرو بن تميم ، حليف بنى عبد الدار ، فولدت له هِنْدَ بن أبى هَالَةَ ، وزينب بنت أبى هالة ، وكانت قبل أبى هالة عند عُتَيِّق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فولدت له عبد الله وجارية

عائشة بنت أبى بكر

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائِشَةَ بنتَ أبى بكر الصديق بمكة ، وهى بنت سبع سنين ، وبَنَى بها بالمدينة ، وهى بنت تسع سنين

---

(١) استعزبه : اشتد عليه وغلبه على نفسه ، وتقول : عزه يعزه ، إذا غلبه ، ومنه قوله تعالى : (وعزنى فى الخطاب)

أو عشر ، ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرًا غيرها ، زَوَّجه إياها [أبوها] أبو بكر ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم

سودة بنت زمعة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ بن قيس بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى ، زَوَّجَه إياها سليط بن عمرو ، ويقال : أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم

قال ابن هشام : ابنُ إسحقَ يخالفُ هذا الحديث ، يذكر أن سليطا وأبا حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة فى هذا الوقت ، وكانت قبله عند السَّكْرَان بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حسل

زينب بنت جحش

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زَيْنَبَ بنت جَحْش بن رئاب الأسدية ، زَوَّجَه إياها أخوها أبو أحمد بن جَحْش ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففيها أنزل الله تبارك وتعالى : (٣٣ : ٣٧) (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا)

أم سلمة هند بنت أبى أمية

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمَّ سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية ، واسمها هند ، زَوَّجَه إياها سَلَمَةُ بن أبى سَلَمَةَ ابْنُهَا ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فِرَاشًا حَشْوُهُ ليفٌ وقَدَحًا وَصَحْفَةً ومِجَشَّةً[(١)] وكانت قبله عند أبى سَلَمَةَ بن عبد الأسد ، واسمه عبد الله ، فولدت له : سلمة ، وعمر ، وزينب ، ورُقَيَّة

---

(١) المجشة : أراد بها الرحى ، وهى اسم آلة الجش ، تقول : جششت الطعام ـ من باب نصر ـ إذا طحنته طحنا غليظا ، ومنه الجشيش والجشيشة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حَفْصَةَ بنت عُمَرَ بن الخطاب زوجه إياها أبوها عمر [بن الخطاب] رضى الله عنه ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم ، وكانت قبله عند خُنَيْس بن حُذَافة السَّهْمى حفصة بنت عمر

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمَّ حبيبة . واسمها رَمْلَةُ ، بنتَ أبى سفيان بن حرب ، زَوَّجَه إياها خالدُ بن سعيد بن العاص ، وهما بأرض الحبشة ، وأصدقها النجاشىُّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار ، وهو الذى كان خطبها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قبله عند عُبَيْد الله بن جَحْش الأسدى أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جُوَيْرِيَةَ بنت الحرث بن أبى ضِرَار الْخُزَاعية ، كانت فى سبايا بنى الْمُصْطَلَق من خُزَاعة ، فوقعت فى السَّهْم لثابت بن قَيْس بن الشَّمَّاس الأنصارى ، فكاتبها على نفسها ، فأتت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها ، فقال : « هَلْ لَكِ فِى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكِ » ؟ قالت : وماهو ؟ قال : « أَقْضِى عَنْكِ كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ » فقالت : نعم ، فتزوجها جويرية بنت الحارث

قال ابن هشام : حدثنا بهذا الحديث زيادُ بن عبد الله [البَكَّائى] ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة

قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى الْمُصْطَلَق ومعه جُوَيْرِية بنت الحرث فكان بذات الْجَيْش دفع جويريةَ إلى رجل من الأنصار وديعةً ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه سلم المدينة ، فأقبل أبوها الحرث بن أبى ضِرَار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء فرغِبَ فى بعيرين منها ، فغَيَّبهُمَا فى شِعْب من شعاب العقيق ، ثم أتى النبي صلى الله

عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، أصبتم ابنتى ، وهذا فداؤها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَأَيْنَ الْبَعِيرَانِ اللَّذَانِ غَيَّبْتَ بِالْعَقِيقِ فِى شِعْبِ كَذَا وَكَذَا » ؟ فقال الحرث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله صلى الله عليك ، فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله تعالى ، فأسلم الحرث وأسلم معه ابنان له وناس [كثير] من قومه ، وأرسل إلى البعيرين فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ودُفعت إليه ابنته جُوَيْرِيَةُ ، فأسلمت وحسن إسلامها ، وخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ، فزوجه إياها ، وأصدقها أربعمائة درهم ، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابن عم لها يقال له عبد الله .

قال ابن هشام : ويقال : اشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثابت بن قيس ، فأعتقها ، وتزوجها ، وأصدقها أربعمائة درهم

صفية بنت حيى ابن أخطب

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفيةَ بنت حُيَيٍّ بن أَخْطَب ، سَبَاها من خَيْبَرَ ، فاصطفاها لنفسه ، وأَوْلَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وَليمةً مافيها شَحْمٌ ولا لحم ، كان سويقا وتمراً ، وكانت قبله عند كِنَانَةَ ابن الربيع بن أبى الْحُقَيْق .

ميمونة بنت الحارث

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم مَيْمُونَةَ بنت الحرث بن حَزْن بن بَحِير بن هُزَمَ بن رُوَيْبَةَ بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، زَوَّجَه إياها العبَّاسُ بن عبد المطلب ، وأصدقها العباسُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم ، وكانت قبله عند أبى رُهْم بن عبد الْعُزَّى بن أبى قَيْس بن عبد وُدٍّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، ويقال : إنها التى وَهَبَتْ نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن خِطْبَةَ النبى صلى الله عليه وسلم انتهت إليها وهى على بعيرها ،

فقالت : البعير وماعليه لله و لرسوله ، فأنزل الله تبارك وتعالى : (٣٣ : ٥٠)
(وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ [إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا])
و يقال : إن التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم زَيْنَبُ بنت جَحْش ،
و يقال : أم شريك غَزِيَّةُ بنت جابر بن وَهْب من بنى مُنْقِذ بن عَمْرو بن
مَعِيص بن عامر بن لؤى ، و يقال : بل هى امرأة من بنى سَامَةَ بن لُؤَى
فأَرْجَأَهَا رسول الله صلى الله عليه وسلم

زينب بنت خزيمة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زَيْنَبَ بنت خُزَيْمَةَ بن الحرث
ابن عبد الله بن عمْرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت
تُسَمَّى أمَّ المساكين ، لرحمتها إياهم ورقتها عليهم ، زوجه إياها قَبِيصَةُ بن عمرو
الهلالى ، وأصدقها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أر بعمائة درهم ، وكانت قبله
عند عُبَيْدَةَ بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت قبل عُبَيْدَةَ
عند جَهْم بن عمرو بن الحرث ، وهو ابن عمها

فهؤلاء اللاتى بنى بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إحدى عشرة

فمات قبله منهن ثنتان : خديجة بنت خُوَيْلِد ، وزينب بنت خُزَيْمة ،
وتوفى عن تسع قد ذكرناهن فى أول هذا الحديث

لم يدخل النبى باثنتين من زوجاته

وثنتان لم يدخل بهما : أسماء بنت النُّعْمَان الكِنْدِيَّة ، تزوجها فوجد
بها بَيَاضاً ، فمَتَّعَهَا وَرَدَّها إلى أهلها ، وَعَمْرَة بنت يزيد الكلابية ،
وكانت حديثةَ عَهْدٍ بِكُفْرٍ ، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : «مَنِيعٌ عَائِذُ الله» فردها إلى أهلها ، و يقال : إن التى استعاذت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم كِنْدِيَّةٌ بنتُ عمٍّ لأسماء بنت النعمان،

ويقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها فقالت : إنا قوم نُؤْتَى ولا نأتِى ، فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهلها

القرشيات منهن

القرشيات من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ست : خديجة بنت خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤى ، وعائشة بنت أبى بكر بن أبى قُحَافَةَ بن عامر بن عَمْرو بن كَعْب ابن سَعْد بن تَيْم بن مُرَّة بن كعب بن لؤى، وَحَفْصَةُ بنت عُمَرَ بن الخطاب ابن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن عبدالله بن قُرْط بن رياح بن رِزاح بن عدىّ بن ابن كعب بن لؤى ، وأمُّ حبيبة بنت أبى سفيان بن حَرْب بن أمية بن عبدشمس بن عبد مناف بن قصىّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ، وأُم سَلَمَةَ بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ بن مَخْزُوم بن يَقَظَةَ بن مرة ابن كعب بن لؤى ، وسَوْدَةَ بنت زَمْعَةَ بن قيس بن عبد شمس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى

العربيات منهن

والعربيات غيرهن سبع : زَيْنَبُ بنت جَحْش بن رِئاب بن يَعْمَر ابن صَبْرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، ومَيْمُونَةُ بنت الحرث بن حَزْن بن بَحير بن هُزَم بن رُؤَيْبَةَ بن عبد الله بن هلال ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بَكر بن هوازن بن منصور بن عِكْرِمة ابن خَصَفَةَ بن قيس بن عيلان ، وزَيْنَبُ بنت خُزَيْمَةَ بن الحرث بن عبد الله بن عَمْرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية، وَجُوَيْرية بنت الحرث بن أبى ضِرار الخُزَاعِيَّة ثم المُصْطَلَقيَّة، وأسماء بنت النعمان الكِنْدِية ، وَعَمْرَة بنت يَزِيدَ الكلابية

ومن غير العربيات: صَفِيَّةُ بنت حُيَىٍّ بن أَخْطَبَ من بنى النضير

شكوى النبي

عدنا إلى ذكر شَكْوَى رسول الله صلى الله عليه وسلم

تمريض النبي فى منزل عائشة

قال ابن إسحق: حدثنى يعقوب بن عُتْبة ، عن محمد بن مُسْلم الزهرى ،

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يَمْشِى بين رَجُلَيْن من أهله : أحدهما الفضل بن عباس ، ورجل آخر ، عاصباً رأسَهُ تَخُطُّ قدماه ، حتى دخل بيتى ، قال عبيد الله : فحدثت هذا الحديث عَبْدَ الله بن عباس ، فقال : هل تدرى مَن الرجل الآخر ؟ قال : قلت : لا ، قال : على بن أبى طالب ، ثم غُمِرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَاشْتَدَّ [به] وَجَعُهُ ، فقال : «هَرِيقُوا عَلَىَّ سَبْعَ قِرَبٍ مِنْ آبَارٍ شَتَّى حتَّى أخْرُجَ إلَى النَّاسِ فأَعْهَدَ إلَيْهِمْ » قالت : فأقعدناه فى مِخْضَبٍ لحفصة بنت عمر ، ثم صببنا عليه الماء ، حتى طفق يقول : « حَسْبُكُمْ حَسْبُكُمْ »

النبى ينعى نفسه للمسلمين

قال ابن إسحق : وقال الزُّهْرِىُّ : حدثنى أيوب بن بشير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عاصباً رأسَهُ حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول ما تكلم به أنه صَلَّى على أصحاب أُحُدٍ ، واستغفر لهم ؛ فأكثر الصلاة عليهم ، ثم قال : «إنَّ عَبْداً مِنْ عِبادِ الله خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ الدُّنْيَا [والآخرة] وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ الله ». قال : ففهمها أبو بكر ، وعرف أن نَفْسَه يريد ، فبكى ، وقال : بل نحن نَفْديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : «عَلَى رِسْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ » ثم قال : « انْظُرُوا هٰذِهِ الأَبْوَابَ اللاَّفِظَةَ فِى المَسْجِدِ (١) فَسُدُّوهَا إلاَّ بَيْتَ أَبِى بَكْرٍ فَإِنِّى لاَ أَعْلَمُ أَحَداً كَانَ أَفْضَلَ فِى الصُّحْبَةِ عِنْدِى يَدًا مِنْهُ »

قال ابن هشام : ويروى إلاَّ بَابَ أبى بكر

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل [أبى] سعيد بن المعلى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ فى كلامه

(١) اللافظة فى المسجد : أى النافذة إليه

هذا « فإنِّى لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ الْعِبَادِ خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أبَا بَكْرٍ خَلِيلاً ، وَلٰكِنْ صحبةٌ وإخاء إيمانٍ حَتَّى يَجْمَعَ الله بَيْنَنَا عِنْدَهُ »

رسول الله يأمر بإنفاذ بعث أسامة

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطأ الناسَ فى بعث أسامة وهو فى وَجَعِه ، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، وقد كان الناسُ قالوا فى إمْرَة أُسامة : أمَّرَ غُلامًا حَدَثًا على جلَّة المهاجرين والأنصار ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : « أيُّهَا الناس ، أنْفِذُوا بَعْثَ أسَامَةَ ، فَلَعَمْرِى لَئِنْ قُلْتُمْ فِى إمَارَتِهِ لَقَدْ قُلْتُمْ فِى إمَارَةِ أبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ وَإنَّهُ لَخَلِيقٌ لِلإمَارَةِ وَإنْ كَانَ أبُوهُ لَخَلِيقًا لَهَا » قال : ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانكمش الناس فى جهازهم ، واستعز برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه ، فخرج أسامة ، وخرج بجيشه معه ، حتى نزلوا الْجُرْفَ من المدينة على فرسخ ، فضرب به عسكره ، وتتامَّ إليه الناس ، وثَقُلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام أسامة والناس لينظروا ما الله قَاضٍ فى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وصية رسول الله بالأنصار

قال ابن إسحق : قال الزهرى : وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم صلى وَاسْتَغْفَرَ لأصحاب أحُدٍ وذكرَ من أمرهم ماذكر مع مقالته يومئذ : « يَامَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، اسْتَوْصُوا بالأنْصَارِ خَيْرًا فَإنَّ النَّاسَ يَزِيدُونَ وَإنَّ الأنْصَارَ عَلَى هَيْئَتِهَا لا تَزِيدُ وَإنَّهُمْ كَانُوا عَيْبَتِى الَّتِى أوَيْتُ إلَيْهَا فَأَحْسِنُوا إلَى مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ » ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيته ، وتتامَّ به وَجَعُه حتى غُمِرَ [1] .

---

(١) غمر ـ بالبناء للمجهول ـ أصابته غمرة المرض

أرادوا أن يلدوا النبي فتألم

فاجتمع إليه نساء من نسائه أمُّ سلمة وميمونةُ ونساء من نساء المسلمين منهن أسماء بنت عُمَيس، وعنده العباس عمه، فأجمعوا [على] أن يَلُدُّوه(١) وقال العباس: لَأَلُدَّنَّه، قال: فلَدُّوه فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ صَنَعَ هٰذَا بِي»؟ قالوا: يارسول الله عمك، قال: «هٰذَا دَوَاءٌ أَتَى بِهِ نِسَاءٌ جِئْنَ مِنْ نَحْوِ هٰذِهِ الْأَرْضِ» وأشار نحو أرض الحبشة، قال: «وَلِمَ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ»؟ فقال عمه العباس: خشينا يارسول الله أن يكون بك ذات الجَنْبِ، فقال: «إِنَّ ذَلِكَ لَدَاءٌ مَا كَانَ اللهُ لِيَقْذِفَنِي بِهِ، لاَ يَبْقَ فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ إِلاَّ لُدَّ إِلاَّ عَمِّي» فلقد لدت ميمونة وإنها لصائمة لقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ عقوبةً لهم بما صنعوا به

دعا رسول الله لأسامة بالإشارة

قال ابن إسحق: وحدثني سعيد بن عُبَيْد بن السَّبَّاق، عن محمد ابن أسامة، عن أبيه أسامة بن زيد، قال: لما ثَقُلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم هَبَطْتُ وهبط الناسُ معي إلى المدينة، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أُصْمِتَ فلا يتكلم، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليّ فأعرف أنه يدعو لي

النبي يختار الآخرة على الدنيا

قال ابن إسحق: وقال ابن شهاب الزهري: حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما أسمعه يقول: «إِنَّ اللهَ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيًّا حَتَّى يُخَيِّرَهُ» قالت: فلما حُضِر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول: «بَلِ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ» قالت: قلت: إذاً والله لا يختارنا، وعرفت أنه الذي كان يقول لنا «إن نبيا لم يُقْبَضْ حتى يُخَيَّر»

---

(١) تقول: لددت المريض — من باب نصر — إذا جعلت الدواء في شق فمه، واللدود — بفتح أوله — ما يسقاه المريض في أحد شقي فمه، ولديدا الفم: جانباه.

صلاة أبي بكر رضى الله عنه بالناس

قال الزهرى : وحدثنى حمزة بن عبد الله بن عمر أن عائشة قالت : لما استُعِزَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مُرُوا أبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » قالت : قلت : يانبى الله ، إن أبا بكر رجلٌ رقيق ضعيفُ الصوت كثيرُ البكاء إذا قرأ القرآن ، قال : « مُرُوهُ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » قالت : فعدت بمثل قولى ، فقال : « إنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ فَمُرُوهُ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » قالت : فوالله ماأقول ذلك إلا أنى كنت أحبُّ أن يُصْرَف ذلك عن أبى بكر ، وعرفت أن الناس لايُحِبُّون رجلا قام مقامه أبدًا ، وأن الناس سيتشاءمون به فى كل حدث كان ، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى بكر

عمر يصلى بالناس فيأبى ذلك النبى ويسأل عن أبى بكر

قال ابن إسحق : وقال ابن شهاب : حدثنى عبد الملك بن أبى بكر ابن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زَمْعَة بن الأسود ابن المطَّلب بن أسد ، قال : لما استُعِزَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فى نفر من المسلمين ، قال : دعاه بِلَالٌ إلى الصلاة ، فقال : « مُرُوا مَنْ يُصَلِّى بالناس » قال : فخرجت فاذا عمر فى الناس ، وكان أبو بكر غائبا ، فقلت : قُمْ ياعمر فصَلِّ بالناس ، قال : فقام ، فلما كَبَّر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته ، وكان عمر رجلا مُجْهِرًا (١) قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ ؟ يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ ، يأبى الله ذلك والمسلمون » قال : فبعث إلى أبى بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس ، قال : قال عبد الله بن زمعة : قال لى عمر : وَيْحَكَ ! ماذا صَنَعْتَ بى يا ابن زَمْعَةَ ؟ والله ماظننتُ حين أَمَرْتَنى إلا أن رسول

(١) مجهرا : أى رفيع الصوت ، وأصله الجهارة ، وهى ارتفاع الصوت

الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ، ولولا ذلك ماصليت بالناس ، قال : قلت : والله ما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، ولكنى حين لم أر أبا بكر رأيتك أحقَّ من حضر بالصلاة بالناس

خروج النبي صبيحة اليوم الذى مات فيه

قال ابن إسحق : وقال الزهرى : حدثنى أنس بن مالك ، أنه لما كان يوم الاثنين الذى قَبَض الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الناس وهم يصلون الصُّبْح، فرفع الستر وفتح الباب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام على باب عائشة ، فكاد المسلمون يَفْتَتِنُونَ فى صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه ، فَرَحًا به ، وَتَفَرَّجوا ، فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم ، قال : وتبسَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم سُرُورًا لما رأى من هيئتهم فى صلاتهم ، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن هيئةً منه تلك الساعة ، قال : ثم رجع ، وانصرف الناس ، وهم يُرَوْنَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفْرَقَ من وَجَعِهِ (١) ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح (٢)

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحرث ، عن القاسم ابن محمد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين سمع تكبير عمر فى الصلاة : « أَيْنَ أَبُو بَكْرٍ؟ يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ » فلولا مَقَالَةٌ قالها عمر عند وفاته لم يَشُكَّ المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استخلف أبا بكر ، ولكنه قال عند وفاته : إنْ أَسْتَخْلِفْ فقد

---

(١) أفرق من وجعه : برى واستبل ، تقول : أفرق المريض ، إذا أبل من مرضه

(٢) السنح - بضم فسكون - موضع كان لأبى بكر رضى الله عنه فيه مال وكان ينزله بأهله

اسْتَخْلَفَ مَنْ هو خير منى ، وإن أَتْرُكْهُمْ فقد تركهم من هو خير منى، فعرف الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحدا،وكان عمر غَيْرَ مُتَّهَمٍ على أبى بكر

خروج النبى صبحة الاثنين وصلاته بجنب أبى بكر

قال ابن إسحق : وحدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى مُلَيْكة ، قال : لما كان يومُ الاثنين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصباً رأسه إلى الصُّبح، وأبو بكر يُصَلِّى بالناس ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تَفَرَّجَ الناسُ ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يَصْنَعُوا ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَنَكَصَ عن مُصَلَّاه ، فدفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ظهره ، وقال : « صَلِّ بِالنَّاسِ » وجَلَسَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم إلى جَنْبِه ، فَصَلَّى قاعداً عن يمين أبى بكر ، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس فكلَّمهم رافعًا صَوْتَهُ ، حتى خرج صوته من باب المسجد يقول : « أَيُّهَا النَّاسُ ، سُعِّرَتِ النَّارُ وَأَقْبَلَتِ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ وَإِنِّى وَاللهِ مَا تَمَسَّكُونَ عَلَىَّ بِشَىْءٍ ، إِنِّى لَمْ أُحِلَّ إِلاَّ مَا أَحَلَّ الْقُرْآنُ وَلَمْ أُحَرِّمْ إِلاَّ مَا حَرَّمَ الْقُرْآنُ » قال : فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من كلامه قال له أبو بكر : يانبى الله، إنى أراك قد أصْبَحْت بنعمة من الله وَفَضْلٍ كما نُحِبُّ وَالْيَوْمُ يومُ بنت خارجةَ أفآتيها ؟ قال : « نَعَمْ » قال : ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح

شأن العباس وعلى بن أبى طالب

قال ابن إسحق : قال الزهرى : وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك، عن عبد الله بن عباس ، قال : خرج يومئذ علىُّ بن أبى طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الناس : ياأبا حسن ، كَيْفَ أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئًا ، قال : فأخذ العباسُ بيده ، ثم قال : ياعلى ، أنت والله

عَبْدُ العصا ، بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفتُ الموت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كنتُ أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب ، فانطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإن كان هذا الأمر فينا عرَفناه ، وإن كان فى غيرنا أمَرْناه فأوصى بنا النَّاسَ ؟ قال : فقال له على : إنى والله لا أفعل ، والله لئن مَنَعنَاه لا يُؤتيناهُ أحدٌ بعده

فتُوُفِّىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين اشتَدَّ الضُّحَاء من ذلك اليوم .

استياك النبى قبيل وفاته

قال ابن إسحق : وحدثنى يعقوب بن عُتْبَة ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة . قال : قالت : رَجَعَ [إلىَّ] رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم حين دخل من المسجد فاضطجع فى حَجْرَى ، فدخل علىَّ رجلٌ من آل أبى بكر وفى يده سِوَاكٌ أخضر ، قالت : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فى يده نظراً عرَفتُ أنه يريده ، قالت : فقلت : يارسول الله ، أتحبُّ أن أعطيك هذا السواك ؟ قال : « نعم » قالت : فأخذته فمَضَغْتُه حتى لَيَّنْتُهُ ، ثم أعطيته إياه ، قالت : فاستَنَّ به كأشدّ مارأيته يَسْتَنُّ (١) بسواك قَطُّ ، ثم وضعه ، ووجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَثْقُلُ فى حجرى ، فذهبت أنظر فى وجهه ، فاذا بَصَرُه قد شَخَصَ ، وهو يقول : « بَلِ الرَّفِيقَ الأَعْلَى مِنَ الجَنَّـةِ » قالت : فقلتُ : خُيِّرْتَ فاخترْتَ والذى بعثك بالحق ، قالت : وَقُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : وحدثنى يَحْيَى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : سمعتُ عائشة تقول : مات رسول الله صلى الله

(١) فى نسخه « كأشد مارأيته استن بسواك قط »

عليه وسلم بين سَحْرِى وَنَحْرِى (١) وفى دَوْلَتِى (٢) لم أظلم فيه أحدا ، فمِنْ سَفَهِى وَحَدَاثة سنى أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قُبِضَ وهو فى حجرى ، ثم وضعت رأسه على وِسَادة وقمت ألْتَدِمُ (٣) مع النساء وأَضْرِبُ وجهى .

دهشة عمر حين سمع بوفاة رسول الله

قال ابن إسحق : قال الزُّهْرِى : وحدثنى سعيد بن الْمُسَيَّب ، عن أبى هريرة ، قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب فقال : إن رجالاً من المنافقين يَزْعُمُونَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تُوُفِّى ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما مات ، ولكنه ذَهَبَ إلى ربه كما ذهب موسى بن عِمْرَان ؛ فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل : قد مات ، والله لَيَرْجِعَنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى فَلَيَقْطَعَنَّ أَيدىَ رجالٍ وَأَرْجُلَهُمْ زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات

رزانة أبى بكر وهدوءه

وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد — حين بلغه الخبر — وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شىء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُسَجًّى (٤) فى ناحية البيت عليه بُرْدُ حِبَرَةٍ (٥) فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) السحر : الرئة وما يتصل بها إلى الحلقوم ؛ وهو بفتح فسكون أو بضم فسكون ، والنحر : أعلى الصدر

(٢) فى دولتى : تريد فى نوبتها التى كانت لها

(٣) ألتدم : أضرب صدرى ، تقول : التدمت المرأة ؛ إذا ضربت صدرها

(٤) مسجى : مغطى الوجه

(٥) هو ضرب من ثياب اليمن

ثم أقبل عليه فَقَبَّله ، ثم قال : بأبى أنت وَأمِّى ، أما المَوْتَةُ التى كتب الله عليك فقد ذُقْتها ، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدا ، قال : ثم رَدَّ البُرْدَ على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وعمر يكلم الناس ، فقال : على رِسْلِكَ ياعمر ، أنصِتْ ، فَأبَى إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا يُنْصِتُ أقبل على الناس ، فلما سمع الناسُ كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حَىٌّ لايموت ، قال : ثم تلا هذه الآية (٣ : ١٤٤) : (وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ) قال: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت ، حتى تلاها أبو بكر يومئذ ، قال : وأخذها الناسُ عن أبى بكر ، فانما هى فى أفواههم ، قال : فقال أبو هريرة قال عمر : فوالله ماهو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فَعُقِرْتُ (١) حتى وقعت إلى الأرض ماتَحْمِلنى رِجْلاَىَ ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات

أمر سَقِيفة بنى سَاعدَةَ

المسلمون يصيرون ثلاث جماعات

قال ابن إسحق : ولما قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز هذا الحىُّ من الأنصار إلى سَعْد بن عُبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، واعتزل على بن أبى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فى بيت فاطمة ، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبى بكر [وعمر] ، وانحاز معهم أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْر

(١) عقرت - بالبناء للمجهول - دهشت وتحيرت ؛ تقول : عقر الرجل إذا تحير ودهش

فى بنى عبد الأشهل ، فأتى آتٍ إلى أبى بكر وعمر فقال : إن هذا الحى من الأنصار مع سَعْد بن عُبَادة فى سقيفة بنى ساعدة قد انحازوا إليه ، فان كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا الناس قبل أن يتفاقم أمرهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته لم يُفْرَغْ من أمره قد أَغْلق دونه البابَ أَهْلُه ، قال عمر : فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار حتى ننظر ما هم عليه

عمر يحدث الناس على المنبر حديث السقيفة

قال ابن إسحق : وكان من حديث السقيفة — حين اجتمعت بها الأنصار — أن عبدَالله بن أبى بكر حدثنى ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : أخبرنى عبدُ الرحمن بن عَوْف ، قال : وكنت فى منزله بمِنًى أنتظره وهو عند عمر فى آخر حَجَّة حَجَّها عمر ، قال : فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر فوجدنى فى منزله بمِنًى أنتظره ، وكنت أقرئه القرآن ، قال ابن عباس : فقال لى عبد الرحمن بن عوف : لو رأيتَ رجلاً أتى أميرَ المؤمنين فقال : ياأمير المؤمنين ، هل لك فى فلان يقول : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً ، والله ما كانت بَيْعَةُ أبى بكر إلا فَلْتَةً فتَمَّتْ ، قال : فغضب عمر ، فقال : إنى إن شاء الله لقائم العشيةَ فى الناس فمُحَذِّرهم هؤلاء الذين يريدون أن يَغْصِبُوهم أمرهم ، قال عبد الرحمن : فقلت : ياأمير المؤمنين ، لاتَفْعَلْ ؛ فان الموسم يَجْمَعُ رعاع الناس وَغَوْغَاءَهُمْ (١) ، وإنهم هم الذين يغلبون على قُرْبك حين تقوم فى الناس ، وإنى أخشى أن تقوم فتقول مقالة يَطِيرُ بها أولئك عنك كلَّ مَطِيرٍ ولا يَعُوها ولا يَضَعُوها على

(١) الرعاع : سقاط الناس ، والغوغاء : سفال الناس ؛ وأصل الغوغاء الجراد ، فشبه سفال الناس به لكثرتهم .

مواضعها ، فأمْهِلْ حتى تَقْدَمَ المدينة ؛ فانها دار السنة ، وتَخْلُصَ بأهل الفقه وأشراف الناس ، فتقول ما قلت بالمدينة متمَكِّنًا ؛ فيعى أهل الفقه مَقَالَتَكَ ويضعوها على مواضعها ، قال : فقال عمر : أما والله إن شاء الله لَأَقُومَنَّ بذلك أولَ مَقَامٍ أقومه بالمدينة .

قال ابن عباس : فقدمنا المدينة فى عَقِبِ ذى الحجة ، فلما كان يوم الجمعة عَجَّلْتُ الرَّواح حين زالت الشمس ، فأجدُ سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلى ركن المنبر ، فجلست حَذْوَهُ تَمَسُّ ركبتى ركبته ، فلم أنْشَبْ أن خرج عمر بن الخطاب ، فلما رأيته مقبلا قلت لسعيد بن زيد : لَيَقُولَنَّ العشيةَ على هذا المنبر مقالةً لم يقلها منذ استخلف ، قال : فأنكر علىَّ سعيدُ بن زيد ذلك ، وقال : ماعسى أن يقول مما لم يقل قبله ؟ فجلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذن قام فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ؛ فانى قائل لكم [اليوم] مقالةً قد قُدِّرَ لى أن أقولها ، ولا أدرى لعلها بين يدى أجلى ، فمن عَقَلَهَا ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته ، ومن خشى أن لا يعيها فلا يحلُّ لأحد أن يكذب علىَّ ، إن الله بعث محمدا ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها وعلمناها ووَعَيْنَاها ورَجَمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زَمَان أن يقول قائل : والله مانجد الرجم فى كتاب الله ؛ فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أُحصن من الرجال والنساء ، إذا قامت البينة ، أو كان الحَبَلُ ، أو الاعتراف ، ثم إنا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله لاَ تَرْغَبُوا عن آبائكم فانه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم ، ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاتُطْرُونى كما أُطْرِىَ عِيسَى بْنُ مَرْيم ، وقولوا عبد الله ورسوله »

آية الرجم كانت فى القرآن

ثم إنه قد بلغنى أن فلانا قال: والله لو قد مات عمر بن الخطاب قد بايعت فلانا، فلا يَغُرَّنَّ امرأ أن يقول: إن بيعة أبى بكر كانت فَلْتَةً فتمَّتْ، وإنها قد كانت كذلك، إلا أن الله [قد] وَقَى شرها، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبى بكر، فمن بايع رجلا عن غير مَشُورَة من المسلمين فإنه لا بَيْعَةَ له هو ولا الذى بايعه تَغِرَّةً أن يُقْتَلَا، إنه كان من خبرنا — حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم — أن الأنصار خالفونا، فاجتمعوا بأشرافهم فى سقيفة بنى ساعدة، وتخلَّفَ عنا علىٌّ بن أبى طالب وَالزُّبَيْر بن الْعَوَّام ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر، فقلت لأبى بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نَؤُمُّهُمْ، حتى لَقِيَنَا منهم رجلان صالحان، فذكرا لنا مَا تَمَالأ عليه القوم، وقال: أين تريدون يامعشر المهاجرين؟ قلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، قالا: فلا عليكم أن لا تقربوهم يامعشر المهاجرين، اقْضُوا أمركم، قال: قلت: والله لَنَأْتِيَنَّهُمْ، فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة، فاذا بين ظَهْرَانِيهِمْ رجل مُزَمَّلٌ (١)، فقلت: من هذا؟ فقالوا: سَعْدُ بن عُبَادة، فقلت: ماله؟ فقالوا: وَجِعٌ، فلما جلسنا تَشَهَّدَ خطيبهم فأثنى على الله بما هو له أهل، ثم قال: أما بعد؛ فنحن أنصار الله، وكتيبة الإسلام، وأنتم يامعشر المهاجرين رَهْطٌ منا، وقد دَفَّتْ دَافَّةٌ (٢) من قومكم، قال: وإذا هم يريدون أن يَخْتَازُونَا من أصلنا ويغصبونا الأمر، فلما سَكَتَ أردتُ أن أتكلم

(١) مزمل: ملتف، تقول: تزمل الرجل، إذا التف فى كساء أو نحوه، وقد زملته

(٢) الدافة: الجماعة تأتى من البادية إلى الحاضرة وهى أيضا الجماعة تسير برفق

وقد زَوَّرْتُ (١) [في نفسي] مقالةً قد أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدى أبى بكر ، وكنت أدارى منه بعض (٢) الحد ، فقال أبو بكر : على رِسْلِكَ ياعمر ، فكرهت أن أغضبه ، فتكلم وهو كان أعلم منى وأوقر . فوالله ما ترك من كلمة أعجبتنى من تَزْوِيرِى إلا قالها فى بديهته ، أومثلها ،أوأفضل، حتى سكت ، قال : أما ما ذكرتم فيكم من خَيْرٍ فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش : هم أوسط العرب نسباً وداراً ، وقد رضيتُ لكم أحدهذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة بن الجراح وهوجالس بيننا ، ولم أكره شيئاً مما قال غيرها .كان والله أن أُقَدَّمَ فتضرب عنقى لايقرِّبنى ،ذلك إلى إثم أحبُّ إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، قال : فقال قائل من الأنصار: أنا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ وَعُذَيْقُهَا الْمُرَجَّبُ (٣) منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش ، قال : فكثر اللغط ، وارتفعت الأصوات ، حتى تَخَوَّفْتُ الاختلافَ ، فقلت : ابْسُطْ يَدَكَ يا أبا بكر ، فبسط يده ، فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، ونَزَوْنَا على سعد بن عُبادة ، فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عُبَادة ،قال:فقلت: قتل الله سَعْدَ بن عُبَادة

كلام أبى بكر يوم السقيفة

قال ابن إسحق : قال الزهرى : أخبرنى عروة بن الزبير ، أن أحد الرجلين اللذين لَقُوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عُوَيْمُ بن ساعدة،

---

(١) زورت مقالة : أعددتها وحسنتها فى نفسى

(٢) يريد أنه قد كان فى أخلاقه بعض الحدة فكان جهد عمر أن يداريه

(٣) الجذيل : تصغير جذل ، وهو عود ينصب فى وسط الابل تحتك به وتستريح إليه ، والعرب تضرب به المثل للرجل يستشفى برأيه ، والعذيق : تصغير عذق ، وهى النخلة نفسها ، والمرجب : الذى تبنى إلى جانبه دعامة لكثرة حمله وعزه على أهله ، ويضرب به المثل فى الرجل الشريف المعظم

والآخر مَعْنُ بن عدى أخو بنى العَجْلان ، فأما عُوَيْمُ بن ساعدة فهو الذى بلغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم مَنِ الذين قال الله عز وجل لهم (٩: ١٠٨) : (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نِعْمَ الْمَرْءُ مِنْهُمْ عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ » وأما مَعْن بن عدى فبلغنا أن الناس بَكَوْا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفاه الله عز وجل ، وقالوا : والله لَوَدِدْنَا أنا مُتْنَا قبله ، إنا نخشى أن نُفْتَتَن بعده ، قال معن بن عدى : لكنى والله ما أُحِبُّ أنى مت قبله ، حتى أصدقه ميتا كما صدقته حيا ، فَقُتِلَ معنٌ يوم اليمامة شهيداً فى خلافة أبى بكر ، يوم مسيلمة الكذاب

خطبة عمر قبل أبى بكر ثانى يوم استخلافه

قال ابن إسحق : وحدثنى الزهرى ، قال : حدثنى أنس بن مالك ، قال : لما بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر فتكلم قبل أبى بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ، إنى قد كنت قلتُ لكم بالأمس مقالةً ما كانت ، وما وَجَدْتُها فى كتاب الله ، ولا كانت عهداً عَهِدَهُ إلىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنى قد كنت أُرَى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سَيُدَبِّرُ أمرنا ، يقول : يكون آخرنا ، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هَدَى [الله] رسولَهُ صلى الله عليه وسلم ، فان اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وَإِنَّ الله قد جمع أمركم على خيركم صاحبِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبابكر بَيْعَتَه العامة بعد بيعة السقيفة

خطبة أبى بكر

ثم تكلم أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بالذى هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فانى قد وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فان أَحْسَنْتُ

فأعينونى ، وإن أسأت فقوِّمونى ، الصِّدْقُ أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوىٌّ عندى حتى أريح عليه حقَّه إن شاء الله ، والقوىُّ فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يَدَعُ قومٌ الجهادَ فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تَشِيعُ الفاحشة فى قوم قَطُّ إلا عَمَّهُمُ الله بالبلاء ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عَصَيْتُ الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله

اعتذار عمر لدهشته يوم وفاة النبي

قال ابن إسحق : وحدثنى حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : والله إنى لأمشى مع عمر فى خلافته وهو عامد إلى حاجة له وفى يده الدِّرَّةُ وما معه غيرى ، قال : وهو يحدث نفسه ، ويضرب وَحْشِىَّ قَدَمِهِ بدِرَّته ، قال : إذ الْتَفَتَ إلىَّ فقال : ياابن عباس ، هل تدرى ما كان حملنى على مقالتى التى قلت حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : قلت : لا أدرى ياأمير المؤمنين ، أنت أعلم ، قال : فانه والله إن كان الذى حملنى على ذلك إلا أنى كنت أقرأ هذه الآية (٢ : ١٤٣) : (وَكَذلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) فوالله إن كنت لأَظُنُّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى فى أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ؛ فانه لَلَّذى حملنى على أَنْ قلت ماقلت

جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه

قال ابن إسحق : فلما بويع أبو بكر رضى الله عنه أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء

الذين ولوا غسل النبي صلى الله عليه وسلم

فحدثنى عبد الله بن أبى بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا : أن على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وَقُثَم بن العباس

وأسامة بن زيد وَشُقْرَانَ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذى وَلُوا غسله ، وأن أوْسَ بن خَوْلِيّ أحد بنى عوف بن الخزرج قال لعلى بن أبى طالب : أَنْشُدُكَ الله ياعلى وَحَظَّنَا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أوس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر ، قال : أدخل ، فدخل فجلس ، وحضر غُسْلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسنده علىٌّ بن أبى طالب إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقُثَم يقلبونه معه ، وكان أسامة بن زيد وشُقْرَان مولاه هما اللذان يَصُبَّان الماء ، وعلىٌّ يغسله، قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصه يَدْلُكه من ورائه ، لايُفْضِى بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى يقول : بأبى أنت وأمى، ما أطْيَبَكَ حَيًّا وميتا !! ولم يُرَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم شىء مما يُرَى من الميت

لم يجرد النبى من ثيابه حين غسل

قال ابن إسحق : وحدثنى يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عائشة ، قالت : لما أرادوا غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه ، فقالوا : والله ماندرى أنُجَرِّد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد مَوْتَانَا أو نغسله وعليه ثيابه ، قالت : فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى مامنهم رجل إلا ذَقَنُهُ فى صدره ، ثم كَلَّمهم مُكَلِّم من ناحية البيت لايدرون من هو أن اغسلوا النبى وعليه ثيابه ، قالت : فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسلوه وعليه قميصه يَصُبُّون الماء فوق القميص ويدلكونه والقميص دون أيديهم

كفن رسول الله

قال ابن إسحق : فلما فرغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كُفِّن فى ثلاثة أثواب ثوبين صُحَارِيَّيْن[1] وبُرْدِ حِبَرَةٍ أُدْرِجَ فيه إدراجا،

---

(١) صحاريين : نسبة إلى صحار : وهى بلدة من بلاد اليمن ، ويقال : هى عمان .

كما حدثنى جعفر بن محمد بن على بن الحسين ، عن أبيه، عن جده على بن الحسين ، والزهرى عن على بن الحسين

كان لهم فى الدفن طريقتان

قال ابن إسحق : وحدثنى حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو عبيدة بن الجراح يَضْرَحُ كحَفْر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد ابن سهل هو الذى يحفر لأهل المدينة فكان يلحد ، فدعا العباسُ رجلين، فقال لأحدهما : اذهب إلى أبى عبيدة بن الجراح ، وللآخر : اذهب إلى أبى طلحة ، اللهم خِرْ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد صاحبُ أبى طلحة أبا طلحة ، فجاء به ، فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما فرغ من جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء وُضِعَ على سريره فى بيته ، وقد كان المسلمون اختلفوا فى دفنه ، فقال قائل : ندفنه فى مسجده ، وقال قائل : بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما قُبِضَ نَبِىٌّ إلاَّ دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ » فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى توفى عليه ،

الصلاة على رسول الله

فحفر له تحته ، ثم دخل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصَلُّون عليه أرْسَالاً ، دخل الرجال حتى إذا فرغوا أُدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أُدخل الصبيان ، ولم يَؤُمَّ الناسَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد

دفن رسول الله

ثم دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وَسَطِ الليل ليلة الأربعاء

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن امرأته فاطمة بنت عمارة ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة[1] ، عن عائشة رضى

---

(١) فى نسخة أسعد بن زرارة

الله عنها ، قالت : ماعلمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صَوْتَ المَسَاحى من جَوْف الليل من ليلة الأربعاء .

قال محمد بن إسحق : وقد حدثتنى فاطمة هذا الحديث

الذين نزلوا دفن رسول الله

قال ابن إسحق : وكان الذين نزلوا فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، والفضل بن عباس ، وقُثَم بن عباس ، وشُقْران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال أوس بن خَوْلِيّ لعلى بن أبى طالب : ياعلىّ أنشدك الله وحَظَّنَا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : انزل ، فنزل مع القوم ، وقد كان مولاه شقران — حين وُضِعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته و بنى عليه — قد أخذ قطيفة قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها و يفترشها ، فدفنها فى القبر ، وقال : والله لايلبسها أحد بعدك أبداً ، قال : فدفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أحدث الناس عهدا برسول الله

وقد كان المغيرة بن شعبة يدعى أنه أحْدَثُ الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : أخذت خاتمى ، فألقيته فى القبر ، وقلت : إن خاتمى سقط منى ، و إنما طرحته عمداً لأَمَسَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكون أحدث الناس عهدا به صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : فحدثنى أبى إسْحٰقُ بن يَسَار ، عن مِقْسَم أبى القاسم مولى عبد الله بن الحرث بن نوفل ، عن مولاه عبد الله بن الحرث ، قال : اعتمرت مع على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى زمان عمر ، أو زمان عثمان ، فنزل على أخته أم هانىء بنت أبى طالب ، فلما فرغ من عمرته رجع ، فسُكِب له غسل ، فاغتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا : ياأبا حسن ، جئناك نسألك عن أمر نحبُّ أن تخبرنا عنه ، قال:

أظن المغيرة بن شعبة يحدثكم أنه كان أَحْدَثَ الناس عهدًا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : أجل ، عن ذلك جئناك نسألك ، قال : أَحْدَثُ الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قُثَمُ بن عباس

قال ابن إسحق : وحدثنى صالح بن كَيْسَان ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة حدثته قالت : كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم خَمِيصَةٌ سَوْداء (١) حين اشْتَدَّ به وَجعه ، قالت : فهو يضعها مرة على وجهه ، ومرة يكشفها عنه ، و[هو] يقول : « قَاتَلَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » يحذر ذلك على أمته

قال ابن إسحق : وحدثنى صالح بن كيسان ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : « لاَ يُتْرَكُ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانِ » .

قال ابن إسحق : ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عَظُمَتْ به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة — فيما بلغنى — تقول : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارْتَدَّت العرب ، واشْرَأَبَّت اليهودية (٢) والنصرانية ، ونجم النفاق (٣) وصار المسلمون كالغَنَم المَطِيرة فى الليلة الشاتية لفَقْد نبيهم صلى الله عليه وسلم ، حتى جمعهم الله على أبى بكر

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم ، أن أكثر أهل مكة لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَمُّوا

أهل مكة يهمون بالعودة الى الكفر

---

(١) الخميصة : كساء أسود ، وهو من لباس الزهاد

(٢) تقول : اشرأب الرجل ، إذا صعد عنقه لينظر

(٣) نجم النفاق : ظهر وبدا

بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك ، حتى خافهم عَتَّابُ بن أَسيد (١) فتَوَارَى ، فقام سُهَيْل بن عمرو ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن ذلك لم يزد الاسلام إلا قوة ، فمن رَابنَا ضَرَبْنا عنقه ، فتراجع الناسُ ، وكَفُّوا عما هموا به ، وظهر عَتَّابُ بن أسيد ، فهذا المقام الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله لعمر بن الخطاب : « إِنَّهُ عَسَى أَنْ يَقُومَ مَقَامًا لاَ تَذُمُّهُ » .

وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثنا ابن هشام عن أبى زيد الأنصارى : —

قصيدة لحسان يرثى بها النبى صلى الله عليه وسلم

بِطَيْبَةَ رَسْمٌ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ ... مُنِيرٌ وَقَدْ تَعفُو الرُّسُومُ وَتَهْمُدُ
وَلاَ تَمْتَحِي الآيَاتُ مِنْ دَارِ حرْمَةٍ ... بِهَا مِنْبَرُ الْهَادِى الَّذِى كَانَ يَصْعَدُ
وَوَاضِحُ آثَارٍ وَبَاقِى مَعَالِمٍ ... وَرَبْعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلًّى وَمَسْجِدُ
بِهَا حُجُرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسْطَهَا ... مِنَ اللهِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ
مَعَارِفُ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيُهَا ... أَتَاهَا الْبِلَى فَالآىُ مِنْهَا تَجَدَّدُ
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ ... وَقَبْراً بِهَا وَارَاهُ فِى التُّرْبِ مُلْحِدُ
ظَلِلْتُ بِهَا أَبْكِي الرَّسُولَ فَأَسْعَدَتْ ... عُيُونٌ وَمِثْلاَهَا مِنَ الْجَفْنِ تُسْعِدُ

(١) عتاب بن أسيد : كان والى مكة حين وفاة النبي إمام المتقين صلى الله عليه وسلم

يُذَكِّرْنَ آلاَءَ الرَّسُولِ وَمَا أَرَى   لَهَا مُحْصِياً نَفْسِي فَنَفْسِي تَبَلَّدُ
مُفَجَّعَةٌ قَدْ شَفَّهَا فَقْدُ أَحْمَدٍ   فَظَلَّتْ لِآلاَءِ الرَّسُولِ تُعَدِّدُ
وَمَا بَلَغَتْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَشِيرَهُ
وَلٰكِنْ لِنَفْسِي بَعْدُ مَا قَدْ تَوَجَّدُ
أَطَالَتْ وُقُوفاً تَذْرِفُ الْعَيْنُ جَهْدَهَا
عَلَى طَلَلِ الْقَبْرِ الَّذِي فِيهِ أَحْمَدُ
فَبُورِكْتَ يَا قَبْرَ الرَّسُولِ وَبُورِكَتْ
بِلاَدٌ ثَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمُسَدَّدُ
وَبُورِكَ لَحْدٌ مِنْكَ ضُمِّنَ طَيِّبًا   عَلَيْهِ بِنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنَضَّدُ
تَهِيلُ عَلَيْهِ التُّرْبَ أَيْدٍ وَأَعْيُنٌ   عَلَيْهِ وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْعُدُ
لَقَدْ غَيَّبُوا حِلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً   عَشِيَّةَ عَلَّوْهُ الثَّرَى لاَ يُوَسَّدُ
وَرَاحُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَبِيُّهُمْ
وَقَدْ وَهَنَتْ مِنْهُمْ ظُهُورٌ وَأَعْضُدُ
يُبَكُّونَ مَنْ تَبْكِي السَّمٰوَاتُ يَوْمَهُ
وَمَنْ قَدْ بَكَتْهُ الْأَرْضُ فَالنَّاسُ أَكْمَدُ
وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيَّةُ هَالِكٍ
رَزِيَّةَ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدُ
تَقَطَّعَ فِيهِ مُنْزَلُ الْوَحْيِ عَنْهُمُ   وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ يَغُورُ وَيُنْجِدُ
يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمٰنِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ
وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الْخَزَايَا وَيُرْشِدُ
إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِمُ الْحَقَّ جَاهِداً   مُعَلِّمُ صِدْقٍ إِنْ يُطِيعُوهُ يَسْعَدُوا

عَفُوٌّ عنِ الزَّلاَّتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ وَإِنْ يُحْسِنُوا فَاللهُ بِالْخَيْرِ أَجْوَدُ
وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحَمْلِهِ فَمِنْ عِنْدِهِ تَيْسِيرُ مَا يَتَشَدَّدُ
فَبَيْنَاهُمُ فِي نِعْمَةِ اللهِ بَيْنَهُمْ دَلِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيقَةِ يُقْصَدُ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُورُوا عَنِ الْهُدَى
حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا
عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لاَ يُثَنِّي جَنَاحَهُ
إِلَى كَنَفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْهَدُ
فَبَيْنَاهُمُ فِي ذٰلِكَ النُّورِ إِذْ غَدَا
إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصِدُ
فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إِلَى اللهِ رَاجِعًا يُبَكِّيهِ جَفْنُ الْمُرْسَلاَتِ وَيَحْمَدُ
وَأَمْسَتْ بِلاَدُ الْحَرْمِ وَحْشًا بِقَاعُهَا
لِغَيْبَةِ مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ تَعْهَدُ
قِفَاراً سِوَى مَعْمُورَةِ اللَّحْدِ ضَافَهَا
فَقِيدٌ يُبَكِّيهِ بَلاَطٌ وَغَرْقَدُ
وَمَسْجِدُهُ فَالْمُوحِشَاتُ لِفَقْدِهِ خَلاَءٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ
وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى لَهُ ثَمَّ أَوْحَشَتْ
دِيَارٌ وَعَرَصَاتٌ وَرَبْعٌ وَمَوْلِدُ
فَبَكِّي رَسُولَ اللهِ يَا عَيْنُ عَبْرَةً وَلاَ أَعْرِفَنْكِ الدَّهْرَ دَمْعُكِ يَجْمُدُ
وَمَالَكِ لاَ تَبْكِينَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ
فَجُودِي عَلَيْهِ بِالدُّمُوعِ وَأَعْوِلِي لِفَقْدِ الَّذِي لاَ مِثْلُهُ الدَّهْرَ يُوجَدُ

وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ   وَلاَ مِثْلُهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ
أَعَفَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ   وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلاً لاَ يُنَكَّدُ
وَأَبْذَلَ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَتَالِدٍ   إِذَا ضَنَّ مِعْطَاءٌ بِمَا كَانَ يُتْلِدُ
وَأَكْرَمَ صِيتًا فِي الْبُيُوتِ إِذَا انْتَمَى
وَأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا يُسَوَّدُ
وَأَمْنَعَ ذِرْوَاتٍ وَأَثْبَتَ فِي الْعُلاَ   دَعَائِمَ عِزٍّ شَاهِقَاتٍ تُشَيَّدُ
وَأَثْبَتَ فَرْعًا فِي الْفُرُوعِ وَمَنْبِتًا   وَعُودًا غَذَاهُ الْمُزْنُ فَالْعُودُ أَغْيَدُ
رَبَاهُ وَلِيدًا فَاسْتَتَمَّ تَمَامُهُ   عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْرَاتِ رَبٌّ مُمَجَّدُ
تَنَاهَتْ وَصَاةُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّهِ   فَلاَ الْعِلْمُ مَحْبُوسٌ وَلاَ الرَّأْيُ يُفْنَدُ
أَقُولُ وَلاَ يُلْفَى لِقَوْلِيَ عَائِبٌ
مِنَ النَّاسِ إِلاَّ عَازِبُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ
وَلَيْسَ هَوَائِي نَازِعًا عَنْ ثَنَائِهِ   لَعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أَخْلُدُ
مَعَ الْمُصْطَفَى أَرْجُو بِذَاكَ جِوَارَهُ
وَفِي نَيْلِ ذَاكَ الْيَوْمِ أَسْعَى وَأَجْهَدُ

قصيدة أخرى لحسان بن ثابت فى رثاء رسول الله

وقال حسان بن ثابت أيضا يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم : —

مَا بَالُ عَيْنِكَ لاَ تَنَامُ كَأَنَّمَا   كُحِلَتْ مَآقِيهَا بِكُحْلِ الْأَرْمَدِ
جَزَعًا عَلَى الْمَهْدِيِّ أَصْبَحَ ثَاوِيًا   يَاخَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى لاَ تَبْعَدِ
وَجْهِي يَقِيكَ التُّرْبَ لَهْفِي لَيْتَنِي   غُيِّبْتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ
بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ شَهِدْتُ وَفَاتَهُ   فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ النَّبِيُّ الْمُهْتَدِي
فَظَلِلْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مُتَبَلِّدًا   مُتَلَدِّدًا يَا لَيْتَنِي لَمْ أُولَدِ

أَأُقِيمُ بَعْدَكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ   يَالَيْتَنِي صُبِّحْتُ سُمَّ الْأَسْوَدِ
أَوْحَلَّ أَمْرُ اللهِ فِينَا عَاجِلاً   فِي رَوْحَةٍ مِنْ يَوْمِنَا أَوْ مِنْ غَدِ
فَتَقُومَ سَاعَتُنَا فَنَلْقَى طَيِّباً   مَحْضاً ضَرَائِبُهُ كَرِيمَ الْمَحْتِدِ
يَا بِكْرَ آمِنَةَ الْمُبَارَكِ بِكْرُهَا   وَلَدَتْهُ مُحْصَنَةٌ بِسَعْدِ الْأَسْعُدِ
نُوراً أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا   مَنْ يُهْدَ لِلنُّورِ الْمُبَارَكِ يَهْتَدِي
يَارَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعًا وَنَبِيَّنَا   فِي جَنَّةٍ تَثْنِي عُيُونَ الْحُسَّدِ
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ فَاكْتُبْهَا لَنَا
يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعُلَا وَالسُّودَدِ
وَاللهِ أَسْمَعُ مَا بَقِيتُ بِهَالِكٍ   إِلاَّ بَكَيْتُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
يَاوَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ   بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِي سَوَاءِ الْمَلْحَدِ
ضَاقَتْ بِالْأَنْصَارِ الْبِلَادُ فَأَصْبَحُوا   سُودًا وُجُوهُهُمُ كَلَوْنِ الْإِثْمِدِ
وَلَقَدْ وَلَدْنَاهُ وَفِينَا قَبْرُهُ   وَفُضُولَ نِعْمَتِهِ بِنَا لَمْ نَجْحَدِ
وَاللهُ أَكْرَمَنَا بِهِ وَهَدَى بِهِ   أَنْصَارَهُ فِي كُلِّ سَاعَةِ مَشْهَدِ
صَلَّى الْإِلَهُ وَمَنْ يَحُفُّ بِعَرْشِهِ   وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ

قصيدة أخرى لحسان بن ثابت في رثاء رسول الله

قال ابن إسحق: وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم: —

نَبِّ الْمَسَاكِينَ أَنَّ الْخَيْرَ فَارَقَهُمْ
مَعَ النَّبِيِّ تَوَلَّى عَنْهُمُ سَحَرَا
مَنْ ذَا الَّذِي عِنْدَهُ رَحْلِي وَرَاحِلَتِي
وَرِزْقُ أَهْلِي إِذَا لَمْ يُؤْنِسُوا الْمَطَرَا

أَمْ مَنْ نُعَاتِبُ لاَ نَخْشَى جَنَادِعَهُ إِذَا اللِّسَانُ عَتَا فِي الْقَوْلِ أَوْ عَثَرَا
كَانَ الضِّيَاءَ وَكَانَ النُّورَ نَتْبَعُهُ بَعْدَ الْإِلٰهِ وَكَانَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَا
فَلَيْتَنَا يَوْمَ وَارَوْهُ بِمَلْحَدِهِ وَغَيَّبُوهُ وَأَلْقَوْا فَوْقَهُ الْمَدَرَا
لَمْ يَتْرُكِ اللهُ مِنَّا بَعْدَهُ أَحَداً
وَلَمْ يَعِشْ بَعْدَهُ أُنْثَى وَلاَ ذَكَرَا
ذَلَّتْ رِقَابُ بَنِي النَّجَارِ كُلِّهِمُ وَكَانَ أَمْرًا مِنَ أَمْرِ اللهِ قَدْ قُدِرَا
وَاقْتُسِمَ الْفَيْءُ دُونَ النَّاسِ كُلِّهِمُ وَبَدَّدُوهُ جِهَارًا بَيْنَهُمْ هَدَرَا

قصيدة أخرى لحسان بن ثابت في رثاء رسول الله

وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا : —

آلَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا
مِنِّي أَلِيَّةَ بَرٍّ غَيْرِ إِفْنَادِ
تَاللهِ مَا حَمَلَتْ أُنْثَى وَلاَ وَضَعَتْ مِثْلَ الرَّسُولِ نَبِيِّ الْأُمَّةِ الْهَادِي
وَلاَ بَرَى اللهُ خَلْقًا مِنْ بَرِيَّتِهِ أَوْفَى بِذِمَّةِ جَارٍ أَوْ بِمِيعَادِ
مِنَ الَّذِي كَانَ فِينَا يُسْتَضَاءُ بِهِ مُبَارَكَ الْأَمْرِ ذَا عَدْلٍ وَإِرْشَادِ
أَمْسَى نِسَاؤُكَ عَطَّلْنَ الْبُيُوتَ فَمَا يَضْرِبْنَ فَوْقَ قَفَا سِتْرٍ بِأَوْتَادِ
مِثْلَ الرَّوَاهِبِ يَلْبَسْنَ الْمَبَاذِلَ قَدْ
أَيْقَنَّ بِالْبُؤْسِ بَعْدَ النِّعْمَةِ الْبَادِي
يَا أَفْضَلَ النَّاسِ إِنِّي كُنْتُ فِي نَهَرٍ
أَصْبَحْتُ مِنْهُ كَمِثْلِ الْمُفْرَدِ الصَّادِي

قال ابن هشام : عجز البيت الأول عن غير ابن إسحق

وجد بآخر نسخة من الأصول مانصه : وهذا آخر الكتاب ، والحمد لله كثيرا ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الأخيار الراشدين.

أنشدنى أبو محمد بن عبد الواحد ، عن محمد بن عبد الرحمن البرقى ، قال : أوعب أبو محمد عبد الملك بن هشام كتاب السيرة و بحضرته رجال من فصحاء العرب فقال :

تَمَّ الكتاب وصار فى العرض عشرين جزءا كلها ترضى
كملت بلا لحن ولا خطل فى الشكل والإعجام والقرض
والحمل حق صح ناقله بعض من العلماء عن بعض

قد تم بحمد الله تعالى وحسن معونته وتوفيقه

طبع الجزء الرابع من كتاب

« سـيرة النبي صلى الله عليه وسلم »

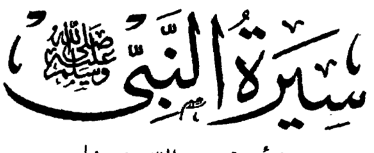
لأبي محمد عبد الملك بن هشام

وبتمام هذا الجزء قد كمل الكتاب .

والحمد لله حمداً كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى ، وصلاة الله وسلامه على معدن الفضائل ونبراس الكمالات سيدنا محمد ابن عبد الله خاتم النبيين وإمام المتقين ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم باحسان ، وألحقنا بهم على مايحب ويرضى من صالح العمل والايمان . آمين

فهرست الموضوعات

الواردة فى الجزء الرابع من كتاب



لأبى محمد عبد الملك بن هشام

الفهارس الهجائية لكتاب



لأبي محمد عبد الملك بن هشام

وضعها



المدرس فى كلية اللغة العربية
بالجامع الأزهر

فهرست أسماء الرجال والنساء

وتشـــمل أسماء القبائل والبطون

حرف الهمزة

حرف الباء الموحدة

حرف التاء المثناة

حرف الثاء المثلثة

حرف الجيم

حرف الخاء المعجمة

حرف الدال المهملة

حرف الذال المعجمة

حرف الراء المهملة

حرف الزاى

حرف الشين المعجمة

حرف الصاد المهملة

حرف الضاد المعجمة

حرف الطاء المهملة

حرف الظاء المعجمة

حرف العين المهملة

حرف الغين المعجمة

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون الموحدة

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء المثناة

تمت فهرست الأعلام الواردة فى كتاب

سيرة النبى صلى الله عليه وسلم

لأبى محمد عبد الملك بن هشام

وهى تشتمل على ما يأتى :

(١) أعلام الأشخاص الذين لهم ذكر فى الكتاب من الرجال والنساء
(٢) أسماء القبائل والبطون والأفخاذ والعشائر وما شاكل ذلك
(٣) أعلام الشعراء

فهرست

الأصنام ومعبودات العرب وأماكن عبادتها

تمت فهرست الأصنام ومعبودات العرب و بيوت عبادتهم الواردة فى كتاب «سيرة النبي صلى الله عليه وسلم» لأبى محمد عبد الملك بن هشام، والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على رسوله وآله وسلم

مكتبة
دار التراث
٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

مطابع المختار الإسلامي

